

مِنَ التَّراثِ الْإِسْلَامِيِّ

٢٨٥ ... ٢



المملكة العربية السعودية
جامعة أم القرى
مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي
مركز إحياء التراث الإسلامي
مكتبة المكرمة

غَايَةُ الْمُرَاجِرَةِ

بِأَنْخَبَارِ سُلْطَنَةِ الْبَلَدِ الْحَرَامِ

تأليف

عز الدين عيسى العزیز بن محمد بن فهد الهاشمي القرشي

(٨٥٠ - ٩٢٢ هـ)

تحقيق

فہیم محمد شیلوت

الجزء الثاني

الطبعة الأولى
١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م
مقرون الطبع محفوظة
لجامعة أم القرى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين .
وبعد :

فهذا هو الجزء الثاني من كتاب « غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام » لعز الدين عبد العزيز بن عمر بن فهد الهاشمي المكي ، وهو يترجم لمن ولى إمرة مكة المكرمة أو نيابة السلطنة بالحجاز ، ابتداء من أبي ثُمَيٍّ محمد بن حسن بن علي بن قتادة الحسنى ، الذى بدأت ولايته لإمارة مكة فى شوال سنة ٦٥٢ هـ ، ودامت قرابة نصف قرن . وحتى نهاية ترجمة محمد بن بركات بن حسن بن عجلان بن رميثة بن أبى نُمى محمد الحسنى المتوفى فى حادى عشرى المحرم سنة ٩٠٣ هـ .

وبذلك يكون هذا الجزء قد عالج التاريخ لمكة والحجاز — من خلال الترجمة للولاء — فى الحقبة التى تقع بين أواخر سنة ٦٥٢ هـ ، وبين أوائل سنة ٩٠٣ هـ : أى أنه أرخ لقرنين ونصف القرن من تاريخ مكة والحجاز .

وقد اعتمد العز بن فهد فى تأليفه لهذا الجزء على كتاب « العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين » لعمدة المؤرخين تقى الدين

- ١ الفاسي ، وعلى مسودة والده النجم عمر بن فهد المسماة بـ « بغية المرام بأخبار ولاية البلد الحرام » وكتاب « إتحاف الوري بأخبار أم القرى » له أيضاً ؛ وذلك في الحقبة المنتهية بمنتصف ذي الحجة من سنة ٨٢٧ هـ حيث وقف الفاسي بالتاريخ عند أخريات ترجمته للشريف حسن بن عجلان بن رميثة ، نائب السلطنة بالحجاز^(١) .

- ثم أخذ يعتمد في تأليفه على كتابي والده « إتحاف الوري بأخبار أم القرى » و « الدر الكمين بالذيل على العقد الثمين » كما أشار هو إلى ذلك في مقدمته للكتاب بقوله : وأما تراجم المتأخرين بعد السيد حسن بن عجلان فجمعتها مما اطلعت عليه — بعد الفحص والإتقان — وغالبها من تاريخي والدي المسميين بإتحاف الوري بأخبار أم القرى ، والدر الكمين بذيل العقد الثمين^(٢) .

- وقد ذكر المؤلف كتباً أخرى لوالده ، نقل عنها في مؤلفه هذا مثل « الإشعار بما أنشئت من الأشعار »^(٣) و « نزهة العيون فيما تفرق من الفنون »^(٤) كما ذكر بعض ما شاهده بخط والده ، وبعض ما نقله والده عن الشريف أحمد بن علي بن الحسين بن مهنا بن

(١) ص/٣٤٤ من هذا الجزء (أواخر الترجمة رقم ٩٩٥ من كتاب العقد

التمين ج ٤/١٥٠

(٢) مقدمة المؤلف لغاية المرام ج ١ : ٣ ، ٤ .

(٣) ص ٣٥٤ من هذا الجزء .

(٤) ص ٤٣ من هذا الجزء .

١ عقبة الحسني ، من كتابه « عمدة الطالب في نسب آل أبي طالب » (١) ما لم نره في كتبه : بغية المرام ، وإتحاف الوري ، والدر الكمين . ولعل النجم كان دون ذلك في مسودات توطئة لإضافتها إلى أحد كتبه هذه ، أو إلى كتب أخرى لم تصل إلينا .

٥ وفي أخبار شهر رجب سنة ٨٨٥ هـ (٢) من ترجمة محمد بن بركات بن حسن بن عجلان الحسني ، نائب السلطنة بالحجاز توقف النجم عمر بن فهد عن التأريخ في كتابيه الدر الكمين ، وإتحاف الوري ، وذلك لمرضه الذي انتهى بوفاته في سابع رمضان سنة ٨٨٥ هـ .

١٠ بعد ذلك أخذ العز بن فهد يستقل بالتأريخ لحقبة عاصرها ، وعایش أحداثها ، وأنهى بها كتابه « غاية المرام » واستغرق بها كتابه « بلوغ القرى » وكأنه خلّف والده في انفراده بالتأريخ للحقبة التي تلت وفاة والده ، حتى ثامن جمادى الأولى من سنة ٩٢٢ هـ حيث انتقل مؤرخنا العز بن فهد إلى جوار ربه .

١٥ ويجعله قطب الدين محمد بن أحمد النهروالي في تاريخه آخر سلسلة الذين أرخوا لمكة المكرمة ؛ فيبدأ بأبي الوليد محمد بن عبد الله الأزرق ، ماراً بمحمد بن إسحاق الفاكهي ، ثم بالتقي محمد بن أحمد الحسني الفاسي ، ثم بالنجم عمر بن فهد الهاشمي ،

(١) ص ٣٩ ، ٧٦ ، ١١٠ ، ١١٢ ، ١٩٤ من هذا الجزء .

(٢) ص ٣٥٤ من هذا الجزء .

وينتهي بابنه الشيخ عز الدين عبد العزيز بن فهد الشافعي العلوي المكي . ثم يقول : وهذا الأخير أدركناه ، ولنا عنه رواية^(١) .

ومما يلفت النظر أن قطب الدين النهروالي لم يشر في تاريخه من قريب أو بعيد إلى جاز الله محمد بن عبد العزيز بن فهد . وهو إمام علامة مسند مؤرخ ، برع في العلوم العقلية والشرعية ، وقد توفي في سنة ٩٥٤ هـ^(٢) . يعنى في عنقوان القطب النهروالي الذى ولد سنة ٩١٧ هـ ، وتوفى سنة ٩٨٨ هـ^(٣) . وقبل أن ينتهى القطب النهروالي من تأليف تاريخه بالإعلام بأعلام بيت الله الحرام . الذى أتمه في سنة ٩٧٩ هـ . وكان أولى به أن يذكر جاز الله بن فهد في كتابه هذا ، فضلاً عن أن يتلمذ عليه ويأخذ عنه ، لكنه رحمه الله لم يفعل . ذلك .

هذا والله تعالى من وراء القصد ، وهو يهdy السبيل .

المحقق

فهم محمد شلنوت

مكة المكرمة في يوم الثلاثاء

٢٧ من شعبان سنة ١٤٠٦ هـ

٦ مايو سنة ١٩٨٦ م

(١) الإعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ٨ ، ٩ ، وانظر روايته عن العز في

ص ٩٥ .

(٢) شذرات الذهب ٨ : ٣٠١ ، والأعلام للزركلى ٧ : ٧٩ ، ومعجم المؤلفين

١٠ : ١٧٥ ، وكشف الظنون ١ : ٢٥٣ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ .

(٣) شذرات الذهب ٨ : ٤٢٠ ، والبدر الطالع ٢ : ٥٧ ، والأعلام للزركلى

٦ : ٢٣٤ ، ومعجم المؤلفين ٩ : ١٧ .

غَايَةُ الْمُرَامِ
بِأَخْبَارِ سُلْطَنَةِ الْبَلَدِ الْحَرَامِ

الجزء الثاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٧٤ — محمد بن حسن بن علي بن قتادة بن إدريس بن
مُطَاعِنِ الحُسَيْنِ .

قال الفاسي^(١) : الشريف أبو نُمَيٍّ — ويقال أبو مَهْدِي —
ابن أبي سعد . صاحب مكة وابن صاحبها . يُلقَّب نجم الدين .

ولي إمرة مكة نحو خمسين سنة إلا أوقاتاً يسيرة زالت ولايته
عنها فيها — يأتي ذكرها .

وذكر صاحب « بَهْجَةِ الزَّمَن » في مدة ولايته لمكة ما ذكرناه
في مدة ولايته لها بزيادة في ذلك ؛ لأنه قال : واستمرت إمرته على
مكة ونواحها ما ينيف على خمسين سنة . انتهى .

وما ذكره من أن ولاية أبي نُمَيٍّ على مكة ونواحها ينيف على
خمسين سنة فيه نظر ؛ لأنه لم يَلْ إلا بعد أبيه ، وبين وفاتيهما تسع
وأربعون سنة وأشهر . وغايتها خمسون على الخلاف في تاريخ شهر
موت والده أبي سعد ، إلا أن يكون أبو نمي ولي إمرة مكة / نيابة
عن أبيه ، ويضاف ذلك إلى ولايته بعده فلا إشكال . والله أعلم .

واستقل أبو نُمَيٍّ بإمرة مكة في أكثر المُدَّة المشار إليها ، ١٥
وشارك عمّه إدريس بن قتادة في بعضها .

(١) العقد الثمين ٤٥٦/١ برقم ١٤٤ .

١ وولايته المشتركة سبع عشرة سنة ، أو نحوها ، وولايته المستقلة نحو إحدى وثلاثون سنة أو نحوها .

وقال الذهبي في ذيل سير النبلاء له — في ترجمة أبي نُمَيّْ هذا — : وكانت ولايته نحواً من أربعين سنة بعد عمّه الذي قتله . انتهى .

وفيما ذكره الذهبي نظر ؛ لأن عمّه المشار إليه هو إدريس بن قتادة ، وكانت وفاته في سنة تسع وستين وستائة — على ما وجدت بخط الميورقي — وذكر ذلك غير واحد من المؤرخين .

ومقتضى ما ذكرناه من [تاريخ] ^(١) وفاة إدريس بن قتادة أن تكون ولاية أبي نُمَيّْ بعده إحدى وثلاثين سنة وأشهرًا . إلا أن ١٠ أبا نمي لم يعيش بعد عمّه إدريس إلا المدة التي أشرنا إليها كما سيأتي في تاريخ وفاة أبي نمي .

وقد وجدت ما يوهم الاختلاف في ابتداء ولايته ؛ لأن ابن محفوظ ذكر — فيما وجدت بخطه — أن في شوال سنة اثنتين وخمسين جاء الشريفان أبو نُمَيّْ وإدريس ، وأخذوا مكة من غانم بن راجح بن قتادة بالقتال ، ولم يُقتل بينهم إلا ثلاثة أنفس . منهم : ١٥ عالي شيخ المبارك . وأقاما بها إلى الخامس والعشرين من ذي القعدة ، فجاء ابنُ برطاس المبارز بن علي من اليمن ، فأخذها منهم ، وتقاتلوا بالسرحة من قُوزِ المَكَّاسَةِ . وكان معهما جَمَّازُ بن ٢ شَيْحَةَ صاحبُ المدينة .

(١) سقط في الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ٤٥٧/١ .

وحجّ بالناس تلك السنة ابن بَرطاس ، ولم يزل مقيماً بمكة ١
إلى آخر السنّة . انتهى .

ووجدت بخط الميورقي : وَوَلَّى أَبُو نُمَيٍّْ بعد قتل أبيه
أبى سعد في المحرم سنة ثلاث وخمسين وستائة . انتهى .

وهذا وإن أُوهم الخلاف في [تاريخ] ^(١) ابتداء ولاية أبى نُمَيٍّْ .
لمكة فليس خلافاً في ^(٢) الحقيقة ؛ لإمكان الجمع بين ما ذكره
ابن محفوظ في ابتداء ولايته ، وبين ما ذكره الميورقي في ابتدائها .

وذلك أن يُحْمَلَ كلامُ الميورقي على أنه أراد ولاية أبى نُمى لمكة
بعد خروج ابن بَرطاس منها ، ويُحْمَلَ ما ذكره ابن محفوظ على ولاية
(أبى نُمى التى بعد ^(٣) غانم بن راجح .
١٠

ويؤكد ذلك أن الميورقي وابن محفوظ ذكر كل منها ما يقتضى
أن أبا نُمَيٍّْ ولي مكة بعد ابن بَرطاس في سنة ثلاث وخمسين
وستائة ؛ لأن الميورقي قال : ثم استحكم أبو نُمَيٍّْ وعمّه إدريس على
مكة ؛ فأخرج الشرفاء الغرّ بسفك دماء نخيل ابن بَرطاس الوالى بها
من جهة اليمن ، فامتلاء الناس رُعباً ، وسُفِكَت الدماء بالحجر ، يوم ١٥
السبت لأربع ليالٍ بَقَيْنَ من المحرم سنة ثلاث وخمسين وستائة .
انتهى .

(١) إضافة على الأصل عن العقد الثمين ٤٥٨/١ .

(٢) فى الأصل « علي » ، والمثبت عن المرجع السابق .

(٣) فى الأصل « أن أبا نُمى » ، ولا مفهوم لذلك فى السياق ، والمثبت عن المرجع

السابق .

وذكر في موضع آخر نحو ذلك باختصار ، بالمعنى . انتهى . ١
 وقال ابن محفوظ — فيما وجدت بخطه — : سنة ثلاث
 وخمسين وستائة جاء أبو نُمَيٍّ وإدريس ، ومعهما جَمَّازُ بن شَيْحَةَ
 صاحب المدينة ؛ فدخلوا مكة وأخذوها من ابن بَرطَاس بعد
 القتال . انتهى .

وذكر بعض العصريين حَرَّيْنِ بين ابن بَرطَاس وأبي نُمَيٍّ
 وإدريس ، الحرب الأول ، والحرب الثاني ، وذكر أنه أُسِرَ في الثاني ثم
 خُلصَ لافتيائه نفسه . وسنوضح ذلك / أكثر من هذا في ترجمته .
 وجرى بين أبي نُمَيٍّ وعمه إدريس — بسبب مكة — أمور .
 منها : أن أبا نُمَيٍّ في سنة أربع وخمسين وستائة أخذ مكة ١٠
 من عمه إدريس — [وكان شريكه فيها — لما راح إدريس إلى أخيه
 راجح بن قتادة ، ثم جاء إدريس] ^(١) مع راجح بن قتادة ، وأصلح
 راجح بين إدريس وأبي نُمَيٍّ .

ومنها : أن أبا نُمَيٍّ — في سنة سبع وستين — أخرج عمه
 إدريس من مكة ، وانفرد بالإمرة ، وخطب لصاحب مصر الملك ١٥
 الظاهر بيبرس الصالحى البندقدارى ^(٢) . وكتب إليه أبو نُمَيٍّ يذكر

(١) سقط في الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ٤٥٩/١ .

(٢) هو الملك الظاهر ركن الدين أبو الفتح بيبرس بن عبد الله البندقدارى
 الصالحى التركى ، سلطان الديار المصرية والبلاد الشامية وغيرهما ، وهو الرابع من ملوك
 الترك . وكلمة بيبرس تعنى أمير فهد ، وكلمة البندقدارى تعنى نسبته إلى الأمير =

- له : أنه لما شاهد من عمه إدريس مَيْلاً إلى صاحب اليمن ، وَتَحَامُلاً ١
على دولته أخرجه من مكة ، وانفرد بالإمرة ، وخطب له ، وسأل
مَرْسُومَهُ إلى أمراء المدينة ، ألا يُتَجِدُوا عمه عليه . فاشتراط عليه
صاحبُ مصر : تَسْيِيلَ بيت الله للعاكف والباد ، وألَّا يُؤْخَذَ عَنْهُ
حَقٌّ ، ولا يُمنَع زائرٌ في ليلٍ أو نهار ، وألَّا يُتَعَرَّضَ إلى تاجرٍ وَلَا ٥
حاجٍ بِظُلْمٍ ، وأن تكون الخطبة والسَّكَّة له ، ولأبى تُمَيَّ عَلَى ذلك
عشرون ألفَ دِرْهَمٍ في كل سنة .

فلما وَرَدَ جوابُ أبى تُمَيَّ إلى صاحب مصر بالتزام ذلك
كتبَ له تَقْلِيداً بالإمرة بمفرده .

- ومنها : أن إدريس بن قتادة — بعد إخراج أبى تُمَيَّ له من ١٠
مكة — حشد وجمع ، وتوجَّه إلى مكة المشرفة ؛ ثم اصطَلَحَ مع
أبى غمى ، واتفقا على طاعة صاحب مصر ، وكتب إليه إدريس يعرفه ذلك ؛
فَسَلَّمَتِ الأَوْقافُ لِنُؤَابِهما .

ذكر هاتين الحادثتين^(١) ابن عبد الظاهر^(٢) كاتب الملك

= علاء الدين أيدكين البندرقداري ، الذي اشتراه من أوَّل مشترٍ له ، وكانت وظيفته حمل
أكياس البندق الذى يرمى به ، والسير به خلف السلطان أو الأمير ، ويسمى بالبندق
دار ، ثم انتقلت ملكيته إلى الملك الصالح نجم الدين أيوب ؛ فأعتقه وقدمه على طائفة
الجمدارية . وكان في جيش المظفر قطز حين هَزَمَ التتار بموقعة عين جالوت ، وفي عودتهم
منتصرين تأمر مع بعض الأمراء على قتل المظفر قطز فقتلوه ، وأعلنوا سلطنة الظاهر
بيبرس في سادس عشر القعدة سنة ٦٥٨ هـ . (النجوم الزاهرة ٩٤/٧ — ٢٠٠) .

(١) في الأصل « الحالتين » ، والمثبت عن العقد الثمين ٤٦٠/١ .

(٢) هو محبى الدين أبو الفضل عبد الله بن رشيد الدين أبى محمد عبد الظاهر =

الظاهر بيبرس صاحب مصر ، في السيرة التي جمعها للملك ١
الظاهر .

ومنها : أنه في سنة تسع وستين وستائة وقع بين أبي نُمَيٍّ
وعمه خلف ، فاستظهر إدريس على أبي نُمَيٍّ ، وخرج أبو نُمَيٍّ
هارباً من بين يدي عمه ، ووصل ينبع واستنجد بصاحبها ، وجمع هـ
وحشد وقصد مكة ، فالتقى هو وعمه إدريس وتحاربا ؛ فطعن
أبو نُمَيٍّ إدريس ألقاه عن جواده ، ونزل إليه وجزَّ رأسه واستبد
بالإمرة .

ذكر هذه الحادثة بمعنى ما ذكرناه القطب اليوناني في ذيل
المرآة ، وذكر : أن في آخر جمادى الأولى من السنة المذكورة وصل ١٠
التَّجَابُون إلى مصر من عند أبي نُمَيٍّ وأخبروا بذلك .

ووجدت بخط الميورقي ما يشهد لبعض هذه القضية بزيادة
فائدة ، لأنه ذكر : أن في ربيع الأول سنة تسع وستين قُتِلَ وَلَدُ
لأبي نُمَيٍّ ، وطُرِدَ أبوه ، وبعد قتله بأربعين يوماً قُتِلَ أبوه عَمُّه
إدريس ، وجَرَى بين أبي نُمَيٍّ وجمَّاز بن شَيْحَة صاحب المدينة أمور ١٥
تتعلق بولاية مكة .

منها — على ما وجدت بخط الميورقي — : أن عيسى ابن

= ابن نشوان الجذامي المصري ، المتوفى سنة ٦٩٢ هـ ، كان صاحب ديوان الإنشاء في
عهد بيبرس . له مؤلفات منها : سيرة الملك الظاهر بيبرس ، وضعها نظماً ، واعتمد
عليها كثير من التأخرين في تاريخهم للظاهر بيبرس . (تشریف الأيام والعصور في سيرة
الملك المنصور قلاوون لمحبي الدين بن عبد الظاهر — مقدمة المحقق د. مراد كامل) .

الشيخ جرير قال : أخرج الأمير جَمَّازُ بن شَيْحَةَ الحسيني أبا نُمَيٍّ ١
 مِنْ مَكَّةَ — شَرَّفَهَا اللَّهُ تَعَالَى — فِي آخِرِ صَفَرِ سَنَةِ سَبْعِينَ
 وَسِتِّمِائَةٍ^(١) ، وَجَاءَتْ مَوَالِيهِ سَنَةَ سَبْعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ وَأَبُو نُمَيٍّ مَطْرُودٌ ،
 وَأَكْمَلَ لِقَتْلَ وَلَدِهِ سَنَةَ . ثُمَّ رَجَعَ أَبُو نُمَيٍّ إِلَى مَكَّةَ فِي رَبِيعٍ ، وَهَزَمَ
 جَمَّازُ بن شَيْحَةَ الْحُسَيْنِي . ثُمَّ جَاءَ الْحُسَيْنِي لِإِخْرَاجِ أَبِي نُمَيٍّ فِي
 شَعْبَانَ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فَأَعْطَاهُ أَبُو نُمَيٍّ ...^(٢) وَرَجَعَ ، وَخَلَى
 بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَتْلِهِ ابْنَهُ أَبِي سَعِيدٍ^(٣) . انْتَهَى .

ووجدت بخط ابن محفوظ ما يَشْهَدُ لِلْقَضِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ
 أَبِي نُمَيٍّ وَجَمَّازَ / بن شَيْحَةَ فِي سَنَةِ سَبْعِينَ بَزِيَادَةِ فَائِدَةٍ ؛ لِأَنَّهُ ١٠١
 ذَكَرَ : أَنَّ فِي سَنَةِ سَبْعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ وَصَلَ جَمَّازُ — يَعْنِي صَاحِبَ
 الْمَدِينَةِ — وَغَانِمَ بن إِدْرِيسَ وَأَخَذَا مَكَّةَ ، وَبَعْدَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا أَخَذَهَا
 مِنْهُمْ أَبُو نُمَيٍّ . انْتَهَى .

وَفِي هَذَا فَائِدَةٍ [لَا تَفْهَمُ مِنْ كَلَامِ الْمَيُورِقِيِّ . وَهِيَ أَنَّ مُدَّةَ
 إِخْرَاجِ أَبِي نُمَيٍّ مِنْ مَكَّةَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا .

وَفِيهِ فَائِدَةٌ [^(٤) أُخْرَى ، وَهِيَ : أَنَّ غَانِمَ بن إِدْرِيسَ كَانَ مَعَ ١٥

(١) وانظر إتحاف الوري ١٠١/٣ .

(٢) بياض في الأصل بمقدار كلمتين ، كتب فوقه كلمة « كذا » والخبر في
 إتحاف الوري ١٠٤/٣ وقد أشرنا إلى ما فيه من بياض ، وإلى أنه ورد في العقد الثمين
 ٤٦٠/١ متصلاً وليس فيه هذا البياض .

(٣) في الأصل « أبي سعد » ، والمثبت عن إتحاف الوري ١٠٤/٣ .

(٤) سقط في الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ٤٦١/١ .

جَمَّاز في هذه القضية . وغانم بن إدريس هو غانم بن حسن بن قتادة ؛ ويدلّ لذلك ما وقع في الحَبَرِ الذي ذكره الميورقي من : أن جَمَّاز بن شيحة خلّى بين أبي نُمَيٍّ وقتله ابنه . انتهى . وقتله ابنه هم : أولاد حسن بن قتادة ، ومنهم إدريس بن حسن والد غانم بن إدريس المحارب لأبي نُمَيٍّ .

ومنها — على ما وجدت بخط المؤرخ شمس الدين محمد بن إبراهيم الجزرى الدمشقي^(١) — : أن في التاسع عشر من شهر ربيع الآخر سنة خمس وسبعين كانت وقعة بين أبي نُمَيٍّ صاحب مكة ، وبين جَمَّاز بن شيحة صاحب المدينة ، وبين صاحب ينبع إدريس ابن حسن بن قتادة ؛ فظهر عليهما أبو نُمَيٍّ وأسر إدريس وهرب جَمَّاز . وكانت الوقعة في مرّ الظهران ، وكان عدّة من مع أبي نُمَيٍّ مائتي فارس ومائة وثمانين راجلاً ، و [عدة من]^(٢) مع إدريس وجَمَّاز مائتين وخمسة عشر فارساً وستائة راجل . انتهى .

(١) هو مؤرخ توفى سنة ٧٣٩ هـ ، له كتاب « حوادث الزمان وأنبائه ، ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه » يوجد منه الجزء الثاني بدار الكتب المصرية ، ويبدأ من سنة ٧٢٦ هـ ، وينتهي بسنة وفاته ، ويوجد الجزء الأول منه بخزانة الرباط ، ويبدأ بأخبار سنة ٦٠٨ هـ ، وينتهي بأخبار سنة ٦٥٨ هـ . وفي فهرس دار الكتب المصرية ٨/٥ . له كتاب كبير اسمه « جواهر السلوك في الخلفاء والملوك » يوجد منه ثلاث مجلدات تبدأ بأخبار سنة ٧٢٦ هـ ، وتنتهي بتاريخ وفاته . (البداية والنهاية ١٨٦/١٤ ، والسلوك للمقريزي ٢/٢ : ٤٧١ ، والأعلام للزركلي ٢٩٨/٥ ، ومعجم المؤلفين لكحالة ١٩٤/٨ .

(٢) إضافة على الأصل .

- ومنها — على ما وجدت بخط ابن محفوظ — : أن في سنة ١
سبع وثمانين جاء جمّاز بن شيحة وأخذ مكة ، وأقام بها إلى آخر
السنة ، وأخذها منه ثوّاب أبي نُمَيّ . وقد اختصر ابن محفوظ هذه
الوقعة . وقد وجدتْها أبسط من هذا في وُريْقَةٍ وقعت لي — لا أعرف
كاتبها — فيها : أن جمّاز بن شيحة أمير المدينة تزوّج خُزَيْمَةَ بنت
أبي نُمَيّ وبنّى بِهَا في ليلة السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة
اثنين وثمانين وستائة ، ثم حَارَبَهُ جمّاز المذكور بعد ذلك ، وطلب
مِنَ السلطان الملك المنصور^(١) عَسْكَراً ؛ فسير عسكراً يقدمهم أمير
يقال له الجكاجكي ، فتوجهوا إلى مكة ؛ فأخذوها وأخرجوا أبا نُمَيّ
منها ، وخطبَ لجمّاز ، وضربت السُّكَّة باسمه . وذلك في سنة سبع
وثمانين . وبقيت في يده مُدَّة يسيرة .

- ثم إن امرأة يقال لها أم هجرس ، من صبايا خزيمة ، سقت
الأمير جمّاز سماً فاضطرب له جسمه وحصل من الجكاجكي مراسلة
إلى أبي نُمَيّ في الباطن ؛ فعرف جمّاز أنه مغلوب فرحلَ عن مكة ،
ووصل إلى المدينة ، وهو عليل من السُّمِّ . فلم يزالوا يعالجونه حتى
برىء . وأرسل الأمير جمّاز بالجكاجكي مقيداً إلى السلطان ؛

(١) هو الملك المنصور سيف الدين قلاوون بن عبد الله الألفي التركي الصالحي
النجمي ، سابع ملوك الترك بالديار المصرية ، تولى الملك في رجب سنة ٦٧٨ هـ ، وكان
على يديه فتح معظم حصون الصليبيين في البلاد الشامية ، وطبقت انتصاراته عليهم
الآفاق . ومرض عند خروجه للغزو من القاهرة ، ومات في محبته عند مسجد التبن ، في
ذي القعدة سنة ٦٨٩ هـ . (النجوم الزاهرة ٢٩٢/٧ — ٣٤٤) .

فحبسه . ولم تنزل مكة في يد أبي نُمَيْ إلى أن توفي^(١) .

قلت : الملك المنصور المشار إليه هو قلاوون الصالحى ، ولعل سبب إنجاده لجماز على أبي نُمَيْ عَدَم وفاء أبي نُمَيْ باليمين [التى حلفها للمنصور قلاوون ، ويعد جداً أن يعين أحداً على أبي نُمَيْ مع وفاء أبي نُمَيْ باليمين]^(٢) المذكورة ؛ لأن الملوك تقنع من نوابهم بالطاعة ، وإظهار الحرمة ، سيما نواب الحِجَاز .

وهذه نستختها على ما وجدت في تاريخ شيخنا ناصر الدين ابن الفرات ، العدل الحنفى ، وهى :

أخلصْتُ يَقِينِي ، وأصفيت طويتى ، وساويت بين باطنى وظاهرى ، فى طاعة مولانا السلطان الملك المنصور ، وولده ١٠١ ظ [السلطان]^(٣) الملك الصالح ، وطاعة أولادهما وأرثى ملكهما / لا أضمر لهم سوءاً ولا غدراً فى نفس ولا مال ولا سلطنة . وإنى عدو لمن عاداهم ، صديق لمن صادقهم ، حرب لمن حاربهم ، سلم لمن سالمهم .

وإننى لا يخرجنى عن طاعتهم طاعة أحد غيرهما ، ولا ألتفت ١٥ فى ذلك إلى جهة غير جهتهما ، ولا أفعل أمراً مخالفاً لما استقرَّ من هذا الأمر ، ولا أشرك فى تحكيمهما على ، ولا على مكة المشرفة

(١) وانظر إتحاف الورى ٣/ ١١٨ ، ١١٩ .

(٢) سقط فى الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ١/ ٤٦٢ .

(٣) إضافة على الأصل عن المرجع السابق .

١ — وحرّمها ، وموقف حلها — زيدا ولا عمرا .

وإننى ألّتم ما اشترطته لمولانا السلطان وولده فى أمر الكسوة الشريفة المنصورية الواصلة من مصر المحروسة ، وتعليقها على الكعبة المشرفة فى كل موسم ، وألا يتقدم علّمه علم غيره .

وإننى أسبّل زيارة البيت الحرام أيام موسم الحج وغيرها ° للزائرين والطائفين ، والبادين والعاكفين ، اللائذين بحرمه ، والحاجين ، والواقفين .

وإننى أجتهد فى حراستهم من كل عاد بفعله وقوله ﴿ وَيُخَطِّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ (١) .

١٠ وإننى أؤمنهم فى سربهم ، وأعذب لهم مناهل شربهم .

وإننى — والله — أستمّر بتفرد الخطبة والسّكّة بالاسم الشريف المنصورى ، وأفعل فى الخدمة فعل المخلص الولى .

وإننى — والله — أمتثل مراسيمه امتثال النائب للمستنيب ، وأكون لداعى أمره أول سامع مجيب .

وإننى ألّتم بشروط هذه اليمين من أولها إلى آخرها ، لا ١٥ أنقضها . [انتهى] (٢) .

وكان حلف أبى ثُمىّ لهذه اليمين فى سنة إحدى وثمانين

(١) سورة العنكبوت : آية ٦٧ .

(٢) إضافة عن العقد الثمين ١/٤٦٣ .

١ وستائة ، على ما ذكر شيخنا العَدْلُ ناصر الدين بن الفُرات .
وقد رأيت ما يَدُلُّ على أن أبا نُمَيْ [لم]^(١) يَفِ ببعض
هذه اليمين ؛ لأنني وجدت بخط ابن محفوظ : أن في آخر يوم من ربيع
الأول سنة إحدى وتسعين وستائة خطب للملك المظفر صاحب
اليمين وقطعت خطبة خليل بن المنصور بعد أن خُطِبَ له في أولها .
وهذا إنما يصدر عن أبي نُمَيْ .

ولعل أبا نُمَيْ تأوَّل أن الأشرف خليل بن المنصور قلاوون لم
يدخل في يمينه للمنصور وابنه الصالح^(٢) لكون الأشرف لم يُسمَ
فيها . فإن كان تأوَّل ذلك فهو تأويل غير مستقيم ؛ لدخوله في قوله
١٠ في اليمين : وطاعة أولادهما .

وأظن أن الحامل لأبي نُمَيْ على تقديم صاحب اليمين على
صاحب مصر كَوْن صلاته أعظم من صلة صاحب مصر ؛ لأن
العاقل لا يفعل أمرا يلحقه فيه ضرر إلا لنفع أكبر . وكانت صلة
صاحب اليمين لأبي نُمَيْ عظيمة على ما وجدت في مِقْدَارها ، لأن
بعض الناس ذكرها ، وذكر شيئا من حال صاحب اليمين بمكة ،
١٥ وحال أبي نُمَيْ معه . وذلك مما يَحْسُنُ ذِكْرُهُ هنا . ونَصُّ ذلك :

(١) سقط في الأصل ، والمثبت عن المرجع السابق .

(٢) هو الأمير الصالح علاء الدين بن المنصور قلاوون ، نصبه أبوه ولياً للعهد في
سنة ٦٧٩ هـ فدام على ولاية العهد إلى أن مرض ، ومات في شعبان سنة ٦٨٧ هـ فولى
المنصور ولده الأشرف خليلاً ولياً للعهد مكانه . (النجوم الزاهرة ٧/ ٣٢٠ ، ٣٧٧) .

وقد كان الملك المؤيد لما تسلطن جَهَزَ تلك السنة عَلمَه ١
المنصورَ ، ومحمَلَ الحاج السعيد صحبة القائد ابن زاكى . فتلَقَّاه
الشریف أبو نُمَيِّ صاحب مكة بالإجلال والإكرام ، وحَفَقَت
ذوائب العَلم المنصور على جَبَلِ التعريف بعرفة ، وأعلن مؤذنه على
قبة زمزم بمناقب السلطان على رعوس الأشهاد ، وَسَمِعَ تلك ٥
الأوصاف من ضَمَمَ ذلك المقام الشريف ، وحَلَفَ للسلطان الملك
المؤيد الأيمان الغليظة ، ولبب (١) عَلَى قَمِيصِهِ على مقتضى ما جرت
به العادة .

ووصل إلى الشريف المذكور ما اقتضته المواهب السلطانية مما
كان قَرَرَه / الخليفة من العين والغلة والكسَاوى والطَّيب من المِسْكِ ١٠٢ ظ
والعود والصنْدَل والعَنْبَر والثياب الملونة ، والخلع النفيسة . ١٠

وكان مبلغ العين ثمانين ألف درهم ، ومبلغ الغلة أربعمائة
مُد . انتهى من كتاب « العقود اللؤلؤية في أخبار الدولة
الرسولية » (٢) لبعض مؤرخى اليمن فى عصرنا . .

والذى يصل لصاحب مكة من صاحب مصر (٣) نحو ربع
ذلك أو أقل ، ومبلغ الطعام المذكور بكييل مكة ألف غرَّارة ومائتا ١٥
غرَّارة مكية وذلك فى عصرنا .

(١) فى الأصل « كتب » ، والمثبت عن العقود اللؤلؤية ٣٣٥/١ .

(٢) ومؤلفه هو الشيخ علي بن الحسن الخزرجي ، المتوفى سنة ٨١٢ هـ .

(الضوء اللامع ٢١٠/٥ برقم ٧٠٦) والخبر فى العقود اللؤلؤية ٣٣٥/١ .

(٣) فى الأصل ، والعقد الثمين ٤٦٤/١ « اليمن » . والتصويب عن هامش لوحة

الأصل ١٠٢ و .

- ١ والخليفة المشار إليه هو الملك المظفر والد الملك المؤيد .
- ووجدت بخط ابن محفوظ أيضاً : أن أمير الركب في سنة اثنتين وتسعين وستائة استحلّف أبا نُمَيٍّ على الرواح إلى مصر ، وأعطاه ألف دينار ؛ فعزم في سنة ثلاث وتسعين ، ثم رَجَعَ من يَنْبُع لما بلغه موثُ الأشرَف . انتهى .
- ووقع من أبي نُمَيٍّ في حَقِّ الملك الظاهر بِيَّـرْس صاحب مصر ما أوجب انحرافه منه غير مرّة .
- منها : أن أبا نُمَيٍّ وعَمّه إدريس أخرجوا نائباً كان للملك الظاهر ، يُقال له مَرْوَان نائب أمير جنّدار^(١) ، في سنة ثمان وستين وستائة ، وكتب إليه الملك الظاهر غَيْرَ مرّة بـ [عدم]^(٢) الرضا ١٠ عَمَّا ارتكبه أبو نُمَيٍّ مِمَّا لَا يَنْبَغِي فِعْلُهُ .
- منها : في سنة خمس وسبعين وستائة ؛ لأنّي وجدت بخط الميوري : أهان الله تعالى وُلَاةَ مَكَّةَ بكتابٍ من وَالِي مِصْرٍ يَزْجُرُهُمْ فيه عن الجَوْرِ ، في آخر سنة خمس وسبعين وستائة .
- قلت : وَوَالِي مِصْرٍ في هذا التاريخ هو الظاهر بِيَّـرْس ، ١٥ ووالى مكة في هذا التاريخ [هو]^(٣) أبو نُمَيٍّ .

(١) أمير جاندار : هو من يتسلم باب السلطان ، ويتكلم عن البرد دارية والركابية والجنّدارية ، ويشارك في عرض البريد ، ويدور بالزفة حول السلطان ، وعلى يده يكون تقرير الأمراء على وظائفهم وأرزاقهم ، وإيقاع العقوبات بهم . (خطط المقرئزي ٢٢١/٢) .

(٢) في الأصل ، والعقد الثمين ٤٦٥/١ « بالرضا » والإضافة يقتضيها السياق .

(٣) إضافة عن العقد الثمين ٤٦٥/١ .

ووجدت في تاريخ شيخنا ابن خلدون : أنه كان بين
أبي نُمَيٍّ ، وبينَ الملك الظاهر بيبرس صاحب مصر منافرة ؛ فكتب
إليه الظاهر كتاباً فيه :

من بيبرس سلطان مصر إلى الشريف الحسيب النسيب محمد
ابن أبي سعد .

أما بعد : فإن الحسنه في نفسها حسنة ، وهي من بيت
النبوة أحسن . والسيئة في نفسها سيئة وهي من بين النبوة أَوْحَش .
وقد بلغنا عنك أيها السيد أنك آوَيْتَ المجرمَ ، واستحللت دَمَ
المُحْرَمِ ﴿ وَمَنْ يَهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ ﴾ ^(١) فإن لم تَقِفْ
عند حدِّك أَعْمَدْنَا ^(٢) فيك سيف جَدِّك . والسلام .

فكتب إليه أبو نُمَيٍّ :

من محمد بن أبي سعد إلى بيبرس سلطان مصر .

أما بعد : فإن المملوك مُعْتَرِفٌ بذنبه ، تائب إلى ربِّه . فإن
تأخذ فيدك الأقوى . وإن تَعُفْ فهو أقرب للتقوى . والسلام .
انتهى .

وبعض الناس يَذْكُرُ في كتاب بيبرس إلى أبي نُمَيٍّ غير ما
سبق ، وذلك ^(٣) أنه كتب إليه يقول له :

(١) سورة الحج : آية ١٨ .

(٢) في الأصل ، والعقد الثمين ٤٦٥/١ « وإلا أَعْمَدْنَا » وانظر إتحاف الوري

١٠٦/٣ .

(٣) كذا في الأصل . وفي العقد الثمين ٤٦٥/١ « وذكر » .

بلغنا عنك أيها السيد أنك أبدلت حرم الله بعد الأمن بالخيفة ، وفعلت ما يُحَمِّرُ الوجه ويُسَوِّدُ الصحيفة . انتهى .

ولعل ذلك كُتِبَ مع الألفاظ السابق ذكرها ، فحفظ بعضهم الأول فقط ، وحفظ بعضهم الثاني فقط ، وظن ظان أنهما كتابان وهما واحد . والله أعلم .

قال الوالد^(١) : وبعض الناس أيضاً يذكر في الكتاب المذكور غير ذلك ؛ وذلك أنه كتب إليه بعد البسملة والألقاب :

الحسنة حسنة ، وهي من البيت النبوي أحسن ، والسيئة / شئ ، ولكن من البيت النبوي أشين . ولقد بلغنا عنك أيها السيد الشريف أنك بدلت حرم الله بعد الأمن بالخيفة ، وفعلت ما تحمّر به الوجوه وتسودّ به الصحيفة . ومن القبيح كيف تفعلون القبيح وجئكم الحسن ، وتقاتلون حتى لا تكون فتنة ، وتقاتلون حتى تكون الفتن . فإن لم ترجع إلى جدك وإلا أعمدنا فيك غرار^(٢) جدك . هذا وأنت من أهل الكرم ، وسكان الحرم ، فكيف آويت المجرم ، واستبحت مال المحرم ؟! ﴿ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ ﴾^(٣) . والسلام .

(١) أي في بغية المرام بأخبار ولاية البلد الحرام ، لوحة ٨٣ وهامشها .

(٢) الغرار : حد السيف ونحوه (المعجم الوسيط) .

(٣) سورة الحج : آية ١٨ .

ويقال : إن الكتاب الذى كتبه — صاحب مصر لم يكن
من الملك الظاهر بيبرس إلى الشريف أبى نُمَيْ ، وإنما هو من الملك
الناصر محمد بن قلاوون^(١) إلى السيد رُمَيْثَة بن أبى نُمَيْ ؛ بسبب
عدة كتب وردت من مكة المشرفة ، من التجار يشكون من
الشريف رُمَيْثَة ، ومن جَوْرِهِ للتجار والمجاورين ، ومن ظلمه فى
ولايته .

فلما أن وصلت الكتب إلى الملك الناصر أمر بعض كتاب
الإنشاء — وهو أحمد بن نصير — أن يكتب الكتاب بما يقتضى
الترهيب مع تعظيم منزلة الشريف . وكان الكاتب أصغر الكتاب
والموقعين ؛ فاعتذر عن الكتابة ، فطُلبَ فى الوقت كاتبُ السرِّ ،
فتعذر حضوره ؛ فأمر السلطان الموقع المذكور أن يكتب الجواب ،
وأجبره . فكتب الكتاب المذكور ، فلما رآه السلطان ولَّاه كتابة
السرِّ لأجل هذه الكتابة . ولعمرى إنه لحقيق بها ﴿ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا

(١) هو السلطان الملك الناصر محمد بن المنصور قلاوون ، ولد بالقاهرة سنة أربع
وثمانين وستائة ، وتولى السلطنة ثلاث مرات : الأولى فى المحرم سنة ٦٩٣ هـ ، بعد قتل
أخيه الأشرف خليل ، ثم خلع فى المحرم سنة ٦٩٤ هـ ، وعمره نحو العشر سنين . والثانية
فى جمادى الأولى سنة ٦٩٨ هـ ، ثم عزل نفسه ، واستقر بقلعة الكرك فى شوال سنة
٧٠٨ هـ ، وهزم إبان توليته هذه جحافل التتار هزيمة منكرة على تل شقحب بالشام .
والثالثة فى رمضان سنة ٧٠٩ هـ حين خلع المظفر بيبرس الجاشنكير نفسه من الملك ،
فقدم الناصر محمد بن قلاوون من دمشق إلى مصر فى شوال سنة ٧٠٩ هـ ، واسترد
ملكه . وظل ملكاً حتى ذى الحجة سنة ٧٤١ هـ حيث توفى بعد أن أوصى بالملك
لولده المنصور أبى بكر . (النجوم الزاهرة ٤١/٨ حتى نهاية الجزء ، ثم الجزء التاسع
كله) .

وَأَهْلَهَا ﴿١﴾ لأنها تدل على فصاحته وغلزارة فهمه وبراعته لهذه الوظيفة . انتهى كلام الوالد .

وقال الفاسي (٢) : وقع في زمن أبي نُمَيٍّ فِتْنٌ ، بعضها بينه وبين أمير الحاج ، وبعضها بين الحجاج وأهل مكة ، ذكرناها في تأليفنا « شفاء الغرام — ومختصراته » ونشير هنا لشيء منها باختصار .

فمنها : أن أبا نُمَيٍّ صَدَّ الحاج عند دخول مكة لوحشة بينه وبين أمير الحاج ، فنقب الحجاج السورَ ، وأحرقوا باب المعلاة ، ودخلوا مكة هَجْماً بعد فرار أبي نُمَيٍّ منها ، وذلك في موسم سنة ثلاث وثمانين وستمئة (٣) .

ومنها : أن في سنة تسع وثمانين حصل بين أهل مكة والحجاج فِتْنَةٌ في المسجد الحرام ، قتل فيها من الفريقين فوق أربعين نفراً — فيما قيل — ونهبت الأموال ، ولو أراد أبو نُمَيٍّ نهب الجميع لفعل . إلا أنه تثبت (٤) .

وقد أثنى على أبي نُمَيٍّ غير واحد من العلماء ، مع ذكركم ١٥ شيء من أخباره ، منهم : الحافظ الذهبي ، لأنه قال في « ذيل سير النبلاء » في ترجمة أبي نُمَيٍّ : شيخ ضخم ، أسمر عاقل سايس ،

(١) سورة الفتح : آية ٢٦ .

(٢) العقد الثمين ٤٦٦/١ .

(٣) شفاء الغرام ٢/٢٤٠ ، ٢٤١ .

(٤) شفاء الغرام ٢/٢٤١ .

فارس شجاع محتشم ، تَمَلَّكَ مدة طويلة ، وله عدة أولاد ، وفيه ١ مكارم وسؤدد .

وذكره لى أبو عبد الله الدبالي فأتنى عليه وقال : لولا المذهب لصَلَحَ للخلافة ؛ كان زَيْدِيًّا كأهل بيته . انتهى .

وقال القاضى تاج الدين عبد الباقي اليماني^(١) فى تاريخه « بهجة الزمن فى تاريخ اليمن » بعد أن ذكر وفاة أبى نُمَيٍّ : وكان أميراً كبيراً زعيماً ، ذا بخت وحظ فى الإمرة ، يرغب إلى الأدب وسماعه ، وله الإجازات الثنية للشعراء الوافدين عليه ؛ بإطلاق الخيل الأصائل ، فى مقابلة القصائد / . انتهى .

١٠٣و

وللأديب موفق الدين على بن محمد الحندودى^(٢) فى أبى نُمَيٍّ ١٠ هذا . من قصيدة يمدحه بها أولها :

أَقَاتِلْتِى بغيرِ دمِ ظلامه أما قَوْدٌ لَدَيْكَ وَلَا غَرَامَه
بَخَلْتِ عَلَى مَنْكِ بَدْرٌ تَغْرِى تُقْبِلُهُ الْأَرَاكَةُ وَالْبِشَامَه^(٣)

(١) هو عبد الباقي بن عبد المجيد بن عبد الله بن أبى المعالى متى بن أحمد المخزومى ، تاج الدين أبو المحاسن اليماني ، أديب مؤرخ ، توفى سنة ٧٤٣ هـ ، وكتابه « بهجة الزمن فى تاريخ اليمن » . (للعقد الثمين ٣٢١/٥ برقم ١٦٩٥) . وانظر العقود اللؤلؤية ٣٣٥/١ .

(٢) هو على بن محمد الحنديدي ، ويقال : الحندودى شاعر مشهور ، يمني سكن مكة ، وتوفى بها سنة ٧٠٧ هـ . (العقد الثمين ٢٦١/٦ برقم ٣٠٢٣) .

(٣) البشامة : شجرة طيبة الريح والطعم ، يستاك بها . (المعجم الوسيط) .

ومنها :

ولو أنّ الفَرِيقَ أطاعَ أمرِي لما اختارَ الرّحيلَ على الإقامة
وكم بالظُّغنِ يومَ مضاحكات عَدَمْنَا مِنْ قُلُوبِ مُسْتَهَامَةٍ
وبين أَكَلَةِ الحَادِثِينَ شَمْسٌ قَرَعَتْ لِبَيْنِهَا سِنِّي نَدَامَةٍ

ومنها :

لقد جَرَبْتُ هذا الدهرَ حتّى عرفت به السَّمَّاحَ مِنَ المَلَامَةِ
يريدُ إقامَتِي فيهم قَويَمٌ وما لي بين أظهرهم إقامَةٌ
خداعُ ثُمَامَةِ بنِ أَثَالٍ (١) فيهم معاينةً وكِذْبُ أَبِي ثُمَامَةِ (٢)

ومنها في المدح :

وفي الحرم الشريف خَضَمٌ جَوِدٌ كأنّ البحرَ أَنَحَلَه التِّطَامَةُ ١٠
أما والحِجْرُ والحُجُرَاتُ مِنِّي وبِيتَ اللهِ ثَالِثَةُ قَسَامَةٍ
لئن أَنزِلَ بسُوحِ (٣) أَبِي نُعْمِي لقد أَنزِلَ عَلَيَّ كَعْبُ بنِ مَامَةٍ (٤)
بأبلجَ أينَ منه البدرُ نُوراً وَحُسْنًا فِي الجَمَالِ وَفِي الوَسَامَةِ

(١) هو ثُمَامَةُ بنِ أَثَالِ الحَنْفِي ، سيد أهل البِجَامَةِ ، أسلم ، وله صحبة ، وله ترجمة في الاستيعاب ٢١٣/١ برقم ٢٧٨ ولعل خداعة كان قبل إسلامه .

(٢) أبو ثُمَامَةِ : هو مسيلمة بن حبيب الكذاب الذي ادّعى النبوة . (الاشتقاق) .

(٣) السُّوح : جمع ساحة للمكان الواسع ، والفضاء يكون بين الدور . (المعجم الوسيط) .

(٤) هو كعب بن مامة بن عمرو بن ثعلبة بن سلول بن كنانة بن شيبانة بن سعد ابن الدليل ، من أجود العرب في الجاهلية ، وهو من إِيَاد . (الخبر لابن حبيب ١٤٤ ،

وذو كرم وزنتُ الناس طُراً بخنصره فما وزنوا قلامه ١
ومنها :

أبا المهدي كم لك من أيادٍ كشفت بها عن الصادي أمانة
وكم لك من وقائع ذكرتنا بوقعة خالد يوم اليمامة
عمرت تهامة بالعدل حتى تمت نجد لو كانت تهامة
حقيق أن يسأل بك المصلي ويدعو في الأذان وفي الإقامة ٥
وأن تُعطى القضيب وأي حق لغريك في القضيب وفي الإمامة

وقد مدحه الأديب (١) عبد الواحد القيرواني بأشعار حسنة
أجاد فيها غاية (٢) ، ونظم فيه كثيراً ، على ما نقله الصلاح
الصفدي ، عن أبي حيان . ووقفت له في بعض المجاميع على قصيدة ١٠
جيدة يمدحه بها ، أولها :

خليلي هيا فانظرا ذلك البرقا
تبدى لنا يهفو على طرف البرقا

قلت (٣) : وترك الفاسي الغزل ، وهو تلو الأول في ترجمة
عبد الواحد من كتاب العقد الثمين للمصنف ، وهو : ١٥

(١) في الأصل « الأمير » ، والمثبت عن العقد الثمين ٤٦٨/١ . وانظر ترجمته في
العقد الثمين ٥٢٨/٥ برقم ١٩٠٦ .

(٢) في الأصل ، والعقد الثمين ٤٦٨/١ « عنه » ، والمثبت عن العقد الثمين
٥٢٨/٥ .

(٣) أي مؤلفنا عز الدين بن فهد .

- ١ تعرض في الظلماء مثل سلاسل
 مِنْ التَّبَرِّ فِي رَاحَاتِ مُرْتَعَشٍ تُلْقَى
 وَلَمْ أَدْرِ وَالْأَشْيَاءُ فِيهَا تَشَابُهُ
 فُؤَادِي وَالْإِقْرُطُ سَعْدِي حَكَى خَفَقًا /
- ١٠٣ ظ أرى سين سعدى زایلتها وعینها
 وَأَضْحَى يُنَادِي الْحَبَّ مِنْهَا الَّذِي يُبْقَى
 عَدَّتْنِي النَّوَى عَنْهَا فَدُقْتُ فِرَاقَهَا
 فَلَمْ أَرْ فِيمَا بَيْنَنَا وَالرَّدَى فَرَقًا
 وَفِي مُنْحَنِ الْوَادِي التَّهَامِيَّ حَيْرًا
- ١٠ أضعاعوا وما ضيَّعتُ يوماً لهم حقًا
 وَلَمَّا أَلْتَفَيْنَا لِلْعَتَابِ وَلِيلُنَا
 عَلَى سَفَرٍ لِلْغَرْبِ قَدْ وَدَّعَ الشَّرْقَا
 حَرَسْتُ كَأَنِّي قَلْتَهَا وَهِيَ أَفْصَحَتْ
 كَأَنَّ وَشَاحِيهَا لَهَا عَلَّمَ النُّطْقَا
 وَمَا تَوَلَّتْ عُرْفًا سِوَى أَنْ مِرْطَهَا
- ١٥ تَضَوَّعَ عُرْفٌ مِنْهُ أَفْنَيْتُهُ نَشَقَا
- انتهى .

وقال المصنف (١) : منها :

فَمَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي بِلَادِي وَأَهْلَهَا
 وَلَمْ تَأَلْ لِي عَنْهُمْ غَوَادِي النَّوَى سَحَقَا

(١) يعنى التقى الفاسي في العقد الثمين ١/ ٤٦٨ .

- ١ بَأْنِي لَمْ أَفْكَ لِلْخُرْقِ قَاطِعاً
إِلَى أَنْ وَصَلْتُ السَّيِّدَ الْمَلِكَ الْخُرْقَا
وَأَنَّ صُرُوفَ الدَّهْرِ عَنِّي تَمَاسَكَتْ
لَأَنِّي قَدْ اسْتَمْسَكَتُ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَا
نَدَى لَأَبْنَى الْمَهْدَى هُدَيْتُ لِنَيْلِهِ
وَأَحْرَزْتُ مَا قَدْ جَلَّ مِنْهُ وَمَا دَقَّا
وَطَلَّقْتُ أَمْرَ أَلْهَمَّ حِينَ لَقِيْتُهُ
وَقَابَلْتُ فِي سَاحَاتِهِ وَجْهَهُ الطَّلَقَا
هُوَ ابْنُ أَبِي سَعْدِ الزَّكِيِّ وَلَادُهُ
وَلَمْ يَزْكُ فَرَعاً غَيْرَ مَنْ قَدْ زَكَ عِرْقَا
مَنْ الْقَوْمِ يُسْتَشْفَى بِمَسْجِدِهِمْ
لِدَاءٍ وَمِنْهَا أَوْبَهَا أَلْعَيْتُ يُسْتَشْفَى
لَهُمْ كَرَمٌ سَهْلُ الْمَنَالِ وَإِنَّمَا
لَهُمْ شَرَفٌ وَعُرُ الْمَسَالِكِ وَالْمَرْقَا
ومدحه قاضي مكة نجم الدين الطبري^(١) بقصيدتين . ١٥
إحداهما نونية بليغة — على ما بلغني — ولم أقف عليها . والأخرى
عينية سيأتى ذكرها في ترجمة القاضي نجم الدين الطبري ، وأولها :

(١) هو محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن إبراهيم ، نجم الدين أبو حامد بن القاضي جمال الدين بن الشيخ محب الدين الطبري ، المتوفى سنة ٧٣٠ هـ . (العقد الثمين ٢/٢٧١ برقم ٣٨٥) .

١ أمفرقا جمع الخزائن إذ عَدَا
كَرَمًا لِمُفْتَرَقِ الْمَحَامِدِ يَجْمَعُ

قال الوالد^(١) : وبقاياها :

أنا من ولأه لِيَتَيْتَكُمْ طَبْعُ وَمَا
ذو الطبع في حالٍ كَمَنْ يَتَطَبَّعُ .

أعددت حُبُّكُمْ وَسِيلَتِي الَّتِي
مَا رَاحَ يَفْزَعُ مَنْ إِلَيْهَا يَفْزَعُ
وَحَلَّتْ حُلَاكَ لِمَنْطِقِي فَتَنَظَّمْتُهَا

دُرَّارًا بِهَا تَاجُ الْفَخَّارِ مُرْصَعُ
١٠ فَإِذَا دُفِعْتُ إِلَى الْخُطُوبِ رَجَوْتُهَا

بِاللَّهِ ثُمَّ بَحَدَّ عَزَمِكَ تُدْفَعُ
وَإِذَا رَأَيْتُ غَمَامَ خَطْبٍ مُطْبِقًا
يَبِي مِنْ سِوَاكَ رَجَوْتُهُ بِكَ يُقْشَعُ
فَإِذَا أَتَانِي الضَّيْمُ مِنْكَ وَأَصْبَحْتُ

١٥ مِنْ فَيْضِ جُودِكَ غُلَّتِي لَا تَنْقَعُ
فَبِمَنْ أَلُوذُ وَأَيْنَ مِثْلُكَ آخِرُ

فِي الْقَوْمِ يُسْتَسْقَى حَيَاهُ فَيَهْمَعُ /
١٠٤ أَنَا مَنْ أَطَالَ لَكَ الْمَدِيحَ وَمَالَهُ

فِي كَسْبِ شَيْءٍ غَيْرِ وَدَّكَ مَطْمَعُ

(١) أى في بغية المرام لوحة ٨٥ و .

- ١
وَفَرْتُ مَالَكَ وَهُوَ غَيْرُ مُوَفِّرٍ
وَوَقَفْتُ عَنْهُ وَفِيهِ كُلُّ يَكْرَعٍ
وَحَمَيْتُ نَفْسِي وَرَدَّهُ مَعَ أَنَّنِي
ظَامٍ إِلَيْهِ وَهُوَ طَامٍ مُتْرَعٍ
٥
كَيْلَا يُقَالَ مَوَدَّةٌ مَوْصُولَةٌ
بِحَقِيرِ دُنْيَا حَيْثُ يُقَطَّعُ تُقَطَّعُ
فَأَقْلُ مَالِي لَا عِدْمَتُكَ أَنَّنِي
أَحْمِي الْمَضْرَّةَ حَيْثُ لَا أَنَا أَنْفَعُ
أَكُونُ مِمَّنْ لَا يَزَالُ بِجُهِدِهِ
١٠
يَرْعَاكَ وَهُوَ بِمَا تَشَاءُ يُرَوِّعُ
حَاشَا لِمِثْلِكَ أَنْ يُضَيِّعَ حَافِظًا
مَا زَالَ «فِيهِ تَنَاوُكُكُمْ»^(١) يَتَضَوَّعُ
وَلَيْنَ فَعَلْتُ وَلَا أَرَاكَ وَحُقَّ مَا
لَا كَانَ مِنْكَ بِحَالَةٍ يُتَوَقَّعُ
١٥
فَلَتُخْبِرَنَّ بِمَا يُقَالُ إِذَا غَدَتْ
مَدْحِي تُشْنَفُ مَنْ حَوَاهُ الْمَجْمَعُ
وَلَتَسْمَعَنَّ وَقِيَّتَ كُلِّ رَذِيلَةٍ
مَا قَدْ يَسُرُّكَ أَنَّهُ لَا يُسْمَعُ

(١) كذا في الأصل ، والمرجع السابق . وفي العقد الثمين ٢٧٦/٢ « فيك تناوؤه

يتضوع » .

- ١ من إِذَا أَنشَدْتُ مَذْحَكَ قَالَ لِي
 أَيْنَ الصَّنِيعُ وَمِثْلُ ذَا بِكَ يُصْنَعُ
 مَا بَعْدَ مَذْحِكَ وَاعْتِقَادِكَ فِيهِمْ
 فَإِذَا خُفِضَتْ فَمَنْ لَدَيْهِمْ يُرْفَعُ
 ٥ أَمَّا فَمِي فَوَحَقُّ جَدُّكَ لَا يُرَى
 أَبَدًا لِعَيْرِ مَدِيحِكُمْ يَتَطَّلَعُ
 يَا مَا جِدًّا لَا مَنَعَ يَوْجَدُ عِنْدَهُ
 أَبَدًا وَلَيْسَ لَدَيْهِ جُودٌ يُمْنَعُ
 أَيْلِيقُ أَنْ تَنْتَنِي الْعِنَانُ مُحَيَّيًّا
 ١٠ فِي الْقَصْدِ مَنْ قَدْ أَمَّ بِأَبِكَ يَقْرَعُ

انتهى كلام الوالد (١) .

- قال الفاسي : وبلغنى أنه لما مات أبو نُمَيٍّ امتنع الشيخُ
 عفيفُ الدين الدَّلَاصِي (٢) مِنَ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ ، فرأى فى المنام السيدة
 فاطمة بنت النبي ﷺ [رضى الله عنها] (٣) وهى بالمسجد الحرام
 والناس يسلمون عليها ، فجاء ليسلم عليها ؛ فأعرضت عنه ثلاث
 ١٥ مرات . ثم إنه تحامل عليها وسألها عن سبب إعراضها عنه . فقالت

(١) وقد وردت هذه القصيدة بتمامها فى المرجع السابق .

(٢) هو عبد الله بن عبد الحق بن عبد الله بن عبد الأحد بن على الخزومى

المصرى ، أبو محمد عفيف الدين الدلاصى ، مقرأ مكة . توفى سنة ٧٢١ هـ بها .

(العقد الثمين ١٩١/٥ برقم ١٥٦٢) .

(١) إضافة عن العقد الثمين ٤٦٩/١ .

له : يموت ولدى ولا تصلى عليه !! فقال لها ما معناه : إنه ظالم . ١
انتهى بالمعنى .

وذكر اليافعي في تاريخه^(١) نقلاً عن حميضة بن أبي نُمَيٍّ أنه
قال : إن لأبيه خمس خصال : العز^(٢) والحلم والكرم والشجاعة
والشعر . انتهى .

ومن شعر أبي نُمَيٍّ ، على ما ذكر يبيّر الدوادار في تاريخه ،
وذكر أنه كتب به إلى الملك المنصور لأجين المنصوري^(٣) لما تسلطن
بعد الملك العادل كَتَبًا المنصوري في سنة ست وتسعين وستائة :
أما وَتَعَادِي الْمُقَرَّبَاتِ^(٤) الشَّوَّازِ^(٥)

١٠ بفرسانها في ضيقِ ضَنْكِ الْمَقَانِبِ^(٦)
وبالجحفل الجَرَّارَ أَفْرَطَ جَمْعُهُ
كأسراب كُذْرِي^(٧) في سِوَارِ قَوَارِبِ /

(١) مرآة الجنان ٢٦٠/٤ .

(٢) كذا في الأصل . وفي المرجع السابق « السعادة » .

(٣) هو الملك المنصور حسام الدين لاجين بن عبد الله المنصوري ، تسلطن بعد
خلع الملك العادل كتبها المنصوري سنة ٦٩٦ هـ ، وقتل في ربيع الآخر سنة ٦٩٨ هـ .
(النجوم الزاهرة ٨/٨٥ — ١٠٩) .

(٤) المقربات : جمع مقربة ، وهي الفرس المعدة للركوب ، والفرس تكرم فيقرب
مربطها ومعلقها . (المعجم الوسيط) .

(٥) الشوازي : جمع شازية ، وهي الفرس المضمرة . (المعجم الوسيط) .

(٦) المقانب : جمع مقنب ، وهو جماعة الفرسان والخيال دون المائة ، تجتمع

للغارة . (المعجم الوسيط) .

(٧) الكذري : ضرب من القطا ، غير الألوان ، ريش الظهور ، صفر الحلق .

(المعجم الوسيط) .

- ١٠٤ ظ وبالزَّردِ الموصوفِ ضُمَّتْ عُصْبُوهُ
 على كُلِّ ماضِي العِزِّمِ خيفَ المُحَارِبِ
 وبالبَيْضِ والبَيْضِ الرِّقَاقِ أَلْيَّةُ
 لِبترِ عِدَاتِي حِلْفَةٌ غيرَ كاذِبِ
 لقد نُصِرَ الإسلامُ بالملكِ الَّذِي
 رَقَا في سماءِ المجدِ أعلى المراتبِ
 مَلِيكُ جِهاثِ الأرضِ تعنو لِعِزِّهِ
 فمرهُوبُها من سيفِهِ أَى رَاهِبِ
 تفرَّدَ بالملكِ العَظِيمِ فلم يزل
 لَهُ تُخَضُّعاً صِيدُ المُلُوكِ الأَغَالِبِ
 مَضَى كَتَبُهَا خَوْفِ الحِمَامِ وَقَدْ أَتَتْ
 إِلَيْهِ أَسُودُ الخَيْلِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
 وَأَحْيَيْتَهُ بِالْعَفْوِ مِنْكَ وَزِدْتَهُ
 لِبَاسَ أَمَانٍ مِنْ عِقَابِ العَوَاقِبِ
 وَأَحْرَزْتَ مَلِكِ الأَرْضِ بالسيفِ عُنُودَ
 وَعَبَّدْتَ مَنْ فِي شَرْقِهَا وَالْمَغَارِبِ
 تَوَلَّيْتَ هَذَا الأَمْرَ فِي خَيْرِ طَالِعِ
 لِأَسْعِدَ نَجْمٍ لِلسَّعَادَةِ^(١) ثاقِبِ

(١) كذا في الأصل ، وسمط النجوم العوالى ٢٢٦/٤ . وفي العقد الثمين ٤٧٠/١

« في السعادة » .

وكان لأبى نُمَيٍّ هذا من الأولاد الذكور أحد وعشرون ذكراً ،^١
 واثنتا عشرة أنثى — على ما ذكر أحمد بن عبد الوهاب النويرى فى
 تاريخه — وذكر أنه مات عن هذا العدد ، وعن أربع زوجات . لم
 يسم أحداً من الأولاد .

والذى عرفت اسمه من أولاد أبى نُمَيٍّ : حسان ، وحمزة ،
 وحميضة ، وراجح ، ورُمَيْثَة ، وزَيْد ، وزَيْد آخر ، وسيِّف ،
 وشُمَيْلَة الشاعر ، وعبد الله — له ذرية بالعراق — وعبد الكريم ،
 وعاطف ، وعطّاف ، وعُطَيْفَة ، ومُقْبِل ، ولَيْبَة ، ومنصور ،
 ومَهْدَى ، ونُمَيٍّ ، وأبو دعيح ، وأبو سعد ، وأبو سُويد ،
 وأبو العَيْث . وآخرهم وفاة سيِّف ؛ وهى تدل على أنهم ثلاثة
 وعشرون ذكراً . وأظن أن نُمَيٍّ ليس ولداً لأبى نُمَيٍّ ، وإنما كنى به
 لمعنى آخر ؛ فظنّ ظان أنه كُنِيَ بذلك لأن له ولداً يسمى نُمَيّا .
 والله أعلم .

وما ذكرنا فى عددهم يوهم خلاف ما ذكره النويرى فى
 عددهم ، ويمكن التوفيق [بأن يكون]^(١) الزائد على ما ذكره
 النويرى مات قبل أبى نُمَيٍّ . والله أعلم .

أخبرنى بمجموع ما ذكرته من أسماء أولاد أبى نُمَيٍّ غير واحد
 من أشياخنا وغيرهم ، وليس كل منهم أخبرنى بهذه الأسماء ، وإنما
 كل منهم ذكر لى بعضها ، فتحصل لى [من]^(١) مجموع ما قالوه

(١) سقط فى الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ٤٧٠/١ .

هذه الأسماء .

وذكر النويري : أنه توفي في رابع صفر سنة إحدى وسبعمائة^(١) . وذكر وفاته في هذا التاريخ نجم الدين الطبري ، بزيادة فوائد تتعلق بأبي نُمَيّ هذا ، ولنذكر كلامه بنصّه لذلك .

- قال في كتاب كتبه إلى بعض أهل اليمن بخطّه ، يخبر فيه بوفاته
أبي نُمَيّ وغير ذلك : إن أبا نُمَيّ حُمّ في ليلة الأحد العشرين من
الحرم ، وكان معه خُراج في مقاعده ، وفي مواضع من بدنه ، فلم
يزل مريضاً حتى مات في يوم الأحد رابع صفر ، وغُسِّلَ بالجديد ،
وحُمِلَ في محمل ، ودخل به إلى مكة من درب الثنيّة ، وطيف به
حول البيت ، وخرج به من درب المعلاة ، ودفن خارجاً عن قُبّة أبيه
وَجَدّه / الأعلى ، وهو قتادة . انتهى . ١٠٥

قلت^(٢) : وُئِنْتُ عليه هو أيضاً قبة لطيفة ، وهي قرية من
الشارع . ثم تَحَرَّبتْ وَهْدِمَتْ في سنة ست وتسعين وثمانمائة ، وبنى
على أصولها حوش . انتهى .

- وقال الفاسي : وكان أميراً عظيماً ، وحصل بالوادي وبمكة من
الحُزْن والبكاء والضجيج ما لم ير مثله . فسيحان العلّي الذي لا

(١) وكذا في السلوك للمقريزي ٣/١ : ٩٢٧ ، والنجوم الزاهرة ٨/٢٠٠ ،
وإتحاف الوري ٣/١٣٠ ، وسمط النجوم العوالي ٤/٢٢٦ . وفي الدرر الكامنة ٤/٤٣
« مات بمكة في ١٤ ربيع الأول سنة ٧٠١ هـ » .
(٢) أي المؤلف عز الدين بن فهد .

١ يموت . لا إله إلا الله الحي القيوم . انتهى .

ورأيت^(١) في ذيل سير النبلاء للذهبي . في ترجمة أبي نُمَيٍّ :
أنه توفي في ذى الحجة سنة إحدى وسبعمائة . انتهى .

وهذا وهم من الذهبي إن لم يكن من الناسخ ؛ لأن القاضي
نجم الدين قاضي مكة ، قال : إنه توفي في يوم الأحد رابع صفر سنة
إحدى وسبعمائة ، وهو أقعد الناس بمعرفة ذلك فيعتمد قوله فيه .
كيف وما ذكره النويري في تاريخ وفاة أبي نُمَيٍّ يعضد قول نجم الدين
الطبري !!

وذكر الذهبي : أنه كان من أبناء السبعين انتهى . انتهى

١٠ كلام الفاسي .

قال الوالد^(٢) : وقال الشريف أحمد بن علي بن الحسين بن
علي بن مُهَنَّأ بن عُقْبَةَ الحسني في كتابه « عمدة الطالب في نسب
آل أبي طالب » : ووَلَدَ أَبُو سَعْدِ الْحَسَنِ بن علي بن قتادة بن
إدريس أبا نُمَيٍّ محمداً — يلقب بنجم الدين — [وكان ^(٣) شجاعاً
مشهوراً ، شارك أباه في إمارة مكة صبيّاً ، وذلك أن راجع بن قتادة
استنجد أخواله بني حُسَيْن — وكانت أمه منهم — يريد أن يُخْرِجَ

(١) أي الفاسي في العقد الثمين ٤٧١/١ .

(٢) مقالة النجم عمر بن فهد المنسوبة للشريف أحمد بن علي بن الحسين في
مؤلفه « عمدة الطالب في نسب آل أبي طالب » لم ترد في بغية المرام ، ولا في إتحاف
الوري .

(٣) إضافة على الأصل .

- ابن أخيه أبا سعد من مكة ، ويملكها عليه ؛ فسار معه من المدينة ١
 سبعمائة فارس من بنى الحسين ، وعليهم الأمير عيسى الملقب
 بالحرور ، فارس بنى حُسين في زمانه . وكان أبو نُمَيٍّ حينئذ يبيع ؛
 فخرج من يبيع قاصداً إلى مكة في أربعين فارساً ، فصادف القوم
 سائرين إلى مكة ، ليس لهم منه خبر . وكان قد بلغه خبرهم ، وإنما
 جاء لمدد أبيه أبا سعد ، فلما صادفهم حمل عليهم فهزمهم ؛
 ورجعوا إلى المدينة مفلولين . ولما هرب عيسى انتشرت عمامته وذهب
 يجرها على الأرض خلفه ، وقال السيد تاج الدين جعفر بن معبد
 الحسيني — رحمه الله ، وهو إذ ذاك لسان بنى حسن في العراق —
 قصيدة يذكر فيها الواقعة ويمدح أبا نُمَيٍّ . منها : ١٠

أَلَمْ يَلُغْكَ شَأْنُ بَنِي حُسَيْنٍ وردهم ^(١) وما فعل الحرور
 فَيَا لَلَّهْ بِأَسِّ ^(٢) أَيْ نُمَيٍّ وبعضُ البأس يشبههُ الجنون
 يَصُولُ بِأَرْبَعِينَ عَلَى مِائَاتٍ وكم من كثرة ظَلَّتْ تَهُونَ

- وكان أبو نُمَيٍّ حينئذ لم يبلغ العشرين ^(٣) . فلما هَزَمَ عَمَّ أبيه
 راجحاً وبنى حسين معه ، وقدم على أبيه ؛ أشركه في الإمرة ، فلم يزل ١٥
 حاكماً بمكة مع أبيه وبعده إلى أن مات ، وقد أناف على السبعين .
 وقد كان أُخْرِجَ من مكة مراراً ، ثم عاد إليها .

منها : مرة قدم ملكٌ مصر بنفسه مع جيش كثيف ؛ فهرب

(١) كذا في الأصل . وفي سبط النجوم العوالي ٢٢٥/٤ « وفرهم » .

(٢) وفي المرجع السابق « فعل » .

(٣) وفي سبط النجوم العوالي ٢٢٦/٤ « وكان إذ ذاك عمره سبع عشرة سنة » .

- الشريف من بين يديه ، ولما انقضى الحج ورجع الملك ترك بمكة ١
ثلاثة آلاف فارس من الترك مع ثلاثة أمراء ؛ كل ألف عليها أمير ،
وأحد الأمراء أُمرَ على الجميع . وكانوا في صباح كل يوم يخرجون
للتنزه ، كل ألف من طرف ، وكان الأمير الأكبر يخرج / إلى منى ، ١٠٥
ثم يرجعون ؛ فكمن لهم ذات يوم السيد أبو نُمَيٍّ في مسجد
الحيف ، وهو في ثلاثين فارساً وسبعين راجلاً . فلما وصل الألف
إلى منى مع أميرهم ، وانحدروا عن العقبة ؛ خرج عليهم ، ولم يكن
له هِمة إلا أميرهم فطعنه فقتله ، وقتل كُلَّ فارس من أصحابه
فارساً مذكوراً من الألف ، وركب الرجالة خيولَ القَتْلَى ؛ فصاروا
فرساناً . وهربَ القومُ على وجوههم ؛ فلما عرف الأميران الآخران ١٠
بذلك لم يرجعا إلى مكة ، وذهبوا إلى مصر .

- ودخل أبو نُمَيٍّ مكة . فلما وصل الخبرُ إلى ملك مصر
اشتد عليه ذلك ، وجهاز جيشاً كثيفاً ، وعزم على السير بنفسه إلى
مكة ؛ فأتاه بعض المشايخ الأجلاء بمصر فقال له : إلى أين يَتَوَجَّه
السلطان ؟ فقال : إلى مكة ، لقتل أبي نُمَيٍّ وأهله . فقال : إنك ١٥
حَسَنَتَ العبارة ، ولكن الناس يقولون : إنك تذهب إلى حرم الله
لقتل أولاد رسول الله ﷺ . فوقع ذلك من الملك موقعاً ، ورجع
عن عزمه وراسل أبا نُمَيٍّ حتى زالت الوحشة من بينهما ، وأقره على
ملك الحجاز .

ثم إنه بعد ذلك استوحش من السيد أبي نُمَيٍّ فأرسل إليه
بعض أمرائه الكبار في عشرة آلاف فارس ، فلما قاربوا مكة وسمع

السيد أبو نُمَيٍّ بخبرهم خرج في أولاده وبنى عمه ، وكمن للقوم
حتى قاربهم ، ثم حمل عليهم في وجه الصباح وقت رحيلهم ؛ فقتل
منهم مقتلة عظيمة ، وهرب الباقيون .

ووقائعهم كثيرة مع أهل مصر وقبائل العرب ، وشجاعته

مشهورة .

وولد الشريف أبو نُمَيٍّ ثلاثين ذكراً ، منهم : زيد الأكبر ،
قتله بعضُ العرب — ولا أدري الآن مَنْ هم — فأوقع بهم أبو نُمَيٍّ
وقائع ، وزيد الأصغر ، وأبو الغيث ، وشُمَيْلَة ، وعُطَيْفَة ، ولُيَيْدَة ،
ومُقْبِل ، وسيِّف ، وحُمَيْضَة ، وعبد الله ، ورُمَيْثَة . انتهى كلام
ابن عقبة .

ومن شعر السيد أبي نُمَيٍّ ، على ما وجدت بخط الحافظ
أبي عبد الله الذهبي ما مثاله : أنشدنا أبو إسحاق إبراهيم بن يونس
البعلي قال : أنشدنا قاضي مكة نجم الدين محمد بن محمد الطبري
الإمام لِنَجْمِ الدين أبي نُمَيٍّ صاحب مكة يمدحه بها :

يا نجم دين الله بل بدره	ومن علّا فوق السّها قدره
من شرع الله تعالى لنا	متبعاً - بعد أمره - أمره
على الصراط المستقيم الذي	شدّ على الحق به أزره
قد أجمع الناس على أنه	أورع من قدّمه دهره
وسيد في وقته قد حوى	علماً وحلماً مُعْجِزُ حَصْره

فأجابه القاضي نجم الدين :

يا من درى الفضل و [من] ^(١) لم يزل
 ١ ميسراً بالمرتجى يسره
 ومن إذا ما ليل خطب دجى
 ١٠٦ بؤساً فمعروفهم فجره /
 ٥ عم ندى أيدىكم فاستوى
 قانع فيه ومعتره

إلى أن قال :

أنا المحب ابن المحب الذى
 إن عُدَّ فخر ، منكم فخره
 ١٠ أنلت ما لست بأهل له
 قدّرته يوماً ولا قدره
 فلست أدري والمدى قاصر
 أدّره أشكر أم دّره

قلت : ومن شعر السيد أبى نُمي ، على ما وجدت بخط
 ١٥ الوالد فى مذكرته المسماة « نزهة العيون فيما تفرق من الفنون » :

وكم كربة فرجتها وكشفتها
 وقد لم يكن منها سواك مفرج
 ومن منشئ أفلتني منه رحمة
 وقد لم يكن لولاك لى منه مخرج

(١) إضافة يستقيم بها الوزن .

- وَمِنْ ظُلْمَةٍ فِي الصَّدْرِ مِمَّا يُجِنُّهُ
 أُتِيحَ لَهَا نُورٌ بِفَضْلِكَ أَبْلَجُ
 فَعُدَّ لِي بِعَادَاتِ الْجَمِيلِ فَإِنِّي
 ضَعِيفٌ وَمَا لِي غَيْرَ بِأَبِكَ مَوْلَجُ
 وَلَا تَأْخُذْ الْعَبْدَ الضَّعِيفَ بِذَنْبِهِ
 فَلَيْسَ لَهُ إِلَّا عَلَيْكَ مُعَرَّجُ
 فَإِنِّي بِهِمْ مَا عَشْتُ — وَاللَّهِ — وَاثِقُ
 بِكَ اللَّهُ إِلَّا مَنْ هَمَّتْهُ أَرْاعَجُ^(١)
 عَلَيْكَ اتِّكَالِي فِي الْحَيَاةِ وَبَعْدَهَا
 عَلَيْكَ رَجَائِي حِينَ لِلْقَبْرِ أُدْرَجُ ١٠

* * *

١٧٥ — علي بن الحسين بن برطاس .

قال الفاسي^(٢) : الأمير مُبَارِزُ الدين ، أمير مكة .

وليها للملك المظفر صاحب اليمن^(٣) ، وقد ذكر خبر ولايته لها

(١) في الأصل «أز عج» مع وجود بياض بين الزاي والعين بمقدار حرف ، ولعل الصواب ما أثبتته فإنه يستقيم به الوزن ويبقى معنى البيت غير واضح .

(٢) العقد الثمين ١٥٢/٦ برقم ٢٠٥١ .

(٣) هو الملك المظفر يوسف ابن السلطان نور الدين عمر بن علي بن رسول ، تولى سلطنة اليمن بعد قتل والده في ذى القعدة سنة ٦٤٧ هـ . وتوفي في رمضان سنة ٦٩٤ هـ . (غاية الأمانى ٢٣/١ — ٤٧٥ ، والعقود اللؤلؤية ٨٨/١ — ٢٧٥ ، والعقد الثمين ٤٨٨/٧) .

وما كان من أمره بها صاحب « بهجة الزمن في تاريخ اليمن » لأنه^١ قال : إن المظفر في شوال سنة اثنتين وخمسين وستائة جهّز ابن برطاس إلى مكة ؛ فجرت الوقعة المشهورة بينه وبين الشريفين : أبى نُمَيْ ، وإدريس بن قتادة . وكان أول اليوم له ، وآخره عليه ، وكُسِرَ وقتل بعضُ عسكره ، وأُخذَ ما كان معهم . انتهى .
 ووجدت بخط بعض مؤرخي اليمن في عصرنا هذه الحادثة أبسط من هذا ، فنذكر ذلك لما فيه من الفائدة ، ونص ما ذكره في أخبار سنة اثنتين وخمسين وستائة : وفي شوال جهّز السلطان مبارز الدين علي بن الحسين بن برطاس إلى مكة المشرفة في مائتي فارس ، فلقيه الأشراف على باب مكة فكسروهم وقتل منهم جماعة ، ودخل مكة ،^{١٠} وحج بالناس^(١) .

ثم قال : وفي سنة ثلاث وخمسين جمع أشراف مكة ، جمعاً عظيماً وقصدوا الأمير مُبارز الدين علي بن الحسين بن برطاس وحاصروه في مكة حصاراً شديداً ، ودخلوا عليه مكة من رعوس الجبال ، وقتلهم في وسط مكة ؛ فكسروه وقتلوا جماعة من^{١٥} أصحابه ولزموه ، فاشترى نفسه منهم ، وعاد إلى اليمن هو والجند الذين [كانوا]^(٢) معه . انتهى .

وأفاد الشيخ أبو العباس الميورقي من خبر هذه الواقعة ما لم أره لغيره لأنه قال : ثم استحكم أبو نُمَيْ وعمّه إدريس على مكة ،

(١) العقود اللؤلؤية ١١٥/١ .

(٢) إضافة عن العقود اللؤلؤية ١٢٠/١ ، والعقد الثمين ١٥٣/٦ .

وأخرج الشرفاء الغُرَّ ، فَسُفِكَ دِمْءُ خَيْلِ ابْنِ بَرْطَاسِ الْوَالِي بِهَا مِنْ
 جَهَةِ الْيَمَنِ ، وَامْتَلَأَ النَّاسُ رُغْباً ، وَسُفِكَتِ الدِّمَاءُ [يوم
 ١٠٦ ظ السبت]^(١) / بِالْحَجَرِ لِأَرْبَعِ لَيَالٍ بَقِيْنَ مِنَ الْحَرَمِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ
 وَسِتِّائَةٍ ، وَلَمْ يُصَلَّ بِالْحَرَمِ وَالْمَقَامِ إِمَامٌ بِمَنْ حَضَرَ إِلَّا الشَّيْخُ
 أَبُو مَرْوَانَ ، مُعَلِّمُ قَرْنٍ : مِيقَاتُ نَجْدٍ . انْتَهَى .

وَالْوَقْعَةُ الْأُولَى كَانَتْ فِي يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ الرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ ذِي
 الْقَعْدَةِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ وَسِتِّائَةٍ . انْتَهَى كَلَامُ الْفَاسِيِّ .

١٧٦ — مَرْوَانَ الظَّاهِرِي .

١٠ . قَالَ الْفَاسِيُّ^(٢) : أَمِيرُ مَكَّةَ .

يُلَقَّبُ شَمْسُ الدِّينِ ، كَانَ نَائِباً لِلْأَمِيرِ عَزِ الدِّينِ أَمِيرِ
 جَنْدَارِ^(٣) الظَّاهِرِي ، وَحَجَّ مَرْوَانَ مَعَ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ
 [بَيْرُوسِ الصَّالِحِي صَاحِبِ الدِّيَارِ الْمَصْرِيَّةِ وَالشَّامِيَّةِ فِي سَنَةِ سَبْعِ
 وَسِتِينَ وَسِتِّائَةٍ ، وَلَمَّا سَأَلَ أَمِيرًا مَكَّةَ إِدْرِيسَ بْنَ قَتَادَةَ ، وَابْنَ أَخِيهِ
 أَبُو نُعْمَى السُّلْطَانَ الْمَلِكَ الظَّاهِرَ]^(٤) هَذَا أَنْ يُولَى مِنْ جِهَتِهِ نَائِباً ١٥

(١) سَقَطَ فِي الْأَصْلِ ، وَالمُتَّبِعُ عَنِ الْمَرْجِعِ السَّابِقِ .

(٢) الْعَقْدُ الثَّمِين ١٧٢/٧ بِرَقْم ٢٤٢٠ .

(٣) فِي الْأَصْلِ « خَازَنْدَار » وَالمُتَّبِعُ عَنِ الْمَرْجِعِ السَّابِقِ ، وَالسُّلُوكُ لِلْمَقْرِيزِيِّ

٢/١ : ٥٨٢ ، وَاتِّحَافُ الْوَرَى ٩٨/٣ ، وَدُرَرُ الْفَوَائِدِ ٦٧٤ .

(٤) سَقَطَ فِي الْأَصْلِ ، وَالمُتَّبِعُ عَنِ الْعَقْدِ الثَّمِين ١٧٢/٧ .

بمكة تَقْوَى به نَفْسُهُمَا رَتَّبَ السُّلْطَانُ بِيَرَسَ مَرْوَانَ هَذَا نَائِباً بِمَكَّة ١
يرجع أَمْرُ أُمِيرِهَا إِلَيْهِ ، وقد ذكرنا في المقدمة في بعض فصول الباب
الرابع والعشرين^(١) منها شيئاً من خبر حج الملك الظاهر في هذه
السنة . مما ذكره كاتبه ابنُ عبد الظاهر في السيرة التي جمعها له ،
ومنه لَخَّصْتُ ما ذكرناه هنا .

وكان من خبر مروان : أن أشرف مكة أخرجوه منها في سنة
ثمان وستين وستائة . على ما وجدت بخط أبي العباس الميوري .
انتهى كلام الفاسي^(٢) .

١٧٧ — غانم بن إدريس بن حسن بن قتادة بن إدريس بن
مُطَاعِن بن عبد الكريم الحسني .

قال الفاسي^(٣) : ذكر ابن محفوظ : أنه وَجَّمَاز بن شيحة
صاحب المدينة وصلاً في سنة سبعين وستائة وأخذاً مكة ، وبعد
أربعين يوماً أخرجهما أبو نُمَيٍّ .

ووجدت بخط المؤرخ شمس الدين محمد بن إبراهيم الجزري ١٥
الدمشقي : أن في التاسع عشر من ربيع الآخر سنة خمس وسبعين

(١) وانظر العقد الثمين ١٧٧/١ ، وشفاء الغرام ٢٠٣/٢ .

(٢) وانظر إتحاف الوري ٩٤/٣ — ٩٩ .

(٣) العقد الثمين ٣/٧ برقم ٢٢٩٧ .

- يعنى وستائة — كانت وقعة بين أبى نُمَيّْ صاحب مكة ، وبين ١
جَمَّاز بن شيحة صاحب المدينة ، وبين صاحب ينبع إدريس بن
حسن بن قتادة ، فظهر عليهما أبو نُمَيّْ ، وأسر إدريس وهرب
جَمَّاز بن شيحة . وكانت الوقعة في مَرَّ الظهران ، وكان عدة من مع
أبى نُمَيّْ مائتى فارس ، ومائة وثمانين راجلاً ، ومع إدريس وجَمَّاز ٥
مائتين وخمسة عشر فارساً وستائة راجل . انتهى .

وهذا الخبر يقتضى أن الذى حارب أبى نُمَيّْ فى هذا التاريخ
مع جمّاز إدريس بن حَسَن صاحب يَنْبُع . والظاهر أنه غانم بن
إدريس بن حسن المذكور ؛ بدليل ما سبق فى كلام ابن محفوظ ،
ولعلَّ غانماً سقط فى خط ابن الجزرى سهواً . والله أعلم . انتهى ١٠
كلام الفاسي .

* * *

- ١٧٨ — جَمَّاز بن شِيحَة بن هاشم بن قاسم بن مُهَنَّأ بن
حسين بن مُهَنَّأ بن داود بن قاسم بن عبد الله بن طاهر بن يحيى بن
الحسين بن جعفر بن الحسين الأصغر بن على بن الحسين بن على
ابن أبى طالب الحسينى ، عز الدين أبو [سند] ^(١) أمير المدينة ١٥
المنورة .

(١) بياض فى الأصل بمقدار كلمة فوقه كلمة « كذا » ، والمثبت عن التحفة
اللطيفة ٤٢٣/١ .

قال الفاسي^(١) : هكذا وجدته منسوبة في نسخة سقيمة من كتاب « نصيحة المشاور » لقاضي المدينة الشريفة بدر الدين عبد الله بن محمد بن فرحون اليغمري المدني المكي . وقال : كان [شجاعاً]^(٢) مهيباً [مايساً]^(٢) حازماً ذا رأي وهمة عالية ، رقت همته إلى أن قصد صاحب مكة ، وهو الأمير نجم الدين أبو ثُمَيَّ محمد بن صاحب مكة أبي سعد حسن بن علي بن قتادة الحسني ، وحاصره وانتزع / منه مكة ، واستولى عليها وحكم فيها ؛ ١٠٧ وأقام فيها مدة يسيرة . ثم عادت إلى أبي ثُمَيَّ ، وذلك في سنة سبع وثمانين وستائة . انتهى .

وقد ذكرنا في ترجمة أبي ثُمَيَّ شيئاً من حاله مع جمّاز بن شيحة هذا ، فأغنى عن إعادته . وقد وَلَّى الأمير جَمَّاز أمر المدينة بعد وفاة أخيه منيف بن شيحة في سنة سبع وخمسين وستائة ، وكان في حياته مؤازراً له ومساعداً ، ثم انتزعها منه ابن أخيه مالك بن منيف بن شيحة في سنة ست وستين وستائة ؛ فاستنجد عليه عمُّه بأمير مكة وغيره من العُربان ، فلم يقدرُوا على نزعها . فلما رحلوا ١٥ عنها — عَجْزاً — سلّمها له ابن أخيه مالك بن منيف .

قلت^(٣) : وأرسل إليه مالك المذكور يقول له ما معناه : أراك حريصاً على إمرة المدينة ، وأنت عمّي وصنوّ أبي . وقد كنت له

(١) العقد الثمين ٤٣٦/٣ برقم ٩٠٩ .

(٢) إضافة عن التحفة اللطيفة ٤٢٤/١ .

(٣) أي المؤلف عز الدين بن فهد .

معاضداً ومسانداً ؛ ويجب علينا أن نحترمك ونرعى لك حقوقك ، ١
وقد استخرتُ الله تعالى ، ونزلتُ لك عن الإمرة طوعاً لا كرهاً ؛
فَسَرَّ بذلك ، وحمد الله على حَقِّنِ الدماء ، وبلوغ مقصده . انتهى .

قال الفاسي : فاستقلَّ بها جَمَّاز بن شَيْخَة من غير منازع
حتى سَلَّمها هو لابنه الأمير منصور بن جَمَّاز في سنة سبعمائة ؛ ٥
لأنه أُضِرَّ وشاخ وضعف ، ثم مات سنة أربع وسبعمائة . انتهى
كلام الفاسي .

وذكر أيضاً بعد ذلك من ولى بعده إلى زمانه ، تركناه لأنه
ليس من قصدنا .

قلت : وقال ابن فرحون في كتابه « نصيحة المشاور » : ١٠
وكان ذا رأى مُصِيبٍ ، وكرم عظيم ، على إخوته وبنينهم ؛ يؤلفهم
بالعطاء الجزيل حتى استمال قلوبهم ، وقوي أمره بينهم ، وعضدته
أولاده ، وأولادُه أحد عشر ، و [كان] (١) إخوته ثمانية ، انتهى .

وذكره القاضي مجد الدين الفيروزآبادي في تاريخه للمدينة
فقال : كان بطلاً باسلاً ، وَعَمِيثاً (٢) منازلاً ، وَمَهِيئاً سَائِساً ، ١٥

(١) إضافة عن التحفة اللطيفة ٤٢٤/١ .

(٢) العميثل : الجلد النشيط ، وقيل الضخم الشديد العريض ، وهو من صفات

الأسد ، والجمل ، والفرس ، والرجل . (لسان العرب — ع م ث ل) .

وقلياً^(١) حُمَارِساً^(٢) وفتاكاً صرمرماً^(٣) ، وسفاكاً غشمشماً^(٤) ،^١
وَقَرَمًا هُمَامًا ، وعبقرياً فَهَامًا . رَقَّتْ به همته إلى أن قصد مكة في
حبكة غُمَى^(٦) . وأراد انتزاعها من يد الأمير نجم الدين أبي نُمَيٍّ ؛
فهجم على مكة هجوم الطَّيْفِ ، واقتض عذرتها بحد السيف ؛ وذلك
أنه بات على بابها مُخَيِّمًا ، وعلى إخراجها منها جَازِمًا مُصَمِّمًا ،^٥
فحاصرهم وقتلهم ، ودافعهم ونازلهم ، إلى أن دَبَّ إليها واستولى
عليها ؛ وخرج الأمير أبو نُمَيٍّ منها ، وصدق عزم جَمَاز مكة ، ولم
يُيَمِّتْهَا ، واستقر بها مدة حاكماً ، وصار الحُمُولُ متكاملين ، والسعد
متراكماً .

ثم رد الله تعالى مكة إلى أبي نُمَيٍّ ، وجمع الزمان بين غيلان^١
وَمَيٍّ . وعاد جَماز إلى محل ولايته ، باسطاً على المدينة ظِلَّ رايته ؛
وكانت ولايته وراثته عن والده ، ومنه كان تهيأ له تناول مقالده . ولكن

(١) كذا في الأصل ، والتحفة اللطيفة ٤٢٥/١ ، ولعل الكلمة تصغير « قُلب »
بضم القاف وسكون اللام . يقال عربى قلب : أي محض خالص (لسان العرب ،
 والمعجم الوسيط) .

(٢) الحمارس : الأسد ، والشديد ، والجريء المقدام . (المعجم الوسيط) .

(٣) الصرمرم : من الصرم الذي هو القطع . (لسان العرب) .

(٤) الغشمشم : الكثير الظلم ، والجريء الماضى الذى لا يثنيه شيء عما يريد .

(المعجم الوسيط — غ ش م) .

(٥) الغمى — بفتح الغين أو ضمها — : وهى شدة تغم القوم في الحرب ،
والظلمة ، والشديدة من شدائد الدهر ، والحيرة في الأمر . (المعجم الوسيط —

غ م م) .

لم تصف له إلا بعد هَزَاهِر^(١) ، ومنازعات بينه وبين مالك وعيسى ،^١
وغيرهما من ذوى قراباتهم الجمامز ، كما ذكرنا فى ترجمة شيحة
مطولاً ، وبيناه مجملاً ومفصلاً .

وكان جَمَّاز ذا رأيٍ شديد ، وقلب مجيد ، وجأش جليل ،
وسماح على ذوى قرابته عظيم ، وعطاء إلى بنى عمه عميم ، ولم يزل
١٠٧ ظ يبرهم بالإنعام / الجزيل ، ويغمرهم بالنوال الحفيل ، إلى أن استمال
قلوبهم ، وملك بجوده غالبهم ومغلوبهم .

وكان أولاده أحد عشر ولداً ، كأنهم أسود ، منهم : منصور ،
وسند ، ومقبل ، وودي ، وقاسم ، وجوشن ، وراجح ، ومبارك ،
وثابت ، ومسعود . وكان له من الإخوة ثمانية يخطمون بيأسهم^{١٠}
المخاطم^(٢) الأسود ، منهم : منيف ، وعيسى ، وأبو رُدَيْنِيَّ — جد
الردنة — ومحمد — جد الفواطم — .

ولم يزل جَمَّاز مستقلاً فى ولايته إلى رأس السبعمائة . فلما
وجد شمس الشباب قد غربت فى عين حَمِيَّة ، وترَفَّع السنُّ ، وتقعقع
الشنُّ ، وخان البصر ، ومات القُوى والقُدر ، نزل عن المنصب لأبَرَّ^{١٥}
أولاده منصور ، وفوض إليه أمر الإمارة بمحضر الجمهور ، وحالف
الناس على معاملته بالطاعة والنصرة والوفاء ، وأمر أن يخطب له

(١) الهزاهز : جمع هزهزة ، وهى الفتنة يهتز فيها الناس ويتلون . (المعجم
الوسيط) .

(٢) كذا فى الأصل ، والتحفة اللطيفة ٤٢٥/١ . والمخاطم : جمع مخطمة ، وهى
موضع الخطم ، أو مقدم الأنف . (المعجم الوسيط) .

١ بحضرته على منبر هذا النبي المصطفى (١) . انتهى .

* * *

١٧٩ — حَمِيْضَةُ بن أبي ثُمَيٍّ محمد بن أبي سعد حسن ابن علي بن قتادة بن إدريس بن مُطَاعِنِ الحسنى المكي ، الملقب عز الدين ، واسمه نجاد .

قال الفاسي (٢) : أمير مكة :

ولي إمرة مكة إحدى عشرة سنة ونصف سنة ، أو أزيد ، في أربع مرّات ، منها مرتان شريكاً لأخيه رُمَيْثَةُ ، ومرّتان مستقلاً بها . والمرتان اللتان شارك فيهما أخاه رُمَيْثَةُ نحو عشر سنين . إحداهما عشرة أشهر متوالية . بعد موت أبيه في سنة موته ، وهي سنة إحدى وسبعمائة ، والمرّة الثانية نحو تسع سنين بعد الأولى بسنتين أو ثلاث . والمرتان اللتان استقل بالإمرة فيهما إحداهما نحو سنة ونصف ، أولها بعد مُضَيِّ شهرين من سنة أربع عشرة وسبعمائة . والمرّة الأخرى التي استقل بها أياماً يسيرة في آخر سنة سبع عشرة وسبعمائة بعد الحج منها ، أو في أوائل سنة ثمانى عشرة . وسنوضح ١٥ شيئاً من خبره في ذلك وغيره .

وجدت بخط القاضي نجم الدين الطبرى قاضى مكة : أن حَمِيْضَةَ وأخاه رُمَيْثَةَ قاما بالإمرة بعد أبيهما ، وكان دُعِيَ لهما على

(١) وانظر ما قاله الفيروزأبادى فى التحفة اللطيفة للسخاوى ٤٢٤/١ — ٤٢٦ .

(٢) العقد الثمين ٢٣٢/٤ برقم ١٠٨٣ .

١ قبة زمزم قبل موته يوم الجمعة ، ومات يوم الأحد رابع صفر — يعنى من سنة إحدى وسبعمائة — واستمر الدعاء لهما ، وكان قبل ذلك قد وقعت فتنة بين أولاد أبي نُمَيٍّ ، وكان حُمَيْضَةُ الغالب . انتهى .

ولم يزل حُمَيْضَةُ ورُمَيْثَةُ في الإمرة حتى عَزَلَا في موسم هذه السنة بأخويهما أبي العَيْثِ وَعُطَيْفَةَ . وقُبِضَ عليهما وَجْهًا إِلَى مصر ، باتفاق الأمراء القادمين إلى مكة ، وكان كبيرهم بِيَرَسُ الْجَاشَنَكِيرِ الذى صار سُلْطَانًا بعد الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة ثمان وسبعمائة . وكان بِيَرَسُ إِذْ ذَاكَ أَسَازُ الْمَلِكِ النَّاصِرِ ؛ تَأْدِيًا لَهُمَا عَلَى مَا صَدَرَ مِنْهُمَا فِي حَقِّ أَخَوَيْهِمَا عُطَيْفَةَ وَأَبَى الْعَيْثِ مِنَ الْإِسَاءَةِ لَهُمَا ؛ لِأَنَّهُمَا كَانَا اعْتَقَلَا أَبَا الْعَيْثِ وَعُطَيْفَةَ ؛ فَهَرَبَا مِنْ الْإِعْتِقَالِ إِلَى يَنْبَعِ . فَلَمَّا حَضَرَ الْحَاجُّ إِلَى مَكَّةَ حَضَرَ إِلَى الْأَمْرَاءِ الْمَذْكُورِينَ .

١٠٨ هكذا ذكر ما ذكرناه من سبب القبض على رُمَيْثَةَ / وَحُمَيْضَةَ وَتَوَلِيَةِ أَبِي الْعَيْثِ وَعُطَيْفَةَ صَاحِبِ نَهَايَةِ الْأَرْبِ النُّوَيْرِ . وَإِلَّا فَالْأَمِيرُ بِيَرَسُ الدَّوَادَارِ فِي تَارِيخِهِ ، وَهُوَ الْغَالِبُ عَلَى ظَنِّي . وَذَكَرَ ١٥ ذَلِكَ صَاحِبُ « بَهْجَةِ الزَّمَنِ فِي تَارِيخِ الْيَمَنِ » ^(١) إِلَّا أَنَّهُ خَالَفَ فِي بَعْضِ ذَلِكَ ؛ لِأَنَّهُ قَالَ فِي تَرْجُمَةِ أَبِي نُمَيٍّ فِيهِ :

فاختلف الأشراف والقواد بعده على أولاده ، فطائفة مالت إلى رُمَيْثَةَ وَحُمَيْضَةَ عَلَى أَخَوَيْهِمَا فَلَزَمَاهُمَا ، وَأَقَامَا فِي حَبْسِهِمَا مَدَّةً ، ثُمَّ

(١) وكذلك ذكره الخرجي في العقود اللؤلؤية ١/ ٣٣٥ ، ٣٣٦ .

احتالا فخرجا وركبا إلى بعض الأشراف والقواد؛ فَمَنَعُوا مِنْهُمَا . ولما وصل الحاجُّ المصري تَلَقَّاهُم أَبُو الْعَيْثُ فمالوا إليه . ولما انفصل الموسمُ لَزِمَ الأمير ركن الدين بَيْرُس الجاشنكير حُمَيْضَةَ وَرُمَيْثَةَ ، وسار بهما إلى مصر مُقَيَّدَيْنِ ، وَأَمَرَ بِمَكَةِ أبا الغيث ، ومحمد بن إدريس ، وحلفهما لصاحب مصر . انتهى .

وكان من خبر حُمَيْضَةَ : أنه وأخاه رُمَيْثَةَ وَلِيَا إمْرَةَ مَكَةِ في سنة أربع وسبعمائة ، وقيل في سنة ثلاث وسبعمائة . وهذه ولايته الثانية التي شارك فيها أخاه رُمَيْثَةَ ، ودامت ولايتهما لمكة إلى زَمَنِ الْمَوْسِمِ من سنة ثلاث عشرة وسبعمائة .

وما ذكرناه من ولايته لإمْرَةَ مَكَّةَ مع أخيه رُمَيْثَةَ في هذا التاريخ ذَكَرَهُ صاحب « بهجة الزمن » وأفاد في ذلك ما لم يفده غيره ، مع شيء من خبرهما ، ولذلك رأيت أن أذكره .

قال في أخبار سنة أربع وسبعمائة : وحجَّ من مصر خَلْقٌ كثير ، في جملتهم الأمير رُكْن الدين بَيْرُس الجاشنكير في أمراء كثيرين . ووصل معهما الشريفان رُمَيْثَةُ وَحُمَيْضَةُ ، ولدا أبي نُمَيْ ، المقَدَّمَا الذَّكْرَ في القبض عليهما . فلما انقضى الحجَّ أحضر الأمير ركن الدين أبا الْعَيْثُ وَعُطَيْفَةَ ، وأعلمهما أن ملك مصر قد أعاد أخوئهما إلى ولايتهما . فلم يُقَابِلَا بالسَّخَطِ والطاعة ، وحصلت منهم المنافرة^(١) .

(١) وكذلك ورد هذا الخبر بالمعنى في العقود اللؤلؤية ٣٦٢/١ .

ثم قال : واستمر رُمَيْثَةٌ وَحُمَيْضَةُ فِي الْإِمْرَةِ يُظْهِرَانِ حَسْنَ
السَّيْرِ وَجَمِيلَ السِّيَاسَةِ ، وَأَبْطَلَا شَيْئاً مِنَ الْمَكُوسِ فِي السَّنَةِ الْمَذْكُورَةِ
وَالَّتِي بَعْدَهَا .

وذكر في أخبار سنة ثمان وسبعمئة : أَنَّهُ ظَهَرَ مِنْهُمَا مِنْ
التَّعَسُّفِ مَا لَا يُمْكِنُ شَرْحُهُ (١) .

وذكر : أَن فِي سَنَةِ عَشْرِ وَسَبْعِمِائَةِ حَجَّ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ
عَسْكَرٌ قَوِي ، فِيهِ أُمَرَاءُ طَبَلَخَانَاتٍ يَرِيدُونَ لَزْمَ الشَّرِيفِينَ حُمَيْضَةَ
وَرُمَيْثَةَ . فَلَمَّا عَلِمَا بِذَلِكَ هَرَبَا مِنْ مَكَّةَ . فَلَمَّا تَوَجَّهَ الْعَسْكَرُ إِلَى
الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ عَادَا إِلَى مَكَّةَ (٢) .

وذكر : أَنَّهُمَا فِي سَنَةِ اثْنَتَيْ عَشْرَةٍ وَسَبْعِمِائَةِ عَدَلَا عَنْ مَكَّةَ
تَخَوُّفاً مِنَ الْمَلِكِ النَّاصِرِ صَاحِبِ مِصْرَ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ حَجَّ هَذِهِ السَّنَةِ
فِي أَلْفِ فَارَسٍ ، وَسِتَّةِ آلَافِ مَمْلُوكٍ فَتَخَوُّفَا مِنْهُ . وَذَكَرَ أَنَّهُمَا فَعَلَا فِيهَا
مَا لَا يَنْبَغِي مِنَ النَّهْبِ ، وَأَنَّهُمَا عَادَا إِلَى مَكَّةَ بَعْدَ ذَهَابِ الْمَلِكِ
النَّاصِرِ مِنْهَا (٣) .

وذكر : أَنَّهُمَا هَرَبَا مِنْ مَكَّةَ فِي سَنَةِ ثَلَاثِ عَشْرَةٍ إِلَى صُوبِ
حَلْيِ ابْنِ يَعْقُوبَ ؛ لَمَّا عَلِمَا بِوُصُولِ أَبِي الْغَيْثِ بْنِ أَبِي ثُمَيٍّ مِنَ
الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ إِلَى مَكَّةَ ، وَمَعَهُ عَسْكَرٌ جَرَّارٌ ، فِيهِمْ مِنَ الْمَمَالِيكِ
الْأَتْرَاكِ ثَلَاثُمِائَةٍ وَعِشْرُونَ فَارِساً ، وَخَمْسُمِائَةٍ فَارَسٍ مِنْ أَشْرَافِ

(١) العقود اللؤلؤية ١/ ٣٨٤ .

(٢) العقود اللؤلؤية ١/ ٣٩٤ .

(٣) العقود اللؤلؤية ١/ ٤٠٢ .

المدينة ، خارجاً عما يتبع هؤلاء من / المتخطفة والحرامية ، وكان ١٠٨ ظ
المقدم الأمير سيف الدين طَقْصَبَا^(١) .

وذكر : أن في الحرم من سنة أربع عشرة وسبعمائة سار
أبو الغيث وطَقْصَبَا إلى صوب حَلَى ابن يعقوب ؛ بسبب حُمَيْضَة
وَرُمَيْثَة ، وأنهما لم يجدا خبراً عنهما ؛ لأنهما لحقا ببلاد السَّراة . ٥
ووصلا — أعنى أبا الغيث وطَقْصَبَا — إلى حَلَى ابن يعقوب ، ولم
يدخلها طَقْصَبَا ، وقال : هذه أوائل بلاد السلطان الملك المؤيد ، ولا
ندخلها إلا بمرسوم السلطان الملك الناصر . فعاد على عَقْبِهِ^(٢) .
وفي كلام صاحب البهجة ما يفهم أن أبا الغيث وطَقْصَبَا لم يبلغا
حَلَى . والله أعلم .

وقد ذكر صاحب « نهاية الأرب في فنون الأدب » شيئاً من
خبر حُمَيْضَة بعد عَزَلِهِ من مكة بأخيه أبي الغيث ، وشيئاً من خبر
العسكر الذي جُهِّزَ معه ؛ لأنه قال في أخبار سنة ثلاث عشرة
وسبعمائة : وفي هذه السنة جَرَّدَ السلطان جماعة من الأمراء إلى
مكة — شرفها الله تعالى — وهم : سيف الدين طَقْصَبَا الناصري ، ١٥
وهو المقدم على الجيش ، وسيف الدين يَكْتُمُر ، وصارم الدين

(١) في الأصل « تقصبا » بالتاء في أوله ، والمثبت هو الرسم المشهور لهذا
الاسم . وانظر السلوك للمقريزي ١/٢ : ١٢٨ ، والنجوم الزاهرة ٨/١٥٢ ، وإتحاف
الورى ٣/١٥٠ . وهو الأمير طقصبا الناصري وإلى قوص ، المتوفى سنة ٧٤٥ هـ .
(الدرر الكامنة ٢/٣٢٦ برقم ١٠٤٣) وقد ورد هذا الخبر بمعناه في العقود اللؤلؤية
٤٠٧/١ .

(١) وكذلك ورد هذا الخبر في العقود اللؤلؤية ١/٤١٠ .

صاروجا^(١) الحسامي ، وغلاء الدين أيدُغْدِي الخوارزمي . وتوجهوا ١
 في شوال في جملة الركب . وجرد من دمشق الأمير سيف الدين
 بَلْبَان تَتَرِي^(٢) . وسبب ذلك ما اتصل السلطان من شكوى
 المجاورين والحجاج من أميري مكة حُمَيْضَة ورُمَيْثَة ولدي الشريف
 أبي نُمَيٍّ ؛ فندب السلطان هذا الجيش ، وجَهَّز أخاهما الأمير
 أبا الغيث بن أبي نُمَيٍّ . فلما وصل العسكر إلى مكة فارقها
 حُمَيْضَة . وأقام الجيش بمكة بعد عود الحاج نحو شهرين ، فقَصَّرَ
 أبو الغيث في حَقِّهِم ، وضاقَ منهم ، ثم كتب خطَّه باستغناؤه
 عنهم ؛ فعادوا ، وكان وصولهم إلى الأبواب السلطانية في آخر شهر
 ربيع الأول سنة أربع عشرة وسبعمائة . ١٠

ولما علم حُمَيْضَة بمفارقة الجيش لمكة عاد إليها بجمع ، وقاتل
 أخاه أبا الغيث ، ففارق أبو الغيث مكة ، والتحق بأخواله من هُدَيْل
 بوادي نخلة . وأرسل حُمَيْضَة إلى السلطان رسولا وخيلاً للتقدمة ؛
 فاعتقل السلطان رسوله . انتهى .

(١) في الأصل « صارو » ، والمثبت عن السلوك للمقريزي ٢/٢ : ٣٧٧ ،
 والدرر الكامنة ٢٩٦/٢ برقم ١٩٥٣ ، والدليل الشافي ٣٤٩/١ برقم ١١٩٧ .
 (٢) كذا في الأصل . وفي الدرر الكامنة ٢٦/٢ « بلبان التستري » ، كان من
 الأمراء المنصورية ، وولي إمرة الركب سنة ٧١٣ هـ . مات في ذي القعدة سنة
 ٧٢٥ هـ . وفي النجوم الزاهرة ٢٦٦/٩ « سيف الدين بلبان بن عبد الله التتاري
 المنصوري » .

وذكر صاحب «المفتى»^(١) : أن حُمَيْضَةَ لما علم بسفر
هذا العسكر من مكة حضر إلى مكة بعد جمعة وقتل أخاه — يعني
أبا الغيث — وقتل نحو خمسة عشر نفرًا ، ومن الخيل أكثر من
عشرين فرسًا ، وملك مكة ، ولجأ أبو الغيث إلى أخواله من هُدَيْل
بوادى نخلة مكسورًا . ثم إن حُمَيْضَةَ أرسل خيلاً للسلطان ،
فحبس رَسُولَهُ ، ولم يَرْضَ عنه . وأرسل بعده أبو الغيث هدية ؛
فَوَعَدَ السلطانُ بنصره ، وإرسال عسكر إليه . انتهى .

وهذه ولايته الثالثة التى استقل بها فى المدة المتقدم ذكرها ، أو
فى أكثرها . واستقلاله بإمرة مكة فى بعضها متحقق^(٢) .

وقد ذكر صاحب «المفتى» من خبره بعد ذلك ؛ لأنه
قال : وفى يوم الثلاثاء رابع ذى الحجة — يعنى من سنة أربع عشرة
وسبعمائة — وقعت حربٌ بين الأخوين حُمَيْضَةَ وأبى العَيْثِ ولدى
أبى ثُمَيٍّ بالقرب من مكة ، وانتصر حُمَيْضَةَ ، وجُرحَ أبو الغيث ،
ثم ذُبِحَ بأمر أخيه . وكان جماعة أبى الغيث أكثر عدداً ، ولكن رُزِقَ
حُمَيْضَةَ / النصر ، واستقر بمكة . انتهى .

١٠٩

١٥

(١) هو الحافظ علم الدين أبو محمد القاسم بن محمد بن يوسف البرزالي ،
المتوفى سنة ٧٣٩ هـ ، وكتابه «المفتى» ذيل على كتاب الروضتين لأبى شامة حتى
سنة ٧٣٨ هـ . (فوات الوفيات ١٩٦/٣ برقم ٣٩٦ ، والنجوم الزاهرة ٣١٩/٩ ،
والأعلام للزركلى ١٧/٦ ، ومعجم المؤلفين ١٢٤/٨) ويذكر فؤاد سيد فى هامش العقد
الثلثين ٢٣٧/٤ أن كتابه هذا من الكتب النادرة يومته مصورة بمركز إحياء التراث « المحقق » .
(٢) فى الأصل ، والعقد الثمين ٢٣٧/٤ « متحققة » .

وقال في أخبار سنة خمس عشرة وسبعمائة : ولما بلغ حُمَيْضَةُ ١
ابن أبى ثُمَيٍّ وصولَ العسكرِ مع أخيه ، وأنهم قاربوا مكة ؛ نَزَحَ
قَبْلَ وصولهم بستة أيام ، وأخذ المال : النقد والبَزَّ ، وهو مائة
حِمْلٍ ، وأحرق الباقي في الحصن الذى في الجَدِيدِ ، وبينه وبين
مكة ... (١) وقطع ألفى نخلة . وكان مَرَضَ قبل ذلك في شعبان ،
وتغير سمعه ، وحضر إلى بيت الله الحرام وتاب ، وذكر : أنه ما
يتعرض لإيذاء المجاورين ولا التجار ولا غيرهم .

وكان وصول العسكر إلى مكة يوم السبت منتصف رمضان ،
وأقاموا بها ثلاثة عشر يوماً ، ثم توجَّهُوا إلى الخُلَيْفِ — وهو حصن
بينه وبين مكة ستة أيام — والتجأ حُمَيْضَةُ إلى صاحبه ، وصاهره ١٠
لَعَلَّهُ يَحْتَمِي به ، فواقع العسكرُ حُمَيْضَةَ وصاحبَ الحصن المذكور ،
وأخذ جميع أموال حُمَيْضَةَ وخزائنه ، ونُهِبَ الحصنُ وأُحْرِقَ ، وأسِرَ
ولد حميضة ابن اثنتي عشرة سنة ، وسُلِّمَ إلى عمه رُمَيْثَةُ ، ثم رجع
الجيشُ إلى مكة ؛ فوصلوها في الخامس والعشرين من ذى القعدة ،
واستقروا إلى أن حضروا الموقف ، ورجعوا مع المصريين . ١٥

واستقر الأمير رُمَيْثَةُ بمكة ، ونجا أخوه حُمَيْضَةُ بنفسه ، ولحق

(١) بياض في الأصل بمقدار كلمتين ، كتب فوقه كلمة « كذا » ، وكذا هذا
البياض موجود في العقد الثمين ٢٣٨/٤ . وعبارة إتحاف الورى ١٥٤/٣ « وأحرق الباقي
في الحصن الجديد الذى بوادى مَرَّ ، وقطع ألفى نخلة » . دون بياض يتخلله ، وانظر
سمط النجوم العوالى ٢٢٨/٤ .

١ بالعراق . كتب إلينا بذلك أمين الدين الوائى^(١) . انتهى .

وسياتى إن شاء الله تعالى شىء من خبر هذا العسكر فى ترجمة رُمَيْثَة بن أبى نُمَى .

وقد ذكر صاحب « المقتفى » شيئاً من خبر حُمَيْضَة بعد لحاقه بالعراق ؛ لأنه قال فى أخبار سنة ست عشرة : وفى التاريخ المذكور — [يعنى]^(٢) عقيب عيد الأضحى — وصل الخبرُ بأن الشريف حُمَيْضَة بن أبى نُمَى الحسنى المكى كان قد لحق بخَرْبَنْدَا^(٣) فأقام فى بلاده أشهراً ، وطلب منه جيشاً يَغْزُو به مكة ، وساعده جماعة من الرافضة على ذلك ، وجهَّزُوا له جمعاً من خُرَّاسَان ، وكانوا مهتمين بذلك ؛ فَقَدَّرَ الله تعالى موت خَرْبَنْدَا ، ١٠ وبطل ذلك بحمد الله تعالى .

(١) هو محمد بن إبراهيم بن محمد بن أحمد الوائى الخلاطى الهمدانى الدمشقى . المتوفى سنة ٧٣٥ هـ . (الوائى بالوفيات ٢١/٢ ، والدرر الكامنة ٣٧٨/٣ ، والدليل الشافى ٥٧٦/٢ برقم ١٩٧٩ ، ومعجم المؤلفين ٢١٤/٨) .
(٢) إضافة عن العقد الثمين ٢٣٩/٤ .

(٣) هو ملك التتار خربندا بن أرغون بن أبغا بن هولكو بن تولو بن جنكيزخان ، يقال إن أباه كان كلما ولد له ولد يموت صغيراً ، فقال له بعض الأتراك : إذا جاءك ولد فسمه اسماً قبيحاً ليعيش . فلما ولد له هذا سماه خربندا ، ومعناه : عبد الحمار . فلما كبر وملك البلاد كره هذه الاسم واستقبحه ، فجعله خُذَابَنْدَا ومعناه : عبد الله . ولما أسلم تسمى بمحمد ، واقتدى بالكتاب والسنة ، ثم اجتمع به الرافضى تاج الدين الآوى ، وصيرَه رافضياً . توفى سنة ٧١٦ هـ . (البداية والنهاية ٧٧/١٤ ، ٧٨ ، والنجوم الزاهرة ٢٣٨/٩ ، ٢٣٩) .

ثم قال : إن محمد بن عيسى أخا مُهَنَّأ ، هو وجمع من العرب^١
 وقعوا على حُمَيْضَةَ وعلى الدَّلْقَنْدِي — وكان معهما جمعٌ وأموال —
 فقهرَهُمْ وَغَنِمَ ما مَعَهُمْ ، ومَرَّ حُمَيْضَةَ . وكان الدلقندي — وهو
 رجل رافضي من أعيان دولة التُّتَار — قد قام بنصره ، وجمع له المال
 والرجال على أن يأخذ له مكة ويقيمها بها . انتهى .^٥

وقال صاحب نهاية الأرب في أخبار سنة سبع عشرة
 وسبعمائة : وفي هذه السنة وصل كتاب الأمير أسد الدين رُمَيْثَةَ
 أمير مكة إلى الأبواب السلطانية يتضمن أن عز الدين حُمَيْضَةَ قدم
 من بلاد العراق — وكان قد تَسَحَّبَ إليها والتحق بخَرْبَنْدَا كما
 تقدم — وأنه وصل الآن عَلَى فَرَسٍ واحدٍ ، ومعه اثنان من أعيان^{١٠}
 التتار ، وهما دارقندي — وقيل فيه دقلندي — وملكشاه ، ومعهم
 ثلاثة وعشرون راحلة ، وأنه كتب إلى أخيه رُمَيْثَةَ يستأذنه في دخول
 مكة . فمنعه إلا بعد إذن السلطان . فكتب السلطان إلى
 حُمَيْضَةَ : أنه إن حضر إلى الديار المصرية — على عَزْمِ الإقامة
 بها — قابله بالأمان ، وسامَحَه بذنوبه السالفة . وأما الحجاز فلا يقيم^{١٥}
 به . وكتب إلى دَرْقَنْدِي وَمَلِكُشَاه بالأمان / وأن يحضرا .^{١٠٩} ظ

وأخبر مَنْ وصل : أنهم لاقوا في طريقهم شِدَّةً من العراق إلى
 الحجاز ، وأن العُرَبَانَ نهبواهم ، فَهَبَ لَدَرْقَنْدِي أموال جمّة ، وأنه
 وصل على فرس واحد مسافة عشرين ليلة .

وقد حكى عن الأمير محمد بن عيسى أخى مهنا : أن الملك^{٢٠}
 خَرْبَنْدَا كان قد جَهَّز دقلندي المذكور في جمع كثير مع عز الدين

حُمَيْضَة — قبل وفاته^(١) — إلى الحجاز ؛ لنقل الشيخين أبي بكر وعمر — رضي الله عنهما — من جوار النبي ﷺ ، وأن الأمير محمداً المذكور جمع من العُربان نحو أربعة آلاف فارس ، وقصد المقدم ذكره ، وقاتله ونهبه ، وكَسَبَ العسكرُ منهم أموالاً جمة عظيمة من الذهب والدراهم ، حتى إن فيهم جماعة حصل للواحد منهم نحو ٥ ألف دينار ، غير الدواب والسلاح وغير ذلك [وأخذوا الفئوس والمجارف التي كانوا قد هيئوها لِنَبْشِ الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما . وكان ذلك]^(٢) في ذى الحجة سنة ست عشرة وسبعمائة .

ثم قال : ولما وردَ كتابُ الأمير أسد الدين رُمَيْثَة بما تقدم ١٠ نَدَبَ السلطانُ إلى مكة — شرفها الله تعالى — الأميرَين سيفَ الدين أَيْتَمُشَ المحمدي وسيفَ الدين بَهَادُرَ السعدي^(٣) أميرَ علم ، وأمرهما أن يستصحب كل واحد منهما عشرة من عدّته ، وجردَ معهما من كل أمير [مائة]^(٤) جنديين ، ومن كل أمير

(١) أي قبل وفاة خريندا .

(٢) سقط في الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ٢٤٠/٤ .

(٣) في الأصل ، والعقد الثمين ٢٤١/٤ « السعيدى » . والمثبت عن إتحاف الورى ١٥٧/٣ . وأمير علم : هو الذى يتولى شئون أعلام السلطان من رايات وسناجق وعصابات وغيرها . (صبح الأعشى ٨/٤ ، ٤٥٦/٥ ، ٤٥٨) .

(٤) سقط في الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ٢٤١/٤ . وأمير المائة هو الذى يملك مائة مملوك أو أكثر . وقد يكون مقدم ألف أى تحت قيادته ألف جندي أو أكثر . (صبح الأعشى ١٤/٤ ، وخطط المقرئى ٣٥٠/٣) .

- ١ طبلخانة^(٥) جندياً واحداً ، وتوجَّها إلى مكة لإحضار حُمَيْضَةَ ومن حضر من التتار ؛ فتوجَّها في يوم السبت سادس عشر ربيع الأول بمن معها ، فوصلا إلى مكة ، وأرسلا إلى حُمَيْضَةَ في معاودة الطاعة ، وأن يتوجَّه معهما إلى الأبواب السلطانية ؛ فاعتذر أنه ليس معه من المال ما ينفقه على نفسه ومن معه في سفره ، وطلب منهما ما يستعين به على ذلك . فأعطياه . فلما قبض المال تغيب ، وعادا إلى القاهرة فوصلا في يوم الأحد السادس والعشرين من جمادى الآخرة من السنة — يعنى سنة سبع عشرة وسبعمائة — .

- ثم قال في أخبار سنة ثمانى عشرة وسبعمائة : وفى صفر من هذه السنة وَرَدَت الأخبارُ من مكة — شرفها الله تعالى — أن الأمير عز الدين حُمَيْضَةَ بن أبى نُمَيْ — بعد عود الحاج من مكة — وثب على أخيه الأمير أسد الدين رُمَيْثَةَ بموافقة العبيد ، وأخرجه من مكة ؛ فتوجَّه رُمَيْثَةَ إلى نَحْلَةٍ — وهى التى كان بها حُمَيْضَةَ — واستولى حُمَيْضَةَ على مكة — شرفها الله تعالى — وقيل : إنه قطع الخطبة السلطانية ، وخطب لملك العراق وهو أبو سعيد بن خَرَبَنْدَا بن أرغون بن أبغا بن هولاكو . فلما اتصل ذلك بالسلطان أمر بتجريد جماعة من أقوياء العسكر ؛ فجرد الأمير صارم الدين الجرْمَكِي ،

(٥) أمير طبلخانة : هو الأمير الذى يكون من حقه دق الطبلخانات أمام داره فى أوقات معينة ، أو أمامه فى الموكب الرسمية ، ويملك أربعين مملوكاً وقد يزيدون إلى ثمانين مملوكاً ، وهو فى المرتبة التالية لأمرء المئين مقدمى الألوف . (صبح الأعشى ١٥/٤) .

والأمير سيف الدين بهادر الإبراهيمي ، وجماعة من الحلقة^(١) وأجناد
الأمراء ، من كل أمير مائة فارسين ، ومن كل أمير طبلخانة جندياً .
وأمر بالمسير إلى مكة ، وألا يعودوا إلى الديار المصرية حتى يظفروا
بحميضة . فتوجهوا في العشر الأواخر من شهر ربيع الأول من هذه
السنة . انتهى بلفظه .

وذكر : أن الإبراهيمي لما توجه لمحاربة حميضة والقبض عليه
ركب إليه وتقاربا من بعضهما بعض ، وباتا على ذلك ، ولم يقدر
الإبراهيمي على مواجهة حميضة [فاقضى ذلك القبض على
الإبراهيمي وعلى رُميئة ؛ لأنه نُسب إلى مواطئة أخيه
حميضة]^(٢) / وأن الذي فعله من التشيع باتفاق رُميئة . وجُهِزَ
إلى الديار المصرية . انتهى بالمعنى .

وهذه ولاية حميضة الرابعة التي أشرنا إليها . ولم يزل حميضة
مُهَجَّجاً والطلب عليه ، وأهل مكة خائفون من شره .

وذكر اليافعي^(٣) : أنه قصد مكة بجيش يريد أخذها ، وقتل

(١) أى من أجناد الحلقة : وهم عدد كبير من العسكر من غير المماليك ، وربما
دخل فيهم من ليس من الجند كالتعممين . ولكل أربعين منهم مقدم يحكم عليهم وقت
خروج العسكر فقط ، وإقطاع مقدم الحلقة يبلغ ألفاً وخمسمائة دينار ، وإقطاع الجندي
من الحلقة يبلغ مائتين وخمسين ديناراً . (صبح الأعشى ١٦/٤ ، ٢٢ ، وهوامش النجوم
الزاهرة ٣٢٨/١٢ ، ٩/١٤ ، ٦٨ ، ودولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر —
النظم السياسية ١٤٩ ، ١٥٠) .

(٢) سقط في الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ٢٤٢/٤ .

(٣) مرآة الجنان ٢٦٠/٤ .

١ جماعة من أهل مكة والمجاورين بها ؛ فخرج إليه أخوه عَطِيفَة — وكان قد آسَـتَقَرَّ في إمرة مكة بعد القبض على أخيه رُمَيْثَة ؛ لانتهامه بممالة حُمَيْضَة — ومع عَطِيفَة أخوه عَطَّاف وآخَرُ من إخوته ، وعسكر ضعيف ؛ فنصرهم الله عليه وكَسَرُوهُ . ثم قُتِلَ بعد كسرتِه بأيَّام . انتهى .

وقد ذكر [خبر] (١) مقتل حُمَيْضَة صاحب نهاية الأرب ، وأفاد في ذلك ما لم يفده غيره . وقد رأيت أن أذكر كلامه لذلك .

قال في أخبار سنة عشرين وسبعمائة : كان السلطان لما كان بمكة — شرفها الله تعالى — سألَه المجاورون بمكة ، ومن بها من التجار أن يُخَلِّفَ عسكرياً يمنع عز الدين حُمَيْضَة بن أبي نُمَيٍّ إنَّ ١٠ هو قصد أهل مكة بسوء . فجرَّدَ ممن كان معه الأمير شمس الدين [آق] (٢) سُنُقَرُ معه مائة فارس ، فأقام بمكة . فلما عاد السلطان إلى قلعة الجبل جرَّدَ الأمير بَيْرُسَ الحاجب — وكان هو من الأمراء مقدمي الألوْف — ببعض عدته ، وجرَّدَ معه جماعةً من المماليك السلطانية ، وكان عدة من توجَّه مائة فارس . وخرج من القاهرة في ١٥ يوم الأربعاء السادس من شهر ربيع الأول هذه السنة ، ووصل إلى مكة — شرفها الله تعالى — وأقام بها ، ومنع أهلها من حمل السلاح : السكين فما فوقها ، وبعث إلى الأمير عز الدين حُمَيْضَة

(١) إضافة عن العقد الثمين ٢٤٣/٤ .

(٢) إضافة عن السلوك للمقرئزي ٢/١ : ٢٠٣ ، وإتحاف الوری ١٦٦/٣ .

— وكان بِقُرْب نَخْلة — يستميله إلى الطاعة ، والتوجّه إلى الأبواب السلطانية . فسأل رَهِينَةً عنده من الأمير رُكْن الدين تكون عند أهله ويحضر ؛ فأجاب الأمير رُكْن الدين إلى ذلك ، وجَهَّزَ أحد أولاده وهو الأمير عَلِيّ ، وجَهَّز معه هدية لَحْمِيضَةٍ . ولم يبق إلا أن يتوجّه ، فأتاه في ذلك اليوم رجلٌ من الأعراب ، وأخبره بقتل حُمِيضَةٍ . فأنكر وقوع ذلك ، وظنّ ذلك مكيدةً لأمرٍ ما ، لكنه تَوَقَّفَ عن إرسال ولده حتى يتبيّن له الحال . فلما كان في مساء ذلك اليوم طُرِقَ بابُ المعلاة بمكة ففتح ، فإذا مملوك اسمه أَسْنَدُمُر ، وهو أحد المماليك الثلاثة الذين كانوا قد التحقوا بِحُمِيضَةٍ من مماليك الأمراء كما تقدّم — وهو راكب حِجْرَةٍ^(١) حُمِيضَةٍ التي تسمى جُمْعَة ، وكان السلطان قد طلبها من حُمِيضَةٍ فشحّ بإرسالها — وأخبر أنه قتل حُمِيضَةٍ : آغتاله وهو نائم ، وجرد سيفه وإذا به أثّر الدم . وذلك في جمادى الآخرة — [يعنى]^(٢) من سنة عشرين وسبعمائة — وأرسل الأمير رُكْن الدين ولديه ناصر الدين محمدًا ، وشهاب الدين أحمد إلى الأبواب السلطانية بهذا الخبر . فوصلوا إلى السلطان ؛ فأنعم عليهما . وجَهَّزَ الأمير رُكْن الدين مَنْ توجّه لإحضار سَلْبِ حُمِيضَةٍ والمملوكين اللذين بقيا معه ، فأحضر السَلْبَ وأحد المملوكين / وقيل إن الثالث مات ، وهو مملوك الأمير ١١٠ ظ

(١) الحجرة : أنثى الخيل . (المعجم الوسيط) .

(٢) إضافة عن العقد الثمين ٢٤٤/٤ .

سيف الدين بَكْتُمُر الساقى ، فألزم صاحب نخلة بإحضاره وتوعَّده ١
 إن تأخر ، فأحضره . واستقر الأمير ركن الدين بمكة إلى أن عاد
 الجواب السلطانى يطلبه ؛ فتوجه من مكة — شرفها الله تعالى — فى
 مستهل شعبان ، وصحبته المماليك الثلاثة الذين كانوا قد هربوا .
 وكان وصوله إلى الأبواب السلطانية فى العشر الأول من شهر
 رمضان . فلما وصل شِمْلَةُ الإنعام والتشريف ، فأمر السلطان بقتل
 أَسْنَدُمُر قَاتِل حُمَيْضَةَ ؛ قَوْدًا بِهِ ، فى شَوَّال من السنة . انتهى .

وقال صاحب « المقتفى » فى أخبار سنة عشرين وسبعمئة :
 وفى هذه السنة قُتِلَ الأميرُ عز الدين حُمَيْضَةُ ابن الأمير الشريف
 أبى نُمَيٍّْ صاحب مكة ، وكان قد خرج عن طاعة السلطان ، وولى ١٠
 السلطان بمكة أخاه سيف الدين عَطِيفَةَ ، وبقي هو فى البرية
 — والطلب عليه ، وأهل مكة خائفون من شرِّه — وكان شجاعاً
 قامعاً لأهل الفساد ، وكان فى السنة الماضية — سنة حج السلطان
 هَرَبَ من ممالكه ثلاثة ولجأوا إلى حُمَيْضَةَ ، ثم إنهم خافوا من
 دخوله فى الطاعة ، وأنه يرسلهم إلى حضرة السلطان ؛ فقتلوه ، ١٥
 وتوجهوا فى وادى بنى شُعْبَةَ^(١) ، وحضروا إلى مكة ؛ فقيَّدَ الذى
 تولى القتل منهم ، وأرسل إلى الديار المصرية ، فاعتقل ثم قُتِلَ فى

(١) فى الأصل « شيبة » ، والمثبت عن العقد الثمين ٢٤٥/٤ . وبنى شعبة
 أودية كثيرة منها : وادى إدام ، ووادى السعدية — أسفل يلملم — ، ووادى الخضراء ،
 وديارهم تقع جنوب مكة على خمسين كيلاً ثم تمتد إلى الليث . (معجم قبائل
 الحجاز) .

شوال . انتهى .

وذكره الذهبي في ذيل سير النبلاء ، فقال : كان فيه ظلم ١
وعنف . ثم قال : وقُتِلَ كهلاً .

وذكر الياضي في تاريخه^(١) : أنه رأى في المنام — قبيل قتل
حُمَيْضَةَ — كأن القمر في السماء قد احترق بالنار ، قال : وأظنه
سقط إلى الأرض . انتهى . وهذه فرية .

وذكر الياضي^(٢) أن حُمَيْضَةَ كان يقول : لأبي خمس
فضائل : الشجاعة ، والكرم ، والحلم ، والشعر ، والسعادة .
فالشجاعة لعطيفة ، والكرم لأبي الغيث ، والحلم لرميثة ، والشعر
لشميلة ، والسعادة لي ؛ حتى لو قصدت جبلاً لدهكته . انتهى .

وللأديب موفق الدين علي بن محمد الحندي من قصيدة ١٠
يمدح بها الشريف حُمَيْضَةَ بن أبي ثُمَيٍّ . هذا أولها :

قَدَحَ الوجْدُ في فؤادي زَنَادَا

منع الجفن أن يَذُوقَ الرُّقَادَا

وفؤادُ الشَّجَى يوم ألال^(٣)

١٥ ساقه سائق الطُّعُونِ وَقَادَا

(١) مرآة الجنان ٢٥٩/٤ .

(٢) مرآة الجنان ٢٦٠/٤ .

(٣) ألال : جبل رملي بعرفات ، يقوم عليه الإمام ، وقيل جبل عن يمين الإمام ،
وقيل هو جبل عرفات نفسه . (معجم البلدان لياقوت) .

- ١ أَبَدَلْتَنِي ^(١) بِالْوَصِيلِ هَجْرًا وَبِالزَّوْ
رَةِ صَدًّا وَبِالتَّدَانِي بِعَادَا
وَتَمَادَى بِهَا الْجَفَاءُ وَمَا
كَانَ لَهَا فِي الْجَفَا أَنْ تَمَادَى
٥ يَا مَعِيَدَ الْحَدِيثِ عُدَّ فِيهِ عَنْهُمْ
مَا أَلَذَّ الْحَدِيثَ عَنْهُمْ مُعَادَا
هَاتِ بِاللَّهِ يَا مُحَدَّثُ حَدَّثْ
بِجِيَادٍ جَادَ الْغَمَامُ جِيَادَا
بِلَدًّا بِالشَّرِيفِ شَرْفَهُ اللَّـ
١٠ هُ بَقَاعًا شَيْحَانَةً وَوَهَادَا
مَلِكٌ مِنْ قَتَادَةَ مَلِكٌ ^(٢) الْأَرُ
ضَ نِصَالًا مَشْحُودَةً ^(٣) وَصِعَادَا /
١١١ أَوْ إِنَّ أَكُنْ فِي حُمَيْضَةٍ زِدْتَ فِي الْمَدِ
جَ فَقَدْ زَادَ فِي نَوَالِي وَزَادَا
١٥ رَجُلٌ سَالَمَ الْمُسَالِمَ فِي اللَّـ
هَ وَلِلَّهِ فِي الْمُعَادِيْنَ عَادَى

(١) كذا في الأصل . وفي العقد الثمين ٢٤٦/٤ « بدلني » . وفي سمط النجوم

العوالي ٢٣٢/٤ « بدليني » .

(٢) كذا في الأصل ، والعقد الثمين ٢٤٦/٤ ، ولعلها « ملأ » .

(٣) في المتن « محشودة » . والمثبت عن تصويب ورد في هامش اللوحة .

عَادَ أَبْدًا أَوْلَى فَوَالَى تَعَالَى
 عَزَّ أَعْطَى سَطَا أَفَادَ أَبَادَا
 جَادَ أَغْنَى عَلَا سَمَا جَلَّ جَلَّى
 ظُلَمَ الظُّلَمِ عَذْلُهُ شَادَ سَادَا
 حَسَنُ الصِّمْتِ لَيْسَ يَحْسُنُ أَنْ تُسَدَّ
 مَعَ إِلَّا فِي مِثْلِهِ الْإِنْشَادَا
 ابن بنت النبي لم يجعل الله
 له سِوَاكُمْ لِأَرْضِهِ أَوْتَادَا

ومنها :

يا رِكَابَ الْأَمَالِ وَيَحَاكِ بِالنُّجُـ
 حَ بِحِصْنِ الْجَدِيدِ أُمِّي نِجَادَا
 يَا جَوَادًا مَا زُرْتُ مَغْنَاهُ إِلَّا
 أُبْتُ مِنْ عِنْدِهِ أَقْوَدُ جَوَادَا
 [كُلُّ شِعْرِ أَتَاكُمْ غَيْرَ شِعْرِي
 يَا أَبَا زَيْدٍ لَيْسَ يَسْوِي الْمِدَادَا] (١)

وله فيه أيضاً :

إِنَّ الْفَرِيقَ النَّازِلِينَ فِي مِنَى
 غَايَةُ سُؤْلِ الْقَلْبِ مِنِّي وَالْمُنَا

(١) سقط في الأصل ، والمثبت عن سمط النجوم العوالى ٢٣٢/٤ ، والعقد الثمين

١ هُمْ أَوْقَفُوا جَفْنِي عَلَى سَبِيلِ الْبُكَاءِ
فَصِرْتُ بِالْأَرْبَعِ أَبْكِي الدَّمْعَا

ومنها :

وَمُحْشَفٍ طَافَ فَطَفُنَا حَوْلَهُ
نَدْعُو إِذَا يَدْعُو وَنَعْنُو إِذَا عَنَّا °
جَنَى عَلَيْنَا طَرْفُهُ لَكِنَّا
لَا نَسْتَطِيعُ أَخْذَهُ إِذَا جَنَى (١)
رَضِيَّتُهُ فَلْيَقْضِ مَا شَاءَ وَلَوْ
لَمْ يَقْضِ بِالْعَدْلِ عَلَيْنَا وَلَنَا
١٠ وَسَائِلٍ بِالْخَيْفِ مَنْ طُلَّ لَهُ
مِنَ الْمُحْيِينَ دَمٌ قُلْتُ أَنَا
يَا حَسَنَ النَّظِيرِ إِنَّا نَظِيرِي
لَمْ يَرِ مِنْ بَعْدِكَ شَيْئًا حَسَنًا

ومنها :

١٥ إِنَّ الْحِجَارَ لَسْتُ أَرْضَى غَيْرَهُ
أَرْضًا وَلَا أَبْغِي سِوَاهُ مَسْكَنًا
وَمِنْ بَنَى النَّجْمِ نُمِّيَّ أَنْجُمٌ
طَبَّقَتِ الْأَرْضَ سَنَاءً وَسَنًا
وَسَادَةٌ يُفْنُونَ أَمْوَالَ الْعِدَا
٢٠ بَعْدَ النَّفُوسِ بِالْمَوَاضِي وَالْقَنَا

(١) كذا في الأصل ، وفي المرجع السابق « بماجنا » .

- ١ أَهْلَ الْمَسَاعِي وَالصَّفَاءِ وَزَمَزِمَ
وَالْمَشْعَرَيْنِ وَالْمُصَلَّى وَمَنَى
إِنَّ الْعَطَايَا مِنْ يَدَي حُمَيْضَةَ
أَعْطَيْنَ بَعْدَ الْفَقْرِ مِنْ كَفِّي الْغِنَى
٥ خَلِيفَةً لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ وَلَا
يَضِنُّ عَنْ سَائِلِهِ بِمَا أَقْتَنَى
إِمَامٌ حَقٌّ جَدٌّ فِي اللَّهِ فَمَا
فِي اللَّهِ مُذْ جَدٌّ وَهَى وَلَا وَئَى
عَارٍ مِنَ الْعَارِ عَلَيْهِ حُلَّةٌ
١٠ مَرْقُومَةٌ أَثْنَاوُهَا مِنَ الثَّنَا
أَخَافُ فِي اللَّهِ تَعَالَى مَنْ بَعَى
وَأَمَّنَ الْخَائِفَ حَتَّى أَمِنَا /
أَحْسَنُ أَبْنَا حَسَنِ سَجِيَّةً
١١١ أَتَقْظُهُمْ عَيْنًا وَأَوْعَى أَذُنًا
هُوَ ابْنُ مَنْ أَسْرَى بِهِ اللَّهُ وَمَنْ
١٥ مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ تَدَلَّى وَدَنَا
وَابْنُ الذِّئْبِ أَلَلْتُ بِهِ آلَتْ إِلَى
شَرِّ مَالٍ وَلِعَزَى أَوْهَنَا
يَا ابْنَ أَبِي الْعِزِّ إِذَا تَبَسَّمْتَ
٢٠ بِيضُكَ أَبْكِيَنَّ الْعِدَا وَالْبُدُنَا
إِذَا سَأَلْتُ الْمَكْرُمَاتِ مِنْكُمْ
سَأَلْتُ عَلَيْنَا مِنْ هُنَا وَمِنْ هُنَا

- ١ يَا عَارِضَ الْجُودِ الَّذِي شِمْتُ سَنَا
 بَارِقِهِ اسْقِ رُبُوعِي مُزْنًا
 لَا زِلْتَ فِي كُلِّ أَوَانٍ مُمَطَّرًا
 عَلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ غَيْثًا هَيْنًا
- ولالأديب عفيف الدين عبد الله بن علي بن جعفر (١) فيه ٥
 — مدحاً — قصيدة أولها :
 أَبْقَى لِي الشَّوْقُ دَمْعًا مِنْ تَذَكُّرِكُمْ
 مِثْلَ الصَّبِيرِ وَقَلْبًا غَيْرَ صَبَّارِ
 فَيَا أَخْلَايَ هَلْ تَجْزُونَ ذَاوَلَهَ
- ١٠ وَجَدًا بَوَّجِدٍ وَتَذَكَارًا يَتَذَكَارِ
 وَقَدْ يَهِيْجُ صُبَابَاتِ الْفُؤَادِ لَكُمْ
 سَجْعُ الْحَمَامِ وَوَمُضُ الْبَارِقِ السَّارِي
 مَا زَالَ دَمْعِي يُبْدِي مَا أَكْتَمُهُ
- حتى تَشَابَهَ إِعْلَانِي وَإِسْرَارِي
 ١٥ لَا تَحْسَبُونِي أَنَسِيْتُ الْمَوَاتِقَ بَلْ
 حَفِظْتُهَا حِفْظَ عِزِّ الدِّينِ لِلْجَارِ
 حُمَيْضَةَ الْحَسَنِ النَّدْبُ خَيْرُ فِتْنَى
 كَاسٍ مِنَ الْحَمْدِ بَلْ عَارٍ مِنَ الْعَارِ

(١) وهو شاعر يمني ، مدح ملوك اليمن وغيرهم . وتوفي سنة ٧١٣ هـ وانظر

ترجمته في العقود اللؤلؤية ٤٠٩/١ ، والأعلام للزركلي ٢٤٣/٤ .

- سَلَالَةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ أَنْجَبَهُ
 ١ زَاكِ وَمُخْتَارُ أَصْلٍ وَابْنِ مُخْتَارِ
 مِنْ آدَمَ بْنِ نَبِيِّ اللَّهِ مُتَّصِلًا
 أَصْلًا بِأَصْلٍ وَأَثْمَارًا بِأَثْمَارِ
 مَا مَنْ تَسَمَّى عَلِيًّا كَالْوَصِيِّ وَلَا
 ٥ مَا كُلُّ جَعْفَرَ فِي الدُّنْيَا بِطَيَّارِ
 فَلَا خَلَا الدَّهْرُ مِنْ مَلِكٍ مَنَاقِبُهُ
 وَشَخْصُهُ مِلْءُ أَسْمَاعٍ وَأَبْصَارِ (١)
 فَمَا رَأَى وَجْهَهُ الْمَيْمُونَ ذُو أَمَلٍ
 ١٠ إِلَّا تَبَسَّ دَلَّ إِيسَارًا بِإِعْسَارِ
 قَلَدْتَنِي وَأُخْوَكِ النَّدْبُ قَلَدَنِي
 مَا لَيْسَ مَعْرُوفُهُ يُلْقَى بِإِنْكَارِ
 يَا كَعْبَتَانِ أَمَامَ الْكَعْبَةِ اعْتَمَرَا
 لَقَدْ تَمَسَّكْتُ مِنْ كُلِّ بَأْسْتَارِ
 ١٥ لَا زَالَ سَوْحُكَمَا الْعَارِي كَسَاخَتِهَا
 نَعَمَ الْمَاءُ لِحُجَّاجٍ وَزُؤَارِ
 انتهى كلام الفاسي .

قال الوالد (٢) : قال الشريف أحمد بن علي بن الحسين بن

(١) في الأصل « وشخصه مثل ذي سمع وإبصار » ، والمثبت عن العقد الثمين

. ٢٤٩/٤

(٢) لم ترد مقولة نجم الدين بن فهد المنسوبة للشريف أحمد بن علي بن الحسين في

مؤلفه « عمدة الطالب في نسب آل أبي طالب » في كتاب بغية المرام ، اللوحات من

٨٧ — ٩٢ ولا كذلك في إتحاف الوري ١٥٥/٣ — ١٧٠ .

١ عقبة الحسيني في كتابه « عمدة الطالب في نسب آل أبي طالب » : وأما حُمَيْضَةُ بن أبي نُمَيْ ، ويكنى أبا شقراء ، فكان ١١٢ شجاعاً شديداً / الأيد ، قاسى القلب ، قَتَلَ أخاه أبا الغيث عَلَى الإِمْرَةِ . ولما هَرَبَ من مصر وَرَدَ العراق ، وأخوه عَصَدُ الدين إِذ ذاك بها .

قال لى والدى رحمه الله : كُنْتُ أَهَابُ صورته وأنا صَبِيٌّ ، وأُهرِبُ منه إِذَا رَأَيْتُهُ ، وكان رُبَّمَا مَازَحَنِي بأن يستدعيني إِلَيْهِ أو يأمر من يدينني منه ؛ فيدخل عَلَى من ذلك خَوْفٌ عَظِيمٌ ؛ لأنه كان أَسْوَدَ شديداً السَّوَادَ ، ضَخَمًا من الرِّجَالِ ، أَحولَ العَيْنِ ، وربما خَاصَهَا تَكْبَرًا .

١٠ ثم إن حُمَيْضَةَ تَوَجَّهَ إِلَى السلطان أُولُجَايْتُو^(١) فَأَكْرَمَهُ إِكْرَامًا عَظِيمًا ، وَسَوَّعَهُ مَلَكًا جَلِيلًا ، وَاسْتَدْعَى حُمَيْضَةَ مِنَ السلطان أَنْ يُرْسِلَ مَعَهُ عَسْكَرًا ، وَيُعْهَدَ لَهُ بِأَخْذِ بِلَادِ الشَّامِ وَمِصْرَ ، وَأَرَادَ السلطانُ اخْتِبَارَهُ لَمَّا كَانَ يَسْتَعْظِمُ مِنْ أَخْبَارِهِ ؛ فَأَمَرَ ذَاتَ يَوْمٍ أَنْ يُحْمَى طَبَقٌ مِنَ الذَّهَبِ غَايَةً مَا يُمَكِّنُ ، ثُمَّ يُجْعَلُ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ ١٥ اللَّحْمِ حَارًّا ، وَيَقْدَمَ عَلَى السَّمَاطِ^(٢) ، ففعل ذلك ، فلما قُدِّمَ بَيْنَ يَدَيِ السلطان رَفَعَهُ بِكَفَّيْهِ وَأَوْمَأَ بِهِ إِلَى السَّيِّدِ حُمَيْضَةَ ، فَبَسَطَ

(١) أُولُجَايْتُو : هو محمد « خريندا أو خدابندا » أو لجاييتو بن أرغون بن أبغا بن

هولاكو بن تولى بن جنكيزخان . درر الفوائد ٤٦٧ .

(٢) فِي الْأَصْلِ « السَّمَط » ، وَالسَّمَاط : مَا يُمَدُّ لِيَجْعَلَ عَلَيْهِ الطَّعَامَ . (المعجم

الوسيط) .

السيد كَفَّيْهِ ، فوضع السلطان^(١) ذلك الطبق على كَفَّيْهِ ، فلم
يتغير السيد عن حاله وترك الطبق على يده إلى أن برد — والسلطان
ومن حضر ينظرون إليه ويتعجبون منه — فلما برد الطبق أوماً به إلى
زيد أخيه — وكان جالساً إلى جنبه — فأخذه عن يده وقد تقشّرت
جلدة كَفَّهِ .

فأرسل السلطان معه عسكرياً عليهم الأمير طالب الدلقندي
الحسيني ، فسار بهم حتى إذا بلغ ظاهر القَطِيف وصل الخبر بموت
السلطان أَوْلَجَايَتُو .

وأرسل الوزير رَشِيدُ الدولة^(٢) إلى وجوه ذلك العسكر ،
وأمرهم بالشغب على الأمير طالب ؛ لعداوة كانت بينهما .

وأرسل الملك الناصر محمد بن قلاوون حاكم مصر أعراب
طَيِّء وغيرهم ووعدهم ومَنَّاهم ، فساروا في جمع عظيم وشعَّبُوا
الأعراب الذين ضمهم السيد حُمَيْضَةُ إليه عليه ؛ فآل الأمر إلى أن
هرب عسكر السلطان عنه ، ولم يثبت معه غير الأمير طالب في نفرٍ
من خواصه ، وصال الأعراب الذين كانوا له عليه ؛ فقاتل السيد
حُمَيْضَةُ قتالاً شديداً لم يسمع بمثله ، واستخلص شيئاً كثيراً من
الأموال التي حملت معهم ، وكان كلما أخرج شيئاً من المعركة

(١) في الأصل « السيد » ، والمثبت يقتضيه السياق .

(٢) هو رشيد الدين ، أو رشيد الدولة فضل الله بن أبي الخير بن أبي غالي

الهمذاني ، المتوفى سنة ٧١٨ هـ . (البداية والنهاية ٧٨/١٤ ، والدرر الكامنة ٣/٣١٤ ،
ومعجم المؤلفين ٧٤/٨) .

أَوْصَلَهُ إِلَى الْمَأْمَنِ، وَسَلَّمَهُ إِلَى بَعْضِ ثِقَاتِهِ لِيَذْهَبَ بِهِ ، ثُمَّ يَرْجِعُ ١
فِيُقَاتِلُ عَلَى شَيْءٍ آخَرَ حَتَّى يَسْتَخْلَصَهُ . ثُمَّ ذَهَبَ سَالماً وَفَازَ
بِالْأَمْوَالِ .

حَكَى لِي عَنْ الْأَمِيرِ طَالِبِ جَمَاعَةٍ مِنَ الثَّقَاتِ : أَنَّهُمْ سَمِعُوهُ
غَيْرَ مَرَّةٍ يَقُولُ : مَا زِلْتُ أَسْمَعُ بِحِمَالَاتِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى بَنٍ ٥
أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَتَّى شَاهَدْتُهَا مِنَ السَّيِّدِ حُمَيْضَةَ عَيَاناً .

وَلَمَّا تَفَرَّقَتِ الْعَسَاكِرُ عَنِ السَّيِّدِ حُمَيْضَةَ ذَهَبَ حَتَّى أَقَامَ
بِأَطْرَافِ نَجْدٍ ، وَالتَّفَّتْ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْ غُلَمَانِهِ وَخَوَاصِهِ ، وَأَخَذَ يُغَيِّرُ
عَلَى أَطْرَافِ الْحِجَازِ ، وَيَتَعَرَّضُ لِقَوَافِلِ مِصْرَ وَالشَّامِ . فَتَلَطَّفَ لَهُ
الْمَلِكُ النَّاصِرُ بِإِرْسَالِ رَجُلَيْنِ مِنَ الْمَلَا حِدَةِ الْفُتَّاكِ . فَلَمَّا أَتَيَاهُ قَالَا ١٠
لَهُ : إِنَّا مِنْ جُمْلَةِ غُلَمَانِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ ، غَضِبَ عَلَيْنَا فِي أَمْرٍ ،
وَأَرَادَ قَتْلَنَا ؛ فَهَرَبْنَا إِلَيْكَ / وَقَدْ وَجِبَ ذِمَامُنَا عَلَيْكَ ، وَأَقَامَا عِنْدَهُ
سِتَّةَ أَشْهُرٍ لَمْ يَجِدَا مَجَالاً ، ثُمَّ إِنَهُمَا فَتَكَاهُ وَهُوَ قَائِلٌ وَقْتُ
الْهَجِيرِ ، وَهَرَبَا إِلَى مِصْرَ .

وَكَانَ لِحُمَيْضَةَ بِنْتِ خَرَجَتْ إِلَى حَازِمِ بْنِ شَمِيلَةَ بْنِ ١٥
أَبِي نُمَيٍّْ ، فَوُلِدَتْ لَهُ مُحَمَّدُ بْنُ حَازِمٍ . انْتَهَى كَلَامُ ابْنِ عَقْبَةَ .

١٨٠ - رُمَيْثَةُ بْنُ أَبِي نُمَيٍّْ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي سَعْدٍ حَسَنُ بْنُ

عَلَى بْنِ قَتَادَةَ بْنِ إِدْرِيسَ مُطَاعِينَ الْحَسَنِيِّ الْمَكِّيِّ .

قال الفاسي^(١) : أمير مكة . يكنى أبا عرادة ، ويلقب ١
أسد الدين .

ولي إمرة مكة — فيما علمت — ثلاثين سنة ، وأزيد في
غالب الظن كما سيأتي ، في سبع مرّات ، مستقلاً بذلك أربع عشرة
سنة ونصفاً وأزيد ، وشريكاً لأخيه حُمَيْضَةَ في مرّتين منها ، مجموعها ٥
نحو عشر سنين ، كما سبق في ترجمة حُمَيْضَةَ ، وشريكاً لأخيه
عُطَيْفَةَ خمس سنين وأزيد ، في غالب الظن .

وسنوضح ذلك كله مع شيء من خبره : وذلك أني وجدت
بخط قاضي مكة نجم الدين الطبري : أن أباه أبا نُمَيٍّ لزمه بمشورة
بعض أولاده في يوم الجمعة رابع عشر المحرم من سنة إحدى
وسبعمائة ، [وأنه وأخاه حُمَيْضَةَ قاما بالأمر بعده ، وكان دُعيَ لهما
على قبة زمزم يوم الجمعة ثاني صفر سنة إحدى وسبعمائة]^(٢) قبل
موت أبيهما بيومين . انتهى .

وكان من أمر رُمَيْثَةَ أنه استمر في الإمرة شريكاً لأخيه
حُمَيْضَةَ حتى قبض عليهما في موسم هذه السنة ، وهذه ولايته ١٥
الأولى ؛ وسبب القَبْضِ عليهما : أن أخويهما عطيفة وأبا الغيث حضرا
إلى الأمراء الذين حَجُّوا في هذه السنة — وكان كبيرهم بِيَرْسُ
الجاشنكير ، الذي صار سلطاناً بعد الملك الناصر محمد بن

(١) العقد الثمين ٤/٤٠٣ برقم ١١٩٦ .

(٢) سقط في الأصل ، والثبت عن العقد الثمين ٤/٤٠٤ .

قلاوون ، لما تَوَجَّهَ إلى الكَرَكِ في سنة ثمان وسبعمئة — وشكيا إلى
الأمراء من أخويهما حُمَيْضَةَ ورُمَيْثَةَ ؛ لأنهما كانا اعتقلا أبا الغيث
وعُطِيفَةَ ، ثم هربا من اعتقالهما وحضرا عند الأمراء كما ذكرنا —
فاقتضى رأى الأمراء القبضَ على حُمَيْضَةَ ورُمَيْثَةَ تأدياً لهما ، وحملا
إلى القاهرة ، واستقر عوضهما في الإمرة بمكة أبو الغيث وعُطِيفَةَ .

هكذا ذكر ما ذكرناه من سبب القبض على حُمَيْضَةَ ورُمَيْثَةَ
وتولية أبي الغيث وعُطِيفَةَ في هذا التاريخ صاحبُ نهاية الأرب^(١) ،
وإلا فالأمير بِيَرَسُ الدوادار في تاريخه ، وهو الغالب على ظني .

وذكر ذلك صاحب « بهجة الزمن في تاريخ اليمن »^(٢) إلا أنه
خالف في بعض ذلك ؛ لأنه قال في ترجمة أبي نُمَيٍّ : واختلف
القُوَاد والأشراف بعد موته على أولاده ، فطائفة مالت إلى رُمَيْثَةَ
وحُمَيْضَةَ على أخويهما ، فلزماههما وأقاما في حبسهما مدة ، ثم احتالا
فخرجوا وركبا إلى بعض الأشراف والقُوَاد ؛ فمنعوا منهما . ولما وَصَلَ
الحاجُّ المصري تلقاهم أبو الغيث ؛ فمالوا إليه . ولما انفصل الموسم
لَزِمَ الأميرُ ركنُ الدين بِيَرَسُ الجاشنكير حُمَيْضَةَ ورُمَيْثَةَ ، وسار
بهما إلى مصر مُقَيَّدَيْنِ ، وأمر بمكة أبا الغيث ، ومحمد بن إدريس ،
وحلفَهُمَا لصاحب مصر . انتهى .

وكان من خبر رُمَيْثَةَ : أنه وأخاه حُمَيْضَةَ وَلِيَا إمْرَةَ مكة في

(١) أشار فؤاد سيد في تحقيقه للعقد الثمين ٤/٤٠٤ إلى أن ما ذكره المؤلف
موجود في نهاية الأرب ج ٣٠ لوحة ٢ .

(٢) وكذا ذكره صاحب العقود اللؤلؤية ١/٣٣٦ .

سنة أربع وسبعمائة . وهذه ولايته الثانية التي شارك فيها أخاه ١
حُمَيْضَة ، ودامت / ولايتهما لمكة إلى زمن الموسم من سنة ثلاث ١١٣
عشرة وسبعمائة . وما ذكرناه من ولايته لإمرة مكة مع أخيه حُمَيْضَة
في هذا التاريخ ذكره صاحب « بَهْجَة الزمن » ^(١) وأفاد في ذلك ما
لم يفده غيره ، مع شيء من خبرهما ؛ ولذلك رأيت أن أذكره .

قال في أخبار سنة أربع وسبعمائة : وحج من مصرَ خَلَقُ
كثير ، وفي جملتهم الأمير رُكْن الدين بَيْرُس الجاشنكير في أمراء
كثيرين ، ووصل معهم الشريفان رُمَيْثَة وحُمَيْضَة ولدا أبي نُمَيَّ
المقدما الذكر في القبض عليهما . فلما انقضى الحج أحضر الأمير
رُكْن الدين أبا الغيث وعُطَيْفَة ، وأعلمهما أن ملك مصر قد أعاد ١٠
أَخَوَيْهما إلى ولايتهما ، فلم يقابلا بالسمع والطاعة ، وحصلت منهم
المنافرة . ثم قال : واستمر حُمَيْضَة ورُمَيْثَة في الإمرة يظهران حُسْنَ
السيرة وجميل السياسة ، وأبطلا شيئاً من المكوس في السنة المذكورة
والتي بعدها ^(٢) . انتهى .

ووجدت في بعض التواريخ : ما يقتضي أن رُمَيْثَة وحُمَيْضَة ١٥
وَلِيَا مكة في سنة ثلاث وسبعمائة ، وهذا يخالف ما ذكره صاحب
« بهجة الزمن » وما سبق قبله . والله أعلم .

(٢) وكذا ذكره صاحب العقود اللؤلؤية ٣٦٢/١ .

(١) كذا في الأصل . وفي العقد الثمين ٤٠٦/٤ « والتي قبلها » .

وذكر صاهب « بهجة الزمن »^(١) في أخبار سنة ثمان ١ وسبعمئة : أنه ظهر منهما من العسف ما لا يمكن شرحه .

وذكر : أن في سنة عشر وسبعمئة حج من الديار المصرية عسكر قوى — فيه من الأمراء الطبلخانات — يريدون لزَمَ الشريفين حَمِيْضَةَ ورُمَيْثَةَ . فلما علما بذلك نفرا من مكة ، ولم يحصل . العسكر على قبضتهما . فلما توجه العسكر إلى الديار المصرية عادا إلى مكة — شرفها الله تعالى —^(٢) .

وقال في أخبار سنة اثنتى عشرة وسبعمئة : وفعل فيها حَمِيْضَةَ ورُمَيْثَةَ ما لا ينبغي من نهب التجار ؛ لأنهما خافا أن يَقْبِضَ عليهما الملكُ الناصر فعذلا عن مكة ، وعادا إليها بعد ذهاب ١٠ الملك الناصر . وذلك أنه حج في هذه السنة في مائة^(٣) فارس ، وستة آلاف مملوك على الهجن .

وقال في أخبار سنة ثلاث عشرة وسبعمئة : وفي السنة المذكورة وصل الشريف أبو الغيث بن أبي ثُمَيٍّ من الديار المصرية

(١) في الأصل « البهجة » ، والمثبت عن المرجع السابق . وانظر العقود اللؤلؤية

. ٣٨٤/١

(٢) وانظر العقود اللؤلؤية ٣٩٤/١ .

(٣) كذا في الأصل . والعقد الثمين ٤٠٦/٤ ، والعقود اللؤلؤية ٤٠٢/١ ،

وإتحاف الورى ١٤٩/٣ . وسبق في أخبار حميضة ص ٥٦ من هذا الجزء أنه حج في ألف فارس . وفي السلوك للمقريزى ١/٢ : ١١٩ « توجه إلى الحجاز في أربعين أميراً » . وفي درر الفرائد ٦٧٥ « في نحو أربعين أميراً ، وستة آلاف مملوك ، ومائة فارس » .

إلى مكة المشرفة ، ومعه عسكرٌ جَرَّارٌ ، فيهم من المماليك الأتراك^١ ثلاثمائة وعشرون فارساً ، وخمسمائة فارس من أشراف المدينة ، خارجاً عما يتبع هؤلاء من المتخطفة والحرامية . ولما علم حُمَيْضَةُ ورُمَيْثَةُ بأمرهم هربوا إلى صوب حَلِي^(١) ابن يعقوب ، واستولى أبو الغيث على مكة^(٢) .

وقال في أخبار سنة أربع عشرة وسبعمائة : ففى المحرم سار أبو الغيث وطَقَصُبَا إلى صَوْب حَلِي ابن يعقوب لطلب حُمَيْضَةَ ورُمَيْثَةَ وسَارَا قَدَرَ مَرَحَلَتَيْنِ ، ولم يجدا خبراً عن الشريفين المذكورين ؛ لأنهما لحقا ببلاد السَّراة ، ووصلا إلى حلي ابن يعقوب ، ولم يدخلها طَقَصُبَا ، وقال : هذه أوائل بلاد السلطان^{١٠} الملك المؤيد ، ولا ندخلها إلا بمرسوم السلطان الملك الناصر . فعاد على عقبه^(٣) . انتهى .

وولي رُمَيْثَةُ مكة في سنة خمس عشرة وسبعمائة . وهذه ولايته الثالثة ، ودامت ولايته عليها إلى انقضاء الحج من سنة سَبْع عشرة وسبعمائة ، أو إلى أوائل سنة ثمان عشرة واستقل بإمرة مكة فيها .^{١٥}

قال صاحب نهاية الأرب ، في أخبار سنة خمس عشرة : وفي هذه السنة / في ثالث جمادى الآخرة وصل السيد الشريف ١١٣ ظ

(١) حلي ابن يعقوب : مدينة ساحلية بينها وبين مكة ثمانية أيام . (ياقوت .

معجم البلدان) .

(٢) وانظر العقود اللؤلؤية ٤٠٧/١ .

(٣) المرجع السابق ٤١٠/١ .

أسد الدين أبو عَرَادَةَ رُمَيْثَةَ بن أَبِي نُمَيٍّ من الحجاز إلى الأبواب السلطانية ، وأظهر التوبة والتنصّل والاعتذار بسالف ذنوبه ، وأنهى أنه استأنف الطاعة ، وسأل العفو عنه ، وإنجاده على أخيه عز الدين حُمَيْضَةَ ؛ فقبل السلطان عُذْرَهُ وعفا عن ذنبه ، وجرّد طائفة من العسكر مقدمهم الأمير نجم^(١) الدين دُمُرْخَان بن قَرَمَانَ ، والأمير سيف الدين طَيِّدُمَر الْجَمَدَار ، فتوجها هما والأمير أسد الدين إلى الحجاز الشريف في ثانی شعبان ، ورحلوا من بركة الحاج في رابعه . فلما وصلوا إلى مكة — شرفها الله تعالى — كان بها حُمَيْضَةُ ، فقصده وكتبوا أصحابه وهم على غِرَّة فقتلوا وسبوا ونهبوا ، وفَرَّ هو في نفر يسير من أصحابه إلى العراق ، والتحق بخَزِينَدَا ملك التتار ، واستنصر به ، فمات خَزِينَدَا قبل إعانته . انتهى .

وفي هذا ما يوهّم أن رميثة والعسكر الذى كان معه واقعوا حُمَيْضَةَ بمكة . وليس كذلك ؛ لأنهم لم يواقعوه إلا بالخلف والخليف ؛ لهروبه منهم إليه مستجيراً بصاحبه ، كما ذكر البرزالي في تاريخه ، وقد تقدّم ذلك في ترجمة حُمَيْضَةَ .

١٥

وذكر صاحب نهاية الأرب : ما يقتضى أن ولاية رُمَيْثَةَ بمكة زالت بعد انقضاء الحج من سنة سبع عشرة ، أو في أوّل سنة ثمان عشرة ؛ لأنه قال في أخبار سنة ثمان عشرة وسبعمئة : وفي صفر من

(١) في الأصل « أسد الدين » . وفي العقد الثمين ٤/٤٠٨ « سيف الدين » .

والثبت عن السلوك للمقرئى ١/٢ : ١٤٥ ، والدرر الكامنة ١٩٢/٢ برقم ١٦٩٨ .

هذه السنة وردت الأخبار من مكة — شرفها الله تعالى — أن الأمير^١ عز الدين حَمِيْضَة بن أُمَيَّ ، بعد عود الحاج من مكة ، وثب على أخيه الأمير أسد الدين رُمَيْثَة — بموافقة العبيد — وأخرجه من مكة ؛ فتوجّه رُمَيْثَة إلى نخلة — وهى التى كان حَمِيْضَة [بها]^(١) — واستولى حَمِيْضَة على مكة — شرفها الله تعالى — .
وقيل إنه قطع الخطبة السلطانية ، وخطب لملك العراقين ، وهو أبو سعيد بن خَرْنَدَا بن أرغون بن أبغا بن هولاكو .

وذكر تجريد صاحب مصر فى سنة ثمان عشرة للعسكر الذى تقدّم ذكره فى ترجمة حَمِيْضَة ، لإحضاره ، وذكر أيضاً ما يقتضى أن رُمَيْثَة كان أميراً [على]^(١) مكة فى سنة ثمان عشرة . وهذه ولايته الرابعة التى استقل فيها ؛ لأنه قال فى أخبار سنة تسع عشرة : وفى يوم الخميس السابع من المحرم وصل الأمير شمس الدين آق سنقر الناصرى ، أحد الأمراء ، من الحجاز الشريف إلى قلعة الجبل ، ووردت الأخبار معه أنه قبض على الأمير أسد الدين رُمَيْثَة أمير الحجاز الشريف ، وعلى الأمير سيف الدين بهادر الإبراهيمى أحد^{١٥} الأمراء ، وهو الذى كان قد جرد بسبب الأمير عز الدين حَمِيْضَة .

والذى ظهر لنا فى سبب القبض عليهما أن رُمَيْثَة نُسِبَ إلى مباطنة أخيه حَمِيْضَة ، وأن الذى يفعله من التشعيث بمباطنة رُمَيْثَة ، وأن الأمير لما توجه لمحاربة حَمِيْضَة ، والقبض عليه ركب إليه

(١) سقط فى الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ٤٠٩/٤ .

- وتقاربا من بعضهما بعضاً ، وباتا على ذلك ، ولم يقدم الإبراهيمي^١ على مهاجمته والقبض عليه ؛ فاقضى ذلك سجنه . واتصل بالسلطان أيضاً أن الإبراهيمي ارتكب فواحش عظيمة بمكة — شرفها الله تعالى — / فرسم بالقبض عليهما ، ووصل الأمير أسد الدين رُمَيْثَة ، ورسم عليه بالأبواب السلطانية أيّاماً ، ثم حصلت الشفاعة فيه ؛ فرفع عنه الترسيم ، وأقام يتردد إلى الخدمة السلطانية مع الأمراء إلى أثناء ربيع الآخر من السنة . فحضر إلى الخدمة في يوم الاثنين رابع عشره ، ثم ركب في عشيّة النهار على هَجْنٍ أُعِدَّتْ له، وهَرَبَ نحو الحجاز ؛ فعلم السلطان بذلك [في ^(١)] يوم الثلاثاء ، فجرّد خلفه جماعةً من عُربان العايد ، فتوجهوا خلفه ، وتَوَجَّهَ الأميران المبدأ بذكرهما^(٢) ، ومن معهما من^{١٠} العربان ، فوصلوا إلى منزلة حَقْل — وهي بقرب أيلة مما يلي الحجاز — فأدركوه في المنزلة فقبضوا عليه ، وأعادوه إلى الباب السلطاني . وكان وصولهم في يوم الجمعة الخامس والعشرين من الشهر ، فرسم السلطان باعتقاله في الجُبِّ . فاعتقل ، واستمر في الاعتقال إلى يوم الخميس الثاني من صفر سنة عشرين وسبعمائة ، ١٥

(١) إضافة على الأصل .

(٢) كذا في الأصل ، والعقد الثمين ٤/١٠٠ . والذي في السلوك للمقريزي ١/٢ : ١٩٣ ، ١٩٤ « أن السلطان بعث في طلبه الأمير قتلوك بك المغربي ، والأمير آقبا آص الجاشنكير على الهجن السلطانية ، في ليلة الخميس سابع عشره ؛ فقبضا عليه بمنزلة حقل ، في يوم الاثنين حادى عشره ، وقدم به في خامس عشره ، فسجن في الجب من القلعة » .

فرسم بالإفراج عنه . انتهى .

- وذكر البرزالي ما يوافق ما ذكره النويري في « نهاية الأرب » في ١ القبض على رُمَيْثَة بمكة ، وذكر أن ذلك في يوم الثلاثاء رابع عشر ذي الحجة بعد انقضاء أيام التشريق ، وحُمِلَ إلى مصر تحت الاحتفاظ . فلما وصل أكرمه السلطان ، وأجرى عليه في كل شهر ألف درهم ؛ فبقي يجرى ذلك عليه نحو (١) أربعة أشهر ، وهرب من القاهرة إلى الحجاز ، وعلم السلطان بهروبه (٢) في اليوم الثالث (٣) ؛ فكتب إلى شيخ آل حرب يقول : هذا هَرَبَ على بلادك ، معتمداً عليك ، ولا أعرفه إلا منك . فركب شيخ آل حرب بالهجن السَّبَق ، وسار خلفه مُجِدًّا ؛ فأدركه نائماً تحت عقبة أيلة ، فجلس عند رأسه وقال : اجلس يا أسود الوجه . فانتبه رُمَيْثَة وقال : ١٠ صدقت ، والله لو لم أكن أسود الوجه لما نمت هذه النومة المشعومة حتى أدركتني ، فقبض عليه وحمله إلى قبضة السلطان ، فألقاه في السجن وضيق عليه . فقيل له : إنه وَجِعَ يَرْمِي الدَّم . وكان قبض عليه شيخ آل حرب في شهر جمادى الأولى سنة تسع عشرة وسبعمائة . انتهى .

١٥

وإنما ذكرنا ما ذكره البرزالي ؛ لأنه يُخَالِفُ ما ذكره النويري

في أمرين :

- (١) في الأصل « حول » ، والمثبت عن العقد الثمين ٤ / ٤١٠ .
 (٢) في الأصل ، والمرجع السابق « بهزيمة » ، والمثبت يقتضيه السياق .
 (٣) كذا في الأصل . وفي المرجع السابق « اليوم الثاني » .

أحدهما : في تاريخ القبض على رُمَيْثَة ؛ لأنه على ما ذكره ١
البرزالي كان في جمادى الأولى ، وعلى ما ذكره النويرى كان في ربيع
الآخر .

والآخر : أن ما ذكره النويرى يقتضى أن رُمَيْثَة لما وصل إلى
مصر أَهَيْنَ ، وما ذكره البرزالي أنه أَكْرَمَ عند وصوله إلى مصر .
وفيما ذكره البرزالي فائدة ليست تُفْهَم من كلام النويرى ،
وهى تاريخ القبض على رُمَيْثَة وغير ذلك .

وكان من أمر رُمَيْثَة أنه أطلق (١) في سنة عشرين وسبعمئة ،
وتوجّه إلى مكة ، ولكن أمر مكة إلى أخيه عُطَيْفَة ، على ما ذكر
البرزالي ؛ لأنه قال في تاريخه : وفي الثالث والعشرين من ذى القعدة ١٠
وصل نائب السلطنة الأمير سيف الدين أرغون ، هو وبيته وأولاده
ومماليكه ، ومعه الأمير رُمَيْثَة بن أبى ثُمَيّ ، وتألّم لذلك أهل مكة ،
لكن (٢) أمر مكة لأخيه عُطَيْفَة .

وذكر أيضاً ما يقتضى : أن أمر مكة في بعض سنّى / عشر
الثلاثين وسبعمئة كان إلى أخيه عُطَيْفَة ، وسيأتى ذلك في ترجمته . ١٥

١١٤ ظ

(١) في الأصل « انطلق » ، والمثبت عن العقد الثمين ٤١١/٤ .

(٢) وفي العقد الثمين ٩٧/٦ « لأنّ الناس يحبون عطيفة لعدله . قال : لكن أمر
مكة إلى عطيفة وهو مشكور السيرة » . وفي إتحاف السورى ١٧٠/٣ « لأنّ الناس
يجتمعون على حب عطيفة ، لكن أمر مكة إلى أخيه عطيفة » . ويفهم من السياقين أن
تألّم الناس كان لظنهم أن الأمير أرغون أحضر معه رميثة ليوليها الإمرة ، ولم يكن الأمر
كذلك ؛ لأنّ الإمرة بقيت مع عطيفة .

وذكر أيضاً ما يقتضى : أنه كان أمير مكة في سنة إحدى وعشرين وسبعمئة ؛ لأنه قال في أخبار هذه السنة : ورد كتاب موفق الدين عبد الله الحنبلي^(١) ، إمام المدرسة الصالحية — من القاهرة — وهو مؤرخ بمستهل جمادى الآخرة ، يذكر فيه : أنه جاء في هذا القُرب كتاب من جهة عُطَيْفَة أمير مكة ، يذكر فيه : أن رُمِيَّة قد حَلَفَ له بنو حَسَن ، وقد أظهر مذهب الزَيْدِيَّة . وجاء معه كتاب آخر من جهة مملوك هنالك لنائب السلطنة ، فيه مثل ما في كتاب عُطَيْفَة ؛ وقد انجرح السلطان من هذا الأمر ، واشتد غضبه على رُمِيَّة .

وذكر أنه في سنة ست وعشرين وسبعمئة : قدم إلى الديار المصرية . انتهى .

وذكر ابن الجزرى في تاريخه : ما يقتضى أن رُمِيَّة كان أميراً على مكة في بعض سنَى عشر الثلاثين وسبعمئة ؛ لأنه ذكر أنه سأل المُحَدِّث شهاب الدين أبا عبد الله محمد بن علي بن أبى بكر الرقي ، المعروف والده بابن العديسة^(٢) بعد قدومه إلى دمشق من

(١) هو عبد الله بن محمد بن عبد الملك بن عبد الباقي الربيعي المقدسى الحنبلى ، موفق الدين . ولى قضاء الحنابلة بالديار المصرية في جمادى الآخرة سنة ٧٣٨ هـ وظل قاضياً إلى أن مات في المحرم سنة ٧٦٩ هـ . (الدرر الكامنة ٤٠٤٣/٢ برقم ٢٢٢٣) .

(٢) ترجم له الصفدي في الوافى بالوفيات ٢٢١/٤ برقم ١٧٤٨ ، والحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة ١٧٨/٤ برقم ٤٠٣١ وفيهما : تولى مشيخة الخانقاه المجاهدية ، واشتغل بالحديث ، ومات في ذى القعدة سنة ٧٣٦ هـ .

الحج في سنة خمس وعشرين وسبعمئة ، عن أمور تتعلق بالحجاز وغيره ، وأنه قال له : والحكام يومئذ على مكة الأميران أسد الدين رُمَيْثَة ، وسيف الدين عَطِيفَة ، ولدا الشريف نجم الدين أبي نُمَيّ الحسن المقدم ذكره . انتهى .

وقال ابن الجزري في أخبار سنة ثلاثين وسبعمئة : وحضر عَطِيفَة على العادة ، ولبس خلعة السلطان ، ولم يحضر أخوه رُمَيْثَة ، ولا اجتمع بالأمراء ، ولكنه حضر الموقف مع أخيه . انتهى .

ورأيْتُ في بعض التواريخ : أنه لما قدم مكة في سنة عشرين وسبعمئة كان أميراً على مكة . وولايته في هذا التاريخ — إن صحت — هي ^(١) ولايته الخامسة وإلا فهي ما ذكره ابن الجزري من ١٠ ولايته في عشر الثلاثين كما سبق تعيينه . وولايته السادسة هي أطول ولاياته ؛ لأنها دامت اثنتي عشرة سنة أو أزيد .

وفي تاريخ ابن الجزري شيء من خبر ابتدائها ؛ لأنه ذكر أنه لما وصل العسكر المجرّد إلى مكة في سنة إحدى وثلاثين وسبعمئة ، بسبب قتل الدُّمُر ، وجدوا الأشراف والعبيد جميعهم قد هربوا ، وجاء ١٥ المشايخ والصلحاء إليهم ، وتشفعوا إليهم ، واستحلفوا الأمراء للشريف رُمَيْثَة على أنه إذا جاء إلى مكة لا يؤذونه ، فحضر عند ذلك إلى مكة واجتمع بالأمراء ، وبذل الطاعة ، وحلفوا له ، وكسوه الخلعة السلطانية ، وولّوه إمرة مكة ، وقرىء تقليدُه وأمانُ السلطان عَزَّ

(١) في الأصل ، والعقد الثمين ٤/١٣ « هذه » ، والمثبت يستقيم به السياق .

نصره . وانفصل الحاج ، وأخبر أن أخاه وأولاده والعبيد هربوا إلى اليمن .

وأقام العسكر بمكة واحداً^(١) وثلاثين يوماً ، ثم توجهوا منها إلى المدينة الشريفة ، بعد أن تأخر منهم خمسون نفساً ، بسبب الحج ، ويعودون مع الركب ، وحصل خير كثير ، فالحمد لله لم يُرَقْ بسببهم مُحَجَّمَةٌ دم ، ولا آذوا أحداً من الخلق .

وذكر أن المقدم على هذا العسكر الأمير سيف الدين أَيْدَغُمُش^(٢) — أمير مائة مقدم ألف — وكان فيهم أربعة أمراء ، ولم يروا في طريقهم أحداً من العرب ولا غيرهم ، ووجدوا الأشراف والعبيد جميعهم قد هربوا . وذكر أن وصولهم إلى مكة كان في العشر الأول من ربيع الآخر سنة / إحدى وثلاثين وسبعمائة ، وأنه وصل ١١٥ إلى السلطان رسول من أمير مكة رُمَيْثَةَ ، وتوجّه من القاهرة في سادس عشر جمادى الآخرة من السنة .

وذكر ابن محفوظ شيئاً من خبر ولاية رُمَيْثَةَ السادسة ، وبعض حاله فيها مع أخيه عَطِيفَةَ ، وغير ذلك ؛ لأنه ذكر ما معناه : أن ١٥

(١) في الأصل ، والعقد الثمين ٤١٣/٤ « إحدى » .

(٢) هو الأمير أيدغمش بن عبد الله الناصري الطباخي ، صار أمير آخور في عهد الناصر محمد بن قلاوون ، ثم تولى نيابة حلب ، ثم نيابة دمشق ، وتوفي بها فجأة سنة ٧٤٣ هـ . (الدرر الكامنة ٤٥٥/١ برقم ١١٢٠ ، والدليل الشافي ١٦٧/١ برقم ٥٩٧ : وسماه المقرئ في السلوك ٢/٢ : ٣٢٩ « أيتمش ») .

الشريفيْن عَظِيْفَة ورُمِيْثَة لما سمعا بوصول العسكرِ إلى مكة الذي مُقَدَّمُه أَتَيْتُمُش^(١) وَلَيَّا منْهزمين إلى جهة اليمن ، وهربَ الناسُ من مكة إلى نخلة وغيرها ، ودخل العسكر مكة ؛ فأقام بها مدة شهر ، ثم بعد ذلك سيروا للشريف رُمِيْثَة أماناً ، وهو خاتم ومنديل ؛ لأنه لم يكن متهماً في قتل الأمير — يعني الدُّمُر^(٢) — وقالوا ما قتله إلا مَبَارَك بن عَظِيْفَة . فلما أن جاءه الأمان تقدم إليهم فخلعوا عليه ، وأعطوه البلاد وحده دون أخيه عَظِيْفَة ، وأعطوه خيراً كثيراً من الدقيق والكعك والشعير والسكر ، وأعطوه أربعين ألف درهم ، وارتحلوا عنه إلى مصر .

وذكر أيضاً ما معناه : أن في سنة أربع وثلاثين جاء الشريف ١٠ عَظِيْفَة من مصر ، ونزل أم الدمن^(٣) ، ثم جاء إلى مكة ، وأخذ نصف البلاد من أخيه الشريف رُمِيْثَة . فلما كان ليلة النزول من منى أخرجه رُمِيْثَة بلا قتال ؛ فتوجّه إلى مصر صحبة الحاج ، وأقام بها إلى أن جاء مع الحاج المصري في سنة خمس وثلاثين مُتَوَلِّياً ١٥ لنصف البلاد ، وأخذ ذلك بلا قتال .

(١) كذا ورد في الأصل ، والعقد الثمين ٤/٤١٤ ، ويتفق مع ما ورد في السلوك ، في حين أن المؤلف سماه أيدغمش نقلاً عن ابن الجزري ، وانظر التعليق السابق .

(٢) هو الأمير ألدمر بن عبد الله الناصري ، قتل في فتنة جرت في مكة في ربيع عشر ذي الحجة سنة ٧٣٠ هـ هو وولده خليل . وانظر العقد الثمين ٣/٣٢٧ برقم ٨٠٣ ، وإتحاف الوري ٣/١٨٩ ، ١٩٠ .

(٣) أم الدمن : وهي بطرف خلبص كما سجد في كتابنا هذا ، ص ٤٢٤

وذكر أيضاً ما معناه : أن رُمِيَّةً وَعُطِيفَةً كانا متولين البلاد
 في سنة ست وثلاثين ، وأن بعد مُدَّة جَرَتْ بينهما وحشةٌ ومُبَاعَدَةٌ ،
 فأقام الشريف عُطِيفَةً بمكة ومعه المماليك ، ورُمِيَّةً [بالجديد إلى
 شهر رمضان . فلما كان في اليوم الثامن والعشرين منه ركب
 الشريف رُمِيَّةً ^(١) في جميع عسكره ، ودخل مكة على الشريف .
 عُطِيفَةٌ بين الظهر والعصر . وكان الشريف عُطِيفَةً برباط أم
 الخليفة ^(٢) ، والخيـل والدروع والتجافيف في العلقمية ^(٣) [فلم يزالوا
 قاصدين إلى باب العلقمية ، ولم يكن معهم رجاـجيل فوقف على
 باب العلقمية ^(٤) من حماها إلى أن أغلقت ، والموضع ضيق لا
 مجال للخيـل فيه ، وحمّت ذلك الغز والعيـدُ ؛ فلم يحصل في ذلك
 اليوم للشريف رُمِيَّةٌ ظفر . وقُتِلَ في ذلك اليوم من أصحاب رُمِيَّةٍ
 وزيرُهُ واصلُ بن عيسى الزَّبَّاع — بزاي معجمة وباء موحدة وألف
 وعين مهملة — وخُشِيعَةُ ابن عم الزَّبَّاع ، ويحيى بن مُلَاعِب ؛ وولوا
 راجعين إلى الجديد . ولم يُقَتَل من أصحاب عُطِيفَةٍ غير عبد واحد
 أو اثنين — والله أعلم .

١٥

(١) سقط في الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ٤١٥/٤ .

(٢) رباط أم الخليفة : هو رباط أم الخليفة الناصر العباسي ، ويعرف بالعطيفية ؛
 لأن الشريف عطيفة صاحب مكة كان يسكنه ، وتاريخ وقفه سنة ٥٩٧ هـ . (شفاء
 الغرام ٣٣١/١) .

(٣) العلقمية : دار كانت لبني عجلان الأشراف التميميين قرب المروة من مكة ،
 كانوا بنوها سجنًا يسجنون فيه خصومهم ، وقد أزيلت في توسيعات المسجد الحرام .
 (معجم معالم الحجاز ١٠/١٠٠) .

(٤) سقط في الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ٤١٥/٤ .

وذكر : أن في هذه السنة لم يُحجَّ الشريفان رُمَيْثَةُ وَعُطَيْفَةُ ؛^١
لأن رُمَيْثَةَ أقام بالجديد ، وَعُطَيْفَةُ أقام بمكة .

وذكر ما معناه أن رُمَيْثَةَ وَعُطَيْفَةَ اصطُلِحَا في سنة سبع
وثلاثين ، وأقاما مُدَّةً ، ثم توجَّهَا إلى ناحية اليمن بالواديين . وترك
عُطَيْفَةُ ولده مباركاً بمكة ، وترك رُمَيْثَةُ ولده مُعَامِساً بالجديد ،
وحصل بين مُبَارَكٍ وَمُعَامِسٍ وحشةٌ وقتال ، ظفر فيه مُبَارَكٌ .

وذكر : أن في هذه السنة استدعى صاحبُ مصر الشريفين
عُطَيْفَةَ ورُمَيْثَةَ ، فذهبا إلى مصر ؛ فلزم عُطَيْفَةُ ، وأعطى رُمَيْثَةَ
البلاد ، وجاء إلى مكة .

وذكر في أخبار سنة ثمان وثلاثين وسبعمئة : أن الشريف
رُمَيْثَةَ كان متولياً مكة وحده إلى أن مات .

وذكر : أن في سنة أربع وأربعين وسبعمئة اشترى عجلانُ^{١١٥} ظ
وَتَقَبَةُ البلاد من والدهما الشريف / رُمَيْثَةَ بِسِتِّينَ ألف درهم ؛ لأنه
كان ضعف وكبر ، وعجز عن البلاد ، وعن أولاده ، وبقي كل منهم
له حكم . وبعد ذلك توجَّه الشريف تَقَبَةُ إلى مصر باستدعاء من^{١٥}
صاحبها الصالح إسماعيل ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون^(١) ،

(١) هو الملك الصالح إسماعيل بن الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون ،
تسلطن بعد خلع أخيه الملك الناصر أحمد في المحرم سنة ٧٤٣ هـ واستمر إلى أن مات في
ربيع الأول سنة ٧٤٦ هـ ، وكان مشكور السيرة . (الوافي بالوفيات ٢١٩/٩ برقم
٤١٢٣ ، والدرر الكامنة ٤٠٦/١ برقم ٩٦٠ ، والدليل الشافي ١٢٩/١ برقم ٤٥١ ،
والنجوم الزاهرة ٧٨/١٠ - ١٤٢) .

وبقى عجّلان وحده في البلاد إلى آخر ذى القعدة ، ثم وصل ١
مرسوم من سلطان مصر برّد البلاد على الشريف رُمَيْثَة ، ولُزِمَ
الشريف ثقبه في مصر . فلما علم الشريف عَجْلَان بذلك خرج
إلى ناحية اليمن .

ثم قال : وبعد رواح الحاج وصل الشريف عَجْلَان من جهة ٥
اليمن ، ونزل الزاهر ، وأقام به أياماً ، ثم بعد ذلك اصطَلَح هو وأبوه ،
وأخذ من التجار مالاً جزيلاً . وما ذكره من وصول مرسوم سلطان
مصر برّد البلاد على الشريف رُمَيْثَة هي ولايته السابعة .

ثم قال : في سنة خمس وأربعين وسبعمائة : كان المتولى لمكة
الشريف رُمَيْثَة .

ثم قال : في سنة ست وأربعين وسبعمائة : توجه الشريف ١٠
عجّلان إلى ديار مصر ؛ فأعطاه السلطانُ الملك الصالحُ البلادَ دون
أبيه رُمَيْثَة . انتهى .

ووجدت بخط غيره : أن في ليلة الثامن عشر من جمادى
الآخرة من سنة ست وأربعين وسبعمائة — بعد المغرب منها — دُعِيَ ١٥
للشريف عجّلان على زمزم ، وقُطِعَ دعاءُ والده رُمَيْثَة . ومات يوم
الجمعة الثامن من ذى القعدة سنة ست وأربعين وسبعمائة بمكة ،
وطيف به وقت صلاة الجمعة ، والخطيب على المنبر ، قبل أن يفتتح
الخطبة ، وسكت الخطيب حتى فرغوا من الطواف به . وكان ابنه
عجّلان يطوف معه ، وجعله في مقام إبراهيم ، وتقدّم أبو القاسم بن ٢٠

- الشقيف الزيدي^(١) للصلاة عليه ، فمنعه من ذلك قاضي مكة
 شهاب الدين الطبري^(٢) ، وصلى عليه بحضرة عجلان ولم يقل
 شيئاً ، ودُفن بالمعلاة عند القبر الذى يقال [إنه]^(٣) قبر خديجة
 بنت خويلد رضى الله عنها ، زوج النبي ﷺ . ولما مرض لم يكن
 بمكة ، وأتى به إليها . وقد دخل فى النزع فى نصف ليلة الخميس .
 السابع من ذى القعدة — انتهى بالمعنى — انتهى كلام الفاسى .
- قال الوالد^(٤) : ويقال إن الذى تقدم للصلاة عليه شخص
 يسمى عمران من الزيدية .

- أنشدنا العلامة قاضى القضاة جمال الدين أبو حامد محمد بن
 عبد الله بن ظهيرة القرشي رحمة الله عليه — إجازة — قال : أنشدنى

(١) هو أبو القاسم بن محمد بن حسين بن محمد ، المعروف بابن الشقيف ،
 كان كبير الزيدية بمكة ، ثم عقد له مجلس بحضرة القاضى عز الدين بن جماعة بمكة ،
 واستتيب فيه ، وأشهد على نفسه ، وكتب بخطه : أنه تبرأ إلى الله تعالى من اعتقاد أهل
 البدع والزيدية والإمامية وغيرهم ، وأنه يواظب على الجمعة والجماعة .. توفى فى سنة
 ٧٦٠ هـ بمكة . (العقد الثمين ٨٩/٨ برقم ٢٩٧٥) .

(٢) هو أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله الطبري ، قاضى مكة
 شهاب الدين أبو الفضل ابن قاضى مكة نجم الدين ابن قاضى مكة جمال الدين ابن
 الشيخ محب الدين الطبري ، المكي الشافعى . ولى قضاء مكة بعد أبيه ، واستمر حتى
 مات فى شعبان سنة ٧٦٠ هـ . (العقد الثمين ١٦١/٣ برقم ٦٤٧) .

(٣) إضافة على الأصل .

(٤) أى فى بغية المرام لوحة ٩٧ .

- عبد الواحد بن الكاتب^(١) لنفسه يمدح قاضي القضاة بمكة المشرفة ١
 شهاب الدين أحمد ابن العلامة قاضي القضاة نجم الدين محمد بن
 محمد الطبري لكونه تقدم في الصلاة على السيد الشريف رُمَيْثَة بن
 أبي نُمَيّ الحسنى أمير مكة ، ودفع عمران فقيه الزيدية حيث^(٢) أراد
 [أن]^(٣) يصلي عليه بعد الجمعة ، وصَلَّى عليه ، وذلك في ٥
 ذى القعدة سنة ست وأربعين وسبعمائة :

يا فعلةً في جبين الدهر رَوَّعُهَا

مصورٌ فائِقُ كُلِّ التصاوِيرِ

أصَبَتْ وَفَّقَتْ لا زالت موفقة

- أفعالك العُرُّ في سُودِ الأعاصيرِ ١٠

نَكَّسَتْ أعلامَ فسقٍ وانفردت بما

أَقَرَّ عَيْنَ التَّقَى^(٤) بَيْنَ الجماهيرِ /

١١٦ و

لَيْسَتْ تُقاومُهَا الدنيا بأَجْمَعِهَا

تُعَسِّأُ وَسُحْقاً لِكُفَّارِ المقاديرِ

- قال شيخنا جمال الدين بن ظهيرة : وزاد على ذلك والدى ١٥

فقال :

(١) هو عبد الواحد التونسي المالكي المعروف بابن الكاتب ، توفي في مصر في
 عشر الستين وسبعمائة . (العقد الثمين ٥/٥٢٩ برقم ١٩٠٧) .

(٢) كذا في الأصل . وفي المرجع السابق ٥/٥٣٠ « حين أراد الصلاة عليه » .

(٣) إضافة على الأصل .

(٤) كذا في الأصل . وفي العقد الثمين ٥/٥٣٠ « الورى » .

- ١ لا زال سعدك في الآفاق مُشْتَهراً
بين الأنام وفي كلِّ الأقطار
- وقد رأيت هذه الأبيات خلا الأخير ذكرها (١) المؤلف رحمه الله (٢) في ترجمة عبد الواحد التونسي المالكي المعروف بابن الكاتب الأديب .
- ٥ وَبُنِيَتْ عليه قبةٌ هي باقية إلى الآن لكنها رثّة . انتهى كلام الوالد .
- وقال الفاسي (٣) : ولالأديب موفق الدين علي بن محمد الحنيدى من قصيدة يمدح بها الشريف رُمَيْثَةُ بن أبي نُمَيٍّ ، أولها :
- ١٠ بالله هاتِ عَنِ اللَّوَى وطلولِهِ
وعَنِ الْعَضَا وَحَلَالِهِ وَحُلُولِهِ
أَطْلِ الحديثَ فَإِنَّ تقصيرَ الذى
يَلْقَى مِنَ التَّبْرِيجِ فِي تَطْوِيلِهِ
عَلَّلْ بِذِكْرِ الْعَامِرِيَّةِ قَلْبَهُ
١٥ فَشَفَاءُ غُلَّةٍ ذَاكَ فِي تَعْلِيلِهِ
وَإِذَا عَلِيلُ الرِّيحِ أَهْدَى نَحْوَهُ
نَشْرًا فَنَشْرُ عَلِيلِهِ بِعَلِيلِهِ

(١) في الأصل « ذكرهم » .

(٢) أى، التقى الفاسي في العقد الثمين ٥/٥٢٩ ، ٥٣٠ .

(٣) العقد الثمين ٤/٤١٨ .

- ١ رَشًا دَنَا فَرَمَى فُوَادَ مُجَبِّهِ
عَنْ قَوْسٍ حَاجِبِهِ بِسَهْمٍ كَحِيلِهِ
وَحَوَى الْقُلُوبَ بِأَسْرَهَا فِي أَسْرِهِ
وَسَبَا التُّهَى بِرَسِيلِهِ وَأَسِيلِهِ
٥ وَيَّيَاضِهِ وَسَوَادِهِ وَقَوِيٍّ
وَضَعِيفِهِ وَخَفِيفِهِ وَثَقِيلِهِ

ومنها :

- وَقَفِيًّا الظَّلَّ الذِي ضَمِنْتَ لَهُ الْـ
أَيَّامُ يَبْنَ مَبِيتِهِ وَمَقِيلِهِ
١٠ حَطَّ الرَّحَالَ بِمَكَّةٍ وَأَقَامَ فِي
حَرَمِ الْخِلَافَةِ بَعْدَ طُولِ رَحِيلِهِ
جَلَبَ الْمَدِيحَ بِمُنْجِدِ بْنِ مُحَمَّدٍ بـ
بْنِ نَبِيِّهِ بْنِ وَصِيِّهِ بْنِ بَتُولِهِ
وَأَغْرَأَ أَنْجَبَهُ الْبَطِينُ وَمَجَّهُ أَبـ
١٥ رَاهِيْمُهُ فِي صُلْبِ إِسْمَاعِيلِهِ

ومنها :

- مَا يَبْنَ شَبْرَهُ وَيَبْنَ شَبِيرَهُ (١)
شَرَفٌ يَطُولُ لِهَاشِمٍ وَعَقِيلِهِ

(١) الشبر والشبير : من أسماء أولاد النبي هارون عليه السلام ، وبأسمائهم سمي النبي ﷺ أولاده الحسن والحسين . (تاج العروس — ش ب ر) .

- ١ نَسَبَ كَمْشَقَ الشُّمُوسِ وَمَفَحَّرَ
 بَاغَ الْكَوَائِبِ قَاصِرٌ عَنْ طُولِهِ
 أَمَّا الْفُرُوعُ فَلَيْسَ مِثْلُ فُرُوعِهِ
 وَكَذَا الْأَصُولُ فَلَيْسَ مِثْلُ أُصُولِهِ
 ٥ يَا بَنَ الْمُظَلَّلِ بِالْعِمَامَةِ وَالَّذِي
 قَدْ أُنْزِلَ الْقُرْآنُ فِي تَفْضِيلِهِ
 مَاذَا عَسَى مَدْحِي وَقَدْ نَزَلَ الشَّنَا
 فِيكُمْ مِنَ الرَّحْمَنِ فِي تَنْزِيلِهِ
 فِي «هَلْ أَتَاكَ» وَ«هَلْ أَتَى» وَحَدِيدِهِ
 ١٠ حَقًّا وَغَافِرِهِ وَفِي تَنْزِيلِهِ
 قَالُوا مَدَحْتَ رُمَيْثَةً فَأَجَبْتُهُمْ
 لَيْسَ الْمَدِيحُ يَنَالُ غَيْرَ مُنِيلِهِ
 وَلَكَيْفَ لَا أَثْنَى عَلَى مَنْ عَمَّنِي
 دُونَ الْوَرَى مِنْ خَيْرِهِ بِجَزِيلِهِ /
 ١٥ ١١٦ ظ بِنُضَارِهِ وَلُجَيْنِهِ وَثَوَابِهِ
 وَثِيَابِهِ وَرِكَابِهِ وَخُيُولِهِ

وللأديب أبي عامر منصور بن عيسى بن سحبان الزبيدي^(١)
 في الشريف رُمَيْثَةَ مدائح كثيرة ، منها قصيدة أولها :

(١) والمتوفى سنة ٧٢٥ هـ . (العقود اللؤلؤية ٣٨/٢ ، والأعلام للزركلي

١ ما أَوْمَضَتْ سَحَرًا بَرُوقُ الْأَبْرِقِ
إِلَّا شَرِقْتُ بِدَمْعِي المَترَقِرِ
ومنها :

ظَبْيٌ (١) شَغِفْتُ بِهِ وَغَضُنُ شَبَابِهِ
غَضُّ وَرْدُ شَبِيَّتِي لَمْ يَخْلُقِ
شَقَّتْ عُرَى كَبِدِي شَقَائِقُ خَدِّهِ
وَبِكَأْسٍ فَتَنَّتِهِ سُقَيْتُ وَمَا سُقِي
ومنها :

مَا فَاتَ مِنْ عُمْرِي فَلِلْغَيْدِ الدُّمَى
١٠ لَا أَرُشَ فِيهِ وَلِلصَّبَابَةِ مَا يَقَى
ومن مديحها :

رَجُلٌ إِذَا اشْتَبَهَ الرَّجَالَ عَرَفْتُهُ
بِجَلَالِ صُورَتِهِ وَحُسْنِ الْمَنْطِقِ
وَمُظَفَّرِ الْحِمَالَتِ يَرْقُصُ مِنْهُ قَلْدُ
١٥ بُ الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى وَقَلْبُ الْمَشْرِقِ
عَلِمَ يَدُلُّ عَلَى كَمَالِ صِفَاتِهِ
كَرْمُ الْفُرُوعِ لَهُ وَطِيبُ الْمُعْرِقِ

(١) كذا في الأصل . وفي العقد الثمين ٤/٤١٩ ، وسمط النجوم العوالي ٤/٢٣٧

١ يَلْقَى بِوَجْهِ الْبِشْرِ طَارِقَ بَابِهِ
 كَرَمًا وَيُرْزَقُ مِنْهُ مَنْ لَمْ يُرْزَقِ
 عَزَّتْ بَنُو حَسَنِ بِدَوْلَتِهِ التِّى
 عِزُّ الذِّلِيلِ بِهَا وَأَمْنُ الْمُفْرِقِ
 ٥ هُوَ صُبْحُ لَيْلَتِهَا وَبَدْرُ ظَلَامِهَا
 وَلِسَانُ حِكْمَتِهَا وَصَدْرُ الْفَيْلَقِ
 لَا يَتَّقَى مِنْ كُلِّ حَادِثَةٍ بِهَا
 وَبِهِ بِمَكْرُوهِ الْحَوَادِثِ نَتَّقَى
 وله فيه من قصيدة أولها :

١٠ حفظ العهدَ بَعْدَنَا أَمْ أَضَاعَا
 وَعَصَى لِإِثْمَامِهِ (١) أَمْ أَطَاعَا
 وَرَعَى حُرْمَةَ الْجَوَارِ وَرَاعَى
 أَمْ دَهَى بِالْفِرَاقِ قَلْبِي وَرَاعَا
 مَنْ يَكُنْ يَحْمَدُ الْوَدَاعَ فَإِنِّى
 ١٥ بَعْدَ يَوْمِ النَّوَى أَذُمُّ الْوَدَاعَا
 جِيرَتِي مَا لَنَا حِفْظُنَا هَوَاكُمُ
 وَغَدَا حُبُّنَا لَدَيْكُم مُضَاعَا

(١) فى الأصل « لا تهامه » . وفى العقد الثمين ٤/٢٠ « لإثمامه » . والمثبت

عن سمط النجوم العوالى ٤/٢٣٨ .

- ١ إِنَّ مَنْ قَدَّرَ الْفِرَاقَ عَلَيْنَا
 قَادِرٌ أَنْ يُقَدِّرَ الْإِجْتِمَاعَا
 قُلْ لِدَاتِ الْقِنَاعِ هَلْ جِئْتُ ذَنْبًا
 فِيكَ حَتَّى أُسْبِلَتْ دُونِي الْقِنَاعَا
 ٥ إِنَّ مَنْ أَشْبَعَ السَّوَارَ بِزَنْدِي—
 لِكَ لِمَجْرَى الْوِشَاحِ مِنْكَ أَجَاعَا

ومنها :

- خَالِطِ النَّاسَ بِالْخِدَاعِ فَمَا أَكُ
 شَرُّ أَهْلِ الزَّمَانِ هَذَا خِدَاعَا
 ١٠ قُلْ لِأَهْلِ الزَّمَانِ لَسْتُ وَإِنْ رِي—
 عَ سِوَايَ بِكَيْدِكُمْ مُرْتَاعَا
 نَحْنُ فِي دَوْلَةٍ إِذَا مَا مَدَّتِ النَّا
 سُ إِلَيْنَا شِبْرًا مَدَدْنَا ذِرَاعَا
 إِنْ يَكُنْ قَبْلَهَا نِزَاعٌ فَقَدْ أَصَدَّ
 ١٥ بَعَّ حَتَّى الصَّغِيرُ مِنْهَا يُرَاعَى /

ومنها :

١١٧ و

- طَلَبْتُ بِي أَبَا عَرَادَةَ عَيْسُ
 لَا تَمَلُ الْإِرْقَالَ وَالْإِيضَاعَا
 عَرَسْتُ مِنْ رُمَيْثَةٍ بِعَرَاضِ
 ٢٠ لَمْ يَزَلْ ثَبْتُ رَوْضَهَا مِمْرَاعَا

- ١ نَزَلَتْ سُوحَهُ عِطَاشاً جِيَاعاً
فَأَقَامَتْ بِهِ رِوَاءً شِبَاعاً
رَجُلٌ لَا تَرَاهُ بِالْمَالِ مِفْراً
حاً وَلَا مِنْ مُلَمَّةٍ مِجْزَاعاً
وَعَلَيْهِ بِكُرُ الْخِلَافَةِ أَلَقَتْ
٥ إِذْ رَأَتْهُ رِدَاءَهَا وَالْقِنَاعَ
لَيْسَ بِالنَّازِلِ الْوَهَادِ مِنَ الْأَرِّ
ضِي وَلَكِنَّهُ يَحُلُّ الْيَقَاعَ (١)
مُوقِداً نَارُهُ عَلَى نَشْرِ الْأَرِّ
١٠ ضِي إِذَا النَّاسُ لَبَسُوهَا الْقِنَاعَ
نَمْ هَنِئِئاً يَا جَارَهُ مِلءَ عَيْنَيْهِ
لَكَ وَلَا تَحْشَ ثَانِياً أَنْ تُرَاعَا

وله فيه من أخرى أولها :

- جَنَائِكَ أَمْضَى مِنْ عِطَاشِ الْقَنَاءِ عَزْماً
وَأَرْجَحُ مِنْ رَضْوَى وَمَنْ يَذْبُلُ حِلْماً
١٥ وَكُلُّ لَهُ ضِدُّ يُسَامِيهِ فِي الْعُلَا
وَلَسْتُ تُسَامَى لَا وَمَنْ عَلَّمَ الْأَسْمَا

(١) كذا في الأصل ، وسمط النجوم العوالى ٢٣٨/٤ . وفي العقد الثمين ٤٢١/٤

(٤) (والبقاعا) .

١ فما لِلْمَعَالِي يَا رُمِيَّةُ غَايَةً
تُفَوِّتُ الْوَرَى إِلَّا أَحْطَتْ بِهَا عِلْمًا
تُعَدُّ رَسُولَ اللَّهِ جَدًّا وَحَيِّدْرًا
أَبَاً وَالْبُتُولَ الطُّهْرَ يَا ذَا الْعُلَى أَمَّا
وَتَنْدُبُ إِبْرَاهِيمَ خَالًا وَتَعْتَزِي
٥ إِلَى جَعْفَرِ الطَّيَّارِ مُنْتَسِبًا عَمَّا
وله فيه من أخرى :

وَمَجْدُولَةٍ جَدَلُ الْقَنَا وَتَبَاعَدَتْ
مَزَارًا وَمَا أَشْهَى إِلَى مَزَارِهَا
١٠ تَقُولُ حَمَتْنِي أَنْ أُمِيطَ لِثَامَهَا
وَكَانَ بِيُودَى أَنْ أُحْلَلَ إِزَارَهَا (١)
مَهَاةٍ إِذَا مَا أَفْرَشْتَنِي يَمِينَهَا
وَهَوِّمْ طَرْفِي أَفْرَشْتَنِي يَسَارَهَا
يُسَاوِرُ قَلْبِي بَاعِثُ الْوَجْدِ وَالشَّجَا
١٥ إِذَا رَكَّبْتُ فِي سَاعِدَيْهَا سِوَارَهَا
ومنها في المدح :

مَلِيكَ أَقَامَ الْحَقُّ بَعْدَ آعُوجَاجِهِ
وَشَيْدٌ مِنْ سَمَكِ الْمَعَالِي مَنَارَهَا
مَتَى بَطِرْتُ قَوْمٌ أَذَلَّ عَزِيزَهَا
وإنْ عَثَرْتُ جَهْلًا أَقَالَ عِثَارَهَا ٢٠

(١) هذا من المجون الذي ينبغي التنزه عنه في كتاب عن أخبار سلطنة البلد الحرام . «المراجع»

- ١ إِذَا جَادَ يَوْمًا لَمْ يُشَقَّ غُبَارُهُ
وإنْ شَهِدَ الْهَيْجَاءَ شَقَّ غُبَارَهَا
أَشْمُ قِيَادِي الْأُبُوَّةَ بُرْدُهُ
حَوَى حِلْمَ آلِ الْمُصْطَفَى وَوَقَارَهَا
وَأَبْلَجَ مَحْضُورُ الْخَوَانِ يَمِينُهُ
تُزِيلُ عَنِ الْمُسْتَرْفِدِينَ أَفْتِقَارَهَا
جَمَالَ يَحَارُ الطَّرْفُ فِيهِ وَعَزَمُهُ
كَسَا فَخَرَهَا قَحْطَانُهَا وَنَزَارَهَا
وَمَا بَرِحَتْ إِنْ صِحْتُ يَوْمًا لِمُنْجِدٍ
١٠ كِبَارُ أَيَادِيهِ تُوِّمُ صِغَارَهَا

وللأديب عفيف الدين عبد الله بن علي بن جعفر ، قصيدة
فائقة يمدحها بها ، فمن غزلها : /

- ١١٧ ظ فتن القلوب هواكم حتى لقد
كَادَ الْهَوَى بِهَوَاكُمْ أَنْ يُفْتَنَّا
١٥ حَيَّا الْعَمَامُ دِيَارَ قَوْمٍ طَبَعُهُمْ
أَنْ لَا يَخَافَ الْجَارُ فِيهِمْ مَا جَنَى
أُمَيْمَ الْحَرَمِ الشَّرِيفِ وَقَاصِدًا
آلِ النَّبِيِّ ظَفِرَتْ غَايَاتِ أَلْمَنِ
لَا تَحْسَبَنَّ أَبَا نُمَيٍّ غَائِبًا
٢٠ فَرَمِيئَةُ بْنُ أَبِي نُمَيٍّ هَاهُنَا

- ١ ضَرَبَ السَّرَادِقَ حَوْلَ كَعْبَةِ مَكَّةَ
وَعَدَا لَهَا رُكْنًا وَكَانَ الْإِيْمَنَّا
وَحَمَى الذى قَدْ كَانَ وَالِدُهُ حَمَى
وَبَنَى الذى قَدْ كَانَ وَالِدُهُ بَنَى
٥ خَيْلٌ تُقَادُ إِلَى الْعَطَاءِ وَمِثْلُهَا
تَعْزُو وَأُخْرَى فِي الْمَرَابِطِ صُفْنَا
وَطَمَا خِلَالَ النَّعْجِ مِثْلَ جِدَاوِلِ
بِسُكُونِهِ غَسَلَتْ قَمِيصًا أَذْكُنَّا
وَفَتَى يُسَابِقُ فِي الطَّعَانِ قِرَائُهُ
١٠ فِيهِ تَكَادُ قَنَائُهُ أَنْ تَطْعَنَّا
يُكْنَوْنُهُ أَسَدًا وَحَيْدَرُ جَدُّهُ
وَالْقَوْمُ فَعْلُهُمْ دَلِيلٌ بِالْكُنَى
ابْنُ الدَّبِيحَيْنِ الدَّبِيحَ بِمَكَّةَ
وَالْمُفْتَدَى بِالذَّبَّاجِ فِي وَادِي مَنَى
١٥ فَهُوَ التَّمَامُ لِبَيْتِ آلِ مُحَمَّدٍ
وَهُوَ الْحُسَامُ بِلِ السَّنَامِ بِلِ السَّنَا
وَحُسَامُهُ سَبَقَ الْقَضَا وَخَوَانُهُ
مَلَأَ الْفَضَا وَطِعَانُهُ أَفْنَى الْقَنَا
مَا زَالَ يُفْنِي الْمُعْتَدِينَ بِسَيْفِهِ
٢٠ حَتَّى لَقَدْ لَقِيَ الْقَنَا مِنْهُ الْفَنَا
وَيَجُودُ بِالْأَمْوَالِ حَتَّى إِنَّهُ
لَيَرَى ذَهَابَ الْمَالِ مَلَأَ يُقْتَنَى

- ١ فَإِذَا وَرَدَتْ إِلَى خِصَمِّ نَوَالِهِ
 فَأَبْسَطُ يَدَيْكَ فَقَدْ أَصَبْتَ الْمَعْدِنَا
 تَأَبَّى سَوَائِمُهُ الرِّيعَ لَمَّا رَأَتْ
 أَنَّ لَيْسَ يَذْبَحُ مِنْهُ إِلَّا الْأَسْمَنَا
 وَيَظُنُّ حَازِنُهُ الْحَفِيطُ لِمَالِهِ
 ٥ أَنَّ الضِّيَاعَ لِمَالِهِ أَنْ يُخْزِنَا
 قِيلَ يَضُمُّ إِلَى عَظِيمٍ مَهَابَةٍ
 خُلِقَا أَرْقَ مِنَ النَّسِيمِ وَالنَّيْنَا
 تَقِفُ الْمَنِيَّةُ وَالْأَمَانِي حَيْثُ مَا
 ١٠ يُومِي وَلَيْسَ تَسِيرُ حَتَّى يَأْذَنَا
 مَاذَا يَقُولُ الْمَدْحُ فِيمَنْ مَدَحُهُ
 جَعَلَ الْإِلَٰهَ بِهِ كِتَابًا بَيْنَا
 طَوَّقْتَنِي وَأَخْوَلَكَ طَوَّقِي مَنِيَّةً
 أَحْسَنْتَ فِيهَا حَيْثُ شِئْتَ وَأَحْسَنَا
 ١٥ لَمَّا حَطَطْتَ الرَّحْلَ فِي سَاحَاتِكُمْ
 أَوْلَيْتُمُ النَّعَمَ الْفَرَادَى وَالشَّنَا
 قَدْ صِرْتَ تَعْرِفُنَا لَدَيْكَ فَإِنْ تَرَدُّ
 يَوْمَ الْمَعَادِ لِحَوْضِ جَدِّكَ فَاسْقِنَا
 لَيْسَ اللِّسَانُ يُطِيقُ أَنْ يُحْصِيَ لَكُمْ
 ٢٠ شُكْرًا فَكُونِي يَا جَوَارِحُ السُّنَا /
 ١١٨ فَلَا شُكْرَنَّ وَفَوْقَ شُكْرِي أَنْتُمَا
 وَلَا تُثْنِيَنَّ وَأَنْتُمَا فَوْقَ الشَّنَا

انتهى كلام الفاسي .

قلت^(١) : وذكر الفاسي أيضاً في ترجمة محمد بن أحمد بن ميمون بن قاسم التُّوسِي المالكِي ، المعروف بابن المغربي^(٢) قصيدة في مدح الشريف رُمَيْثَة بن أبي نُعْمَى الحسني صاحب مكة وهي :

السَّعْدُ قَارَنَ وَجْهَكَ الْمَسْعُودَا
واللهُ مَلَكٌ مُلْكُكَ التَّجْلِيدَا
وَجُيُوشُ نَصْرِكَ يَا رُمَيْثَةَ أَقْبَلَتْ
تَسْعَى إِلَيْكَ عَسَاكِرًا وَجُنُودَا

ومنها :

لا زالَ سَعْدُكَ بِالْدَّوَامِ مُوَفَّقَا
وَسَدِيدُ رَأْيِكَ فِي الْأُمُورِ^(٣) رَشِيدَا
يَا طَاعِنَ اللَّبَاتِ وَخَزَا بِالْقَنَا
وَالْحَرْبُ شَبَّ شَرَّارَهُ الْمَوْفُودَا
يَا بَهْجَةَ الدُّنْيَا وَعَيْنَ زَمَانِهَا
وَسَخِيهَا وَمَلِيَّهَا الْمَقْصُودَا
أَمَنْتَ خَوْفَ الْمُسْلِمِينَ وَرَوْعَهُمْ
وَلَمَمْتَ شَمْلَهُمْ فَصَارَ نَضِيدَا

(١) أي المؤلف عز الدين بن فهد . .

(٢) العقد الثمين ٣٨٧/١ برقم ٦٣ .

(٣) في الأصل « الأنام » ، والمثبت عن المرجع السابق .

لَا زِلْتَ ذُخْرًا لِلْأَنَامِ وَمَلَجًا
وَعَمِيمٌ مُلْكِكَ لِلْوَرَى مَمْدُودًا
وَبَقِيَتْ فِي النِّعَمِ الَّتِي أُوتِيَتْهَا
مُتَقَلِّبًا وَعَلَى الْعُلَا مَحْسُودًا

وتركت سائرهما لكون ما ذكرته أصلح شيء فيها . انتهى .

وقال الوالد (١) : وقال الشريف أحمد بن علي بن الحسين بن
عقبة الحسيني في كتابه « عمدة الطالب في نسب آل أبي طالب » :
وأما رُمَيْثَةُ بن أبي ثُمَيٍّ ، ويلقب أسد الدين ، ويكنى أبا عَرَادَةَ
فملك مكة بعد أبي الغيث ، وطالت مُدَّتُهُ ، وكان سيداً جليلاً
شجاعاً شاعراً ، ولما تغلب ابنه الشريف أحمد على الحِلَّة (٢) ١٠
وأعمالها ، كتب إليه قصيدة يذكر فيها شرف مكة وفضائلها ، ويذم
العراق وأهلها ، ويُحذِّرُ ولده من صولة المغول . فأجابه ابنه أحمد
بقصيدة على رَوِيَّهَا ، ولما قتل (٣) ابنه أحمد ووصل إليه الخبر ، قال :
قد علمت إذ تَعَرَّضَ لبلاد المغول أنه مقتول . ولم تسر من العراق
قافلة إلى مكة بعد أن قُتِلَ وَلَدُهُ إلى أن مات رحمه الله . ١٥

(١) مقولة النجم بن فهد المنسوبة إلى الشريف أحمد بن علي بن الحسين في كتابه
« عمدة الطالب في نسب آل أبي طالب » لم ترد في ترجمة الشريف رميثة بكتاب بغية
المرام اللوحات ٩٢ — ٩٩ و ، ولم ترد كذلك في إتحاف الوري ١٧٠/٣ — ٢٣٢ .
(٢) الحلة : من بلاد العراق بين الكوفة وبغداد . (معجم البلدان لياقوت) .
(٣) قتل أحمد بن رميثة في ثامن عشر رمضان سنة ٧٤٢ هـ بعد أن ملك الحلة
وغيرها ، واجتمع عليه الأعراب من ربيعة وخفاجة ، ثم غدرت به المغل . وانظر العقد
الشمين ٤١/٣ .

وولد أسد الدين رُمَيْثَة أولاداً منهم : أحمد ، وسَد ، ١
وعَجَلان ، وثَقْبَة ، ومُعَامِس ، ومُبَارَك . انتهى .

* * *

١٨١ - أبو العَيْث بن أُمَيَّ محمد بن أبي سعد

[حسن] بن علي بن قَتَادَة الحسني المكي .

قال الفاسي (١) : الأمير عماد الدين ، أمير مكة .

ولي إمرتها في موسم سنة إحدى وسبعمئة ، شَرِيكاً لأخيه
عُطَيْفَة ، وقيل لمحمد بن إدريس كما ذكر صاحب بهجة الزمن (٢) ،
وذكر أنه أخرج محمد بن إدريس واستبدَّ بالإمرة ، وجرت بينهما
حروب كثيرة ، قتل فيها جماعة من الأشراف . ثم عزل في الموسم ١٠
من سنة أربع وسبعمئة بأخويه رُمَيْثَة وحُمَيْضَة . ثم ولي الإمرة في
سنة ثلاث عشرة وسبعمئة ، ووصل فيها إلى مكة ومعه عسكر
جَرَّار فيه ثلاثمائة وعشرون فارساً من الترك ، وخمسمائة فارس من
أشراف المدينة ، خارجاً عما يتبعهم من المتخطفة .

فلما علم به أخواه هربا إلى صوب حَلِي ابن يعقوب ، فسار ١٥
إليهما في سنة أربع عشرة ؛ فلم ير لهما أثراً ؛ لأنهما لحقا ببلاد

(١) العقد الثمين ٧٩/٨ برقم ٢٩٥٥ .

(٢) وانظر العقود اللؤلؤية ٣٣٦/١ ، وإتحاف الوري ١٣٥/٣ .

١١٨ ظ السَّراة . انتهى . /

- وذكر البرزالي : أن الجيش التركي أقام مع أبي الغيث شهراً ،
ثم ضَاقَ منهم وقَصَّرَ في حقهم ، وصَارَ يَتَكَسَّبُ (١) عليهم ، وكتب
لهم بخطه أنه قد استغنى عنهم ، فتوجهوا من عنده ؛ فقصده أخوه
حُمَيْضَةُ — بعد جمعة — وحاربه ، فقتل من أصحاب أبي الغيث
نحو خمسة عشر رجلاً ، ومن الخيل أكثر من عشرين ؛ فانهمز
أبو الغيث ولحق بأخواله من هذيل بوادي نخلة . وأرسل إلى
السلطان هدية فوعده بنصره ، ويقال إنه أمر صاحب المدينة بنصره .
ثم التقى مع أخيه حُمَيْضَةُ فغَلِبَ أبو الغيث ثانية مع كون جماعته
أكثر عدداً ، وأسِرَ ثم ذُبِحَ بخيف بنى شديد ، بأمر أخيه حُمَيْضَةُ .
وكانت هذه الواقعة في رابع [الحجة سنة أربع] (٢) عشرة وسبعمائة
بقرب مكة ، وكلام صاحب بهجة الزمن يُفهِمُ أنها كانت في سنة
خمس عشرة ، وهو وهم . والله أعلم . انتهى . انتهى كلام الفاسي .

- قال الوالد (٣) : وقال الشريف أحمد بن علي بن الحسين بن
عُقْبَةَ الحسني في كتابه « عمدة الطالب في نسب آل أبي طالب » :
وأما أبو الغيث بن أبي نُمَيٍّ فكان أبوه أبو نُمَيٍّ قد فَوَّضَ إليه مُلْكُ الحجاز
بعد وفاته ، وسلَّم له إخوته ذلك . فمكث على ذلك مدة يسيرة ، ثم

(١) كذا في الأصل ، والعقد الثمين ٨٠/٨ .

(٢) سقط في الأصل ، والمثبت عن المرجع السابق .

(٣) لم ترد هذه المقولة في بغية المرام لوحة ٩٩ ، وأيضاً في إتخاف الوري

- ١ أن أخاه حُمَيْضَةَ قتلته على فراشه ، وحمله إلى داره . ثم استدعى إخوته للضيافة فاجتمعوا إليه — وكان أبو الغيث ينام أكثر أوقاته إلى الضحى لصغر سنه ، فظنوا أنه نائم ، وأنه سيأتى للضيافة — فما راعهم إلا وأبو الغيث مقتولاً في جفنة مسلوقاً كما هو قد وضع بين أيديهم . وعلى رأس كل منهم غلامان أسودان من غلمان حُمَيْضَةَ . واقفان بالسلاح . فأذعنوا له بالملك قَهْرًا ، فملك مكة ستة أشهر ، ثم قُبِضَ عليه وحُمِلَ إلى مصر ، فوَكِّلَ عليه في دار ، ومنع من الخروج مدة ثلاث سنين . ثم إنه احتال بأن أمر بعض خواص غلمانه بأن يأتية بفرس له معروف . ويضمّره ويعدّه للهرب . ففعل الغلامُ ذلك . وأتاه بالفرس ، وأوثقه على باب الدار ، ودخل إليه ، ١٠ فلبس السيد ثياب الغلام ، وألبسه ثياب نفسه ، ثم خرج فلم يَشْكُ الموكلون أنه الغلام الذى دخل ، فركب الفرس وهرب عليها إلى العراق . وسيأتى إن شاء الله تمام حكايته عند ذكره ، ومضى أبو الغيث دارجاً^(١) . انتهى كلام ابن عقبة .

* * *

- ١٨٢ — عُطَيْفَةُ بن أبى ثُمَيٍّ محمد بن أبى سعد حسن بن ١٥ علي بن قَتَادَةَ الحسنى المكي .

(١) وانظر سمط النجوم العوالى ٢٨٨/٤ .

أخو السابق ذكره . ١

قال الفاسي^(١) : يُلقَّب سيف الدين . أمير مكة .

ولي إمرتها نحو خمس عشرة سنة ، مستقلاً بها في بعضها ،
وشريكاً لأخيه رُمَيْثَة في بعضها .

وذكر بَيْرَس الدوادار ، أو النويرى في تاريخه^(٢) — الشك .
منى — : ما يقتضى أنه ولي إمرتها شريكاً لأخيه أبى الغيث لَمَّا أن
ولاه الجاشنكير إمرتها في موسم السنة التى مات فيها أبوهما وهى سنة
إحدى وسبعمائة ، بعد القَبْضِ على أخويه المتغلبين على مكة :
حُمَيْضَة ورُمَيْثَة ؛ تأدياً لهما على قبضهما أبى الغيث وعُطَيْفَة ، كما
تقدّم مشروحاً في ترجمة حُمَيْضَة ورُمَيْثَة . ١٠

وذكر صاحب « بهجة الزمن » أن الجاشنكير أَمَرَ بمكة في
موسم سنة إحدى وسبعمائة — بعد القبض على حُمَيْضَة
ورُمَيْثَة — أبى الغيث ، ومحمد بن إدريس بن قتادة / وهذا يخالف ما
ذكره بَيْرَس — أو النويرى — من أنه أَمَرَ عُطَيْفَة مع أبى الغيث .
والله أعلم بالصواب . ١٥

وذكرى النويرى : أن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون

(١) العقد الثمين ٩٥/٦ برقم ٢٠٠٣ .

(٢) يقول فؤاد سيد في تعليقه على المرجع السابق : إن ولاية عطيفة لإمرة مكة
شريكاً لأخيه أبى الغيث في سنة إحدى وسبعمائة مذكورة في نهاية الأرب ج ٣٠
لوحه ٢ .

- صاحب مصر وَلَّى عُطَيْفَةَ إمرة مكة في سنة تسع عشرة وسبعمائة^١ بعد القبض على أخيه رُمَيْثَةَ بمكة في موسم سنة ثمان عشرة ، وأن السلطان جَهَّزَ مع عُطَيْفَةَ — لنصرته — عسكرياً مع أميرين : عز الدين ...^(١) ، وعز الدين أَيْدُمَرُ الملوكي ، وأنهم توجهوا من القاهرة في شهر الله المحرم من سنة تسع عشرة وسبعمائة ، ولما وصل العسكرُ إلى مكة أجلسوا بها عُطَيْفَةَ وأقاموا عنده ، وتوجَّهَ الذين كانوا بها من العام الماضي ، وكثُرَ بمكة الأمنُ والعدلُ ، وُرخصتِ الأسعارُ بحيث إنه بيعت غرارة القمح — في هذه السنة — بمائة وعشرين درهماً ، على ما ذكره البرزالي . ولا أدري هل أراد بالغرارة الغرارة المكية أو الشامية .

- ولما حج السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون في هذه السنة — أعني سنة تسع عشرة وسبعمائة — سأله المجاورون بمكة أن يترك عندهم فيها من يمنعمهم من أذى حُمَيْضَةَ لهم ، ففعل وترك بها الأمير شمس الدين سُنْقُرُ^(٢) في مائة فارس . ولما قصد حُمَيْضَةَ مكة — وعُطَيْفَةَ بها — خرج إليه عُطَيْفَةَ ، ومع عُطَيْفَةَ أخوه عَطَافُ ، وآخر من إخوته ، وعسكره ضعيف ، فنصرهم الله على حُمَيْضَةَ

(١) بياض في الأصل بمقدار كلمتين كتب فوقه « كذا » ، ومثله في العقد الثمين

٩٦/٦ ، وإتحاف الوري ١٦٣/٣ .

(٢) كذا في الأصل ، والعقد الثمين ٩٦/٦ ، وفي السلوك للمقرئزي ١/٢ :

٢٠٣ ، وإتحاف الوري ١٦٦/٣ « الأمير آق سنقر شاد العمائر » . وانظر ما سبق في ص ٦٦ .

وكسروه ، وكان ذلك في جمادى الآخرة من سنة عشرين^١ وسبعمائة . وقتل حُمَيْضَة بعد ذلك بأيام .

وذكر البرزالي نقلاً عن كتاب الشيخ فخر الدين التويري^(١) : أن مكة كانت في هذه السنة طيبة من كثرة المياه والخير والأمن ، وأرسل إليها من الغلال ما له قيمة كثيرة .

وذكر البرزالي : أنه جاء في هذه السنة من اليمنيين والكارم خلق كثير إلى مكة ؛ بسبب عدل عُطَيْفَة .

قال وذكر : أن الناس تَأَلَّمُوا لِحْجَاءِ رُمَيْثَة من مصر إلى مكة في موسم هذه السنة صحبة الأمير أَرْغُون النائب الناصري ؛ لأن الناس يُحِبُّونَ عُطَيْفَة لعدله . قال : لكن أمر مكة إلى عُطَيْفَة وهو مشكور السيرة . انتهى .

ورأيتُ في كلام بعضهم ما يقتضى أن رُمَيْثَة ولى إمرة مكة في هذه السنة شريكاً لأخيه عُطَيْفَة . والله أعلم بالصواب .

وذكر البرزالي : ما يقتضى أن رُمَيْثَة كان أمير مكة في سنة إحدى وعشرين وسبعمائة ؛ لأنه قال في أخبار هذه السنة : وردَ كتابُ موفق الدين عبد الله الحنبلي إمام المدرسة الصالحية من

(١) كذا في الأصل ، والعقد الثمين ٩٦/٦ . وللشيخ فخر الدين التويري ترجمة في العقد الثمين ٥٤/٦ برقم ١٩٧٦ ، ولكنها لم تتضمن أنه كان مؤرخاً فضلاً عن أن وفاته كانت بعد وفاة الشيخ علم الدين البرزالي بحوالى أربع عشرة سنة . ولعل المراد هنا هو الشيخ شهاب الدين أحمد بن علي التويري صاحب كتاب نهاية الأرب المتوفى سنة ٧٣٢ هـ .

- القاهرة ، وهو مؤرخ بمستهل جمادى الآخرة يذكر فيه أنه جاء في ١
هذا القرب كتاب من جهة عُطَيْفَة أمير مكة ، يذكر : أن رُمَيْثَة قد
حَلَفَ له بنو حسن ، وقد أَظْهَرَ مذهبَ الزيدية . وجاء معه كتاب
آخر من جهة مملوك هنالك لنائب السلطنة ، فيه مثل ما في كتاب
عُطَيْفَة . وقد تَحَرَّجَ السلطان من هذا الأمر ، واشتد غضبه على
رُمَيْثَة . انتهى .

- [وذكر ابن الجزرى ما يقتضى أن عُطَيْفَة كان أمير مكة في
سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة ؛ لأنه قال في أخبار هذه السنة : ورد
كتاب من القاهرة مؤرخ بشهر شعبان ، أن السلطان — أعزَّ الله
نصره — أبطل المكس المتعلق بالمأكول بمكة فقط ، وعوّض صاحب ١٠
مكة الأمير الشريف عُطَيْفَة ثلثى دمايل^(١) من صعيد مصر .
انتهى]^(٢) .

- وذكر ابن الجزرى — أيضاً — في تاريخه : ما يقتضى أن
رُمَيْثَة كان أميراً على مكة شريكاً لِعُطَيْفَة في بعض سني عشر
الثلاثين وسبعمائة ؛ لأنه ذكر : أنه سأل المحدث شهاب الدين ١٥
المعروف بابن العديسة — بعد قدومه إلى دمشق / من الحج في سنة ١١٩ ظ

(١) دمايل : وكذا في العقد الثمين ٩٧/٦ ، وشفاء الغرام ٢٤٤/٢ ، وإتحاف
الورى ١٧٦/٣ . وفي السلوك للمقريزى ١/٢ : ٢٣٦ « دماين » وهي بلدة من بلاد
مركز الأقصر بمحافظة قنا ، تقع على الشاطئ الغربى لليل . (خطط على مبارك
٢٠/١١) .

(٢) ما بين الحاصرتين سقط في الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ٩٧/٦ .

خمس وعشرين وسبعمائة — عن أمور تتعلق بالحجاز وغيره ، وأنه^١ قال : والحكام يومئذ على مكة الأميران الشريفان أسد الدين رُمَيْثَة ، وسيف الدين عُطَيْفَة ولدا أبي نُمَيٍّ . انتهى .

وذكر [ابن]^(١) الجزري أيضاً ما يقتضى أنَّ عُطَيْفَة كان منفرداً بإمرة مكة في سنة ست وعشرين وسبعمائة ؛ لأنه قال :
 ووصل أيضاً مرسوم كريم من السلطان إلى السيد عُطَيْفَة بتبطل مقام الزيدية والإنكار عليه في ذلك . وفي أمور حدثت بمكة ، فدخل السيد عُطَيْفَة عند وصول المرسوم الكريم وأخرج إمام الزيدية إخراجاً عنيفاً ، ونادى بالعدل في البلاد ، وحصل بذلك سرور عظيم للمسلمين . انتهى .

وإمام الزيدية المشار إليه هو — فيما أظن — رجل شريف^(٢) كان يصلى بالزيدية بين الركنين : اليماني والحجر الأسود ، فإذا صلى صلاة الصبح وفرغ من الصلاة دعا بدعاء مُبْتَدِعٍ وَجْهَر به صوته وهو : اللهم صلِّ على محمد ، وعلى أهل بيته المصطفين الأطهار ، المنتخبين الأخيار ، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً . اللهم انصر الحق والحقين ، واخذل الباطل والمبطلين ، ببقاء ظل أمير المؤمنين ترجمان البيان ، وكاشف علوم

(١) إضافة على الأصل .

(٢) وانظر ما سبق من تعليقاتنا ص ٩٦ ، والسلوك للمقريزي ٣/٢ : ٩٠٤ ،

١٠ : ١/٣ ، وإتحاف الوري ٣/٢٦٥ ، ٢٦٦ .

القرآن ، الإمام ابن الإمام ابن الإمام : محمد^(١) بن المطهر بن يحيى ١
ابن رسول الله ﷺ ، الذى للدين أحيا ، إمام المتقين ، وحجاب
الصائمين . اللهم انصره وشعشع أنواره ، واقتل حسّاده ، واكبث
أضداده . مع زيادات على هذا .

وكان إذا صلى صلاة المغرب دعا أيضاً بهذا الدعاء ، وجهر
به صوته في هاتين الصلاتين . وما زال على هذا الأمر إلى أن وصل
إلى مكة العسكرُ المصرى الجرد لليمن ؛ نُصرةً للملك المجاهد
صاحب اليمن^(٢) في سنة خمس وعشرين وسبعمئة . فعند ذلك
خرج هذا الإمام من مكة ، وأقام بوادى مرّ ، وما رجع إليها إلى
وقت الحج . انتهى ما ذكره ابن الجزرى نقلاً عن ابن العديسة من ١٠
خبر إمام الزيدية بمكة .

وكأنه عاد بعد الموسم إلى ما كان يفعله .

وحاصل ما ذكرناه من هذه الأخبار : أن ولاية عُطَيْفَةَ بمكة
في عشر الثلاثين وسبعمئة مختلف فيها : هل وليها فيها بمفرده ، أو شركه

(١) هو محمد بن المطهر بن يحيى بن المرتضى بن المطهر ، وهو من أئمة الزيدية
الذين تغلبوا على بعض المدن والحصون باليمن ، وتولى دعوة الزيدية من سنة ٧٠١ هـ إلى
أن توفي سنة ٧٢٩ هـ ترجيحاً . وانظر البدر الطالع ٢٧١/٢ برقم ٥٢٤ ، والأعلام
للزركلى ٣٢٤/٧ ، ومعجم المؤلفين ٣٧/١٢ .

(٢) هو علي بن داود بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول ، الملك المجاهد
صاحب اليمن ، ومنشئ المدرسة المجاهدية بمكة . تولى سلطنة اليمن بعد موت أبيه الملك
المؤيد في سنة ٧٢١ هـ ، وتوفي سنة ٧٦٤ هـ . (العقد الثمين ١٥٨/٦ برقم
٢٠٥٨) .

ففيما أخوه رُمَيْثَةُ ؟ .

ولم يزل عُطَيْفَةُ على ولايته إلى أن وصل العسكرُ المجرّد إلى مكة ، في سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة بسبب قتل الأمير الدُّمُر أمير جَنْدَار في سنة ثلاثين وسبعمائة في رابع عشر الحجة منها .

- ٥ ولما وصل العسكر إلى مكة وجدوا الأشراف قد هربوا بأجمعهم . وقد تقدم خبر هذا العسكر في ترجمة رُمَيْثَةُ ، وأنه استقر في إمرة مكة بمفرده ، ثم توجّه عُطَيْفَةُ إلى مصر ، وعاد منها في سنة أربع وثلاثين متولياً ، وأقام بموضع يقال له أم الدمن ، ثم جاء إلى مكة وأخذ نصف البلاد من أخيه رُمَيْثَةُ . فلما كانت ليلة النفر من منى أخرجه رُمَيْثَةُ من مكة بلا قتال ، فتوجّه عُطَيْفَةُ إلى مصر وأقام بها ، ١٠ إلى أن جاء صحبة الحاج في آخر سنة خمس وثلاثين ، وقد ولي نصف البلاد ، ومعه خمسون مملوكاً — شراء ومستخدمين — وأخذ نصف البلاد من / أخيه رُمَيْثَةُ بلا قتال ، وكانا متولين لمكة في سنة ١٢٠ و ست وثلاثين وسبعمائة .. ثم إنهما بعد مدة من هذه السنة حصلت بينهما وحشة ومباعدة ؛ فأقام عُطَيْفَةُ بمكة ومعه المماليك ، ورُمَيْثَةُ ١٥ بالجديد إلى شهر رمضان . فلما كان في اليوم الثامن والعشرين منه ركب رُمَيْثَةُ في جميع عسكره . ودخل مكة على عُطَيْفَةَ بين الظهر والعصر — وكان عُطَيْفَةُ برباط أم الخليفة والخيّل والدروع والتجافيف في العلقمية ، فلم يزل رُمَيْثَةُ وأصحابه قاصدين إلى باب العَلْقَمِيَّة — ولم يكن معهم رجال — فوقف على باب العلقمية مَنْ ٢٠ حَمَاهَا إلى أن أغلقت — والموضع ضيّق لا مجال للخيّل فيه —

والذين حموا العُزَّ والعبيد من غلمان عُطَيْفَة ؛ فلم يحصل في ذلك
اليوم لِرُمَيْثَة ظفر ، وقتل في ذلك اليوم من أصحاب رُمَيْثَة وزيره
واصل بن عيسى الزَّبَّاع ، وَخُشَيْعَة ابن عمّ الزَّبَّاع ، ويحيى بن
ملاعب ، وولوا راجعين إلى الجديد . ولم يقتل من أصحاب عُطَيْفَة
غير عبد واحد أو اثنين — فيما قيل — والله أعلم .

وذكر ابن محفوظ : أن في هذه السنة لم يحج الشريفان رُمَيْثَة
وعُطَيْفَة . واصطالحا في سنة سبع وثلاثين ، وأقاما مدة ، ثم توجها
إلى ناحية اليمن بالواديين ، وترك عُطَيْفَة وَلَدَه مُبَارَكاً ، وترك رُمَيْثَة
ابنه مُعَامَساً بالجديد . وحصل بين مُبَارَك ومُعَامَس وَحْشَة وقتال ،
ظفر فيه مبارك .

وذكر أن في هذه السنة استدعى صاحب مصر الشريفين
عُطَيْفَة ورُمَيْثَة ، فذهبا إلى مصر ، فلزم عُطَيْفَة ، وأعطى رُمَيْثَة
البلاد ، وجاء إلى مكة ، ولم يزل عُطَيْفَة بمصر إلى أن توفي بها في
سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة بالقبيبات ظاهر القاهرة ، ودفن بها .
وكان موصوفاً بشجاعة مفرطة ، وكان أكثر حرمة من أخيه رُمَيْثَة .

وقد بلغني عن الشريف أبي سُؤيد بن أبي دعيج بن أبي نُمَيّ
الحسني المكي الآتي ذكره^(١) ، قال : كان رُمَيْثَة مع عُطَيْفَة كمبارك
ابن عُطَيْفَة مع عجلان . انتهى بالمعنى .

(١) العقد الثمين ٥٣/٨ برقم ٢٨٩٨ ، ولم يذكر الفاسي في ترجمته سوى اسمه

- ١ ولم يكن لمبارك بن رُمَيْثَة قدرة على مخالفة أخيه عجلان فيما يتعلق بأمر دولته ، وكان عجلان له مُكْرَماً وقائماً بمصالحه .

وكان عُطَيْفَة يسكن برباط أم الخليفة الناصر لدين الله العباسي ، بالجانب الشامي من المسجد الحرام ، ولذلك قيل لهذا الرباط العطيفية ، لكثرة سُكْنَى عُطَيْفَة به . ووجد عُطَيْفَة في سقفه خبيئة فضة في الجانب الذي يلي المسجد الحرام ، والذي أرشده إلى ذلك نَجَّارٌ كان بمكة ، ولما ذكر ذلك النجار لعُطَيْفَة ، قال : أريد أن تُخْلِيَ لي الموضع ، وأن تحضر لي سلماً طويلاً ، فأحضر له سلّم الحرم ، وأخرج كلَّ من كان عنده ، حتى لم يبق معهما غيرهما . وكان عُطَيْفَة يُعِينُ النجار على حمل السلّم ونصبه حيث يختار النجار ، وكان النجار يفتح بالقدم عن الموضع التي يتخيّل أن بها الفضة مخبوءة ، وكانت الفضة دراهم مضروبة يقال لها « القازانية »^(١) وكان الذي وجدوه من ذلك كثيراً . ولم يكن عند النجار الذي أخرج هذه الفضة خبرٌ بها ، وإنما نظر إلى السقف فظهر له بذلك أنه مشغول .

١٥

(١) القازانية : نسبة إلى قازان ملك التتار ، ويقال له غازان أيضاً وهو محمود بن أرغون بن أبغا بن هولاكوبن تولى خان بن جنكرخان ، السلطان معز الدين . تولى ملك التتار في سنة ٦٩٣ هـ وأسلم في سنة ٦٩٤ هـ ففشا الإسلام في التتار ، وضربت السكة باسمه ، وهزَمَ جيشُه أمام جيوش مصر والشام في وقعة تل شقحب سنة ٧٠٢ هـ فنزل به الغم ، ومات في شعبان سنة ٧٠٣ هـ . (الدرر الكامنة ٢٩٢/٣ برقم ٣١٣٣) .

ولشيخنا — / بالإجازة — الأديب [يحيى] ^(١) النشو ١٢٠ ظ
الشاعر المكي في عَظِيفَة مدائح كثيرة منها من قصيدة — فيما أنبأنا
به — قوله :

ها قَدْ مَلَكْتَ لِمُهْجَتِي وَحُشَاشَتِي
فَأَنْظُرْ بَأَيِّهَمَا عَلَيَّ تَصَدَّقْ °
يا مُمْرِضِي بِيَعَادِهِ وَصُدُودِهِ
أنا عبد ودِّك بالحبّة مؤثَّق
بالله ما حَطَرَ السُّلُوْ بِحَاطِرِي
أبدًا ولا قلبي بِغَيْرِكَ يَعلَقُ
يا لائمي دَعْ عنك لَوْمِي في الهَوَى
ما أنت مِن رُوحِي بِرُوحِي أَرْفَقُ
لو ذُقْتَ ما قَدْ ذُقْتَهُ مِن لَوْعَةٍ
مَا كُنْتَ تَرَعْدُ بِالْمَلَامِ وَتُبْرِقُ
وَأَغْنِ فَتَانَ اللّٰوْحِظِ أَهْيَفِ
عَبِلَ الرَّوَادِفِ بِالْهَلَالِ مُطَوَّقُ ١٥
غُصْنِي يَمِيسُ عَلَيَّ نَقَى مِن فَوْقِهِ
بَدْرٌ عَلَيْهِ مِنَ الْمَلَا حَةِ رَوْقُ
يَحْكِي الْأَفَا حَةَ مَبْسِمًا وَبِثْغَرِهِ
خَمَرٌ بِمَرْشِفِهِ الشَّهْيِ مَرَوَّقُ

(١) إضافة عن العقد الثمين ٤٥٢/٧ برقم ٢٧١٨ ، وهو يحيى بن يوسف بن محمد بن يحيى المكي ، يلقب يحيى الدين ويعرف بالنشو الشاعر . توفي سنة ٧٨٢ هـ بمكة ، وكان يكتب الإنشاء لأمرائها .

١
لِلَّهِ مَا لَاقَيْتُ مِنْهُ وَلَمْ يَكُنْ
لِي فِي هَوَاهُ مُسَاعِدٌ أَوْ مُشْفِقٌ
إِلَّا الشَّرِيفَ عُطَيْفَةَ بْنِ مُحَمَّدٍ
مَلِكٌ بِظُلِّ جَنَابِهِ اسْتَوْثِقُ

ومنها :

٥
يَسْمُو عَلَى هَامِ السَّمَاءِ بِهَمَّةٍ
عَلِيًّا تَظَلُّ بِهَا السَّعَادَةُ تُحْدِقُ
تَمْشِي الْمَنَائِي تَحْتَ ظِلِّ حُسَامِهِ
لَا يُسْتَبَاحُ ذِمَامُهُ وَالْمَوْثِقُ
١٠ غَيْثٌ إِذَا مَا الْعَيْثُ أَخْلَفْنَا فَمِنْ
كَفِّهِ سَيْحٌ لِلْبَرِيَّةِ مُعْدِقُ
أَضَحَتْ بِهِ أُمُّ الْبِلَادِ أَنْيَسَةً
فَالْعَدْلُ مِنْهَا بِالْمَسَرَّةِ مُوْثِقُ

وقوله فيه من أخرى :

١٥ فَأَنْتَ الْمَلِيكُ ابْنُ الْمَلِيكِ أَصَالَةٌ
يُقَصِّرُ عَنْ أَوْصَافِكَ النَّظْمُ وَالنَّثَرُ
أَعَزُّ الْوَرَى قَدْرًا وَجَاهًا وَرِفْعَةً
وَأَبْسَطُهُمْ كَفًّا لَهُ الْحُكْمُ وَالْقَهْرُ

ومنها :

فَسَلُّ عَنْ عَلَاكَ النَّسْرَ يَا خَيْرَ مَا جِدَّ
فَقَدْ قِيلَ لِي مِنْ تَحْتَ أَقْدَامِكَ النَّسْرُ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ رُبَّةً
إِلَيْكَ بِهَا تُهْدَى الْمَثْوِيَّةُ وَالْأَجْرُ
فَمَا لَكَ فِي كُلِّ الْمُلُوكِ مُمَائِلٌ
وَقَدْ نُشِرَتْ بِالنَّصْرِ أَعْلَامُكَ الصُّفْرُ
بَقِيَتْ بَقَاءَ الدَّهْرِ بِالْمُلْكِ وَالْغِنَى
وَدَامَتْ لَكَ الْآيَامُ وَالْمَجْدُ وَالْفَخْرُ

وقوله فيه من أخرى :

بَلَوْتُ بَنَى الدُّنْيَا جَمِيعاً بِأَسْرِهِمْ
فَلَمْ أَرْ فِيهِمْ مَنْ لَهُ الشُّكْرُ وَالْحَمْدُ
سِوَى سَيْفِ دِينِ اللَّهِ فَهُوَ عُطِيفَةٌ
مَلِيكَ لَهُ مِنْ رَبِّهِ الْعِزُّ وَالْمَجْدُ
لَهُ هِمَّةٌ تَسْمُو إِلَى كُلِّ غَايَةٍ
هُوَ الطَّاهِرُ الْأَنْسَابِ وَالْعَلَمُ الْفَرْدُ
هُوَ الْمَلِكُ الْمَاجِي لِمَنْ كَانَ قَبْلَهُ
فَمَا فِي مُلُوكِ الْأَرْضِ طُرّاً لَهُ نِدْ /
هُوَ الْمُنْعَمُ الْمُؤَلَّى الْجَزِيلُ ^(١) تَفَضُّلاً
فَمِنْ سَيِّبِهِ قَدْ أَوْرَقَ الْحَجَرُ الصَّلْدُ

(١) كذا في الأصل ، وفي العقد الثمين ١٠٣/٦ « الجميل » .

- ١ كَرِيمٌ كِرَامُ الْعَصْرِ تَسْعَى لِبَابِهِ
وُفُوداً لَهُمْ مِنْهُ الْمَوَاهِبُ وَالرَّفْدُ
تَخِرُّ لَهُ كُلُّ الْمَلُوكِ مَهَابَةً
وَتُخْرَسُ مِنْ إِجْلَالِهِ الْأَلْسُنُ اللَّدُّ
٥ أَبَادَ الْأَعَادِي بِالصَّوَارِمِ وَالْقَنَا
لَهُ الْخَيْلُ فِي الْغَارَاتِ بِالنَّصْرِ تَحْتَدُّ
عَلَيْهَا رِجَالٌ مِنْ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبٍ
إِذَا وَعَدُوا أَوْفُوا وَإِنْ عَقَدُوا شَدُّوا

وقوله فيه من أخرى :

- ١٠ تَجْرِي مَقَادِيرُ الْإِلَهِ بِمَا تَشَاءُ
وَالدَّهْرُ قَدْ أَلْقَى إِلَيْكَ زِمَامَهُ (٢)
اللَّهُ أَعْطَاكَ (١) الَّذِي أَمَلْتَهُ
فَدَعِ الْحَسُودَ تُمِيتُهُ أَوْهَامُهُ
ومنها :

- ١٥ مَا لِلسُّكُوتِ إِفَادَةٌ عَنْ كُلِّ مَنْ
أَبَدَتْ بِهِ بَيْنَ الْوَرَى أَجْرَامُهُ
هَذَا قَدْ قَدَرْتَ فَلَا تَكُنْ مُتَوَانِيًا
فَالْأَفْعُوانُ قَوِيَّةٌ أَسْمَامُهُ

(١) هذا من الغلو المذموم الذي يَأْتِمُّ قَائِلُهُ وَهُوَ كَذِبٌ مُحْضٌ .

(٢) كَذَا فِي الْأَصْلِ ، وَسَمِطَ النُّجُومُ الْعَوَالِي ٢٣٤/٤ . وَفِي الْمَرْجِعِ السَّابِقِ « اللَّهُ

قَدْ أَعْطَى » .

- ١ لَا تَحْلُمَنَّ عَنِ الْعَدُوِّ تَكْرُمًا
كَمْ سَيِّدٌ ضَرَّتْ بِهِ أَحْلَامُهُ
لَا تَحْقِرَنَّ أَخَا الْعَدَاوَةِ إِنَّهُ
كَالْجَمْرِ يُوشِكُ أَنْ يَضُرَّ ضِرَامُهُ
٥ أَنْتَ الْمَلِكُ ابْنُ الْمَلِكِ أَصَالَهٗ
فَالْجُودُ مِنْكُمْ وَفَرَّتْ أَقْسَامُهُ
أَوْ مَا عَلِمْتَ بِأَنْ فِيكَ فَصَاحَةٌ
مَا حَاذَهَا قُسٌّ وَلَا أَقْوَامُهُ
لَيْتَ تَخَافُ الْأَسَدُ مِنْ سَطَوَاتِهِ
١٠ غَيْثٌ يَجُودُ عَلَى الْأَنَامِ غَمَامُهُ
مَنْ لَيْسَ مَشْغُولَ اللِّسَانِ (١) عَنِ النَّدَى
يَوْمًا إِذَا شَعَلَ الْيَمِينَ حُسَامُهُ

وقوله فيه من أخرى :

- مَنْ لِي بِسَفْحٍ مَنَى يَلُوحُ لِنَاطِرِي
وَالْبَرْقُ خَفَّاقٌ عَلَى أَعْلَامِهِ ١٥
قُلْ لِلْمُقِيمِ عَلَى أَثْيَالِ النَّقَا
لَا تَقْتُلِ الْمُشْتَقَّ قَبْلَ حِمَامِهِ

ومنها في المدح :

(١) كذا في الأصل ، والعقد الثمين ١٠٤/٦ . وفي سمط النجوم العوال
٢٣٤/٤ « البنان » ، وهو أنسب للمعنى .

- ١ المَالِكُ الْمَلِكُ الْمُطَاعُ لِأَمْرِهِ
لَيْتَ تَخَافُ الْأَسَدُ مِنْ إِقْدَامِهِ
سَيْفٌ لِدِينِ اللَّهِ فَهُوَ عُطِيفَةٌ
حَازَ الْفَخَارَ وَقَادَهُ بِزِمَامِهِ
٥ مَلِكٌ تَشَرَّفَتِ الْبِلَادُ بِعَدْلِهِ
وَالْعَدْلُ مَنْسُوبٌ إِلَى أَحْكَامِهِ
أَحْيَا الْأَنْامَ بِجُودِهِ وَنَوَالِهِ
فَاسْتَبَشَّرَتْ بِالْخِصْبِ فِي أَيَّامِهِ
مِنْ نَسْلِ أَحْمَدَ وَاحِدٌ فِي عَصْرِهِ
١٠ آبَاؤُهُ كُلُّ كَرِيمٍ كَرَامِهِ
فَاقَ الْمُلُوكَ بَنَى الْمُلُوكَ بِعَدْلِهِ
فَمُلُوكُ هَذَا الْعَصْرِ مِنْ خُدَامِهِ

وقوله فيه من أخرى أولها :

وَأَقْبَلَ السَّعْدُ وَالْإِقْبَالُ وَالنَّعْمُ

ومنها :

- ١٥ فَيَا لَهَا رُبَّةً مَا نَالَهَا أَحَدٌ
وَهِمَّةً قَصَرَتْ مِنْ دُونِهَا الْهِمَمُ /
١٢١ ظ يَا بَنَ الدِّيَّحِينَ يَا أَعْلَى الْوَرَى نَسَبًا
وَمَنْ بِهِ أَهْلُ بَيْتِ اللَّهِ قَدْ رُحِمُوا
مَنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ سَيْفَ الدِّينِ مُعْتَصِمًا
٢٠ فَذَاكَ لَيْسَ بِحَبْلِ اللَّهِ يَغْتَصِمُ

عُطِفَتْ فِيهِ سِرُّ اللَّهِ مُدْخَرٌ
قَدْ بَرَّ فِي مَدْحِهِ الشَّاعِرَ الْقَسَمُ

انتهى كلام الفاسي .

* * *

١٨٣ — محمد بن إدريس بن قتادة بن إدريس بن مُطَاعِن
ابن عبد الكريم الحسني المكي .

قال الفاسي^(١) : أمير مكة .

ذكر الشيخ تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد اليمنى في كتاب « بهجة الزمن في تاريخ اليمن » أن الأمير يَبْرُسَ الْجَاشَنْكِيرَ لَمَّا حَجَّ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَسَبْعِمِائَةٍ أَمَرَ بِمَكَّةَ أَبَا الْغَيْثِ ، وَمُحَمَّدَ بْنَ إِدْرِيسَ ، وَحَلَفَهُمَا لِصَاحِبِ مِصْرَ . فَأَقَامَ أَبُو الْغَيْثِ أَيَّاماً وَأَخْرَجَ مِنْ مَكَّةَ مُحَمَّدَ بْنَ إِدْرِيسَ ، وَاسْتَبَدَّ بِالْإِمْرَةِ . وَجَرَّتْ بَيْنَهُمَا حُرُوبٌ كَثِيرَةٌ ، وَقُتِلَ فِيهَا جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَشْرَافِ .

وَكَاتَبَ أَبُو الْغَيْثِ السُّلْطَانَ — يَعْنِي الْمُؤَيَّدَ صَاحِبَ الْيَمَنِ — وَبَذَلَ الْخِدْمَةَ وَالنَّصِيحَةَ وَالرَّهِيئَةَ ؛ فَقَبِلَ ذَلِكَ مِنْهُ . انْتَهَى .

وَلَمْ يَزِدْ الشَّيْخُ تَاجَ الدِّينِ الْمَذْكُورَ فِي نَسَبِ مُحَمَّدَ بْنَ إِدْرِيسَ الْمَذْكُورِ عَلَى اسْمِ أَبِيهِ .

(١) العقد الثمين ٤٢١/١ برقم ١٠٣ .

- ورأيت ما يخالف ما ذكره في تأمير الجاشنكير لمحمد بن إدريس هذا بمكة ؛ لأن كلام بيّرس الدوادار في تاريخه يدل على أن الأمير بيّرس [الجاشنكير] ^(١) إنما أُمّر بمكة في هذا التاريخ أبا الغيث وأخاه عطيّفة ابني أبي نُمَيّ — والله أعلم بالصواب .
- وبلغني أن أبا نُمَيّ أمير مكة جعل لمحمد بن إدريس هذا رُبْع . ما يتحصل لأمير مكة في كل سنة ، ولكنه لم يجعل له ولاية بمكة . وأن أبا نُمَيّ كان كثير الاغتياب بمحمد بن إدريس هذا ، ويقول فيه — لكثرة اغتيابه به إذا رآه — : هنيئاً لمن هذا ولده . وأن بعد موت أبي نُمَيّ أشار بعضُ الناس على أولاد أبي نُمَيّ بقتل محمد بن إدريس هذا ، وقال لهم : لا يتم لكم معه أمرٌ إلّا إن قتلتموه . فتشاوروا في ذلك ، وذكروه لحُمَيْضَة بن أبي نُمَيّ ؛ فلم يُوافق على ذلك حُمَيْضَة ، وأعرضوا عن قتل محمد بن إدريس . وكان بعد ذلك بين إخوته أولاد إدريس ، وأولاد أبي نُمَيّ حروب كثيرة ، منها في شهر واحد — شهر رمضان — بضع وعشرون لقية . والله أعلم بحقيقة ذلك . انتهى كلام الفاسي .

* * *

- ١٨٤ — ثَقَبَة بن رُمَيْثَة بن أبي نُمَيّ محمد بن أبي سعد حسن بن علي بن قتادة بن إدريس بن مُطَاعِ بن الحسن بن المكي . قال الفاسي ^(٢) : يُلقَّب أسد الدين ، ويُكنى أبا شِهَاب .

(١) إضافة للتوضيح .

(٢) العقد الثمين ٣/ ٣٩٥ برقم ٨٦٨ .

- ١ ولى إمرة مكة مدة سنين شريكا لأخيه عَجْلَان ، ومستقلا بها في بعضها .

ورأيت في تاريخ ابن محفوظ وغيره شيئا من خبرهما ، ورأيتُ أن الحُصَّ ذلك بالمعنى . وذلك أن ثقبه ولى إمرة مكة شريكا لأخيه عجلان في حياة أبيهما ، لما تركها لهما أبوهما على ستين ألف درهم ، في سنة أربع وأربعين وسبعمائة . ثم قبضَ عليه في هذه السنة بمصر ، وكان قدمها بطلب من صاحبها الصالح إسماعيل بن الناصر ، ثم أُطلق ، فتوجه إلى مكة — ثم توجه منها في سنة ست وأربعين إلى نخلة ، لما ولى أخوه عجلان إمرة مكة بمفرده / في حياة ١٢٢ أبيه ، وتوجه ثقبه بعد ذلك إلى مصر في السنة المذكورة ، وقبضَ ١٠ عليه بها ، ولم يزل حتى أطلق هو وأخواه سَدَّ وَمَعَامِسَ وابن عمهم محمد بن عَطِيفَةَ . ووصلوا إلى مكة في سنة ثمان وأربعين وسبعمائة ، وأخذوا فيها من عجلان نصف البلاد بغير قتال ، وداما^(١) على ذلك إلى سنة خمسين ، وفيها حصل بينهما وحشة ، وكان عجلان بمكة وثَقْبَةُ بالجديد ، ثم خرج عجلان إلى الوادى لقتال ثَقْبَةَ ، فمنعه ١٥ القواد من ذلك واصطلح مع أخيه ثَقْبَةَ ، ثم سافر عجلان إلى مصر في هذه السنة ، فاستقل ثَقْبَةَ بالإمرة ، وقطع دعاء عجلان من زمزم .

فلما وصل عجلان من مصر متوليا للبلاد بمفرده ، في خامس شوال من السنة المذكورة توجه ثَقْبَةُ إلى ناحية اليمن ، ثم قصد ٢٠

(١) أى عجلان وثقبه كما سيأتى .

ذَهَبَان^(١) وَحَمِضَةٌ ، وَتَعَرَّضَ لِلْجَلَابِ وَأَخَذَهَا ، وَحَمَلَ فِيهَا عَيْبِيده ،
وَجَاءَ بِهَا إِلَى حَلْيَ ، وَلَاءَمَ الْمَلِكُ الْمُجَاهِدَ صَاحِبَ الْيَمَنِ مِنْ حَلْيَ .
وَكَانَ الْمُجَاهِدُ قَدْ تَوَجَّهَ إِلَى مَكَّةَ لِلْحَجِّ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَخَمْسِينَ ،
وَدَخَلَ الْمُجَاهِدُ إِلَى مَكَّةَ وَمَعَهُ ثَقَبَةٌ وَإِخْوَتُهُ وَكَانَ عَجْلَانُ قَدْ مِنْعَهُمْ مِنْ
ذَلِكَ .

وَفِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ كَانَ عَجْلَانُ بِمَكَّةَ وَثَقَبَةٌ بِالْجَدِيدِ ،
وَجَاءَتِ الْجَلَابُ إِلَى جُدَّةَ فَتَجَلَّهَا ثَقَبَةٌ وَجَبَاهَا جَبَاءٌ عَنِيفًا .

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ جَاءَ لَهُ وَلَأُخِيهِ عَجْلَانُ طَلَبٌ مِنْ صَاحِبِ
مِصْرَ ، فَتَقَدَّمَا إِلَى مِصْرَ ، كُلُّ مِنْهُمَا عَلَى انْفِرَادِهِ . ثُمَّ رَجَعَ عَجْلَانُ
مِنْ يَنْبُعَ ، وَاسْتَمَرَّ ثَقَبَةٌ حَتَّى بَلَغَ مِصْرَ ، فَوَلَّى الْإِمْرَةَ بِمُفْرَدَةٍ ،
وَوَصَلَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، وَمَعَهُ خَمْسُونَ مَمْلُوكًا . فَمَنَعَهُ
عَجْلَانُ مِنَ الدَّخُولِ إِلَى مَكَّةَ ، فَرَجَعَ إِلَى خُلَيْصَ ، وَأَقَامَ بِهَا إِلَى أَنْ
جَاءَ مَعَ الْحَاجِّ . وَأَرَادَ عَجْلَانُ مَنَعَهُ ، وَمَنَعَ أَمِيرَ الْحَاجِّ مِنَ الدَّخُولِ .
ثُمَّ رَضِيَ ثَقَبَةٌ بِأَنْ تَكُونَ الْإِمْرَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ عَجْلَانُ نَصَفَيْنِ ،
وَصَالِحَ أَخَاهُ عَجْلَانُ عَلَى ذَلِكَ . وَكَانَ الْمَصْلَحُ بَيْنَهُمَا أَمِيرَ الْحَاجِّ^{١٥}
الْمِصْرِيِّ الْأَمِيرَ الْمَعْرُوفَ بِالْمَجْدَى^(٢) .

(١) ذَهَبَانُ وَحَمِضَةٌ : وَادِيَانِ يَتَخَلَّلَانِ حَرَّةَ بَنِي هَلَالٍ — مِنْ كِنَانَةَ — الْأَوَّلِ
عَلَى ١٥ كِيلَاءً مِنَ الْقَحْمَةِ . وَالثَّانِي عَلَى عَشْرَةِ أَكْيَالٍ جَنُوبَ الْقَحْمَةِ ، وَبِهِ قَرِيضٌ تَسْمَى
حَمِضَةً ، وَهِيَ بَيْنَ إِمَارَةِ مَكَّةَ وَإِمَارَةِ جِيزَانَ . (بَيْنَ مَكَّةَ وَالْيَمَنِ ٢٢٦ — ٢٣٣) .

(٢) هُوَ طَبِيعَا الْمَجْدَى (السُّلُوكُ لِلْمَقْرِيزِيِّ ٣/٢ : ٨٥٥ ، ٨٥٨ ، وَالنُّجُومُ الزَّاهِرَةُ
٢٦٥/١٠) . وَفِي الدَّرَرِ الْكَامِنَةِ ٣٣٣/٢ بِرَقْمِ ٢٠٦١ ، وَالِدَلِيلِ الشَّافِي ٣٧٦/١ بِرَقْمِ

- ١ ثم استقل ثَقْبَةً بِالْإِمْرَةِ فِي أَثْنَاءِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ بَعْدَ قَبْضِهِ
عَلَى أَخِيهِ عَجَلَانَ ، وَأَخَذَهُ لِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ الْخَيْلِ وَالْإِبِلِ .
قال الوالد : ويقال : فِي هَذِهِ الْوَاقِعَةِ أَنْشَدَ شَاعِرُ مَكَّةَ يَحْيَى
ابن يوسف النَّشْوُ يُحَرِّضُ الشَّرِيفَ ثَقْبَةً بِقَصِيدَةِ مَوْشِحَةٍ (١) ،
منها :
٥

- الْمَلِكُ بِالْأَسْيَافِ لَا بِالْكُتُبِ وَهُوَ عَقِيمٌ لَا تَقِلُّ فِيهِ أَبٌ
وَهَكَذَا شَرَطُ مَلِكِ الْعَرَبِ
لَا يَطْلُبُ الْمَلِكُ فَتًى ذَلِيلًا
مَا قَدْ جَرَى تَعْلَمُهُ يَا ثَقْبَةَ إِنْ التَّوَانِي كَانَ عِنْدِي سَبَبُهُ
١٠ لَيْسَ إِذَا الْعِزْمُ تَخَلَّى طَلَبَهُ
أَخَاكَ لَا تَتَخَذُهُ خَلِيلًا
مَنْ لَزِمَ الضَّرْبَ بَوَادٍ سَكَنَهُ وَمَنْ إِذَا الْقَرْمُ وَافَى طَعَنَهُ
انتهى .

- قال الفاسي : واستمر — يعني ثقبه — على ذلك حتى قَبْضَ
عليه أمير الركب المصري عُمرُ شَاه (٢) فِي مَوْسَمِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ ، ١٥

(١) ولما كانت ترجمة ثقبه في بغية المرام للنجم بن فهد لوحة ١٠٤ ، ١٠٥ يتعذر قراءتها لوجود رطوبة مع سوء التصوير فإنني لم أتبين وجود هذه الموشحة للنشو بها .
(٢) هو ركن الدين عمر شاه التركي ، حاجب الحجاب . توفي سنة ٧٧١ هـ .
(الدرر الكامنة ٢٧٦/٣ برقم ٣١٠٠ ، والدليل الشافي ٥٠٧/١ برقم ١٧٦٨) .
والخير في السلوك للمقريزي ٣/٢ : ٩٠٣ ، ٩٠٤ .

١ واستقر عوضه أخوه عَجْلَان . وذلك بعد أن سئل في الصلح مع
 ١٢٢ ظ أخيه / عجلان على إشتراكهما في الإمرة فلم يوافق . وحمل إلى
 مصر ، فأقام بها معتقلاً حتى هرب منها ، ومعه أخواه
 المذكوران^(١) ، ومحمد بن عطيفة — وكانوا قد اعتقلوا معه — فوصلوا
 إلى نخلة في السابع عشر من رمضان سنة ست وخمسين ، وليس
 معهم إلا خمسة أفراس ، وكان عجلان يومئذ بخيف بنى شديد ، ثم
 ارتحل إلى مكة فأقام بها . ثم انتقل ثَقَبَة وأخواه إلى الجديد ، وأقاموا
 به ومعهم ثلاثة وخمسون فرسا .

فلما كان وقت وصول الحاج وصلوا إلى جُدَّة ، وأخذوا
 ١٠ الجلاب ، ودَبَرُوا بها إلى بُجَيْر^(٢) وبعد رحيل الحاج من مكة توجَّهوا
 بالجلاب إلى جُدَّة ونجلوها ، ونزلوا الجديد . ثم اصطَلَح ثَقَبَة وعجلان على
 أن تكون الإمرة بينهما نصفين . في تاسع المحرم سنة سبع وخمسين .
 فلما كان اليوم الثالث عشر من القعدة نزلوا المَعَابِدَة محاصرين
 لعجلان ، ثم رحلوا — بعد أن تضرَّر الناسُ بهم — في الرابع
 والعشرين من ذى القعدة إلى الجديد .

١٥ ثم انفرد ثَقَبَة بالإمرة في ثالث عشر جمادى الآخرة من
 هذه السنة ، بعد رجوعه من اليمن ، [وأقام بمكة]^(٣) وقطع نداء

(١) أى سند. ومغامس . وانظر إتحاف الورى ٣/ ٢٦٠ .

(٢) بجير : قرية لطيفة من أعمال هدة بنى جابر ، يسكنها عرب من
 القحطانية ، فيها نخيل وعين عذبة جارية . (حسن القرى في أودية أم القرى) .

(٣) سقط في الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ٣/ ٣٩٧ .

أخيه على زمزم ، واستمرّ منفردا بالإمارة إلى مستهل الحجة من هذه السنة ، وأخوه عجلان في هذه المدة بالجديد .

فلما وصل الحاج المصري [دخل معهم عجلان مكة بعد أن فارقتها ثقبه ، ثم طلب ثَقْبَةَ إِلَيْهَا أميرُ الركب المصري]^(١) وكان يقال له الهذبانى ، فلم يُجِبْهُ ثَقْبَةُ — مع كونه أَمْنَه — وقصد ناحية اليمن . ونهب قافلة الفقيه البركانى ، وأخذ ما معهم من البضائع والقماش ، وكان مالا كثيرا .

وفى سنة ثمان وخمسين. وصل ثَقْبَةُ إلى الجديد ونزل به ، وأقام به مدة ، ثم ارتحل بعد ذلك إلى ناحية اليمن ، وأقام بها مدة ، ثم عاد إلى الجديد ثانية ، فعمل عليه القوّاد ، وحالفوا أخاه عجلان . فارتحل إلى خيف بنى شديد ، ثم أتى نخلة ، ثم التأم عليه الأشراف جميعهم وَرَّمُوا^(٢) معه فى خيف بنى شديد ، والتأم القوّاد جميعهم مع عجلان ، وخرج من مكة ونزل الجديد ، ثم ارتحل منه إلى البرقة^(٣) طالبا قتال ثقبه ، فلم يمكنه القوّاد من ذلك ، ثم عاد إلى الجديد بعد شهر .

١٥

فلما كان أول ذى القعدة قصد ثَقْبَةُ مكة ، فلم يُمَكِّنْ من دخولها بعد أن وصل إلى الدرب من ناحية الأبطح ، ثم اصطلع ثَقْبَةُ

(١) سقط فى الأصل ، والمثبت عن المرجع السابق .

(٢) كذا فى الأصل ، والعقد الثمين ٣/٣٩٨ . وفى العقد الثمين ٦/٦٦ ،

وإتحاف الورى ٣/٢٧١ ، وما سيأتى فى ترجمة عجلان ص ١٤٧ « ونزلوا » .

(٣) البرقة : قرية حسنة من خيف بنى شديد ، بها نخيل ومزارع ، وبها حصن

كبير ، أو قصر يسكنه أمير مكة . (حسن القرى فى أودية أم القرى) .

وعجلان وتشاركا في الإمرة عند وصول الحاج في سنة ثمان وخمسين ،
 واستمرا على الصلح ، والاشتراك في الإمرة إلى أن عُزِلَا في أثناء سنة
 ستين وسبعمئة ، بعد أن استدعيا فيها للحضور إلى حضرة
 السلطان في مصر فاعتذرا عن ذلك ، وَوَلِيَّ عوضهما أخوهما سند
 وابنُ عمهما محمد بن عطيفة . انتهى ما ذكره ابن محفوظ ، وغالبه
 بالمعنى .

وذكر لي بعض من أثق به من الفقهاء المكيين : أن ثقبه
 اشترك مع أخيه سند في الإمرة بمكة لما تَوَجَّه محمد بن عُطَيْفَة
 والعسكر الذي كان بمكة إلى مصر ، بعد الفتنة التي كانت بين
 العسكر والأشراف بمكة ، بعد الحاج في سنة إحدى وستين .
 وسبعمئة ، وأن ثقبه سَكَنَ الشَّرَّ عن العسكر ، وساعدهم على
 التوجّه إلى مصر ، فرعى له ذلك ، وأشرك مع أخيه عجلان في
 الإمرة ، فلم يصل أخوه عجلان من مصر إلا وهو^(١) ضعيف
 مُدْنِف ، فأقام أيّاما ، ثم مات في شوال سنة اثنتين وستين وسبعمئة
 ١٢٣ و بالجديد ، وحُمِلَ إلى مكة فدفن بالمعلاة . / انتهى . ١٥

وكان كثير الرعاية للزيدية ، موصوفا بكرم وشجاعة . ومدحه
 ابن غنائم^(٢) بقصيدة حسنة أولها :

مَا خَفَقَتْ فَوْقَ مَنْكِبٍ عَذْبَهُ عَلَى فَتَى كَابِنٍ مُنْجِدٍ ثَقْبَهُ

(١) أي ثقبه .

(٢) هو أحمد بن غنائم المكي ، شاعر يعرف بابن غنائم ، ويلقب بالشهاب .

توفي سنة ٧٤١ هـ . (العقد الثمين ١١٥/٣ برقم ٦١٢) .

ولَا أَعْتَرَى بِهِ لِفَخَارٍ مُتَنَسِّبٍ إِلَّا وَفَاقَتْ عُلَاهُ مُتَنَسِّبَهُ ١
منتخبٌ من سَلِيلٍ مُنتَخِبٍ منتخبٌ من سَلِيلٍ مُنتَخَبَةٍ
كَمْ جَبَرَتْ رَاحَاتُهُ (١) مَنكَسِرًا وَفَكَ مِنْ أَسْرِ غَيْرِهِ رَقَبَهُ

[وخلف ثقبه عدة أولاد ، وهم : أحمد ، وحسن ، وعلى ،
ومبارك ، وفاطمة ، وسبق خبر أحمد ، وسيأتي ذكر حسن ، وعلى ،
ومبارك ، وأما فاطمة فموجودة في تاريخه] (٢)

* * *

١٨٥ — عَجَلَانَ بن رُمَيْثَةَ بن أَبِي نُمَيٍّ محمد بن أبي سعد
حسن بن علي بن قَتَادَةَ بن إدريس بن مُطَاعِنَ الحسنى المكي .
قال الفاسي (٣) : يكنى أبا سريع ، ويلقب عز الدين .
١٠ أمير مكة :

ولي إمرة مكة غير مرة ، نحو ثلاثين سنة ، مستقلاً بها
مدة ، وشريكا لأخيه ثَقَبَةَ مدة ، وشريكا لابنه أحمد بن عجلان
مدة . كما سيأتي بيانه .

وقد ذكر ابن محفوظ المكي شيئاً من خبره ، وأفاد فيه ما لم

(١) في الأصل ، وسمط النجوم العوالى ٢٤٣/٤ ، وبغية المرام لوحة ١٠٥ و
« راحته » والمثبت عن العقد الثمين ٣٩٩/٣ .

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة عن المرجع السابق ، وبغية المرام لوحة ١٠٥ و .

(٣) العقد الثمين ٥٨/٦ برقم ١٩٧٩ .

يفده غيره . ورأيت أن ألخص هنا ما ذكره من خبره بالمعنى ، مع ١
ما علمته من خبره مما لم يذكره ابن محفوظ .

وملخص ما ذكره ابن محفوظ : أن عجلان وأخاه ثقبه اشتريا
مكة من أبيهما رُمَيْثَةَ في سنة أربع وأربعين وسبعمائة بستين ألف
درهم ، حين ضعف وكبر وعجز عن البلاد ، وعن أولاده ، وصار
كل منهم له فيها حكم . ثم إن ثَقْبَةَ توجّه إلى مصر بطلب من
صاحبها الملك الصالح إسماعيل ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون ،
وبقي عجلان وَحْدَهُ في البلاد إلى آخر ذى القعدة من السنة
[المذكورة]^(١) ثم فارقها لما علم أن صاحب مصر قبض على أخيه
ثَقْبَةَ ، وأنه وصل مرسوم من صاحب مصر لأبيه رُمَيْثَةَ برّد البلاد
عليه . وقصد عجلان جهة اليمن ، ومنع الجَلَاب من الوصول إلى
مكة ، فلم يصل منها إلا القليل ، وحصل في هذه السنة غلاءً عظيم
في أيام الحج . وكان حجاج مصر كثيرين ، وكذلك حجاج الشام .
ولما رحل الحاج من مكة وصل إليها الشريف عجلان من جهة
اليمن ، ونزل الزاهر وأقام بها أياماً ، ثم بعد ذلك اصطَلَح هو وأبوه ١٥
وأخذ من التجار مالا جزيلا .

وذكر ابن محفوظ : أن في سنة ست وأربعين توجّه عجلان إلى
مصر ، فولّاه الملك الصالح البلادَ دون أبيه ، ولما توفي الملك

(١) سقط في الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ٥٩/٦ .

الصالح ، وولى أخوه الملك الكامل شعبان^(٢) السلطنة بالديار المصرية
والشامية ، عوض أخيه الملك الصالح ، كتب لعجلان مرسوما
بالولاية ، ووصل عجلان إلى مكة في رابع عشر جمادى الآخرة سنة
ست وأربعين ، ومعه خمسون مملوكا — شراء ومستخدمين — وقبض
البلاد بلا قتال من إخوته . وتوجه أخوه ثقبه إلى نخلة ، وأقام معه
أخواه سَنَدٌ ومُغَامِسٌ بمكة ، وأعطاهما فيها رسما ، وأقاما على ذلك
مدة . ثم إنه تشوَّشَ منهما ، فأخرجهما من البلاد بحيلة إلى وادى
مَرٍّ ، ثم أمرهم بالاتساع في البلاد ، فلحقا بأخيها ثقبه ، وكان قد
توجّه إلى الديار المصرية قبل توجههما إليها بشهر ، فلما وصلوا إلى
مصر قُبِضَ عليهم بها / .

١٠

ووجدت بخط جمال الدين بن البرهان الطبرى : أن عجلان ١٢٣ظ
سافر إلى مصر في ثانى المحرم من سنة ست وأربعين ، فولّاه مكة
الملك الصالح ، وأنه دخل إلى مكة يوم السبت السابع عشر من
جمادى الآخرة من سنة ست وأربعين وهو متولٍ مكة ، وقرىء
مرسومه بالتولية على زمزم في الساعة الثالثة من النهار ، ودعى له بعد
المغرب ، وللسلطان الملك الكامل ، وصلى على أخيه الملك الصالح
بعد المغرب . وقطع عجلان دعاء والده رُمَيْثَة ، وراح أخوه ثقبه إلى
نخلة ، وأعطى أخاه سندا ثلث البلاد بلا دعاء ولا سِكَّة ، وأعطى

١٥

(٢) تولى الملك الكامل شعبان بن محمد بن قلاوون السلطنة في مصر في ربيع
الآخر سنة ٧٤٦ هـ بعد وفاة شقيقه الصالح إسماعيل . واستمر في الملك إلى أن قتل في
جمادى الآخرة سنة ٧٤٧ هـ . (النجوم الزاهرة ١١٦/١٠ — ١٤٠) .

أخويه مُغَامِسًا ومُبَارَكًا السَّرِين ، يعني الموضع المعروف بالواديين .^١
 وسافر ثقبه إلى مصر ، ثم سافر بعده أخواه سند ومغامس إلى
 مصر ، ثم جاء نجاب الشريف عجلان من مصر ، في أوائل ذي
 القعدة من سنة ست وأربعين . وأخبر أن البلاد لعجلان ، وأن إخوته
 قُبِضُوا في مصر حتى ينظر حال عجلان مع الحاج ، وزُيِّنَ السوق .
 بمكة ، فلما مات رُمِيَّةٌ بطلت الزينة . وكان موته [في]^(١) ثامن
 ذي القعدة من السنة المذكورة ، بعد وصول النجاء بخمسة أيام .
 انتهى .

وذكر ابن محفوظ : أن عجلان نشر بمكة من العدل والأمان
 ما لم يسمع بمثله ، وطرح ربع الجنايات ، ورفع المظالم .^{١٠}
 وذكر أن عجلان كان متوليا لمكة في سنة سبع وأربعين
 وسبعمئة ، ولم يحدث فيها حادث .

وذكر أن في سنة ثمان وأربعين وصل إخوته ثقبه ، وسند ،
 ومغامس بنو رُمِيَّة ، ومحمد بن عطيفة من مصر ، فأخذوا نصف
 البلاد من عجلان بلا قتال بعد أن ملكها وحده سنتين بلا شريك ،^{١٥}
 وحصل من الأموال ما لا يحصى .

وذكر أن في سنة خمسين وسبعمئة تنافر الشريفان عجلان
 وثقبه ، وكان عجلان بمكة ، وثقبه بالجديد . ثم إن عجلان خرج

(١) إضافة عن العقد الثمين ٦١/٦ .

إلى الوادى لقتال ثقبه ، فلما أن بلغ إلى الدكناء^(١) رام المسير إلى ثقبه ، فمنعه القواد من ذلك . ثم إنه نزل بوادى العقيق من أرض خالد^(٢) وأقام بها مدة يسيرة ، ثم أصلحوا بينه وبين أخيه ، وصعد عجلان إلى الخيف الشديدى ، وأقام به مدة يسيرة ، ثم توجه إلى مصر . وبقي ثقبه فى البلاد وحده ، وقطع نداء أخيه عجلان من زمزم .

فلما كان اليوم الخامس من شوال سنة خمسين وسبعمائة وصل عجلان من مصر متوليا لجميع البلاد ، فتوجه ثقبه إلى ناحية اليمن بلا قتال . وأقام عجلان متوليا لمكة بمفرده بقية سنة خمسين ، وسنة إحدى وخمسين ، ودخل ثقبه وإخوته إلى مكة فى ولاية عجلان هذه ، لأنهم لا يؤموا الملك المجاهد صاحب اليمن من حلي ، وهو متوجه إلى مكة للحج فى سنة إحدى وخمسين . وكان عجلان هم بمنع المجاهد وإخوته من دخول مكة ، فغلبوه ودخلوها ، ولم يلتفت المجاهد إلى عجلان ولا أنصفه ، ولم يلتفت إلى أحد من الأشراف والقواد ، ولا إلى أمير الحاج المصرى بزلار^(٣) . وإنما أقبل على الأمير

(١) الدكناء : قبل أرض حسان ، وموالية لأرض خالد ، فيها نخيل وعين جارية ، وأصيلة عظيمة يقال لها المدرة ، ومسكن عظيم ، وبركة قدرها جسيم . (حسن القرى فى أودية أم القرى) .

(٢) وأضاف إتحاف الورى ٢٤١/٣ « ولعله من أرض مر » . وأرض خالد بين الجموم والخضراء ، يقال : إنها تنسب لأمر مكة خالد بن عبد الله القسرى ، الذى كان متولياً مكة لبنى أمية فى المائة الأولى . وفيها نخيل وعين عذبة جارية مع عدة برك ، ويوت عالية . (حسن القرى فى أودية أم القرى) .

(٣) هو بزلار أمير السلاح ، كان من كبار أمراء مصر . مات سنة ٧٥٦ هـ .

(الدرر الكامنة ٨/٢ برقم ١٢٧٤) .

- ١٢٤ و طاز (١) /، أحد الأمراء المقدمين في الركب المصري^(٢)، فعمل عليه
عجلان عند أمير الركب بُزَلار ، حتى ركب بُزَلار ولفيفه على المجاهد بمنى
في أيام التشريق ، وحاربوا المجاهد ، ولم يقاتل وإنما قاتل عسكره ،
فانكسر عسكر المجاهد ، ونهبت محطته ، وأُخذ أسيرا — بأمان —
وحُمِل إلى مصر . وكان من خبره ما يأتى في ترجمته إن شاء الله .
تعالى . ثم إن المصريين همُّوا بالقبض على عجلان ، لأنه ربما أظهر
للمجاهد أنه معه على المصريين . فلما علم بذلك عجلان أخبر
أصحابه ، فاجتمعوا إليه وصاروا في جمع عظيم . فلما أحس بهم
الأمراء المصريون هالهم ذلك ، وأنكروا على عجلان ، وسألوه أن
يكفهم عنهم فكفهم . ورحل الحاج من فوره ، وأقام عجلان بمكة .
[بقية] (٣) سنة إحدى وخمسين .

- وفي سنة اثنتين وخمسين كان عجلان بمكة ، وثقبة بالجديد .
وجبى ثقبة الجلاب الواصلة إلى جدة جباء عنيفا ، ونجلها جميعا .
وفي سنة اثنتين وخمسين وسبعمئة وصل مرسوم من صاحب
مصر يطلب الشريفين عجلان و ثقبة . [فتوجهوا إلى القاهرة . فأما
ثقبة فبلغها] (٤) وأما عجلان فإنه وصل إلى ينبع ، وقصد منها

(١) هو طاز بن قطغاج ، أحد كبار أمراء الدولة ، توفي سنة ٧٥٣ هـ . (الدرر
الكامنة ٣١٤/٢ برقم ١٩٩٨) .

(٢) وانظر جماعة الأمراء الذين خرجوا للحج في هذه السنة في النجوم الزاهرة
٢١٨/١٠ .

(٣) إضافة عن العقد الثمين ٦٢/٦ .

(٤) سقط في الأصل ، والمثبت عن المرجع السابق .

- ١ المدينة النبوية للزيارة ، وتوجّه منها إلى مكة — ولم يزل مالِكها إلى ذي القعدة من سنة اثنتين وخمسين ، ومنع ثقبه لما أن وصل من مصر متوليا لمكة بمفرده من دخول مكة . فأقام ثقبه بخُلَيْص إلى أن وصل الحاج المصري في سنة اثنتين وخمسين ، وجاء ثقبه مع أمير الحاج المجدي^(١) ، وأراد عجلان منعهما من دخول مكة . ثم إن المجدي^(١) أصلح بين الأخوين ، على أن يكون لكل منهما نصف البلاد ، بموافقة ثقبه على ذلك .

- وفي سنة ثلاث وخمسين توجّه عجلان إلى ناحية اليمن ، فلقي جلبة وصلت من اليمن فيها عَبْدُ القاضى شهاب الدين الطبري قاضى مكة ، وجماعة من أهل مكة ، فأخذ ما فيها ، وكان قدرا جسيما . وبعد فعله هذا بأيام زالت إمرته من مكة ، لأن أخاه ثقبه لما بلغه فعل عجلان هذا توجّه إلى عجلان — وعجلان فى قلة من أصحابه — وعَرَّه بالصلح ، فوثب عليه وقيد معه على بن مُعَامِس بن واصل الزباع ، وأخذ جميع ما كان مع عجلان من الخيل والإبل .
- ١٥ فلما كان الليل ، وركد الموكل بعجلان ، خلع عجلان القيد من رجله — وكان واسعا — وهَرَبَ إلى امرأة من الفريق الذى كانوا فيه ، فانزوى إليها ، وعرفها بنفسه ، وسألها أن تخفيه . فقالت له : [أما]^(٢) تخشى من ثقبه ؟ فقال لها : لا بأس عليك ، أنا أتحيل فى

(١) فى الأصل « المجدي » ، وانظر ما سبق ص ١٣٢ ، والعقد الثمين

. ٦٣/٦

(٢) إضافة عن العقد الثمين ٦٣/٦ .

إخفائي بأن أحفر حفرة تغيني وأقعد فيها ، وحطى على أمتعتك ولا عليك — فلما انتبه الموكل بعجلان تفقده^(١) فلم يجده ، فذهب إلى ثقبه وعرفه الخبر . فأخذ هو وأصحابه في طلب عجلان فلم يجده ، وأتى إلى بيت المرأة التي هو مختف عندها ودوره بنفسه ، فلم يجد عجلان [فيه]^(١) . فلما كان الليل أركب فرسا ، وراح إلى بني شعبة باليمن .

وفي سنة أربع وخمسين توجه عجلان إلى نخلة — بعد أن كان في أول السنة بالواديين — وأخذ منها المال الذي كان نهبه ، وقصد الجديد ، وفرق المال ، وأقام بالجديد إلى آخر السنة ، فلما آن / ١٢٤ ظ وقت وصول الحاج ، وسمع أن البلاد لأخيه ثقبه ، وليس له فيها أمر ، ارتحل إلى الحردة ، وبعث إليه أمير الحاج المصري — وهو الأمير عمر شاه — بأمان ، وأمره أن يصل إليه ، ويصلح بينه وبين أخيه . فتوجه إليه عجلان ولقيه بالجموم ، وخلع أمير الركب على عجلان ، وسار معه إلى مكة . فلما أن وصل الأمير إلى الزاهر خرج إليه ثقبه وإخوته على جاري العادة لتلقى الأمير وخدمة المحمل ، فأحاط به ١٥ أصحاب الأمير ، وسألوا ثقبه في الإصلاح بينه وبين أخيه عجلان ، فأبى إلا أن يكون السلطان رسم بذلك ، وصمم على ذلك ، فقبض عليه وعلى إخوته ودخلوا بهم مكة محتاطين عليهم ، وأمر الأمير عجلان على مكة ، فقبض عجلان البلاد ، وذهب أمير الركب بالأشراف إلى مصر تحت الحوطة . ٢٠

(١) في الأصل ، والمرجع السابق « فقده » .

(٢) إضافة عن المرجع السابق .

ودام عجلان على ولاية مكة بمفرده سنة خمس وخمسين ،
وفيما بعدها كما سيأتى بيانه .

وكان فى سنة خمس وخمسين عشر جميع نخل وادى مرّ من
وقت الصيف ، وجعل على كل نخلة أربعة دراهم ، وثلاثة ،
ودرهمين ، وسبب ذلك أن المجاهد صاحب اليمن — من وقت رجوعه
إلى اليمن بعد القبض عليه بمنى — منع التجار من السفر إلى مكة ،
فقلّ ما بيد عجلان ، وفعل ما ذكرناه من عشره للنخيل . وحصل له
فى ذلك مالّ جزيل ، وعنف فى هذه السنة بالأشراف والقواد عنفا
عظيما ، وأخذ منهم ما كان أعطاهم من الخيول والأموال . وكان
أغدق عليهم فى العطاء ، بحيث يقال : وهب فى يوم واحد مائة^{١٠}
وعشرين فرسا ، وألفين ومائتى ناقة ، وثلاثمائة ألف درهم ، وستين
ألف درهم .

وفى سنة ست وخمسين وسبعمائة وصل إليه توقيـع
بالاستمرار فى الولاية مع الرجبية ، فى أول شهر رمضان . فلما كان
اليوم الثالث والعشرون منه وصل الشريف ثقبه وأخوته إلى الجديد ،
فى ثلاثة وخمسين فرسا ، فأقاموا به — وكانوا فروا من مصر ووصلوا^{١٥}
إلى وادى نخلة^(١) وليس معهم إلا خمسة أفراس — وكان عجلان
عند وصولهم بخيف بنى شديد ، فارتحل إلى مكة وأقام بها . فلما
كان ثالث عشر القعدة نزل ثقبه ومن معه المعابدة ، وأقاموا بها

(١) فى الأصل « وادى مر » ، والمثبت عن العقد الثمين ٦/٦٥ ، وبغية المرام

محاصرين لعجلان ، وجرى فى هذا اليوم بين العبيد بعض قتال ، قتل ١ فيه بعض القواد اليواسفة من أصحاب الشريف ثقبه ، وعبد له . ثم ارتحل هو ومن معه فى صبيحة يوم الاثنين الرابع والعشرين من ذى القعدة إلى الجديد ، فأقاموا به . فلما [كان] ^(١) وقت وصول الحاج رحلوا إلى ناحية جدة وأخذوا الجلاب ودبروا بها . فلما رحل الحاج من مكة توجهوا بالجلاب ونجلوها ، ونزلوا الجديد . ٥

فلما كان اليوم التاسع عشر من المحرم سنة سبع وخمسين اصططح عجلان وثقبه ، واقتسما الإمرة نصفين — وانقسم الأشراف والقواد ، وكان مع عجلان خمسون مملوكا ، فقسمها بينه وبين أخيه . وكانت ولاية عجلان لمكة بمفرده — بعد القبض على أخيه ثقبه — سنتين وخمسين يوما أو نحوها . ١٠

فلما كان اليوم / الثالث عشر من جمادى الآخرة سنة سبع ١٢٥ وخمسين توجه ثقبه من ناحية اليمن إلى مكة ، وملكها بمفرده ، وقطع نداء أخيه عجلان على زمزم ، وأقام بمكة إلى الموسم — وعجلان بالجديد .

فلما وصل الحاج مكة فى موسم سنة سبع وخمسين دخلها ١٥ عجلان مع الحاج ، وملكها بمفرده ، بعد أن فارقها ثقبه فى هذا التاريخ وبعد عن مكة . ثم إنه وصل ونزل الجديد ، فأقام به مدة ، ثم ارتحل إلى ناحية اليمن وأقام به مدة ، ثم وصل إلى الجديد ثانيا ،

(١) سقط فى الأصل ، والمثبت عن المرجعين السابقين .

فعمل عليه أصحابه القواد ، وحالفوا عجلان . فارتحل ثقبه إلى ١
 خيف بنى شديد ، ثم إلى نخلة ، ثم التأم عليه جميع الأشراف ونزلوا
 خيف بنى شديد . والتأَم جميع القواد على عجلان . وخرج من
 مكة ونزل بالجديد ، ثم ارتحل منه إلى البرقة طالباً قتال ثقبه ومن
 معه ، فمنعه القواد من ذلك . وأقام بالبرقة قريباً من شهر . وجمع ٥
 مروخاً^(١) كثيرة ، وذلك في شهر رجب سنة ثمان وخمسين ، ثم عاد
 إلى الجديد ، ورتب في مكة خيلاً ورجلاً .

فلما كان أول شهر ذى القعدة سنة ثمان وخمسين قصد ثقبه
 مكة ليدخلها ، فمنع من ذلك . فلما وصل الحاج في هذه السنة
 اصططح الشريفان ثقبه وعجلان ، وحج الناس طيبين ، ولم يزل ١٠
 عجلان وثقبه مشتركين في الإمرة بمكة من موسم سنة ثمان وخمسين
 إلى حين وصل الخبر بعزلهما من إمرة مكة ، وتوليتهما لأخيها سَنَدُ
 ابن رُمَيْثَة ، ومحمد بن عُطَيْفَة . وكان سَنَدُ مع إخوته في ناحية
 اليمن ، وابن عُطَيْفَة بمصر ، ووصل إلى مكة في ثامن شهر جمادى
 الآخرة من سنة ستين وسبعمائة ، ومعه عسكر وصل به من ١٥
 مصر — تقدم خبره^(٢) في ترجمة ابن عُطَيْفَة — وُخِّلِعَ عليه وعلى

(١) المروخ ، جمع مروخ : وهو شجر من العضاة من الفصيلة العشارية ، ينغرس
 ويطول في السماء حتى يستظل فيه ، وليس له ورق ولا شوك ، سريع الوري ، يقتدح
 به . ومن أمثال العرب « في كل شجرة نار واستمجد المروخ والعفار » ، أو جمع المروخ
 بمعنى الدهن المعروف ، أو جمع المروخ بمعنى السهم الطويل ذى القدد الأربعة أو
 ذى الأذنين . (تاج العروس ، والمعجم الوسيط) .

(٢) أى في العقد الثمين ١٠٤/٢ برقم ٣٠٣ .

١ سند بعد وصوله إلى مكة بالإمرة .

وتوجّه عجلان إلى مصر ومعه ابنه أحمد وكُبَيْش ، وكان صاحب مصر قد استدعى عجلان وثَقَبَةَ للحضور إليه ، قبل وصول هذا العسكر إلى مكة ، فاعتذرا عن الحضور ، وكان وصول الطلب إليهما منه في جمادى الأولى من هذه السنة ، وسبب طلبهما ٥ ما يَحْصُلُ بمكة من الجَوْرِ بسبب افتراق الكلمة بمكة .

ولَمَّا وصل عجلان إلى مصر قُبِضَ عليه وعلى ابنيه . ولم يزل بها حتى أطلقه الأمير يَلْبُغَا العمرى ، المعروف بالخاصكى^(١) ، لما صار إليه الأمر بالديار المصرية ، بعد قَبْضِهِ على أستاذه الملك الناصر حسن ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون ، فى أثناء سنة اثنتين ١٠ وستين وسبعمئة ، وبَطَّلَ يَلْبُغَا العسكر الذى كان السلطان حسن أمر بتجهيزه إلى الحجاز ، بسبب قتال بنى حسن ، لأنه جهز إلى مكة سنة إحدى وستين عسكرا من مصر مقدمهم الأمير قُنْدُس ، وعسكرا من دمشق مقدمهم ناصر الدين بن قَرَأْسُنْقَر ، وأمرهم بالمقام بمكة عوض جَرَكْتُمُر والعسكر الذى وصل إلى مكة مع ابن ١٥ عُطَيْفَةَ لتأييده وتأييد سَنَدَ لَمَّا وليا إمرة مكة فى سنة ستين وسبعمئة . ووصل قُنْدُس ومن معه ، وابن قَرَأْسُنْقَر ومن معه إلى

(١) هو يلبغا بن عبد الله الخاصكى الناصرى ، الأمير الكبير ، الملقب بنظام الملك

فى دولة الأشراف شعبان . قتل فى ربيع الآخر سنة ٧٦٨ هـ . (الدرر الكامنة ٥/٢١٣ برقم ٥٠٧٩ ، والنجوم الزاهرة ١١/٣٦ — ٤٠ ، وشذرات الذهب ٦/٢١٢ ، والدليل

الشافى ٢/٧٩٣ برقم ٢٦٧٢) .

مكة في موسم سنة إحدى / وستين وسبعمائة ، وأقاموا بها بعد ١٢٥ ظ
الحج ، وتوجّه منها جَرَكْتُمُرُ وَمَن معه ، وحصل بمكة بإثر سفر
الحاج فتنةً بين العسكر الذي بمكة وبنى حسن ، فاستظهروا على
الترك قتلا ونهباً ، وخرجوا من مكة على وجه مؤلم ، فعظم ذلك على
السلطان حسن ، وأمرَ بتجهيز عسكر لقتال بنى حسن ، وَمَن .
يُتَخَيَّلُ منه الخلاف من أعراب الحجاز .

- فلما قُتِلَ السلطان حسن كان ما ذكرناه من الإعراض عن
سفر العسكر المشار إليه إلى مكة . وتوجّه عَجْلَانُ إلى مكة وقد ولى
إمرتها شريكا لأخيه ثَقْبَةَ — على ما بلغنى — بسبب تسكين ثَقْبَةَ
الفتنة على العسكر ، ووصل عجلان إلى وادي مَرٍّ في آخر شهر
١٠ رمضان سنة اثنتين وستين وسبعمائة ، أو في أوائل شوال منها .
وقصد ثقبه للسلام عليه — وكان ثقبه ضعيفا قد أنهكه الضعف —
فأظهر القُوَّةَ والجلد لِعَجْلَانِ حين حضر إليه ، وأنكر على عجلان
نزوله في الموضع الذي نزل فيه ، فقال له عجلان : نرتجلُ منه .
وأقام ثقبه أياما قليلة ثم تُوفِّيَ . ودخل عجلان عند وفاة ثقبه
١٥ إلى مكة ، وأمر ابنه أحمد بن عجلان باللحاق بأخواله القواد ذوى
عمر ، ليسألهم أن يسألوا^(١) له أباه عجلان أن يشركه معه في إمرة
مكة ، ففعل . وحضر القواد إلى عجلان وسأله ذلك ففعل ،
وجعل له رُبْعَ البلاد . وقيل : إنه لما أتى مكة بعد موت أخيه ثقبه
أمر ابنه أحمد بن عجلان بالطواف نهارا ، وأمر المؤذن على زمزم
٢٠

(١) في الأصل وبغية المرام لوحة ١٠٨ و « ليسألوا » . والمثبت عن العقد الثمين

بالدعاء له جهرا ، كما يصنع لأمرء مكة ، وجعل له رُبْعَ الحاصل ، ١
وأمره بقصد أخواله ليعضدوه ففعلوا .

وفي سنة ثلاث وستين توجَّه عجلان من مكة لحرب صاحب
حَلْيٍ^(١) الأمير أحمد بن عيسى الحَرَامِي — بجاء وراء مهملتين — والتقى
الفريقان بموضع يقال له قَحْزَة — بقاف وحاء مهملة وزاى معجمة .
وهاء — بَقُرْبِ حَلْيٍ ، وكان النصر لعجلان وأصحابه ، فلم يقتل
منهم إلا اليسير ، وقتل من المحاربين لهم نحو المائتين — فيما قيل —
واستولوا على حَلْيٍ ، وعلى أموال كثيرة لأهلها . واستأثر عجلان
بأشياء من ذلك ، فلم يسهل ذلك بمن كان معه من بنى حسن ،
وتغيَّرت عليه خواطرهم ، وتقدَّم عنه إلى صوب مكة طائفةٌ منهم ، ١٠
وكتبوا أخاه سَنَدَ بن رُمَيْثَةَ ، وأطمعوه بالنصر . وكان قد ظفر بِجَلْبَةٍ
فيها مال لتاجر مكِّي ، يقال له ابن عَرَفَةَ في غيبة أخيه بحَلْيٍ ،
والتأم عليه طائفة من بنى حسن ، وفرَّق عليهم ما نهبه . وقُدِّرَ أنه
هلك بإثر ذلك . فلم يجدوا شيئا يغيظون^(٢) به عجلان إلا تَوَلَّيْتَهُمْ
لولده أحمد بن عجلان عليه . وقالوا له : سَلُّهُ يزيدك رُبْعاً آخر ١٥
فَتَسْتَوِيَان . وعرف بذلك عجلان ، فأعطى ولده رُبْعاً آخر من
حاصل البلاد ، لعلمه أنه يغرم ذلك وأكثر منه لبنى حسن ، ثم
يصلحون بينهم على ذلك . واستمر على ولاية مكة ، وعلى أن يكون
لكل منهما نصف الحاصل ، إلى سنة أربع وسبعين وسبعمئة ، أو

(١) حَلْيٍ : بالفتح ثم السكون ، مدينة باليمن على ساحل البحر بينها وبين السرين

يوم ، وبينها وبين مكة ثمانية أيام . (معجم البلدان) .

(٢) في الأصل ، والعقد الثمين ٦٩/٦ « يغيظوا » .

قبلها بقليل .

ثم بدا لعجلان في ترك الإمرة كلها لابنه أحمد ، على مال^١ جزيل من النقد يُسَلِّمُهُ إليه ابنه أحمد ، وعلى أن يشتري منه جانبا من قبله بمال / جزيل شَرَطَهُ . وكان من سبب ذلك — فيما ١٢٦ و قيل — أن عجلان حين رأى علو قدر ابنه أحمد ، ومحبة الناس له أمر لابنه محمد بنخل ودُرُوع بنخله ، ليضاهي أخاه أحمد . فلم ينهض محمد لما أُريدَ منه ، ونمى هذا الخبر إلى أحمد بن عجلان ، فعاتب أباه على ذلك . واعتذر له ، وقال : سأترك لك البلاد . فوقع الاتفاق بينهما على أن يعطيه من النقد ما شرطه عجلان ، وأن يكون له في كل سنة الخبز الذي قُرِّرَ [لعجلان بديار مصر على إسقاط المَكْسِ عَمَّا يصل إلى مكة من المأكولات . وعما يصل]^(١) من الأموال مع حجاج الديار المصرية والشامية برا وبحرا ، وهو مائة ألف درهم ، وستون ألف درهم ، وألف إردب قمح ، وألا يقطع اسم عجلان من الدعاء في الخطبة ، وغيرها مدة حياته ، والتزم بذلك أحمد بن عجلان .

ثم إن عجلان نَدِمَ على ذلك ، وألحَّ على ابنه أحمد في تحصيل المال النقد الذي شرطه عليه ، استعجازاً منه له عن تحصيله ، ليكون ذلك سببا إلى أن يرجع الأمر له كما كان ، من غير نكث منه . فَقَيِّضَ لأحمد بن عجلان من أعانه إلى إحضار المال المشروط ، وأحضره إلى أبيه ، فلم يجد أبوه من قبوله بُدًّا ، وامتنع من ذلك ، ووفَّى أحمد

(١) سقط في الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ٦٩/٦ .

لأبيه بما التزم له من اختصاص أبيه بعلوم مصر ، والدعاء له في الخطبة ، حتى مات أبوه عجلان في ليلة الاثنين الحادى عشر من جمادى الأولى ، سنة سبع وسبعين وسبعمائة بمكة ، ودُفِنَ بالمعلاة ، وُئِنَى عليه فيها قبة ، وقد بلغ السبعين أو قاربها .

وكان ذا عقل ودهاء ومعرفة تامة بالأمور ، وسياسة حسنة ، وفيه محبة لأهل السنة ، ونُصْرَةٌ لأهلها ، وربما ذكر أنه شافعى المذهب . وحين حضره الموت أوصى قاضى مكة أبا الفضل النويرى بتولى غُسلِهِ والصلاة عليه مع فقهاء السنة .

وبلغنى أن معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما^(١) ذُكِرَ عنده لينظروا رأيهِ فيه ، فقال عجلان : معاوية شيخ من كبار قريش ، لاح له الملك فلقفه . هذا ما بلغنى عنه فى حق معاوية رضى الله عنه^(١) .

وكان — على ما بلغنى — يقوم الليل ، ويطوف كثيرا فى آخر عمره ، فلا جرم أنه رأى سعادة عظيمة ، وتهيات له أمور حصل له بها فخر عظيم .

فمن ذلك : أنه فى سنة ثلاث وستين وسبعمائة ملك البلاد المعروفة بَحْلَى ابن يعقوب — كما سبق ذكره — وعظم شأن عجلان بهذه الواقعة ، ومَدَحُهُ الناسُ بسببها — وما علمت أن أحدا قبله من الأشراف : ولاية مكة ، استولى على حَلَى غير أبى الفتوح الحسن بن

(١) ضرب قارىء للكتاب على الترضية عن معاوية وكتب فوقها « لعنه الله » .

- ١ جعفر المتقدم ذكره^(١) ، ولم يتفق ذلك لأحد بعد عجلان إلا لولده السيد الشريف حسن بن عجلان ، وكان توجّه إليها في سنة أربع وثمانمائة بعد موت صاحبها دُرَيْب بن أحمد بن أحمد بن عيسى مقتولا في حَرْبٍ كان بينه وبين كنانة ، في يوم عرفة . سنة ثلاث وثمانمائة ، وهَرَبَ منه الأمير موسى بن أحمد ، أخو دُرَيْب ، ورَبَّ فيها . الشريف حسن أحمد بن دُرَيْب ، وأخواله من بني كنانة . وعاد إلى مكة في جمادى الأولى من سنة أربع وثمانمائة^(٢) .

ومن ذلكم : ما اتفق في أيامه من إسقاطه المَكْسَ — كما

ذكرنا — وذلك في / سنة ست وستين .

١٢٦ظ

- ١٠ ومن ذلك : تَقَدُّم أولاده في النجابة في حياته وبعد موته . وقد ذكرنا في هذا الكتاب^(٣) شيئا من تراجمهم .

- ومنها : اتساع الدنيا لديه ، فقد بلغني أنه ملك من السَّقَايا بوادي مَرٍّ ونخلة مائتي وَجْبة ماء ، وله من العمارات بمكة الموضع المعروف بالعلقمية عند المَرَّوة ، ومدرسة أنشأها بالجانب اليماني من المسجد الحرام ، مطلة عليه ، مقابلة لمدرسة الملك المجاهد . وحصن^{١٥} بجياد ، بلحف جبل ألى قبيس . وحصن ملىح بأرض حسان ، وأصائل حسنة بها وبغيرها من وادي مر ونخلة . وكان يغالى في شراء

(١) أى في العقد الثمين ٦٩/٤ ، وانظر ترجمته برقم ١٣٤ في الجزء الأول من هذا الكتاب ص ٤٨٣ .

(٢) وانظر ترجمة حسن بن عجلان رقم ١٩٦ ص ٢٤٦ من هذا الجزء .

(٣) أى في العقد الثمين للفاسي .

ذلك ، وينصف في الثمن . وملك من العبيد والحَيِّل والدروع شيئا ١ كثيرا .

ومن أفعاله المحمودة تسبيل الماء بالمرورة من العلقمية ، وصدقة على الزُّوَّار للنبي ﷺ في طريق الماشي ، وهذه الصدقة جزء من المال المعروف بمال ابن حَسَّان صاحب خُلَيْص بواسطة هَدَّة بنى . جابر ، بما لذلك مِنَ السَّقِيَّة ، ونفعها مستمر إلى الآن — أجزل الله ثوابه .

ولشيخنا — بالإجازة — يحيى بن يوسف . المعروف بالنشو ، الشاعر المكي فيه مدائح كثيرة . منها للنشو — فيما أنبأنا به — من قصيدة أولها :

لَوْلَا الْعَرَامُ وَوَجْدُهُ وَنُحُولُهُ
مَا كُنْتُ تَرَحَّمُهُ وَأَنْتَ عَذُولُهُ
إِنْ كُنْتَ تُنْكِرُهُ فَسَلِّ عَنْ حَالِهِ
فَالْحُبُّ دَاءٌ لَا يُفِيقُ عَلَيْهِ
يَا مَنْ يَلُومُ عَلَى الْهَوَى أَهْلَ الْهَوَى
دَعْ لَوْمَهُمْ فَالصَّبْرُ مَاتَ جَمِيلُهُ ١٥

ومنها :

دَعْ عَنْكَ مَنْ لَاخِيرَ فِيهِ مِنَ الْوَرَى
لَا تَمْتَدِّحْهُ فِي الْأَنَامِ بَدِيلُهُ

- وَأَمْدَحَ مَلِيكَ الْعَصْرِ وَابْنَ مَلِيكِه
 ١ مَن شَاعَ مَا بَيْنَ الْمَلَا تَفْضِيلُهُ
 عَجَلَانُ نَجْلُ رُمَيْثَةَ بْنِ مُحَمَّدٍ
 أَمِنَ الْحَوَادِثَ وَالْخُطُوبَ نَزِيلُهُ
 ٥ مَلِكٌ إِذَا قَابَلَتْ غُرَّةَ وَجْهِهِ
 فَلَكَ الْغِنَى وَالْفَقْرُ عَنْكَ يُزِيلُهُ
 وَرِثَ الْمَكَارِمَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ
 فَتَوَالَهُ لِلْعَالَمِينَ يُنِيلُهُ
 مِنْ آلِ أَحْمَدَ وَاحِدٌ فِي عَصْرِهِ
 ١٠ فَهُوَ الشَّرِيفُ ابْنُ الشَّرِيفِ سَلِيلُهُ
 مَاذَا يَقُولُ الْمَدْحُ فِيهِ وَمَا عَسَى
 إِذْ كَانَ يَخْدُمُ جَدَّهُ جَبْرِيلُهُ
 أَمَا الْمُلُوكُ فَكُلُّهُمْ مِنْ دُونِهِ
 كَالْبَدْرِ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ حُلُولُهُ
 ١٥ سُلْطَانُ مَكَّةَ وَالْمَشَاعِرِ وَالصَّفَا
 مَنْ لَا يَخَافُ مِنَ الزَّمَانِ نَزِيلُهُ
 لَوْ حَاوَلَ النَّجْمَ الْعَظِيمَ لَنَالَهُ
 تُنْبِيكَ عَنْهُ رِمَاحُهُ وَنُصُولُهُ
 سَكَنْتَ مَحَبَّتَهُ الْقُلُوبَ جَمِيعَهَا
 ٢٠ لَمَّا تَقَارَنَ سَعْدُهُ وَقَبُولُهُ /

- قلت^(١) : ورأيت بخط الوالد للشريف عجلان ترجمة
مختصرة ، مع تراجم جماعة من أمراء مكة ، وأظنه نقلها من تأليف
لشيخه الفاسي ، قال فيها : وكان ذا عقل وافر ، ورأى ودهاء ،
ومعرفة تامة بالأمور ، وسيرة حسنة ، وعنده رفق بالرعية ، وإكرام
لأهل السنة . فلا جرم أنه نال سعادة عظيمة في نفسه ، ومَلَكَ
ما لا يملكه غيره من أمراء مكة بعد أبي الفتوح — فيما أعلم —
وهو البلد المعروفة بحلّى ابن يعقوب ، في سنة ثلاث وستين
وسبعمائة وطرّد عنها صاحبها أحمد بن عيسى الحرامى — بالراء
المهمله — بعد أن قَتَلَ خلقا من أصحابه ، بالموضع المعروف
بقَحْزَة ، وبه عُرِفَت هذه القضية ، ثم نُحْدِع فيه فتركها له .

- ونال سعادة عظيمة في أولاده ، فما منهم أحدٌ إلا وَوَلَّى إمرة
مكة ، إمّا استقلالاً ، أو نيابة . فأما الذين وَلَّوها استقلالاً فإنّا
أفردناهم بالذكر . وسنذكر هاهنا الذين وَلَّوها نيابة . فهم :

- خُرُص بن عجلان ، ناب عن أبيه في مَبْدَأِ ولايته ، ومات في
عشر الستين وسبعمائة — ظنا^(٢) .

- ومنهم : كُبَيْشُ بن عجلان ، ناب عن أبيه وأخيه أحمد ،
وقام بتدبير أمر ولده محمد بن أحمد بن عجلان ، وحارب عَنَانَ

(١) أي مؤلفنا العز بن فهد . والذي رآه بخط الوالد لم يرد في بغية المرام للنجم

ابن فهد ترجمة الشريف عجلان اللوحات ١٠٥ — ١٠٩ .

(٢) وانظر ترجمته في العقد الثمين ٣١٣/٤ برقم ١١٢٨ .

- بعده ، وسار إليه في جمع كثير ، فالتقوا بأذاخر في يوم السبت ١
تاسع عشر شعبان ، سنة تسع وثمانين وسبعمائة ، وتكاثر عليه
أصحاب عَنان فقتلوه بعد أن قاتل قتالا عظيماً^(١) .
ومنهم : محمد بن عجلان ، نَابَ عن أخيه عَلِيٍّ في الإمرة ،
وقام بعده بأمر البلد ، حتى وصل أخوه السيد الشريف حسن بن
عجلان من مصر ، وكان دخل مصر ، واليمن ، فأكرمه الأشرف
صاحب اليمن ، وبعث معه محملاً في سنة ثمانمائة ، وتوفي في شهر
ربيع الأول من سنة اثنتين وثمانمائة بمكة^(٢) .

- أنشدني الأديب يحيى بن يوسف المكي ، المعروف بالنشو ،
الشاعر لنفسه — إجازة — من قصيدة يمدح بها الشريف عجلان : ١٠
أما الملوك فكلّهم من دونه
كالبدْر في أفقِ السماء حُلُولُهُ
سلطانُ مكةَ والمشاعرِ والصفَا
مَنْ لا يخاف من الزمانِ خَلِيلُهُ^(٣)
لو حاولَ النجمَ العظيمَ لناله
تُنْبِيكَ عنه رِمَاحُه ونُصُولُهُ
سكنت مَحَبَّتُهُ القلوبَ جميعَهَا
لَمَّا تَقَارَبَ سَعْدُهُ وَقَبُولُهُ

(١) وانظر ترجمته في العقد الثمين ٨٥/٧ برقم ٢٣٦٠ .

(٢) وانظر ترجمته في العقد الثمين ١٣٧/٢ برقم ٣٠١ .

(٣) كذا في الأصل . وفي سمط النجوم العوالي ٢٤٦/٤ وما سبق ص ١٥٥ .

انتهى .

١

قال الوالد : وقال الشريف أبو العباس أحمد بن علي بن الحسين بن عُقْبَةَ الحسنى ، في كتابه « عمدة الطالب في نسب آل أبي طالب » : وأما عَجْلَانُ بن رُمَيْثَةَ ابن أبي نُمَيٍّ وَيُكْنَى أبا سريع ، وَيُلَقَّبُ عز الدين ، فملك مكة بعد أبيه ، وكان إخوته : ٥
مُعَامِسٌ وَثَقْبَةُ وَسَدِّدٌ يَنَازِعُونَهُ ، وَأَخْرَجُوهُ مِنْ مَكَّةَ مَرَارًا ، ثُمَّ عَادَ إِلَيْهَا وَمَلَكَهَا ، وَاسْتَقَرَّتْ عَلَيْهِ بَعْدَهُمْ بَغِيرُ مَنَازِعَ ، إِلَى أَنْ سَلَّمَهَا عَنْ طَيْبِ نَفْسٍ إِلَى ابْنِهِ أَحْمَدَ .

وولد عجلان بن رُمَيْثَةَ أَحْمَدُ وَمُحَمَّدًا وَعَلِيًّا — انتهى .

١٢٧ ظ قلت : ورأيت قصيدة مَدْحًا / فيه ، ما علمتُ ناظمها ، ١٠
وهي :

تَعَرُّ الزَّمَانِ لِهَذَا الْيَوْمِ مُبْتَسِمٌ
فَالْوَصْلُ بِاللَّثَمِ خَذُّ وَالسُّرُورُ فَمُ
جَادَ الْحَيَا مِنْ جِيَادِ رَوْضَةِ حُمَيْثُ
١٥ مَنِ الدُّبُولُ فَشَمْلُ الْمُلْكِ مُلْتَمِ
قد أصبح العِزُّ يَبْنِي فِي مَنَازِلِهِ
مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ كَالْبُنْيَانِ يَنْهَدِمُ
غَنَّى الْغَنَّا كُلَّ صَوْتٍ فِي جَوَانِبِهِ
فَشَبَّبتُ رَاقِصَاتِ وَسْطِهِ النَّعْمُ

- ١ كَأَنَّمَا بَنَتْ كَرَمٌ فِي مَفَاصِيلِهِ
مَشَتْ وَقَدْ حَلَّ فِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ
شَفَى سَرِيعاً مِنَ الدَّاءِ الْمُلِمِّ بِهِ
أَبُو سَرِيعٍ فَمَا فِي جَسَمِهِ أَلَمٌ
جَاءَتْ جُيُوشُ التَّهَانِي وَهِيَ رَاكِضَةٌ
خَيْلاً مِنَ الشَّعْرِ لَمْ تُغْلَكْ لَهَا الْجُمُ
فَالْوَصْلُ يُقْبَلُ إِقْبَالَ الشَّجَاعِ إِلَى
مَوَاسِمِ الْحَرْبِ وَالْهِجْرَانِ يَنْهَزِمُ
سَلَتْ يَدُ الدَّهْرِ سَيْفًا كَانَ أَغْمَدُهُ
١٠ فَلَا تَلُمُهُ فَأَنْتَ الصَّارِمُ الْخَذِمُ
شَقِيقُكَ الْقَمَرُ الْمَيْمُونُ طَلَعَتْهُ
يَزِيدُ فِي الْحُسْنِ إِذْ يَبْدُو وَيُنْكِتُ
لَا يُعْرِفُ النِّفْعُ فِيهِ عِنْدَ مَطْلَعِهِ
إِلَّا إِذَا جَهِلَتْ (١) فِي سِتْرِهِ الظُّلُمُ
وَجَوْهَرُ الْعَقْدِ لَوْلَا صَوْنُ بَهْجَتِهِ
١٥ حِينَا لَمَا كَانَ فِي اللَّبَاتِ يَنْتَظِمُ
وَاللَّيْثُ مَازْهَرَتْ فِي النَّفْسِ صُورَتُهُ
إِلَّا لِمَا أَخْفَتْ الْعَابَاتُ وَالْأَجْمُ
يَابْنَ النَّبَى وَيَا نَجْلَ الْوَصِيِّ وَذَا أَلْ—
٢٠ خُلِقَ الرِّضِيُّ وَمَنْ مَعْرُوفُهُ أَمُّ

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ . وَلَعَلَّهَا « جَهْدَتْ » .

- ١ يا مُخْجَلِ الشَّمْسِ فِي ضَوْءِ الْجَبِينِ وَفِي الدُّنُورِ الْمُيِّنِ وَمَنْ تُهْدَى بِهِ الْأُمَمُ
قُدِّمَتْ فِي أَشْرَفِ الْأَزْمَانِ مَغْبُطًا
بِقُرْبِكَ الْبَيْتِ وَالْأَرْكَانِ وَالْحَرَمِ
٥ مَا جِئْتَ إِلَّا مَجِيءَ الْغَيْثِ بَعْدَ صَدَى
حَتَّى شَكَتَ رِيَّهَا الْقِيْعَانُ وَالْأَكْمُ
يَكَادُ يَسْتَلِمُ الرُّكْنَ الشَّرِيفُ إِذَا
أَتَيْتَهُ فَمَ صِدْقٍ مِنْكَ يَسْتَلِمُ
أَيَّامُ بُعْدِكَ عَنْهُ طَالَ أَقْصَرُهَا
١٠ وَحُرْمُ الصَّبْرِ فَهِيَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ
وَزَمْرٌ بِدَمْعٍ كَالسِّيُولِ بَكَتْ
إِذْ غَبَتْ عَنْهَا فَفِيهَا الْمَاءُ يَلْتَطِمْ
وَفِي الْمَقَامِ أَقَامَ الشُّوقُ مُنْتَظِرًا
قَدُومَ أَنْسِكَ إِذْ تَمْشِي بِهِ الْقَدَمُ
١٥ وَمَا صَفَا لِلصَّفَا عَيْشٌ لَغَيْبَتِكُمْ
وَلَا عَلَى بَابِهِ الْأَمَالُ تَزْدَحِمُ
وَالْمَرْوَةُ امْتَلَأَتْ وَجَدًا وَقَدْ فَقَدَتْ
مُرُوءَةً مِنْكَ عَنْهَا تَقْصُرُ الْهِمَمُ
وَمَسْجِدُ الْخَيْفِ نَالَ الْخَوْفُ مِنْهُ فَمَا
٢٠ مَرَّتْ بِهِ بَعْدَكَ الْعُقْبَانُ وَالرَّحْمُ /
وَلَمْ يَفْزَ بِأَمَانِيهِ مِنْى فَعَدَا
يَبْكِي لِبُعْدِكَ عَنْهُ وَالْدَمْعُ دَمٌ

- ١ ولم يكن عرفات عارفاً أحداً
إذ ليس يعلوه منك العلمُ والعلمُ
فلتحمد الله هاتيكِ المواقفُ قدُ
زَالَ الصَّدَى إذ سقاها الوابلُ الرَّدْمُ
عجلان قد جاءها عجلان أنعمهُ
٥ تجرى رسوم نداه الأنيقُ الرسمُ
جاءت بمُعْتَزٍ اعتزَّتْ عزائمهُ
بالله فالحدُّ منه ليس يَنْتَلِمُ
مؤيدُ الزَّئِدِ واري الزَّئِدِ تحسبهُ
١٠ من حِدَّةِ الذَّهْنِ نارُ الأفقِ تَضْطَرُّمُ
داني الإجابة هَطَّال السَّحَابَةِ وصَّا
لُ القَرَابَةِ لم تُقْطَعِ بِهِ رَحِمُ
إن أحسنوا فهو بالإحسان مبتدئُ
وإن أساءوا فعافٍ ليس يَنْتَقِمُ
١٥ تحوطهم منه عينٌ غيرُ نائمةٍ
إلا إذا كان حلما عنهم الحُلُمُ
مواهبٌ كالبحار الزاخرات لهم
أقلُّ مَوْجُودِهَا أن يَغْرَقَ العَدَمُ
كأن إسحاق يُنْهِي قولَ قائلهم
٢٠ شعرا به تُطْرَبُ الأوتارُ والنَّعْمُ
اللفظ كالذُّرِّ والآتي بجَوْهَرِهِ
قُسُّ بِسُوقِ عُكَاظٍ والنَّدَا الحِكْمُ

- ١ أَقْسَمْتُ إِنَّكَ لِلْمَيْمُونُ طَائِرُهُ
وَلَمْ يَكُنْ لِسَوَى تَأْكِيدِي الْقَسَمُ
فليس يحرم منه الجود آملُهُ
لَكِنَّهُ أَبَدًا يُعْطَى وَيَحْتَرَمُ
- ٥ تَحْتَالُ خَيْلٌ جِيَادٌ أَنْتَ رَاكِبُهَا
كَأَنَّمَا الْأَرْضُ مِنْ أَمْلَاكِهَا قِمَمُ
تَبْدُو عَظِيمَاتٍ أَوْسَاطٍ مُضْمَرَةً
فَكَلِمَا اتَّسَعَتْ ضَاقَتْ بِهَا الْحُزْمُ
مَارَامُكُمْ آلَ بَيْتِ الْمُصْطَفَى أَحَدُ
- ١٠ بِالسُّوءِ إِلَّا وَحَلَّتْ دَارُهُ النَّقَمُ
لَمْ يَفْتَرِضْ جُدُّكُمْ إِلَّا مَوَدَّتَكُمْ
أَجْرًا لَهَا فَعَرَاهَا لَيْسَ تَنْفَصِمُ
عُلُوكُمْ بَعْلَى غَيْرُ مُنْخَفِضٍ
وَفَخْرُ فَاطِمَةَ مَا لَيْسَ يَنْفَطِمُ
- ١٥ الْعَرَبُ تَعْرِفُ فَضْلًا لَيْسَ تُنْكِرُهُ
لَكُمْ فَكَيْفَ مُلُوكُ التُّرْكِ وَالْعَجَمُ
قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ إِذْ وَافَى بَنَى حَسَنَ
مُطَاعِنُ الدَّهْرِ وَالْأَيَّامُ تَصْطَلِمُ
وَافَى سَلِيمًا مِنَ الْآفَاتِ وَابْتَهَجُوا
- ٢٠ عِلْمًا بِأَنَّهُمْ فِي سَلَامِهِ سَلِمُوا
فِي جَنَّةٍ أَصْبَحُوا مِنْ أَمْنٍ طَاعَتِهِ
فَلَا يُلِمْهُمْ بِهِمْ هَمٌّ وَلَا هَرَمُ

- ١ خُذَهَا عَزِيزَةً مَمْدُوحٍ وَمُمْتَدِّحٍ
دُونِي زُهَيْرٍ كَمَا مِنْ دُونِكُمْ هَرَمُ
رَشِيقَةِ الْقَدِّ وَسَنَى مَا بَهَا سَتَةٌ
مهْضُومَةٌ الْكَشْحُ لِلْعِذَالِ تَهْتَضِمُ / ١٢٨ ظ
٥ تُرِيكَ وَجْهًا كَشَمْسِ الصَّحْوِ طَالِعَةً
وَقَدْ أُدِيتَ بِهَا مِنْ كَفِّكَ الدِّيمُ
بَعِيدَةً قَرَّبَتْهَا مِنْكُمْ رَحِمُ
مِنْ الْحُسَيْنِ غَدَتْ مَوْصُولَةً بِكُمْ
إِنْ تُعْظِمِ الْمَهَرَ عَنْهَا تَمْشِ رَافِلَةٌ
١٠ مِنْ حَوْلِهَا خَدَمٌ مِنْ حَوْلِهَا حِمَمُ
لَا زِلَتْ بِالْعَزِّ عَزَّ الدِّينِ مُرْتَفِعًا
كَالْبَدْرِ أَوْ كَهَلَالِ الْفِطْرِ يَتَسِمُ
السَّعْدُ وَالنَّصْرُ وَالْإِقْبَالُ مُنْجِدُهُ
أَنْنَى اتَّجَهْتَ فِسَادَاتِ الْوَرَى خَدَمُ
١٥ مَا أَنْتَ مِنْ نَقْصِ ضَوْءِ كَاهِلَالٍ وَلَا
بِهِ تُشَبَّهِهُ إِلَّا حِينَ تُلْتَثِمُ
وَلِلْأَدِيبِ جَمَالِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ حَسَنِ بْنِ الْعُلَيْفِ (١) قَصِيدَةٌ
مَدَحَهُ بِهَا ، سَمِعَهَا الْوَالِدُ مِنْ وَلَدِهِ الْعَلَامَةِ بَدْرِ الدِّينِ حُسَيْنِ فِي يَوْمِ

(١) هو محمد بن حسن بن عيسى بن أحمد بن سلم العدناني الحلوي ، يلقب

بالجمال ، ويعرف بابن العلييف . توفي في رجب ٨١٥ هـ . (العقد الثمين ٤٧١/١

برقم ١٤٥ ، وشذرات الذهب ١١٢/٧) .

- الجمعة ثانی عشر ربیع الأول سنة تسع وأربعین وثمانمئة ، بالمسجد
الحرام — ولی أنا منه إجازة — قال : أنشدنی والدی لنفسه
[قصيدة ^(١)] يمدحه فی سنة ثلاث [وستین] ^(٢) وسبعمئة أولها :

- أما ورشِيقَاتُ القُدُودِ المَوَایِسِ
ذَوَاتِ العُیُونِ الفَآئِرَاتِ التَّوَاعِيسِ
كَوَانِسُ مَا یَئِنَ الحُدُورِ کَأَنَّهَا
على الوصفِ آرَامُ الظُّبَاءِ الكَوَانِسِ
أوانسُ كَمْ مِنَّا جُسُوماً تَرَكْنَهَا
خَوَالٍ مِنَ الْأَزْوَاجِ غَیْرَ أَوَانِسِ
هُمُ بَاعِثَاتُ الْوَجْدِ فِي كُلِّ مُهْجَةٍ
وَفِي كُلِّ صَدْرِ بَاعِثَاتُ الْوَسَاوِسِ
لَوَابِسُ فِینَانَ الْأَثِیثِ وَلَمْ أَرِ
لَوَابِسَ إِلَّا هُنَّ غَیْرَ لَوَابِسِ
تَجَانِسَ مِنْهَا فِي الْعُقُودِ مَبَاسِمُ
لَهُنَّ دَوَاعِي نَسْبَةٍ فِي التَّجَانُسِ
أَرَاكَ عَلَى وَدِّي بِهِنَّ مُصَاحِباً
طَمَاعَةً قَلْبٍ مِنْهُمُ غَیْرَ آيسِ

(١) إضافة على الأصل .

(٢) في الأصل « ثلاث وسبعمئة » والإضافة يقتضيها السياق ؛ لأن الممدوح الشريف عجلان مات سنة ٧٧٧ هـ عن سبعين سنة ، ولا يعقل أن المادح مدحه قبل ولادته ، ولأن عجلان كانت له انتصارات في سنة ٧٦٣ هـ في فتح حلي ابن يعقوب ، ويقول المؤلف في ص ١٥٢ من هذا الجزء « مدحه الناس بسببها » وهذا يرجح ما أضفته .

- ١ وساق كَسَاهُ فَاجِمُ الشَّعْرِ فارتدى
رُؤْيَ لَابِسٍ مِنْ شَعْرِهِ غَيْرَ لَابِسٍ
يُدِيرُ يُسْرَاهُ مُدَاماً كَأَنَّهَا
ضِيّاً قَبَسَ يَهْفُو عَلَى كُلِّ مَا يَسِ
وَلَسْتُ بِنَاسٍ وَالنَّوَى قَدْ أَذَاعَهُ
مَسِيرًا أَرَانَا عَافِيَاتِ الْمَغَارِسِ
مَقَالَى وَقَدْ لَاحَتْ لِعَيْنِي بِاللَّوَى
بَوَاقِي عِلَامَاتِ الرُّسُومِ الدَّوَارِسِ
خَلِيلِي عُوجًا نَمْتَرَى فَيُضْ عُبْرَةً
١٠ عَلَى طَلَسَمِ الرَّسْمِ الْقَدِيمِ الْقَدَامِسِ (١)
وَكَمْ لَيْلَةٍ سِرْنَا إِلَى أَنْ تَمَخَّضَتْ
عَنْ الصَّبْحِ مَا بَيْنَ الْقِفَارِ الْبَسَابِسِ
وَصَلْنَا بِبَرْدِ اللَّيْلِ حَرَّ هَجِيرٍ مَا
قَطَعْنَا بِأَعْمَالِ الْجَمَالِ الْقَنَاعِسِ (٢)
١٥ إِلَى حَيْثُ لَا تَلْقَى بِهَا سُوحَ بَاخِلٍ
عَلَيْهَا وَلَا تَلْقَى بِهَا وَجْهَ عَابِسٍ
إِلَى ذِي بَشَاشَاتٍ تُلَوِّحُ كَأَنَّهَا
تَنْفُسُ صُبْحٍ مِنْ خِلَالِ الْعَسَاعِسِ

(١) القدامس : الشديد (لسان العرب — ق د س) .

(٢) القناعس : جمع قنعاس ، وهو الجمل الضخم العظيم . (لسان العرب —

- ١ وإِلَّا وَمِیْضُ الْبَرْقِ وَهْنًا وَقَدْ سَرَى
يلوح ابتساما كالسحاب المناعس
إِلَى قَائِمٍ عَمَّ الرَّعِيَّةَ عَذْلُهُ
وسائسٍ مُلْكٍ دُونَهُ كُلِّ سَائِسٍ
٥ إِلَى ابْنِ رَسُولِ اللَّهِ عَجَلَانِ أَوْضَعَتْ
قُلُوصِي بَرَحْلِي فِي الْخَبَاتِ الطَّوَامِسِ
كَأَنِّي لَمَّا أَنْ حَلَلْتُ بِسُوحِهِ
أَنَحْتُ قُلُوصِي فِي جَنَانِ الْفَرَادِسِ
بَدَا لِي إِذْ عَايَنْتُهُ فِي جَبِينِهِ
١٠ مِنْ الْبَشَرِ مَا يَجْلُو ظِلَامُ^(١) الْمَقَابِسِ
فَحَدَّثْتُ نَفْسِي بِالْعَفَا مِنْهُ إِذْ بَدَتْ
خَلَائِقُ تَوَلَّى الْعَفَا كُلِّ جَالِسٍ
خَلَائِقُهُ تُنْبِئُكَ عَنْ فَضْلِ مَا جَدِ
وَطِيبُ الْجَنَى يُنْبِئُ بِطِيبِ الْمَغَارِسِ
١٥ وَأَغْلَبَ مِنِّي كُلَّ قِرْنٍ إِذَا طَعَى
بِقَلْبٍ كَأَمْثَالِ اللَّيْثِ الْبَيَاهِسِ^(٢)
فَلَوْ رَامَ إِقْلِيمَ الْعِرَاقَيْنِ نَالَهُ
وَمَصْرَ وَمَهْمَا رَامَ مِنْ أَرْضِ فَارِسٍ

(١) فِي الْأَصْلِ « لِلَّوْمِ » وَلَعَلَّ الصَّوَابَ مَا أَثْبَتْنَاهُ .

(٢) الْبَيَاهِسُ : جَمْعُ بِيَهْسٍ ، وَهُوَ اسْمٌ لِلْأَسَدِ ، وَقَالَ ابْنُ سَيِّدَةَ : مِنْ صِفَاتِ

الْأَسَدِ مُشْتَقٌّ مِنْهُ . (لِسَانُ الْعَرَبِ — ب هـ س) .

- ١ بعزمٍ قديرٍ لو أرادَ بعزمِهِ
مَنَالَ الثُّرَيَّا نَالَهَا كُلَّ لَامِسٍ
بجيشٍ تَجِيشُ الأرضَ منه وتلتظي
على الأرضَ منه حامياتِ الوطائسِ
كطُوفَانٍ نُحُوجَ فَاضَ في الأرضِ فاغتدى
بما فوقها من كل رطبٍ ويايسِ
وعَالَ عَوَالٍ في حِجَاكِ كَأَنَّهَا
ثَوَاقِبُ شُهَبٍ طُلَعَتْ في حَنَادِسِ
كَأَنَّ عَلَى الْأَرْوَاحِ وَهْيَ أَسِنَّةٍ
سَمَا عَادٍ الْآ وَقَدَّاتِ النَّبَاسِ
وبيضَ تُنْضَى من غُموذٍ كَأَنَّهَا
عَرَائِسُ بِيضٌ جُرِّدَتْ مِنْ مَلَابِسِ
أَغَارُوا بِهَا بِيضاً وَعَادُوا كَأَنَّمَا
بِهَا مِنْ دَمِ الْقَتْلَى خِضَابُ الْعَرَائِسِ
وخِيلُ تُثِيرُ النَّقْعَ رُكْضاً كَأَنَّهَا
هَبُوبُ الرِّيحِ الذَّارِيَاتِ الرَّوَامِسِ (١)
عَوَادٍ عَلَى خَيْلِ الْأَعَادَى كَأَنَّهَا
عَوَادِي سِبَاعِ طَارِدَاتِ الْفَرَائِسِ

(١) الروامس : الرياح الدوافن للآثار كالرامسات وهي التي تنقل التراب من بلد

إلى آخر . (تاج العروس — ر م س) .

- ١ تَحَامَى غَطَارِيفُ الْكُمَاةِ جِيَادَهُ
 لِمَا فَوْقَهَا مِنْ كُلِّ لَيْثٍ مُمَارِسٍ
 مَدَاعِيسُ حَرْبٍ تَنْطِقُ الْحَرْبُ عَنْهُمْ
 بِأَشْجَعِ مَافَوْقَ الثَّرَى مِنْ مُدَاعِيسٍ
 ٥ وَنَاهِيكَ مِنْ فُرْسَانَ حَرْبٍ تَعْدَهَا
 ذَوَى صَوْلَةٍ نَاهِيكَهَا مِنْ فَوَارِسٍ
 وَيَكْفِيكَ مَافَوْقَ الْمَنَابِرِ فِيهِمْ
 مِنَ الذِّكْرِ عَنْ طَيْبِ الثَّنَافِ الْمَجَالِسِ
 غَرَائِبُ يُثْنِي عِزَّهَا كُلُّ قَائِلٍ
 ١٠ وَآيَاتُ يَتْلُو فَضْلَهَا كُلُّ دَارِسٍ /
 ١٢٩ ظ أَرَدْتُ بِهَا قَوْلَ الْوَلِيدِ مُعَارِضاً
 أَشَاقَكَ تَوْخِيدَ (١) الْجَمَالِ الْقَنَاعِيسِ
 أَنَفَسُ فِي إِتْمَامِ جَاهِي وَحُرْمَتِي
 وَمَا أَنَا فِيْمَا بَعْدَهُم بِالْمُنَافِسِ
 ١٥ إِذَا صَحَّ جَاهِي مِنْ تَعَرُّضٍ نَاجِزٍ
 فَكُلُّ عَطَائِي مِنْهُمْ غَيْرُ بَاخِسٍ

* * *

١٨٦ — سَنَدُ بْنُ رُمَيْثَةَ بْنِ أَبِي نُمَيٍّ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي سَعْدٍ

(١) التَّوْحِيدُ : يُقَالُ وَخَدَ الْبَعِيرَ يَخْدُ وَخْداً وَوَخِداً وَوَخْدَاناً : أَسْرَعَ ، وَوَسَعَ

الْخَطْوُ ، وَرَمَى بِقَوَائِمِهِ كَمَشَى النِّعَامُ . (الْمَعْجَمُ الْوَسِيطُ) .

حسن [بن علي بن قتادة]^(١) الحسنى المكي .
قال الفاسي^(٢) : أمير مكة .

ولى أمرتها شريكا لابن عمه محمد بن عَطِيفَة ، بعد عزل
إخوته ثَقَبَة وعجلان ، وجاء الخبر بولايته وهو معهما في ناحية اليمن ،
فقدم مكة ، وأُعْطِيَ تَقْلِيدَهُ ، وَخُلِعَ عَلَيْهِ وعلى ابن عَطِيفَة ، ودُعِيَ
لهما على زمزم ، وذلك في جمادى الآخرة — وقيل في رجب — سنة
ستين وسبعمائة ، واستمر مباشر الإمرة بمكة إلى أوائل سنة اثنتين
وستين وسبعمائة . وكان بلغه وهو بمنى في أيام الحج من سنة
إحدى وستين أن الترك يريدون القبض عليه ، فهرب إلى جهة نخلة
[وبلغ الترك]^(٣) هربه ، فأنكروا أن يكونوا هموا له بسوء ،
واستدعوه إليهم . فحضر ، ثم وقع بإثر سفر الحاج في هذه السنة
بين بعض الترك — الذين قدموا في موسم هذه السنة للإقامة بمكة ،
عوض الذين قدموا مكة لَمَّا وَلِيَهَا سَنَدُ وابن عَطِيفَة — وبين بعض
الأشراف المكيين منازعة أفضت إلى قتال الترك وبنى حسن . فقام
سند على الترك ، وتخلّى ابن عَطِيفَة عن نصره الترك ، فَعَلِبَ الترك
وخرجوا من مكة ، وَخَرَجَ بإثرهم ابن عَطِيفَة متخوفاً .

ووجدت بخط بعض الأصحاب ، فيما نقله من خط ابن

(١) إضافة على الأصل ، عن العقد الثمين ٤ / ٦١٧ برقم ١٣٥٦ .

(٢) قال الفاسي : أى في المرجع السابق .

(٣) سقط في الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ٤ / ٦١٨ .

١ محفوظ المكي : أن سندا كان خارجا عن البلاد في وقت هذه الفتنة ، وأنه لما وصل طلب الاجتماع بالترك لإصلاح أمرهم ، فلم يمكنه الترك من الدخول عليهم . وهذا يخالف ما تقدّم من قيام سند على الترك — والله أعلم بالصواب .

وكان ثَقْبَةُ بن رُمَيْثَةُ قد جاء إلى مكة بإثر الفتنة ، ولأبيه أخوه سند ، واشتركا في إمرة مكة إلى أوائل شوال سنة اثنتين وستين ، وكان عجلان قد قدم من مصر في رمضان من هذه السنة متوليا لإمارة مكة [شريكا لأخيه ثقبه ، فلما مات ثقبه في أوائل شوال من هذه السنة دخل عجلان مكة]^(١) وقطع دعاء أخيه سند ، وأمر

بالدعاء لولده أحمد بن عجلان ، وأمره بالاجتماع بالقواد العمرة — وكانوا يخدمون سندا — فاجتمع [بهم]^(١) أحمد بن عجلان ، فأقبلوا عليه وعرف ذلك سند ، فخاف على نفسه ، فهرب إلى نخلة . وقيل ، بل أقام بوادي مَرَّ بالجديد ، واستجار بابن أخيه أحمد ابن عجلان . ثم وقع بين بعض غلمان سند ، وبين بعض غلمان

ابن أخيه شيء أوجب تغيير خاطر ابن أخيه عليه ، وأمره بالانتقال من الجديد ، فانتقل سند إلى وادي نخلة ، ثم إلى الطائف ، ثم إلى الشرق ، ثم إلى المدينة النبوية ، ثم إلى الينبع — ووصله وهو بها أوراق بنى حسن من أهل مكة : يأمرونه بالقدوم عليهم إلى مكة ، ليساعدوه على ولايتها . وسبب ذلك أنهم حضروا الوقعة المعروفة

١٣٠ بقحزة قرب حَلَى من بلاد اليمن / وقتلوا مع عجلان أهل حلي ٢٠

(١) سقط في الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ٦١٩/٤ .

- فظفر عجلان وأصحابه ، وأحسن عجلان إلى أصحابه إحساناً رأوه^١ فيهم مقصراً ، وأفضى بهم الحق عليه إلى أن كتبوا إلى أخيه سند يستدعونه — فحضر سند إلى جُدَّة [في]^(١) سنة ثلاث وستين ، وصادف بها جَلْبَةَ فيها مال جزيل لتاجر مكى يقال له ابن عرفة ، فنهبا سند . وبلغ خبره نائب عجلان على مكة كُبَيْشاً ، فجمع أهل مكة وخرج إلى جُدَّة ، ليستنقذ من سند مأخذ ، فأشار عليه بعض أحباب أبيه بعدم التعرض لسند ، ورجوعه إلى مكة وحفظها ، ففعل . ونقل سند ما نهبه إلى الجديد بوادى مَرَّ — وكان ما وقع منه بجدة قبل حضور بنى حسن من حَلِي — فلما حضروا إلى مكة انضم إليه جمع كثير منهم ، وفرق ما معه عليهم ، فلم يفده ذلك^{١٠} في مراده ، لأن كل من انضم إليه من بنى حسن له قريب أكيد مع عجلان . وقصد كل منهم التحريش بين الأخوين ، لينال كل فريق مراده ممن يلائمه من الأخوين ، مع إعراض كل ممن مع الأخوين عن أن يقع بينهم قتال بسبب الأخوين . وعرض بعد ذلك لسند مرض مات منه في سنة ثلاث وستين وسبعمائة بالجديد ، واستولى ابن أخيه عَنان بين مُعَامِس بن رُمَيْثَةَ على خيله وسلاحه ، وذهب به إلى اليمن .

ووجدت بخط بعض المكِّيِّين : أن عجلان بن رُمَيْثَةَ لَمَّا ولي مكة في سنة ست وأربعين وسبعمائة — في حياة أبيه رَمِيثَةَ — أعطى أخاه سَنَدَ بن رَمِيثَةَ ثُلثَ البلاد ، بلا دعاء ولا سِكَّة ، وأنه بعد ذلك^{٢٠}

(١) إضافة عن العقد الثمين ٦١٩/٤ .

١ سافر إلى مصر ، وقُبِضَ عليه بها ، وعلى أخويه ثَقْبَةَ ، ومُعَامِسَ ، حتى يُنْظَرَ في حال عجلان . انتهى بالمعنى [(١)] .

ووجدت بخط بعض المكيين : أن عجلان بن رُمَيْثَةَ ، لما وَلِيَ مكة في سنة ست وأربعين أعطى أخويه سنداً ومُعَامِساً رَسْماً في البلاد ، وأقاما معه مدة ، ثم بعد ذلك تَشَوَّشَ منهما ، ٥ فأخرجهما من البلاد بحيلةٍ إلى وادي مَرٍّ ، ثم أرسل إليهما أن تَوَسَّعا في البلاد — وكان الشريف ثقبه قد توجه إلى الديار المصرية ، فلحقا به بعد شهر . فلما وصلوا إلى مصر لزمهم [السلطان] (٢) عنده .

ووجدت بخطه أيضا : أنهم وصلوا من مصر في سنة ثمان وأربعين وسبعمئة ، فأخذوا نصف البلاد من عجلان بلا قتال . ١٠ انتهى .

ولحمزة بن أبي بكر في الشريف سند بن رُمَيْثَةَ قصيدةٌ يمدحه بها ، أولها :

خَلِيلِيَّ إِمَّا جِئْتُمَا رُبْعَ تَهْمَدِ

١٥ فلا تَسْأَلَا عن غيرها أَمَّ مَعْبَدِ (٣)

(١) سقط هذا الخبر في الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ٦٢٠/٤ .

(٢) إضافة على الأصل .

(٣) كذا في الأصل . وفي سبط النجوم العوالى ٢٤٤/٤ « .. فلا تَسْأَلَاهُ غير عن

أَمَّ مَعْبَدِ » .

- ١ وإن أنتم أبصرتم بآفة الحمى
ورسماً لذات المبسم المتبدد^(١)
فأول ما تستشهدا عن حلوله
وتستفهما أخبار رسم ومعهده
عسى تُخبر الأطلال عمن سأتما
بما شئتما للمستهام المسهد
ومنها في المدح :
وفي سند أسندت مدحاً منضداً
غريب القوافي كالجمان المنضد
هو القيل وابن القيل سلطان مكة
١٠ وحامى حماها بالحسام المهند
وصفوة آل المصطفى طود فخرهم
وبانى علاهم فوق نسر وفرقد
بنى ما بنى قدماً أبوه رميثة
وشاد الذى قد شاد من كل سؤدد
١٥ وشن عتاق الخيل شعثاً ضوامراً
وأفنى عليها كل طاغ ومعتد
فروى صفاح البيض من مهبج العدى
وسمر القنا مهما اعتلى ظهر أجرد

(١) كذا في الأصل ، والعقد الثمين ٦٢٠/٤ ، وسمط النجوم العوالى ٢٤٤/٤ .

ولعلها « المتبرد » .

- ١ وأبيض طَلَقُ الوجهِ يَهْتَرُ للندى
وَيُجْدَى إذا شَحَّ الحَيَا كُلَّ مُجْتَدٍ
كريمٍ حليمٍ ماجدٍ وابنٍ ماجدٍ
ظريفٍ شريفٍ سيِّدٍ وابنٍ سيِّدٍ
٥ إمام الهدى بحرُ الندى مُهْلِكُ العَدَى
وبدرُ بَدَا من آلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ
[أَشْمُ طَوِيلُ البَاعِ نَدْبٌ مُهَذَّبٌ
أَغْرَرَحِيبُ الصَّدْرِ ضَخْمُ الْمُقْلَدِ] (١)
فدَوَّحَتْهُ بَيْنَ الوري خَيْرُ دَوْحَةٍ
١٠ وَمَحْتَدُهُ بَيْنَ الوري خَيْرُ مَحْتَدٍ
ومنها :
إِلَيْكَ جَلَبْتُ المَدَحَ إِذْ أَنْتَ كُفُوهُ
وإن أنا أَجْلَبُهُ لِغَيْرِكَ يَكْسِدُ
وما مَدْحُكُمْ إِلَّا عَلَيْنَا فَرِيضَةٌ
وَمَذْخُ سَوَاكُمُ سُنَّةٌ لَمْ تُؤَكَّدِ ١٥
ثَنَاؤُكُمْ أَتَى بِهِ اللَّهُ جَهْرَةً
وَأَنْزَلَهُ وَحِيَاءً عَلَى الطُّهْرِ أَحْمَدُ
انتهى كلام الفاسي .

* * *

(١) سقط في الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ٦٢١/٤ ، وسمط النجوم العوالى

- ١٨٧ — محمد بن عَطِيفَة بن أَبِي نُمَيٍّ محمد بن أَبِي سعد
حسن بن علي بن قتادة بن إدريس بن مُطَاعِن بن عبدالكريم الحسنى
المكى.

قال الفاسى^(١) : أمير مكة .

- وليها — بعد أن عُزِلَ ابنُ عمه عجلان وثَقَبَة ابنا رُمَيْثَة بن أبي
نمى — شريكاً لابن عمه سند بن رُمَيْثَة . ويقال : إن ولاية مكة
[عرضت عليه]^(٢) بمفرده ، فأبى إلا أن يليها شريكا لبعض أولاد
رُمَيْثَة ، فولي معه سند بن رُمَيْثَة .

- وبلغنى أنه لما وصل الخبر بولايتهما إلى مكة أشار عجلان إلى
ثَقَبَة بأن يُعْطِيَ كُلَّ منهما أربعمائة بعير لبنى حسن ، ليساعدهما
على بقاء ولايتهما ، ومنع ابن عطيفة ومن معه . فلم يوافق على ذلك
ثَقَبَة ، واحتج بعجزه عن الإبل المطلوبة منه ، ولما بينه وبين سند
من كثرة الألفة ، ومعاضدة سند له .

- وكان صاحب مصر الملك الناصر حسن لما وَلَّى مكة سنداً ،
وابن عَطِيفَة جَهَّزَ من مصر مع ابن عَطِيفَة عسكرياً فيه أربعة من
الأمراء ، وهم : جَرَكْتُمُ الماردى حاجب الحجاب بالقاهرة ، وكان
مُقَدِّمَ العسكر . وقُطْلُوْبُعَا المنصورى . وعلم دار . وابن أَصْلَمَ .

وذكر ابن محفوظ : أن هذا العسكر كان نحواً من مائتى

(١) العقد الثمين ١٤٠/٢ برقم ٣٠٣ .

(٢) سقط في الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ١٤١/٢ .

مملوك ، ومعهم تسعون فرسا ، وأنهم وصلوا إلى مكة في الثامن من جمادى الآخرة سنة ستين وسبعمائة . انتهى .

وذكر لى بعض الناس : أن هذا العسكر وصل إلى مكة في رجب من السنة المذكورة — والله أعلم بالصواب فى ذلك — وَلَمَّا وصل هذا العسكر إلى مكة وصل إليهم سَنَدُ بن رُمَيْثَة فأعطوه .
تقليده ، وخلعوا عليه وَعَلَى ابن عُطَيْفَة ، ودُعِيَ لهما على زمزم ، وانصلح بالعسكر حال مكة ، وارتفع منها الجور ، وانتشر العدل بها ، وَأُسْقِطَ الْمَكْسُ من المأكولات ، وَجُلِبَتِ الْأَقْوَات ، فرُخِصَتْ فيها الأسعار إلى الغاية ، وانقمع أهل الفساد ، بحيث لم يتجاسر أحد منهم على حمل السلاح بمكة ، لأنَّ مقدّم العسكر أمر بذلك . ١٠

١٣١ واستمر / هذا الحال بمكة على ما ذكرناه إلى انقضاء الحج من سنة إحدى وستين وسبعمائة . ثم تَغَيَّرَ ذلك لفتنة عظيمة وقعت بين بنى حسن من أهل مكة ، والعسكر الذى بها . وهذا العسكر غير العسكر الذى قدم [إلى مكة] ^(١) مع ابن عُطَيْفَة . ومقدّم هذا العسكر أميران : أمير يقال له قُنْدُس ، قدم من القاهرة ١٥ فى جماعة [وأمير يقال له ناصر الدين بن قَرَأْسُتُقَر المنصورى ، قدم من الشام فى جماعة] ^(١) ، ليقيموا بمكة عوض العسكر الذى قدم مع ابن عطيفة . وكان قدوم العسكر الذى مع قُنْدُس ، وابن قَرَأْسُتُقَر إلى مكة فى الموسم من سنة إحدى وستين وسبعمائة .

(١) سقط فى الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ١٤٢/٢ .

١ وسبب الفتنة بين هذا العسكر وأهل مكة أن بعض العسكر رآم النزول بدار المضيف عند الصفا ، فمنعه من ذلك بعض الأشراف من ذوى على ، فتضاربوا ، وبلغ ذلك بنى حسن والثُّرك ، فثارت الفتنة بينهم .

٥ وقيل إن سبب الفتنة أن بعض الترك نزل بدار المضيف ، فطالبه بعض الأشراف بالكِراء ، فضرب بعض الترك الشريف ، فقتل الشريف التركى . فثار جماعة من الترك على الشريف ، فصاح الشريف ، فاجتمع إليه بعض الشرفاء واقتتلوا ، وبلغ ذلك الترك وبنى حسن ، فقصد الأشراف أجيادا ، ووجدوا في ذهابهم إلى أجياد خيلا على باب الصفا للأمير ابن قرأسنقر ، ليسعى عليها بعد طوافه — فإنه كان ذلك اليوم ذهب للعمرة من التنعيم — فركبها الأشراف ، وبلغ ابن قرأسنقر الخبر — وهو يطوف — فقطع طوافه ، وتقدم للمدرسة المجاهدية ليحفظها ، فإنه كان نازلا بها ، وتحصن هو وبعض الترك فى المسجد الحرام ، وأغلقوا أبوابه ، وهدموا الظِّلَّة التي على رأس زقاق أجياد الصغير ، ليرَوْا مَنْ يقصدهم من بنى حسن ، ويمنعوه من الوصول إليهم بالنشاب وغيره ، وعملوا فى الطريق عند المجاهدية أخشابا كثيرة ، لتحول بينهم وبين من يقصدهم من الفرسان من أجياد الكبير . هذا ما كان من خبر الترك .

٢٠ وأما ما كان من خبر بنى حسن ، فإنهم لما توجهوا لأجياد استولوا على اصطبل ابن قرأسنقر ، وقصدوا الأمير قُدَس — وكان

١ نازلاً ببیت الرِّبَاع بأجیاد — فقَاتلوه من خارجه حتى غلبوه ، ودخلوا عليه الدار ، فقتلوا جماعة من أصحابه ، وهرب هو من جانب منها ، فاستجار ببعض الشرائف فأجارته . ونَهَبَ منزله بنو حسن ، وقصد طائفةً منهم الترك الذين بالمسجد ، فقتلوا من سراة بنى حسن مُعَامِسَ بْنَ رُمَيْثَةَ أَخَا سَنَدَ ، وغيره .

وكان من أمراء الترك بعد ذلك أنهم خرجوا من مكة بعد أن استجاروا ببعض بنى حسن على أنفسهم وأموالهم ، ولم يخرجوا من مكة إلا بما خَفَّ من أموالهم ، وخرج بعدهم من مكة ابنُ عَطِيفَةَ قاصداً مصر ، خائفاً يتربق ، بسبب ما كان بين ذوى عطيفة والقواد العمرة من القتل ، وكان تخلَّى في وقت الفتنة عن نُصْرَةِ الترك .
١٠ بإشارة بعض بنى حسن بذلك عليه ، وقوَّى عزمه على ذلك قتل الترك لِمُعَامِسِ بْنِ رُمَيْثَةَ .

ووجدت بخط بعض أصحابنا فيما نقله من خط ابن ١٣١ ظ محفوظ : أن ابن عطيفة أراد أن / يتعصَّبَ للترك ، فتهَدَّدَهُ لذلك بعضُ بني حسن بالقتل ، وأنه وسند قعدا في البلاد بعد سفر الترك .

وفي كون ابن عَطِيفَةَ أقام بمكة بعد سفر الترك منها نظراً ، لأن المعروف عند الناس أنه سافر بعد الفتنة إلى مصر . اللهم إلا أن يكون مُرَادُ ابنِ محفوظ أنه أقام بمكة أيَّاماً يسيرة بعد سفر الترك ، ثم سافر من مكة . فلا منافاة حينئذ . والله أعلم —

٢٠

ولما وصل ابن عَطِيفَةَ إلى مصر ، لم يكن له بها وَجْهٌ ، لأن

العسكر لم يحمده ، وكذا أهل مكة : لتقصيره في نُصرة كل من ١
 الفريقين ، ولم يزل بمصر مقيماً حتى مات في أثناء سنة ثلاث وستين
 وسبعمائة ، أو بعدها بقليل . وكانت مدة ولايته سنة ونصفا ، تزيد
 أياما أو تنقص أياما ، للاختلاف في تاريخ قدومه إلى مكة مع
 العسكر الذي جهز معه إلى مكة حين ولايته لها . ٥

ولشيخنا — بالإجازة — الأديب يحيى بن يوسف المكي ،
 المعروف بالنشو مدائح في ابن عطيفة هذا . منها ما أنشدناه —
 إجازة — من قصيدة له يمدحه بها . سنة تسع وثلاثين . أولها :
 تُذِيبُ فَوَادِيَ بِالْغَرَامِ وَتَجَحَّدُ ١٠

وَتَرْضَى بِإِتْلَافِي وَمَالِي مُنْجِدُ
 أَمَا لِكَ نَفْسِي وَهِيَ نَفْسُ أَبِيَّة
 وما عنده من رحمة لي تُوْجَدُ
 أُنْقَضُ عَهْدِي وَالْعَهْدُ وَفِيَّة
 أَلَسْتُ عَلَى الْعَهْدِ الَّذِي أَنْتَ تَعْهَدُ ١٥
 وَتُنْكِرُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ فِي الْهَوَى
 وَلِي فِيكَ أَشْجَانُ تُقِيمُ وَتُقْعِدُ
 فَحَبِّكَ لِي دِينَ وَوَجْهُكَ قِبْلَةٌ
 وَخَالِكَ رُكْنٌ لِلْمُقْبِلِ أَسْوَدُ^(١)

٢٠

ومنها في المدح :

(١) هذا من المجون المستقبح الذي يدل على استخفاف بالمقدسات ولولا أنه
 تراث يفيد في الدلالة على حال عصره لوجب حذفه .

١٠. إِمَامٌ لَهُ فَضْلٌ عَظِيمٌ عَلَى الْوَرَى
كَرِيمُ الْأَيْدَى بِالسَّمَاةِ أَوْحَدُ
يَجُودُ بِمَا تَحْوِي يَدَاهُ تَكْرُمًا
وَيَعْلَمُ أَنَّ الْمَالَ لَيْسَ يُخْلَدُ
فَتَى لَمْ يَرِ الرَّائُونَ مِثْلَ صِفَاتِهِ
إِذَا قِيلَ هَذَا حَاتِمٌ فَهُوَ أَجْوَدُ
أَجَلَ الْوَرَى قَدْرًا وَجَاهًا وَرِفْعَةً
وَأَكْرَمَ مَنْ يُرْجَى عَطَاهُ وَيُقْصَدُ
وَلَهُ فِيهِ مِنْ أُخْرَى ، وَأُنْشَدْنَاهُ إِجَازَةً :
١٠. أَتَرْضَى بِاتِّلَافِ الْحُبِّ ظِلَامَةً
فَتَأْخُذُهُ بِالْعُنْفِ وَالرَّفْقِ الْيَقِي
أَعْنَدَكَ عِلْمٌ أَنَّهُ بِكَ هَائِمٌ
وَأَكْبَادُهُ مِنْ لَوْعَةِ الْهَجْرِ تُحْرِقُ
فَأَحْوَالُهُ تُنْبِي بِمَا فِي ضَمِيرِهِ
إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْقَوْلِ مِنْهُ مُصَدِّقُ
وَمِنْهَا فِي الْمَدْحِ :
- بَلَوْتُ بَنِي الدُّنْيَا جَمِيعًا بِأَسْرِهِمْ
وَجَرَّتْهُمْ إِنَّ التَّجَارِبَ تَصَدِّقُ
فَلَمْ أَرِ فِي ذَا الْعَصْرِ مِثْلَ مُحَمَّدٍ
إِمَامًا بِهِ الدُّنْيَا تُضْيِئُ وَتُشْرِقُ / ٢٠
- ١٣٢ و جَوَادًا إِذَا جَارَ الزَّمَانُ عَلَى الْوَرَى
يَجُودُ بِمَا تَحْوِي يَدَاهُ وَيَنْفُقُ

- ١ لقد جَلَّ عَنْ قَدْرِ الْمَلُوكِ الْأَكْبَرِ (١) مَضُوا
إِلَى الْغَايَةِ الْقُصْوَى مِنَ الْفَضْلِ يَسْبِقُ
يَجُود عَلَى الْعَافِي وَيُبْدِي اعْتِزَّاهُ
فَأَوْرَاقَهُ بِالْجُودِ وَالْبَذْلِ تُورِقُ
٥ لقد أَعْجَزَ الْمُذَّاحُ فِي بَعْضِ وَصْفِهِ
عَلَيْهِمْ بِأَنْوَاعِ الْمَكَارِمِ يُعْدِقُ

ومنها :

- عَلَى أَنَّهُ وَاللَّهِ وَاحِدٌ عَصْرُهُ
وَهَلْ مِثْلُهُ مِنْ بَعْدِ ذَا الْعَصْرِ يُخْلَقُ
١٠ وَمَنْ لَأَمْنِي فِي مَدْحِهِ فَهُوَ جَاهِلٌ
فَجِيدِي بِالْإِحْسَانِ مِنْهُ مُطَوَّقٌ
وَإِنْ كَانَ مَدْحُ الْغَيْرِ عِنْدِي سُنَّةً
فَمَدَحِي لَهُ فَرَضٌ عَلَيَّ مُحَقَّقٌ
انتهى كلام الفاسي .

* * *

- ١٨٨ — أحمد بن عجلان بن رُمَيْثَةَ بن أَبِي نُمَيٍّْ محمد بن ١٥
أبي سعد حسن بن علي بن قتادة بن إدريس بن مُطَاعِينَ الْحَسَنِيِّ
المَكِّي ، يُكْنَى أَبَا سَلِيمَانَ ، وَيُلَقَّبُ شَهَابَ الدِّينِ .

(١) في الأصل « الذي » والمثبت عن سمط النجوم ٢٤٢/٤ .

- ١ قال الفاسي^(١) : أمير مكة ، ورئيس الحجاز .
- ولي إمرة مكة شريكا لأبيه ومستقلا ، ثم شريكا لابنه محمد سِتًّا وعشرين سنة ، تنقص يسيرا — نحو شهرين — كما سيأتى بيانه .
- ونشير إلى ما يوضح ذلك مع شيء من حاله : وذلك أنه كان ينظر فى الأمر بمكة نيابةً عن أبيه أيام مشاركة أبيه وعمّه ثقبه فى إمرة مكة ، فى سنة ستين وسبعمائة . ولما عزلا فى هذه السنة بأخيهم سَنَد ، وابن عمهما محمد بن عُطَيْفَةَ السابق ذكره ، توجه عجلان وابناه أحمد وكُبَيْش [فى جماعة من ألزام عجلان إلى مصر ، فلما وصلوها قُبِضَ على عجلان وابنيه أحمد وكُبَيْش]^(٢) واعتقلوا بِبَرْج بقلعة الجبل بمصر ، وأقسم صاحب مصر السلطان حسن بن الناصر محمد بن قلاوون ألا يطلقهم مادام حيا ، لأنه كان شديد الخلق على عجلان وابنه أحمد لأمر منها : أن أحمد بن عجلان صدّ الضياء الحموى^(٣) عن الخطابة بالمسجد الحرام ، بعد أن برز إلى المسجد فى شعار الخطبة ، فى موسم سنة تسع وخمسين وسبعمائة [رعايةً]^(٤) للقاضى شهاب الدين الطبرى الآتى ذكره^(٥) . وكان ١٥

(١) العقد الثمين ٨٧/٣ برقم ٥٩١ .

(٢) سقط فى الأصل ، والمثبت عن المرجع السابق .

(٣) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن أبى المكارم الحموى المكى . المتوفى سنة

٧٧٠ هـ . (العقد الثمين ٨٦/٢ برقم ٢٣٥) .

(٤) بياض فى الأصل بقدر كلمة ، والمثبت عن العقد الثمين ٨٧/٣ .

(٥) أي فى العقد الثمين ١٦١/٣ برقم ٦٤٧ . وهو أحمد بن محمد بن محمد بن

أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبى بكر بن محمد بن إبراهيم الطبرى ، قاضى مكة .

شهاب الدين أبو الفضل . المتوفى سنة ٧٦٠ هـ .

السلطان قد ولى الخطابة للضيء الحموى ، ثم نقل المذكورين من ١
 بُرج القلعة إلى الإسكندرية لما سمع السلطانُ بفتك بنى حسن في
 عسكره الذى ندبه إلى مكة في موسم إحدى وستين وسبعمئة ،
 ولم يزلوا في الاعتقال حتى قُبِضَ على السلطان المشار إليه ، ثم
 أُطْلِقُوا ، وولى عجلان إمرة مكة شريكا لأخيه ثقبه ، وتوجّه عجلان
 وجماعته إلى مكة بعد الإعراض عن تجهيز العسكر الذى كان الناصر
 حسن عَزَمَ على إرساله إلى الحجاز لتمهيد أمره ، والفتك بكل من
 يوجد فيه من بنى حسن والأعراب . وسبب الإعراض عن ذلك
 زوال [ملك] (١) الملك الناصر المذكور .

ولما وصل عجلان وجماعته إلى وادي مَرَّ لقوا به ثقبه عليلا ١٠
 مدنفا ، ثم مات / ثقبه بعد أيام قليلة في أوائل شوال سنة اثنتين ١٣٢ ظ
 وستين وسبعمئة ، فبادر عجلان وجماعته إلى مكة ، وأشرك معه
 ولده أحمد في إمرتها ، وأمره بالطواف بالبيت ، وأمر عبد السلام
 المؤذن (٢) [أن] يدعو له إذا طاف على زمزم ، وبعد المغرب على
 عادة أمراء [مكة] (٣) في ذلك . وجعل له رُبْعَ المتحصل لأمر ١٥
 مكة يصرفه في خاصته ، وعلى عجلان تَكْفِيَةُ العسكر ، واستمر على

(١) إضافة عن العقد الثمين ٨٨/٣ .

(٢) هو عبد السلام بن عبد الله بن على بن محمد بن عبد السلام بن أبي المعالي

الكاظمي ، مؤذن الحرم الشريف . توفي سنة ٧٧٣ هـ . (العقد الثمين ٥/٢٨٨)

برقم ١٨٠٨) .

(٣) سقط في الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ٨٨/٣ .

- ذلك مدة . ثم إن بعض بنى حسن حَسَّنُوا لأحمد بن عجلان أن
يسأل أباه في السماح له بربع آخر من المتحصل ، وَحَمَلَهُمْ عَلَى
ذلك الحق على عجلان ، لزعْمَهُمْ أَنَّهُ قَصَرَ فِي حَقِّهِمْ . فامتنع
عجلان من موافقة ابنه على ذلك ، وهم بمباينته ، ثم ترك ، لتحقيقه
أن بنى حسن قَصَدَتْ بذلك تحصيل شيء منه ، ورأى أن إسعاف
ابنه بمراده أولى من إسعافهم بقصدهم منه ، فإنه قد لايفيده .
وصار لأحمد نصف المتحصل ولأبيه مثله ، ولكل منهما نواب تقبض
ما يخصه .

- واستمر على ذلك إلى أن ترك عجلان ما كان له لابنه أحمد .
وقيل إن سبب تركه لذلك أنه كان رغب في أن يكون ابنه محمد بن
عجلان ضِدًّا لولده أحمد ، بأن يفعل في البلاد فعلا يظهر به
محمد ، ويغضب منه أحمد [فيلين بذلك جانب أحمد لأبيه ، لأنه
كان قوي عليه ، وينال بذلك مقاصد من ابنه أحمد] ^(١) فكتب
عجلان ورقة إلى ابنه محمد [يأمره] ^(١) بأن يَشْعَبَ هو وأصهاره
الأشراف على أحمد بن عجلان ، وأن يأخذ من خيل أبيه ما شاء ،
ويذهب إلى نخلة فيأخذ منها أدرعا له هناك مودعة ، ويأخذ ممن هي
عنده ما يحتاج إليه من المصروف : فوصلت ورقته إلى ابنه محمد وهو
في لَهْوٍ مع بعض أصدقاء أخيه أحمد ، فأوقفهم على ورقة أبيه ،
فاستغفلوه وبعثوا بها إلى أخيه أحمد ، وأشغلوه باللهو إلى أن بلغ أخاه
الخبر . فقصد أحمد أباه في جمع كثير معاتباً له على ما فعل — وكان

(١) سقط في الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ٨٩/٣ .

- ١ قد بلغه ما كان من ابنه محمد ، وشق عليه ذلك كثيرا — فاعتذر لأحمد ، وما وجد شيئا يتنصّل به إلا السماح له بترك الإمرة ، وظنّ أنه يعجز عما يشترطه عليه عوضا في الترك ، وكان في نفسه ثلاثمائة ألف درهم — فيما قيل — بعضها في مقابلة الإمرة ، وبعضها في ثمن خيل يبيعها له أبوه لعدم حاجته إليها إذ لم يكن أميرا . فالتزم أحمد مقصود أبيه من المال ، وأعاناه عليه جماعة من التجار . فلما تيسّر له المبلغ المطلوب منه ندم [أبوه] ^(١) ورام أن يعرض عن قوله فما قدر عليه ، وما وسعه إلا الموافقة ، فاشتراط على ابنه أيضا أن يكون له بعض الرسوم التي لأمر مكة . وبلغني أنه رَسَم مصر ، وأن يديم له ذلك مدة حياته ، مع الخطبة له والدعاء على زمزم .
- ١٠ فالتزم له ابنه بذلك ، وأشهد كل منهما على نفسه بما التزمه جماعة من أعيان الحرم ، وأنهى هذا الحال لصاحب مصر : أن عجلان ترك نصيبه في الإمرة لابنه أحمد ، وأنه والمجاورين يسألون تقرير أحمد في ولاية مكة بمفرده . فأجاب السلطان إلى ذلك .
- وذكر لي بعض الناس : أن ذلك كان في سنة أربع وسبعين ١٥ وسبعمائة ، وذكر لي بعضهم ما يدل على أنه كان قبل ذلك بسنتين أو نحوهما . والله أعلم . /

واستمر أحمد منفردا بالإمرة إلى أن أشرك معه فيها ابنه محمد ١٣٣١
ابن أحمد في سنة ثمانين وسبعمائة ، وما كان لمشاركته في ذلك أثر ،
لأن السيد أحمد هو القائم بمصالح العسكر ، وإليه النظر في جميع ٢٠

(١) إضافة على الأصل .

الأمر ، واستمر على ذلك إلى أن مات السيد أحمد .

وكان بعد موت أبيه عزم على السفر إلى جهة ينبع ، فقبل
لحرب أميرها ، وقيل لإزالة أمرٍ بوادي الصفراء أمرَ بإزالته لضرر
حصل منه للحاج .

- ٥ فلما نزل الهدة — هدة بنى جابر^(١) — متوجها لقصده بلغه
أن بنى عمه أولاد ثَقَبَة بانوا عنه ، وحالفوا عليه بعض بنى حسن من
ذوى عبدالكريم ، فأعرض عن قصده ، وبعث إلى مكة فرسانا
لصونها . وكشف عن خبرهم ، فبلغه أنهم توجهوا صوب وادي نخلة ،
وأنهم لقوا في طريقهم سليمان بن راشد أحد تجار مكة . وابنه
حسب الله واختطفوهما ، وذهبوا بهما معهم إلى الشرق ، وسار في
١٠ إثرهم إلى أن بلغوا سُوْلَة^(١) بنخلة اليمانية ، فأشير عليه بالمقام هناك ،
وأن يبعث إليهم فرسانا لاستنقاذ ابن راشد وابنه ، فبلغتهم فرسانه
وهم في كثرة وغفلة ، فأوهموهم أنه في الأثر ، ففروا ، وظفر^(٢)
أصحاب أحمد بابن راشد وابنه ، وعادوا بهما إليه . ورجع أحمد بعد

(١) هدة بنى جابر : نسبة لبنى جابر — بطن من بطون حرب — تقع أول
وادي مر الظهران ، وتعد من أعمال مكة ، ويصعد إليها من جبل يقال له الظاهر بقرب
أبي عروة بوادي فاطمة (العقد الثمين ٣١/١ ، ومعجم قبائل الحجاز ، وحسن القرى
بأودية أم القرى — وادي أبي عروة —) .

(٢) سولة : عين جارية ، وبلدة بنخلة اليمانية ، أسفل من الزيمة ، عند مصب وادي
سبوحة ، وهي والزيمة قرئتان بنخلة اليمانية ، وليس بهما غيرها . (معالم مكة للبلادى
١٣٩) وفي معجم البلدان لياقوت : هي قلعة على رابية بوادي نخلة .

(٣) في الأصل ، والعقد الثمين ٩١/٣ « فظفروا » .

- ذلك إلى مكة ، ثم توصلَ بنو عمه إلى نخلة ، ومعهم أفراس عديدة ، فقصدهم بعضُ بنى حسن وأوهمهم أنه يصل إليهم جماعة من بنى حسن ، ليلهم إليهم حنقا على أحمد بن عجلان . وبينما هم على ذلك وإذا بخيل أحمد بن عجلان قد دهمتهم مع عسكره ، ففر بنو ثَقَبَة ، وما سلمت أرواحهم إلا بجُهدٍ — وقبض على بعض جماعتهم ، وأعانهم على ذلك ، أنهم ظفروا بطليعة بنى ثَقَبَة فلم يتيقظوا لأصحاب أحمد — ورجع عسكره إلى مكة ولم يبت بنخلة خوفاً من البيات بها — بعد أن كان أجمَعَ على ذلك — ثم توصل بنو عمه المشار إليهم إلى مصر ، بعد قتل الأشرف شعبان صاحب مصر ، وكتب لهم القائمون بعده إلى أحمد بن عجلان بملاطفتهم وإكرامهم ، ورسوموا لهم بأن يصرف لهم في كل سنة ستين ألف درهم ، وقالوا لهم : إذا لم يرضَ عزلناه ، وأحسنوا إليهم بشيء يتجهزون به .

- فوصلوا إلى أحمد ، وأعلموه الخبر ، فلاطفهم وأرضاهم فيما رسم لهم به ، وتوالفوا مدة . ثم حصل كدر في نفسه منهم ، ومن عَنان بن مُعَامِس بن رُمَيْثَة ، ومن أولاد مبارك بن رميثة ، ليلهم عليه مع صاحب حلي ، لأن أحمد بن عجلان رغب في أن يزيد صاحب حلي في العادة التي جرت بأن يسلمها إليه صاحب حلي ، فلم يوافق على الزيادة لعظمتها ، واستعان عليه بالقواد العمرة فما أفادوه ، فاستعان القواد بعنان وبنى ثَقَبَة فالتزموا لهم بأن يُخزّلوا أحمد بن عجلان عن قصده لصاحب حلي — وكان قد أجمع على ذلك —

- فإن لم يعطهم مالوا عنه لصاحب حلى ، وحلفوا له على ذلك ،^١ وحلف معهم عليه بنو مُبارك ، وبلغ ذلك أحمد بن عجلان — وهو بمكان يقال له أم غراب . قريب من الحسبة^(١) ودوقة^(٢) ، وهو على يوم من حلى للمجد في السير ، فلاطف أحمد صاحب حلى ، وقنع منه بزيادة / دون التي في نفسه ، وأمر عَناناً بمباينته ، فبان عنه ،^٥ فذهب إبلا كثيرة للأعراب . وحصل أفراسا وسلاحا ، فلاطفه أحمد فاستدعاه إليه ، فحضر إليه وأكرمه ، ثم أغرى حسن بن ثقبه ، لِعَتْبِهِمْ عليه في أمرٍ خَفَرَ جوارهم فيه — ومن عادة العرب أن يُقَتَّل من خفر جوارهم — فما تم لأحمد مراد في عَنان ، لأن أحمد بن ثقبه نهي عن قتله . ولما عرف ذلك أحمد أغرى عَنان بأحمد بن ثقبه ،^{١٠} لأن أخاه حسن بن ثقبه ممن أَثْهَمَ بقتل محمد بن مُعَامِس أخى عَنان — ومن عادة العرب ألا يقتصروا في القصاص على القاتل بل يقتلوا غيره من جماعته إذا كان أحشم من القاتل — فكاد عَنان أن يَفْعَلَ ما أمره به ، ثم ترك .

- وعرف عَنان وبنو ثقبه بما كان من أحمد بن عجلان في^{١٥} حَقِّهِمْ ، فسافر عَنان وحسن بن ثقبه إلى مصر ، وشكوا من أحمد

(١) الحسبة : تطلق على وادى الأحسبة ، وصحفها ياقوت بالأحسية والحسية : وهي واد بينه وبين السرين سُرَى ليلة من جهة اليمن ، ويقال بينهما ما يزيد على ٨ كيلاً .
(بين مكة واليمن ١٠٢) .

(٢) دوقة : بلدة تقع جنوب الليث . (معجم معالم الحجاز ، وبين مكة واليمن) .

ابن عجلان تقصيرا كثيرا ، فرسمَ لهما صاحبُ مصر الملك^١ الظاهر^(١) بخطام في الزاملة خمسة وسبعين درهما ، وبأى غُرُوة — قرية بوادى مَرَّ ، بيد أمير مكة — وغير ذلك مما يكون رُبْع المتحصل لأمر مكة .

وكان أحمد قد أتبعهم بكُبَيْش وهدية سَنِيَّة للملك الظاهر هـ فرأى كُبَيْش من الدولة إقبالا على عِنَان ، فالتزم بالموافقة على مارسم به السلطان لِعِنَان ، وحَسَن بن ثَقَبَة ، وسالمهما حتى توصَّل إلى مكة ، فعَرَفَ أحمد بن عجلان الخبرَ ، وقال له : لابد من موافقتك على مارُسِم به لِعِنَان أو قتله . فمال إلى قتله . وسئل أحمد [فى]^(٢) أن يجير عِنَاناً وحَسَن بن ثَقَبَة ، ففعل . وتوثَّق الساعى فى ١٠ ذلك منه ، وكان الساعى لِعِنَان فى الجيرة حَسَن بن ثَقَبَة . فحضر إليه عِنَان فى أيام الموسم ، ثم فرَّ منه عِنَان والناسُ بِمَنَى ، ولحقه حسن بن ثَقَبَة ، لأنه لم يوافق على ما وصلا به .

ثم إن أبا بكر بن سُنُقُر الجمالى أميرَ الحاج المصرى ، وغيره من أصحاب أحمد بن عجلان قالوا لِعِنَان وابن ثَقَبَة : إرجعا إلى أحمد فإنه يجيبُ إلى ما طلبتما ، ونكتب إليه بذلك فلا يخالف .

(١) هو السلطان الملك الظاهر أبو سعيد سيف الدين برقوق بن آنص الجركسى ، تولى سلطنة مصر فى رمضان سنة ٧٨٤ هـ ، ومات فى شوال سنة ٨٠١ هـ . وانظر ترجمته وأخباره فى العقد الثمين ٣/٣٥٧ برقم ٨٣٩ ، والنجوم الزاهرة ٢٢١/١١ — ٣١٨ ، ١/١٢ — ١٦٧ ، والضوء اللامع ٣/١٠ برقم ٤٨ .

(٢) إضافة عن العقد الثمين ٣/٩٣ .

وهذا أخوه محمد يرجع معكما — وكان قد توجه إلى مصر مغاضبا ١
لأخيه ، وطالبا بخير يحصل له بمصر — وحَسَّنوا لمحمد أن يرجع
معهما ، وأنهم يأمرُون أحمد بكرامته ، فرجعوا إلى أحمد ، ولم يتوثَّق
محمد من أحمد لمن قدم به ، ظَنَّا منه أنه لا يخفِّره ، وأنه إذا لم
يُوافق على مقصودهما رَدَّهما إلى مأمِنهما .

ومن الناس من يقول : إنه نَدَبَ أخاه محمدا لإحضارهما ،
فحضرَا معه لذلك ، واجتمعوا بالسيد أحمد ، وقد جَلَسَ لهم مجلسا
عاما فيه الترك والعبيد ، وقرَّرَ معهم أن يقبضوا على عِنَان وحَسَن بن
ثَقْبَة إذا أشار إليهم بذلك . فلما أشار بذلك قبضوا عليهما ، وركب
من فَوْرِهِ إلى أحمد بن ثَقْبَة وقَبَضَ عليه ، وعلى ولده عليّ بن أحمد — ١٠
وكان أحمد بن ثَقْبَة مُظْهِرا طاعة أحمد بن عجلان ، ومُعْرِضا عن
موافقة أخيه حسن وعِنَان فما أفاده ذلك — وقَيَّدَ الجميع ، وضمَّ
إليهم أخاه محمد بن عجلان ، وسجَنَ الخمسة بأجِياد مدة يسيرة ،
ثم بالعلقية ، واستمروا بها إلى موسم سنة سبع وثمانين وسبعمائة .

١٣٤ و في أولها كان القبضُ عليهم ، / وفي موسمها نقلهم إلى أجِياد ، وفي ١٥
موسمها وصل إليه كتابُ السلطان من مصر بإطلاقهم ، فلم يَفْعَلْ ،
ونقلهم بعد الموسم من أجِياد إلى العلقمية عند المروة ، وكادوا أن
يفلتوا منها في أثناء سنة ثمان وثمانين ، ففطن لهم ورُدُّوا، غير عِنَان
فإنه نجا ، وتوصَّلَ إلى مصر ، وكان من أمره ما يأتى ذكره .

وبلغنى أن أحمد بن عَجَلان كتبَ إلى الملك الظاهر ٢٠

[صاحب مصر]^(١) يسأله في ردِّ عَنانٍ إليه . فكتب إليه : وأما ما ذكرت من جهة عَنانٍ فإن الله سبحانه وتعالى يقول ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ﴾^(٢) واستمر المذكورون في سجن أحمد حتى مات ، فَكُجِّلُوا^(٣) بعده بنحو عشرة أيام ، وألِمَ لذلك الناسُ ، وما حصل للراغب في ذلك راحة . وكان المتظاهر بذلك محمد بن أحمد بن عجلان ، فَقُتِلَ بعد كَحْلِهِم بتسعين يوما ، وقتل كَيْش بعد كَحْلِهِم بسنة ، وكانوا تَرَقَّقُوا لمحمد بن عجلان عند كَحْلِهِم ، فما أفادهم ذلك ، وترَقَّقُوا لأبيه بأشعارٍ كتبوها إليه فما أَجَدَّتْ ، فتمَّ على كل منهم ما قضى الله به عليه .

وكان لأحمد بن عجلان سيرة مشكورة ، ومحاسنٌ مذكورة ، لأنه كان كثير العدل في الرعيَّة ، مُكْرِمًا للتجار ، وسمح لهم بأشياء كثيرة ، فكثُر تردُّدهم إليه ، فأثرى وكثُر ماله ؛ مما كان يحصل له منهم من الموجبات والهدايا السنية ، وقرَّرَ بينه وبينهم ضرائب معروفة في الركايب والزوامل ، فلم يكن يتعدى ذلك ، وقرَّرَ أموراً يسمح لهم بها فيما لا يريدون فيه بيعاً من الأزواد والقرطلات^(٤) وغيرها مما يختص بالتاجر وأتباعه ، فما خالف ذلك . وكان نُؤَابِه بجدة معه في أرغد

(١) إضافة عن العقد الثمين ٩٤/٣ .

(٢) سورة التوبة : آية ٦ .

(٣) الكحل : هو إذهاب البصر بحديدة محمأة أو نحوها ، توضع أمام العين حتى يذهب بصرها . (شرح مصطلحات صبح الأعشى) .

(٤) القرطلات : جمع قرطلة وهي عدل الحمار . (تاج العروس) .

- عيش ، لأنهم كانوا يكارمون بالإسقاط ويكارمونهم بالهدية ، ويعلم ١
بذلك السيد أحمد بن عجلان فلا يناهم منه كبير ضرر ، وإنما
يؤدبهم بغرامة لطيفة . وكان يُحسِن لبنى عمه ذوى رُمَيْثَة بأشياء
مُقرَّرة لهم فى كل شهر تقوم بكفائتهم ، وذلك — فيما قيل —
غزارتان فى كل شهر وأربعمائة درهم — وقيل مائتا درهم ، وقيل ٥
ثلاثمائة — غير ما يزيدهم على ذلك من منافع يسألونها منه ، ولهم
عليه رسوم فى كل موسم ، كل سنة عشرة آلاف درهم لكل نَقَر ،
يزيد بعضهم سِرًّا على ذلك ، وربما بلغت الزيادة لبعضهم عشرة
أخرى . وكان يحسن كثيرا إلى من سواهم من بنى حسن من
الأشراف والقواد وعبيده وأتباعه . وما وَجَدَ بالإحسان إليهم إلا خيراً ١٠
كثيراً ؛ لأنه ملك ما لم يملكه غيره من الخيل والسلاح والعبيد .
وبلغت خيلُه نحو أربعمائة ، وعبيده نحو ثمانمائة — على ما قيل
فيهما — وما تأتى ذلك لمن كان قبله من أمراء مكة المقارين
لعصره — وَيَسَّرَ الله تعالى له عقارا طائلا جدا بوادى مَرٍّ ، عظم
انتفاعه به ، وذلك خيوف أحياها ، فملكها من غير شريك فيها ، ١٥
وهي : الأصيفر ^(١) ، والبحرين ^(٢) ، والبثنى ^(٣) ، والحميمة ^(٤) .

(١) الأصيفر : خيف بوادى مَرٍّ ، ينسب لجبل صغير أصفر اللون ، بباطن
الحمض أسفل المرشدية . (حسن القرى بأودية أم القرى) .

(٢) البحرين : قرية بين واسط بنى أحمد والجديد ، قرية من الجموم ، وبها عين
جارية . (المرجع السابق) .

(٣) البثنى : خيف بين الروضة وخيف بنى شديد ، به عين جارية . (المرجع
السابق) .

(٤) الحميمة : وتعرف بالجديدة ، وقديماً بالمبارك ، وهي قبلى البرابر بوادى مر ،
فيها مزارع للحب والخضر . (المرجع السابق) .

وأحيا أيضاً أم العيال^(١) ، والبِقَاع^(٢) بوادى الهدة — هدة بنى^١
جابر — والرَّيَّان^(٣) قُرب المُبارك ، وما وجد / له حاصل طائل ١٣٤ ظ
من النقد لَمَّا مات .

وكان قد تعلَّل قبل موته أياما كثيرة من حَبَّة طلعت عند
أذنه — بلغنى أن جدّه رُمِيَتْهُ ، وجدَّ أبيه أبا نُمَيٍّ ماتا بها — وبعض
الناس قال : إنها من سُمِّ طَيَّار ، وصل إليّ في كتاب من مصر ،
والله أعلم .

وكان يُحْمَلُ في بعض الليالى إلى المسجد فَيَطَافُ به ،
ويقول : وَأَعُوْثَاه . ويكرِّرها ، فيكثر بكاءُ الناس عليه . فلما مات
عَظُمَ عليه الأسفُ ، وارتجَّت مَكَّة لموته ؛ لكثرة ما كان فيها من
الصَّراخ والعويل .

وكانت وفاته ليلة السبت العشرين من شعبان ، سنة ثمان
وثمانين وسبعمائة ، عن نحو ثمان وأربعين سنة ، وصُلِّيَ عليه بالحرم
الشريف ، بعد أن قال المؤذن على زمزم : الصلاة على الملك
العادل . ودُفِنَ بالمعلاة وُبْنِيَتْ عليه قُبَّة . وقد مدحه جماعة من
١٥

(١) أم العيال : قرية بهدة بنى جابر . (المرجع السابق) .

(٢) البقاع : بوادى هدة بنى جابر علو وادى مر ، وقد دثرت في القرن التاسع .
(حسن القرى بأودية أم القرى) .

(٣) الريان : قرية بمر الظهران قرب المبارك ، بها عين عذبة جارية ، ونخيل قليل .
(المرجع السابق) .

الشعراء بقصائد حسنة كثيرة ، وأجازهم بعطايا خطيرة . ١

وكان أعيان البلاد الشاسعة من العراق والهند يُجِبُّونه ، لطيبِ
الثناء عليه ، ويُهادُونه ، وبعث رسولاً إلى صاحب بنَجالة^(١) ، وهَدِيَّةً
مع شخص يقال له كمال الدين النَّهْأُونْدِي ، فمات قبل عوده .

ومن خبره في العدل : أنه لما مات بعض تُجَّار مكة أرسل
إليه ولده بمائتي ألف درهم ، فردَّها ، فظنَّ الرسولُ بها وجماعته أنَّ
أحمد بن عجلان استقلَّها ، فأعادوا ذلك إليه وضاعفوه بمثله فردَّ
ذلك وقال : لم أرُّده استقلالا ، وإنما رَدَدْتُهُ لأنه لا وَجْهَ لَأُخْذِي
له . هذا معنى ما بلغنى عنه في هذه الحكاية . انتهى كلام
الفاسي . ١٠

قال الوالد^(٢) : وقال الشريف أحمد بن علي بن الحسين بن
عُقْبَةَ الحسني في كتابه « عمدة الطالب في نسب آل أبي
طالب » : وولدُ عجلان بن رُمَيْثَةَ أحمد ، ومحمد ، وعلي . أما
أحمد — ويكنى أبا سليمان ، ويُلقَّب شهاب الدين — فملك مكة
في حياة أبيه ، سلَّمها إليه رَغْبَةً ، وتهيَّأ له ما لم يتَّفَقَ لغيره من ١٥
أهله ، وتمكن في البلاد تمكنا عظيما ، وجمع من الخيل والعبيد والمال
والسلاح ما لم يُعْهَدَ لمثله ، ومات حتف أنفه ، وكان له من الولد

(١) بنجالة : هي البنغال ، وكانت تشمل معظم نواحي بردوان ووكالات وهاكة

وغيرها . (دائرة المعارف الإسلامية ٤/ ٢٢٤ — ٢٢٧) .

(٢) مقولة الوالد النجم بن فهد لم ترد في ترجمة أحمد بن عجلان ببغية المرام

اللوحات ١١٣ — ١١٦ .

جماعة ، منهم سليمان ، ملك بعده ، وَقُتِلَ^(١) غيلة . وأما محمد ١
وعليّ ابنا عجلان بن رُمَيْثَةَ ، فلا أُعْرِفُ حالهما^(٢) ، وسمعت أن
عَلِيًّا حاكمٌ بمكة الآن . انتهى .

* * *

١٨٩ — محمد بن أحمد بن عَجَلان — بفتح العين — ابن
رُمَيْثَةَ بن أَبِي نُمَيٍّ محمد بن أبي سعد حسن بن علي بن قتادة بن .
إدريس بن مُطَاعِن الحسنى المكي .

قال الفاسي^(٣) : أمير مكة ، يُلقَّب جمال الدين .

ولي إمرة مكة ثمان سنين شريكا لأبيه ، غير مائة يوم من
آخرها فإنه استقل بها بعد أبيه .

وأول ولايته في سنة ثمانين وسبعمائة ، وكان يصل إليه مِنْ ١٠

(١) لم يرد في شفاء الغرام ٢٠٦/٢ ، ولا في العقد الثمين ٦٠٠/٤-٦١٣ . ولاية
لسليمان المشار إليه هنا ، وإنما الذي تولى بعد أحمد بن عجلان فولده محمد ، وهو الذي
قتل غيلة ، وسترده ترجمته بعد سطور من هذه الترجمة برقم ١٨٩ .

(٢) كذا نقل النجم ابن فهد عن الشريف أحمد بن علي الحسني ، ولم يشر إلى
أن الفاسي قد ترجم لأولهما في العقد الثمين « ١٣٧/٢ برقم ٣٠١ » ، ولثانيهما في العقد
أيضاً « ٢٠٦/٦ برقم ٢٠٨٥ » . هذا وسترده ترجمتهما تحت رقم ١٩٤ ، ١٩٥ من هذا
الجزء .

(٣) العقد الثمين ٣١٧/١ برقم ٣٣ .

- صاحب مصر بسبب ذلك تَقْلِيدٌ وخلعة في كل موسم على ماذكر
 ١ إلى والدى^(١)، وهو المُخْبِرُلى بولايته في سنة ثمانين . ولم يكن لولايته
 في حياة أبيه أثر ، لأن أباه كان يقوم بمصالح العسكر ، وهو الذي
 ينظر في الأمور إلى أن مات . فعند ذلك نظر فيها ولده مع عمّه
 كُبَيْش ، وكان لايفصل أمرا دون كُبَيْش ، وإلى كُبَيْش مُعْظَمُ .
 ١٣٥ والنظر / في الأمور .

- وبعث محمد — بعد موت أبيه — إلى الملك الظاهر صاحب
 مصر كتاباً يخبر فيه بموت أبيه ، ويسأل استقراره عوضه في إمرة
 مكة ، ومحضرا فيه خُطُوطُ أعيان أهل الحرم بسؤال ولايته ، فأجاب
 السلطان إلى ذلك ، وبعث إليه تَقْلِيدًا وخلعة بالولاية مع رسوله
 ١٠ عُطَيْفَةَ بن محمد بن عُطَيْفَةَ بن أبي نَمَى ، فبلغ مكة في آخر شوال
 سنة ثمان وثمانين وسبعمائة ، أو في أول ذى القعدة منها .

- وفي ليلة العشرين من شعبان في هذه السنة مات أحمد ،
 فَلَبَسَ ابنه خلعة الولاية ، وُقِرَى تَقْلِيدُهُ بالإمرة بالحرم الشريف على
 رعوس الأشهاد ، وكان السلطان ولّاه ذلك وهو متغيّر عليه ، لما بلغه
 ١٥ عنه من موافقته على كَحْلِ الأشراف الذين مات أبوه وهم في
 سجنه ، وهم : عمّه محمد بن عجلان ، ونَحَالَاهُ أحمد ، وحسن ابنا
 ثقبه ، وابن خاله علي بن أحمد بن ثقبه؛ لأن السلطان المذكور كان

(١) أي والد التقي الفاسي . وهو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي بن

محمد بن عبد الرحمن الحسنسي الفاسي المكي ، ناب في الحكم بمكة ، وولى مباشرة
 الحرم ، ورحل في طلب العلم . مات في شوال سنة ٨١٩ هـ . (العقد الثمين ١٠٩/٣
 برقم ٦٠٥ ، والضوء اللامع ٣٥/٢ برقم ١٠٣ ، والدليل الشافي ٦٢/١ برقم ٢١٣) .

- ١ سأل أباه في إطلاقهم فامتنع ، فأضمر السلطان ولاية عَنان بن مُعَامِس بن رُمَيْثَةَ لِامرة مكة عوض محمد هذا ، وسيَّرَه مع الحاج المصري ، ولم يطلعه على ذلك ، وأمر أمير الحاج بعدم الاحتفال به ، لئلا يَتَشَوَّش من إكرامه محمد بن أحمد ، فَيَنْفَر ، فيفوت المراد منه .
- ٥ وَعَرَّفَ السلطان الأمير جَرَكْسَ الخَلِيلِيَّ (١) أمير آخور (٢)
- الملكِي الظاهري بما في نفسه مِنْ (٣) حَقِّ محمد وعَنان . وكان من الحُجَّاج في هذه السنة — وهي حَجَّتُهُ الأولى . وحجَّتُهُ الثانية في سنة تسعين وسبعمائة — فلما وصل إلى مكة خدمه محمد وأُمُّه السيدة فاطمة بنت ثَقَبَةَ كثيرا ، وبعثت إليه أمه تسألُه عن حال ابنها وعَنان . فذكر لها أنه لا يعلم على ابنها سوءا — وربما قيل إنه حلف لها على ذلك — فانشرح لذلك خاطرها وحَسَّنَتْ لابنها الإقدام على مُلاقاة المحمل المصري لخدمته (٤) على عادة أمراء الحجاز ، وكان مُحْجِماً عن ذلك لِإشارة كُبَيْش [عليه] (٥) بعدم ملاقاته المحمل . ومازالت به أمُّه حتى وافقها على مُرادِها .

(١) هو جرکس بن عبد الله الخليلي ، صاحب الخان المشهور بالقاهرة ، مات قتيلاً في سنة ٧٩١ هـ . (السلوك للمقريزي ٢/٣ : ٦٨٥ ، والنجوم الزاهرة ٣٨٣/١١ ، والدليل الشافي ٢٣٣/١ برقم ٨٠٧) .

(٢) أمير آخور : هو المشرف على إسطنبول السلطان ومتعلقاته . (صبح الأعشى ٤٦١/٥) .

(٣) كذا في الأصل ، وفي العقد الثمين ٣١٨/١ « في حق » .

(٤) في الأصل « لحرمة » ، والمثبت عن العقد الثمين ٣١٩/١ .

(٥) إضافة عن المرجع السابق .

- ١ فخرج في عسكره إلى أن حضر عند المحمل ، فلما أخذ يُقَبَّلُ خُفَّ الجمل ، وَثَبَ عليه باطِنِيَّان^(١) فجرحاه جِرَاحَاتٍ مات منها من فوره ، وذلك في يوم الاثنين مستهل الحجة سنة ثمان وثمانين وسبعمائة ، وله عشرين سنة ، ونقل إلى المعلاة ، ودُفِنَ بها بعد الصلاة عليه وَغَسِّلَهُ وَكَفَّنِيهِ . وتوجَّع الناس عليه كثيرا سيما أمه ، ويقال إنها كانت دَعَت عليه بالهلاك بعد أن عرفت بِكَحْلِ أخويها ، وَمَنْ ذكر معهما ، لعظم ألمها لذلك ، وألم الناس أيضا لَكَحْلِهِمْ . فَإِنْ صَحَّ هذا عنها فقد آسَتْجِيبَ دُعَاؤُهَا ، وما خطر لها ببال قتله .
- وكان كُبَيْشٌ يَتَوَقَّعُ له ذلك ، ولذلك نهاه عن ملاقة المحمل
- [وكانت أمه لا تَظُنُّ يَصِيْبُهُ مِنَ السَّوِّءِ فِي مَلَاقَةِ الْمَحْمِلِ]^(٢) غير ١٠ . اعتقاله ، وَغَلَبَ على ظنها سلامته ، لما ذكر لها الْخَلِيلِيُّ .
- ويقال إن الخليلي عُوتِبَ على ما ذكره لأمه ، لأنه ظهر بعد ذلك ما يَدُلُّ على علمه للسوء فيه . فاعتذر بعدم قدرته على إفشاء

(١) باطنيان : أى رجلان من الباطنية ، وهى فرقة من الإسماعيلية الشيعية ، كانت تقوم بأعمال الاغتيالات السياسية ، مدفوعة بعقيدتها ، وبالأجر الذى يدفع لها . أنشأ هذه الفرقة حسن الصباح المتوفى سنة ٥١٨ هـ . فى قلعة ألموت ، فى الشمال الغربى من بلاد فارس ، وكانت تسمى بالحشيشيين ، وهى بمثابة جمعية سرية يلتزم أعضاؤها بالطاعة العمياء للرئيس الأكبر ، والاغتيال والقتل أهم أساليبها ، وكان يطلق على الواحد من أعضائها اسم فداوى « فدايى » . (وانظر السلوك للمقرئزى ٢/١ : ٢٧٧ هامش) .

(٢) سقط فى الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ٣١٩/١ .

السِّرِّ ، وقال : كان يَتَّبَعِي لهم أن يَفْطِنُوا لملازمة جماعتنا لَحَمَلِ
السَّلاح .

وما كان لمحمد في كَحَلِ المذكورين راحةً ، / لأنه آتَبَلِي
١٣٥ ظ بفَقْدِ الحياة ، ويستبعد أن يكون للمذكورين على ذلك قُدْرَةٌ إلا أن
يشاء الله ، وكل ما يسدونه إليه من الأذى يَسِيرٌ بالنسبة إلى ما أصابه
من البلاء .

ويقال إنه لم يُوافِقْ على كَحَلِهِمْ حتى عُظِّمَ عليه في التخويف
من شرِّهم ، فما نفعه الحَذَرُ من القَدَرِ ، ولكنه فاز بالشهادة .

ولما قُتِلَ أُعْلِنَتْ ولايةُ عِنانَ بمكة عوض المذكور ، ودَخَلَ مكة
مع التُّركِ وهم مُتَسَلِّحُونَ حتى انتهوا إلى أَجِيَادِ ، فحاربوا مَنْ ثَبَتَ
١٠ لهم من جماعة محمد ثم وَلَّوْا . وترك التُّركُ الحربَ مع التَّيَقُّظِ مخافة
العدو . وانقطع بقتل محمد ولاية أولاد أحمد .

ويقال إن أحمد بن عَجَلان رأى في المنام أن عناناً جَبَّ
ذِكْرَهُ ، فذكر ذلك أحمد لبعض الناس ، فقال له : عِنانُ يَقْطَعُ ذكر
ولدك المذكور . فكان كذلك ، لأنَّ محمداً قُتِلَ ولم يَتْرِكْ ولداً ذكراً ،
١٥ وما ترك أبوه ذكراً غيره .

وكان أحمد قد منح ابنه محمداً هذا ثلاثة خُيُوفٍ أَحْيَاهَا
بوادى مَرَّ وهى : البُنى ، والبَحْرَيْنِ ، والحُمَيْمَةِ ، وثبت إقرار أحمد
بِمِلْكِ ابنه محمد لذلك عِنْدَ قاضى مكة محبِّ الدين التُّوَيْرِى ،
بشهادة عَمِّه القاضى نور الدين التُّوَيْرِى عَلَى أحمد بن عَجَلان
٢٠ بذلك ، ويمين ابنه محمد عَلَى صحة ذلك عند الحَجَرِ الأسود .

- ١ وكان أبوه زَوْجَه على ابنة عَلِيّ بن مُبَارَك بن رُمَيْثَة ، بنت (١) سعدانة بنت عجلان واحتفل أحمد بالنفقة في عُرْس ولده عليها احتفالا عظيما ، ورَزَقَ منها بنتا تسمى شَمْسِيَّة ، هي الآن زوجة السيد رُمَيْثَة بن محمد بن عجلان أمير مكة ، في سنة تسع عشرة وثمانمائة . والله تعالى يُسَدِّدُه ، وإلى الخير يُرْشِدُه . انتهى كلام الفاسي .

- قلت (٢) : شاهدت بخط الوالد الحافظ نجم الدين عمر بن فهد الهاشمي المكي — رحمه الله تعالى — ما صورته من المسودة الأولى — يعني للفاسي : كأن أبوه قد رَشَّحه للإمرة مِنْ بعده ، وَجَعَلَ عَمَّه كَيْبِشاً مُدَبِّراً له ، فلما مات استقرَّ عوضه . ولم يَخْتَلِفْ عليه في ذلك اثنان ، وذلك في أواخر شعبان . انتهى .

* * *

١٩٠ — عِنَان بن مُعَامِس بن رُمَيْثَة بن أَبِي نُمَيَّ محمد بن أبي سعد حسن بن علي بن قَتَادَة الحسني المكي .

(١) في الأصل ، والعقد الثمين ٣٢٠/١ « ابن » . والتصويب عن العقد الثمين ٢٥٠/٨ ترجمة سعدانة بنت عجلان بن رميثة ، زوجها ابن عمها الشريف علي بن مبارك بن رميثة .

(٢) أي مؤلفنا العز بن فهد . ولم يرد ما شاهده من خط أبيه في كتاب بغية المرام لوحة ١١٦ ، ١١٧ ترجمة محمد بن أحمد بن عجلان .

- قال الفاسي^(١) : يُكْنَى أَبَا لِحَامٍ ، وَيُلَقَّبُ زَيْنَ الدِّينِ .
 أمير مكة ، وولى إمرتها مَرَّتَيْنِ : الأولى سَنَةً ، غير أنه كان
 [معزولا مِنْ قِبَلِ السلطان نحو أربعة أشهر من آخرها . والثانية
 سنتان أو نحوهما غير أنه كان]^(٢) ممنوعاً أشهراً مِنْ قِبَلِ آل
 عجلان ، لغلبتهم له على الأمر بمكة . وسُنُوَضِّحُ ذلك وغيره مِنْ خَبَرِهِ :
 وذلك أنه كان — بعد قَتْلِ أَبِيهِ مُعَامِسَ — لَايِمَ عَمَهُ سَنَدُ
 ابن رُمَيْثَةَ ، فلما مات سَنَدُ استولى عِنَانٌ عَلَى خَيْلِهِ وسلاحه ، وفرَّ
 بذلك عن عَمِهِ عَجْلَانَ ، لأنه وارث لِسَنَدِ . ثم لَايِمَ عِنَانُ عَمَّهُ
 عَجْلَانَ وابنه أحمد ، وكانا يَغْتَبِطَانِ بِهِ ، لِمَا فِيهِ مِنَ الخصال
 الحمودة . وبلغني أنه دخل يوما على عجلان — وعنده بعض أَعْيَانِ
 بنى حسن — مُسْتَقْضِيًّا مِنْهُ حَاجَةٌ ، فقضاها له عجلان ، ثم قال :
 هَنِيئًا لِمَنْ كَانَ لَهُ ابْنٌ مِثْلُهُ . وكان أحمد بن عجلان يُكْرِمُهُ كثيرا ،
 وزَوْجُهُ عَلَى ابْنَتِهِ أُمِّ الْمَسْعُودِ ، وفي ليلة مقامه للدخول عليها قُتِلَ
 أخوه / محمد بن مُعَامِسَ ، فأرضاه عنه أحمد بن عجلان بمَالِ ١٣٦ و
 جَيْدٍ . ثم تَفَرَّ عَنْهُ أحمد ، لميله [عنه]^(٣) إِلَى صاحب حَلْيٍ ، لَمَّا
 رَامَ أحمدُ الْقِيَامَ عَلَيْهِ — كما سبق مُبَيَّنًا فِي ترجمة أحمد^(٤) — وأمر
 عنانا أَنْ يَبَيِّنَ عَنْهُ ، فَبَانَ ، وَأَخَذَ إِبِلًا كَثِيرَةً لِلأَعْرَابِ . فسألوا أحمد

(١) العقد الثمين ٤٣٠/٦ برقم ٣١٦٢ .

(٢) سقط في الأصل ، والمثبت عن المرجع السابق .

(٣) إضافة عن العقد الثمين ٤٣١/٦ .

(٤) أى في العقد الثمين ٨٧/٣ برقم ٥٩١ .

ابن عجلان أن يَسْتَنْقِذَهَا لَهُمْ مِنْ عِنَان ، فَأَبَى ذَلِكَ أَحْمَد ، فَتَوَسَّلَ ١
 كُلُّ مَنْ لَهُ فِيهَا حَقٌّ إِلَى عِنَان بِيَعُضْ بَنَى حَسَن ، فَأَجَابَ كُلَّ
 سَائِلٍ بِمِرَادِهِ إِلَى أَنْ لَمْ يَبْقَ مَعَهُ إِلَّا الْيَسِير ، فَقَالَ لِصَاحِبِهِ : إِنْ كَانَ
 لَكَ صَاحِبٌ مِنْ بَنَى حَسَن فَكَلِّمُهُ يَسْأَلُنِي فِي رَدِّ ذَلِكَ فَأُرَدُّهُ .
 فَقَالَ لَهُ : إِنَّمَا أَسْأَلُكَ بِاللَّهِ فِي رَدِّ ذَلِكَ . فَرَدَّهُ عَلَيْهِ . ٥

وَحَصَلَ خَيْلًا وَسِلَاحًا بِمَعَاوَنَةِ صَاحِبٍ حَلَى لَهُ عَلَى ذَلِكَ .

ثُمَّ رَأَى أَحْمَدُ بْنُ عَجْلَانَ أَنْ يَعِيدَهُ إِلَى مُصَاحَبَتِهِ ، فَأَجَابَ
 عِنَانُ إِلَى ذَلِكَ ، وَأَحْسَنَ لَهُ بَعْدَ عَوْدِهِ إِلَيْهِ ، ثُمَّ اغْرَى بِهِ بَعْضَ بَنَى
 ثَقَبَةَ ، وَاغْرَاهُ بِيَعُضْهُمْ — كَمَا سَبَقَ مُبَيِّنًا فِي تَرْجَمَةِ أَحْمَد — لِيَشْتَغَلَ
 عِنَانُ عَنْ أَحْمَدَ بِمُعَادَاةِ بَنَى ثَقَبَةَ ، وَيَشْتَغَلَ بَنُو ثَقَبَةَ عَنْ أَحْمَدَ ١٠
 بِمُعَادَاةِ عِنَانٍ . فَمَا تَمَّ لَهُ قَصْدٌ ، وَعَرَفَ ذَلِكَ عِنَانُ وَبَنُو ثَقَبَةَ .

ثُمَّ سَافَرَ عِنَانُ وَحَسَنُ بْنُ ثَقَبَةَ إِلَى مِصْرَ ، فَبَالِغَا فِي شَكْوَى
 أَحْمَدَ ، وَسَأَلَا السُّلْطَانَ الْمَلِكَ الظَّاهِرَ بَرْقُوقَ صَاحِبَ مِصْرَ فِي أَنْ
 يَرْسُمَ لَهُمْ عَلَيْهِ بِأُمُورِ رَغْبَا فِيهَا ، فَأَجَابَ سُؤَالَهِمْ ، إِلَّا أَنْ عِنَانًا
 رُزِقَ قَبُولًا مِنَ السُّلْطَانِ . ١٥

وَاتَّبَعَهُمْ أَحْمَدُ بْنُ عَجْلَانَ بِهَدِيَّةٍ سَنِيَّةٍ لِلْسُّلْطَانِ مَعَ كُبَيْشٍ ،
 وَلَمَّا رَأَى كُبَيْشُ حَالَ عِنَانٍ زَائِجًا أَظْهَرَ لِلْسُّلْطَانِ وَلِلدَّوْلَةِ أَنَّ أَحْمَدَ
 ابْنَ عَجْلَانَ يُوَافِقُ عَلَى مَا رُسِمَ بِهِ لِعِنَانِ وَبَنَى ثَقَبَةَ ، لَعَلَّا يَتِمَّ عَلَى
 أَحْمَدَ بِمِصْرَ سَوْءٌ . وَسَالَمَ الْمَذْكُورَيْنِ حَتَّى وَصَلَ مَكَّةَ ، وَعَرَفَ أَحْمَدَ
 بِالْحَالِ ، وَقَالَ لَهُ : لَا بُدَّ لَكَ مِنَ الْمَوَافَقَةِ عَلَى مَا رُسِمَ بِهِ لِهَُمَا ، ٢٠

- أو الفَتْكِ بِعَنَانٍ . فَمَالَ إِلَى الثَّانِي ، وَأَضْمَرَ ذَلِكَ . واجتمع به ١
عَنَانٌ ، وَحَسَنُ بْنُ ثَقْبَةَ — بعد التَّوَثُّقِ مِنْهُ — فَمَا أَجَابَ لِمَرَادِهِمَا .
ثُمَّ إِنَّ بَعْضَ الْمُتَكَفِّلِينَ لِعِنَانٍ بِأَمَانٍ أَحْمَدُ بْنُ عَجْلَانَ عَرَفَهُ بِقَصْدِ
أَحْمَدَ فِيهِ — وَكَانَ ذَلِكَ بِمَنَى — فَفَرَّ إِلَى يَنْبُعٍ ، وَتَلَاهُ حَسَنُ بْنُ
ثَقْبَةَ . ثُمَّ حَسَنَ لَهَا أَمِيرُ الْحَاجِ الْمَصْرِيِّ أَبُو بَكْرٍ بْنُ سُنُقُرِ الْجَمَالِيِّ .
أَنْ يَرْجِعَا إِلَى مَكَّةَ ، وَحَسَنَ مُحَمَّدُ بْنُ عَجْلَانَ أَنْ يَرْجِعَ مَعَهُمَا —
وَكَانَ قَدْ تَوَجَّهَ مِنْ مَكَّةَ مُغَاضِبًا لِأَخِيهِ — وَضَمَّنَ لَهُمْ أَنَّ أَحْمَدَ
يَقْضِي حَوَائِجَهُمْ إِذَا وَصَلَ إِلَيْهِ كِتَابُهُ ، فَرَجَعُوا إِلَى أَحْمَدَ ، فَلَمَّا
اجْتَمَعُوا بِهِ قَبَضَ عَلَيْهِمْ ، وَضَمَّ إِلَيْهِمْ أَحْمَدُ بْنُ ثَقْبَةَ ، وَابْنَهُ عَلِيًّا ،
وَقَيْدَ الْخَمْسَةِ وَسَجَنَهُم بِالْعَلَقَمِيَّةِ ، مِنْ أَوَّلِ سَنَةِ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ ١٠
وَسَبْعِمِائَةٍ وَإِلَى مُوسِمِهَا ، ثُمَّ نَقَلَهُمْ إِلَى أَجْيَادٍ فِي مَوْسَمِ هَذِهِ
السَّنَةِ ، ثُمَّ أَعَادَهُمْ بَعْدَ الْمَوْسَمِ إِلَى الْعَلَقَمِيَّةِ ، وَكَادُوا يُفْلِتُونَ مِنْهَا
بِحِيلَةٍ دَبَّرُوهَا ، وَهِيَ أَنَّهُمْ رَبَطُوا سُرُرًا كَانَتْ عِنْدَهُمْ يَثْيَابٌ مَعَهُمْ ،
وَصَعَدُوا فِيهَا — غَيْرَ مُحَمَّدَ بْنَ عَجْلَانَ — حَتَّى بَلَّغُوا طَاقَةَ تَشْرِفٍ
عَلَى مَنْزِلٍ مُلَاصِقٍ لِسَجْنِهِمْ ، فَنَزَلُوا مِنْهَا إِلَيْهِ ، فَنَذَرَ بِهِمْ بَعْضُ ١٥
السَّاكِنِينَ فِيهِ فَصَاحَ عَلَيْهِمْ ، يَظُنُّهُمْ لَصُوصًا ، فَسَمِعَ الصِّيَاحَ
الْمُوكِلُونَ بِهِمْ مِنْ خَارِجِ السَّجْنِ فَنَبَّهُوا ، وَعَرَفَ الْأَشْرَافُ بِتَقْطِظِ
الْمُوكِلِينَ بِهِمْ ، فَأَحْجَمُوا عَنِ الْخُرُوجِ إِلَّا عِنَانًا فَإِنَّهُ أَقْدَمَ ، وَلَمَّا / ١٣٦ ظ
بَلَغَ بَابَ الدَّارِ وَثَبَ وَثْبَةً شَدِيدَةً ، فَاثْفَلَ الْقَيْدُ عَنْ إِحْدَى رِجْلَيْهِ ،
وَمَا شَعَرَ بِهِ أَحَدٌ حِينَ خَرَجَ ، فَسَارَ إِلَى جِهَةِ سُوقِ اللَّيْلِ ، وَمَا ٢٠
كَانَ غَيْرَ قَلِيلٍ حَتَّى رَأَى كُبَيْشًا وَالْعَسْكَرَ يُفْتَتِشُونَ عَلَيْهِ بِضَوْءِ
مَعَهُمْ ، فَدَنَا إِلَى مَزْبَلَةٍ بِسُوقِ اللَّيْلِ وَأَظْهَرَ أَنَّهُ يُيُولُ ، وَأَخْفَاهُ اللَّهُ

- عن أعينهم ، فلما رجعوا سار إلى أن لقيه بعضُ معارفه ، فعرفه ^١ خبره ، وسأله في تعييبه ، فعيبه في بيت بشعب على ، في صهرج فيه ، ووضع على فمه حشيشاً ودابة ، لئلا يظهر موضع الصهرج للناظر في البيت . وفي الصباح أتى كُبَيْش بعسكره إلى ذلك البيت ، لأنه أنهى إليه أنه فيه ، فما وجده فيه ، فقليل له إن في البيت صهرجا . فأعرض عن ذلك ، لما أَرَادَ الله تعالى من سلامة المختفى فيه . ثم بَعَثَ إلى بعض الأشراف ذوى راجح — وكان له منهم قرابة — فحضر إليه غير واحدٍ منهم ، وسألهم في إعانتهم بمركوب له ولمن يسافر معه . فأجابوه بقصده ، وأخرجوا له ركائب إلى المعابدة ، وحملوا عليها فخارا وغيره ليخفى أمرها على من يراها ، ^{١٠} وخرج عَنان من سوق الليل إلى المعابدة ، ونزل عند امرأة يعرفها من أهلها ، فأخفته بإلباسها له ثياب النساء ، وأجلسته معها ، ومع غيرها . وئَمَى الخبرُ إلى كُبَيْش فأتى إلى المنزل الذى فيه عَنان بالمعابدة ، وسأل عنه صاحبة المنزل التى أخفته فنالت بالقول من عَنان كثيرا ، وأنكرت أن يكون عندها ، فصدَّقها كُبَيْش . فلما ^{١٥} كان الليل ركب مع رجلين أو ثلاثة الرّواجل التى أُعِدَّت لهم ، فوقف بعضُ ركبهم قبل وصولهم إلى وادى مرّ ، وما وصل هو إلى خُلَيْص إلا وقد كَلَّتْ راحلته ، فسأل بعضَ أهل خُلَيْص عن راحلة لبعض أصحابه بلغه أنها بخُلَيْص ، فأخبر بوجودها فأخذها . ويقال : إن صاحبها كان إذا فرغ من علفها يقول : ليت عَنانا ^{٢٠} يخلص فينجو عليك . فكان ما تمناه ، فتوصل عَنان إلى ينبع ، ثم

إلى مصر في أثناء سنة ثمان وثمانين وسبعمائة ، فأقبل عليه الملك
الظاهر . ووصل إليه — فيما بلغني — كتاب من أحمد بن عجلان
يسأله في ردِّ عَنان إليه . فكتب إليه الظاهر يقول : وأما ما ذكرت
من جهة عَنان فإن الله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ
الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ
مَأْمَنَهُ ﴾ ^(١) وبعد قليل بلغ السلطان موث أحمد بن عجلان ،
وكحل ولده الأشراف المسجونين ، فتغيَّر على الولد ، لأنه كان
يسأل أباه في إطلاقهم فأبى ، وأضمر تولية عَنان مكة عوضه ،
وكتب ذلك على عَنان ، وخادع محمد بن أحمد بن عجلان بأن أرسل
إليه العهد والخلة بولاية مكة ، وأذن لعَنان في التوجه صُحبة الحاج ،
وأمر أمير الحاج بقلَّة مُرَاعَاتِهِ لعَنان في طريق مكة ، فكان لا يَلْتَفِتُ
إليه ورُبَّمَا أهانَه ، لثلاث يتشَوَّش محمد بن أحمد بن عجلان ، وتمت
عليه هذه الخُدعة لِمَا قضى الله تعالى به له من الشهادة ، فإنه لما
حَضَرَ لخدمة الحمل المصرى على عادة أمراء الحجاز قَتَلَهُ باطِنِيَّانِ في
مستهل الحِجَّة من سنة / ثمان وثمانين وسبعمائة . وبعد قتله أشعر ١٣٧ و
أميرُ الحاج المَارِدِينِي عَناناً بولايته لِأَمْرَةِ مكة عوض المذكور ، ودخل
مع الترك — وعليهم السلاح — حتى انتهوا إلى أجياد فحاربهم فيه
بعض جماعة محمد بن أحمد ثم وَلَّوْا .

وَوُدِّي لعَنان في البلد بالولاية ، وألْبَسَ الخلة السلطانية

- لذلك في مستهل الحجة ، ثم قرئ توقيعه على قبة زمزم ، وكتاب^١ السلطان بولايته ، وإلزام بنى حسن من الأشراف والقواد بطاعته . وقام بخدمة الحاج حتى رحلوا . وتوجه بعد سير الحاج بمدة يسيرة إلى جدة فقرر أمرها ، ورثب بها نائباً : محمد بن عجلان ، للملايمة له من السجن ، وتوخّشه من كُبَيْش ، بسبب قيامه في كحلّه ،^٥ واستدنى جماعة كثيرة من عبيد أحمد فأحسن إليهم ، وقال لهم : أنا عوضكم في مولاكم وابن مولاكم . فأظهروا له الرضا عنه ، وجعلهم بجدة ، وجعل بها محمد بن بركتي — وهو ابن مولى أبيه مُغامِس — عينا له على محمد ومن معه من آل عجلان . فوقع من محمد بن عجلان ما أنكره عليه محمد بن بركتي ، وأنهى ذلك عنه^{١٠} إلى عنان ، فكتب عنان إلى محمد بن عجلان يزرّجُره ، فعضب محمد وأرسل إلى كُبَيْش ومن معه من آل عجلان وغيرهم يستدعيهم إليه ، فقدموا إليه ، فاستولوا على جدة وما فيها من أموال الكارم ، وغلال المصريين من أهل الدولة بمصر ، وكان ذلك شيئا عظيما جدا ، ومال إليهم للطمع جماعة من أصحاب عنان ، ولم يستطع^{١٥} عنان الخروج إليهم ، واحتاج وأخذ بمكة ما كان في بيت شمس الدين ابن جنّ البير — وكيل جركس الخليلي أمير آخور الملك الظاهري ، وأحد خواص السلطان — من الغلال والقماش والسكر وغير ذلك ، وكان شيئا كثيرا ، وأعطى ذلك لبنى حسن وغيرهم ، وتجمّل به حال عنان وقتا . وكان الذين مع عنان يختلفون عليه ،^{٢٠} فأرضى أحمد بن ثقبه ، وعقيل بن مبارك بإشراكهما معه في الإمرة بمكة . وصار يُدعى لهما معه في الخطبة وبعد المغرب على زمزم ،

ولكل منهما طَبْلَخَانَاهُ^(١) وَغِلْمَان . ثم أشرك معه في الإمرة والدعاء
عَلِيَّ بْنَ مُبَارَكٍ لَمَّا أَتَاهُ مُنَافِرًا لآلِ عَجْلَانَ .

وبلغ ذلك — مع ما اتفق بمكة وجُدَّة من النَّهْب —

السلطان بمصر ، فعزل عِنَانًا ، وولَّى عَلِيَّ بْنَ عَجْلَانَ [إمرة
مكة]^(٢) عِوَضَهُ . وامتنع أصحابُ عِنَانَ من تسليم البلد لَعَلِّي ،
فتابعهم عِنَانُ عَلِيَّ ذَلِكَ ، والتقوا مع أصحاب عَلِيٍّ بِالْأَبْطَحِ عِنْدَ
ثَنِيَّةِ أَذَاخِر ، فَقَتَلَ كُبَيْشٌ وَغَيْرُهُ مِنْ آلِ عَجْلَانَ وَمِنْ جَمَاعَتِهِمْ ،
وَوَلَّوْا رَاجِعِينَ إِلَى مَنَازِلِهِمْ بِالْوَادِي ، فَأَجَارَ عِنَانَ مِنَ اللَّحَاقِ بِهِمْ ،
وَدَخَلَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ مَكَّةَ مَسْرُورِينَ بِالنَّصْرِ ، بَعْدَ أَنْ كَادَ يَتِمُّ عَلَيْهِمُ
الْغَلْبُ . وَكَانَ مِنْ أَسْبَابِ نَصْرِهِمْ أَنَّهُمْ عَاجَلُوا آلَ عَجْلَانَ بِالْقِتَالِ
قَبْلَ وَصُولِ بَقِيَّتِهِمْ إِلَى الْأَبْطَحِ ، وَعَدَمَ ظُهُورِ عِنَانَ وَقَتِّ الْحَرْبِ ،
لِإِشَارَةِ بَعْضِ خَوَاصِهِ عَلَيْهِ بِذَلِكَ ، بَظَنِّهِ أَنَّ آلَ عَجْلَانَ يَجْتَهِدُونَ فِي
حَرْبِهِ إِذَا ظَهَرَ لَهُمْ . وَقُتِلَ مِنْ جَمَاعَةِ عِنَانَ شَرِيفٌ يُقَالُ لَهُ قِيَّاشٌ ،
وخمسة من أهل مكة ، وذلك يوم السبت سلخ شعبان ، سنة تسع
وثمانين وسبعمائة ، وَفُتِحَتِ الْكَعْبَةُ / لِعِنَانَ وَأَصْحَابِهِ لَمَّا انْتَهَوْا إِلَى ١٣٧ ظ
المسجد ، فدخلها جماعة منهم ، وَأَقَامُوا بِمَكَّةَ إِلَى أَنْ أَطْلَلَ الْحِجَاجُ
الْمَصْرِيِّونَ عَلَيَّ دُخُولِ مَكَّةَ ، ثُمَّ فَارَقُوهَا وَقَصَدُوا الزَّيْمَةَ بِوَادِي نَحْلَةَ

(١) الطبلخاناه : مجموعة من الطبول ، يدق بها في المواكب الرسمية ، أو في المواقع
الحربية ، أو على أبواب السلاطين وبعض الأمراء في أوقات مخصوصة . (دولة سلاطين
المماليك ورسومهم في مصر — النظم السياسية — ١٧٩) .

(٢) إضافة عن العقد الثمين ٤٣٥/٦ ، ٤٣٦ .

- اليمانية . وَتَخَلَّفَ عِنَانٌ لَمَّا بَلَغَهُ مِنْ تَقْرِيرِ السُّلْطَانِ لَهُ فِي نِصْفِ
الْإِمْرَةِ بِمَكَّةَ شَرِيكاً لِعَلِيِّ بْنِ عَجَلَانَ ، بِشَرْطِ حُضُورِ عِنَانَ لَخْدْمَةِ
الْحِمْلِ . وَبَرَزَ لِلْقَائِمِ حَتَّى كَادَ يَصِلُ إِلَيْهِ ، فَبَلَغَهُ أَنَّ آلَ عَجَلَانَ
يُرِيدُونَهُ بِسُوءٍ عِنْدَ لِقَائِهِ ، وَتَبَعَ أَصْحَابَهُ إِلَى الزَّيْمَةِ ، فَأَتَاهُمْ إِلَيْهَا عَلَى
ابْنِ عَجَلَانَ فِي طَائِفَةٍ مِنْ جَمَاعَتِهِ وَمِنْ التُّرْكِ ، فَقَتَلُوا بَعْضَ الْأَشْرَافِ
وغيرهم ، وَعَادُوا ظَافِرِينَ بِخَيْلٍ وَدُرُوجٍ ، لِأَنَّهُمْ لَمَّا وَافُوا الزَّيْمَةَ كَانَ
الْأَشْرَافُ فِي غَفْلَةٍ عَنْهُمْ ، وَفِي تَعَبٍ مِنْ قِتَالِهِمْ لِقَافِلَةٍ بِجَيْلَةٍ .
فَأَعْرَضُوا عَنْ قِتَالِ عَلِيِّ وَمَنْ مَعَهُ .

- وبعد الموسم نزل عِنَانٌ وَأَصْحَابُهُ وَادَى مَرَّ ، وَاسْتَوْلُوا عَلَيْهِ
وَعَلَى جُدَّةَ ، وَحَصَلَ فِي طَرِيقِهَا وَغَيْرِهَا مِنَ الطَّرِيقَاتِ نَهْبٌ وَخَوْفٌ .
وَكُتِبَ عِنَانٌ إِلَى السُّلْطَانِ يُعْتَذِرُ عَنْ تَرْكِ حُضُورِهِ لَخْدْمَةِ الْحِمْلِ لِمَا
بَلَغَهُ مِنْ قَصْدِ آلِ عَجَلَانَ لَهُ بِالسُّوءِ ، وَشَكَاهُمْ إِلَيْهِ . فَكُتِبَ إِلَيْهِ
السُّلْطَانُ يَقُولُ لَهُ : أَنْتَ عَلَى وَلَايَتِكَ ، فَافْعَلْ مَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ . فَمَا
تَمَّ لَهُ فِيهِمْ مُرَادٌ ، لِاخْتِلَافِ أَصْحَابِهِ عَلَيْهِ . فَسَارَ فِي أَثْنَاءِ سَنَةِ
تِسْعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ — وَهُوَ حَنِقٌ عَلَيْهِمْ — إِلَى مِصْرَ ، وَمَا وَجَدَ بِهَا
الْإِقْبَالَ الَّذِي كَانَ يَعُودُهُ ، وَأَقَامَ بِهَا مُطْلَقاً إِلَى أَنْ زَالَتْ دَوْلَةُ الْمَلِكِ
الظَّاهِرِ ، وَصَارَ الْأَمْرُ لِمَنْ كَانَ قَبْلَهُ ، وَهُوَ الصَّالِحُ حَاجِّي بْنِ الْأَشْرَفِ
شُعْبَانَ ، وَلَمُدِّبِ دَوْلَتِهِ الْأَمِيرُ يَلْبُغَا النَّاصِرِي ، فَسَعَى لَهُ عِنْدَهُ فِي عَوْدِهِ
لِلْوَلَايَةِ مَكَّةَ ، فَأَجِيبَ لِقَصْدِهِ ، وَوُعِدَ بِالْبَاسِ خَلْعَةَ الْوَلَايَةِ فِي يَوْمٍ
عُنِينَ لَهُ ، فَلَمْ يَتِمَّ لَهُ الْأَمْرُ ، لِأَنَّهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ثَارَ عَلَى النَّاصِرِيِّ
أَمِيرٌ يُقَالُ لَهُ تَمْرُبُغَا الْأَقْضَلِي ، وَيُلَقَّبُ مِنْطَاشَ ، وَمَا كَانَ غَيْرَ قَلِيلٍ

- حتى قُبِضَ على الناصري ونحو أربعين أميراً من أصحابه . وبعد قيام
مِنْطَاشَ بقليل قَدِمَ إلى مِصْرَ مُحَمَّدُ بْنُ عِجْلَانَ ، فسعى عند مِنْطَاشَ
في حَبْسِ عِنَانَ ، فَأُجِيبَ وَحُسِرَ عِنَانَ مع بعض مماليك الظاهر في
النَّصِفِ الثاني من سنة إحدى وتسعين وسبعمائة .
- ثم خَلَصُوا هم وعِنَانَ ، وصُورَةُ خَلَاصِهِمْ : أنهم نقبوا نَقْباً^٥
من الموضع الذي كانوا مسجونين فيه من القلعة ، فوجدوا فيه
سِرْباً ، فَمَشَوْا فيه حتى انتهوا إلى موضع آخر ، فنقبوه فخرجوا منه
إلى مَحَلٍّ سَكَنَ نَائِبُ القلعة ، فصاحوا على مَنْ بِهِ^(١) — وهم
غافلون ليلاً — فَأَذْهَشُوهم ، وكانوا قَلَّةً لخروج مِنْطَاشَ وَعَلاِبِ
العسكر إلى الشام لقتال الظَّاهِرِ ، فإنه ظَهَرَ بالشَّامِ واجتمع إليه^{١٠}
ناسٌ كثير ، والتقى بشَقْحَبِ^(٢) مع العسكر الذي فيه الصالح
ومِنْطَاشَ ، فَمَتَّ النصرُ للظَّاهِرِ وَقَبِضَ عَلَى الصالح وغيره ، وفَرَّ
مِنْطَاشَ إلى دِمَشْقَ هَارِباً فَتَحَصَّنَ بها . وكان سَبَبُ إطلاق الظاهر :
أن الناصريَّ حينَ أَحَسَ بظهور مِنْطَاشَ عليه ، كَتَبَ كتاباً إلى
نائب قلعة الكَرْكِ يأمره بإطلاق الظاهر فَأَطْلَقَهُ ، وكان من أَمْرِ ما^{١٥}
ذكرناه ، وكان من أَمْرِ مماليكه الذين ثاروا بالقلعة أنهم اسْتَوْلُوا عليها
لعجز أصحاب مِنْطَاشَ / عن مقاومتهم ، وبعثوا ييشرون مَوْلَاهُم ١٣٨ و
بذلك ، وكان ممن بعثوه لبشارته عِنَانَ .

(١) في الأصل ، والعقد الثمين ٤٨٧/٦ « بها » .

(٢) شقحب : هي قرية في الشمال الغربي من غياغب ، ويقال لها تل شقحب

وتعد من ضواحي دمشق . (هامش النجوم الزاهرة ٣٦٧/١١) .

فلما عَرَفَ السلطانُ ذلكَ أَقْبَلَ إلى مصرَ ، وأَعْرَضَ عن حِصَارِ
 مِنْطَاشَ بدمشق . وبعد استقرار السلطان بالقلعة شَفَعَ كبير مماليكه
 المستولين على القَلْعَةِ ، وهو بُطَا الدَّوَادَارِ لِعِنَانِ فِي وِلَايَةِ مَكَّةَ ،
 فَأَجَابَهُ السلطانُ لسؤاله ، ولكن أَقَرَّ عَلِيَّ بْنَ عَجَلَانَ على ولاية
 نِصْفِ إِمْرَةِ مَكَّةَ شَرِيكًا لِعِنَانِ ، لِمَا فِي نَفْسِهِ على عِنَانِ . وَتَجَهَّزَ
 عِنَانُ إلى مَكَّةَ ، ومعه شخصٌ تركي من جهة السلطان لِيُقْلِدَهُ الولاية
 بِمَكَّةَ . فَلَمَّا انْتَهَى عِنَانُ إلى يَنْبُعِ (١) حَسَنَ لَهُ وَبَيَّرَ بنِ مَخْبَارِ (٢)
 أَمِيرُ يَنْبُعِ أَنْ يُحَارِبَ معه بنى إِبْرَاهِيمَ ، وَوَعَدَهُ بِشَيْءٍ على ذلكَ ،
 فَمَالَ إلى ذلكَ عِنَانُ وَحَارَبَ مع وَبَيَّرَ بنى إِبْرَاهِيمَ ، فَظَفَرُوا على بنى
 إِبْرَاهِيمَ . ثم تَوَجَّهَ عِنَانُ إلى مَكَّةَ وَتَلَقَّاهُ كَثِيرٌ من بنى حَسَنَ قَبْلَ
 ١٠ وَصُولِهِ إلى الوادى .

ثم مشى الناسُ فى الألفَةِ بَيْنَهُ وبين آل عَجَلَانَ ، فَمَالَ كُلُّ
 مِنْهُمْ إلى ذلكَ ، فَتَوَافَقُوا على أَنْ كُلاًَّ مِنْهُمَا يَدْخُلُ مَكَّةَ لِحَاجَتِهِ ،
 فَإِذَا قَضَاهَا خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ ، وَلِكُلِّ مِنْهُمَا فِيهَا نُوَابٌ : بعضهم
 لِقَبْضِ مَا يَخُصُّ كُلاًَّ مِنْهُمَا مِنَ الْمُتَحَصِّلِ ، وبعضهم لِلْحَكْمِ بِهَا ، ١٥
 وَأَنْ يَكُونَ الْقَوَادُ مع عِنَانِ ، وَالْأَشْرَافُ مع عَلِيٍّ . وكان الاتفاقُ على
 ذلكَ ، وَوَصُولُهُ إلى الوادى فى النِصْفِ الأوَّلِ من شعبان سنة اثنتين

(١) فى الأصل « مَكَّة » — خطأ من الناسخ — وانظر العقد الثمين ٤٣٨/٦ .

(٢) كَذَا فى الأصل ، والمرجع السابق ، وسماه السخاوى فى الضوء اللامع

٢١٠/١٠ برقم ٩٠٨ وبير بن نخباز بن محمد بن عقيل بن راجح الحسنى . وقتل فى

سنة ٨١٤ هـ .

وتسعين وسبعمائة . وَقَبْلَ نِصْفِهِ يَوْمَيْنِ دَخَلَ عِنَانَ مَكَّةَ لَابِسًا ١
لِخَلْعَةِ السُّلْطَانِ ، وَقُرِئَ بِهَا تَوْقِيعُهُ ، ثُمَّ دُعِيَ لَهُ عَلَى زَمَزَمَ وَفِي
الْخُطْبَةِ ، وَدَامَ هَذَا بَيْنَ الْمَذْكُورَيْنِ إِلَى الرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ صَفَرِ سَنَةِ
أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ .

ثُمَّ أزيلَ شِعَارُ وَلَايَةِ عِنَانَ مِنْ مَكَّةَ غَيْرِ الدَّعَاءِ لَهُ فِي الْخُطْبَةِ ٥
فَإِنَّهُ لَمْ يُزَلْ . وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ آلَ عَجْلَانَ قَطَعُوا الدَّعَاءَ لَهُ عَلَى
زَمَزَمَ بَعْدَ الْمَغْرَبِ ، وَأَخْرَجُوا نُوَّابَهُ مِنْ مَكَّةَ بَعْدَ أَنْ هَمُّوا بِقَتْلِهِ
بِالْمَسْعَى فِي التَّارِيخِ الْمَذْكُورِ ، وَمَا نَجَّاهُ إِلَّا بِجَهْدٍ عَظِيمٍ ، وَقَصْدُ فِي
حَالِ هَرَبِهِ الْأَشْرَافِ مُسْتَنْصِرًا بِهِمْ عَلَى آلِ عَجْلَانَ — وَكَانُوا مَعَهُ —
فَأَمَرَهُ الْأَشْرَافُ بِالْإِنْتِصَارِ بِالْقَوَادِ أَصْحَابِهِ ، فَحَرَكَهُمْ لِتَنْصِرِهِ فَمَا ١٠
تَحَرَّكُوا ، لِأَنَّهُمْ رَأَوْا مِنْهُ قَبْلَ ذَلِكَ تَقْصِيرًا .

وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ بَعْضَ آلِ عَجْلَانَ أَحَبَّ تَكْدِيرَ خَاطِرِ الْقَوَادِ
عَلَيْهِ ، لِيَتِمَّ مِنْهُ آلُ عَجْلَانَ ، وَقَالَ لِعِنَانَ : أَرَى الْقَوَادَ جُفَاءً
وَنَحْنُ نُغْنِيكَ عَنْهُمْ (١) . فَظَنَّ ذَلِكَ حَقِيقَةً ، وَفَعَلَ مَا أُشِيرَ بِهِ عَلَيْهِ ،
فَتَأَثَّرَ مِنْهُ الْقَوَادُ ، وَحَكَّوْا مَا رَأَوْا مِنْهُ لِأَصْحَابِهِمْ مِنْ آلِ عَجْلَانَ ، ١٥
فَذَمُّوهُ مَعَهُمْ ، وَنَفَرُوهُمْ مِنْهُ ، فَازْدَادُوا نُفُورًا ، وَلِذَلِكَ تَخَلَّلُوا عَنْ
نَصْرِهِ حِينَ سَأَلَهُمْ ذَلِكَ .

وبعد مفارقتها لمكة على الوجه المذكور اجتمع به على بن
عجلان ، ومحمد بن محمود — وكان على لا يفصل أمراً دون ابن

(١) كذا في الأصل ، والعقد الثمين ٤٣٩/٦ « نعينك عليهم » .

- ١ محمود — واعتذرا إليه بَعْدَ الْعِلْمِ بِتَجَرِّي غِلْمَانِهِمْ عَلَيْهِ ، وكان في مدة ولايته مَغْلُوباً مع أصحابه ، وكذا عَلِيٌّ مع أصحابه ، وحصل بذلك ضَرَرٌ عَلَى السُّفَّارِ إِلَى مَكَّةَ ، لزيادة العِرافة^(١) وَقِلَّةِ الْأَمْنِ ، وَخَطْفِ الْأَمْوَالِ .

- ١٣٨ ظ وَأُنْهِىَ هَذَا الْحَالُ إِلَى السُّلْطَانِ / فَاسْتَدْعَى عِنَانًا وَعَلِيًّا مَعَ جَمَاعَةٍ مِنْ أَعْيَانِ الْأَشْرَافِ وَالْقَوَادِ . فَأَعْرَضُوا عَنْ الْوُصُولِ لِبَابِ السُّلْطَانِ ، غَيْرِ عِنَانٍ وَعَلِيٍّ فَإِنَّمَا لَمْ يَجِدَا بُدًّا مِنْ ذَلِكَ . وَبَعْدَ وَصُولِ هَذَا الْاِسْتِدْعَاءِ تَحَرَّكَ لِنَصْرِ عِنَانٍ بَعْضُ الْأَشْرَافِ الَّذِينَ مَعَ عَلِيٍّ بْنِ عَجَلَانَ ، وَالزَّمُوهُ بِإِخْلَاءِ [مَكَّةَ مِنْ]^(٢) الْعَبِيدِ وَاتَّبَاعِهِمْ حَتَّى يَدْخُلَ إِلَيْهَا عِنَانٌ ، لِيَتَجَهَّزَ مِنْهَا بِسَفَرِهِ ، فَإِذَا تَمَّ جِهَازُهُ خَرَجَ ١٠ وَعَادُوا إِلَيْهَا . فَمَا وَسَّعَ عَلِيٌّ إِلَّا الْمَوَافِقَةَ ، فَخَرَجَ الْمَشَارُ إِلَيْهِمْ إِلَى مَنَى ، وَدَخَلَ عِنَانٌ مَكَّةَ ، فَأَقَامَ بِهَا حَتَّى انْقَضَى جِهَازُهُ ، ثُمَّ تَوَجَّهَ إِلَى مِصْرَ فِي جَمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَتَسْعِينَ ، وَتَلَاهُ عَلِيٌّ إِلَيْهَا ، وَحَضَرَ إِلَى السُّلْطَانِ غَيْرَ مَرَّةٍ ، فَفَوَّضَ إِمْرَةَ مَكَّةَ لِعَلِيٍّ بِمُفْرَدِهِ ، وَأَمَرَ عِنَانًا بِالْإِقَامَةِ بِمِصْرَ ، وَرَتَّبَ لَهُ شَيْعًا يَصْرِفُهُ وَلَمْ يَسْجِنْهُ . ثُمَّ إِنَّ ١٥ بَعْضَ بَنِي حُسَيْنٍ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَشَى بِهِ إِلَى السُّلْطَانِ ، وَقَالَ لَهُ :

(١) العِرافة : وظيفة العرفاء ، جمع عريف ، وهو القيم بأُمُور القبيلة أو الجماعة من الناس ، يُلِي أُمُورَهُمْ ، وَيَتَعَرَفُ الْأُمِيرُ مِنْهُ أَحْوَالَهُمْ . (تاج العروس) . وَلَعَلَّ الْمُرَادَ هُنَا هُوَ الضَّرِيَّةُ الَّتِي كَانَ يَفْرُضُهَا الْعُرَفَاءُ عَلَى الْمَسَافِرِينَ .

(٢) سَقَطَ فِي الْأَصْلِ ، وَالْمُنْتَبِثُ عَنِ الْعَقْدِ الثَّمِينِ ٤٣٩/٧ .

- ١ إنه يُريدُ الهَرَبَ إلى مكة [يفسد بها] ^(١) وأنه أَعَدَّ نَجْبًا لذلك ، فسجنه السلطانُ بِبُرْجٍ في القلعة في أثناء [سنة] ^(١) خمس وتسعين وسبعمائة ، فاستمر به إلى أن أُنْفَذَهُ السلطانُ إلى الإسكندرية ، في آخر سنة تسع وتسعين وسبعمائة ، مع جَمَّازِ بن هِبَةَ الحُسَيْنِي صَاحِبِ المدينة — وكان قُبُضَ عليه في هذه السنة بإثر وصوله إلى مصر — وبعث السلطانُ معهما إلى الإسكندرية عليَّ بن مُبَارَكِ بن رُمَيْثَةَ وَوَلَدَيْهِ ، وسجنَ الجميع بالإسكندرية إلى أن مات الملك الظاهر .

- فلما ولي ابنُه الناصرُ فَرَجَ شَفَعَ لهم بعضُ الناسِ في إطلاقهم بالإسكندرية ، ومنعهم من الخروج من أبوابها ، فتمَّ لهم ذلك . ثم تَكَرَّرَ سَجْنُهُمْ وإطلاقهم بالإسكندرية على الصفة المذكورة ، ثم نُقِلَ عَنانُ إلى مصر في آخر سنة أربع وثمانمائة ، أو في أول التي بعدها — بسَعَى القاضي بُرْهَانَ الدين إبراهيم بن عمر المَحَلِّيَّ ^(٢) تاجرِ الحَوَاصِّ الشريفة السطانية ، لتغيُّره عَلَى صَاحِبِ مكة الشريف حَسَنَ بن عجلان ، لِمَا أَخَذَهُ من الذهب الكثير من وَلَدِهِ القاضي ١٥ شِهَابِ الدين أَحْمَدَ ، لما انكسر المركب الذي كان فيه ، وهو إذ ذاك متوجه إلى اليمن . وقصد المحلى بإطلاق عنان إخافة السيد حسن كي يردَّ عليه المال ، أو ما أمكن منه ، ونوّه لعنان بولاية مكة فما قُدِّرَ ذلك ، لمعالجة المنية عنانا .

(١) سقط في الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ٤٤٠/٦ .

(٢) له ترجمة ضافية في الضوء اللامع ١١٢/١ وفيها توفي سنة ٨٠٦ هـ .

- وسبب موته أنه حصل له مرض خطر يقتضى إبطال بعض
جسده ، فعولج من ذلك بإضجاعه بمحل فيه آثار النار ، حتى
يَخْلُص ذلك إلى أعضائه فيقومها ، وكان أثر النار الذى أضجعوه
عليه شديد القوة فأحرقه ، فمات يوم الجمعة مستهل شهر ربيع
الأول — وقيل ثانية — سنة خمس وثمانمائة ، عن ثلاث وستين سنة .
وكان كثير الشجاعة والكرم ، على الهمة ، قليل الحظ في
الإمرة ، وأما في بيت روحه فسعده في ذلك عظيم . وخَلَّف ولدين
نجبيين ، أحدهما السيد محمد ، توفي بينبع في النصف الثاني من ذي
القعدة سنة ست وثمانمائة ، قافلاً إلى مكة باستدعاء السيد حسن
صاحب مكة . والآخر : السيد على ، وهو بقيد الحياة^(١) ، وله
اعتبار كبير بين قومه .

- ١٣٩ ومن محاسن / أبيه : أنه سمح لبنى شبيهة ، سدنة الكعبة
المعظمة بما كان يأخذه منهم أمراء مكة قبله ، وذلك جانب كبير
من كسوتها في كل سنة ، أو خمسة آلاف درهم عوضاً عن ذلك ،
مع ستارة الباب ، وثوب مقام إبراهيم عليه السلام .
١٥

ومما سمح به لبعض الشعراء ، وهو الجمال محمد بن حسن بن
العُليّيف ، ثلاثون ألف درهم جزاءً له على قصيدة مدّحه بها . أولها :
- بُرُوجٌ زَاهِرَاتٌ أَوْ مَعَانِي -

(١) أى في زمن الفاسى ، وقد توفي السيد على سنة ٨٣٣ هـ . وانظر الضوء
اللامع ٢٧٢/٥ برقم ٩١٤ .

قلت : قد ذكر المصنف^(١) كثيراً من القصيدة المذكورة في كتابه « ذيل سير النبلاء » للذهبي ، فقال :

لأَقْمَارٍ مِنَ الْبَيْضِ الْحَسَانِ	بروَجٍ زَاهِرَاتٍ أَوْ مَعَانِي
قُطُوفٍ مِنْ فَوَاكِهَهَا دَوَانِي	تَمَائِلُ لِلْحَسَانِ بِهَا عَلَيْنَا
ثَمَاراً لَيْسَ يَجْنِيهِنَّ جَانِي	وَنَجْنِي مِنْ ثَمَارِ الْوَصْلِ فِيهَا

ومنها :

بِهِ ثَمَرُ الْوَصَالِ عَلَى التَّدَانِي	رَعَى اللَّهُ الرِّيْعَ فَكَمْ رَعَيْنَا
يَجُودُ الْأَرْضِ مِنْ كَفَى عَنَانِ	بِأَيَّامٍ كَأَنَّ الْغَيْثَ فِيهَا
أَنَامِلُهُ لَجَادَ مَدَى الزَّمَانِ	كَرِيمٌ لَوْ أَعِيرَ الْغَيْثُ يَوْمَا
لَقَالَتْ كُلُّ نَاحِيَةٍ : سَقَانِي	وَلَوْ سُئِلَتْ نَوَاحِي الْأَرْضِ عَنْهُ
عَلَى حُلُوِّ الْفَكَاهَةِ وَالْخِيَانِ	إِذَا مَرَّ الزَّمَانُ حَلَلْتُ مِنْهُ
لَنَا بِجَهَنَّمَ يَوْمَ الطَّعَانِ	مُطَابِقُ جَنَّةِ الْفَرْدُوسِ يَوْمَا

وقال : لابن العُليِّف في مدح عنان أيضاً قوله :

فَلَمْ أَلْقَ لِنَحْلِهِمْ دَقِيقَا	نَحَلْتُ النَّاسَ بَعْدَ أَبِي لَجَامٍ
فَمَا سَلَكَوا لِمَعْرُوفٍ طَرِيقَا	سَلَكَتُ لَهُمْ طَرِيقَةَ كُلِّ مَدْحٍ

انتهى .

ومدحه الإمام العالم الأديب أبو العباس أحمد شهاب الدين

(١) أي القاضي تقي الدين الفاسي .

ابن موسى بن علي المكي ، الشهير بابن الوكيل (١) فقال :

- العِزُّ بالعِزِّمِ لبالجُبْنِ والكَسَلِ
والمُلْكُ بين مُتُونِ البِيضِ والأَسَلِ
والجِدُّ بالجِدِّ أو بالحدِّ يومَ وَغَى
من مُرَهَفَاتٍ ومن عَسَائِلِ ذُبُلِ ٥
مَنْ رَامَ بالهُونِ إِذْ رَاكَ لِنَيْلِ مُنَى
فذاك مِنْهُ فِعَالُ العَاجِزِ الفَشِيلِ
لَا عِزَّ إِلَّا بِشِقِّ النَفْسِ مُكْتَسَبِ
بِلِسْعَةِ التَّحْلِ تَجْنِي رَائِقَ العَسَلِ
فأنْهَضْ بِسَطْوَةِ عِزِّمِ مِنْكَ مُدْرِكَةِ ١٠
أَبَا لِحَامٍ تُفْزِرُ بالسُّؤْلِ والأَمَلِ
وَعَوْدُ النَفْسِ إِرهَابَ العُدَاةِ وَلَا
تَمِلْ عَنِ العِزِّمِ بالتَّفْرِيطِ والمَلَلِ /
وإنْ تَلَحَّ لَكَ مِنْ قَرْنٍ مَضَارِيهُ ١٣٩ ظ
فَاضِرِيهِ لَامِثٍ ضَرْبِ الخَائِفِ الوجَلِ ١٥
فالحِلْمُ أَقْبَحُ مِنْ جَهْلٍ إِذَا اقْتَرَنْتَ
بالحِلْمِ طُرُقَ الخَنَى أو أَوْجِهَ الخَطَلِ

(١) ترجم له في العقد الثمين ١٨٧/٣ برقم ٦٧٠ ، وذكر أنه مات بالقاهرة سنة

٧٩١ هـ وهو في عشر الأربعين .

- ١ واجعل رسولك لاكتباً منعمة^(١)
 بَلْ غُرَّةُ الْخَيْلِ فِيهَا أَبْلَغُ الرُّسُلِ
 واستعمل العدل في كل الأنام ولا
 تُصْنَعْ لِنَكْسٍ بقول الزور مُشْتَعِل
 وَأَقْنِ الْمَحَامِدَ لَا تَبْغِي بِهَا بَدَلًا
 وهل لكسب العلأ والحمد من بدل
 فالله أعطاك تميزاً ومعرفة
 فاشكر لربك ما أعطاك وآتتهل
 مَنْ مِثْلُ ذَا الْبَطْلِ الضَّرْغَامِ مِنْ مِثْلِ
 ١٠ كلا وليس له في الخلق من مُثْلٍ
 وهل لسيرته الحسناء من شَبَّهِ
 وهل كدولته العراء في الدُّوَلِ
 ماإِنْ رَأَيْنَا لَهُ قِرْنًا يُقَاسُ بِهِ
 وَلَا سَمِعْنَا بِهِ فِي الْأَعْصُرِ الْأَوَّلِ
 ١٥ ذَلَّتْ لَهُيَّتِهِ قُلُوبُ الرِّجَالِ كَمَا
 بِالْأَيْنِ^(٢) ذَلَّتْ رِقَابُ الْأَيُّقِ الذُّلِ
 يُعْطَى الْكَثِيرُ بِلَا مَطْلٍ يُكَدِّرُهُ
 وَلَا امْتِنَانٍ عَطَاءَ الْبَائِسِ الْحَذِلِ

(١) كذا في الأصل ، ولعلها « منمقة » فذلك يناسب الكتب .

(٢) الأين : الإعياء . يقال : وجفت الإبل على الأين : على الإعياء . (المعجم

الوسيط) .

- ١ لايعرف المنع في بذل النوال ولا
يصغى إلى العذل في الإعطاء والعذل
لو أن في كفه الدنيا لجاد بها
فاتركه يا مُبتغى جدواه أو فسَل
وكل ما في الورى جودٌ وفيضٌ ندى
من بحرٍ يمناه أذنى [منه] ^(١) للوشل
كالليث ذُعراً وكالبَحْرِ الخضم ندى
والشمس نورا إذا مالشمس لم تُفل
الفرسُ البطلُ ابن الفارسِ البطلِ
١٠ ابن الفارسِ البطلِ ابن الفارسِ البطلِ
إن رُمّت حَصْرٌ علأ فيه تُرم شططا
حتى كأنك لم تترك ولم تُقل
ويوم حَرْبٍ شهدنا منه مُعضلة
وَقُعُ القَنَا فيه مثل العارضِ الهطلِ
١٥ جاء العدوُّ بجيشٍ منه مُجتمِع
مِلء الفِجَاجِ ومِلء السَّهْلِ والجبلِ
وافاهُم مِن عِنانِ فارسٍ بَطْلٌ
في غارة عَظُمَت في جَحْفَلِ حَفِلِ
دنت هُتُوفُهُم للقتلِ واختلفوا
٢٠ طعنا إلى أن ظننا الطعنَ كالقَبَلِ

(١) بياض في الأصل بمقدار كلمة . والمثبت يستقيم به الوزن .

- ١ وأظلمَ الجوُّ من تَفَجِّعِ العِجَاجِ ضُحَى
حتى حسبنا الضُّحَى بالنَّقْعِ كالطَّفَلِ (١)
تري بها أعين الأبطال إذ سُبِّرَتْ
يَنْظُرْنَ بالأُذُنِ لا يَنْظُرْنَ بالمُقَلِّ
فَكَرَّ فِيهِمْ عِنانُ كَرَّةٍ تَرَكْتَ
للخَيْلِ وَطَما على الأجسادِ والقُلَلِ
وفَرَّقَ الطَّعْنَ مِنْهُمْ كُلَّ مُجْتَمِعٍ
وَأَعَوَّجَ بالضربِ فِيهِمْ كُلَّ مُعْتَدِلٍ /
وَأَيَقِنُوا فِي الوَغَى أَنْ لا سِلاحَ لَهُمْ
سَكَّوى الفِرارِ فَفَرُّوا فَرَّةَ العَجَلِ
لَوَّوا رِعاوسَهُمْ فِي الأرضِ ساقِطَةً
بِهَا عِثارٌ لَأَيْدى الخَيْلِ والإِبِلِ
للطَّعْنِ والضَّرْبِ وَقَعَ فِي ظُهُورِهِمْ
والسَّبْيِ والأَسْرِ فِي الأَطْفالِ والكِلَلِ
جُزُّوا بَنى حَسَنِ حُسْنَى بِفِعْلِهِمْ
يَوْمَ الوَغَى يَوْمَ ذاكِ المَشْهَدِ الجَلِيلِ
المِصْطَلِينَ على جُرْدِ السَّلاهِبِ فِي
..... (٢) ضرابِ الحَرْبِ مُتَقَلِّلِ

(١) الطفل : الظلمة ، أو الوقت قبل الغروب . (المعجم الوسيط) ويقال :
وقت من النهار بين العصر والعشاء (صبح الأعشى ٢ / ٣٥٩) .

(٢) بياض في الأصل بمقدار نصف الشطر ولعلها : في مستنقع من ضراب
الحرب منتقل « المراجع » .

- ١ والموت بين القنا في كل معترك
والسمَّهرية في الأعناق والنَّصْل
التَّارِكِينَ عِدَاهُمْ يَوْمَ تَنْظُرُهُمْ
صُفُوراً أَنَامِلُهُمْ مِنْ شِدَّةِ الْوَهْلِ
هُمُ الْجَحَاجِيحُ مِنْ أَصِيلِ زَكَاءِ نَسَبِهَا
نَسْلُ الْبُتُولِ وَنَسْلُ الْمُصْطَفَى وَعَلَى
بِقَهْرِهِمْ ذَلَّتْ الْأَبْطَالُ كُلُّ وَغَى
وَكُلِّ قَرْنٍ شَدِيدِ الْبَأْسِ مُحْتَفِلِ
وَالْقَهْرُ مِنْ سَادَةٍ لَا عَيْبَ فِيهِ كَمَا
١٠ لَا عَيْبَ فِي ذِلَّةِ الْأَوْغَادِ^(١) وَالسَّقْلِ
فِيَامِلِيكَ الْوَرَى طُرّاً وَمَنْ خَضَعَتْ
لَهُ الْخَلَائِقُ مِنْ حَافٍ وَمُنْتَعِلِ
وَمَنْ تَفَرَّدَ بِالْجُودِ الْعَزِيزِ وَمَنْ
قَدْ نَالَ مَرْبَّةً فِي الْخَلْقِ لَمْ تُنَلِ
أَشْكُو إِلَيْكَ زَمَاناً لَيْسَ يُنْصِفُنِي
١٥ وَقَدْ رَمَانِي بِصَرْفٍ غَيْرِ مُنْتَقِلِ
أُسْكِنْتُ بَيْنَ أَنْاسٍ هَانَ عِنْدَهُمْ
قَلِيلُ حَظِّي وَقَلَّتْ فِيهِمْ حِيلِي
تَوَلَّوْهُمْ كُلُّ إِحْسَانٍ فَمَذَّ عَجَزُوا
- ٢٠ عَنْ الْمَكَافَاةِ جَاوَزُوا أَقْبَحَ الْعَمَلِ

(١) فِي مَتْنِ الْبَيْتِ « الْعِذَالِ » وَفَوْقَهَا كَلِمَةُ « الْأَوْغَادِ » وَقَدْ أَثْبَتْنَا الْمُنَاسِبَ

- ١ وكلفوني أمورا لست أقدرها
والحال من بعضها (!). غير مُحْتَمِل
لاقبلون اعتذاري حين أسأله (٢)
- بل يسلقوني بزور المنطق الزَّلِيل
ولايراعون ماأوليت من أدب
وَيَسْطِ عَلِمٍ وَحَقٍّ لِلْعُلَى قِبَلِي
فالفضل والعلم من ذأبي ومن شيمى
ولا افتخارى وكسب الحمد من شغلى
ونالنى منهم ضيمٌ وفرطٌ أذى
- ١٠ فليس فى الخلق قلبٌ ناقعٌ غللى
فإن أزلت الذى أشكو شكرت وإن
لم تشك أرجع بنول غير مُنفصل
لأبد من نُقلَةٍ أقضى بها وطرى
فإن ثيل المنى والعز فى الثقل
- ١٥ كيف المقام بأرض لا صديق بها
يَحْنُو عَلَى ولايُيْدَى النصيحة لي
فيا مقيما على ذلٍّ ومسكنة
بالمسكن الس (٣)

(١) بياض فى الأصل بمقدار كلمة ولعلها : ذا غير محتمل «المراجع»

(٢) فى الأصل « أسئلة » ، ولعل الصواب ما أثبتته .

(٣) بياض فى الأصل بمقدار نصف الشطر .

- ١ إن كنت تطلبُ في الدنيا قَضَاً وَطَرَ
فَفَارِقُ الْوِطَنِ الْمَحْبُوبِ وَأَرْتَجِلُ /
١٤٠ ظ وفُزْ بِنَفْسِكَ عَنْ ضَيْمٍ تُحَاوِفُ بِهِ
ولا [تقل] ^(١) ناقتى فيه ولا جملى
فَالرُّزْقُ مُكْتَسَبٌ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ
وَالْمَوْتُ يَأْتِي وَلَكِنْ بِأَنْقِضَا الْأَجَلِ
فَاسْلَمْ وَدُمُ وَأَبْقِ بِالتَّأْيِيدِ يَامَلِكَا
وَظْفَرِ بِنَصْرِ عَلَى كُلِّ الْعِدَى وَصَلِ
وَاقْبَلْ قَصِيدَةَ شَاكٍ شَاكِرٍ نَظَمْتُ
١٠ حُبًّا لِمَدْحِكَ لَا لِلْبُذْلِ وَالْبُخْلِ
عَارِضْتُ قَوْلَ ابْنِ الْحُسَيْنِ بِهَا
أَعْلَى الْمَمَالِكِ مَا يُنِنَى عَلَى الْأَسْلِ ^(٢)

وذكر شيخنا القاضى بدر الدين ^(٣) العينى فى تاريخه المسمى

(١) إضافة يستقيم بها الوزن .

(٢) وابن الحسين هو : أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبى الشاعر المشهور

المتوفى قتيلاً فى سنة ٣٥٤ هـ . وقصيدته مطلعها :

« أَعْلَى الْمَمَالِكِ مَا يُنِنَى عَلَى الْأَسْلِ وَالطَّعْنُ عِنْدَ مَحْبِيهِنْ كَالْقَبْلِ »

(٣) هو قاضى قضاة الحنفية بالديار المصرية بدر الدين أبو محمد محمود بن

أحمد بن موسى بن أحمد بن الحسين بن يوسف بن محمود العينى ، نسبة إلى عين تاب — قرية قرب حلب — مات سنة ٨٥٥ هـ ، وله مؤلفات عدة فى الحديث ورجاله ، والتاريخ ، واللغة والأدب . وكتابه المسمى بـ « عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان » لا يزال مخطوطاً وقد حصل أحد الدارسين على شهادة الدكتوراه من جامعة الأزهر فى تحقيق الجزء الأخير منه ، وباقى الكتاب فى انتظار من يقوم بتحقيقه . وانظر مقدمة تحقيق كتاب السيف المهند فى سيرة الملك المؤيد للبدر العينى . بتحقيقى .

« عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان » السيد عَنان في المتوفين سنة ١
خمس وثمانائة ، وقال توفي في أوائل ربيع الأول منها ، وذلك بعد أن
خرج من حبس الإسكندرية ، بسفارة الأمير يَشْبُك الدوادار ، وكان
محبوسا منذ عشرين سنة من أيام الملك الظاهر برقوق . انتهى —
وصوابه : عشر سنين .

* * *

١٩١ — أحمد بن ثَقَبَة بن رُمَيْثَة بن أُمَيَّ محمد بن أبي
سعد حسن بن علي بن قَتَادَة الحسنى المكي .

قال الفاسي^(١) : ولي إمرة مكة شريكة لعَنان بن مُعَامِس ،
في ولايته الأولى ، بتفويض من عنان إليه ، يستظهر به على آل
عجلان المنازعين له في ذلك . وكان الخطيب بمكة يدعو في خطبته ١٠
لأحمد بن ثَقَبَة هذا مع عَنان ، وهو في هذا كله ضير ، لأن ابن
عمه أحمد بن عجلان اعتقله مع ابنه علي وأخيه حسن بن ثَقَبَة ،
وابن عمهم [عنان]^(٢) ومحمد بن عجلان في أول سنة سبع وثمانين
وسبعمائة كما سيأتي ذكره في ترجمة أحمد بن عجلان^(٣) . فلما مات
كُحِلُوا كلهم غير عنان فإنه هرب في تاسع عشر شعبان سنة ثمان ١٥

(١) العقد الثمين ٢٢/٣ برقم ٥٢٧ .

(٢) سقط في الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ٢٣/٣ .

(٣) أى في العقد الثمين ٨٧/٣ .

وثمانين وسبعمائة .

وبلغنى أنه لما كُحِلَ أصاب المِرْوَدُ ظاهرَ إحدى عينيه فلم تذهب ، وأصاب جوف الأخرى فأذهبها . فلما كحل ابنه على وصاح ذهل أبوه ، ففتح عينه ينظر إليه ، وقال : واولداه . ففطن له بعض الحاضرين ، فأشار بكحله ثانيا فكحل ، ولم يكن له ذنب .
يوجب اعتقال أحمد بن عجلان له : لأنه كان مظهرا لطاعته ، غير موافق لأخيه حسن ، وعنان في مشاققتهم لأحمد بن عجلان ، ولكن كان أمر الله قدرا مقدورا .

وكان أحمد بن ثقبه أجمل بني حسن حالا في حياة أحمد بن عجلان ، لأنه كان أكثرهم سلاحا ، وخيلا ، وإبلأ ، وعقارأ ،
وغلأ ، ولم يكن في بني حسن من يناظر أحمد ابن عجلان في الحشمة غيره .

ولما توفى خلف أربعة ذكور وبعض بنات ، وتوفى في آخر المحرم سنة اثنتى عشرة وثمانمائة بمكة ، ودفن بالمعلاة ، وقد قارب السبعين أو بلغها . انتهى كلام الفاسى .

١٩٢ - عقيل بن مبارك بن رُمَيْثَة بن أبى ثُمَيّ الحسنى

المكى .

- قال الفاسي^(١) : كان من أعيان الأشراف ، وجعله ابنُ عمه
 أمير مكة عَنان بن مُعَامِس ابن رُمَيْثَة شريكا له في ولاية مكة في سنة
 تسع / وثمانين وسبعمائة — وهي ولاية عنان الأولى — وبقي على ١٤١ أو
 ذلك أشهرا ، وكان يدعى له في الخطبة على زمزم بعد المغرب .
- وتوفي في سنة خمس وعشرين وثمانمائة ، بعد أن أضر ، وربما
 تغير عقله . انتهى كلام الفاسي .

* * *

١٩٣ — على بن مبارك بن رُمَيْثَة بن أبي ثُمَيّ الحسني
 المكي .

- قال الفاسي^(٢) : كان يأمل إمرة مكة ، وقوى رجاءه لها لما
 انحرف الملك الناصر فرج^(٣) ابن الملك الظاهر برقوق صاحب ١٠

(١) العقد الثمين ١١٦ برقم ٢٠١٤ .

(٢) العقد الثمين ٢٢٤/٦ برقم ٢٠٩٦ .

(٣) تولى الناصر فرج سلطنة مصر في صبيحة يوم وفاة والده الظاهر برقوق : يوم
 الجمعة النصف من شوال سنة ٨٠١ هـ ، بعهد من أبيه إليه ، وحكم ما يزيد على ١٣
 سنة ، وقتل في صفر من سنة ٨١٥ هـ . (السلوك للمقريزي ٩٥٩: ٣/٣ ، ١٠٤٤ : ٣/١٤ —
 ٢٢٨ ، والنجوم الزاهرة ١٦٨/١٢ إلى آخر الجزء ، و ٣/١٣ — ١٥٤ ، والدليل
 الشافي ٥٢٠/٢ برقم ١٧٩٣ ، والضوء اللامع ١٦٨/٦ برقم ٥٦٢) .

- ١ مصر ، على صاحب مكة الشريف حسن بن عجلان ، ورسم بالقبض عليه ، وعلى ولديه ، وندب لذلك الأمير بَيْسَق^(١) ، وأشير عليه بأن يكون على بن مبارك المذكور مع بَيْسَق فيما ندب إليه ، ليتألف له بنى حسن ، لاينفروا منه . وبعث عليا المذكور إلى الإسكندرية على أن يعتقل بها ، فإذا خرج الحاج من مصر إلى مكة . طَلَبَ على ، وَجَّهَ إلى مكة ، بحيث يدرك أمير الحاج قبل وصوله إلى مكة . وكان إرساله إلى الإسكندرية ليلبلغ ذلك صاحب مكة فلاينفر منها ، وتم عليه المكيدة . فوقاه الله السوء ، وعطف عليه قلب صاحب مصر ، فبعث إليه وإلى وَلَدَيْهِ بالتشاريف والعهد ببقائهم على ولاياتهم ، وإلى أمير الحاج بالكف عن حرهم . ورجع ١٠ على بن مبارك إلى مصر ، وقصده أولاده من مكة ، رجاء أن يتم له أمر . فأدركه الحَمَام دون المرام في آخر سنة خمس عشرة وثمانمائة وهو معتقل بقلعة الجبل ، وكان اعتقاله في هذه السنة ، بإشارة الملك المؤيد [أبى النصر /^(٢)] شيخ قبل توليته الملك .
- ١٥ وكان على المذكور — في سنة تسع وثمانين وسبعمائة —

(٣) هو الأمير بيسق الشيعي البقوقي أمير آخور ، مات بطالاً بالقدس سنة ٨٢١ هـ . له آثار بمكة كعمارة المسجد الحرام . (الدليل الشافي ١/٢١٠ برقم ٧٤٠ ، والضوء اللامع ٢٢/٣ برقم ١١٤) .

(٢) سقط في الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ٢٢٥/٦ . وقد تولى سلطنة مصر في يوم الاثنين مستهل شعبان سنة ٨١٥ هـ ، وتوفي ثامن المحرم ٨٢٤ هـ . (السلوك للمقريزي ١/٤ : ٢٤٣ وما بعدها ، والنجوم الزاهرة ١/١٤ — ١٦٦ ، والدليل الشافي ١/٣٤٦ برقم ١١٩١ ، والضوء اللامع ٣٠٨/٣ برقم ١١٩٠) .

- لايم آل عجلان بجدة ، وجعلوه سلطانا مع علي بن عجلان ،^١ وأعطوه نصف ماتحصل فيها : ليصرفه على جماعته ، ثم خُوفَ منهم ففرَّ إلى عَنان وأصحابه بمكة ، فأشركه عنان في إمرة مكة ، وصار له ولأخيه عقيل بن مبارك نصف البلاد ، ولعنان وأخيه أحمد بن ثقبه النصف ، وكان عنان قبل وصول علي إليه جعل مكة أثلاثا بينه وبين عقيل وابن ثقبه ، فلما أشرك معهم عليا ، صار يدعى لأربعة على زمزم ، وفي خطبة الصغار في رمضان ، وأما في خطبة الجمعة فلا يدعى إلا لعنان ، لأن الخطيب بمكة لم يوافق على الدعاء لغيره ، وحضر علي بن مبارك حصار مكة في دولة علي بن عجلان سنة سبع وتسعين [وسبعمائة]^(١) ثم توجّه — بعد انقضاء^{١٠} الحصار — إلى مصر في هذه السنة ، فاعتقل بها ، ثم نقل إلى الإسكندرية فاعتقل بها ، ثم أطلق فيها . ثم أذن له في القدوم إلى مصر فقدمها ، وأقام بها حتى مات ، خلا المدة التي بعث فيها إلى الإسكندرية ، للمكيدة المقدم ذكرها . انتهى كلام الفاسي .

* * *

- ١٩٤ — علي بن عجلان بن رُمَيْثَة بن أبي نُمَيٍّ محمد بن ١٥
أبي سعد حسن بن علي بن قتادة الحسني المكي .
قال الفاسي^(٢) : يلقب علاء الدين ، ويكنى أبا الحسن ،

(١) إضافة على الأصل .

(٢) العقد الثمين ٢٠٦/٦ برقم ٢٠٨٥ .

أمير مكة .

١٤١ ظ ولى إمرة مكة ثمان سنين ، ونحو / ثلاثة أشهر ، مستقلاً
بالإمرة ، غير سنتين أو نحوها ، فإنه كان والياً فيها شريكاً لعنان بن
مُعَامِس بن رُمَيْثَةَ الآتِي ذكره^(١) كما سيأتى بيانه .

- وأول ولايته فى رجب ، وإلا ففى أول شعبان من سنة تسع
وثمانين وسبعمائة ، بعد عزل عَنان حنقاً عليه ، لما اتفق فى ولايته من
استيلاء كُبَيْش وجماعة عجلان ، وابنه أحمد ، ومن انضم إليهم على
جُدَّة [وما فيها من أموال الكارم وغلل المصريين ، وعجز عَنان عن
دفعهم عن الاستيلاء على جُدَّة]^(٢) وعن استنقاذ الأموال منهم ،
ولإشراكه لبنى عَمَّه فى إمرة مكة ، ووصل إلى على تقليدً وخلعة ،
بسبب ولايته لإمرة مكة ، من الملك الظاهر بَرْقُوق صاحب مصر ،
مع نجاب مُعْتَبِرٍ من العيساوية ، ووصل النجائب إلى عنان فى
النصف الثانى من شعبان من سنة تسع وثمانين ، لكى يُسَلِّم مكة
لعلّى وجماعته . فامتنع من تسليمها إليهم أصحابُ عَنان ، وتابعهم
على ذلك عَنان . ولما علم بذلك على وجماعته قوى عزمهم على
التوجه إلى مكة ، وصرف الجمالُ محمد بن فرج ، المعروف بابن
بَعْلَجَد نفقةً جيّدة على من لايم علياً من الأشراف والقواد العمرة

(١) أى فى العقد الثمين ٤٢٦/٦ برقم ٣١٦٢ . وقد مضت ترجمته فى هذا

الكتاب برقم ١٩٠ .

(٢) سقط فى الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ٢٠٦/٦ .

- والحميضات ، وساروا إلى مكة ، وخرجوا على الأبطح من ثنية ١
أذاخر ، وخرج للقائهم من مكة عَنان وأصحابه . فلما تراءى
الجمعان انحاز الحميضات عن آل عجلان ، فلم يكونوا معهم
ولا مع عَنان ، وتقاتل الفريقان ، فثَم النصر لعَنان وأصحابه ، ورجع
آل عجلان إلى محلّهم — وهو القصر بالوادي — بعد أن قُتِلَ منهم ٥
كُبَيْش ، ولقاح بن منصور من القواد العمرة ، وعشرون عبداً — فيما
قيل — وذلك في سلخ شعبان من السنة المذكورة .

- وفي شهر رمضان توجه عليٌّ إلى مصر ، فأقبل عليه
السلطان ، ولأه نصف إمرة مكة ، وولى النصف الثاني لعَنان ،
بشرط حضور عَنان لخدمة الحمل ، ووصل عليٌّ مع الحمل إلى ١٠
مكة ، فدخلها مع الحاج ، وقُرِئَ توقيعه على مقام الخنايلة بالمسجد
الحرام .

- وكان عَنان قد أعرض عن لقاء الحمل ، مُتَخَوِّفاً من آل
عجلان ، وفرَّ إلى الزَّيْمَةِ بوادي نخلة اليمانية ، وكان أصحابه قد
سبقوه إليها ، فسار إليهم عليٌّ وجماعته ، وجماعة من الترك الحجاج ،
فوجدوا الأشراف محارين لقافلة بجيلة ، ولما عرف بهم الأشراف ١٥
هربوا ، خوفاً من سهام الترك . وقَتَلَ أصحاب عليٍّ منهم مبارك بن
عبدالكريم من الأشراف ، وابن شكوان من أتباعهم ، وعادوا إلى
مكة ، ومعهم من خيل الأشراف خمسة ، ومن دروعهم ثلاثة عشر
درعا . وتوصلت قافلة بجيلة إلى مكة ، فانتفع بها الناس .

- وبعد سفر الحاج من مكة صار عَنان والأشراف إلى وادي ٢٠

- ١ مرّ ، واستولوا عليه ، وعلى جُدّة ، ونهبوا بعض تُجّار اليمن ، وأفسدوا في الطرقات ، ولأجل استيلائهم على جُدّة احتاج علىّ إلى النفقة ، فأخذ من تجار اليمن ومكة ما استعان به على إزالة ضرورته .

- وفي ربيع الآخر — أول جمادى الأولى — من سنة تسعين وسبعمائة أتاه من مصر أخوه الشريف حسن بجماعة من الترك ٥ استخدمهم له : نحو خمسين فارسا ، وخلعة من السلطان ، وكتاب ١٤٢ منه يتضمن استمراره ، فلبس الخلعة / وقُرِئ الكتاب بالمسجد الحرام ، ووصل إليه أيضاً خلعة وكتاب يتضمن استمراره من الصالح حاجي بن الأشرف شعبان لما عاد إلى السلطنة بمصر ، بعد خلع الملك الظاهر ، في أثناء سنة إحدى وتسعين وسبعمائة . ١٠

- وفي آخر ذى القعدة منها : بلغه أن الأشراف آل أبي ثُمَيّ يريدون نهب الحاج المصري ، فخرج من مكة بعسكره لنصرهم ونصر أخيه محمد ، فإنه كان قدم معهم من مصر ، بعد أن أُجِيبَ لقصده في حبس عَنان ، ولم يقع بين الفريقين قتال ، لأن أمير الحاج أبا بكر بن سنقر الجمالي لما عرف قصد الأشراف للحاج لطفهم ١٥ مع الاستعداد لحربهم ، فأعرضوا عن الحاج .

- وفي أوائل سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة : حصل بين علي وأخويه حسن ومحمد منافرة ، فبان عن علي أخواه ، ونزلا بمن انضم إليهما في وادي مرّ ، ثم هجم حسن مكة في جماعة ، وخرجوا منها من فورهم ، وقتل بعضهم شخصا يقال له بحر . ٢٠

وفي سنة اثنتين وتسعين — أيضاً — اصطلع والأشراف آل أبي

نمى ، بسعى محمد بن محمود — وكان علىّ قد قلّده أمره لنيل رأيه — وحلفوا لعلّى وحلف لهم ، وأعطاهم إبلا وأصائل بوادى مرّ ، وتزوج بعد ذلك منهم بنت حازم بن عبدالكريم بن أبى نمى .

ولما كان قبيل النصف من شعبان سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة : وصل عنان من مصر متوليا نصف الإمرة بمكة من قبل الملك الظاهر ، شريكا لعلّى ، فسعى الناس بينهم فى المؤالفة ، وأن يكون لكل منهما نواب بمكة ، بعضهم للحكم بها ، وبعضهم لقبض ما يخصه من المتحصل ، وأن كلا منهما يقدم مكة إذا عرضت له بها حاجة فيقضيها ، وأن يكون القواد مع عنان ، والأشراف مع علىّ ، للملايئمتهم له قبل وصول عنان ، فرضيا بذلك ، ١٠ وفعلا ما اتفقا عليه ، وكان أصحاب كل منهما غالبين له على أمره ، فحصل للناس من ذلك ضرر ، سيما الواردين إلى مكة ، لأن حجاج اليمن نُهبوا بالمعابدة بطريق منى وبمكة نهبا فاحشا ، ونهب أيضا بعض الحجاج المصريين ، وما خرج الحاج المصريون حتى استنزل عليهم أمير الحاج أبو بكر بن سنقر من بعض بنى حسن ، ١٥ وكان ذلك فى موسم سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة .

ولما سمع ذلك السلطان بمصر استدعى إليه عليّا وعنانا ، وكان وصول هذا الاستدعاء فى أثناء سنة أربع وتسعين وسبعمائة ، ووصل مع النجباء المستدعى لهم خلعتان من السلطان لعلّى وعنان ، وكان عنان إذ ذاك منقبضا عن دخول مكة لأن بعض ٢٠ غلمان على بن عجلان همّ بالفتك به فى آخر صفر من سنة أربع

- وتسعين وسبعمائة بالمسعى ، ففرّ هارباً بعد أن كاد يهلك ، وأزال^١ أصحاب عليّ ثَوَابَهُ من مكة ، وشعارَ ولايته بها ، لأنهم قطعوا الدعاء له على زمزم بعد المغرب . وأمر الخطيبُ بقطع اسمه من الخطبة فما أجاب . ثم دخل عنان مكة — بموافقة عليّ وأصحاب رأيهِ — ليتجهز منها إلى مصر . فلما انقضى جهازه سافر منها في ٥ جمادى الآخرة إلى مصر ، وتلاه إليها / عليّ ، وقصد المدينة النبوية ، فزار جده المصطفى — صلى الله عليه وسلم — وغيره ، وجمع الناس بالحرم النبوي لقراءة ختمة شريفة للسلطان ، والدعاء له عقيبها ، وكتب بذلك محضراً يتضمن ذلك ، وما اتفق ذلك لعنان ، لأنه قصد من بدر ينبع ، ليسبق منها علياً إلى مصر ، ولما وصل^{١٠} عليّ إلى مصر أهدى للسلطان وغيره هدايا حسنة ، واجتمع بالسلطان يوم الخميس خامس شعبان من سنة أربع وتسعين ، في يوم الموكب بالإيوان ، فأقبل عليه السلطان كثيراً ، وأمره بالجلوس فوق عنان — وكان جلس تحته — وبعد أيام فوض إليه إمرة مكة بمفرده ، وأعطاه أربعين فرساً ، وعشرة مماليك من الترك ، وثلاثة^{١٥} آلاف إردب قمح ، وألف إردب شعير ، وألف إردب فول . ومما أحسن إليه به فرس خاص . وسرج مغرق^(١) بالذهب ، وكنبوش^(٢)

(١) التفريق بالذهب : هو الطلاء به .

(٢) الكنبوش : غطاء مزركش بالقصب وغيره ، يجعل على ظهر الحصان تحت السرج ، ويطلق أيضاً على الستر أو الطرحة المزركشة التي تغطي الحصان . (هامش
النجوم الزاهرة ١١/٧ ، والخطط التوفيقية ١٠/٧٠) .

ذهب ، وسلسلة ذهب ، وأحسن إليه الأمراء ، لإقبال السلطان عليه ، فحصل غلمانا من الترك ، قيل إنهم مائة ، وخيلا قيل إنها مائة ، ونفقة جيدة ، وتوجه مع الحجاج إلى مكة ، فوصلها سالما ، وكان يوم دخوله إليها يوما مشهودا . وقام بخدمة الحاج في أيام الموسم من سنة أربع وتسعين وسبعمئة .

وحج في هذه السنة ناس كثير من اليمن بمتاجر ، وانكسر من جلابهم بيندر جدة ست وثلاثون جلبة فيما قيل . وسافروا من مكة بعد قضاء وطهرهم منها في قافلتين ، وصحبهم فيها على بعسكره ، وأطلق القافلة الثانية من المكس المأخوذ منهم بمكة .

وكان غالب الأشراف آل أبي نمنى لم يحجوا في سنة أربع وتسعين وسبعمئة لانقباضهم منه ، فإنه كان نافر رأسهم جار الله بن حمزة بمصر ، وسعى في التشويش عليه ، فما وسع جار الله إلا أن يخضع لعلي فقل تبعه ، واستدعى على الأشراف آل أبي نمنى فحضر إليه جماعة منهم ، مع جماعة من القواد والحميضات ، فقبض على ثلاثين شريفا ، وثلاثين قائدا — فيما قيل — وطالبهم بما أعطاه لهم من الخيل والدروع . فسلم القواد ما طلب منهم ، وسلم إليه الأشراف بنو عبد الكريم بن أبي سعد ، وبنو إدريس بن قتادة ما كان له عندهم من ذلك . وأما الأشراف آل أبي نمنى فلم يسلموا ما كان عندهم ، فأقاموا في سجنه حتى سلم إليه ما طلب منهم بعد ثلاثة أشهر . وكان سجنه لهم في آخر ذى الحجة من سنة أربع وتسعين وسبعمئة ، وكان بمكة جماعة من الأشراف والقواد غير الذين قبض

عليهم ، ففروا بمكة مستخفين ، والتحق كل منهم بأهله .^١

- ومضى الأشراف إلى زبيد ، ونزلوا عليهم بناحية الشام ،
وراسلوا عليًا في إطلاق أصحابهم . فتوقف على ، ثم أطلق منهم
محمد بن سيف بن أبي نُمَيٍّ ، لتكرر سؤال كُبَيْش بن سِنَان بن
عبدالله بن عمر له في إطلاقه ، فإنه كان عنده يوم القبض عليه .
ومضى محمد بن سيف — بعد إطلاقه — إلى عليٍّ ، وكان نازلا بيثر
شميس ، فسعى عنده في خلاص أصحابه واستقر الحال معه على أن
يسلم الأشراف إليه أربعين فرسا وعشرين درعا ، وأن يردوا إليه ما
أعطاه لهم / من الأصائل ، وأن يكون بين الفريقين مجود — أى
حسب — إلى سنة . ومضى من عند عليٍّ جماعة إلى الأشراف لإبرام^{١٠}
الصلح على ذلك ، وقبض الخيل والدروع ، والإشهاد برّد الأصائل .
ففعل الأشراف ذلك . وجاء عليٌّ إلى مكة فأطلق الأشراف في تاسع
عشر ربيع الأول سنة خمس وتسعين وسبعمائة ، وما كان إلا أن
خرجوا ، فساروا بأجمعهم حتى نزلوا البحرة بطريق جدة ، فجمع
عليٌّ الأعراب ومن معه من العبيد والترك ، ومضى حتى نزل^{١٥}
الحشافة ، فرحل الأشراف من البحرة ، ونزلوا جُدَّة واستولوا عليها ،
وكان مما جرَّأهم على ذلك الطمعُ في مركب وصل إليها من مصر ،
فيه ما أنعم به السلطان عليه من القمح والشعير والفلول . وصار في
كلِّ يوم يرغب في المسير إلى جُدَّة لقتال المذكورين ، فيأبى عليه
أصحابه من القواد ، ويجيرون عليه من المسير ، ودام الحال على ذلك^{٢٠}
شهرًا ، ثم سعى عنده القواد الحميضات في أن يعطي للأشراف

أربعمائة غرارة قمح من المركب الذى وصل إليه ، ویرحل الأشراف^١ من جُدة . فأجاب إلى ذلك ، وسَلَّمها إليهم . فلما صارت بأيديهم توقَّفوا فى الرحيل ، فزادهم مائة غرارة ، فرحلوا ونزلوا العُدَّ وصاروا يفسدون فى الطريق .

وبلغه أن ذوى عمر فى أنفسهم منه شيء ، فمضى إلى الأشراف وصالحهم ، وردَّ عليهم ما أعطوه له . وأقبل على مُوَادَّتِهِمْ . فكان جماعة منهم يتحملون منه ، وجماعة يبدون له الجفاء ، ويعملون فى البلاد أعمالا غير صالحة اقتضت أن التجار أعرضوا عن مكة وقصدوا يَنْبُع ، لقلَّة الأمن بمكة وجدة ، فلحقه لأجل ذلك شِدَّة ، وكان يجتهد فى رضائهم عليه بكل ما تصل قدرته عليه ،^{١٠} وقنع منهم بأن يتركوا الفساد فى البلاد ، فما أسعفوه بمراة .

ومما ناله من الضرر بسبب حقدهم عليه : أن بعض الشرفاء والقوَّاد غزوه بمكة فى خدمة أخيه السيد حسن بن عجلان ، لوحشة كانت بينهما ، ونزلوا الزاهر أياما كثيرة ، ثم رحلوا منه لأنهم لم يتمكنوا من دخول مكة ، ويقال إن بعضهم ناله برٌّ من على بن عجلان فرحل ، وتلاه الباكون . وكان وصولهم إلى مكة فى جمادى الآخرة سنة سبع وتسعين وسبعمائة .

وتوجَّه بعد ذلك حسنٌ وعلىُّ بن مبارك إلى مصر راجين لِإِمرَةٍ ، فقبض عليهما السلطان الملك الظاهر بركوق ، وبعث خلعة لعلِّي ، وكتابا أخبره فيه بما فعل ، وأمره فيه بالإحسان إلى الرعية ،^{٢٠} والعدل فيهم ، لما بلغه من أن عَلِيًّا تعرض لأخذ شيء من المجاورين

- بمكة . فقرأ الكتاب بالمسجد الحرام بعد لبسه للخلعة ، وأحسن ١
السيرة ، ونادى في البلاد : بأن من كان له حق فليحضر إليه
ليرضيه فيه . وكان الذى حمله على الأخذ فقهه لما كان يعهد من
النفع بجدة ، ومطالبة بنى حسن له بالعطاء . ومازال حريصا على أن
يحصل منهم عليه رضا ، إلى أن أدرك من بعضهم ما به الله عليه ٥
قضى ، من سلب روجه ، وإسكانه فى ضريحه .

- وكان صورة ما فعل به : أنه لما خرج يريد البراز اتبعه
١٤٣ ظ الكردى ولد عبدالكريم / بن مخيط الكردي ، فسأيره وهو راكب
على راحلته ، وعليه على فرس ، ورمى بنفسه على علي وضربه بجنيبة
كانت معه ، فطاحا جميعا إلى الأرض ، فوثب عليه علي فضربه ١٠
بالسيف ضربة كاذ منها يهلك . وولى علي راجعا إلى الحلة .
فأغرى به شخص يقال له أبو نمي — غلام لصهره حازم بن
عبدالكريم — جندبا وعبيبة وحمزة بن قاسم ، وعرفهم أنه قتل
الكردي ، فوثبوا عليه وقتلوه ، وقطعوه وبعثوا به إلى مكة فى
شجار^(١) ، فوصل إلى المعلاة ليلا ، وصلى عليه ، ودفن فى قبر ١٥
أبيه .

وكان قتله فى يوم الأربعاء سابع شوال سنة سبع وتسعين
وسبعمائة ، ودفن فى ليلة الخميس ثامنه . وعظم قتله على الناس
سيما أهل مكة ، لأنهم تخوفوا أن الأشراف يقصدون مكة وينهبونها ،

(١) الشجار : محفة دون ظلة ، أو هودج صغير ، أو مركب من مراكب النساء
أصغر من الهودج مكشوف الرأس . (تاج العروس ، والمعجم الوسيط) .

وتَحِيل ذلك بعضُ العبيد الذين في خدمة علي ، وهَمُّوا بنهبها والخروج^١ منها قبل وصول الأشراف إليها ، فنهاهم عن ذلك العقلاء من أصحابهم ، وَحَمَى الله البلد من الأشراف وغيرهم .

وفي الصباح وصل إليها السيّد محمد بن عجلان — وكان عند الأشراف منافراً لأخيه علي — ووصل إليها أيضاً السيد محمد بن محمود — وكان نازلاً بمحاذة قريب مكة — وقاما مع العبيد والمولدين بحفظ البلد إلى أن وصل السيد حسن من مصر متولياً لإمرة مكة عوض أخيه علي ، وذلك [بعد]^(١) نصف سنة ونحو نصف شهر . وكان لعلّ من العمر — حين قتل — نحو من ثلاث وعشرين سنة ، وكان تزوّج الشريفة فاطمة بنت ثَقَبَة بإثر ولايته مكة ، وتَجَمَّل بها حاله . ثم تزوّج بنت حازم بن عبدالكريم بن أُمّي ، ثم بنت النصيح أحمد بن عبدالكريم بن عبدالله بن عمر ، وكان زواجه عليها قبل موته بنحو جمعة أو أقل ، وكانت قبله عند أخيه السيد حسن ، فأبأنها لما تزوّج عليها ابنة عنان ، لتحريم الجمع بينهما باعتبار الرضاع .

١٥

وكان مليح الشكالة والأخلاق ، ذا كَرَمٍ وعقل رزين ، وكان بنو حسن يتعجبون منه ، لأنهم كانوا يكثرون الحديث عنده فيما

(١) إضافة على الأصل يستقيم بها المعنى . وفي العقد الثمين ٢١٤/٦ : أن السيد محمد بن عجلان تولى أمور مكة بعد قتل أخيه علي إلى حين قدوم أخيه الشريف حسن بن عجلان من مصر ، في آخر ربيع الأول سنة ٧٩٨ هـ . وذلك أزيد من نصف سنة يسراً . وانظر العقد الثمين ١٣٧/٢ ترجمة محمد بن عجلان .

يريدونه من الأمور . ويرغبون في أن يخوض معهم في ذلك ، فلا
يتكلم إلا بما فيه فصل لذلك .

وأصلح الله بوصول السيد حسن . البلاد ، لاجتهاده في
حسم مواد الفساد ، واستمر منفردا بإمرة مكة إلى شعبان سنة تسع
وثمانمائة ، ثم شاركه في ولايتها ابنه السيد بركات بسعي أبيه له في
ذلك ، ثم ولي ما كان للسيد حسن من الولاية ، وهو نصف الإمرة
بمكة ، ابنه أحمد ، بسعي أبيه له في ذلك أيضا ، وولي أبوهما نيابة
السلطنة بالأقطار الحجازية ، وكان ولايته لذلك ، وولاية ابنه أحمد في
شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة وثمانمائة ، واستمروا على ذلك إلى

أثناء النصف الثاني من سنة اثنتى عشرة وثمانمائة ، ثم عزلوا عن ذلك
مدة يسيرة نحو شهر ، ثم عادوا إلى ولاياتهم في ثالث عشر ذى
القعدة من السنة المذكورة ، وما ظهر لعزلهم أثر ، لسرعة عودهم
للولاية ، واستمروا / على ولاياتهم إلى أوائل صفر سنة ثمان عشرة
وثمانمائة . ثم عزلوا عن ذلك كله ، ووليه السيد رُمَيْثَةُ بن محمد بن

١٤٤

عجلان ، وفي توقيعه أنه ولي نيابة السلطنة عن عمِّه ، وإمرة مكة
عوض ابني عمه ، واستمرَّ الدعاء في الخطبة ، وبعد المغرب على زمزم
للسيد حسن وابنيه إلى مستهل الحجة سنة ثمان عشرة وثمانمائة ، وكان
إليهم أمر مكة من حين بلغهم الخبر بذلك . في أول النصف الثاني
من شهر ربيع الأول سنة ثمان عشرة وإلى استهلال ذى الحجة منها .

وفي هذا التاريخ فارقها المذكورون ، ودخلها فيه السيد رُمَيْثَةُ

بن محمد ، واستمرت بيده إلى أن فارقها في ليلة السادس والعشرين

من شوال سنة تسع عشرة وثمانمائة ، بعد حرب كان بينه وبين عمه ١
في يوم الأربعاء خامس عشر من شوال ، وظهر فيه عسكر عمه على
عسكره ، ومضى لصوب اليمن . ثم أتى رُمَيْثَةَ لعمه خاضعا ، في
صفر سنة عشرين وثمانمائة ، فأكرم عمه وفادته . وقد حُطِبَ لِرُمَيْثَةَ
ودُعِيَ له على زمزم في مدة إقامته بمكة على العادة ، وضُرِبَتِ السَّكَّةُ
باسمه — فالله يصلح الجميع ويسددهم ، وإلى الخير يرشدهم .

ولوالدى قصيدة في مدح علي بن عجلان منها : (١) وبَيَّضَ ولم
يذكر شيئا^(١) . انتهى كلام الفاسي .

قلت : وذكر الفاسي أيضا في ترجمته من كتاب « ذيل سير
النبلاء » للذهبي كثيرا منها ، وهو أولها :

إِنْ بَانَ وَجْهُ الصِّفَا مِنْ رَاكِدِ الْكَدْرِ
وَأَنْشَقَّ فَجْرُ الضِّيَا مِنْ ظُلْمَةِ الْفِكْرِ
لَأَثُرَنَّ عَلَى عَلِيَا أَبِي حَسَنِ
تَالِ مِنْ الْحَمْدِ أَوْنَظْمًا مِنْ الدَّرَرِ ١٥
وَأَوْقَفَ الْقَصْدَ فِي سَاحَاتِ مَشْعَرِهِ
كَيْمَا أَفِيضَ بُسُوكَ التُّجَجِ وَالظَّفَرِ

(١) يبدو أن النسخة التي كانت في متناول مؤلفنا لم تتضمن الأبيات التي وردت
هنا ، ونقلها المؤلف عن ذيل سير النبلاء للفاسي . وقد ذكر محقق العقد الثمين ٢١٥/٦
أن نسخة « ك » ، ونسخة « ي » خلتا من هذه الأبيات ، أما نسخة « ق » فقد
أوردتها .

١ مَالِي وَلِلنَّائِي وَالتَّرحَالِ عَنْ أَفُقٍ
عَلَا عَلَى كَرَّةِ الْإِشْرَاقِ بِالْقَمَرِ
نَادَى : عَلِيُّ بْنُ عَجَلَانَ سَمَاءُ سَمَا
بَنِي رُمَيْثَةَ وَالسَّادَاتِ مِنْ مُضَرٍ

ومنها :

٥ كَمْ طَافَ حَوْلَكَ مِنْ مَوْلَى وَمِنْ مَلِكٍ
وَحَوْلَ بَيْتِكَ مِنْ حَاجٍّ وَمُعْتَمِرٍ

ومنها :

وَأَمَّاكَ الْمُلْكُ مِنْ مُضَرٍ بِهِ أَرَبٌ
١٠ إِلَى لِقَاكَ فَلَاقَى الْخُبَرَ كَالْخَبَرِ
إِنْ تَابَعْتِكَ صُفُوفٌ تَلَوْا أَفْئِدَةً
فَأَنْتَ قِبْلَةُ أَهْلِ الْبَدْوِ وَالْحَضَرِ
[لَمْ لَا يَكُونُ عَلَى الدُّنْيَا حُلِيٌّ بِهَا
وَأَنْتَ جَوْهَرَةُ الْأَخْبَارِ وَالسِّيَرِ
١٥ أَحْيَيْتَ آثَارَ أَسْلَافٍ وَقَدْ سَلَفُوا
أَحْيَيْتَ مَكَارِمَهُمْ أَمْوَاتٍ مُفْتَقِرٍ^(١)

ومنها :

وَمَذْهُبُطٌ إِلَى الْأَرْضَيْنِ أَصْعَدَنِي
أَبُو سَرِيحٍ سَمَاءَ الْعِزِّ وَالْكَبَرِ

- ١ فَاَلَلَهُ يُسْكِنُهُ جَنَّاتٍ مُزَخْرَفَةٍ
مَعَ النَّبِيِّينَ فِي صَحَابٍ وَفِي زُمَرٍ
أَبْقَى لَنَا عُدَّةَ الْأَمْرِ خَلَفَتَهُ
وَالْبَدْرُ فِي الْوَهْنِ مِثْلُ الْبَدْرِ فِي السَّحَرِ
٥ مُنْشَى سَحَابٍ جُودٍ مُزْنُهَا دُرٌّ
تُغْنِي عَنِ السُّحُبِ وَالْأَنْوَاءِ وَالْمَطَرِ

وقال الفاسي أيضا في الذيل المذكور : قال الأديب جمال
الدين محمد بن حسن بن العُليّ / ، يمدح السيد علي بن عجلان ١٤٤٤ظ
صاحب مكة بقصيدة طويلة ، منها قوله :

- أَحْسَنُ شَيْءٍ رَأَيْتُهُ دِمْنٌ
عَنْ يُوسُفٍ فِي الْعُيُونِ أَجْمَعِهَا
تَذُلُّ أَنْوَارُهُ عَلَى مَلِكٍ
مُتَوَجِّجٌ شَرَفَ الزَّمَانِ بِهِ
أَشْرَفُ مَنْ تَوَجَّجَتْ بَنُو حَسَنِ
خَلِيفَةُ اللَّهِ فِي بَسِيطَتِهِ
مُطَبَّقُ الْأَرْضِ مِنْ كَتَائِبِهِ
تَوَاقِبُ الشُّهُبِ مِنْ أَسِنَّتِهِ
أَصْدَقُ مَا قَالَ فِيهِ مَادِحُهُ
سَحَابُ الْجُودِ مِنْ أَنْامِلِهِ
يَمْتَطِيءُ الشَّمْسَ فِي الْمَرَاتِبِ عَنْ
مُتَبَسِّمٍ عَنْ عَلِيٍّ بْنِ عَجْلَانَ ١٠
أَغْنَى الصَّدِيقِ الْمُحِبِّ وَالشَّانِي
شَبَّهَهُ رَبُّهُ بِإِنْسَانٍ
لَيْسَ لَهُ فِي الزَّمَانِ مِنْ ثَانِي
مِنْ مَلِكٍ عَادِلٍ وَسُلْطَانٍ
وَارِثُ مُلْكِ النَّبِيِّ سُلَيْمَانَ ١٥
عَلَى مُلُوكِ الْوَرَى بِطُوفَانٍ
بَوَارِقُ نَحْوِ كُلِّ شَيْطَانٍ
بَذَرُ تَمَامٍ وَغَيْثُ صَدَيَانٍ
تَنْهَلُ مِنْ فِضَّةٍ وَعَقِيَانٍ
زِيَادَةُ فِي الْعُلَى وَنُقْصَانِ ٢٠

- ١ مَرْتَبَةٌ فِي الْعُلَى يُقَرُّ بِهَا
لَوْ زِيدَتِ الشَّمْسُ فِي مَنَاقِبِهِ
قَصَائِدُ الْمَدْحِ فِيهِ قَاصِرَةٌ
يَاسَادَةُ النَّاسِ كُلِّ مَفْخَرَةٍ
وَمَا أَتَى فِيكُمْ وَأُنْزِلَ فِي
فَحَسْبُكُمْ مَا قَرَى لَكُمْ وَتَلَى
بِالْفَجْرِ قَاصِي الْأَنَامِ وَالذَّانِي
كَانَتْ لَهُ مِثْلُ سَطْرِ عِنْوَانٍ
لَوْ بُلِّغَتْ فِيهِ بُرْجُ كَيَوَانٍ
تَخْبِرُ عَنْ فَضْلِكُمْ وَبُرْهَانِ
«طَه» وَفِي «هَلْ أَتَى» وَ«سُبْحَانَ»
مِنْ سُورٍ فِيكُمْ وَقُرْآنِ
انتهى ما في الذيل المذكور .

* * *

١٩٥ — محمد بن عجلان بن رُمَيْثَةَ بن أَبِي نُمَيٍّ الحسني

المكي .

- ١٠ قال الفاسي^(١) : ولي إمرة مكة نيابة عن أخيه علي بن عجلان نصف سنة ، في سنة أربع وتسعين وسبعمائة ، لَمَّا تَوَجَّهَ أَخُوهُ عَلِيٌّ فِيهَا إِلَى مِصْرَ .

وولي إمرة مكة بعد قَتْلِ أَخِيهِ عَلِيٍّ إِلَى حِينَ قُدُومِ أَخِيهِ الشَّرِيفِ حَسَنِ بْنِ عَجْلَانَ مِنْ مِصْرَ ، فِي آخِرِ رَبِيعِ الْآخِرِ^(٢) سَنَةِ

(١) العقد الثمين ١٣٧/٢ برقم ٣٠١ .

(٢) كذا في الأصل ، ويؤيده ما ورد في ترجمة حسن بن عجلان في العقد الثمين

٨٩/٤ من دخوله مكة في يوم السبت الرابع والعشرين من ربيع الآخر . وفي العقد الثمين

١٣٧/٢ « ربيع الأول » .

- ١ ثمان وتسعين وسبعمائة ، وذلك أزيد من نصف سنة يسيرا .
 ووليها نيابة عنه بعد قدومه إلى مكة من مصر (١) .

وكان ابن عمه عنان بن مُعَامَس بن رُمَيْثَةَ لما وَلِيَ إمرة مكة في ولايته الأولى لآيَمَ محمد بن عجلان / هذا ، وأقبل كل منهما على ١٤٥
 الآخر كثيرا ، واستخلف عَنانَ محمدا هذا بجدة ، وترك معه فيها مَنْ ٥
 لآيَمَهُ من عبيد أحمد بن عجلان ، وبعض موالى أبيه مُعَامَس ، يكون
 عَيْنًا على محمد ، فأنهى هذا المولى إلى عَنان عن محمد تقصيرا ،
 فكتبَ عَنانُ إليه يَزْجُرُهُ وَيُغْلِظُ له . فاستشاط محمد غضبا ،
 واستدعى كُبَيْشًا ومن معه من آل عجلان وغيرهم ، فقدموا عليه
 جدة ، واستولوا على ما فيها من أموال الكَارِم ، وغلل المصريين ١٠
 بالنهب ، وما قدر عَنان على إزالتهم من جدة ، ولا استنقاذ ذلك
 منهم . وكان ذلك من أعظم أسباب عزله .

وكان عجلان يَرْغَبُ في أن يكون ابنه محمد هذا ضيِّداً لولده
 أحمد بن عجلان ، بأن يفعل في البلاد فِعْلاً يَظْهَرُ به محمد ،
 وَيَغْضَبُ لِفِعْله أحمد ، فَيَلِينُ بذلك جانبُ أحمد لآيِهِ — لأنه كان ١٥
 قَوِيَّ عليه — وَيَنَالُ بذلك مَقَاصِدَ من ولده أحمد ، وَيَنَالُ بذلك
 محمد أمراً في البلاد . فلم ينهض محمد بِمُرَادِ أبيه مع تَيَسُّرِ سَبَبِ
 ذلك .

(١) بياض في الأصل بمقدار ثلاث كلمات كتب فوقه كلمة « كذا » ، ومثله في

- ١ وصورة الحال في ذلك : أن عجلان كتب ورقةً إلى ابنه محمد ، يأمره بأن يَشْعَبَ هو وأصهاره الأشراف على أحمد بن عجلان ، وأن يأخذَ مِنْ خَيْلِ أبيه ماشاء ، ويذهبَ إلى نَحْلَةٍ ويأخذَ منها أذرعاً هناك مُودَعَةً له ، ويأخذَ مِنْ هِيَ مُودَعَةً عنده ما يحتاج إليه من المصروف . ووصلت ورقته إلى ابنه محمد ، وهو في لَهْوٍ مع بعض أصدقاء أخيه أحمد ، فأوقفهم على ورقة أبيه ، فاستغفلوه وبعثوا بها إلى أخيه أحمد ، وأشغلوه باللَّهْوِ إلى أن بَلَغَ أخاه الخبر .

وقصد أحمد أباه في جمع كثير ، مُعَاتِباً له على ما فَعَلَ —

- كان قد بلغه ما كان من ابنه محمد — فشَقَّ عليه كثيراً واعتذر لأحمد ، وأعرض عن محمد لِقَلَّةِ حزمه .

- ١٠ وكان محمد قصد قافلةً متوجهة من مكة إلى المدينة ، في سنة ثلاث وسبعين وسبعمئة ، فيها قاضي مكة أبو الفضل النويري ، فنهب محمد جمال القافلة بَيِّدِرَ ، وتَوَصَّلَ مِنْ فيها إلى المدينة ، وبلغ الخبرُ أباه عجلان ، فَجَدَّ في السير حتى أتاهم بالمدينة ، فاستعطفهم وأرضاهم بِرَدِّ الجمال ، أو بِمَالٍ — الشك منى (١) — ١٥ والله أعلم .

وكان محمد بعد ذلك ملايماً لأخيه أحمد ، وأخوه مُكْرِمٌ له . ثم نَفَرَ منه محمد فتوجَّه من مكة بعد الحج — في سنة ست وثمانين

(١) أي التقى الفاسي ، وانظر الخبر بصورة تختلف قليلاً عما هنا في إتحاف الوری

وسبعمائة — قاصدا مصر طلبا لِحَيْر ، فلما كان بينبع أشار عليه ١
 أمير الحاج المصري أبو بكر بن سُتْقُر الجمالي : بأن يرجع إلى
 مكة ، ويرجع معه بَعْنَان بن مغماس ، وحسن بن ثَقَبَة ، وكانا
 قاصدين مصر لشكوى أحمد ، لكونه لم يُجِبْهُمَا إلى مارَسَمَ لهما به
 عليه السلطان بمصر . وكان أمير الحاج قد أشار على المذكورين ٥
 بالرجوع إلى مكة ، وضمن لهما على أحمد الموافقة على قصدهما إذا
 رجعا إليه ، وضمن لمحمد عن أحمد إسعافه لما يرومه من أحمد ،
 وأطمعه بالمزية في الإحسان من أحمد إذا وصل إليه بالمذكورين .

فرجع الثلاثة إلى أحمد ، ولم يتوثَّق محمد لنفسه ولا لمن معه
 أَغْتَرَارًا منه بنفسه ، لظنه أن أحمد لايسوءه في نفسه ولا من معه ، ١٠
 فلم يصب ظنه ، لأن أحمد / قبض عليه وعلى المذكورين لما اجتمعوا ١٤٥ ظ
 به ، وضمَّ إليهم أحمد بن ثقبَة وابنه عليا ، وقيد الخمسة . ومن
 الناس من يقول : إن أحمد ندب محمدا لإحضار عنان وحسن ،
 فلما حضرا إليه قبض عليهما ، فأنكر ذلك محمد على أحمد ، فضمه
 إليهما ، وسجن الخمسة بالعلقمية عند المروة . ولما مات أحمد ١٥
 كُجِّلُوا ، غير عنان فإنه كان نجا من السجن قبل موت أحمد
 ييسير . وكان من أمرهم وأمر محمد ما كان .

ثم سعى محمد في اعتقال عَنَان في مصر ، فأجيب سؤاله .
 وكان محمد قدمها في سنة إحدى وتسعين وسبعمائة . بعد ثورة

- ١ مِنْطَاش^(١) على الناصري^(٢) ، ومصير الأمر إليه بعد قبضه على الناصري وسجنه ، وهو الذى أجاب محمداً لسجن عَنان .

وكان محمد هذا فى سنة ثمانمائة دخل اليمن ، فأكرمه صاحب اليمن الأشرف^(٣) ، وجهاز معه محملاً إلى مكة فى سنة ثمانمائة بعد انقطاع محمله نحو عشرين سنة ، وتوجه به محمد بعد الحج ليأتى به ثانية إلى مكة ، فاقضى رأيي صاحب اليمن عدم إرساله ، فتوجه محمد إلى مكة ، وأقام بها حتى مات فى الثانى عشر من ربيع الأول سنة اثنتين وثمانمائة ، ودفن بالمعلاة . انتهى كلام الفاسي .

* * *

١٩٦ — حسن بن عجلان بن رُمَيْثَة بن أبى نُمَيِّ محمد بن ١٠

(١) منطاش : هو تمر بغا بن عبد الله الأفضلي الأشرفي ، المعروف بمنطاش ، خرج على الظاهر برقوق ، وقتل فى سنة ٧٩٥ هـ بعد هزيمته . وانظر الدرر الكامنة ٥٢/٢ ، ١٣٤/٥ ، والنجوم الزاهرة ١/١٢ — ٤٢ ، والدليل الشافي ١/٢٢٣ برقم ٧٨٠ .

(٢) الناصري : هو يلبغا بن عبد الله الناصري اليلبغاوي ، أحد كبار الأمراء ، ناب بحلب ودمشق ، وخرج على الظاهر برقوق ثم عاد إليه ، وقتل فى سنة ٧٩٣ هـ بحلب . (النجوم الزاهرة ١٢/١٢٦ — ١٢٨ ، والدليل الشافي ٢/٧٩٣ برقم ٢٦٧٣ ، والدرر الكامنة ٥/٢١٥) .

(٣) هو الملك الأشرف إسماعيل بن العباس بن علي بن رسول ، المتوفى سنة ٨٠٣ هـ . (الدليل الشافي ١/١٢٤ برقم ٤٣٣ ، والضوء اللامع ٢/٢٩٩ برقم ٩٢٢ ، وشذرات الذهب ٧/٢٦) .

أى سعد حسن بن علي بن قتادة الحسني المكي .^١

قال الفاسي^(١) : يُلقَّب بدر الدين . أمير مكة ، ونائب السلطنة بالأقطار الحجازية .

ولي إمرة مكة من غير شريك إحدى عشرة سنة وتسعة أشهر وأياما يسيرة ، وهي ستة أيام . ووليها سنة وسبعة أشهر — بتقديم السين — شريكا لابنه السيد بركات ، وهو الساعي له في ذلك .

وولي نيابة السلطنة سبع سنين إلا شهراً وأياماً ، وولي ابنه أحمد عوضه نصف الإمرة الذى كان بيده قبل أن يلي نيابة السلطنة .

وما ذكرناه من مُدَّة ولايته لإمرة مكة — مستقلاً ، وشريكا^{١٠} لولده بركات — هو باعتبار تاريخ الولاية بمصر ، لاباعتبار وصول الخبر بذلك إلى مكة . وكذلك ماذكرناه في مُدَّة ولايته لنيابة السلطنة هو باعتبار تاريخ الولاية والعزل ، لاباعتبار بلوغ الخبر بهما إلى مكة ، فتكون ولايته على مكة — أميراً ونائباً للسلطنة — عشرين سنة وثلاثة أشهر إلا أربعة أيام ، وربما زاد ذلك أياماً قليلة ، أو نقص أياماً^{١٥} قليلة .

وسنوضح ذلك أكثر من هذا ، وغيره من خبره ، وذلك أنه ولد في سنة خمس وسبعين وسبعمائة تقريباً ، ونشأ في كَفَالَةِ أخيه أحمد ، مع أخيه علي بن عجلان أمير مكة الآتى ذكره^(٢) . حتى

(١) العقد الثمين ٨٦/٤ برقم ٩٩٥ .

(٢) أي في العقد الثمين ٢٠٦/٦ برقم ٢٠٨٥ . وقد مضت ترجمته في هذا

الكتاب برقم ١٩٤ .

- ١ مات أحمد ، ويقال إن أحمد استولى على ذهب جيّد تركه عجلان لابنيه حسن وعلي ، ولأخ لهما شقيق علي . ولايم المذكوران كُبَيْشًا بعد قتل محمد بن أحمد بن عجلان ، ثم سافر حسن بعد الحج من سنة تسع وثمانين وسبعمئة إلى مصر ؛ لتأييد أمر أخيه عليّ في إمرة مكة / فإنه ولي إمرتها في أثناء سنة تسع وثمانين وسبعمئة عوض . ١٤٦
عنان ، وما تمكن من دخولها .

- ثم ولي نصف إمرتها شريكا لعنان بعد أن حضر إلى السلطان بمصر في النصف الأخير من رمضان من هذه السنة . ووصل مع الحاج في هذه السنة ، ودخل مكة في أول ذى الحجة ، بعد مفارقة عنان وأصحابه مكة ، وعاد حسن إلى مكة ومعه جماعة من الترك ، ١٠ لتأييد أخيه عليّ ، ثم حصل بين مُقَدَّمهم وبين حسن منافرة بالمرّة ، فقال المقدم — وأنا أسمع — لحسن : أنت صغير . فسمعت حسنا يقول له : إن كُنْتُ عندك صغيرا فأنا عند الله كبير . فاستدلت بذلك على تيقّظه . وكان وصوله بهذا العسكر في ربيع الآخر — أو جمادى الأولى — من سنة تسعين وسبعمئة . ١٥
وكان ملايما لأخيه عليّ في غالب مُدّة ولايته ، وأخوه مُكرِّم له ، وما ظهر بينهما منافرة فاحشة إلاّ في وقتين ، بانَ فيهما حسن عن عليّ ، وغزَا في كلا الوقتين أخاه بمكة ، فدخلها في المرة الأولى هَجْماً في جماعة من أصحابه ، وخرجوا منها من قوَرِهِم ، وقَتَلَ بعضهم شخصاً يقال له بَحْر ، وذلك في أول سنة اثنتين وتسعين . ٢٠
وسبعمئة . والعزوة الأخرى في سنة سبع وتسعين وسبعمئة ، في

١ جمادى الآخرة منها ، وأقام بمن معه من الأشراف وغيرهم في الزاهر
أياماً ، ثم رحلوا بغير قصد ؛ لأنَّ بعضَ أصحاب عليٍّ أمرَ بعضَ
أصحاب حسن بالرحيل فَرَحَلَ ، وتلاه الباكون .

وسافر حسن بعد ذلك إلى مصر راجياً لإمرة مكة ، فحضر
عند الملك الظاهر صاحب مصر بالقلعة غير مرّة ، ثم اعتُقِلَ بقلعة
الجبل في شهر رمضان من السنة المذكورة .

ووصل كتابُ السلطان إلى عليٍّ يخبره بذلك ، ويأمره فيه
بالعدل ، مع خلعة ، فلبسها ، وقُرِئَ الكتابُ بالمسجد الحرام في
سَلَخ رمضان . وبعد جُمُعَةٍ اسْتُشْهِدَ عَلِيٌّ ، وذلك في سابع شَوَّال
من السنة المذكورة ، وبلغ قَتْلُه السلطانَ في تاسع ذى القعدة من
١٠ السنة المذكورة ، فأطْلَقَ حَسَنًا ، وولَّاه عَوْضَ أخيه إمرة مكة ،
وجعل إلى الأمير يَلْبُغَا السَّالِمِيَّ تَقْلِيدَ حَسَنِ الإمرة بمكة . وكان يَظُنُّ
أنه يُدْرِكُ الحَجَّ فما قُدِّرَ ذلك .

ووصل الخبرُ بولايته إلى مكة في أثناء العشر الأخير من
ذى القعدة ، وقام بخدمة الحاج أخوه محمد بن عَجَلَانَ ، وكان بالبلد
١٥ مِنْ حين قَتَلَ عَلِيٌّ .

ووقع في هذا الموسم فِتْنَةٌ في يوم التَّروِيَةِ ، نُهِبَتْ فيها للحاج
أموالٌ كثيرة ، وطمع الحَرَامِيَّة في الحُجَّاج فنهبهم بطريق عَرَفَةَ ،

- وكان مُعْظَمُ النَّهْبِ بِالْمَازِمِينَ^(١) — مَازِمِي عَرَفَةَ — وَتُسَمِّيهِمْ أَهْلُ
مَكَّةَ : الْمَضِيقَ . وَرَحَلَ الْحَاجُّ أَجْمَعَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ يَوْمَ النَّفَرِ
الْأَوَّلِ .

وما تَوَجَّهَ السَّيِّدُ حَسَنٌ مِنْ مِصْرَ إِلَّا بَعْدَ وَصُولِ الْحَاجِّ إِلَيْهَا
بِأَيَّامٍ نَحْوِ نِصْفِ شَهْرٍ ، وَتَوَجَّهَ مَعَهُ بِجَمَاعَةٍ مِنَ الثُّرَاكِ ، قِيلَ إِنَّهُمْ
مِائَةٌ وَثَلَاثُونَ — وَقِيلَ سَبْعُونَ — وَمَعَهُ مِنَ الْخَيْلِ تِسْعُونَ — بِتَقْدِيمِ

- التَّاءِ — وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ وَيُتَجَمَّلُ بِهِ . وَلَمَّا انْتَهَى إِلَى يَنْبَعِ
طَالِبِ أَمِيرِهَا وَبَيْرِ بْنِ مِخْبَارٍ بِمَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ السُّلْطَانُ عِنْدَهُ ؛ لِأَنَّ
السُّلْطَانَ كَانَ بَعَثَ قَمَحًا لِلْيَنْبَعِ إِلَى يَنْبَعِ / فَاسْتَوَلَى عَلَيْهِ وَبَيْرٌ ، ثُمَّ
١٤٦ ظ أَنْعَمَ بِهِ السُّلْطَانُ عَلَى السَّيِّدِ حَسَنٍ ، فَتَوَقَّفَ وَبَيْرٌ فِي تَسْلِيمِ ذَلِكَ
إِلَيْهِ ، فَأَمَرَ حَسَنٌ غِلْمَانَهُ بَلْبِسَ السِّلَاحَ وَالتَّهَيُّؤَ لِلْقِتَالِ . فَلَمَّا
عَرَفَ ذَلِكَ وَبَيْرٌ أَرْضَاهُ بِخَمْسَةِ وَثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، وَرَحَلَ عَنْهُ
حَسَنٌ إِلَى مَكَّةَ ، وَأَمَرَ أَخَاهُ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ بِلِقَائِهِ ، فَاجْتَمَعُوا قَرِيبًا

(١) الْمَازِمَانُ : تَثْنِيَةُ الْمَازِمِ مِنَ الْأَزْمِ بِمَعْنَى الْعُضِّ أَوْ الضِّيقِ ، وَهُوَ الطَّرِيقُ بَيْنَ
الْجَبَلَيْنِ ، وَمَازِمَا مَكَّةَ بَيْنَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَعَرَفَةَ ، وَهُوَ شَعْبٌ بَيْنَ جَبَلَيْنِ يَفْضِي آخِرُهُ إِلَى
بَطْنِ عَرْنَةَ ، الَّتِي يَكُونُ بِهَا مَوْقِفُ الْإِمَامِ — وَكَانَ فِيهَا مَضًى طَرِيقًا ضَبِيقًا يَأْتِي الْمَزْدَلْفَةَ مِنْ
جِهَةِ عَرَفَةَ ، وَلَا يَدْفَعُ النَّاسُ لَيْلَةَ الْمَزْدَلْفَةِ إِلَّا مِنْهُ ، وَقَدْ عَبَدَ حَالِيًا ، وَجَعَلَ لَهُ ثَلَاثَ
مَسَارَاتٍ ، أَحَدُهَا لِلْمَشَاةِ ، وَالْآخَرَانِ لِلسَّيَارَاتِ ، وَقَدْ يَطْلُقُ اسْمُ الْمَازِمِينَ عَلَى مَنْ عِنْدَ
الْعَقْبَةِ لَضِيقِ الْمَكَانِ . (مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ لِیَاقُوتَ ، وَمَعَالِمُ مَكَّةَ التَّارِخِيَّةِ) .

من ثنية عُسْفَانَ (١) ، أو السُوَيْق (٢) .

وكان الأشراف لما سمعوا بإقبال حسن إلى مكة . وخروج محمد ومن معه منها للقاءه ، رحلوا من عُسْفَانَ إلى غُرَانَ (٣) ، إلى شَقِّ طَرِيق الماشي ، فطلب حسن الأشرافَ يَوْمًا وليلة فلم يلحقهم ، لارتفاعهم في الحرار ، وأمرَ عليّ بن كُبَيْش أن يخرج من مكة بجماعة من أهلها إلى خَيْفِ بَنِي شَدِيدٍ لِيَقْطَعُوا بها نخيلا للأشراف ، ففعل ذلك ، ثم أُشِيرَ عليه بالإعراض عن ذلك فترك ، وانتهى إلى بئرِ شُمَيْسٍ وأقام بها عشرة . ثم دخل مكة في ليلة السبت الرابع والعشرين من ربيع الآخر ، سنة ثمان وتسعين وسبعمائة ، فلبس الخلعة ، وقرئَ عَهْدُهُ بِالْوَلَايَةِ ، وطافَ بالبيت ، وأقام بها إلى أثناء ليلة الأحد ، وخرجَ وَمَنْ معه إلى بئرِ شُمَيْسٍ . ثم انتقل منها في النصف الثاني من جمادى الآخرة في السنة المذكورة إلى العُدِّ —

(١) ثنية عسفان : عقبة منسوبة لعسفان ، وعسفان بلدة تاريخية عامرة شمالي مكة على الطريق إلى المدينة ، تبعد عن مكة ثمانين كيلاً ، ويشرف عليها من جميع نواحيها حرار سود ، وتتفرع منها الطرق إلى جدة وإلى مكة وإلى المدينة ، وثنيها بعدها بخمسة كيلومترات في طريق الحرار التي تقع شمالي عسفان ، وتسمى الثنية بثنية غزال . (على طريق الهجرة ١٩ — ٢٧) .

(٢) السويق : لعل المقصود هو سوق خليص ؛ فهو أقرب الأسواق إلى ثنية عسفان وغران .

(٣) غران : واد يقع بين خليص وعسفان ، ويعتبر رافداً من روافد أمج ، ويسيل من حرة الحجاز العظيمة من قسمها الجنوبي ، فيسمى رهاطاً ، فإذا انحدر إلى البرزة سمي غراناً ، إلى أن يجتمع بأمج . وفي غران كانت غزوة بنى لحيان . (وفاء الوفا ٣٥٣/٢ ، وعلى طريق الهجرة ٢٣) .

- وكان الأشراف قد أقاموا به نحو خمسة وعشرين يوماً بمعاونة الحميضات ، ثم رحلوا منه إلى جهة اليمن — وأمر في النصف الثاني من رَجَب بقطع نَخِيل الفَائِجَةِ^(١) والْبُرَيْقَةِ بِخَيْفِ بني شَدِيد ، وكلاهما لبعض الأشراف . وكانوا قد اجتمعوا بِدُرَيْبِ بن أحمد بن عيسى ، صاحب حَلِي^(٢) ، وخوَفَهم من حسن في مرورهم عليه إلى وادي مَرَّ . فذكروا له أنه لأقْدَرَة له عليهم ، ووقع كلامه في قلوبهم ، لأنهم لما قربوا من الموضع الذى حسنٌ فيه مُقِيمٌ أرسلوا يطلبون الجيرة من بعض أصحابه في حال مُرُورِهِم ، وأوهموا رسولهم أنهم لا يَمُرُّون حتى يعود عليهم بالخبر ، وقصدوا بذلك أن يَتَبَطَّ عنهم أصحابُ حسن . فلما كان الليل مُرَّوا — وأصْحَابُ حسن لا يَشْعُرُونَ — حتى انتهوا إلى الوادى . وتأثَّرَ لذلك حسنٌ وأصحابه ، وتحركوا للأخذ بِشَارِ عليّ بن عجلان ، وكان محمد بن محمود ممن انتصب لذلك ، لحسن سياسته ، فتكلَّم مع القواد في ذلك فأجابوه لِمَا طَلَب ، لِظَنِّهم أنه لا يَتِمُّ ذلك عَلَى عادة بنى حسن في التَّبَطُّ عن القتال بِالْجِيرَةِ في كل يوم ، فَيَمْلُ الطالب ١٥ للقتال وَيُصَالِحُ المطلوب ، فجاء القدرُ بخلاف ذلك ، لأن الفريقين لَمَّا التقيا وَبَادَرَ الأشرافُ إلى الحرب لاستخفافهم بالقواد ، وكانوا عرفوا بمكان القواد العمرة . فحملوا عليهم حملةً منكراً زالت بها

(١) الفائجة : عين تقع شمال شرقي خيف بنى شديد بوادى مَرَّ ، وقد اندثرت .

(حسن القرى بأودية أم القرى) .

(٢) ترجم له السخاوي في الضوء اللامع ٢١٧/٣ برقم ٨١٧ .

القواد من أماكنهم ، وكادوا ينهزمون ، فعطف الحميضات والسيد حسن — وكان في القلب ، ومن جمع لهذا الحرب — على الأشراف فانكسروا ، وقُتل من سراة الأشراف [سبعة]^(١) منهم جُنْدُب بن جُحَيْدَب بن لِحَاف بن راجح بن أبي نمي . أحد قتلة علي بن عجلان ومن أتباعهم نحو ثلاثين ، وما قُتل من أصحاب حسن — فيما قيل — غير مملوك وعبد . وكان معه ألف رَجُل ومائتا رجل ، من الترك والعبيد والمولدين ، وأهل مكة والأعراب . وأجار عَلَى حِلَّة الأشراف من النهب فَسَلِمَت ، وقصدوا جهة الهَدَّة ، وأقام / ١٤٧ و بالجديد حتى أتى الموسم ، واستفحل أمره بعد هذه الواقعة ، وكانت بمكانٍ يقال له الزَّيْبَارَة^(٢) بوادي مَرَّ ، قريبا من أبي عُرْوَة^(٣) . في ١٠ الرابع والعشرين من شَوَّال من السنة المذكورة وقيل : في هذا التاريخ في شهر رمضان . وما أتى إلى جدة في هذه السنة من تجار اليمن غير قليل ، ومضى أكثرهم إلى ينبع — وكان مقدّمهم القاضي وجيه الدين عبدالرحمن ابن القاضي نور الدين علي بن يحيى بن جميع^(٤) — لأنهم أتوا إلى جُدَّة أيام الحرب المذكور ، فعدلوا عنها إلى ١٥

(١) سقط في الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ٩٠/٤ .

(٢) الزبارة : قرية لبنى عمير في وادي مر ، تقع بعد التقاء النخلتين ، وعندها أخذ الوادي اسمها . (معجم معالم الحجاز) .

(٣) أبو عروة : قرية بوادي مر . قرب الروضة والبرقة ، عندها جبل يقال له الظاهر ، يصعد منه إلى هدة بني جابر . وفيها نخيل ومزارع للحب والبطيخ ، وتسقى من عين عذبة . (حسن القرى بأودية أم القرى) .

(٤) ترجم له السخاوي في الضوء اللامع ١٠٥/٤ برقم ٢٩٦ ، وانظر ترجمة أخيه محمد بن علي بن يحيى في العقد الثمين ٢٢١/٢ برقم ٣٣٣ .

- ١ ينبع ، ولما عادوا منها — في سنة تسع وتسعين وسبعمائة — تَعَرَّضَ لهم السيد حسن ، لأخذ الجَبَا منهم، فَرَضَوْهُ في ذلك بعد أن أسقط عنهم الثلث منه . وذبح بعضُ غلمانِه رجلا يقال له محمد بن جَمَّاز ، ويعرف بابن أبي داعس ، من غلمان الأشراف ؛ لتحسينه لابن جميع المروَرِ عَلَى جدة ، والذي حمله على ذلك أن نفسه لم تَطِبْ بأن يَحْصُلَ لحسن نفعٌ من التجار .

وكان جماعة من التجار واصلين من اليمن لقصد ينبع ، فلما سمعوا بذبح المذكور ، وبإسقاط حسن (الثلث من الجَبَا عَمَّنْ^٤) تقدَّم دَخَلُوا إلى جدة ، وَعُنِيَ حسنٌ بحفظ الواصلين إليه من اليمن في توجُّهِهِمْ إلى مكة ، وفي عودهم منها إلى جدة ، فعادوا حامدين له ، ونال منهم نفعا جيِّدا تَجَمَّلَ به حاله ، وما زال يزداد جمالا في حاله ، وَهَيْئَتُهُ تَعَظُمُ في القلوب ، لأنَّ صاحب مصر بعث إليه بخلعيتين في هذه السنة ، وذَهَبَ ؛ لشكره له على قتل أعدائه . ووصل إليه ذلك على طريق سَوَاكِن^(٢) ؛ لخوف قُصَّادِهِ من صاحب ينبع . وكان وصول ذلك إليه في آخر جمادي الآخرة من سنة تسع وتسعين ١٥ وسبعمائة .

(١) كذا في الأصل ، وفي العقد الثمين ٩١/٤ « ثلث الجبا » .

(٢) سواكن : بلد مشهور على الساحل الغربي للبحر الأحمر ، ترفأ إليه السفن ، بينه وبين جدة طريق بحري . (معجم البلدان لياقوت) وبينها وبين عطبرة التي على وادي النيل طريق سكة حديد ، وبينها وبين كسلا وبربر طرق تجارية ، وقد أثرت عليها ميناء بور سودان لقربها منها . (هامش النجوم الزاهرة ١٣٩/٧) .

وفيها — قبل ذلك — في ربيع الآخر غزا بعضُ بنى شُعْبَةَ ،
فأخذ منهم ثلاثمائة بغير وغير ذلك .

وفيها أخرج الأشراف من جدة ، وكانوا نزلوها في شهر رجب
بمعونة القواد الحُمَيْضَات ، لغضبهم على حسن . واستألمهم بالإحسان
حتى ساعدوه على إخراجهم من جدة ، وتبعهم إلى عُسْفَانَ ، فهربوا
إلى خُلَيْص ، فتبعهم فهربوا أيضا ، فرجع عنهم ، وتوصلوا بغير حريم
إلى الخَيْف ، فأجارهم بعضُ القواد إلى انقضاء السنة ، وسكنوا
الخَيْفَ وما جَسَرُوا على فعل ما يخالف هَوَاهُ إلى ذى القعدة من السنة
المذكورة .

وفيها قصدوا نخلة ، وتكلموا مع أهلها في أن يكتنوهم من
إنزال أهلهم بنخلة . وكان الذى حَرَّكهم على ذلك الطمَعُ في
التجار الواصلين إلى جدة في هذه السنة ، وكان الواصل منهم كثيرا
في هذه السنة . وبلغ الشريف خبرهم ، فأشار إلى هُدَيْل بآلٍ
يُجِيبُوا الأشراف لقصدهم ، وأحسنَ لهذيل بشيءٍ من المال ، والتزم
للأشراف بخمسين ألف درهم على ألا يخالف عليهم ، ولا يخالفوا عليه ١٥
إلى انقضاء السنة ، وانقضاء شهر الحرم بعدها . وضمن عليه
وعليهم جماعة من بنى حسن .

وقدم التجار إلى مكة ، وسافروا منها في الحرم من سنة ثمانمائة
في قافلتين ، كل قافلة أزيد من ألف جمل ، وصحبهم السيد حسن
في سيرهم إلى جدة ، وحاطهم بالحراسة / حتى ركبوا إلى بلادهم . ٤٧
وأعطى الأشراف ما التزم لهم به وصالحهم في ربيع الأول — فيما

أحسب — من سنة ثمانمائة إلى انقضاء سنة ثمانمائة ، والتزم لهم على ١ ذلك بسبعين ألف درهم .

فلما كان قبل يوم التروية ليلة أو ليلتين توجه حسن بأمراء الحاج كلهم وجماعة من الترك والمغاربة إلى وادي مرّ ، لقصد الأشراف بسبب سوء ما بلغه عنهم — فيما قيل — فانهزموا إلى الهدّة ، وماظفروا إلا بأحمد بن فياض بن أبي سويد فقتل ، وعادوا إلى مكة .

وفي آخر سنة ثمانمائة قبيل الموسم كُحِلَ بعض غلمان ذوي عمر ، لتنجيله بعض الجلاب قبل بلوغها ساحل جدة . وحصل من ذلك رعب في قلوب بني حسن ، وما جسر أحد على أن ينجل قبل ١٠ جدة إلا في الوقت الذي أذن فيه حسن ، وهو هلال ذي الحجة ، وما قرب منه بأيام يسيرة .

وفي هذه السنة حج من اليمن في البرّ ناس كثير ، مع محمل أنفذه الملك الأشرف صاحب اليمن ، وعليهم أمير من جهته ، وعضدهم محمد بن عجلان أخو حسن — كان قدم اليمن في هذه ١٥ السنة ، وناله برّ طائل من الأشراف ، وأصاب الحجاج هؤلاء في إقبالهم إلى مكة بالقرب منها عطش عظيم ، هلك فيه — فيما قيل — ألف نفس . وتوجّه المحمل ومن معه — وفي خدمته السيد محمد — لليمن في ثانی عشری ذی الحجة من السنة المذكورة ، وكان قد انقطع المحمل من اليمن من سنة اثنتين وثمانين وسبعمائة . ٢٠ وفي سنة إحدى وثمانمائة تغير القواد الحميضات عليه ؛

لطمعهم فيما حصَّله من الخيل والدروع ، وما ظفروا منه بقصد ؛ ١
لأنه لما ظهر له ذلك منهم وصل إليه في جمادى الآخرة من السنة
المذكورة ثلاثة نجابة ، وأخبروا أن الأمير يَبْسَق أمير الحاج في سنة
تسع وتسعين وسبعمائة واصل إلى مكة في جماعة من الترك ، وأنه
يتوجَّه في سنة إحدى وثمانمائة . ووصل إليه مع النجابة المخبرين .
بذلك خلعتان من قبل السلطان فلبسهما ، وقرىء كتاب السلطان
بالمسجد الحرام ، فتخوف الحميضات منه ، ومن الترك الواصلين إلى
مكة ، وسافروا إلى الشرق^(١) قبل وصول الخبر بدنو الترك من مكة
بيوم ، وذلك في أول العشر الأخير من شعبان .

وفي ثالث عشر شعبان وصل الأمير يَبْسَق ومعه خمسون ١٠
فرسا ، ومائة مملوك ، وغيرهم من الفقهاء وغيرهم ، لقصد العمرة
والحج . وكان شَمِيلَة بن محمد بن حازم^(٢) أحد أعيان الأشراف لاقى
الأمير بالطريق ، فخلع عليه وأعطاه دراهم وجمل دقيق ، وحلوى ،
وأمره أن يأتيه بأصحابه ليصلح بينهم وبين السيد حسن ، فأجابه إلى
ذلك . وبعد مفارقتها له قصد الأمير حلة الأشراف — وكانوا قريبا منه ١٥
بأم الدمن — فما وجد لهم أثرا ، لفرارهم قبل وصوله إلى حلتهم .
وكان السيد حسن قد لقي الأمير بقاع ابن غزى^(٣) ، ووصل إلى

(١) في الأصل « السوق » ، والمثبت عن العقد الثمين ٩٣/٤ .

(٢) هو شميلة بن محمد بن محمد بن حازم بن شميلة بن أبى نغمي الحسن المكي ،
كان من أعيان الأشراف ، موصوفاً بالشجاعة ، دخل مصر واليمن ، وتوفي في الحرم سنة
٨١٩ هـ . (العقد الثمين ١٨/٥ ، والضوء اللامع ٣٠٧/٣ برقم ١١٧٨) .

(٣) في الأصل « بقاع غزى » ، والمثبت عن العقد الثمين ٩٣/٤ ، وإنحاف

الورى ٤١٢/٣ .

١ مكة بعد وصوله ، وخلع الأمير عليه ، وعلى محمد بن محمود ، وعلى ابن كُبَيْش . وَمَكَّنَ حسن أهل مكة من لبس السلاح ، وكان الأمير ١٤٨ قد منعهم من ذلك . ونَقَصَ سَعَرَ / الذهب عما قدره الأمير في قيمته لشكوى الناس إليه ذلك . وكان منع من الدعاء لصاحب اليمن بعد المغرب على زمزم ، فنهاه السيد حسن عن ذلك ، ومكَّن من .
الدعاء لصاحب اليمن على العادة .

وفي شهر رمضان من هذه السنة غزا حسن عربا يقال لهم البقوم ، فغنم منهم مائتي ناقة وبقرا وغنا ، وعاد بذلك ، وكان البقر ^(١) والغنم وكل بحفظه إلى بعض غلمان ممن ليس فيه كبير قوة ، فاستنقذ ذلك منهم المنهوبون ، وقتلوا من غلمانهم جارَ الله بن أبي ١٠ سليمان ، وتُرَكِّيَا ، وفاتتهم الإبل .

وفي أول شوال منها توجه إلى وادي الطائف لأن الحمدة ^(٢) أهل الجبل حشموه ^(٣) في جيزته أهل الطائف — وهو مكان مخصوص من وادي الطائف — فاسترضاه الحمدة بثمانين ألف درهم ، وخلي عن جرمهم . ونال مثل ذلك من بني موسى أهل ليّة — وهو مكان ١٥ مشهور بقرب وادي الطائف — واستدعى آل بني النمر للحضور إليه ، فتوقفوا . فبذل له الحِمْدَةُ أربعين ألفا على أن يسير معهم إلى

(١) في الأصل « الإبل » ، والمثبت عن العقد الثمين ٩٤/٤ ، وإتحاف الوري

(١) الحمدة : من بني جاهل من ثقيف . (معجم قبائل العرب) .

(٣) حشموه : أي أغضبوه ، أو آذوه ، أو أخجلوه . (المعجم الوسيط) .

آل بنى النمر ، فسار معهم ، وهدم حصن آل بنى النمر ، وحصل فيه ١
نهب كثير ، وقتل بعضهم ، وقتل من جماعته مملوكان . وعاد إلى
مكة فى سادس شوال ، ومعه أزيد من عشرين فرسا ، فأهدى منها
للأمير أربعا ، ثم عاد إلى الوادى .

وفى ليلة ثانى عشر شوال استدعى إليه مَنْ فى خدمة الأمير ٥
من الترك ، وَمَنْ بمكة من غلمانة من العبيد والمولدين ، فذهبوا إليه
إلى الوادى ، ومضوا معه إلى الخيف ، فقطعوا فيه تمر نخيل ذوى
رَاجِح ، وقطعوا بالبُرْقَةِ نخيلا لبنى أبى سويد ، وقطعوا فى الروضة
الخضراء نخيلا للأشراف ، لأنهم دَخَلُوا على الحميضات بعد عودهم
من الشرق ، وحصل بينهم حميل ، فأدبهم السيد حسن بذلك ، ١٠
ومضى الأشراف إلى ساية .

فلما توجه الحاج من مكة فى سنة إحدى وثمانمائة بلغ
الشرىف حسنا أن القواد وغيرهم طمعوا فى أهل اليمن ، فخرج فى
صحبتهم إلى جدة ، ومعه الأمير بَيْسَق فى آخر ذى الحجة ، وعاد
إلى مكة بعد سفر اليمن^(١) من جدة سالمين . ١٥

وفى أول شهر ربيع الأول سنة اثنتين وثمانمائة توجه إلى الشرق
وأخذ من الطائف ، وليَّة القطعة التى قررها عليهم ، وعاد إلى مكة
فى الخامس من ربيع الآخر .

وفىها اصطلىح هو والأشراف آل أبى نَمي مدة سنة ، وصاروا

(١) اليمن : أى حجاج اليمن .

يدخلون مكة برفقة وبغير رفقة . وأظن ذلك اتفق بعد عوده من ١ الشرق — والله أعلم .

وفي آخر جمادى الأولى منها وصل إليه خلعة من صاحب مصر فلبسها .

وفي هذه السنة حصل له من التجار الواصلين من اليمن نفع .
أزيد من العادة بكثير ؛ لكثرة من وصل منهم في هذه السنة .
وكانت مراكبهم تزيد على العشرة غير الجلاب ، ووصلوا جدة في آخر رمضان ، ومكة في شوال .

وفي سنة ثلاث وثمانمائة — في ثاني صفر — توجه إلى المدينة النبوية زائرا لجده المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام ، على ١٠ طريق / الشرق في مائتي راحلة ، ومائة جمل ، وستين فرسا ،
وثلاثمائة رجل . وعاد إلى مكة في عاشر ربيع الأول . ١٤٨ ظ

وفيهما ندب إلى مصر القائد سعد الدين جبروه^(١) بهدية ،
ولشراء ممالك ترك ، وغير ذلك من ممالحه ، فوصل إليه في الموسم
من هذه السنة بجماعة من الترك . ١٥

وفيهما — في [ثاني]^(٢) شعبان — توجه إلى الشرق ، وأخذ
من أهل الطائف وليّة القطعة التي قررها عليهم .

(١) هو سعيد جبروه العجلاني ، القائد . مات بمكة في جمادى الآخرة سنة ٨٣٩ هـ . وانظر الضوء اللامع ٢٥٦/٣ برقم ٩٦١ .
(٢) إضافة عن العقد الثمين ٩٥/٤ .

وفيها وقف رباطه^(١) الذي أنشأ عمارته ، وهو بالقرب من مدرسته . وما عرفت هذه المنقبة لغيره من أمراء مكة الأشراف .

وفي سنة أربع وثمانمائة — في صفر — توجه إلى حلي ، لأن كنانة استدعوه إليها عقيب فتنة كانت بينهم وبين دُرَيْب بن أحمد بن عيسى صاحب حلي وجماعته . وفيها — أي في الفتنة — قتل دُرَيْب . في يوم عرفة من سنة ثلاث وثمانمائة . وكان الأشراف آل أبي نمي في خدمته ، ومن أنضم إليه من زبيد . وكان في خدمته حين توجه إلى حلي القواد العمرة والحميضات ، ومأمراً في طريقه بأحد فيه [قوة]^(٢) إلا وأمره بالمسير في خدمته بالظعن — وكان قد سار إليها بذلك — ولما دنا من حلي خضع له موسى بن أحمد بن عيسى ، أخو دُرَيْب — وكان قد قام مقام أخيه ؛ لأنه كان شريكه في حال حياته في ولاية حلي ، ولكن السمعة لدُرَيْب — فلاطف موسى حسنا ، وأجاب إلى ما طلب حسن من الدروع والخيول والإبل وغير ذلك ، وشرط على حسن ألا ينزل الموضع المعروف بحلي ، وأن يقصر دونه ، فما تم له قصد ، لأن حسنا نزل المكان المذكور ، وأقام به أياما ، وشق ذلك على [بعض]^(٢) مَنْ كان في خدمته من القواد العمرة والحميضات ، لالتزامهم لموسى عن حسن أنه لايدخل حلي .

(١) وانظر شفاء الغرام ٣٣٢/١ ، وإتحاف الوري ٤٢٣/٣ وفيهما « وله عليه

أوقاف بمكة ومنى ووادي مر » .

(٢) إضافة عن العقد الثمين ٩٦/٤ ، وإتحاف الوري ٤٢٦/٣ .

- وبلغني : أنه لما انتهى إلى حلي عَبَّأَ مِنْ مَعَهُ فِي عِدَّةِ
صفوف ، وأن موسى أَقْبَلَ إِلَيْهِ رَاجِلاً يَشُقُّ الصَّفُوفَ وَهِيَ تُفَرِّجُ لَهُ ،
حتى انتهى إلى حسن وهو راكب [فسلم عليه وسأله في العود]^(١)
وعاد حسن بعد ذلك بأيام إلى مكة ، فأنهى إلى موضع بالقرب
منها يقال له الأطوى^(٢) في شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة . ثم
دخل مكة بعد أيام من وصوله إلى الأطوى ، وخلع عليه الأمير بَيْسَقُ
يوم دخوله إلى مكة ، واحتفل بـلِقَائِهِ ، لأنه لما تَوَجَّهَ لِحَلِيِّ اسْتِنَابِهِ
في الحكم بمكة . ثم نَقِمَ عَلَيْهِ حَسَنُ بَعْضُ أَوَامِرِهِ بِمَكَةِ ، لِأَنَّهُ بَيْسَقًا
منع من الدِّعَاءِ لِصَاحِبِ الْيَمَنِ عَلَى زَمَزَمَ بَعْدَ الْمَغْرِبِ . فَأَمَرَ السَّيِّدَ
حسن بالدِّعَاءِ لَهُ . وَأُرْسِلَ مَرْسُومَانِ مِنْ صَاحِبِ مِصْرَ فِي أَحَدِهِمَا
أَلَّا يَمْنَعَ مِنَ الدِّعَاءِ بِمَكَةِ لِسُلْطَانِ الْيَمَنِ . وَفِي الْآخَرِ أَنَّ لَيْسَ لِأَحَدٍ
مِنَ الْأَمْراءِ الْوَاصِلِينَ مِنْ مِصْرَ فِي أَوْسَاطِ السَّنَةِ عَلَى صَاحِبِ مَكَةِ
السَّيِّدِ حَسَنٍ يَدُّ وَلَا حُكْمٌ ، بَلْ يَعْضُدُونَهُ وَيَقْوُونَ كَلِمَتَهُ وَيَعْلُونَ
شَأْنَهُ ، وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ الْأَمِيرُ وَخَالَفَ وَطَلَبَكُمْ الْقِتَالِ قَاتِلُوهُ .
وَقُرِئَ هَذَانِ الْمَرْسُومَانِ خَلْفَ الْمَقَامِ بِحَضْرَةِ قَاضِي مَكَةِ عَزَّ الدِّينَ
النُّوَيْرِي ، وَجَمَاعَةِ مِنْ أَهْلِ الْحَرَمِ ، فِي سَلَخِ جَمَادَى الْأُولَى — أَوْ
مُسْتَهْلِ جَمَادَى الثَّانِيَةِ — وَلَمْ يَكُنِ الْأَمِيرُ بَيْسَقُ إِذْ ذَاكَ بِمَكَةِ ، لِأَنَّهُ
تَوَجَّهَ مِنْ مَكَةِ يَقْصِدُ مِصْرَ ، وَقَدْ الْعَصَرَ مِنَ الْيَوْمِ التَّاسِعِ / ١٤٩

(١) إضافة عن العقد الثمين ٤٢٧/٣ .

(٢) الأطوى : بئر في جنوب غربي مكة على بعد ثمانين كيلاً منها . (معجم

البلدان لياقوت ، ومعالم مكة التاريخية) .

والعشرين من جمادى الأولى .

- وفي الليلة التي تلي هذا اليوم بعد المغرب ، وكان وصول أمر السيد حسن إلى مكة بالدعاء لصاحب اليمن ، مع قاصد من جهته ، ومعه المرسومان . ثم تنافرا بعد ذلك ، لأن الأمير يَيْسَق كان كتب شفاعات لنفسه ، وكتب فيها أنه أزال المنكر من مكة ، فأخذ ذلك منه السيد حسن ، وأخذ منه قفل باب الكعبة ومفتاحه ، وكان الأمير يَيْسَق لما أخذ ذلك عمل قفلا ومفتاحا عوض ذلك ، وركبه في باب الكعبة وقت العصر من اليوم الثاني والعشرين من جمادى الأولى ، وأعيد القفل القديم إلى الكعبة . وكان أمر بِسَدِّ الشبَابِيك التي بالجانب الغربي ، فأذن حسن في فتحها . وكان أمر بنقل ١٠ السوق من المسعى إلى سوق الليل ، فأمر حسن بإعادته إلى المسعى ، وكان نُقِلَهُ إلى سوق الليل في أول ربيع الآخر ، وَعَوَّذَهُ إلى المسعى في عاشر جمادى الآخرة . واتفق أن عوده كان بحضوره ، لأنه كان عاد إلى مكة في ليلة رابع جمادى الآخرة بعد أن بلغ كُليَّة^(١) ، ثم سافر منها في ليلة الثامن والعشرين من جمادى الآخرة ١٥

(١) كلية : واد قرب الجحفة ، على ظهر الطريق ، به ماء آبار ، ويقال لتلك الآبار كلية . ويقال : كلية قرية بين مكة والمدينة . (معجم البلدان لياقوت) .
وفي كتاب على طريق الهجرة ٤٨ — ٥١ : سهل يمتد من الجنوب إلى الشمال مسافة ٤٠ كيلاً من الساحل غرباً إلى جبال فرسان ودوره شرقاً ما يقرب من خمسين كيلاً . ويقار كلية القديمة لها ذكر في روايات حرب وتاريخهم ، وواديها أكبر الوديان وأكثرها سكاناً وعمراناً .

إلى مصر ، وهو واجد على أهل مكة ، وكانوا نقوموا عليه إهائته لكثير منهم ، لأنه رسم على القاضي الشافعي بمكة بغير موجب ، وضرب بعض فقهاء الحرم وفراشيه وغيرهم من أهل مكة .

ومما حمد عليه أمره (لبوأي المسجد الحرام^(١)) بملازمة أبوابه وتنظيف الطرقات من الأوساخ والقمام ، ونقل الكدى^(٢) التى كانت بسوق الليل والمعلقة ، وألا يحمل السلاح بمكة ، وإخراج بنات الخطا والمختئين وغيرهم من أهل الفساد من مكة .

وكان سبب إقامته بمكة توكليه لأمر عمارة المسجد الحرام ، لأن فى آخر شوال سنة اثنتين وثمانمائة احترق منه الجانب الغربي ، وبعض الجانب الشامي ، فقدم المذكور إلى مكة فى موسم سنة ثلاث وثمانمائة ، وأقام بها لأجل ذلك إلى التاريخ السابق . ووكل بيباق العمارة جماعة من غلمانه ، وقد أوضحنا فى كتابنا « شفاء الغرام »^(٣) ومختصراته خبر هذه العمارة وسببها أكثر من هذا .

(١) فى الأصل « لبوايين الحرم » ، والمثبت عن العقد الثمين ٩٨/٤ .

(٢) الكدى : لعلها جمع كداة بمعنى كل ما جمع من تراب ونحوه فجعل كدبة .

(المعجم الوسيط) .

(٣) شفاء الغرام ٢٢٨/١ ، وفيه « أنه فى ليلة السبت الثامن والعشرين من شوال سنة اثنتين وثمانمائة ظهرت نار من رباط رامشت ، بالجانب الغربي من المسجد الحرام ، ولم يكن غير لحظة حتى تعلقت بسقف المسجد ، وعمت بالحريق الجانب الغربي منه ، وبعض الرواقين المقدمين من الجانب الشامي ، بما فى ذلك من السقوف والأساطين الرخام ، وصارت قطعاً ، وانتهى الحريق إلى محاذاة باب دار العجلة . وسبب ذلك أن النار لم تجد شيئاً تتعلق به لخلو ذلك الموضع ، وهو عمودان عليهما عقود وسقف ، =

- ١ وفي أول رجب من هذه السنة وصل بعضُ الأشراف آل أبي نمي ، وهم : شُمَيْلَةُ بن محمد بن حازم ، وعلى بن أبي سويد ، وابن أخيه إلى حسن وسألوه في الصُّلح ، فأجابهم إلى ذلك مدة سنة ، ولم يذكر لهم أن القواد العمرة يدخلون معه في الصلح . ولما سمع بذلك القواد العمرة شَقَّ ذلك عليهم ، فذكر لهم أنه لم يدخلهم معه في الصلح ، وإنما صالحهم عن نفسه وجماعته . فرضوا منه بذلك ، وَغَمَّ بذلك الأشراف ، فتجهزوا ورجعوا إلى أهلهم بِحَلْيٍ أو بقرها . وفيها — في أول شعبان — وصل إليه موسى صاحب حَلْيٍ ، فأعطاه ألف مثقال^(١) ، وعشرة أفراس . وأظنه جاء إليه مستنصرا به على كنانة ، لأنهم في جمادى الأولى دخلوا حَلْيٍ بالسيف ونهبوها ، ١٠ وَهَرَبَ هو إلى آل أبي نمي إلى الطالعي^(٢) .

= بسبب سقوطه لتخربه في السيل المهول الذي كان بمكة في هذه السنة أيضاً ، فصار ما احترق من المسجد الحرام أكواماً عظيماً ، تمتنع من الصلاة في موضعها ، ومن رؤية البيت العظيم . فلا حول ولا قوة إلا بالله . ثم قدر الله تعالى عمارة ذلك في مدة لطيفة ، على يد الأمير بيسق الظاهري — أعزه الله — وكان قدومه لذلك في موسم سنة ثلاث وثمانمائة ، فلما رحل الحاج من مكة في هذه السنة شرع في شيل تلك الأكوام العظيمة حتى فرغت ، ثم أخذ في العمارة حتى عاد ذلك كما كان ... وكان الفراغ من عمارة ذلك في العشر الأخير من شعبان سنة ٨٠٤ هـ . »

(١) أي أعطاه السيد حسن ألف مثقال ... إلخ . كما جاء في إتخاف السورى

٤٣٠/٣ .

(٢) الطالعي : نسبة إلى آل طالع إحدى قبائل الطحاحين ، فرع من فروع آل موسى ، يسكنون في وادي بقره — أحد فروع وادي حلي — بجوار آل سعيد الذين يسكنون أسفل الوادي . (بين مكة واليمن ٣١٠ — ٣١٢) .

- ١٤٩ ظ وفيها — في صفر — حصل له خمسة وستون / ألف مثقال وأزيد] — فيما قيل — من القاضي شهاب الدين أحمد بن القاضي برهان الدين المحلي ، وجماعة [^(١) من تجار الكارم ، لأن المركب الذى كانوا فيه انصلح بقرب مكة ، فأعطوه هذا المقدار عوضا عن الرُّبْع ^(٢) الذى يأخذه وُلاة البلاد فيما ينصلح فى بلادهم من الجلاب . ولما بلغ ذلك القاضي برهان الدين المحلي اشتد غضبه عليه ، وسعى فى إرسال شخص من خواص السلطان بمصر يطالبه بذلك ، فوصل فى آخر رجب وبلغَ رسالته ، فاعتذر بتفرُّق ذلك من يده ، ووعد بالخلاص ، وماطل فيه .
- ١٠ وفى ليلة رابع عشر شوال منها وصل إليه نجابه أحمد بن خليل الفراء ^(٣) بخلة وكتاب من صاحب مصر ، فلبس الخلعة ، وقرأ الكتاب بالمسجد الحرام ، فى رابع عشر شوال . ومما فى الكتاب : الوصية بالرعية .
- ولما دنا الموسم من السنة التى جرى فيها ذلك تخوَّف حسن

(١) سقط فى الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ٩٩/٤ ، وإتحاف الورى

. ٤٢٥/٣

(٢) فى الأصل « الربح » ، والمثبت عن المرجعين السابقين .

(٣) هو أحمد بن خليل بن حسن الأنصاري المكي ، المعروف والده بالفراء . وكان من الحفاظ ، وعنى بالكتابة وحسن الخط ، كان يخدم الدولة فى مكة ، ويسافر لهم إلى مصر . قتل فيما بين العقبة وينبع فى إحدى سفراته فى ربيع الآخر سنة ٨١٣ هـ . (العقد الثمين ٣٧/٣ برقم ١٥٤٣) .

١ من لقاء الحاج المصري ، لكثرة من فيه من الترك ، فإنهم كانوا نحو مائتي نفر — فيما قيل — وكانت خيله قليلة ، وما خرج إليهم إلا بجمع كثير جدا ، فهالهم ذلك فخلعوا عليه على العادة . ودخل مكة وخدم الحاج .

٥ وكان المحلي قد غلب على ظنه أن حسنا لايعيد إليه شيئا من ذلك ، فسعى في إحضار عَنان بن مُغَامِس بن رُمَيْثَة إلى مصر ، فحضر إليها من الإسكندرية — وكان معتقلا بها — ونوّه له المحلي بولاية مكة ، فاخترمت المنية عَنانًا قبل ذلك ، ووصل نعيه إلى مكة في آخر ربيع الآخر من سنة خمس وثمانمئة ، وكانت وفاته في أول الشهر الذي قبله .

١٠ وفي خامس جمادى الآخرة سنة خمس وثمانمئة وصل من مصر خلعة للسيد حسن مع نجابة ابن خليل — ولبسها يوم السبت سادس عشر الشهر المذكور بالمسجد الحرام . وفي آخر الشهر وصل خادم من جهة السلطان ، يقال له بُلبُل العِلائي ، مشد الحوش ، وخلع على السيد حسن خلعة — وكان مقيما بعرفة في هذا التاريخ وقبله بمدة — .

١٥

وفي هذه السنة أرضى المحلي بعشرة آلاف مثقال — التزم له بها ، ووعد بخلاصها في الموسم .

وفي هذه السنة أمر السيد حسن غلمانه بالاستيلاء على غلال أموال الأشراف آل أبي نمي .

وفي سنة ست وثمانمائة قصده جماعة منهم لاستعطافه ، وما
شعر بهم إلا عند منزله ، فعطف عليهم .

وفي سنة ست وثمانمائة استخدم بجدة الفقيه جابر بن عبد الله
الحراشي^(١) ، وفوض إليه الأمر في جميع ما يصل إليها من جهة الشام
واليمن ، فنهض بخدمته نهوضاً لم ينهض بمثله أحد من خدامه فيما
مضى ، وعمر الحراشي الموضع الذي يقال له الفرضة بجدة ،
ليحاكى به فرضة عدن ، وقرر لبنى حسن الرسوم التى يتناولونها
الآن ، وجعلها لهم فى ثلاث حُلَّاتٍ^(٢) ، وأبطل رسومهم
السابقة^(٣) ، وكانت تؤخذ من التاجر مع الجبا ، فلم يجعل لهم على
التجار سيلاً ، فأراح التجار من مطالبتهم .

وفي سنة ست وثمانمائة — فيما أظنه — بعث حسن رتبة إلى
حَلِي ، مقدمهم على بن كُبَيْش^(٤) ، فاستغفلهم بعض جماعة موسى
صاحب / حَلِي ، وفتكوا فى أصحاب حسن بالقتل وغيره . ١٥٠

(١) هو جابر بن عبد الله ، المعروف بالحراشي ، تردد على مكة مرات كثيرة ،
وخدم الشريف حسن بن عجلان ، وفوض إليه أمر جدة وغيرها . ولم يكن وفيّاً لخدمته ،
وآل به الأمر إلى أن شق فى ذى الحجة سنة ٨١٦ هـ على باب المعلاة . (العقد الثمين
٤٠٠/٣ برقم ٨٧٠) .

(٢) فى الأصل « جلاب » ، والمثبت بضبطه عن العقد الثمين ١٠٠/٤ ،
وإتحاف الورى ٤٣٦/٣ .

(٣) فى الأصل « السالفة » ، والمثبت عن المرجعين السابقين .

(٤) هو علي بن كُبَيْش بن عجلان الحسني ، نائب مكة . مات فى ذى الحجة
سنة ٨٣٨ هـ . (الضوء اللامع ٢٧٦/٥ برقم ٩٣٨) .

وفي سنة ست — أو في سنة سبع — وثمانمائة توجه الحراشي^١ إلى حلي ، وبنى فيها مكانا يتحصن فيه أصحاب حسن ومن انضم إليهم ، وحفر حوله خندقا .

وفي سنة ست وثمانمائة أتى الخبر إلى حسن بوفاة القاضي برهان الدين المحلي ، فاستراح من طلبه .

وفي آخرها توفي ابنه القاضي شهاب الدين أحمد بن المحلي بمكة في آخر ذى القعدة ، وبين وفاتيهما تسعة أشهر أو نحوها . فنال من تركته الولد أشياء طائلة ، ووجد في ديوان ابن المحلي : أن الذي صار للسيد حسن من زكائه ألف وأربعمائة زكية .

وفي سنة سبع وثمانمائة أتاه طالب ببال المحلي ، فماتل . ١٠

وفيها شفع إليه الملك الناصر أحمد بن إسماعيل^(١) صاحب اليمن في تركه التشويش على موسى صاحب حلي ، فما أبعده . وحثه على الموافقة أديب العصر القاضي شرف الدين إسماعيل بن المقرئ^(٢) اليمني ، بقصيدة مدحه فيها . أولها :

(١) هو الملك الناصر أحمد بن إسماعيل بن العباس بن علي بن داود بن يوسف ابن عمر بن رسول ، صاحب اليمن . ملكها بعد وفاة أبيه الأشرف إسماعيل في سنة ٨٠٣ هـ ، ومات في سنة ٨٢٧ هـ ودفن بتعز . (غاية الأمان ٥٥٨/٢ ، ٥٦٦) .

(٢) هو إسماعيل بن أبي بكر بن عبد الله المقرئ بن علي بن عطية الشغدري الشاوري ، شرف الدين أبو محمد . توفي سنة ٨٣٧ هـ . (الضوء اللامع ٢٩٢/٢ برقم ٩١٤ ، والبدر الطالع ١٤٢/١ ، وشذرات الذهب ٢٢٠/٧ ، والأعلام للزركلي ٢٦٢/٢) .

١ أحسنتَ في تدبيرِ مُلْكِكَ يا حَسَنُ
وأجدتَ في تحليلِ أَخْلَاطِ الفتنِ

ومنها :

موسى هزبرٌ لا يُطَاقُ نِزَالُهُ
في الحربِ لكنَ أَيْنَ مُوسَى مِنْ حَسَنٍ .
هَذَاكَ فِي يَمَنِ وَمَا سَلِمَتْ لَهُ
يَمَنٌ وَذَا فِي الشَّامِ لَمْ يَدْعِ الْيَمَنُ
قلت : ولنذكر بقيتها . فقال بعد البيت الأول .

ما كنتَ بالنزقِ العجولِ إلى الأذى
عند النزالِ (١) ولا الضعيفِ أخى الوَهْنِ
تُمْسِي ورَأْيُكَ عَنْ هَوَاكَ مُعَوَّقٌ
والغُرُّ مُلْقٍ فِي يَدِ الْأَهْوَا الرَّسَنِ (٢)
دَاءُ الرِّيَاسَةِ فِي مُتَابَعَةِ الْهَوَى
وَدَوَاؤُهَا فِي التَّفَعُّجِ بِالْوَجْهِ الْحَسَنِ
وإذا الفتى اسْتَقْصَى لِنُصْرَةِ نَفْسِهِ
قَلْبَ الصَّدِيقِ لِحَرْبِهِ ظَهَرَ الْمَجَنِّ
لَا تُصْنَعُ إِنْ شَرٌّ دَعَا فَالْشَّرُّ إِنْ
تَنَهَضَ لَهُ يَنْهَضُ وَإِنْ تَسَكَّنَ سَكَنَ

(١) كذا في الأصل ، وفي إتحاف الورى ٤٤٤/٣ ، وسمط النجوم العوالي ٢٦٢/٤ « عند النزاع » .

(٢) في الأصل « والغير ملقى في يد الأهوى الرسن » ، والمثبت عن إتحاف الورى ٤٤٥/٣ ، وسمط النجوم العوالي ٢٦٢/٤ .

- ١ وسَدِيدُ رَأْيٍ لَا يُحَرِّكُ فِتْنَةً
 سَكَنْتُ وَإِنْ حَرَكْنَاهُ الْفِتْنُ أَطْمَأَنَّ
 رَدُّ الْعَدُوِّ إِلَى الصَّدَاقَةِ حِكْمَةً
 صَفَّتْ مِنَ الْأَكْدَارِ عَيْشُ ذَوِي^(١) الْفِطَنِ
 . بالسيف والإحسانِ تُقْتَنَصُ الْعُلَى
 وَحُصُولُهَا بِنِهَا جَمِيعًا مُرْتَهَنُ
 لآخِرٍ فِي مَنَنْ وَلَا سَيْفَ لَهَا
 مَاضٍ وَلَا فِي السَّيْفِ [لَيْسَ]^(٢) لَهُ مُنَنْ
 فِي السَّيْفِ جَوْرٌ فَاجْتَنَبْ تَحْكِيمَهُ
 ١٠ مَا لَمْ يَضِعْ أَمْرُ الْمُهَيْمِنِ أَوْ يَهْنُ
 أَمَّا حُلِيٌّ فَإِنَّ خَوْفَكَ لَمْ يَدْعُ
 أَهْلًا بِهَا لِلزَّائِرِينَ وَلَا وَطَنُ
 أَجْلِيَتِهِمْ عَنْهَا وَجَسْمُكَ^(٣) وَادْعُ
 فِي مَكَّةَ لَمْ يُخَوِّجُوكَ إِلَى ظَعْنٍ /
 ١٥٠ ظ تركوا لك الأوطانَ غير مدافع
 وتعلقوا بذرى الشواخ والقنن
 حفظوا نفوسًا بالفرارِ أَظْلَهَا
 سيفٌ عَلَى الْأَرْوَاحِ لَيْسَ بِمُؤْتَمَنٍ

(١) في الأصل « أولى الفطن » ، والمثبت عن المرجعين السابقين .

(٢) بياض في الأصل بمقدار كلمة ، والمثبت عن المرجعين السابقين .

(٣) في الأصل « وجيشك » ، والمثبت عن المرجعين السابقين .

- ١ ولحفظها بالفرِّ أَكْبَرُ شاهد
 لك بالعلی فَلِمَ التأسفُ والحزنُ
 فاغمد سيوفك رغبةً لارْهَبَةً
 مافي قَتِيلٍ فرَّ مرعوبًا سِمَنُ
 ٥ وأكرم سيوفك عن دِمَا طُرْدَائِهَا
 فالحرُّ يُكْرِمُ سَيْفَهُ أَنْ يُمْتَهَنُ
 قد كَانَ لَا يَرْضَى يَخْطُ بِسَيْفِهِ (١)
 في ظهرٍ مَنْ وَلَّى أَبوكَ أَبُو الْحَسَنِ
 وقد اقتدرتَ وباقتدارِ ذَوِي النَّهْيِ
 ١٠ تَنْحَلُّ (٢) أَحْقَادُ الضَّغَائِنِ وَالْإِحْنِ
 مُوسَى هَزَبَ لَإِطَاقُ نِزَالِهِ
 في الحربِ لَكِنْ أَيْنَ مُوسَى مِنْ حَسَنِ
 هَذَاكَ فِي يَمَنِ وَمَاسِلِمَتِ لَهُ
 يَمَنٌ وَذَا فِي الشَّامِ لَمْ يَدْعِ الْيَمَنُ
 ١٥ فانظرْ إِلَى مُوسَى وَقَدْ وَلَعَتْ بِهِ
 لَمَّا سَخِطَتْ عَلَيْهِ أَحْدَاثُ الزَّمَنِ
 ذَاقَ الْمَرَارَ لِفَرْقِهِ (٣) أَوْطَانِهِ
 فَقِهِ مَرَارَةً فُرْقَةُ الرُّوحِ الْبَدَنِ

(١) كذا في الأصل ، وفي إتحاف الوری ٤٤٥/٣ « يجرد سيفه » .

(٢) كذا في الأصل . وفي إتحاف الوری ٤٤٦/٣ « تنسل » . وفي سمط النجوم

العوالي ٢٦٣/٤ « تنفل » .

(٣) كذا في الأصل . وفي المرجعين السابقين « لفوته » .

- لو شئت. وهو عليك سهل هين^١
 لجمعت بين الجفن منه والوسن
 بع منه مهنجه وخذ ما عنده
 عوضاً^(١) يكن منك المثنى والثمن
 هذى مساومة الفحول ومن يبع
 ما بع لم يعلق بصفتيه العبن
 جئنا بحسن الظن نسألك الرضى
 والعفو عنه فلا تحيب فيك ظن
 فالحر يكرم سائليه يرى لهم
 فضلاً إذا ابتدؤه بالظن الحسن^{١٠}
 ويهين سائله اللئيم لظنه
 في مثله خيراً وذلك لا يظن
 لأزلت بالشرف المخلد بانياً
 شرفاً ومجداً ثابتاً لبني حسن
 فلما وقف عليها الشريف حسن أعطاه على كل بيت ألف^{١٥}
 درهم ، وعلى بيت القصيدة أربعين ألف درهم ، وهو قوله :
 موسى هزبر لا يطاق نزأله
 في الحرب لكن أين موسى من حسن

(١) كذا في الأصل . وإتحاف السورى ٤٤٦/٣ . وفي سمط النجوم العوالي

وصالح الشريف حسن موسى على أن يؤدي إليه مالا معلوما^١ كل سنة . انتهى .

قال الفاسي^(١) : وفي أوائل سنة ثمان وثمانمائة ورد عليه كتاب الملك الناصر^(٢) صاحب مصر يخبره فيه بهزيمته لأعدائه بالسعيدية^(٣) ، ورجوعه إلى كُرسي مملكته بقلعة الجبل بمصر ، والذي وصل إليه بذلك بعض جماعة الأمير إينال باي المعروف بابن قجماس^(٤) — وكان إليه تدبير المملكة بمصر — راجيا للبر من السيد حسن ، فما حَيَّب أمله ، وأمر بقراءة ختمة ، وباللدعاء عقيها ١٥١ و للملك الناصر ، وكتب بذلك / محضرا أنفذ مع حامل كتابه .

وفي ثاني ربيع الآخر وصل إليه من صاحب مصر خلعة مع ١٠ خلعة القاضي جمال الدين بن ظهيرة^(٥) بولاية قضاء مكة ، فلبس

(١) العقد الثمين ١٠٢/٤ .

(٢) أي الناصر فرج بن برقوق .

(٣) السعيدية : قرية أنشأها الملك الظاهر بيبرس بين بلبس والخطارة بأرض مصر ، تيمناً باسم ولده السعيد محمد بركة خان ، وصارت مركزاً من مراكز البريد ، وقد اندثرت هذه القرية ، ومكانها حالياً عزبة الشيخ مطر حنفي ، وتقع على فم ترعة السعيدية بمركز الرقازيق ، محافظة الشرقية . (هامش النجوم الزاهرة ٢٥٢/٨) . وانظر في وقعة السعيدية : النجوم الزاهرة ٣١٨/١٢ — ٣٢١ .

(٤) في الأصل « قشماش » ، والمثبت عن السلوك للمقريزي ١/٤ : ٧ ، ٨ ،

٩ . والنجوم الزاهرة ١٦٩/١٣ ، والدليل الشافي ١٧٧/١ برقم ٦٢٧ ، والضوء اللامع ٢٢٦/٢ برقم ١٠٦٥ .

(٥) هو محمد بن عبد الله بن ظهيرة بن أحمد بن عطية بن ظهيرة القرشي

المكي . توفي سنة ٨١٧ هـ . (العقد الثمين ٥٣/٢ برقم ٢١٣) .

كل منهما خلعتة .

وفي آخر هذه السنة ذهب إلى الشرق ، ثم إلى ليّة ، وحارب بعض أهلها واستولى على بعض حصون من حاربه .

وفي هذه السنة أمر بهدم بيتي حسب الله بن سليمان بن راشد^(١) ، والخان المعروف به وغيره ، لأن شخصا يُقال له سلمان^(٢) شكّا إليه من ابن راشد [وبعد أيام قتل سلمان غيلة ، فأتهم بقتله بعض أصحاب ابن راشد ، وما استطاع ابن راشد^(٣) أن يتظاهر بمكة ، حتى أذن له في ذلك السيد حسن بعد سنتين ، مع كونه صهرا لبعض أعيان القواد العمرة .

وفي سنة تسع وثمانمائة تغير السيد حسن على الحراشي ؛ لخبث لسانه ، وامتنانه عليه بالخدمة . وقبض عليه في رمضان وبعثه إلى مكة ، وسجنه بها إلى الموسم . ثم أطلقه بشفاعته الإمام صاحب صنعاء باليمن . وكان قد استقصى أمواله ، فمنّ عليه بشيء منها عند إطلاقه .

وفي سنة تسع وثمانمائة سأله التجار الذين بمراكب الكارم أن ينجلوا بجدة لخراب مراكبهم . فأجاب سؤلهم ، ووافقوه على تسليم ما شرطه عليهم . وقيل إن الذي حصل له من التجار ، ومن الحراشي

(١) أورد النجم بن فهد وفاته في إتخاف الوري ٦٤٩/٣ في سنة ٨٣٠ هـ ، وانظر الضوء اللامع ٩٠/٣ برقم ٣٦٣ .

(٢) هو المقرئ المؤدب سلمان بن حامد بن غازي بن يحيى بن منصور العامري الغزي . (إتخاف الوري ٤٤٩/٣) .

(٣) سقط في الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ١٠٢/٤ ، والمرجع السابق .

نحو أربعين ألف مثقال .

وفي سنة تسع وثمانمائة أيضا سعى لابنه السيد بركات في أن يكون شريكه في إمرة مكة ، فأجيب سؤاله ، ووصل لابنه تقليد مؤرخ بشعبان سنة تسع وثمانمائة ، وأكبر ظني أنه في النصف [الثاني] ^(١) من شعبان سنة عشر وثمانمائة [وفيها] ^(٢) ذهب إلى الشرق في زمن الصيف ثم عاد إلى مكة .

وفي هذه السنة قدم المدينة زائرا من الشرق في جمع كثير ، فخاف منه أهل المدينة ، وتزوج ببعض أقارب أميرها جمّاز بن هبة .

وفيها أيضا حمل إلى القاضي الشافعي بمكة جمال الدين بن ظهيرة ثلاثين ألف درهم عوضا عن مال كان أخذه ليتم تحت حجر الحكم العزيز بمكة ، واستحسن الناس [منه] ^(١) تخلص ذمته .

وفيها وقف دارين بمكة صارتا إليه بالشراء من ورثة العماد عيسى بن الهليس ^(٣) — يعني بالسويقة على رباطه .

(١) إضافة عن العقد الثمين ١٠٣/٤ .

(٢) إضافة على الأصل .

(٣) هو عيسى بن عبد الله بن خطاب القرشي المخزومي البجلي ، نزيل مكة . كان من أعيان التجار باليمن ، وقدم إلى مكة ، وأقام بها نحو خمسة عشر عاماً متواليّة . مات في رجب سنة ٨٠٢ هـ . (العقد الثمين ٤٥٩/٦ برقم ٣١٨٥) .

وفيها تشوش لانقطاع أخبار مصر عنه ، فبعث القاضي أبا البركات بن أبي السعود بن ظهيرة^(١) يتعرف له الخبر ، ويسد ما لعله يجد من خلل ، ووكله فيما له من الرسم بمصر ، وأمره أنه لا يظهر وكالته عنه إن كان وكيله القاضي نور الدين بن الجلال الطنبذي غير متوار . فخالف ما أمره به من أمر الوكالة ، وما وجد عليه خللا ؛ لأن صاحب مصر كان بعث إليه تشریفاً وكتاباً يتضمن دوام ولايته مع أمير من جهته ، ووصل ذلك إليه في رمضان من هذه السنة قبل وصول قاصده المذكور إلى مصر .

وفي رمضان من هذه السنة وصل إليه الشريفان ويبر ومقبيل ابنا محبار ، أميرا ينبع موالين له ، فأقبل عليهما — وكان بينه وبينهما وحشة فزالت — وحلفا له ، وحلف لهما على التناصر ، وأحسن إليهما بمال جيد .

وفي رمضان من هذه / السنة وقف عدة وجاب بالهنية ١٥١ظ والعقيق والفتيح والريان ، بعضها على رباطه ، وبعضها على رباط ربيع ، وبعضها على رباط مؤفق ، وبعضها على رباط العز ، ورباط ١٥ العباس ، وبعضها على الأشراف من أقاربه .

وفيها وصل إليه هدية طائلة من صاحب بنجالة السلطان

(١) هو محمد بن محمد بن حسين بن علي بن أحمد بن عطية بن ظهيرة ، توفي

سنة ٨٢٠ هـ . (العقد الثمين ٢٨٧/٢ برقم ٣٩٥) .

١ غياث الدين أعظم شاه^(١) ، ووزيره خان جهان ، على يد الناخوذة^(٢) محمود ، ووصلت معه صدقة من السلطان المذكور لأهل الحرمين ، وخلع لقضاة الحرم وأئمة وغيرهم من أهله .

وفيهما وصل إليه هدية من صاحب كِنْبَايَة^(٣) ، وكتاب يخبره فيه : بأنه أُنْهِيَ إلينا أن الناس في يوم الجمعة لا يجدون ما يستظلون به . عند سماع الخطبة بالمسجد الحرام ، وأن بعض الناس — وسمي جماعة منهم الشيخ موسى : يعنى المناوي — استحسنوا أن يكون هناك ما يستظل به الناس . وإنا أرسلنا بخيام يستظل فيها الناس . فأمر بنصب الخيام ، فنُصِبَت حول المطاف مدّة قليلة ، ثم صارت إليه . وكان في نصبها ضرر لما يحصل للناس من العثار في حبالها . ١٠ وكان نصبها بعد سفر الحاج المصري من مكة .

وفي هذه السنة أيضاً مكّن المصريين من القبض على أمير الحاج الشامي^(٤) بسؤالهم له في ذلك . وصورة ما فعل : أنه أتى إلى

(١) هو السلطان غياث الدين أبو المظفر أعظم شاه بن إسكندر شاه ، صاحب بنجاله من بلاد الهند . توفي سنة ٨١٤ هـ . (العقد الثمين ٣/٣٢٠ برقم ٧٩٤) .

(٢) الناخوذة : لفظ فارسي معناه ريان السفينة . (هامش السلوك للمقريزي

٢/٤ : ٦٨١) .

(٣) كِنْبَايَة : ولاية من ولايات الهند قائمة بذاتها ، وعاصمتها تسمى بها . وهي ذات أبنية عظيمة ، كان يرد منها القماش والتبيل واللك والكابلي . (حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور لابن تغري بردي ص ٢٨٦) .

(٤) وكان يسمى قرقماش . (إتحاف الوري ٣/٤٥٩ ، ودرر الفرائد

- أُمير [الحاج] ^(١) الشامي في جماعة من أصحابه ، وهو عند مقام الخليل لصلاة الطواف في نفر قليل جدا ، فقال له : تذهب تسلم على أُمير الحاج المصري ^(٢) . فقال له : في غير هذا الوقت . فما مكنه حسن من ذلك ، ومضى به إلى أُمير الحاج المصري فقُيّد .
- وفي سنة إحدى عشرة وثمانمائة — في الحرم — ندب القائد سعد الدين جبروة إلى مصر بهدية طائلة ، ليسعى له في أن يكون ولده السيد أحمد شريكا لأخيه بركات في إمرة مكة ، فأجيب إلى ذلك .

وولي حسن نيابة السلطنة بالأقطار الحجازية ، وذلك في العشر الوسط من ربيع الأول سنة إحدى عشرة ، ووصل إليه رسول بغتة في النصف الثاني من ربيع الثاني من السنة المذكورة ، ووصل معه خلعة للمذكور ، وخلعتان لولديه ، وكتاب من السلطان يشهد بولايتهم لما ذكر .

وفي آخر ربيع الآخر منها وُلّي إمرة المدينة لعجلان بن نُعَيْر ابن جَمَّاز بن منصور عوض أخيه ثابت بن نُعَيْر ، وكان قد عاد لإمارة المدينة ، وعزل عنها جَمَّاز ، وما وصلت ولايته إلا بعد موته .

وبعث حسن إلى جَمَّاز يعلمه بعزله ، وينهاه عن التعرّض لما في حاصل الحرم ، فكان ذلك سبب إغرائه ؛ لأنه نهب ما في

(١) إضافة على الأصل .

(٢) وهو بيسق بن عبد الله الشيعي الظاهري . وانظر المرجعين السابقين .

١ حاصل الحرم ، وخرج من المدينة قبل أن يصل إليها عجلان ، وكان حسن أمره بالمضى إليها ، فمضى على طريق الشرق ليضم إليه جماعته ويسير بهم إلى المدينة . وبعث حسن ابنه أحمد في جماعة من بنى حسن إلى المدينة على طريق الجادة ، فوصلوها بعد خروج جمّاز منها .

١٥٢ و لما دخل عجلان إلى المدينة صار الخطيبُ بها يدعو للسيد / حسن على المنبر في الخطبة قبل عجلان ، وبعد السلطان . واستمرّ له الدعاء في الخطبة ، وبعد المغرب على سُدّة المؤذنين إلى أن زالت ولاية عجلان في وقت وصول الحاج الشامي للمدينة ، في النصف الثاني من ذى القعدة سنة اثنتي عشرة وثمانمائة^(١) .

١٠ وفي سنة إحدى عشرة وثمانمائة نزل السيد حسن بعرفة مدة ثم مضى إلى جهة اليمن [حتى]^(٢) بلغ مكانا يقال له البُدَيْح^(٣) . وفي آخر هذه السنة أخذ من العفيف عبدالله بن أحمد الهبي خمسة آلاف مثقال — على ما قيل — عوضا عن يَتِّ شَعْرٍ بعثه لصاحب اليمن ، لما طلب ذلك منه صاحب اليمن ، وما كان عَوَّضه ١٥ عن ذلك .

(١) وانظر الخبر بأوضح مما هنا في إتحاف الوري ٤٦٣/٣ — ٤٦٥ .

(٢) إضافة عن العقد الثمين ١٠٦/٤ .

(٣) البديح . لم نقف على تعريف بهذا المكان ، ولعله البديع : إحدى قرى جازان

في منتصف الطريق بينها وبين أبي عريش . (بين مكة واليمن ٢٧٠ ، ٢٧٣) .

- [وفي سنة إحدى عشرة عمّر دورا عدة في المكان المعروف ١
بدار عيسى ، وكان المتولى لأمر عمارتها الحراشي ، وكانت قبل عمارتها
براحا مُتَسِعًا مملوءا بالأوساخ ، حتى صار كالمزبلة] ^(١) .
- وفي سنة اثنتى عشرة وثمانمائة وصل الخبر إلى مكة بأن
صاحب اليمن أمر بحبس الجلاب عن مكة غضبًا على حسن ،
بسبب ما أخذه من سفيره العفيف عبدالله الهبّي ، فشق ذلك على
السيد حسن ، فأغراه الحراشي بغزو اليمن ، وقال له : أنا أقوم
بجهازك ، وأجمع لك الرجال من اليمن ، فتحرك لذلك ، ثم أشير
عليه بالملاطفة فمال إليها ، وبعث الشبيكي إلى اليمن رسولا يعتذر ،
ويلتزم عنه بما يُطَيَّبُ خاطر ، وهدية للتّرك ، فقبل ذلك السلطان ، ١٠
وأذن للناس في السفر ، فقدموا ولكن دون العادة .

وفي هذه السنة وصل إليه خلعة من صاحب مصر ، فلبسها
في شعبان .

- وفيها تغيّر صاحب مصر على السيّد حسن ، فرسم بالقبض
عليه وعلى ابنه ، وعزلهم والاحتفاظ بهم ^(٢) ، وأسّر ذلك إلى أمير ١٥
الحاج المصري الأمير بيّسَق ، فاستعد لحرب المذكور ، وحصل مدافع
وسلاحا كثيرا ، ثم سعى عند السلطان في تقرير المذكورين في

(١) سقط في الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ١٠٦/٤ ، وإتحاف الوري
٤٦٥/٣ .

(٢) في الأصل « عليهم » ، والمثبت عن العقد الثمين ١٠٧/٤ ، وإتحاف الوري
٤٧٠/٣ .

- وَلَا يَأْتِيهِمْ عَلَى أَنْ يَخْدُمَهُ السَّيِّدُ حَسَنٌ بِمَا يَلِيْقُ بِمَقَامِهِ ، فَأَجَابَ إِلَى ذَلِكَ ، وَبَعَثَ إِلَيْهِم بِالْعَهْدِ وَالْخَلْعِ مَعَ خَادِمِهِ الْخَاصِ فَيُوزِ السَّاقِي ، وَكَتَبَ إِلَى أَمِيرِ الْحَاجِ الْمَذْكُورِ بِالْكَفِّ عَنْ مُحَارِبَتِهِمْ ، وَكَانَ قَدْ أَعْلَنَ بَيْنَهُ أَنْهُ يُرِيدُ حَرْبَ حَسَنٍ ، وَكَانَ حَسَنٌ قَدْ اسْتَعَدَّ لِحَرْبِهِ لَمَّا بَلَغَهُ الْخَبَرُ فِي عَشْرِ ذِي الْقَعْدَةِ ، وَمَا انْقَضَى شَهْرُ الْقَعْدَةِ إِلَّا وَعِنْدَهُ — ٥ — فِيمَا بَلَغْنِي — نَحْوُ سِتْمِائَةِ فَرَسٍ ، وَأَرْبَعَةِ آلَافٍ مِنَ الْأَعْرَابِ غَيْرِ بَنِي حَسَنٍ وَالْمَوْلَدِينَ وَالْعَبِيدَ .

- وَبَيْنَمَا النَّاسُ فِي كَرْبٍ لِهَذَا الْحَالِ ، أَتَاهُمْ مِنَ اللَّطِيفِ [مَا] ^(١) لَمْ يَخْطُرْ لَهُمْ بَيَالٌ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ وَصَلَ مَنْ أَخْبَرَ بِوُصُولِ فَيُوزِ ، وَمَا مَعَهُ مِنَ الْعَهْدِ وَالْخَلْعِ لِلْمَذْكُورِينَ . وَمَا كَانَ غَيْرَ قَلِيلٍ ١٠ حَتَّى وَصَلَ فَيُوزِ ، فَأَلْبَسَ الْمَذْكُورِينَ الْخَلْعَ السُّلْطَانِيَّةَ وَقَرَأَ عَهْدَهُم بِالْوِلَايَةِ ، وَسَعَى عِنْدَ السَّيِّدِ حَسَنٍ لِأَمِيرِ الْحَاجِ فِي دُخُولِ مَكَّةَ وَالْإِغْضَاءِ عَنْهُ ، فَأَجَابَ سُؤْلَهُ عَلَى أَنْ يَسَلِّمَ أَمِيرُ الْحَاجِ مَا مَعَهُ مِنَ السَّلَاحِ ، فَأَجَابَ إِلَى ذَلِكَ أَمِيرُ الْحَاجِ عَلَى أَنْ يَعَادَ إِلَيْهِ سِلَاحَهُ عِنْدَ سَفَرِهِ ، فَأَمَضَى لَهُ شُرُوطَهُ . وَدَخَلَ مَكَّةَ ، وَاجْتَمَعَ ١٥ بِالسَّيِّدِ حَسَنٍ بِمَنْزِلِهِ بِأَجْيَادٍ ، فَأَحْسَنَ مَلَاقَاتِهِ ، وَلَمْ يَجْتَمِعَا بَعْدَ ذَلِكَ ، وَسَلِّمَ إِلَيْهِ سِلَاحَهُ عِنْدَ سَفَرِهِ مِنْ مَنَى .

١٥٢ ظ وما حجَّ السَّيِّدُ حَسَنٌ وَلَا غَالِبَ عَسْكَرِهِ / فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، وَحَجَّ قَلِيلٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ خَائِفِينَ ، وَذَهَبَ لِلنَّاسِ أَمْوَالٌ كَثِيرَةٌ ،

(١) سَقَطَ فِي الْأَصْلِ ، وَالمُتَّبِعُ عَنِ الْعَقْدِ الثَّمِينِ ١٠٧/٤ .

وَجُرِّحُوا ، وَلَوْلَا كَفَّ السَّيِّدِ حَسَنُ أَصْحَابِهِ عَنْ إِذَايَةِ الْحَجَّاجِ لَكُنَّا عَلَيْهِمُ الْعَوِيلَ وَالضَّجِيجَ . وَتَأَخَّرَ فَيُوزُ عَنْ الْحَجَّاجِ بِمَكَّةَ ، لِقَبْضِ مَا التَّزَمَ بِهِ السَّيِّدُ حَسَنُ مِنَ الْخِدْمَةِ ، وَذَلِكَ أَلْفَ زَكِيَّةٍ لِلسُّلْطَانِ غَيْرَ مَا لَفَيُوزُ . وَمَضَى بَعْدَ أَيَّامٍ إِلَى جُدَّةَ فَشَحَنْتِ الزَّكَاةُ بِحَضُورِهِ ، وَوَصَلَتْ سَالِمَةً إِلَى الطُّورِ ثُمَّ إِلَى مِصْرَ . وَيُقَالُ إِنَّهَا بَيَّعَتْ فِيهَا بِخَمْسِينَ أَلْفَ مِثْقَالٍ .

وَفِي سَنَةِ ثَلَاثِ عَشْرَةٍ وَثَمَانِمِائَةٍ : وَدَّى السَّيِّدُ حَسَنُ الْإِمَامَ أَبَا الْخَيْرِ ابْنَ الشَّيْخِ أَبِي الْيَمَنِ الطُّبْرِيَّ^(١) مِنْ عِنْدِهِ ، وَسَلَّمُ الدِّيَةِ دَرَاهِمَ إِلَى وَرَثَتِهِ وَإِخْوَتِهِ ؛ لِأَنَّهُ بَعْضُ مَمَالِيكِهِ — فِيمَا قِيلَ — طَعَنَ أَبَا الْخَيْرِ لَيْلًا ، وَهُوَ لَا يَشْعُرُ بِهِ ، لَظَنَهُ حَرَامِيًّا ، فَمَاتَ لَوَقْتِهِ . وَكَانَ قَتْلُهُ فِي ١٠ صَفَرٍ ، وَتَسْلِيمُ دِيَّتِهِ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ فِي سَنَةِ ثَلَاثِ عَشْرَةٍ .

وَفِيهَا — فِي رَبِيعِ الْآخِرِ — وَصَلَ إِلَيْهِ تَشْرِيفٌ مِنْ صَاحِبِ مِصْرَ ، فَلَبِسَهُ فِي الْعِشْرِينَ مِنَ الشَّهْرِ الْمَذْكُورِ . وَكَانَ جَهَّزَ إِلَيْهِ مَعَ نَجَابَةِ أَحْمَدَ بْنِ خَلِيلٍ ، فَقَتَلَ فِي الطَّرِيقِ^(٢) ، وَوَصَلَ إِلَيْهِ ذَلِكَ مَعَ بَعْضِ رَفَقَتِهِ .

١٥

وَفِيهَا وَصَلَ لَهُ مِنْ صَاحِبِ بَنْجَالَةَ السُّلْطَانِ غِيَاثِ الدِّينِ

(١) هُوَ الشَّيْخُ أَبُو الْخَيْرِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْيَمَنِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الرُّضِيِّ الطُّبْرِي .

(الضَّوءُ اللَّامِعُ ٢/٩ بِرَقْمِ ٦) .

(٢) أَضَافَ إِتْحَافُ الْوَرَى ٤٨٠/٣ « فِيمَا بَيْنَ الْعُقْبَةِ وَيَنْبَعُ فِي لَيْلَةِ سَابِعِ رَبِيعِ

الْآخِرِ » .

- هَدِيَّة طائِلَة ، ومن وزيره خان جهان ، ووصل إليه كتاب السلطان بأن يُعَيِّنَ رَسولَه يَاقوتًا الغياثيَّ فيما ندبه له من عمارة مدرسة بمكة . وشراء وقف لها . فَباعَ منه دارين متلاصقين مجاورتين للمسجد الحرام ، وصارتا مدرسة للسلطان غياث الدين بعد هدمهما وإنشاء عمارتهما . وباع منه أيضاً أُصيلتين^(١) بالركاني ، وأربع وجاب^(٢) من عين الركاني ، ليكون ذلك وقفا على المدرسة ، وما رضى في ذلك إلا باثني عشر ألف مثقال . فسَلَّم إلى شاشات عوضاً عن ذلك ؛ لأنه لم يعذره . وأخذ منه أيضاً شيئاً كان معه لعمارة عين عرفة على أن يتولَّى هو ذلك . وكان السلطان المذكور قد ندب حاجي إقبال مولى جهان خان بصدقة لأهل المدينة ، وهدية لأمرها جماز ، فإنه لم يكن سمع بعزله ولاموته . وكان موته يَأثرُ نهبه للمدينة مقتولاً ، وأمر بعمارة مدرسة له بالمدينة ، وشراء وقف لها بالمدينة ، فاتفق أن المركب الذي فيه ما بعث به السلطان لأجل ذلك انصلح في بعض مراسي الشُّقَّان^(٣) ، فأخذ السيد حسن رُبْعَه مع ما كان لجمَّاز . ويقال إن الذي أخذه من إقبال وياقوت يساوى ١٥

(١) الأُصيلة : الحديقة أو البستان . وانظر شفاء الغرام ١/ ٣٢٩ .

(٢) الوجاب : جمع وجبة وهي نصيب مقرر في ماء العين يقدر باثنتي عشرة

ساعة .

(٣) الشقَّان : جمع شق للدلالة على كثرة الشقوق ، وهي كثيرة بين جدة

والليث ، لها ذكر في القرن الرابع الهجري . وفي أحسن التقاسيم للمقدسي ص ٧٨

وشقَّان : ميقات أهل اليمن في البحر ، وهو موضع يقابل يلملم . (من إملاء الأستاذ

حسن إبراهيم الفقي) .

- ١ ثلاثين ألف مثقال . وكان مع ياقوت صدقة لأهل مكة ، ففرقها عليهم ، وانتفع بها الناس ، وكان معه خلع لقضاة الحرم وأئمنته ، وشيخ الحجة وزمزم ، فأوصلها إليهم .

وفي آخر هذه السنة — بعد الحج — قبضَ السيد حسن ما

- ٥ كان للقاضي وجيه الدين عبدالرحمن بن جميع مع سفرائه من الأموال ، واستقصى في ذلك . ويقال إن بعض غلمانهم من المولدين همُّوا فيه بسوء ، لكونه لم يسمح لهم ولا لغيرهم بشيء من ذلك ، فما تمكنوا منه لَتَيْقُظِهِ لهم ، فإن خبرهم بلغه من بعض من كان حالفهم عليه من القواد ، وأحسن لمن أعلمه بذلك / ولغيره من ١٥٣ والقواد ، وأعرض عن المولدين ونفر منهم ، فبانوا عنه ولايموا القواد مدة ١٠ أشهر . وما كل المولدين بان عنه ، وإنما بان منهم المسيء في حقه .

- وبعث إلى صاحب اليمن يخبره بما أخذ ، ويذكر له أن سببه ما وقع من ابن جميع من استيلائه على ما كان بيد سفير شكر مولاه من المال لشكر . وكان ابن جميع قد تعرّض لسفير شكر لما بلغه ما أخذ بمكة من خاله العفيف عبدالله الهبي ، وبعث مع كتابه بكتاب ١٥ وصل إليه من مصر من صاحبها الناصر ، يتضمن ذمَّ ابن جميع ، وأمر صاحب اليمن بالقبض عليه ، وتخليص حقوق الناس منه ، وإرساله إلى مصر معتقلا ، فشقَّ ذلك على صاحب اليمن وأعرض عن الكتابة إلى صاحب مكة . ثم تلطّف به فكتب له كتابا . أوله ٢٠ بعد البسملة والصلاة على النبي — صلى الله عليه وسلم :

- ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾^(١) نحن لانقول
إلا بما نفعل حسنا ، ولا نرى الأرض وأهلها إلا ودائع معنا ، ولا نريد
المال إلا للصنائع وحسن الثناء ، ولا ندين إلا بالوفاء لمن عاقدنا ،
وبالجفاء لمن خادعنا ، وشر الكلام كلام ينقض يومه غده ، وشر
المواعيد موعد من لا يُصَدِّق لسانه يده . وقفنا على كتاب المجلس
السامي — وذكر له ألقابا — ثم قال : فوجدنا فيه ألفاظاً تدعى
بالمودة ، وهى مستوحشة من دعواها مُسْتَحْيِيَّة^(٢) ممن سمعها أو
رآها ، وما بالمجلس حاجة إلى أن يقول بلسانه ما ليس فى قلبه ،
ويضمّر أمرا ويودع غيره فى كتبه .

- فَارْبًا بِنَفْسِكَ أَنْ تُرَى إِلَّا عَدُوًّا أَوْ صَدِيقًا
أما الشكوى من عبد الرحمن فقد عرفت ممن كان الابتدا ،
ومن كافاك فما اعتدى . ومع ذلك فقد حصلت عقود وحساب ،
وحصل منا تفضل واحتساب ، وأمرناه فعوض وانسد الباب . وأما
المال فمالعبد الرحمن مال فيستلف ، ولاحال فيستخف ، وأما دفعه
فى العام الماضى عن التاجر الذى أودى ببلده وهو حاضر فما كنا
نستغرب منه حفظ الجار ، ولا نظنه يستغربه ، وإننا لنعجب ممن
يَمُنُّ بحفظ جاره ، والمصون منصبه^(٣) . وأمر التماذي فى الذى هو

(١) سورة الصف : آية ٢ .

(٢) كذا فى الأصل ، والعقد الثمين ١١٠/٤ . وفى إتخاف الورى ٤٨٩/٣

« مستهجنة » .

(٣) كذا فى الأصل ، والعقد الثمين ١١٠/٤ . وفى إتخاف الورى ٤٩٠/٣

« وإننا لنعجب ممن لم يحفظ جاره ولا يصون منصبه » .

١ بيننا بِكَفِّكَ . فاستأخر به أو تقدم . انتهى .

ربما بعض ألفاظ هذا الكتاب أُملِيتْ هنا بالمعنى ، ولم يفت منه إلا ألفاظ يسيرة في ألقاب المكتوب إليه .

ووصل إليه هذا الكتاب مع القاضى شرف الدين إسماعيل بن المقرئ وهو في جهة اليمن في آخر رمضان ، أو في شوال من سنة ٥ أربع عشرة وثمانمائة .

ووصل إليه — قبيل هذا التاريخ من هذه السنة ، وهو بهذه الجهة — كتاب من الملك الناصر صاحب مصر وخلعة ، وعرفه الرسول بذلك : أن السلطان يعتب عليه تقصيره في الخدمة ، وكان هذا الرسول قد تعوَّق كثيرا في الطريق ، وتشوَّف حسن لمعرفة ١٠ الأخبار ، فأمر قبل وصول هذا الرسول إليه مولاه مفتاحا الزفتاوى بالسفر إلى مصر ، يتعرف له الأخبار / ، وما قُدِّرَ أنه سافر من مكة ١٥٣ ظ إلا بعد وصول الرسول المذكور إليها . فلما وصل مصر ، وجد الأطماع كثيرة في مولاه ، فحضر عند السلطان وبلغ رسالته ، واعتذر عن مولاه في تأخير الجواب ، وذكر أنه يقوم بواجب الخدمة . ١٥ وعاد إلى مكة مع الحاج .

وشاع أن السلطان أعد نجبا كثيرة ومزادات ، فظنَّ حسن أنه يريد الحج فما حَجَّ ، وظهر أن تجهيزه إلى الشام .

ولما انقضى الحج من سنة أربع عشرة وثمانمائة ندب السيد حسن سعد الدين جبروه إلى مصر بهدية لصاحبها الناصر ، في ٢٠

- ١ مقابلة ما التزم له به ، فوجده قد توجّه للشام .
 وفي سنة أربع عشرة وثمانمائة تصدّق السيد حسن بصدقة
 جيدة — قيل إنها عشرة آلاف درهم — والصدقة من عاداته .
 والذي حركه عليها في هذا الوقت أنه مرض مرضا شديدا خيف عليه
 منه ، فرأى — فيما قيل — النبيّ صلى الله عليه وسلم في النوم ،
 ومسح بيده الشريفة عليه ، وأمره بالصدقة ، فشفي بإثر ذلك ،
 وفعل ما ذكرناه من الصدقة .

- وفي العشرين من جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وثمانمائة :
 وصل للسيد حسن وابنيه خلّع ، وكتابٌ للسيد حسن من الخليفة
 المستعين بالله أمير المؤمنين أبي الفضل العباس بعد عودته إلى مصر
 من الشام ، وقيامه في مقام السلطنة^(١) عوض الناصر فرج ، لقتله
 في صفر من هذه السنة . وكان وصول الكتاب والخلع على يد سعد
 الدين جبروه .

- وكتاب أمير المؤمنين يتضمن : إعلامه بقتل الناصر فرج
 بسيف الشرع . وأنه فوّضَ تدبيرَ الأمور بالممالك للأمر شيخ ،
 ولقّبَه بنظام الملك . وأنهم على ولاياتهم . وقرئ الكتاب بالمسجد
 الحرام . وألبس المذكورين الخلع ، وذلك في يوم [الأربعاء]^(٢)
 العشرين من جمادى الآخرة ، ودعي في هذا المجلس للخليفة ولالأمر

(١) وانظر سلطنة الخليفة المستعين بالله على مصر عوض الناصر فرج بن برقوق

في النجوم الزاهرة ١٨٩/١٣ — ٢٠٨ .

(٢) إضافة عن العقد الثمين ١١٢/٤ .

١ شيخ ، ودعي للخليفة على زمزم بعد المغرب وفي الخطبة — وكان الدعاء للخليفة بمكة مقطوعا من دهر طويل جدا — وبعد ذلك بقليل وصل كتاب الخليفة إلى السيد حسن يخبره فيه بالقبض على عليّ بن مُبارك . وذلك في شعبان : أعنى وصول كتابه .

٥ وفي شوال من السنة المذكورة ، وهى سنة خمس عشرة : وصل خلع للمذكورين من السلطان الملك المؤيد أبى النصر شيخ^(١) ، بعدما بويع بالسلطنة بالديار المصرية فى مستهل شعبان من السنة المذكورة ، ووصل منه كتاب يخبر فيه بذلك ، وباستقرار المذكورين فى ولايتهم .

١٠ وفى سنة خمس عشرة أيضا : نفر الأشراف أولاد محمد بن عجلان من عمهم السيد حسن ، لأن أحمد بن محمد ضرب مسعوداً الصبحى نائب عمه بجدة ، لكثرة مطله له فى بقية حوالة عليه . فغضب لذلك عمه ، وأمر بإخراجه من البلد — والأمر أهون من ذلك — فغضب لأحمد أخوه رميثة ، وأظهر التجهز للخروج ، فما ترَضَّاهُ عمه ، فمضى على جهازه حتى كمل ، وخرج وإخوته — غير ١٥

(١) هو السلطان الملك المؤيد أبو النصر سيف الدين شيخ بن عبد الله المحمودي الظاهري ، رابع السلاطين السلاجقة ، والثامن والعشرون من ملوك الترك بالديار المصرية ، تولى السلطنة بعد عزل الخليفة المستعين بالله أبى الفضل العباس من السلطنة فى يوم الاثنين مستهل شعبان سنة ٨١٥ هـ ، وتوفي فى الحرم من سنة ٨٢٤ هـ . (النجوم الزاهرة ١/١٤ — ١٠٩ ، والسيف المهند فى سيرة الملك المؤيد — مقدمة التحقيق) .

- ١٥٤ واحد منهم — صوب القواد العمرة ، فمكثوا عندهم / أياما .
وتكلموا مع عمهم في تطيب خواطرمهم فأعرض ، فمضوا إلى ينبع ،
ثم إلى مصر ، فما وجدوا بها كبير وجه . وحسن لهم القاضي نور
الدين بن الجلال الرجوع إلى عمهم فإنه يرضيهم . فمالوا إلى
ذلك ، وتوجهوا مع الحاج حتى بلغوا ينبع . ولما سمع عمهم بوصولهم
منع من دخولهم مكة ، فأقاموا بينبع إلى أثناء السنة الآتية .

- وفي سنة خمس عشرة : أجاب السيد حسن إلى أن يُعوّض
صاحب اليمن عما أخذه لأبن جميع بثلاثين ألف مثقال ، تؤدي إليه
في كل سنة عشرة آلاف ، لأن ابن جميع أظهر أن الذى أخذه له
حسن بمكة لايساوى إلا هذا المقدار ، لئلا يكثر فيه طمع مخدومه ،
وقال سرا : إن ذلك يساوى ثمانين ألف مثقال . حكى ذلك عنه
الجمال المصري بنخل زبيد . وكان ممن سعى في ذلك عند السيد
حسن مولاه القائد زين الدين شكر ، لأنه كان قدم إلى اليمن في أثناء
هذه السنة — بعد أن وصلته ذمة من صاحب اليمن — فلما اجتمع
بصاحب اليمن سألته في إطلاق الجلاب إلى مكة ، فقال : لا يكون
إلا بعد تسليم المال . فوافقه على القدر المذكور . فرضي به
السلطان . وعاد شكر إلى مكة فبلغها في العشر الأخير من
رمضان ، فعرف مولاه الخبر ، فما أمكنه إلا الموافقة . وسافر من
مكة في أوائل شوال ، بعد أن حصل عروضاً من القماش والحريز
يساوى ذلك . فلما بلغ كمران^(١) أقبلت الجلاب إلى مكة ، لأن

(١) كمران : جزيرة بالبحر الأحمر قبالة زبيد باليمن . (معجم البلدان

- السلطان قال لهم : إذا وصل إليكم شكر فاذهبوا إلى مكة . وكان ١
 لهم بكمران مدة على نية التجيل بينبع ، وكان المقدم على الجلاب
 القاضي أمين الدين مفلح التركي المكي الناصري . فوصلوا إلى مكة
 في أوائل العشر الوسط من ذى القعدة ، ونجّلت الجلاب بجدة .
 وتوجّه بعد الحج إلى اليمن ، بعد أن جمع أعيان الناس من أهل مكة ٥
 والمجاورين بها لقراءة ختمة شريفة بالمسجد الحرام ليلا ، وأمر بإهداء
 ثوابها لخدمته ، وبالدعاء له ، واحتفل بإحضار شمع كثير أوقد في
 حال القراءة ، وإحضار بخور وطيب للحاضرين . وعمل في صبيحة
 هذه الليلة سماطا عظيما حضره الأعيان من الناس وغيرهم ، وفعل في
 مدة مقامه بمكة معروفا كثيرا . ١٠

- وفي موسم هذه السنة أقبل السيد حسن على الحراشي ، وكان
 قد نافر السيد حسن في سنة اثنى عشر ووشى به إلى الناصر
 صاحب مصر ، مع من وشى به ، وكان ممن أبلغ في ذلك ؛ لكونه
 يعرف حاله لخدمته له . فلما خاب سعيه في حسن ؛ لرجوع
 الناصر عما كان وافق عليه من عزله أقام الحراشي بينبع ، ولايم ١٥
 ولايتها ، واكتسب مالا ، وصار يغرى صاحب اليمن بحسن ، فأشار
 حسن إلى إخراجه من بينبع ، فتوجه إلى مصر فلقى بها سوءاً .
 وأمر السلطان بإيصاله إلى حسن ، ووصل مع الحاج إلى مكة
 والباشة^(١) في عنقه ، فرآه حسن في هذه الحالة وحيّاه . ونزل برباط

(١) الباشة : قيد كالحلقة . يوضع في العنق ، أو اليدين والرجلين ، يتصل

بسلسلة من الحديد يقال لها الجنزير . (هامش السلوك للمقريزي ٣/٢ : ٨٨٣) .

- الشرابي^(١) عند الأمير^(٢) ، وكان يخرج ليلاً للطواف مع بعض غلمان الأمير . فلما كانت ليلة التروية خرج كذلك / وانفلت ممن هو موكل به ، ومضى إلى مكّي بن راجح^(٣) — وكان مواداً له — فعَرَفَ به حسناً ، فما راعه ولا دَلَّ عليه . فلما انقضى الموسم ظهر جابر ، وكثر تردده للسيد حسن ، وحلف كل منهما للآخر على الوفاء بالصحبة ، ففَوَّضَ إليه السيد حسن أمرَ جدة ، فحصل له ما أَرْضَى به صاحبُ اليمن من التجار ، من غير كثير ضرر يلحقهم في ذلك ، ومازال في خدمته حتى شُنِقَ — لاثامه بالميل مع رميثة بن محمد بن عجلان — في ليلة النصف من ذى الحجة — سنة ست عشرة وثمانمائة ، بباب المعلاة . وفي هذه الليلة شُنِقَ ابنه محمد بن جابر بباب الشبيكة^(٤) .

(١) رباط الشرابي : هو رباط الأمير الشرابي المستنصري العباسي ، وكان يقع عند باب بني شيبه على يمين الداخل من باب السلام إلى المسجد الحرام ، وتاريخ عمارته له في سنة ٦٤١ هـ ، وللشرابي عليه أوقاف كثيرة من الكتب ومن المياه وغير ذلك بوادي مَرَّ ونخلة . (شفاء الغرام ٣٣١/١) .

(٢) أي أمير الحاج المصري ، وهو ببيغا المظفري . (إتحاف الوري ٤٩٨/٣ ، ٥٠٠) .

(٣) كذا في الأصل ، والعقد الثمين ١١٤/٤ . وفي إتحاف الوري ٤٩٨/٣ « ومضى إلى القائد شكر بن راجح العمري » . وفي العقد الثمين ٤٠٢/٣ « ولجأ إلى بعض القواد فأجاره » .

(٤) باب الشبيكة : الشبيكة حي كبير من أعرق أحياء مكة ، يمتد من المسجد الحرام غرباً إلى ربع الحفاير ، وشمالاً إلى حارة الباب ، وبه مقبرة عظيمة (معجم معالم الحجاز) والباب أزيل في توسعة الحرم في العهد السعودي ، وكان في سور بأسفل مكة يسمى سور الشبيكة .

- وفي سنة ست عشرة وثمانمائة : تقرب السيد حسن بتسبيل
 البيمارستان المستنصري^(١) بالجانب الشامي من المسجد الحرام ،
 للضعفاء والمجانين ، وبصرف غلّة القيسارية المعروفة بدار الإمارة^(٢)
 عند باب بنى شيبة في مصالح المشار إليهم ، وذلك لأنه كان
 استأجر المكانين المذكورين في سنة خمس عشرة ، مدة مائة سنة .
 هلالية ، من القاضي الشافعي بمكة ، بأجرة معلومة ، على أن يصرفها
 في عمارة المكانين لخرابهما فعمرهما ، وزاد في البيمارستان فأكثر فيه
 التّفّع ، ووقف مازاده وما يستحقه من منفعة المكانين في باقي المدة
 المذكورة على الوجه السابق ، وثبت ذلك عند حاكم مالكي^(٣) ،
 وجكم به لموافقته رأي بعض متأخري المالكية في وقف المنافع .
 وبعضهم يمنع ذلك ، وهو مقتضى مذهب الشافعي وأبي حنيفة وابن

(١) البيمارستان المستنصري : ينسب إلى المستنصر بالله العباسي أبي جعفر
 المنصور بن الظاهر بأمر الله ، أوقفه في سنة ٦٢٨ هـ ، وكان ولي الخلافة بعد موت أبيه
 في رجب سنة ٦٢٣ هـ وسار في الرعية سيرة حسنة ، وأقام شعائر الدين ، واجتمعت
 القلوب على محبته . وتوفي سنة ٦٤٠ هـ . (شفاء الغرام ٣٣٧/١ ، وتاريخ الخلفاء
 ٤٦٠ — ٤٦٤) .

(٢) دار الإمارة : كان هذه الدار للخزاعيين ، وهي دار طلحة الطلحات ، باعها
 عبد الله بن القاسم بن عبيدة بن خلف الخزاعي ليحيى البومكي بمائة ألف دينار ، وهي
 دار الإمارة التي عند الحذائين ، بناها حماد البربري للرشيد هارون أمير المؤمنين ، وقد
 كانت تسمى دار السلامة ، ثم صارت تسمى دار الإمارة ؛ لنزول أمراء مكة فيها .
 (أخبار مكة للأزرقي ٢/٢٣٤ وهامشها) .

(٣) هو القاضي رضي الدين أبو حامد محمد بن الشريف عبد الرحمن الفاسي
 المالكي . (إنحاف الوري ٥٠٨/٣) .

حبل رحمهم الله . وكان إثبات ذلك والحكم به في صفر من السنة المذكورة .

وفيهما شرع في عمارة رباط آخر بأجياد للفقراء ، وكمل في التي بعدها ، وفيه بقية تحتاج للعمارة ^(١) . فإله تعالى يتقبل منه ذلك .

وفي ليلة سادس جمادى الأولى من سنة ست عشرة وثمانمائة : وصل رميثة إلى حَدًّا من وادى مرّ ، على غفلة من أهلها ، لأن عمه رغب في إخراجها من ينبع ، وما وجد مذهبا غير هذا . ولما بلغ عمه خبره أمر بالمبادرة بإبعاده ، وصمّم على ذلك ، وركب إلى جهته ، فما وسع الذين نزل عليهم إلا إبعاده ، فمضى إلى ينبع ، والتحق به فيها بعضُ القواد العمرة ، فعاد به إلى منزلهم بالعدّ . وأخبر السيد حسن بوصولها ، فتوجّه للعد بعسكره . وكان رميثة قد توجّه منه مع بعض القواد ، والشريفين مَيْلَب ، وشفيع ابني علي بن مبارك . وما شعر الناس به إلا وقد هَجَم مكة من دَرَبِ [اليمن] ^(٢) في ضحى يوم الخميس رابع عشرى جمادى الآخرة سنة ست عشرة وثمانمائة ، وما قدر الذين بمكة من جماعة حسن على دفعهم ، وانضم إليهم

(١) رباط الشريف حسن بأجياد : هذا الرباط بقرب رباط ربيع ، أمر بإنشائه الشريف حسن بن عجلان ، وهو ملاصق بحوية داره التي أنشأها بأجياد ، وقد عمر غالب سفله إلا قليلاً ، وجانباً من علوه ، وفي سنة ٨٢٢ هـ استأجر بعض البناء بمكة على تكميل عمارته ، وشرع في ذلك . وانظر إتحاف الورى ٥٠٨/٣ ، ٥٢١ .

(٢) سقط في الأصل ، والمنبت عن العقد الثمين ١١٥/٤ .

منهم جماعة . وما أحدث بمكة سوءا ولا من معه ، ثم خرجوا منها لتخوفهم من قصد حسن لهم .

وكان من خبر حسن أنه أُخبر بقصدهم لمكة فشَقَّ ذلك عليه ، لتخيله أنهم ينهبونها وَيَتَقَوَّوْنَ بذلك ، ويتحصنون فيها . فلما انتهى إلى الزاهر أتاه بعض أصحابه من مكة فأخبره بخروجهم منها ، وعدم إفسادهم . وقصدهم إلى الأبطح ، فنزل على الأبطح من ثِيَّنة المقبرة ، ورأى سوابق عسكره رميثةً ومن معه ، فاتبعوهم وتلاههم الباقون . ثم إن السيد حسن سئل في الرجوع عنهم رحمةً لهم ، فرحمهم وعاد / إلى مكة ، ثم بلغه أنهم مقيمون بنخلة ، فتوجّه إليهم ١٥٥ و حتى انتهى إلى نخلة ، ففارقوها وقصدوا الطائف ، فبعث بعض ١٠ خواص حسن إلى أهل الطائف بالإعراض عن المذكورين ، فأعرض عنهم ناسٌ ، وأكرمهم ناس بما ليس فيه كبير جدوى . فقصدوا نعمان^(١) ليتوصلوا منه إلى اليمن ، فسلكوا طريق النقب حتى بلغوه ، وانتهوا إلى عرب اليمن ، فحاربوهم وكَسَبُوا منهم ما تجمل به حالهم . وبدأ من رُمِيَّة في هذا اليوم ما يدل على كثرة شجاعته ، وأقاموا باليمن ١٥ مدة ، ثم عادوا وقصدوا جُدَّة ، وخفى مسيرهم إليها على السيد حسن . ولما وصلوا جدة نهبوا وأخربوا بيت الصبحي ، وذلك في

(١) نعمان هو واد من أكبر أودية مكة المكرمة ، يستمد ماءه من بعض جبال الحجاز ، وله روافد كبار أثناء مسيرته ، ويسكنه قبائل هذيل اليمن ، وينحدر نعمان فيمر جنوب عرفة ، ثم يجتمع بوادي عرنة ، ومن عيونه : عين زبيدة والعابدية وسمار . وقد حفرت في نعمان آبار كثيرة زرع بمائها زراعات طيبة ، وقدما تغزل فيه الشعراء لما لمسوا فيه من جمال . (معالم مكة التاريخية ٣٠٤ ، ٣٠٥) .

العشر الأوسط من رمضان سنة ست عشرة . وبلغ خبرهم السيد ١
 حسناً فبادر إليهم ، ولقوه قرب جدة متأهين للقاءه ، فمنعه من
 محاربتهم القواد ، فلم يمكنه المخالفة ، وطبَّبوا نفسه بإخراج رُمِيَّة ومَن
 معه من جدَّة ومَكَّنَّوه منها ، ثم قطعوا بين الفريقين حَسَبًا ، وسعوا
 في الصلح بين الفريقين ، فلم يتفق ذلك ، لأن حسنا لم يوافق على ٥
 دخول مَن أَلْتَفَّ على رُمِيَّة من العبيد والمولدين في الصلح ، وأبى
 رُمِيَّة إلا دخولهم . وعرف كل من حسن ورُمِيَّة أن القواد لا يمكن
 أحدا منهما من الآخر ، فتسالموا من القتال حتى انقضى الحج من
 هذه السنة .

وبعد الحج توجه السيد حسن إلى العُدَّ بعسكره ، ومعه مُقْبِل ١٠
 بن مِخْبَار وجماعة من أصحابه — وكانوا قدموا في هذه السنة للحج
 ولنصر حسن — وعرف رُمِيَّة وأصحابه أنهم لا قدرة لهم على
 المذكورين ، وأن من يتخللون منه النصر من ذوى عمر الملايين
 لحسن لا يمكنهم النصر في هذا الوقت . فقصد رُمِيَّة والأقوياء من
 أصحابه إلى جهة اليمن في البر ، وركب الضعفاء منهم البحر ، ١٥
 واجتمعوا بحُلِّي .

وكان السيد حسن بعد دخول رُمِيَّة إلى مكة أمر بعمارة سور
 باب المعلاة ، وباب الماجن لتخلل البناء فيهما ، وقصر جدرهما ،
 فعمرا حتى كَمَلا بالبناء ، غير موضع في سور باب المعلاة ، فإنه
 متخلل من البناء ، ولكن الذى تحته مهواة ، وارتفع جدرانها . ٢٠
 وكان الحجاج من اليمن في هذه السنة كثيرين ، ومعهم متاجر

- كثيرة ، ومقدمهم القاضي أمين الدين مفلح ، فجباهم غلمانُ السيد
حسن ، وعنفوا بهم ، وكانوا يتوسَّلون في التخفيف عنهم بالقاضي
أمين الدين ، فيتكلَّم لهم ولا يجدى كلامُه ، فتأثر لذلك ، ومَضَى
على ذلك إلى اليمن ، فلقى رُمِيَّةً بحلِّي ، فأكرمه ، وأزال كثيرا من
ضروراته ، وكتب إلى مولاه الملك الناصر يخبره [بخبره] ^(١) وسأله
في كرامته . فسرَّ الملكُ الناصر بقدوم رُمِيَّة ، وأمر بتلقِيه وإكرامه
حتى انتهى إليه ، فرأى من السلطان ما سرَّه — وكان قد تجدد في
نفس السلطان حنق على السيد حسن وشكر ؛ لكونه لم تصله
العشرةُ الآلاف المثقال المقررة له في كل سنة عن مال ابن جميع ،
ولا قيمة ما بعث به من الطعام إلى مكة مع شكر — وكان ما قرره
لرُمِيَّة مُدَّ طعام في كل يوم — وهو أربع غرائر مكية — وخمسين
دينارا جددا ، غير المقرر لهم من التمر في أيام النخل . وهو قلَّ أن
ينفصل عن السلطان وقت الأكل ، وطلع مع السلطان إلى تَعَز ،
ونزل / معه إلى زَبِيد ، وتوجَّه منها إلى مكة بعد أن أحسن له ١٥٥ ظ
السلطان بذهب جيد ، وإبل وطعام وكسوة ، فوصل في رمضان من ١٥
سنة سبع عشرة إلى وادي الأبيار ، ونزل بها على ذوى حُمِيْضَة ، وما
سهل ذلك بعمه [السيد حسن] ^(٢) وهمَّ بمحاربتهم . ثم سعى
الناسُ في الصلح بينهم على مائتي ألف درهم يسلمها حسن لرميثة ، ويكون
لحسن جبا الجلاب الواصلة في هذه السنة ، وأن يكون الفريقان سلِّماً
إلى انقضاء العشر الأول من المحرم سنة ثمانى عشرة وثمانمائة ، فرضيا ٢٠

(١) إضافة عن العقد الثمين ١١٧/٤ .

(٢) إضافة عن إتحاف الوري ٥١٥/٣ .

بذلك ، وضمن على كلّ منهما جماعة أصحابه . فما حصل في ذلك خلل منهما .

وكان السيد حسن — بعد توجه ابن أخيه إلى اليمن — عاد إلى مكة بعد مقامه مُدَّة بالعدِّ وجُدَّة ، وتوجه إلى الشرق ، وتلاه بنو حسن يرجون المنافع منه ، فتعذَّر منهم ، وراحوا بغير طائل . فشَقَّ عليهم ذلك ، وأخذ من أهل الطائف وليَّة القُطْعَة التي قررها عليهم ، وعاد إلى مكة بعد أن أقام بالشرق مدَّة ، وأتاه — وهو بمكة — كتابُ السلطان المؤيَّد صاحب مصر يخبره فيه بقتله لأعدائه : نُورُوز الحافظي ومن تبعه ، وعوده إلى مصر منصورا . وفي الكتاب بيتان من نظم الأديب الكبير تقي الدين أبي بكر بن حجَّة الحموي . وهما :

أيا ملكا بالله أضْحَى مؤيِّدا

ومنتصبا في مُلكِه نصبَ تَمييزٍ

كسرت بِمِسرَى نيلِ مصر وتنقضي

وَحَقُّكَ بَعْدَ الكَسْرِ أَيَّامُ نُورُوزِ ١٥

وفي هذين البيتين من الكياسة التورية بالنوروز الذي يكون باثر كسر النيل ، وهو يوم مشهور عند المصريين ؛ لما يقع فيه من المجون ، ونوروز الذي كان أميرا بالشام ، وَقَتْلُهُ السلطانُ ، (ويقال له نوروز^(١) ، وفيهما من الكياسة أيضا صحة الاتفاق المقول ؛ فإنه قد

(١) يبدو أن هذه العبارة زائدة ، ولذلك أهملها النجم بن فهد في إتخاف الوري

لايتم الظفر بنوروز فتم .

- وكان السيد حسن في موسم سنة سبع عشرة تَخَوَّف من أمير الحاج المصري ، وتوقف عن ملاقة المحمل بنفسه ، فما قنع منه أميرُ الحاج بغير حضوره بنفسه ، فوافق على ذلك لَمَّا لم يجد منه بُدًّا ، بعد أن توثَّق من أمير الحاج ، والتزم له بما يَحْسُن من الخدمة ، وللسلطان بثمان ما أخذه من العَلَّة التي بعثها السلطان للبيع ، وخلع عليه الأميرُ وعلى ولديه لَمَّا خدموا على العادة .
- ثم حصل بينهما نفرة ؛ لأن أمير الحاج أدَّب بعضَ غلمان القوَّاد العمرة على حَمْلِهِ السلاح بمكة ، لنهيه عن ذلك ، وتشفَّع مواليه في إطلاقه بالسيد حسن عند أمير الحاج ، فأبى أن يطلقه .
- فهِجَم جماعةٌ منهم المسجد الحرام راكبين خيولهم ، لابسين سلاحهم ، فقَاتَلهم الحاجُّ حتى أخرجوهم من المسجد ، وظنَّ أمير الحاج أن الشريف حسنا ينضمُّ إليه . فَقُدِّرَ أنه انضمَّ إلى المذكورين بالطنبداوية^(١) ، ولكنه منعهم من التعرُّض للحاج ، ولولا ذلك لَتَمَّ على الحاج بلاءٌ عظيم . فسبحان المُسَلِّم . وأدخل الأميرُ خيلَه إلى المسجد ، فباتت به حتى الصباح ، وسَمَّر أبوابه خلا باب بنى

(١) الطنبداوية : هي من أحياء مكة ، يقع خلف جبل عمر ، وجبل الحفاير ، ويمتد من هناك إلى جرول ، ومن الجنوب يمتد إلى قوز النكاسة ، سمي ببئر فيه يسمى الطنبداوي . (هامش شفاء الغرام ١/ ٣٤٦) .

١٥٦ أو شبيهة ، والدريسة^(١) ، وباب / المجاهدية^(٢) . وأوقدت فيه المشاعل ، ١
ثم فتحت ؛ لأن السيد حسن بعث ولده السيد أحمد إلى أمير الحاج
مطمئنا له ، فخلع عليه وأطلق مولى القواد .

وأعرض السيد حسن عن الحج في هذه السنة بغالب
عسكره ، وكذا القواد ؛ فقام بحفظ الحاج من أهل مكة وغيرهم .
أمرأء الحاج . وأصاب بعض الحجاج نهباً في توجههم إلى عرفة ،
وغالب المنهويين من أهل مكة واليمن ؛ لتخلفهم بمكة إلى الظهر ،
وكان الحجاج توجهوا منها بعد طلوع الشمس . ولما نفر الحاج من
منى ، وطافوا للوداع لم يتمكنوا من الخروج من أسفل مكة بإغلاق
باب الشبيكة دونهم ، فخرجوا من باب المعلاة ، وتأثر أعيان
الحجاج لذلك . فكان لذلك من الأثر ما يأتي ذكره .

وفي ليلة رابع عشر المحرم سنة ثمان عشرة وثمانمائة : قبض
السيد حسن على القاضي كمال الدين موسى بن جميع ، والخوaja بدر
الدين المزلق ، والشهاب أحمد العيني وكيل الخوaja برهان الدين بن

(١) باب الدريسة : ويعرف بهذا الاسم من قديم ، ويقع في الطرف الشمالي
الشرقي من المسجد الحرام ، أي في ركن المسجد الحرام قبل باب السلام من الجهة
الشمالية الشرقية . ولم يعرف سبب لهذه التسمية فيما تيسر من مراجع . (أخبار مكة
للأزرق ٩٤/٢ هامش ، وتاريخ عمارة المسجد الحرام ١٣٣) .

(٢) باب المجاهدية : أحد أبواب المسجد الحرام ، وهو الباب الخامس للمتجه من
الصفاء إلى أجياد ، وكانت عنده مدرسة المجاهد صاحب اليمن ، ويقع في الجهة الجنوبية
من المسجد ، ويقال له باب الرحمة ، وسماه الأزرق باب بنى مخزوم . (أخبار مكة
للأزرق ٩/٢ ، وشفاء الغرام ٢٣٨/١ ، وتاريخ عمارة المسجد الحرام ١٢٣) .

مبارك شاه ، وضيق عليهم حتى أرضوه بما شرط من المال ، فأخذ من ابن جميع مايساوى سبعة آلاف مثقال ، ومن ابن المزلق ما يساوي ثلاثة وثلاثين ألف إفرنتي^(١) ، ومن العيني مظهر من مال موكله ، ثم أطلقهم متعاقبين ، ابن جميع أولا في أول صفر ، وابن المزلق في آخره ، وتلاه العيني .

وفي آخر المحرم — أو في صفر — من السنة المذكورة : ورد إلى جدة القاضي مفلح بما في صحبته من المراكب ، والطراريد^(٢) ، والولقات^(٣) ، والجلاب ، فاستقوا من جدة بمعاونة رُمَيْثَة ، وأخذ

(١) الإفرنتي : هو دينار من الذهب من ضرب الإفرنج ، وقد تعامل الناس به في أكثر مدائن الدنيا من بلاد الروم ، وبلاد الشرق والحجاز ، ومصر والبلاد الشامية ، واليمن ، وأصبح النقد الرائج والمطلوب في المعاملات ، ويقال له الدوكلات أو المشخص ، وعليه شعار الفرنج ، وقد حاول الأشرف برسباي إبطال المعاملة به في بلاد مصر والشام والحجاز ، وألزم الناس التعامل بالدينار الأشرفي . وانظر السلوك للمقريزي ٢/٤ : ٧٠٩ ، والنجوم الزاهرة ١٤/٢٨٣ ، ٢٨٤ ، والنقود العربية للدكتور عبد الرحمن فهمي ٩٥ ، ٩٦ ، وهامش إتحاف الوري ٣/٥٣٥ .

(٢) الطراريد : جمع طرادة ، وهي السفينة الصغيرة السريعة السير ، ويقال إنها برسم الخيل ، وكثير منها يحمل أربعين فرساً . (البحرية في مصر الإسلامية ٣٥٣ ، ٣٥٤) .

(٣) الولقات : في الأصل ، والعقد الثمين ١٢٠/٤ « المؤلفات » وفي إتحاف الوري ٣/٥٢٥ « الموليّات » . ولم نهند لتعريف بأي منهما في البحرية في مصر الإسلامية للدكتورة سعاد ماهر ، أو غيره من المراجع المتيسرة . والمثبت عن الخبر نفسه في ترجمة رميثة بن محمد الآتية برقم ٢٠٠ ص ٤٧٩ . والولقات : هي المسرعات من السفن المتتابعة ، أخذ من ولق بمعنى أسرع ، وقولهم : ناقة ولقى أي سريعة ، وقولهم : الولق إسراعك بالشيء في إثّر الشيء ، وكعدو في إثّر عدو ، وكلام في إثّر كلام . (تاج العروس) .

- منهم الزائلة^(١) ، ومضوا إلى ينبع — وكان حسن يرغب في أن يعينه
 بنو حسن على منع المراكب من السقية بجُدَّة فما أعانوه — وعاد
 رُمَيْثَة بعد سفر الجلاب من جُدَّة إلى الجديد ، وأقام به إلى شعبان
 من سنة ثمانى عشرة .

- وفى سادس عشر ربيع الأول منها : وصل إليه الخبر بولايته
 لإمرة مكة ، عوض عمه وابنيه ، وكان عمه بمكة ، فرغب في أن
 يعينه بنو حسن على حرب رُمَيْثَة قبل أن يصل إليه المدد من مصر ،
 فما أعانوه ، فمضى إلى الشرق ، وترك ابنيه في البلد ، وشُكراً مولاه ،
 وجماعة من أصحابه . ثم إن القواد [العمرة]^(٢) استدعوه من
 الشرق ، وأطمعوه بنيل أربه من محاربة ابن أخيه ومن معه ، ومضى إليه
 بعض كبارهم لإحضاره إليهم ، فوصل إلى مكة في سلخ جمادى
 الأولى ، وهَمَّ بالمسير من فوره إلى الوادى ، لأن ابن أخيه كان نارلاً
 بالجديد من الوادى ، فمأطله الذين استدعوه ، وآخر الأمر أنهم لم
 يوافقوه على المسير إلا بشيء جَيِّد يأخذونه منه ، فلم يسمح به ،
 فعاد إلى الشرق ثانياً في أول العشر الوسط من رجب من السنة
 المذكورة ، وأقام به مُدَّة ، وذهب من هناك إلى المدينة النبوية ، فزار
 جَدَّه المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وعاد إلى مكة ، وتوجه إلى
 جُدَّة ، فأزال منها رُمَيْثَة وأصحابه . وكانوا قد أقاموا بها بعد رحيلهم

(١) الزالة : لعلها تعنى فى اصطلاح ذلك العصر المكس أو الضريبة على المرور
 والتزود بالزاد والمياه العذبة . أو لعلها الزلة بمعنى العطية كما فى تاج العروس .
 (٢) سقط فى الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ١٢١/٤ .

١ من الوادى ، واندفع رُمِيَّةً إلى جهة الشام .

ووصل الحجاج بإثر ذلك ، فلام رُمِيَّةُ الحجاج ، ووصل معهم مكة ، لتقرير السلطان الملك المؤيد له على ولايته وهو بحلب . وكان خرج إليها لقتال بعض أعدائه ، فظفر بهم / غير واحد أو ١٥٦ ظ اثنين ، فأقام لتحصيل عدوه ، وبعث مبشرا بالنصر إلى رميثة ، ٥ فوصله فى شوال من السنة المذكورة وهو بجدة ، واستمر الدعاء للسيد حسن وابنيه فى الخطبة وعلى زمزم إلى استهلال ذى الحجة منها ؛ لاستيلاء حسن على مكة إلى هذا التاريخ ، ثم فارقتها فى هذا التاريخ ، وقصد الشُّقَّان [وتعرّف ما فى الجلاب]^(١) فجباه ، وأمرهم بالتدبير أو المُضَيِّى إلى ينبع . وكان بعضهم نفر منه لما سمع باستيلائه على الجلاب ودبّر إلى اليمن قبل أن يصل إليه .

فلما كان فى صفر سنة تسع عشرة وثمانمائة : وصلت المراكب الكارميّة ، والجلاب الينبوعيّة إلى الشُّقَّان ، فأخذ منها زالة له ولخواصه — ثلاثة عشر ألف مثقال ومائتي مثقال — ومكنهم من السقيّة من جدة ، ومضوا إلى ينبع . وكان قبل وصولهم إلى جدّة قد ١٥ نزل بالجديد من وادى مرّ ، واستولى على غلال أصحاب رميثة ، وما قدروا على أخذها منه ، وهو بالجديد ساكن إلى آخر جمادى الآخرة سنة تسع عشرة وثمانمائة .

(١) سقط فى الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ١٢١/٤ . وانظر إتخاف الورى

١ وفى شهر رجب منها : بعث ولده السيد بركات ، ومولاه القائد زين الدين شكرا ، لاستعطاف مولانا السلطان الملك المؤيد — نصره الله — فأنعم على السيد حسن بإمرة مكة ، وكتب له بذلك توقيع ومثال شريف مؤرخ بثامن عشر رمضان سنة تسع عشرة ، وجهاز مع ذلك خلعة شريفة مع بعض الخاصكية المؤيدية ، والنجابة السلطانية ، وانتهوا إلى السيد حسن وهو فى ناحية جُدَّة فى أوائل العشر الوسط من شوال . وبعث إلى القواد العمرة — وكانوا قد بانوا عنه فى شعبان وانضموا إلى السيد رُمَيْثَة بمكة — يأمرهم بالخروج من مكة . فتوقفوا فى ذلك .

١٠ ولما تحقق أنهم ورُمَيْثَة ، ومن انضم إليهم مجتمعون على المقام بمكة قصدهم ، وانتهى إلى وادي الزاهر ظاهر مكة فى بكرة يوم السبت ثانى عشرى شوال ، فخيم بواذى الزاهر ، ومعه الأشراف آل أبى نمي ، وذوو علي ، وذوو عبدالكريم ، والأدارسة ، وصاحب ينبع الشريف مُقْبِل بن مِخْبَار فى عسكر جاء به معه من ينبع ، غير من فى خدمته من عبيده ، ومن الترك ، وكان الترك مائة وعشرين — فيما قيل — وأرسل إلى مشايخ القواد العمرة ، وحضر إليه منهم ثلاثة نفر ، فخوفهم من داهية الحرب ، فسألوه أن يمهلهم هذا اليوم والذي يليه ؛ ليلزموا أصحابهم بالخروج من مكة . فأتوا أصحابهم فعرفوهم الخبر ، فصمم أكثرهم على عدم الخروج ، فلم يسع الراغبون فى ذلك إلا الموافقة .

٢٠

ولما تحقق ذلك للسيد حسن رحل فى بكرة يوم الاثنين رابع

عشرى شوال من الزاهر ، وخيّم بقرب العُسيّلة^(١) أعلى الأبطح ،
 وأتى بعض أصحابه إلى رءوس القواد المعروفين بالحميضات — وكانوا
 مع رُميئة — فثبّطهم عن القتال ، وخوفهم غائلته ، فلم يصغوا
 لذلك . فلما كان بكرة يوم الثلاثاء خامس عشرى شوال ركب السيد
 حسن في عسكره ، وكانوا — فيما قيل — ثلاثمائة فارس ، وأريد من
 نحو ألف راجل ، وكان الذين بمكة على نحو الثلث من ذلك . ولما
 انتهى إلى المعابدة بعث إلى الذين بمكة يحذرهم عاقبة القتال ؛ لرغبته
 في الإبقاء على أكثرهم ، فلم يقبلوا نصّحه ، ومثله ومثلهم في ذلك
 كما قيل : /

بذلتْ لَهُمْ نُصْحِي بِمُنْعَرِجِ اللَّوَى
 فلم يَسْتَبِينُوا النَّصْحَ إِلَّا ضَحَى الْعَدِ ١٠
 ١٥٧

وسار بمن معه حتى دنوا من باب المعلاة [فازالوا مَنْ كان
 على باب المعلاة وقُربيه ، من أصحاب رُميئة بالرمي بالنشاب
 والأحجار ، وعمد بعضهم إلى باب المعلاة]^(٢) فدهنه وأوقد تحته

(١) العسيّلة : عبارة عن أربعة آبار تعرف بالعسيّلة تقع بظاهر مكة من أعلاها
 بين بئر ميمون بن الحضرمي ، والأعلام التي هي حد الحرم في طريق وادي نخلة ، وفي
 رأس طي بعضها ما يقتضي أن المقتدر العباسي أمر بحفر بئرين منها . وفي طي بعضها ما
 يقتضي أن العجوز والدة المقتدر عمرتها مع سقايات هناك ، ومسجد لا يعرف الآن منه
 شيء . والبئر الرابعة من آبار العسيّلة جددتها بعد دثورها بعض الأمراء المصريين سنة
 ٧٩٢ هـ . (شفاء الغرام ١/٣٤٥ ، ٣٤٦) .

(٢) سقط في الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ١٢٣/٤ . وانظر إتحاف الوري

- النارَ فاحترق حتى سقط إلى الأرض . وقصد بعضهم طرفَ السورِ ١ الذي يليَ الجبلِ الشاميِّ مما يليَ المقبرة ، فدخل منه جماعةٌ من الترك وغيرهم ورقوا موضعا مرتفعا من الجبلِ المشار إليه ، ورموا منه بالنشاب والأحجار من كان داخل الدرب من أصحاب رُمِيَّة ، فتعبوا لذلك كثيرا ، ونقب بعضهم مما يلي الجبل الذي هم فيه من السور نقبا ٥ متسعا حتى اتصل بالأرض ؛ فدخل منه جماعةٌ من الفرسان من عَسْكَرِ حسن . ولقيهم جماعةٌ من أصحاب رُمِيَّة وقتلوهم حتى أخرجوهم من السور ، وحصل في الفريقين جراح ، وهي في أصحاب رميثة أكثر . وقصد بعض أصحاب حسن — وهم عسكر صاحب ينبع — السورَ مما يلي بركة الصارم^(١) ، فنقبوه نقبا متسعا ، ١٠ ولم يتمكنوا من الدخول منه ؛ لأجل البركة فإنها مهواة . فنقبوا موضعا آخر فوقه .

ثم إن بعض الأعيان من أصحاب السيد حسن أجار من القتال ؛ لرغبة بعض القواد في ذلك — على ما قيل — وكان السيد حسن كارها للقتال ، ولو أراد الدخول إلى مكة بكل عسكره [من ١٥ الموضع الذي دخل منه بعض عسكره]^(٢) لقدّر على ذلك ،

(١) بركة الصارم : هي إحدى بركتين متلاصقتين وكانتا بلصق سور باب المعلاة ببستان الصارم . وكانتا معظلتين . فعمرت إحداهما في النصف الثاني من سنة ٨١٣ هـ ، وملئت من عين بازان بعد جريها ، والذي أمر بعمارها هو الشهاب بركوت المكين . (شفاء الغرام ١/٣٣٩) .

(٢) سقط في الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ١٢٤/٤ .

- وأَمْضَى الْجَيْرَةَ بَتْرِكَ الْقِتَالِ ، وَبِأَثَرِ ذَلِكَ وَصَلَ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْقَضَاةِ ١
وَالْفُقَهَاءِ وَالصَّالِحِينَ بِمَكَّةَ ، وَمَعَهُمْ رِبْعَاتٌ شَرِيفَةٌ ، وَسَأَلُوهُ فِي كَفِّ
عَسْكَرِهِ عَنِ الْقِتَالِ ، فَأَجَابَ إِلَى ذَلِكَ ، عَلَى أَنْ يُخْرَجَ مَنْ عَائِدَهُ
مِنْ مَكَّةَ . فَمَضَى الْفُقَهَاءُ إِلَيْهِمْ وَأَخْبَرُوهُمْ بِذَلِكَ ، فَتَأَخَّرُوا عَنْهُ إِلَى
جُوفِ مَكَّةَ ، بَعْدَ أَنْ تَوَثَّقُوا مِنْ أَجَارٍ فِي كَفِّ الْقِتَالِ . فَدَخَلَ ٥
السَّيِّدُ حَسَنٌ مِنَ السُّورِ بِجَمِيعِ عَسْكَرِهِ ، وَخِيَمَ حَوْلَ بَرَكَتِي الْمَعْلَاةِ ،
وَأَقَامَ هُنَاكَ حَتَّى أَصْبَحَ فَدَخَلَ مَكَّةَ فِي بَكْرَةِ يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ سَادِسَ
عَشْرَى شَوَالٍ ، لَابَسًا لِلخَلْعَةِ الشَّرِيفَةِ ، وَالْعَسْكَرُ فِي خِدْمَتِهِ ،
فَطَافَ بِالكَعْبَةِ الشَّرِيفَةِ سَبْعًا ، وَالْمُؤَذِّنُ يَدْعُو لَهُ عَلَى زَمْرٍ ، وَبَعْدَ
فَرَاغِهِ مِنَ الطَّوَافِ وَرَكَعَتَيْهِ أَتَى إِلَى جِهَةِ بَابِ الصَّفَا . فَقَرِئَ هُنَاكَ ١٠
تَوْقِيعُهُ بِأَمْرِ مَكَّةَ ؛ وَكُتِبَ السُّلْطَانُ بِذَلِكَ ، فَحَضَرَ الْقَضَاةَ
وَالْأَعْيَانُ ، وَخُلِقَ لَا يَحْصُونَ كَثْرَةً ، وَرَكِبَ بَعْدَ ذَلِكَ فِدَارَ الْبَلَدِ
وَنَادَى بِالْعَدْلِ وَالْأَمَانِ — وَكَانَ قَدْ أَمَّنَ الْمَعَانِدِينَ لَهُ خَمْسَةَ أَيَّامٍ ،
فَتَوَجَّهُوا إِلَى جِهَةِ الْيَمَنِ — وَبَعَثَ لِبْنِ أَخِيهِ رُمَيْثَةَ بِزَوَادَةٍ وَمَرْكُوبٍ —
فِيمَا بَلَغْنِي — وَانْتَهَى رُمَيْثَةُ وَمَنْ مَعَهُ إِلَى قَرَبِ حَلْيٍ . ١٥
- وَأَمَرَ السَّيِّدُ حَسَنٌ بِعَمَلِ بَابِ لِبَابِ (١) الْمَعْلَاةِ عِوَضَ الْبَابِ
الْمَحْرُوقِ ، فَعَمِلَ ، وَعَمَرَ مِنْ هَذَا السُّورِ مَا كَانَ قَدْ أُخْرِجَ فِي وَقْتِ
الْحَرْبِ ، وَبَعَثَ إِلَى الْقَوَادِ الْعِمْرَةَ يَسْتَمِيلُهُمْ ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ
أَيَّامَ الْحَجِّ ، وَسَأَلُوهُ فِي مَصَافَاتِهِمُ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ ، فَأَجَابَهُمْ إِلَى
ذَلِكَ ، بِشَرَطِ أَنْ يَبَيِّنُوا عَنْ ابْنِ أَخِيهِ ، وَيَلْجِئُوهُ لِلسَّفَرِ إِلَى الْيَمَنِ . ٢٠

(١) وَانْظُرْ فِي عَمَلِ هَذَا الْبَابِ وَصَفَتُهُ إِتْحَافُ الْوَرَى ٥٣٤/٣ .

- ١ فإذا فارق حَلْيَ مسافرا لليمن قدموا عليه فأنالهم قصدهم ، فأظهروا له الموافقة على ذلك . وبعث إلى خواص ابن أخيه تستميله بالدخول في طاعته . فمال إلى ذلك ابن أخيه لما بلغه عن القواد ، ولتقصير ١٥٧ ظ من معه من موالى عجلان ، وابنه / أحمد بن عجلان في حقه ؛ لقلّة طواعيتهم له ، ولإمساك سعد الدين سعيد جَبْرُوةً يده عن إعطائه ما ظَنَّ رُمِيَّةً أَنَّ صاحب اليمن بعث به إليه [من النقد والكسوة والطعام على يد سعد الدين ، فإن صاحب اليمن كان استدعى سعيدا] (١) ليوصله براً لنفسه ولرُمِيَّةً . .

- وقدم رُمِيَّةً إلى مكة بإخوته وزوجته — وهي أعظم مَنْ حَمَلَهُ على ملائمة عمه — وكان عمه قد توجه من مكة لقصد الشرق ، ولما أتاه الخبر بإقبال ابن أخيه إليه ، أمر خواص غلمانته بتلقيه وكرامته ، فخرجوا للقاءه موكبّين له ، ودخل معهم مكة ، فأنزلوه بمكان أعدوه له ، وكسوه وضيّفوه وخدموه ، واستحلفوه على إخلاص الود منه لعمه ، وحلفوا له كذلك عن أنفسهم وعن عمه ، واستحلفوا إخوته كذلك لعمهم ، وحلّفوا لهم . فكان هذا الحلف ١٥ في يوم الجمعة العشرين من صفر سنة عشرين وثمانمائة في جوف الكعبة .

وفي يوم الخميس قبله قدم مكة رُمِيَّةً ومن معه ، ومضى بعد ذلك بأيام قليله ومعه إخوته لعمهم ، فأكرم ملاقاتهم وأحسن إليهم ،

(١) سقط في الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ١٢٥/٤ .

وبالغ في الإحسان إلى رميثة ، وأظهر للناس الاغتياب به كثيرا . وما
سهل ذلك بأكثر بنى حسن ؛ لتخيّلهم أن حالهم لا يروج كثيرا إلا
في زمن الفتنة .

ورام الشريف حسن خفض القواد العمرة والحَمِيضَات وأخَذَ
ما معهم من الخيل والدروع ، وألزمهم بذلك بعد عوده إلى مكة من
الشرق في جمادى الأولى سنة عشرين وثمانمائة ، أو الجلاء من بلاده
ومحل ولايته ، وأَجَلَهُم للجلاء نحو نصف شهر . وعاد إلى الشرق ،
وأمر بَعْضَ خَوَاصِّهِ بأخذ المطلوب من القواد أو إخراجهم من
البلاد . وظنّ أنه لابد من حصول أحد^(١) الأمرين لإطماع الشرفاء
ذوى أبى نمي له بالموافقة على ذلك ، والمساعدة له عليه . فتلطّف
القواد بالشرفاء وخضعوا لهم ، وخوفوهم من غائلة هذا الأمر ؛ لما فيه
من إضعاف الفريقين . فإن الشرفاء كانوا وافقوه على تسليم خيلهم
ودروعهم إذا فعل ذلك مع القواد ، وقصد الشرفاء بذلك إضعاف
القواد ، فمال الشرفاء لقول القواد ، وأعطوا الشرفاء دية قتيل شريف
قتله بعض القواد في دولة رُمِيَّة — وكان القواد ممتنعين من دِيَّتِهِ ،
ويقولون : نحاسبكم به مما لنا عندكم من القتل — وتحالف الفريقان
على كَفِّ الأذى ، واستعطف القواد ذَوِي رُمِيَّة : أولاد أحمد بن
ثَقَبَة بن رميثة وأولاد على بن مبارك وَلَفِيْفَهُم ، فعطفوا على القواد ،

(١) في الأصل « أي » ، والمثبت عن العقد الثمين ١٢٦/٤ ، وإتحاف الورى

ومالوا لما مال إليه ذوو أبي نُميٍّ ، وحلفوا عليه . وبلغ ذلك الشريف ١
 حسنا ، فعاد من الشرق [إلى مكة ، في أول النصف الثاني من
 رجب ، ولم يجد أكثر الشرفاء على ما كان يعهد منهم]^(١) وهم مع
 ذلك يظهرون له الطاعة ، والموافقة على قصده ، ويشربون عليه في
 ذلك أن يجزل الإحسان إليهم بالمال والخيل والدروع . وتوقف هو في ٥
 ذلك ، لما عهد من الفريقين من الأخذ وعدم الإسعاف بالقصد ،
 كعادة أسلافهم مع أسلافه .

وبعد قدومه إلى مكة بأيام قليلة استولى على جُدة الشرفاء من
 بني ثَقَبَة ، ومبارك ، والقواد ولقيفهم ، وأعلنوا بالسلطنة لثَقَبَة بن
 أحمد بن ثَقَبَة ، ومَيْلَب بن علي بن مبارك ، وجعلوا لكل منهما في ١٠
 جُدة نَوَّابًا ، وأخذوا طعاما كثيرا بجدة ، وجبوا^(٢) بعض الجلاب
 ١٥٨ والواصلة إليها ، فشَقَّ ذلك على الشريف . / وحمله الشرفاء على النزول
 عندهم بالدكناء ففعل ، ثم رحل منها إلى الجديد ، ثم إلى حَدَّا .
 وأشار عليه جماعة من الشرفاء أن يذهبوا عنه إلى القواد — وكانوا نزولا
 بالعد مع جماعة من آل أبي نُميٍّ ، ومع ذوى ثَقَبَة ، وذوى مبارك — ١٥
 ليأمرؤا المشار إليهم بالدخول في طاعته ، ويخوفوهم من غائلته ،
 فمضى جماعة من الشرفاء الذين في خدمة الشريف إلى الذين
 بالعد ، وغابوا عندهم مُدَّةً ، وعادوا إلى الشريف بما لم يعجبه ،

(١) سقط في الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ١٢٦/٤ .

(٢) في الأصل ، والمرجع السابق « وجبى » . والمثبت عن إتحاف السورى

وَحَضُّوهُ عَلَى الْإِحْسَانِ إِلَى الَّذِينَ بِالْعَدِّ ، وَأَنْ يَلِينَ لَهُمْ جَانِبَهُ ، فَلَمْ يَمِلْ لَذَلِكَ ؛ لَمَّا غَلَبَ عَلَى ظَنِّهِ — وَهُوَ الْوَاقِعُ — أَنَّ الْإِحْسَانَ إِلَيْهِمْ لَا يَنَالُ بِهِ مِنْهُمْ قَصْدًا .

وَبَعَثَ خِيَلًا وَرَجُلًا إِلَى جَدَّةَ فَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا — وَكَانَتْ خَالِيَةً مِنْ أَكْثَرِ الْمُبَايِنِينَ لَهُ — وَتَوَاطَأَ الْأَشْرَافُ وَالْقَوَادُّ عَلَى أَنْ يَرْحَلَ هَـ جَمَاعَةٌ مِنَ الْقَوَادِّ مِنَ الْعُدِّ ، حَتَّى يَنْزِلُوا فِي حِلَّةِ الْأَشْرَافِ بِالْذِكْنَاءِ بِوَادِي مَرٍّ ؛ لِلْإِسْتِنْصَارِ بِالْأَشْرَافِ . فَفَعَلَ الْقَوَادُّ ذَلِكَ ، وَذَلِكَ لِحَزْمِهِمْ ، فَأَكْرَمَهُمُ الْأَشْرَافُ . وَقَصَدَ الْمُرِيدُونَ لَذَلِكَ مِنَ الْأَشْرَافِ أَنَّ الشَّرِيفَ إِذَا أَمَرَهُمْ بِقِتَالِ الْقَوَادِّ وَمَنْ انْضَمَّ إِلَيْهِمْ ، قَالَ لَهُ الْأَشْرَافُ : كَيْفَ نَقَاتِلُ مِنْ اسْتِجَارِ بَنِي ، وَنَزَلُ بِجَلَّتْنَا ؟! لَكُنْ ذَلِكَ ١٠ لَا يَحْسُنُ عِنْدَ الْعَرَبِ . وَلَمَّا اتَّفَقَ ذَلِكَ خَرَجَ جَمَاعَةٌ مِنْ آلِ أَبِي نَمِيٍّ وَذَوِي مَبَارَكٍ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الذِّكْنَاءِ لِقَصْدِ مَكَّةَ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ مِنْهَا نَائِبُهَا مِفْتَاحُ الزُّفْتَاوِيِّ ^(١) فَتَى الشَّرِيفِ حَسَنُ بْنُ عَجْلَانَ فِي خَيْلٍ وَرَجُلٍ ، فَالْتَقَوْا مَعَ الْقَوَادِّ وَالشَّرَفَاءِ ، فَكَانَ النَّصْرُ لِلشَّرَفَاءِ وَمَنْ انْضَمَّ إِلَيْهِمْ ، وَخَفَرُوا جَمَاعَةً مِنْ عَسْكَرِ مَكَّةَ ، وَأَخَذُوا خَيْلَهُمْ وَسِلَاحَهُمْ . ١٥ وَلَجَأَ الزُّفْتَاوِيُّ إِلَى جَبَلٍ قَرِبَ الْمَعْرَكَةِ ، وَمَا زَالَ بِهِ حَتَّى قُتِلَ ، وَقُتِلَ غَيْرُهُ مِنْ جَمَاعَتِهِ ، وَقُتِلَ [مِنْ] ^(٢) الشَّرَفَاءِ فَوَازَ بْنُ عَقِيلَ بْنِ

(١) هُوَ الْقَائِدُ مِفْتَاحُ الزُّفْتَاوِيِّ الْحُسَيْنِيُّ ، لَهُ تَرْجُمَةٌ فِي الْعَقْدِ الثَّمِينِ ٢٦٤/٧ بِرَقْمِ

٢٥١٢ ، وَالضُّوءُ اللَّامِعُ ١٠/١٦٦ بِرَقْمِ ٦٧٩ .

(٢) سَقَطَ فِي الْأَصْلِ ، وَالْمَثْبُوتُ عَنِ الْعَقْدِ الثَّمِينِ ١٢٧/٤ .

- مبارك^(١) . وكانت هذه الواقعة في يوم السبت ثاني عشر رمضان سنة ١
عشرين وثمانمائة . ورجع الشرفاء ومن انضم إليهم إلى العد ، وشقَّ
[على]^(٢) الشريف كثيرا ما صدر منهم ، وقتلهم لنائبه . ثم سعى
جماعة من الشرفاء من ذوي أبي نَمي وغيرهم في الصلح بينه وبين
الذين بالعد ، على مال يبذله لهم الشريف ، ولا يُحْدِثُونَ حدثا في
طريق من طرق مكة إلى انقضاء هذه السنة ، وعشرة أيام من المحرم
سنة إحدى وعشرين وثمانمائة . فرضى بذلك الفريقان ، وتعاقدا عليه
وتوثقوا ، وأحسن إليهم الشريف بتسليم ما وقع الاتفاق على تسليمه
معجلا ، واطمأن الناس . وقدم التجار من اليمن أكثر من كل سنة ،
من غير توقف في الدخول إلى جدة ؛ لإذن السلطان لهم في ذلك . ١٠
وكان دخول التجار إلى جدة في صفر من هذه السنة ، بغير إذن من
السلطان باليمن ، وإنما ذلك باختيار المتقدمين في أمر المراكب ؛
لعدم قدرتهم على التجوير على جدة إلى ينبع ، لكون تجويرهم عليها
يوافق اختيار صاحب اليمن . ولما دخلوا إلى جدة لم يُشَوِّشْ عليهم
نوابُ الشريف ، وساهلهم الشريف في المكس المتعلق بحمل ١٥
السلطان ، وأسقط عنهم بَعْضَهُ واعتذر مما أخذه بالحاجة إليه ،
فأعجب ذلك السلطان ، وأمر التجار بقصد جدة / فقصدوها ثانيا
١٥٨ ظ كما ذكرنا ، ومضوا إلى بلادهم بعد الحج وهم سالمون من النهب .
ولله الحمد .

(١) هو فواز بن عقيل بن مبارك بن رميثة بن أبي نَمي الحسني . له ترجمة في العقد

الشمين ٢٠/٧ برقم ٢٣١٢ .

(٢) سقط في الأصل ، والمثبت عن العقد الشمين ١٢٧/٤ .

- ١ وفي النصف الثاني من شوال سنة عشرين وثمانمائة : قدم من مصر على الشريف ابنه السيد بركات ، فسُرَّ به ، ولما طاف بركات بالكعبة دُعي له على زمزم كعادة أمراء مكة ، وصار أبوه ينوّه له بالإمرة ، ويقول لبني حسن وغيرهم : هو سلطانكم .
- ٥ وفي شهر ربيع الأول من سنة إحدى وعشرين وثمانمائة : أظهر للناس أنه تخلى عن إمرة مكة لابنه السيد بركات ، بحيث أجلسه على المفرشة بالمسجد الحرام ، وجلس هو على مفرشة عنده ، وأمر من في خدمته بالحلف له ، فحلفوا له ، وأمرهم بالخروج في خدمته والنزول بالركاني بوادي مَرَّ ففعلوا ؛ لأن أكثر الذين بالعد من ذوى رُمَيْثَة ، وذوى أبنى نَمِيٍّ والقواد رحلوا من العد حتى نزلوا حَدًّا^(١) . ولم يسهل بالشريف نزولهم بحدًا ، لأن جماعة من وجوه القواد كانوا ذكروا للشريف أن الذين بالعد لا يرحلون منه إلى غيره إلا بإخباره . ولما نزل السيد بركات ومن معه بالركاني لم يسهل ذلك بالذين نزلوا بحدًا ، ورغبوا في أن الشريف يأمر ولده بالرحيل عنهم إلى الجديد ونحوه من وادي مَرَّ ، ويدخلون بأجمعهم في طاعته ، ويمضى إلى ١٥ الشرق ؛ فإنه يختار ذلك ، ولا يحدثون حدثًا إلى انقضاء سنة إحدى وعشرين وثمانمائة ، وعشرة أيام من التي بعدها . فوافق الشريف على ذلك ، وأجابهم إلى ما سألوه من الإحسان إليهم بما عودهم به في كل سنة قبل هذه الفتنة ، على عادتهم في أخذ ذلك منجما ،

(١) حدا : بفتح الحاء : مدينة على الطريق بين مكة وجدة في منتصف الطريق

تقريباً . وقد تهمز فيقال حداء كما يقال حدة . وانظر معجم البلدان لياقوت .

- وأعطى ذوى مبارك^(١) دية رضوها فى فَوَّاز بن عقيل بن مبارك — مع كونه يرى أنها لا تلزمه — وحمله على ذلك حبه لحسم مواد الشر ، وما انطوى عليه من الصفع والحلم ، ولذلك حلم على الذين خرجوا عن طاعته ، ولايموا ابن أخيه رُمِيَّةً وقتلوه ، من عبيد أبيه وأخيه وأولادهم ، واستدعاهم من خَلِي ، ومن اليمن ، وأجراهم على رسومهم التى كانوا عليها قبل جموحهم عن طاعته . فالله تعالى يزيده توفيقا ، ويسهل له إلى كل خير طريقا . وكان وصول أكثرهم إليه فى أخريات ذى القعدة من سنة عشرين وثمانمائة .

- وفى ربيع الأول من سنة إحدى وعشرين وثمانمائة : جَمَح الشريف أحمد [بن الشريف حسن]^(٢) عن طاعة أبيه ؛ لكونه ١٠ قَدَّمَ أخاه بركات عليه فى الإمرة ، وأرسل إليه أبوه من يستعطفه ، ويعده عنه بذهب ومركوب ، فلم يمل أحمد لذلك . واجتمع إليه جماعة الطماعة ، ومضوا لجدة ، وتخطفوا منها أشياء . ولم يسهل ذلك بأبيه . ثم إن كثيرا من الذين كانوا مع أحمد تخلوا عنه لملامة أقاربهم لهم على ملايمته ؛ لكون ذلك لا يُرضى أباه — ولما عرف هو ١٥ ذلك حَضَرَ إلى حَدًّا ، ونزل بها — والله يصلح أحوالهم — ثم دخل فى الطاعة ، وأقام على ذلك وقتا ، ثم خالف ومضى إلى ينبع ، وأتى منها مع الحجاج فى سنة إحدى وعشرين إلى أبيه بمكة ، فلم ير ما

(١) فى الأصل « بنى مالك » ، والتصويب عن العقد الثمين ١٢٩/٤ ، وإتحاف

الورى ٥٥٦/٣ .

(٢) إضافة عن العقد الثمين ١٢٩/٤ .

يعجبه ، فعاد مع الحجاج إلى صوب ينبع بعد الحج من هذه السنة .

وفيها بعث أبوه ولده السيد إبراهيم إلى بلاد اليمن مستعظفا / ١٥٩ و
لصاحبها الملك الناصر ، فعطف عليه كثيرا بعد أشهر كثيرة ،
وجهزه إلى مكة بعد أن أمر له بصلة متوسطة .

وفيها كتب الملك الناصر إلى صاحب مصر الملك المؤيد
[كتابا] ^(١) يذكر فيه شيئا من حال السيد حسن بن عجلان ؛ لأن
الملك المؤيد [كان] ^(٢) كتب إلى الملك الناصر على يد سفيره
القاضي أمين الدين مُفْلِح التركي كتابا يستعطفه على السيد حسن ،
وذكر فيه شيئا من حاله .

وأما ما ذكره الملك المؤيد فهو :

وأما الشريف حسن بن عجلان ، فإنه بلغنا أنه طابق تسميته
بالعكس ، فرسمنا بطرده ، و [قلنا] ^(٣) هذا الكدر لا يليق عند
سكان الصفا ، فقربنا إليهم المسرة ببعده ، وعلمت أهل مكة منا
بذلك ، فأنكرت مشاركته في البيت ، وأخرجته من الحرم الشريف ، ١٥
وأغلقت الأبواب ، وقالت : هَيْت . وانقطع أملُه من ورود زمزم ،
وقد جرّعته كئوس البين مرارة الإصدار ، وتيقن قتل نفسه عند

(١) سقط في الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ١٣٠/٤ .

(٢) إضافة على الأصل .

(٣) سقط في الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ١٣٠/٤ ، وإتحاف الوري

خروجه من الديار ، ولم تتعرف به عرفات لما طرد منكرا على وجل ،
 ولا أمكنه أن يقول بعدها : سأوى إلى جبل ، وأيقن أن يصاب من
 كنانة مصر بسهام يبلغ بها المقام الغرض ، ويقول ببلاغة وإيجاز :
 سهم أصاب وراميه بذى سلم من الحجاز ، وعلمنا أن سيفنا
 المؤيدي لابد أن [يسبق]^(١) فيه العزل ، ويدخله في خبر كان ،
 وتتغنص حياته ، ويأتيه الموت كأبيه عجلان .

وَيُمْسِي الْيَمَانِي نَائِمًا مِلءَ جَفْنِهِ
 وَمِنْ كَثْرَةِ التَّطْوِيلِ يُخْتَصِرُ الرَّمْحُ
 كَذَلِكَ مَدِيدُ الْبَحْرِ يَمْضِي زِحَافُهُ
 ١٠ بَتَقْطِيعِهِ قَهْرًا وَيَتَضَحُّ الشَّرْحُ
 وَفِي خَدِّهِ يُمْسِي السُّرُورُ مُجَدِّدًا
 وَلِلطَّيْرِ فِي أَفْنَانِهَا بِالْهَنَا صَدْحُ
 وَيَعْدُبُ مِنْ عَيْذَابِ أَرْيَاقِ ثَغْرِهَا
 وَشَامٌ بِهَا مِنْ لَذَّةِ الشُّرْبِ مَا يَصْنَحُو
 ١٥ وَأَعْدَاؤُنَا أَعْدَاؤُكُمْ غَيْرَ أَنَّهُمْ
 ظِلَامٌ مُحَاهٍ مِنْ صَدَاقَتِهِ الصُّبْحُ
 ونزل بعد ذلك على الطور ، فقال له لسان الحال ﴿ وَالْبَحْرِ

(١) سقط في الأصل ، والمثبت عن المرجع السابق ، وإتحاف الوري ٥٤٧/٣ .

- أَلْمَسْجُورِ* إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿١﴾ وَفِيهِمْ ﴿٢﴾ إِغْرَابَ سِيفِنَا عَنْ ١
صرفه ، فصرف نفسه ، ولم يتقو على الصرف بمانع . وتحقق أنه فعل
فاحشة وظلم نفسه ، فذكر الله تعالى واستغفر لذنبه ، واستجار بقوله
تعالى ﴿ وَإِنْ تَعُفُوا وَتَصْنَفُحُوا وَتَغْفِرُوا ﴾ ﴿٣﴾ إلى آخر الآية . فرأينا
العفو أليق به ، وعلى كل حال فهو شريف ، ورتبته في الشرف ٥
رفيعة ، وقد تاب من ذنبه ، وطمع في أن يكون المقام الأحدي
شفيعه ، والتزم بالتوصل إلى رضا الخواطر الكريمة عليه ، وبَرَدَ
الأمانات إلى أهلها ؛ ليفوز بالتفات العواطف الناصرية إليه ، وأَقْسَمَ
بالبیت العتيق أن يتقرب إلى المقام بإخلاص جديد ، وقال : إن كل
أحد يعرف أن الحنو الأحمدى على الحسن غير بعيد . انتهى . ١٠
وأما ما كتب به الملك الناصر في هذا المعنى فهو :

وأما الإيماء إلى الصفح عن الشريف بدر الدين ، فما كان
إلا صديقا صدوقا ، ورفيقا / رفيقا ، ثم بدا له في ذلك ؛ فأخذ ١٥٩ ظ
ينقض غزل تلك الصداقة بعد القوة ، ويحلُّ عُرَى ذلك الرفق عروة
عروة ، ويُحِدُّ على التجار كل عام حادثة ، وكلما تضجروا من ١٥
واحدة أتبعها بثنائية وثالثة ، حتى تواصلت بشكواه الألسنة ، فأردنا
إيقاظه من هذه السنّة ، بأن نُنْقِلَ موسم التجار إلى ينبع ، وأن

(١) سورة الطور الآيتان ٦ ، ٧ .

(٢) في الأصل « وفيه » ، وفي العقد الثمين ١٣١/٤ « وفيهم » ، والتصويب عن

إتحاف الورى ٥٤٧/٣ .

(٣) سورة التغابن آية ١٤ .

تشحن المراكب بالمقاتلة صيانة [لها] ^(١) عن التتبع ؛ ليعلم أن العدل هدى وعمارة ، وأن الجور خراب وخسارة .

ولما حصلت الإشارة الشريفة بتلافي ما فرط منه ، وتدارك ماصدر عنه ، أرسل وَلَدَه ، وشرط على نفسه هذه الشروط الصادرة ، وقد تحاملنا له فيها على التجار لنطيب خاطرهم ؛ فإن زيادتها على ما كان يأخذ سلفه منهم ظاهرة ، وأردنا أن يكون تمام ما بدا به المقام الشريف على يديه ، ويعرف ما شرط على نفسه لينفذه ويقضى به عليه ، فقد رضينا جميعا بأن يكون هو الحاكم ، والآخذ على يد الظالم ، وحتى يعلم من يحور بعد الكور ^(٢) ، ويركب مطية الخلف والجور ، ويسأله كتب منشور عن المرسوم الشريف ، يستعصم به السفراء والتجار عند الحاجة إليه . ويشار فيه إلى أمير الحاج أن يكون في الوفاء به شاهدا وحاكما عليه ، فما ينتقض امرؤ أبرمته عنايته ، ولا يضل سالك أرشدته هدايته . انتهى .

وكتاب صاحب اليمن من إنشاء أديب اليمن وفاضله : القاضي شرف الدين إسماعيل ابن أبي بكر ، المعروف بابن المقرئ ، وهو مؤرخ برمضان — أو شوال — من سنة إحدى وعشرين وثمانمائة . وكتاب صاحب مصر من إنشاء الأديب البارع : تقي الدين

(١) إضافة على الأصل .

. ١٣٢/٤ .

(٢) أي من ينقص بعد الزيادة ، ومنه قولهم : نعوذ بالله من الحور بعد الكور .

أي من النقص بعد الزيادة . (المعجم الوسيط) .

أبي بكر بن علي بن حِجَّة الحموي ، وهو مؤرخ بالمحرم سنة عشرين وثمانمائة .

وفي اليوم الأول من ربيع الآخر من سنة إحدى وعشرين وثمانمائة : توجه السيد حسن من مكة قاصدا للشرق . وعَدَلَ إلى صوب الطائف ، فخرَّب أماكن بُلُقَيْم ، والعقيق ، ووَجَّ — من وادى الطائف — خرابا كثيرا ، وهدم حصنا لعوفٍ بِلِيَّة ؛ وسبب ذلك توقُّف أهل الأماكن المشار إليهم عن تسليم ما قرره عليهم من القُطْعَة ؛ لزيادتها على العادة ، مع ما هم فيه من ضيق الحال ؛ بسبب الجباية التي أخذها منهم في العام الماضي ، ومع ذلك فما وسع أهل الأماكن المشار إليها إلا استعطافه ، وتسليم ماضيهِ ، ١٠ واتهموا جُوَيْعَدَ بن ثُمَيْرٍ صاحب أبي الأخيلة ، فإنه أغرى بهم في ذلك الشريف حسن بن عجلان . فلما عاد الشريف حسن من الشرق [إلى مكة] ^(١) خادعوا جويعداً واستحضروه إليهم بقرية السلامة ^(٢) ، ومنعوه الخروج من المنزل الذي اجتمعوا فيه ، وقصد طائفة كثيرة منهم حصنه أبا الأخيلة ؛ فأخبروه خرابا فاحشا ، ثم ١٥ أطلقوه سالما في بدنه .

(١) سقط في الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ١٣٣/٤ .

(٢) السلامة : من قرى الطائف كثيرة البيوت والبساتين وبها عين ، وكان ينزلها أعيان مكة وفضلاؤها بل غالب أهلها ، وضربت في سنة ١٠٨٠ هـ وانهدمت بيوتها في مدة يسيرة ، ولم يبق منها إلا القليل ، وأصبحت عبء لمن يعتبر . (إهداء اللطائف من أخبار الطائف ٨٨) . وفي معجم معالم الحجاز أنها حي من أحياء الطائف حالياً وبه يقع مسجد ابن عباس رضي الله عنهما .

- وفيهما وصل من صاحب مصر إلى الشريف حسن عدة ١
كتب ، منها كتاب في حادى عشرى ربيع الأول ، فيه إعلامه بقوة
عزم السلطان على الحج في هذه السنة ، وأمره بتسلم^(١) ما وصل
من الغلال إلى جدة ، ونقل ذلك إلى مكة ، والاحتفاظ بذلك .
وفيه مطالبة بعشرة آلاف / مثقال بقيت عنده من الثلاثين الألف ١٦٠
المثقال ، التى التزم بها للخزانة الشريفة لما سأل العود إلى إمرة مكة .

- ومنها كتاب آخر فيه إعلامه بتفويض [أمر^(٢)] بيع الغلة إلى
علاء الدين القائد ؛ لإعراض السلطان عن الحج . وفيه العتب عليه
لكونه لم يرسل مع علاء الدين بالعشرة الآلاف المثقال . وكان وصول
ذلك إليه فى آخر ذى القعدة وهو بجدة ، وحضر إلى مكة قبل ١٠
هلال الحجة بليلة أو ليلتين ، وحضر لخدمة الحمل المصري ، وتردد
لأمراء الحاج والأعيان بمكة ومنى ، وأقام بمكة إلى تاسع عشرى ذى
الحجة ، وتوجه إلى جدة عند توجه الناس إليها لليمن ، وأقام بجدة
أياماً كثيرة ، وتوجه منها بعد سفر أكثر الناس ، ووصول الطيب بن
مكاوش سفير صاحب اليمن فى تابة^(٣) فيها حمل للسلطان وغيره ، ١٥
وقصد صوب اليمن ناحية الخريقين^(٤) . وجاوز ذلك وراسل صاحب

(١) فى الأصل ، والعقد الثمين ١٣٣/٤ « بتسليم » ، والمثبت عن إتخاف الورى

. ٥٥٧/٣

(٢) إضافة عن العقد الثمين ١٣٤/٤ .

(٣) تابة: كذا فى الأصل ، والعقد الثمين ١٣٤/٤ ، ولعلها تابة وهى السفينة

الصغيرة ، ويقال إنها للسياحة أو الرياضة . (المعجم الوسيط) .

(٤) الخريقين : وتسمى حالياً الخرقان ، وهى قرب الليث . (معجم معالم

الحجاز) .

١ حَلِي محمد بن موسى بن أحمد بن عيسى الحرامي في أن يزوجه أخته ، ورغب في أن تُزَف إليه ، فأجابه إلى تزويجها بشرط حضوره إليهم . فأعرض عن الحضور إليهم ، ولم يأت مكة إلا في الحادى عشر من ربيع الآخر سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة .

٥ وفي آخر اليوم الثانى عشر منه توجه لصبوب الشرق ؛ لأنه بلغه أنه كثير المطر ، وليقوى به أمرٌ من أرسلهم إلى الطائف وليّة لقبض القُطْعَةِ التى قررها على أهل الطائف وليّة — والله يُحمد العاقبة — وكان من خبره بعد ذلك أن عسكره أخرجوا أماكن يُلَقِّم والعقيق ووَجَّ — من وادى الطائف — ثم أمر بإخرا ب حصن الطائف المعروف بحصن الهجوم ، بسعى جماعة من الحمدة [عنده ١٠ في ذلك ، فأخرب]^(١) جانب كبير منه ، وأعان المخربين له على إخرا به أن بعض أعيان عسكر الشريف استدعوا بعض أعيان [أصحاب]^(٢) الحصن ، فحضرُوا إليهم وهم لا يشعرون بما يريدُه عسكر الشريف ، فلما أوثقهم^(٣) عسكر الشريف ساروا لإخرا ب الحصن ، فرماهم منه بعض النسوة اللائى^(٤) به ، وكادوا يحمونَه ، ثم ١٥ قيل لمن^(٥) فيه : إما أن تُسلِّمُوا الحصنَ وإلا ذبحنا الذين عندنا

(١) بياض في الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ١٣٤/٤ ، وإتحاف الورى

. ٥٦٣/٣

(٢) في الأصل « أمسكهم » ، والمثبت عن المرجعين السابقين .

(٣) في الأصل ، والعقد الثمين ١٣٥/٤ « الذى » .

(٤) كذا في الأصل بضمير جمع المذكر السالم .

(٥) في الأصل ، والعقد الثمين ١٣٥/٤ « لهم » ، والمثبت عن إتحاف الورى

. ٥٦٣/٣

منكم . فرق لهم الذين بالحصن فَسَلَّمُوهُ . فهدم . ثم سعى أصحابه ١
عند الشريف في أن يوقف عسكره عن هدمه ، وفي عمارته ؛
فأجابهم لقصدهم ، وأعادوا كثيرا مما هدم بالبناء ، وأمر بإخراب
الموضع المعروف بأَم السكارى^(١) — جبل السلامة من وادي
الطائف — لأن الذين بنوا فيه من الحمدة هم الذين قاموا في هدم .
حصن أبي الأخيلة : حصن جُوَيْعِد ؛ لانتمائه للشريف . فهدم ذلك
هدما دون هدمه الأول . وعاد الشريف إلى مكة بعد أن صارت إليه
القطعة التي قررها على أهل الطائف وليّة ، وسلك في طريقه طريق
نخلة اليمانية . فلما كان بالزيمة منها أمر بقطع نخيل فيها وإخرابها ؛
لَعَنِيهِ أمرا على أهلها . فاستعطفوه وهادوه بنخيل ، ومضى منها إلى ١٠
سُوْلَة ، ثم إلى خيف بنى عُمَيْر ، ثم إلى المُبَارَك ، ثم إلى وادي
مَرّ ، وأتى منه إلى مكة في أثناء رجب سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة ،
وتردّد منه إلى مكة غير مرة ، وزوّج / بالوادي ابنه أبا القاسم في
شعبان .

١٥ وفيه ظهر منه ميلٌ إلى القواد العمرة على الشرفاء آل أبي نَمِيّ ،
ولفيفهم من القواد العمرة . وكان قد حصل بينهم — في غيبته
بالشرق في هذه السنة — كَدَرٌ سببه أن مُقْبِل بن هبة بن أحمد بن
سنان بن عبد الله بن عمر القائد العمري استغفل جُلْبَان بن أبي
سويد بن أبي دعيح بن أبي نَمِيّ ، فضربه بالسيف ليلا وهو متوجه

(١) أم السكارى : هي الهضبة المنقادة في الأرض ، المطلة على حي قروى من

الجنوب في الطائف . (معجم معالم الحجاز) .

إلى مكة ؛ فحمى لجليان قومه ، واحترز منهم القواد العمرة ،
 واستنصروا عليهم . وامتنعوا منهم إلى أن وصل الشريف من الشرق .
 فاستماله القواد فمال معهم ، وأمر الشرف ولقيهم من القواد ألا
 ينزلوا بحدابطريق جدة ؛ فخالفوه . فلم يسهل به ذلك وكثر ميله
 ونصرته للمعاندين للشرف من القواد ، فتعبوا لذلك ورحلوا من حدا
 بعد إقامتهم بها شهر رمضان وأياما من شوال ، بعد أن صرف لهم
 نحو ألف وخمسمائة إفرنتي — وكان هو في غالب شهر رمضان
 وشوال والقعدة بجدة ونواحيها — وأتاه في شوال جلاب من اليمن فيها
 ما خرج من حمل مراكب الكارم التي انصلحت برأس المخلاف في
 شهر صفر من هذه السنة ، فحصل له منها نفع جيد . ثم وصلت
 المراكب الكارمية إلى جدة — وهو بها — في آخر القعدة ، فصالحه
 التجار الذين بها على عشرة آلاف إفرنتي ، بعد وصوله إلى مكة
 لملاقاة الحاج . وتردد إلى أعيان الحجاج وخدمهم وهاداهم وهادوه ،
 وحج الناس مطمئنين فله الحمد .

١٥ وحصل بجدة في أوائل سنة ثلاث وعشرين خلل في بعض
 مراكب الكارم ، عندما عزموا من جدة إلى ينبع . فأمرهم الشريف
 بالتنجیل ، فصالحوه عن ذلك بألفي إفرنتي ، وتوجه هذا المركب
 وغيره من مراكب الكارم وجلابهم إلى ينبع ونجلوا بها .

وفي الرابع عشر من صفر من هذه السنة ، وصل كتاب من
 المؤيد صاحب مصر — نصره الله — إلى الشريف يتضمن : عتبه ٢٠
 عليه في أمور . منها : أخذه الموجب من المتاجر السلطانية ، فإن في

- ١ المراكب المشار إليها حملا منسوباً لصاحب مصر .
- ومنها : لكونه كان في العام الماضي يشتري ما يرد بجدة من الحَبِّ والتمر ويخزنه ، ويبيعه للناس .
- ومنها : لتأخره [عن ^(١) إرسال ما بقي عليه للخزانة الشريفة السلطانية المؤيدية ، مما التزمه لها حين ولي إمرة مكة في سنة ٥ تسع عشرة وثمانمائة ، وهي عشرة آلاف مثقال ؛ لأنه كان التزم بثلاثين ألف مثقال ، سلَّم عشرين وبقي عليه عشرة .
- وفي الكتاب إليه عتب قوي لتأخيره إرسال هذا المبلغ ، وكلمات مزعجة للخاطر ، منها ما معناه : ولا تظن أن إهمالنا لك عجزٌ عن حصولك في قبضتنا الشريفة ، وإنما لما حسنت منك ١٠ السيرة في بعض الأمور ، قلنا : لعل الله أن يحسن في الباقي ، وقد انزعج خاطره لذلك كثيرا ، وحمله ذلك على التنصل من إمرة مكة ؛ فكتب يسأل في تفويضها لولديه السيدين بركات وإبراهيم ، وذكر أنهما يقومان للخزانة الشريفة بالعشرة الآلاف المثقال المطلوبة ١٦١ منه عند ولايتهما ، / وأنهما أولى منه بالإمارة ؛ لقوتهما ولضعف بدنه ١٥ وحبه للعبادة ، وذكر أنه لم يأخذ موجبا من المتاجر السلطانية ، وأنه لم يشتري ما اشتراه من الحب والتمر في العام الماضي بقصد احتكاره ، وإنما اشتراه لحاجته إليه لنفقته ونفقة عسكره ، فلما رأى اضطرار الناس باعه عليهم ، فكان في خزنه لذلك وبيعه نفع للناس .

(١) إضافة عن إتحاف الوري ٥٧١/٣ .

- ١ وإلى آخر السنة لم يأتَه جواب عن كتابه . وتوجّه عقيب كتابه في آخر صفر لصوب حَلِي ، فبلغها ، وتلقّاه صاحبها محمد ابن موسى إلى الحَسَبَةِ ، وبنى في حَلِي بأخت محمد بن موسى المذكور ، وتوجّه بها معه إلى مكة فبلغها في خامس رجب . وقد سبقه إليها — في مستهل رجب — شيخنا العلامة المفنن عُمدَةُ المقرئين شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف بن الجزري الدمشقي الشافعي ، قاضي القضاة بمملكة شيراز ، أدام الله به النفع ، وعامله باللطف ؛ فإنه توجه من شيراز مريدًا للحج في العام الماضي ، فعرض له بنو لأم بقرب عُنيْزَة ، فذهبوا ما معه من التحف التي استصحبها. هدية لأعيان أهل الحرمين ، وتأخر بعنيزة لتحصيل كُتبه وترقيع حاله . فلما ظفر بكتبه توجه قاصدا للمدينة النبوية ، فذهب بعض بنى حسين ثانيا ، وتوصل إلى المدينة النبوية في صفر من هذه السنة ؛ فأقرأ بها القرآن والعلم ، وأسمع الحديث . وتوجّه منها في جمادى الآخرة إلى ينبع ، وركب من هناك البحر إلى جُدَّة ، وتوصل منها إلى مكة ؛ ففعل بها ما فعله في المدينة من إقراء القرآن والعلم والإسماع . وحضر إليه الشريف حسن بن عجلان وبعض أولاده ، وأعيان غلمانِه ، وسمعوا على شيخنا المذكور شيئا من الحديث ، وقصيدة مدح بها السيد الشريف حسن بن عجلان ، أولها :

سَلَامٌ كَتَشَرِ الْمِسْلِكِ فِي السَّرِّ وَالْعَلَنِ

٢٠ يَضُوعُ عَلَى مَنْ وَجْهَهُ كَاسِمِهِ الْحَسَنِ

قلت (١) : وباقها هو :

- حَسِيبٌ نَسِيبٌ سَيِّدٌ مُتَوَاضِعٌ
 شَرِيفٌ ظَرِيفٌ كُلُّ وَصْفٍ لَهُ حَسَنٌ
 فَكُنِيَ حَارَ حُسْنِ الْخُلُقِ مَعَ حُسْنِ خَلْقِهِ
 وبِالْجِدِّ نَالَ الْجَدُّ مِنْ جَدِّهِ الْحَسَنُ .
 فَبَشَّرَاهُ إِنَّا قَدْ رَوَيْنَا مُسَلْسَلًا
 عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ عَنِ السَّيِّدِ الْحَسَنِ
 عَنِ الْحَسَنِينِ الْأَسْمِ وَالْوَصْفِ [قَدْ] (٢) أَتَى
 أَحْسَنُ الْحَسَنِ الْوَافِي هُوَ الْخُلُقُ الْحَسَنُ
 كَذَلِكَ قَوْلُ الْمُصْطَفَى سَيِّدِ الْوَرَى
 حَدِيثًا رَوَيْنَاهُ مُسَلْسَلُهُ حَسَنٌ
 إِذَا حَسَنَ الرَّحْمَنُ خَلَقًا مِنْ أَمْرٍ
 وَخُلُقًا فَلَيْسَ النَّارُ مِنْ ذَاكَ تَطْعَمَنُ
 إِلَّا يَابَنَ عَجَلَانَ الَّذِي عَمَّ عَدْلُهُ
 حِجَازًا وَنَجْدًا مَعَ تِهَامَةٍ وَالْيَمَنُ ١٥
 وَمَنْ جُودُهُ أَحْيَا الْبِلَادَ فَمَا عَسَى
 يُقَابِلُهُ جُودُ الْعِمَامِ إِذَا هَتَّنَ
 وَمَنْ صَوْنُهُ فِي الْحَرْبِ أَعْظَمُ جُنَّةً
 فَمِنْ ذَاكَ لَا يُحْتَاجُ مَعَهُ إِلَى جُنَنِ /

(١) أي مؤلفنا العز بن فهد .

(٢) إضافة يستقيم بها الوزن .

١٦١ ظ

وَمَنْ وَجْهُهُ فِي السَّلَامِ يُشْرِقُ نُورُهُ

وَلَكِنَّهُ إِذْ زَيْنَ بِالْحِلْمِ مَافَتَنُ

مَلِيكَ لِمَنْ وَالَاهُ أَحْنَفُ فِيهِمْ

وَلَكِنْ عَلَى الْأَعْدَاءِ سَيْفُ بْنُ ذِي يَزَنُ

فِيَا أَيُّهَا الْحَادِي تَرْتَمُ بِذِكْرِهِ

وَأَطْرِبُ وَرَجَّعُ فِي الْحِجَازِ بِهِ وَغَنُ

وكرر على العشاق يخلو وطيب الـ

مَقَامَ بُعُودٍ لَا كَمَنْ جَاءَ بِيرَ بِن (١)

وَفِي حَسَنِ قُلْ فِي الْحُسَيْنِيِّ وَحَسَنَ

١٠ وَغَنُ بِهَذَا الْمَدْحِ لَا مَدْحَ مَنْ لَحَنُ

إِلَيْكَ قَطَعْتُ الْبَيْدَ وَالْحُجَّ مُنْتَبِي

وَقَدْ نَالَنِي كُلَّ الْمَخَافِ وَالْمَحَنُ

وَلَا سِيَّماً لَمَّا عَبَرْتُ عُزَيْرَةً

وَجَاءَتْني الْأَعْرَابُ وَاللَّيْلُ قَدْ أَجَنُ

١٥ وَفِي لَحْظَةٍ جَارُوا عَلَى كُلِّ مَامَعِي

وَحَازَوْهُ حَتَّى عَرَّوْا الرَّأْسَ وَالْبَدَنُ

وَأَصْبَحْتُ مُلْقَى وَسَطَ بَرِّيَّةٍ وَلَا

مُجِيبٌ وَلَا دَاعٍ سِوَى الْوَحْشِ وَالِدِّمَنُ

فَسُبْحَانَ مَعْبُودٍ يُعِينُ إِذَا قَضَى

٢٠ وَيَعْطِفُ بِالْعَبْدِ الَّذِي جَا (٢) لَيْسْتَ كُنْ

— (١) كذا في الأصل

(٢) في الأصل « محو » ، وعليها علامة خطأ (X) ولعل الصواب ما أثبتته .

- ١ وَمَا أَسْفَى إِلَّا عَلَى الْحَجِّ فَاتْنَى
وَأَيْضًا عَلَى مَا كَانَ بِأَسْمِكَ مِنْ زَمَنٍ
وَلَيْسَ بِخَافٍ عَنْكَ مَا هُوَ صُحْبَتِي
إِذَا رُمْتُ حَجًّا أَوْ خَرَجْتُ مِنَ الْوَطَنِ
٥ لِلْأَصْحَابِ وَالْأَهْلِينَ فِي مَكَّةَ وَفِي الْ-
شَّامِ وَمِصْرَ وَالْمَدِينَةِ فَانْظُرُنِ
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو كُرْبَتِي لِيُغِيثَنِي
وإنْ لَمْ تُغِيثْنِي يَا إِلَهَ الْوَرَى فَمَنْ
وَقَدْ تَحَسَّنُ الشُّكْوَى إِلَى ذِي مُرُوءَةٍ
١٠ يُوَاسِيكَ أَوْ يُسْلِيكَ أَوْ يَتَوَجَّعُنِ
وَلَوْ أَنَّ مَا بِي مِنْ ضَنْى وَصَبَابَةٍ
عَلَى جَبَلٍ لَمْ يَبْقَ فِي النَّارِ مِنْ سَكَنٍ
لَعَلَّ إِلَهَ الْعَرْشِ يَرْحَمُ غُرْبَتِي
وَيَجْبُرُ كَسْرِي فَهُوَ مَا زَالَ ذَا مَنْ
١٥ مُجَاوَرَتِي تَكْفِي وَرُؤْيُهُ وَجْهَكُمْ
وَإِقْرَأَنِي الْقُرْآنَ وَالْعِلْمَ وَالسُّنَنَ
وَإِسْنَادِي الْعَالِي الصَّحِيحَ عُشَارِيًّا
إِلَى الْمُصْطَفَى لَا بِالْأَشَجِّ وَلَا رَنْ
وَأُخِذَى عُمَرَاتٍ مِنَ الْحِلِّ قَانِعِي
٢٠ وَسَعْيِي وَتَطَوُّفِي لَدَى الْبَيْتِ تَكْفِينِ
وَأَرْجُو مِنَ اللَّهِ الْكَرِيمِ يُنِيلَنِي
لَدَى قَابِلٍ مَبْرُورٍ حَجٍّ وَيُثَبِّتَنِي

فَيَارَبِّ قَدَّرْنِي عَلَى ذَا وَقَوَّيْ
إِلَهِي فَإِنَّ الْعِظَمَ مِنِّي قَدْ وَهَنَ

فِيَالَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِأَنِّي
بِخَيْرِ مَكَانٍ عِنْدَ أَكْرَمِ مُؤْتَمَنٍ
فَإِنَّ جِوَارَ الْبَيْتِ طَهَّرَ قُلُوبَنَا
وَوَاسِلُ أَذْنَابِ الذُّنُوبِ مَعَ الْبَدَنِ

فِيَا سَعْدَهُ مَنْ كَانَ فِيهِ مُجَاوِرًا
وَيَا فَوْزَهُ إِنْ مَاتَ فِيهِ أَوْ أُنْذِفَنُ
وَمَنْ لَمْ يُجَاوِرْ ابْنَ عَجَلَانَ حَاكِمًا

بِمَكَّةَ يُحْيِي الْعَدْلَ فِيهَا لَيَنْدَمَنَّ ١٦٢
وَلَوْ يَطْلُبُ السُّلْطَانُ لِي لِأَيُّنِ
وَفِي ضِمْنِ نُصْحِي كَيْفَ أَنْتَ لِأَشْرَحَنَّ

وَأَحْكِي لَهُ عَنْ حَالِ مَكَّةَ قَبْلَ ذَا
بِسِتِّينَ عَامًا ثُمَّ مَا حَالُهَا إِذَنْ
فَتَى مَا رَأَيْنَا قَبْلَهُ كَانَ مِثْلَهُ

وَلَا بَعْدَهُ وَاللَّهُ يُبْقِيهِ يُوحِّدَنَّ ١٥
فَشْكُرِي لَهُ يَا صَاحِبَ يَحْلُو مُكَرَّرًا
وَفِكْرِي إِذَا مَا حَارَ فِي مَدْحِهِ شَجَنُ

فِيَا حَسَنًا يَا فَارِسَ الْخَيْلِ يَا فَتَى
أَعْنِي فَإِنِّي فِي جِوَارِكَ مُرْتَهَنٌ ٢٠

- وَأَنْتَ مُرَادِي يَا أُوَيْسَ ^(١) زَمَانِهِ
 وَأَنْتَى مُصِيبٌ لَا انتِجَاحِي فِي قَرْنٍ
 وَإِنَّ بَنِي النُّجَبِ يَأْتُونَ قَابِلًا
 وَمِنْهُمْ وَزِيرُ الرُّومِ عَنِّي قَدْ شَطَنَ
 لَهُ غَائِبٌ عَنِّي سِنِينَ مَدِيدَةً
 كَتَبْتُ إِلَيْهِ أَنْ يَجِيءَ لِيُنْصَرْنَ
 وَصَدْرُ صُدُورِ الرُّومِ يَأْتِي بِتُخْفَةٍ
 مَعَ ابْنِكَ إِنْ شَاءَ إِلَالَهُ لِيَأْتِيَنَّ
 كَتَبْتُ إِلَيْهِ أَنْ يَجِيءَ مُعْجَلًا
 ١٠ بَدْرُ الْقَطِيفِ أَوْجِيءٌ عَلَى عَدْنٍ
 فَلَوْ كَانَ فِي الدُّنْيَا طَرِيقٌ غُنِيزَةٌ
 وَأُخْرَى بَنِي لَامٍ وَمَنْ نَحْوَهُمْ سَكَنَ
 وَأَبْقَاكَ يَا بَدْرَ الْبُدُورِ وَسَيِّدَ الْـ
 مُلُوكِ وَمُحْيِي الْحَقِّ وَالْعَدْلِ فِي سَنَنْ
 ١٥ فَخُذْهَا عُرُوسًا بِنْتُ فِكْرٍ كَرِيمَةٍ
 عَلَى عَجَلٍ وَافَتْ مَعَ آلِهِمَّ وَالْحَزَنَ
 وَلَيْسَ لَهَا كُفٌّ سِوَاكَ وَحُسْنُهَا
 يَفُوقُ فَقَابِلَهَا بِالْإِحْسَانِ يَا حَسَنَ

(١) يشبه الشريف حسن بالعابد أويس بن عامر القرني ، من أوائل التابعين ،
 بَشَّرَ النَّبِيُّ ﷺ بِهِ ، وَأَوْصَى بِهِ أَصْحَابَهُ ، مَاتَ فِي وَلايَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ
 عَنْهُمَا . (حلية الأولياء ٧٩/٢ — ٨٧) .

عَلَى أَتْنَى مَا كُنْتُ بِالشَّعْرِ مَادِحًا
لِعُيْرِكَ فِي الدُّنْيَا وَإِنْ شِئْتَ فَاسْأَلْنِ
وَلَكِنِّي لَمَّا عَدِمْتُ هَدْيَتِي
أُتَيْتُ بِمَا يَبْقَى مَدَى الدَّهْرِ وَالزَّمَنِ
وَإِنْ كُنْتُ قَدْ قَصَرْتُ سَعْيًا بِمَدْحَتِي
فَمِنْ بَعْدِ سَعْيِ الْمَرْءِ يَقْضِينَ وَسَنَ (١)

فَدُمُ وَاسْمُ وَأَسْلَمُ وَأَغْنُ وَأَغْنَمُ وَجُدُ وَسُدُ
مَعَ آوْلَادِكَ الْغُرِّ الْكَرَامِ أُولَى الْمِنَنِ
سَنِينَ أَعَادَ اللَّهُ مِنْ بَرَكَاتِهِمْ
وَأَبْقَاكُمْ تُحْيُوا الْفَرَائِضَ وَالسُّنَنَ
وَلَا زِلْتُمْ فِي نِعْمَةٍ وَسَعَادَةٍ
تَعِيشُونَ فِي عِزٍّ وَأَمْنٍ بِلَا مَحْنٍ

انتهى .

وقال الفاسي (٢) : وصار السيد حسن يقيم وقتا بمكة ، ووقتا
بأماكن من بَوَادِيهَا . ولما حضر الحجاج المصريون إلى مكة وافاهم
ونخدمَ المحمل المصري على العادة ، وراعى مصالح الحجاج بحراستهم .

(١) في الأصل « وسين » ، وعليها علامة خطأ (×) ، والمثبت يستقيم وزناً

ومعنى .

(٢) العقد الثمين ١٣٩/٤ .

- ١ ولما بلغه موت الملك^(١) إبراهيم ابن الملك المؤيد صاحب مصر أمر بالصلاة عليه والقراءة لأجله ، وكان ابتداء القراءة في يوم الجمعة خامس شعبان ، وفيه صُلِّيَ عليه بعد الجمعة ، واستمرت القراءة عليه إلى صبيحة / يوم الجمعة الرابع عشر من شعبان ، وكان يحضر للقرأة مع الناس مرّات كثيرة .

وفي ليلة منتصف شعبان حضر مع الناس بالمسجد الحرام وقرءوا ختمة للسلطان الملك المؤيد ، ودُعِيَ له عقيب ذلك ، وُكْتُبَ بذلك مكتوبان .

- ولما تكلف لخدمة أمراء الحاج في موسم هذه السنة استدان لأجل ذلك من التجار والمتسبين ، وبعث عقيب الحج رسولا وهدية لبعض الأشياء المباركة إلى صاحب الشرق الملك شاه رخ بن تيمور لنك ، وأوصى شيخنا العلامة شمس الدين بن الجزرى السابق ذكره برعايته في ذلك كثيرا ؛ فأجابه لقصده . وكان ابنه السيد أحمد بن حسن قد توجّه في آخر العام الماضي مع قافلة عقيل ، فبلغ هرموز ، وعاد بغير طائل مع قافلة عقيل قبل التروية من هذه السنة .

وفي يوم الاثنين ثانی عشر شهر ربيع الأول من سنة أربع وعشرين وثمانمائة : وصل إلى مكة تشریفان له ولابنه السيد زين الدين

(١) كذا في الأصل ، والعقد الثمين ١٣٩/٤ . وهو الأمير صارم الدين إبراهيم ابن السلطان المؤيد شيخ الحمودي ، توفي في خامس عشر جمادى الآخرة سنة ٨٢٣ هـ ، وسنه يزيد على العشرين قليلاً ، وكان شجاعاً نبيلاً ، قاد الجيوش ولازمه النصر ، وفرض سلطان الدولة في شمال الشام . (النجوم الزاهرة ١٤ / ١٦٥ ، ١٦٦) .

- بركات ، وعهدٌ يتضمن تفويض إمرة مكة إليهما . وتاريخ هذا العهد ١
مستهل صفر سنة أربع وعشرين وثمانمائة ، وهذا العهد مكتوب عن
الملك المظفر شهاب الدين ألى السعادات أحمد ابن الملك المؤيد^(١) .
والمنفذ له وللتشريفين مُدبّر دولته المَقَرُّ الأشرُف السَيّفي نظامُ الملك
طَطَر ؛ لأن الملك المؤيد حصل له في شوال من العام الماضي ضعف
خيف عليه منه ، فعهد بالسلطنة لابنه المشار إليه ، وله دون
سنتين ، وجعل الأمير أَطْنُبْعَا القَرْمَشِي^(٢) أتابكه . وكان القَرْمَشِي
مُجَرِّدًا في جماعة من أعيان الأمراء والعساكر ببلاد الشام ؛ لحفظها
من قَرَا يُوسُف^(٣) التركاني ، والمُجَهِّز لهم الملك المؤيد في رمضان
من سنة ثلاث وعشرين ، وجعل — حين عهده لابنه — جماعة من
الأمراء الحاضرين عنده بالقاهرة ، ينبون عن القَرْمَشِي إلى حين
حضوره . وحصل للسلطان بعد ذلك عافية فتوجّه للْبَحِيرَةِ^(٤) ،
وعاد منها عليلا . واستمرّ حتى مات في بكرة يوم الاثنين ، ثامن

(١) وانظر في سلطنة المظفر هذا : النجوم الزاهرة ١٤/١٦٧ — ١٩٧ .

(٢) هو الأمير سيف الدين أطنبغا بن عبد الله القرمشي الظاهري أتابك العساكر
بالديار المصرية ، وقد قتله الأمير ططر قبل ولايته للسلطنة في منتصف جمادى الأولى سنة
٨٢٤ هـ بقلعة دمشق ، وكان من محاسن الدنيا . (النجوم الزاهرة ١٤/٢٣٦ ، ٢٣٧ ،
والدليل الشافي ١/١٥١ برقم ٥٣٦) .

(٣) هو يوسف بن محمد بن بريم خجا ، الأمير قرا يوسف التركاني ، صاحب
بغداد والموصل . توفي في ذى القعدة سنة ٨٢٣ هـ . (الدليل الشافي ٢/٨٠٧ برقم
٢٧١٦ ، والسلوك للمقريزي ٤/١ : ٥٤٥ ، والنجوم الزاهرة ١٤/١٦٣ ، ونزهة النفوس
٢/٤٨٤ برقم ٦٠٠ ، والضوء اللامع ٦/٢١٦ برقم ٧٢٣) .

(٤) هي محافظة البحيرة ، وتقع شمال غرب جمهورية مصر العربية .

- ١ المحرم من سنة أربع وعشرين وثمانمائة . وَاتَّفَقَ أَعْيَانُ أَهْلِ الدَّوْلَةِ عَلَى أَنْ يَكُونَ الْمَقَرُّ الْأَشْرَفُ طَطَّرَ مُدَبِّرًا لِلْأُمُورِ ؛ لِحَصَالِهِ الْمَشْكُورَةِ ، وَفَوْضَ ذَلِكَ لَهُ الْخَلِيفَةُ الْمُعْتَضِدُ دَاوُدُ بْنُ الْمُتَوَكِّلِ الْعَبَّاسِيِّ ^(١) ، أَخُو الْمُسْتَعِينِ بِاللَّهِ أَيْ الْفَضْلُ الْعَبَّاسُ بْنُ الْمُتَوَكِّلِ ؛ لِأَنَّهُ أَقِيمَ [فِي الْخِلَافَةِ] ^(٢) بَعْدَ اعْتِقَالِ أَخِيهِ الْمُسْتَعِينِ بِالْإِسْكَانْدَرِيَّةِ فِي سَنَةِ سَبْعِ عَشْرَةٍ وَثَمَانِمِائَةٍ ؛ فَأَخَذَ الْأَمِيرُ طَطَّرَ عَلَيْهِمْ وَعَلَى كَافَّةِ الْأَعْيَانِ مِنَ الْعُلَمَاءِ ، وَقَضَاةِ الْقَضَاةِ الْبَيْعَةَ لِلْمَلِكِ الْمَظْفَرِ عَقِيبَ مَوْتِ وَالِدِهِ ، وَأَحْسَنَ تَدْبِيرَ أُمُورِ النَّاسِ ، وَجَهَّزَ لِلْسَيِّدِ حَسَنَ وَابْنِهِ التَّشْرِيفِينَ وَالْعَهْدَ ، وَجَهَّزَ تَشْرِيفِينَ لِأَمِيرِ الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ وَيَنْبَعِ ، وَقُرِئَ الْعَهْدُ الْمَشَارَإِلَيْهِ وَكُتِبَتْ عَنْ السُّلْطَانِ الْمَظْفَرِ ، مُؤَرَّخَ بَرَابَعِ عَشْرِ صَفَرٍ ، ١٠ وَذَلِكَ بِالْحَطِيمِ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، فِي بُكْرَةِ يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ رَابِعِ عَشْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ . بِحَضْرَةِ السَّيِّدِ بَرَكَاتٍ وَغَيْرِهِ مِنْ قَضَاةِ مَكَّةَ وَالْأَعْيَانِ بِهَا ، وَلَيْسَ تَشْرِيفُهُ ، وَطَافَ عَقِيبَ ذَلِكَ سَبْعًا بِالْكَعْبَةِ الْمَشْرِفَةِ ، وَالْمَوْذَنَ بِأَعْلَى قُبَّةِ زَمَزَمَ يَدْعُو لَهُ جَهْرًا ، عَلَى عَادَةِ أَمْرَاءِ مَكَّةَ ، وَرَكِبَ مِنْ بَابِ الصَّفَا وَدَارَ فِي شَوَارِعِ مَكَّةَ .

١٥

١٦٣ وفي الكتاب المشار إليه : الإعلام بوفاة الملك المؤيد / . ومبايعة أهل الحل والعقد من العلماء والعسكر للملك المظفر ،

(١) هو داود بن محمد بن أبي بكر بن سليمان ، الخليفة المعتضد بالله أبو الفتح ، تولى الخلافة بعد أخيه المستعين بالله العباس في ذي الحجة سنة ٨١٦ هـ . وتوفي في ربيع الأول سنة ٨٤٥ هـ . (الدليل الشافي ٢٩٦/١ برقم ١٠١٧ ، والنجوم الزاهرة ٤٨٩/١٥ ، والضوء اللامع ٢١٥/٣ برقم ٨٠٥) .

(٢) إضافة عن العقد الثمين ١٤٠/٤ .

- ١ وجلسه على تخت الملك . وخدمه العسكر ، وعَمِلَ الموكب بين يديه ، وأَمَرَ فيه بمراعاة مصالح الناس بمكة ، وتعظيم أمر حكام الشرع ، وإعادة ما أخذ من التجار إليهم ، وإسقاط ما جدد من المكوسات . وأَعْفَى فيه السيد حَسَنًا من تكلف شيء لأمرء الحاج .
- ٥ وفي العهد المتضمن لتفويض إمرة مكة إليه وإلى ابنه نحو من ذلك ، والأمر بمراعاة مصالح الرعية ، وغير ذلك من الوصايا النافعة . وكان السيد حسن في هذا التاريخ غائباً عن مكة بناحية اليمن في جهة الواديين ، أو قُرب ذلك . ولما بلغه موت السلطان الملك المؤيد — وذلك في النصف الثاني من صفر — رام أن يجعل ابنه السيد إبراهيم حاكماً بمكة مع ابنه السيد بركات ، ويكون لكل منهما ١٠ ثلث الحاصل لأمر مكة ، ويصرف كل منهما الثلث في جماعته على ما يراه .. وَيُظِلُّ الرسوم التي كان قررها للأشراف والقواد في كل سنة ، وجعل الأشراف إلى ابنه السيد إبراهيم ، والقواد لابنه السيد بركات ، وجعل له الثلث الباقي من الحاصل لأمر مكة ، يصرفه في مصالحه وخاصة نفسه ، فلم ينتظم هذا الأمر ؛ لكون القواد لم ١٥ يوافقوه على إبطال ما كان قرره لهم من الرسوم في كل سنة .
- ومضى هو وابنه السيد إبراهيم بعد ذلك إلى صوب اليمن ، وجاء الخبر بعد ذلك من مصر بما ذكرناه — والله يصلح الأحوال .
- وفي هذه السنة : وصل ابنه إبراهيم من ناحية اليمن ، ومعه الأشراف ، فألزموا المؤذن بالدعاء لإبراهيم على زمزم وقت طوافه ٢٠ بالكعبة الشريفة ، ففعل ذلك ؛ فلم يسهل بأخيه بركات وجماعته ،

وتنافر الأخوان وجماعتهما ، وقصد إبراهيم دخول جدة فعورض ،^١ وقصد بركات بعد ذلك دخول مكة فعورض ، وصار يُخَطَّبُ بمكة لإبراهيم مع أبيه وأخيه . وذلك عقب وصوله من اليمن في نصف هذه السنة ، وسأل والدُّهُ من الدولة بمصر تقريرَ ولديه المذكورين في الإمرة بمكة فلم يُجَبْ لقصده ، وكتبَ إليه بما معناه : لانتق في أمر . مكة إلا بك ، ولكنك آستنب من شئت .

وهذا الكتاب وصل إليه وقت الموسم من سنة أربع وعشرين من الملك الظاهر طَطَّر^(١) ، بعد أن بويع بالسلطنة بدمشق في تاسع عشر شعبان من هذه السنة ، وأذعنت له بالطاعة ديار مصر والشام ، وبدا منه عدل كثير . وأرسل للشريف حسن يأمره^{١٠} بإسقاط المكس ، وألا يُكلَّفَ التجار بمكة قرضا ، وكتبَ بذلك في سَوَارِي من المسجد الحرام من ناحية باب بني شيبه ، وفي جهة الصفا ، وبعث للشريف حسن بألف أفلورى أو نحوها ، كان خدم بها أمير الحاج المصرى فى العام الماضى .

وفى هذه السنة : نفر كثيرٌ من القواد والأشراف عن طاعة^{١٥} الشريف حسن ، وانضموا إلى ابن أخيه السيد رُمَيْثَةُ بن محمد بن عجلان ، واستولوا على جُدَّة ، وانتشروا فى الطرقات ؛ فنجل أكثر الواصلين من اليمن من غير جدة ، ووصلوا إلى مكة متحفزين ، ومازال الشريف حسن يسعى حتى بان عن رُمَيْثَةُ أكثرُ مَنْ كان

(١) وانظر سلطنة الملك الظاهر ططر فى النجوم الزاهرة ٩٧/١٤ — ٢١٠ .

معه ؛ فدخل في / طاعة عمه وتوسّل إليه بابنه بركات فأكرمه ، ١٦٣ ظ
 وذلك في أوائل سنة خمس وعشرين وثمانمائة . وجاء في هذا التاريخ
 من ينبع صاحبها الشريف مُقْبِل بن مَحْبَار نجدةً للشريف حسن ،
 ومضيا بعسكرهما — ومعهما الأشراف آل أبي نُعْمَى — خلف القواد
 العمرة وغيرهم ، حتى جاوزوا الواديين في ناحية اليمن ، ثم نفر عن
 الشريف حسن ابن أخيه رُمَيْثَة وغيره من إخوته وبنى عمه أولاد على
 ابن مبارك ، وذوى ثَقَبَة ، ولايموا القواد العمرة ، وتنافر الشريفان
 حسن ومُقْبِل في الباطن ؛ لشدة رغبة مُقْبِل في مطاوعة الشريف
 حسن له في قتال القواد ، ولم يجبه لذلك الشريف حسن ؛ لما بلغه
 من أنه المُجَرَّى لابن أخيه وبنى عمه على مبايئته والانضمام على
 القواد . ووصلا لمكة والودّ بينهما ظاهر . وأظهر مقبل عزمًا لينبع ،
 وسئل في الإقامة بمكة على مال جزيل بذل له ، فلم يمل لذلك ،
 وما رحل من وادي مرّ حتى وصل إليه رُمَيْثَة وأقاربه وكثير من القواد
 واستولوا على جُدَّة .

وتوجه عقيب ذلك الشريف حسن لنخلة ، وأقام بها أياما ، ١٥
 ثم للشرق ، واستفاد فيه خيلا كثيرة ، وإبلا وغنا ، وأتاه إلى هناك
 جماعة من القواد العمرة يسألونه في المسير إلى مكة ، وتمكينه من
 جُدَّة ، فتوقّف . ثم أتى مكة في آخر شوال من هذه السنة . وكان
 وصوله إليها من صوب اليمن مع مُقْبِل في آخر جمادى الأولى من
 هذه السنة ، وبعد ذلك بنحو جمعة كان توجّهه لنخلة ، ووافاه بمكة ٢٠
 وقت وصوله من اليمن كتاب من مصر ، من مولانا السلطان الملك

- الأشرف بَرَسْبَاي^(١) صاحب مصر والشام ، يخبر فيه بأنه ببيع
بالسلطنة بمصر ، في ثامن ربيع الآخر من هذه السنة ؛ وهى سنة
خمس وعشرين وثمانمائة ، وأنه رسم بترك تقبيل الأرض بين يديه
تعظيما لله تعالى . وكان مولانا السلطان المشار إليه يُدبّر قبل ذلك
دولة الملك الصالح محمد ابن^(٢) الملك الظاهر ططر ، وله نحو عشر
سنين ، وكان قد بوع بالسلطنة قبل موت أبيه ، وكان موت أبيه في
رابع ذى الحجة سنة أربع وعشرين وثمانمائة بمصر بعد وصوله إليها من
البلاد الشامية ، وكانت مدة سلطنة الصالح أربعة أشهر وأربعة أيام ،
ومدة سلطنة أبيه ثلاثة أشهر وخمسة أيام ، ومدة سلطنة المظفر أحمد
ابن المؤيد سبعة أشهر واثنان وعشرون يوما ، وكان له من العمر نحو
سنتين وقت سلطنته ، وهو حي ، وكذلك الصالح .

- ومازال الشريف حسن يسعى حتى بان عن رُمَيْثَة أكثر من
كان معه ، وقصد^(٣) رُمَيْثَة ومن معه لصوب جدة ، فهربوا إلى مَرَّ
الظهران ، ودخل في طاعته ممن مع رُمَيْثَة مَيْلَب بن على بن مبارك
وغيره ، واستولى الشريف حسن على جُدَّة ، ومضى رُمَيْثَة ومن معه
من الأشراف آل أبى نَمِيّ والمولدين من أولاد عبيد جده عجلان إلى

(١) وانظر سلطنة الملك الأشرف برسباي الدقماقي الظاهري في النجوم الزاهرة
٢٤٢/١٤ — ١١١/١٥ .

(٢) وانظر سلطنة الملك الصالح محمد بن ططر في النجوم الزاهرة ٢١١/١٤ —

- ١ ينبع ، وأعانوا صاحبها مُقْبِلًا في حروب بنى أخيه وُيَيْر بن مخبار ؛
فإن عقيل بن وُيَيْر مضى في أثناء سنة خمس وعشرين لمصر ، وولى
بها نصف إمرة ينبع ، وبدا من عمه تقصير في حق صاحب مصر .
- فلما وصل الحجاج من مصر لينبع في ذى القعدة من هذه
السنة / بان مُقْبِلُ عن ينبع ، وبعد رحيل الحجاج عن ينبع لمكة بأيام ١٦٤ و
جمع وحشد لحرب بنى أخيه ، وتكررت بينهم الوقعات ، ونالوا منه
أكثر مما نال منهم ، وأعانهم في بعضها الحجاج المصريون ، بعد
عودهم من الحجّ والزياراة للمدينة النبوية . وكان مقبل في هذه الوقعة
غافلا عنهم فيئتوه سحراً ، وبالجهد أن نجا ، ونبت جِلَّتُهُ ، وفيها له
نقد طائل — فيما قيل — وإبل كثيرة . وكان قبل ذلك قد ظفر
١٠ ببعض بنى أخيه — بخديعة دَبَّرَهَا — وقيدهم ، فوجدوا بجلته
فأطلقوا . وبعض الحروب بينهم وبين عمهم في آخر سنة أربع
وعشرين ، وأكثرها في سنة خمس وعشرين .
- وأنجد الشريف حسن أولاد وُيَيْر بخيل وسلاح ورجال ،،
وعزم على المسير إلى ينبع لنصرتهم ؛ فأتاه للفور مُقْبِلُ خاضعا ،
١٥ فأكرمه وأعرض عن توجهه لينبع . وسأله مقبل في المسير معه لينبع
فلم يفعل ، واعتذر له بوصول كتاب صاحب مصر إليه بأن يسعى
في تحصيل مقبل ، وشرط على مقبل أن يبين عنه رُمِيَّةً ومن معه .
- ولما عرف رُمِيَّةً بذلك قصد عجلان بن نعيم بن منصور بن
جَمَّاز بن شيحة الحسيني أمير المدينة النبوية في أن يشفع له إلى عمه
٢٠ في الرضى عنه ، ويلزم طاعة عمه ؛ فأتى عجلان للشريف حسن

- متشفعا ، فأجابه لقصده ، وحضر إليه ابن أخيه رُمَيْثَةُ فأكرمه ،
 وأمره بمباينة من كان معه من جماعة عجلان ، فرجعوا لينبع . وذلك
 في ربيع الأول من سنة ست وعشرين وثمانمائة . ولم يقو بعد ذلك
 أحد من الأشراف ، ولا من القواد على معاندة الشريف حسن ، وتغيّر
 خاطره على ابنه السيد إبراهيم ؛ لكونه آوى إليه الأشراف ذوى راجح .
 ابن أبى نَمِيّ ، وكان أبوه أمره بإبعادهم فلم يفعل ، ومضى بهم وبمن
 انضم إليهم من بقية آل أبى نَمِيّ وغيرهم إلى صوب اليمن ، وانتهوا إلى
 الواديين باليمن ، وقُطِعَ ذِكْرُ إبراهيم في الخطبة بمكة ، وفي الدعاء على
 زمزم بعد المغرب . وأتى إلى صوب مكة بمن معه في شهر رجب من
 سنة ست وعشرين وثمانمائة ونزلوا بوادى مَرّ . وكان أبوه إذ ذاك
 بالشرق ، فقصده ، فلم ير منه إقبالا . وكان قد أعان أخاه السيد
 بركات بخيل ونفقة ، على أن يسيروا وراء الأشراف ، فساروا وراءهم
 إلى صوب اليمن ، ثم وصل الشريف حسن من الشرق إلى مكة في
 رمضان من هذه السنة ، وسكنت الفتنة بين الأخوين وجماعتهم ؛
 فاطمأنوا .

١٥

وأناه كتابان من الملك الأشرف صاحب مصر : الأول
 يتضمن كثرة العتب عليه لأخذه لفلل التجار الواصلين إلى جُدّة من
 كَالِيْكُوط^(١) بالهند ، مجورين على عدن ، وأمره برّد ذلك إليهم ،

(١) كاليكوط = كليكوت : ولاية من ولايات الهند ، وحاضرة الولاية تأخذ اسمها ،
 حکامها سامريون كفار ، والمسلمون يعيشون فيها إلى جانب السامريين ، ويشتغلون
 بالتجارة ، ويجلب من هذه البلاد الفلفل والبهار . وفي الوقت الحاضر هي عاصمة البنغال
 الغربية ومرفؤها . (حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور ٢٨٧ ، والمنجد) .

بخطاب فيه عنف . والثاني يتضمن كثرة تعظيمه ، وفيه ما معناه : ١
أنه بلغنا عنك تخيلك أنا نريد بك الاستبدال ، ولانفعل ذلك
لمكانتك عندنا ، وإن غبت عن أعيننا فأنت في القلب ، وما كنا نؤلى في
حرم الله تعالى أحدا من الترك ؛ فإن ينبع دون ذلك ، ولم نول فيها
إلا شريفا ، ووصلنا كتابك يتضمن طلبك منا خاتم الأمان ومنديل
الرضا ، وقد جهّزنا لك ذلك ؛ فطَبْ نفسا وقرّ عينا ، وسألنا في
استنابة ابنك الشريف / بركات في إمرة مكة ، وما نشق في ذلك إلا ١٦٤ ظ
بك ، وفي ذلك سبب للشحناء بين الإخوة ، فإن أردت ذلك
فاستنبه ، وباشر خدمة المحمل الشريف والأمراء . انتهى .

وفيه سوى ذلك من تعظيمه وغيره . وأتاه هذا الكتاب في ١٠
أوائل ذى القعدة من هذه السنة .

وفي أوائل النصف الثاني من ذى القعدة : بان الشريف
حسن عن مكة لصوب اليمن ، وقدمها في أثناء العشر الأخير من ذى
القعدة جماعة من الأمراء المقدمين الألوف بمصر ، والطبلخانات
وغيرهم من الترك ، مالا يُعْهَدُ مثله في الكثرة ، وراسلوا الشريف ١٥
حسنا في الوصول إلى مكة ، فلم يصل واعتذر بالضعف ، ولايمهم
ابنه السيد بركات أيّاما . ولاقى أمير الركب الأول ، ثم أمير المحمل ،
وخلع عليه من عنده ، ولم يمكنه من خلعة أمير مكة المجهزة لوالده .
وشاع في الناس أن الأمير قَرَقَمَاس أحد الأمراء الواصلين لمكة يقيم
بها مع علي بن عَنان بن مُعَامِس بن رُمَيْثَة . وبلغ ذلك السيد حسنا ٢٠
فكثر تضرره . ولما أيسوا من وصوله بعثوا لِرُمَيْثَة في يوم عَرَفَة ،

١ وحرس الأمراء الحجاج حراسةً حسنةً في توجههم لعرفة ورجوعهم إلى منى ، وباتوا بها في ليلة التاسع إلى الفجر أو قربه ، وفي يوم النحر اجتمع السيد بركات — ببعض الأمراء بمكة ، وخدمهم عن أبيه بخمسة آلاف أفلورى ذهبا — أو ستة ، فيما قيل — وسافروا من مكة ، ولم يحدثوا بها حدثا ، وما تخلّف منهم أحد بمكة . وأقام منهم ٥ الأمير قرّ قَمَاس بينبع بعد سفر الحجاج منها ، ينتظر ما يُؤمّر به ، وجاءه الخبرُ أنه رسم بتجهّز العسكر لمكة ، وبأمر أهل ينبع والصفراء والمدينة بالمسير مع العسكر لمكة .

وكان الشريف مُقبل صاحب ينبع [توجّه] (١) مع الأمراء بمصر ، فأكرمه السلطان ، وسهّل الأمر في حصول غرض السلطان بمكة ، وكان وصوله لمصر بعد إطلاق ولده من السجن بمصر ، والإنعام عليه بنصف إمرة ينبع شريكا لابن عمّه عقيل بن وبير — أحمّد الله العاقبة —

وكان مما حدث بعد ذلك في يوم الجمعة نصف ربيع الآخر سنة سبع وعشرين وثمانمائة وصل الخبرُ إلى مكة بأن الشريف على ١٥ بن عَنان بن مُغَامِس بن رُمَيْثَة الحسنى توجّه إلى مكة في عسكر من مصر ، وبعد أيام قليلة فارّق مكة من كان بها من جماعة الشريف حسن بن عجلان ، وتوجهوا إليه بصوب اليمن .

وفي السابع والعشرين من هذا الشهر وصل الخبر لمكة

(١) سقط في الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ١٤٧/٤ .

١ بوصول ابن عَنان والعسكر إلى ينبع .

وفي ثالث جمادى الأولى وصل الخبر بمسيرهم من ينبع .
 وفي ليلة الخميس سادس جمادى الأولى من السنة المذكورة
 دخل إلى مكة كثير من العسكر المصري وغيرهم ، فطافوا بالبيت
 الحرام ، وخرجوا إلى ظاهر مكة ، ودخلها العسكر والشريف على بن
 عَنان بمن انضم إليه من الأشراف والقواد العمرة والحميضات ،
 والمولدين المنسوين لعجلان وابنه ، وهم في تَجَمُّلٍ عظيم ، ضحوة يوم
 الخميس المذكور . وانتهى السيد على والأميران قَرْقَمَاس وطُوخ إلى
 المسجد الحرام ، فطاف السيد على بالكعبة المعظمة سبعا — والمؤذن
 يدعو له / على زمزم — وعليه خلعة الإمرة ، وقد لبسها قبل دخوله ١٦٥ و
 إلى مكة — وقرئ توقيعه بولايته لإمرة مكة بظل زمزم ، بعد فراغه
 من الطواف ، وكان الجمع وافرا . وفي التوقيع : أنه ولي إمرة مكة
 عوض الشريف حسن بن عجلان ، وهو مؤرخ بنصف شهر ربيع
 الأول من السنة المذكورة . ونودي للناس بالأمان ، ولمن دَخَلَ في
 طاعته من الأشراف والقواد والمولدين ، ومن لم يدخل في طاعته فلا ١٥
 أمان له بعد شهر . وركب من باب الصفا ، ودار البلد بالخلعة ،
 ودعى له في الخطبة يوم الجمعة سابع جمادى الأولى ، وفي ليلة
 الجمعة المذكورة على زمزم بعد المغرب ، وأعيد فيها الدعاء لصاحب
 اليمن الملك الناصر ، وفي الخطبة في يوم الجمعة المذكورة . وكان ذلك
 قد ترك في أوّل ذى الحجة من السنة الماضية .

٢.

وفي يوم السبت ثامن جمادى الأولى توجه السيد على بن عَنان

والعسكر إلى جدة ؛ لتنجيل مركب وطراد وصلا إليها من كاليكوط ١
 بالهند مُجَوَّرَيْن على عدن ، فنجلا ذلك ، ورفقوا بالقادمين كثيرا ،
 وكان العسكر الواصل من مصر مائة وأربعة عشر فارساً ، وخيلهم
 كذلك ، وانضم إليهم من ينبع الأمير قَرْقَمَاس بمن معه من الترك ،
 وغيرهم ، وولاة ينبع ، وعادوا من جدة إلى مكة في سابع جمادى ٥
 الآخرة . انتهى كلام الفاسي .

قلت (١) :

وفي اليوم الرابع عشر من ذى الحجة من السنة المذكورة : بعد
 أن تكاملت جميع الركوب في المحطة — المصرى ، والشامي ،
 وغيرهما — توجه السيد على بن عَنان وصحبته الأمير قَرْقَمَاس وأحمد ١٠
 الدوادار ، والمماليك السلطانية ، صوب الشريف حسن بن
 عجلان ؛ لأنه بلغهم أنه نازل بقرب مكة ينتظر توجه الركب ويدخل
 مكة ، فساروا جميعاً فأدركوا ولده السيد بركات وجماعةً من الفرسان
 معه ؛ فانهزموا وأنذروا السيد حسناً فانهزم على الفور هو ومن معه ،
 وأدرك الترك ولداً للقائد [وَدَيَّ] (٢) العمرى وقتلوه ورجعوا ، وسافر ١٥

(١) أي مؤلفنا عز الدين بن فهد ، والذي قاله مذكور في إتحاف الوري ٦٠٨/٣

وما بعدها ، أضيف إلى العقد الثمين ١٥٠/٤ وما بعدها ؛ إكمالاً لترجمة الشريف حسن
 لأن المؤلف كان قد انقطع عن إتمام الترجمة ، وترك وريقات ، يبضاء لإتمامها ، ولكنه لم
 يستدرك ذلك إلى أن مات .

(٢) إضافة عن إتحاف الوري ٦٠٨/٣

الحاج .

- وسبب نزول السيد حسن قُرب مكة أن الخواجا فخر الدين
أبا بكر التُّوريزي^(١) مشى في الباطن مع السيد مَيْلَب بن علي بن
مبارك ، وأرسله إلى السيد حسن ييشره — في الباطن — بالبلاد ،
وأن الخلعة وصلت مع الحاج ، وأن أمير الحاج ينتظر إلى وقت
الرحيل ويبعث له بالتشريف يلبسه ويدخل مكة . فظن الشريف
حسن وقوع هذه القضية على هذا الوجه ، وأن الأمر صحيح . وهو
في الحقيقة خدعة ليحصل في القبضة .

- وفي جمادى الآخرة من سنة ثمان وعشرين وثمانمائة : خرج
الأمير قرقماس [من مكة بمن معه في طلب السيد حسن بن
عجلان ، حتى بلغوا حَلِي من أطراف اليمن ، فلم يقابلهم السيد
حسن — مع قوته وكثرة من معه — بل تركهم وتوجّه نحو نجد ؛
تنزها عن الشر وكراهة للفتنة ، فعاد الأمير قرقماس]^(٢) ومن معه إلى
مكة في عشرين جمادى الآخرة .

- وفي سنة ثمان وعشرين : عُزِلَ السيدُ علي بن عَنان عن إمرة
مكة المشرفة ، ورسم السلطان الأشرف بطلب السيد حسن بن
عجلان إلى الأبواب الشريفة ، وتقديم له بذلك القاضي نجم الدين بن

(١) هو أبو بكر بن محمد بن محمد بن يوسف بن حاجي التبريزي — والعامّة
يقولون التوريزي — الشهير بابن بعلبند ، تاجر السلطان . توفي سنة ٨٥٩ هـ .
(الضوء اللامع ٩٣/١١ برقم ٢٤٤) .

(٢) سقط في الأصل ، والمثبت عن إتحاف الوري ٦١٩/٣ ، وانظر السلوك

- ظهيرة من عقبة أيلة ، ومعه دوا دار أمير المحمل في هذا العام الأمير ١
تغرى بردى الحمودي ، فذهبا إلى السيد حسن بالليث وأخبراه
برضى السلطان عنه ، وبشّراه بالبلاد إن قابل المحمل ووطىء
البساط ، وطمأننا خاطره ؛ فبعث معهما ولده السيد بركات ، /
١٦٥ ظ فاجتمع بأمر الحاج — وقد نزل بطن مرّ — في ثامن عشرى
القعدة ؛ فسر بقدمه ودخل معه مكة أول ذى الحجة ، وحلف له
بين الحجر الأسود والملتزم أن أباه لا يناله مكروه من قبله ، ولا من قبل
السلطان . فعاد إلى أبيه وقدم به معه مكة يوم الأربعاء رابع^(١) ذى
الحجة ، وخرج للقاءه أمير الحاج ، والأمير قرقماس ، وأمير الأول ،
١٠ وجماعة من فى الركب من أعيان المملكة ، ودخل مكة المشرفة —
وفى خدمته الأمراء والأعيان — فابتدأ بالطواف ، وحلف له أمير
الحاج ثانيا والتزم له رضى السلطان عليه ، وطمأن خاطره ، وألبسه
التشريف السلطاني ، وقرره فى إمارة مكة على عادته . ثم خرج بعد
الفراغ من الطواف الى صوب المدرسة المنصورية ، فسلم على خوند
زوجة السلطان الأشرف ، وكانت ضعيفة ، وتوفيت بالمدينة الشريفة
١٥ بعد الفراغ من الحج ورجوعها . ثم حج الشريف [حسن]^(٢) فى
محفة أعطاها له أمير الحاج . وحج الناس وهم طيبون .

(١) فى الأصل « ثامن » ، والمثبت عن إتحاف الورى ٦٢٣/٣ ، ويؤكد صوابه

أن وقفة عرفات كانت يوم الاثنين كما فى المرجع نفسه ، والسلوك للمقريري

٧٠٠ : ٢/٤ .

(٢) إضافة عن إتحاف الورى ٦٢٣/٣ .

وتوجه السيد حسن إلى القاهرة في المحفة صحبة أمير الحاج ،
 وصحبته عتيقه شُكر ، واستخلف ولده السيد بركات على مكة ،
 وتجهَّز الأمير قَرْقَمَاس وبعضُ الأتراك وصحبتهم السيد على بن عَنان
 إلى القاهرة . وتخلَّف الأمير أَرْنُبْعَا — رأس نوبة — الأشرفي ، ومعه
 مائتا مملوك بمكة المشرفة ، وهو باش^(١) العسكر وحاكم عليهم .

وفي رابع عشرى المحرم سنة تسع وعشرين : وصل السيد
 حسن بن عجلان إلى القاهرة بعد أن أمر السلطان أعيان الدولة من
 أمرائه ومباشره بتلقيه وإعزازه وإكرامه . فلما أن حضر بين يدي
 السلطان أنعم عليه بالخلع والإنعامات ، وقدم له كل واحد من أركان
 الدولة التقاديم^(٢) والضيافات ، وأهدوا له الخيول المسومة ، والسروج .
 ١٠ المغرقة . وكان يوم دخوله يوما مشهودا ، وفرح به السلطان وأحبه
 وأكرمه ، وأقبل عليه إقبالا كليا .

فلما كان في سابع عشرى المحرم — ويقال في العشرين من
 جمادى الأولى — سنة تسع وعشرين وثمانمائة قرره السلطان في إمرة
 مكة والتزم [الشريف حسن]^(٣) بثلاثين ألف دينار ، وبعث
 ١٥ عبده زين الدين شكرا إلى مكة لحفظ ساحل جدة ومتحصلها ،
 ولتجهيز العسكر المقيم بها . فوصل شكر إلى مكة ، وجهاز العسكر
 وباشهم الأمير أَرْنُبْعَا إلى الديار المصرية .

(١) باش العسكر : أي رئيسهم .

(٢) التقاديم : مصطلح في ذلك العصر ، يعني ما يقدم من الهدايا .

(٣) إضافة للتوضيح .

- ١ ولما سافر الشريف حسن إلى القاهرة نظم الأديب شهاب الدين أحمد بن سعد بن أحمد الخيفي (١) قصيدةً مخاطباً بها السلطان الأشرف على لسان مكة المشرفة ، وتشوق فيها إلى السيد حسن ، أولها :

من البلد المخصّص بالأمان وكعبتهَا المشرفة المباني
تُقبَلُ كَفَّ سلطانِ البرايا أبي النصر الموفق للأمان
برسبائي الذي ملكت يداه جميع الخلق من قاصٍ ودان /
وتنهي ما بها من عظيم شوق إلى سلطانها بدر الزمان
وتشكو ما بها من سوء حال ومن ضرّ تراه ومن هوّان

١٦٦ و

ومنها :

١٠ فيا ملك الملوك ولا أحاشي ويافرد الزمان بغير ثان
ومن ذلّت له الإفرنج قهرا بكل مهند عضب يمانى
أجرني واحمني من كل ضيم حماك الله بالسبع المثاني
وصاتك من ملّمات الليالي وزادك رفعةً وعُلوّ شان
ورّد إليّ سلطانى سريعا فإني كالجواد بلا عنان (٢)

١٥

ثم رسم السلطان للسيد حسن بالتوجّه لمكة وجهزه ؛ فبرز

(١) له ترجمة في الضوء اللامع ١/٣٠٤ وفيها « له نظم كتب عنه النجم بن

فهد » .

(٢) وهذا الشعر من قصيدة تبلغ ثلاثين بيتاً أوردها النجم بن فهد في إتحاف

الورى ٢٢٨/٣ - ٦٣٠ . وتختلف بعض ألفاظها عما هنا .

- ثَقْلُهُ خارج القاهرة ، فاعترض له الضعف فعاد إلى القاهرة ، ومكث ١ بها أياما يسيرة ، ثم توفي في ليلة الخميس سابع عشر جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وثمانمائة وصُلِّيَ عليه من العَدِّ ، ودفن بالصحراء بحوش تربة السلطان الملك الأشرف بُرْسَبَاي .
- ٥ فأرسل السلطان نَجَّابَهُ بمراسيم إلى الشريف بركات وأخيه إبراهيم ابني حسن بن عجلان تتضمن : الحضور إلى الأبواب ، والتأكيد في ذلك ، وأنهما إن لم يحضرا كلاهما أو أحدهما يُخْرِجَ عنهما السلطان البلد إلى غيرهما . فتجهز السيد بركات وأخوه إبراهيم في أثناء السنة إلى القاهرة ، ومعهما السيد مبارك أبو عفيف ، وخلفا بمكة أخاهما أبا القاسم يحفظها ، وبجدة زين الدين شكرا يحفظ ١٠ متحصلها . وسافرا إلى القاهرة . فعند سفرهما من البلد طمع الأشراف ذوو أُنَى نَمِي ، وتوجَّهوا من اليمن إلى مكة قاصدين التشويش على أهلها ، ومعهم وُيَيْرُ بن محمد بن رشيد^(١) وزير ابن عِنَّان^(٢) ، فوصلوا الجديد في خامس عشر شعبان وأقاموا به ، ثم توجهوا إلى خيف بني شديد ، ونهبوا في ليلتهم من الصيافة من أرض حسان إلى ١٥ الخيف . فعند ذلك توجَّه إليهم السيد أبو القاسم بن حسن ، ومن معه من القواد ذوى عمر ، وذوى حميضة ، وذوى عجلان ، وذوى حسن ، والتحقوا [بهم]^(٣) في شعب يقال له الميثاء بقرب هدة

(١) له ترجمة في الضوء اللامع ١٠/٢١٠ برقم ٩٠٦ .

(٢) المقصود هو وزير علي بن عنان بن مغامس بن رميثة . (المرجع السابق) .

(٣) إضافة عن إتحاف الوري ٣/٦٣١ .

- ١ بني جابر ، في تاسع عشرى شعبان ، فتقاتل الفريقان ؛ فانتصر الشریف أبو القاسم ، وقتل جماعةً من رؤساء الأشراف ، منهم : السيد على بن أبي سُوید بن أبي دعیج ابن أبي نُمَيّ ، وابنه مبارك ، وأخوه جلبان بن أبي سُوید ، وابن عمه مَيْلَب بن محمد بن أبي سُوید ، والشریف على بن أحمد بن حمزة بن راجح بن أبي نُمَيّ ، وهَيَّازِع ابن على بن مبارك بن رُمَيْثَة ، وقاسم بن أحمد الكُرْدِيّ ، والقائد وَبَيْر بن محمد بن رشيد نائب السيد على بن عِنان بمكة . وكُسِرُوا كَسْرَةً شَنِيعَةً ، وتفرقوا وتشتتوا . ثم التحق عسكر السيد أبي القاسم بالأشراف طَرْدًا إلى الهدة ، فقتل محمد بن راجح بن جيش^(١) ، ومبارك الدياصي ، وثلاثة مولدين : على بن قاسم بن مبارك السائس ، وحسب الله أبو ناجي ، وعلي الرمان . وهرب من / ١٦٦ ظ بقي منهم إلى صوب ينبع ، وأقاموا بها عند عقيل صاحب ينبع . وصفت البلاد للسيد أبي القاسم ، وحفظها حفظًا حسنًا ، وكانت رحية .

- ووصل الشریف بركات وأخوه إبراهيم إلى القاهرة في ثالث عشرى رمضان ، وحضرا بين يدي السلطان ؛ فأكرمهما وخلع ١٥ عليهما خلعتين ، وفوضت إمرة مكة إلى الشریف بركات في سادس عشریه ، على أن يقوم بما تأخر على والده ، وهو مبلغ خمسة وعشرين ألف دينار ؛ فإنه كان قد حمل قبل موته — من الثلاثين

(١) كذا في الأصل ، وفي المرجع السابق « محجة بن راجح بن حناش » . ولم

نعثر على ترجمة لأي من الاسمين فيما تيسر من المراجع .

١ الألف التي التزم بها — مبلغ خمسة آلاف دينار . وألزم الشريف أيضاً بحمل عشرة آلاف دينار في كل سنة ، وألاً يتعرض لما يؤخذ بجدة من عشور بضائع التجار الواصلة من الهند وغيره^(١) .

وألزم السلطان الشريف إبراهيم بموافقة أخيه بركات ، وعاهد بينهما ، وأخذ على إبراهيم العهود والمواثيق : أن يكون طائعاً أخاه ، ولا يخالف في البلاد ، وحلف إبراهيم له على ذلك ، وخلع عليهما خلعة السفر ، وتجهزا إلى مكة ؛ فسافرا في حادي عشر شوال ، فوصلا إلى مكة في أول العشر الأوسط من القعدة ، وقرى عهد الولاية للشريف بركات ، وطاف بالكعبة ، ونودي له على زمزم ، وألبس الشريف في المسجد الحرام .

١٠ وحج في هذه السنة من الأعيان الطواشي ياقوت مقدم الممالك^(٢) ، وتأخر بمكة بعد الحج حتى قبض من الشريف بركات مبلغ ثلاثة عشر ألف دينار مما ألزم به الشريف بركات .

(١) كذا في الأصل ، وإتحاف الوري ٦٣٢/٣ ، والسلوك للمقريزي ٢/٤ : ٧٢٣ . وفي النجوم الزاهرة ٢٩٨/١٤ « وألاً يتعرض السلطان لما يؤخذ من بندر جدة من عشور بضائع التجار الواصلة من الهند وغيره ، وأن يكون ذلك جميعه لبركات المذكور » . وفي بدائع الزهور ١٠٧/٢ « وأن السلطان لا يتعرض إلى بندر جدة ولا يأخذ من العشور شيئاً » .

(٢) هو ياقوت بن عبد الله الأرغون شاوي الطواشي الحبشي ، افتخار الدين مقدم الممالك السلطانية في الدولة الأشرفية برسباي . توفي بالطاعون في رجب سنة ٨٣٣ هـ . (الدليل الشافي ٧٧٣/٢ برقم ٢٦١٥ ، والنجوم الزاهرة ١٦٤/١٥ ، ونزهة النفوس ٢١١/٣ برقم ٦٩٦ ، والضوء اللامع ٢١٣/١٠ برقم ٩٢٢) .

- وقد استجيز لصاحب الترجمة السيد حسن في سنة خمس
وثمانمائة وما بعدها عدة من الشيوخ منهم : البرهان [ابن]^(١)
صديق ، وأبو بكر بن الحسين المراغي ، وعائشة بنت محمد بن
عبد الهادي ، والعراقي ، والهيثمي ، ومحمد بن حسن الفرسيسي ،
وأحمد بن عمر بن أبي البدر الجوهري ، وأحمد بن محمد بن غالب
الماكسيني ، وأحمد بن أبي بكر بن يوسف الخليلي ، وعبد الرحمن بن
حيدر الدهقلي ، وعبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الحلبي ،
وعلاء الدين الجزري ، وأبو الطيب السحولي ، وأبو اليمن الطبري ،
وأحمد بن محمد بن ميثب ، وشمس الدين العراقي ، خَرَجَ له جدي
الحافظ تقي الدين محمد بن فهد الهاشمي المكي رحمه الله تعالى
— عن جماعة منهم — أربعين حديثاً عن أربعين صحابياً ، في بعض معجزات
المصطفى ، وفضائل أهل البيت ، سماها « المصاييح المشرقة الزاهرة
في معجزات المصطفى ومناقب عثرته الطاهرة » .

- قال الوالد في معجمه : سمعت عليه ثلاثة أحاديث من أولها
بقراءة والدى في أوائل سنة ست وعشرين وثمانمائة بالدار المعروفة بدار
المكين بمكة . قال : وعندي شك هل أجاز لنا أم لا . انتهى .
وقال الفاسي أيضاً^(١) : ولم يكن لأحد من أمراء مكة — بعد

(١) إضافة على الأصل ، وانظر العقد الثمين ٢٥٠/٣ برقم ٧٢٢ ، والضوء

اللامع ١٤٧/١ .

(٢) أي في العقد الثمين ١٥٤/٤ .

- أحمد بن عجلان — من الحشمة مثل ما للسيد حسن بن عجلان .^١
 وله من العقار بمكة أكثر مما كان لأخيه أحمد ، وملك من العقار
 بوادي مر قريباً مما ملك أخوه أحمد . وملك من العبيد نحو خمسمائة
 فيما قيل ، ولم يكن لأخيه عليّ من العقار ولا من العبيد مثل ما له ،
 ولا قاربه عليّ في ذلك ولا في السلاح — وقد رزق حسن منه أشياء^٥
 حسنة — وأشك في تساويهما فيما ملكاه من / الخيل . وأما عَنان^{١٦٧} أو
 فلعله ملك من الخيل مثلهما ، أو قريباً مما ملكاه ، ولم يكن له كثير
 شيء من العقار ، ولا من العبيد .

- واتفق للسيد حسن مع بنى حسن من القوة [عليهم]^(١) ما
 لم يتفق لأحد ممن تقدمه من أمراء مكة الأشراف من آل أبي نُمي
 فيما علمناه ؛ لأنه أمرهم بترك معارضته في عناياهم . وذلك أن
 لكل من بنى حسن — أو أكثرهم — صاحباً من تجار مكة
 وغيرهم ، وله على التاجر نفع يأخذه منه في كل سنة ، فإذا أراد
 صاحب مكة أو أحد من بنى حسن التعرض للتاجر المذكور
 بطمع ، منعه صاحبه من ذلك ، وما استطاع أحد من القواد^{١٥}
 [أن]^(٢) يخالف ما أمر به حسن في ترك العناية . وأمرهم أيضاً ألا
 يجيروا في أمر يريده إلا برضاه ، فما خالف أحد أمره ، وكان الذين
 أمرهم بترك العناية والجيرة القواد العمرة ، والحميضة دون

(١) إضافة عن العقد الثمين ١٥٤/٤ .

(٢) إضافة على الأصل .

الأشراف ؛ لأن الأشراف لم يكونوا يطمعون بذلك معه ، وكانوا يقنعون
منه بالمسألة وتمكينه لهم من سكن البلاد . بخلاف القواد فإنهم كانوا
متمكنين من السكنى معه ، ومشاركين له في أمره ، ولكنهم قل أن
يخالفوه في أمر ، إلى أن حصل التنافر بينه وبين ابن أخيه ، فكان
يقع من بعضهم ما يخالف هواه .

ومما يحمد له من خصاله أنه كان لمصالح الحجاج والمجاورين
يرعى ؛ فوجدوا بولايته راحة ونفعاً .

ومنها : أنه في آخر سنة سبع عشرة وثمانمائة تطوع بمائتي مئقال
لعمارة رباط رَأْمُشْت ؛ فأزيل بذلك غالب ما كان فيه من الشعث
وصار حسناً .

وللسيد حسن صدقات آخر ، وصِلَاتُ تشكر ، وفيه صبر
كثير ، واحتمال وحياء ومروءة عظيمة — فالله تعالى يزيده فضلاً
ويسدده ، وإلى الخير يرشده . — وللشعراء فيه مدائح كثيرة حسنة ،
ومن أكثر في مدحه الوالد رحمه الله [تعالى] وله فيه قصائد . انتهى
كلام الفاسي .

قلت : وسنذكر بعض قصائده . وللشريف حسن بن
عجلان نظمٌ سنذكر بعضه .

قال الوالد في كتابه « الإشعار بما أنشد من الأشعار » (١) :

(١) كذا في الأصل . وعنوان الكتاب « الإشعار بما أنشدت من الأشعار » .

أنشدني — للسيد حسن — أبو الخير محمد بن ربحان المريسي^(١) ،
أحد المباشرين بجُدَّة ، بها في يوم السبت حادي عشر رجب سنة
أربع وستين وثمانمائة قوله :

بهذا الفُتُور وهذا الهَيَفُ يهون على عَاشِقِيكَ التَّلَفُ
أسرت القلوب بهذا الجمال وأوقعتها في الأسى والأَسَفُ ٥
تكلف بدرُ الدجى أن حكى محياه لو لم يُشْنِه الكَلَفُ
وقالوا به صلف زائد فقلت رَضِيتُ بهذا الصلف

فعارض الشريف جماعة ، وهم : شيخنا الحافظ جمال الدين
محمد بن موسى المراكشي^(٢) ، والجمال بن بَرَكُوت المَكِين ،
والجمال محمد بن عبد الوهاب اليافعي .

فقال المراكشي فيما أنشدنيه أبو الخير المريسي المذكور ، في
التاريخ [المذكور]^(٣) :

لَمَّا أَبْدَعَ اللَّهُ مِنْ ذَا التَّرَفِ تلاف مُجِبِّكَ قَبْلَ التَّلَفِ /
وما ضمه العَطْفُ مِنْ لَيْنِهِ عسى عطفه لِي فِيْمَنْ عَطَفَ ١٦٧ ظ
فوا خَجَلَةَ البدرِ لَمَّا آدَّعَى سَنَّاكَ وَكُذِّبَ لَمَّا آنكَسَفَ^(٤) ١٥

(١) له ترجمة في الضوء اللامع ١١٠/١١ برقم ٣٣٦ ، وفيها « مات في ربيع الأول

سنة ٨٧١ هـ » .

(٢) له ترجمة في العقد الثمين ٤٦٤/٢ برقم ٤٦٥ ، والضوء اللامع ٥٦/١٠ برقم

٢٠٠ ، وفيها « مات سنة ٦٢٨ هـ » .

(٣) إضافة على الأصل .

(٤) كذا في الأصل ، والمعروف أن الكسوف للشمس ، أما القمر أو البدر فله

الخسوف . وكان الأولى بالشاعر أن يقول : وكذب لما انخسف .

- فمذ زعم البدرُ يحكيك مات
ومذ قال غصنُ النقا إنه
بنفسي بذرٌ حكى كتبها
مُحيّاهُ في حرمِ آمِن
أما والنقى من منى والعذيب
لئن لم يجننى بشير الرضا
لأستخلفن مُهَجَّتِي في الورى
من الرّيق لم يرْتَشَفْ^(١)
يقول عفا الله عما سلف
وفى الله يا ذا الغزال الخلف

وقال الفقيه جمال الدين محمد بن الخواجا برّكوت
المكِين^(٢) ، وأنشدنيه أبو الخير المريسي في التاريخ المذكور ، وهو :

- بِهَذِي الْعُيُونِ وَهَذَا الْقَوَامُ
رَشِيقُ الْقَوَامِ إِذَا مَا بَدَا
بَدِيعُ الْجَمَالِ عَذِيبُ اللَّامِ
أَمَاتِ النُّفُوسَ وَأَحْيَا الْقُلُوبَ
أَقَامَ الدَّلِيلَ عَلَى فِتْنَتِي
تَعَمَّدَ قَتْلِي سَاجِي الرِّئَا
أَلَحَّ الْعَوَازِلُ فِي عَذْلِهِمْ
فَخَلَعُ الْعِذَارِ بِهِ لَذَّتِي
تَهُونُ الْحَيَاةُ وَيَحْلُو الْجَمَامُ
يُحَاكِي الْغُصُونُ وَيَذَرُ التَّمَامُ
وَحُلُو الشَّمَائِلِ حَالِي الْوِشَامُ
بَ بِسَيْفِ اللَّحَاطِ وَلَيْنِ الْكَلَامُ
بُوجِهِ صَحِيحٌ وَهَذَا حَرَامُ
فِيَا لِلرَّجَالِ آجِدُوا الْمُسْتَهَامُ
فَقُلْتُ أَعْذُرُونِي وَكُفُّوا أَلَمَامُ
وَقَدْ طَابَ فِي ذَا الْمَلِيجِ الْهَيَامُ

وقال الشيخ جمال الدين محمد بن عبد الوهاب بن عبد الله

(١) كذا في الأصل . ولعله « من الريق [ما طاب] لم يرتشف » .

(٢) له ترجمة في الضوء اللامع ١٥٤/٧ برقم ٣٨٠ وفيها « مات في شوال سنة

ابن أسعد اليافعي^(١) ، وأنشدني أبو الخير المريسي في التاريخ المذكور ١
أيضاً وهو :

بِمَافِيكَ يَا حِلُّ مِنْ ذَا الْهَيْفِ وَمَعْلُولِ ثَغْرِكَ لَمْ يُرْتَشَفْ
تَرْفُقُ بِي يَا بَدِيعَ الْجَمَالِ وَرَاقِبُ بِي مَنْ عَلَيْهِ الْحِلْفُ

انتهى كلام الوالد .

قلت^(٢) : وقد امتدحه الأدباء والشعراء والفضلاء وأكثروا .
فمنهم : قاضي المسلمين شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن
محمد بن عبد الرحمن الحسني الفاسي المكي ، والد قاضي القضاة
تقي الدين ، قال فيه بعد أخذه لبلاد حلي :

عَدَلْتُ فَمَا تُورِي الْهَلَالَ الْمَشَارِقُ
لَتَنْظُرَهُ بِالْمَغْرِبَيْنِ الْخَلَائِقُ /
فَمَا رَامِحٌ إِلَّا بِخَوْفِكَ أَغْزَلُ
وَلَا صَامِتٌ إِلَّا بِفَضْلِكَ نَاطِقُ
فليس لكيد الخائنين هداية
وَبَيْنَ الْوَفَا وَالنَّصْرِ حَقًّا عَلَائِقُ ١٥
إِذَا كُنْتَ ذَا رَأْيٍ فَكُنْ ذَا عَزِيمَةٍ
فَإِنْ خِيَارَ الرَّأْيِ بِالْعَزْمِ سَابِقُ

(١) له ترجمة في الضوء اللامع ١٣٤/٨ برقم ٣١٠ . وفيها « مات في شعبان سنة

٨٥٨ هـ » .

(٢) أي مؤلفنا العز بن فهد .

- ١ وَرُدَّ مَجَازَاتِ الظَّنُونِ حَقَائِقًا
فَإِنَّ مَجَازَاتِ الْمُلُوكِ حَقَائِقُ
فَإِنْ جَنَحُوا لِلْسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَإِنْ
يُرِيدُوا خِدَاعاً فَأَنْتَ بِاللَّهِ وَاثِقُ
٥ وَإِنْ ضَرَبْتَ لِلْعَدْرِ فِي الْأَرْضِ أَرْجُلُ
فَلَا سَلَمَتَ لِلْعَادِرِينَ مَرَافِقُ
مَتَى وَصَلَ الْخِلَافَ سَيْلُ جِيَادِهِ
رَأَيْتَ بِهِ الْقَاعَاتِ وَهِيَ حَدَائِقُ
وَإِنْ فَسَحَتْ عَقْدَ الْوَلَايَاتِ عَازِبُ
١٠ فَكَمْ رَجَعَتْ بَعْدَ (١) التَّفَرُّقِ طَالِقُ
خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْأَمَانِ لِخَائِفِ
فَإِنَّكَ بِالضُّعْفَا رَعُوفٌ وَرَافِقُ

ومنها :

- بَلَا حَسَنٍ شَرْطُ الْإِمَامَةِ سَاقِطُ
١٥ وَلَوْ حَضَرَ الْمَأْمُونُ أَوْ قَامَ وَاثِقُ
لَهُ سَلَامُهَا عَالِمِينَ بِأَنَّهُمْ
وَإِنْ سَبَقُوا فِي الْوَقْتِ فَالْحَقُّ سَابِقُ
جَرَوْا فَمَشَى عِنْدَ السَّبَاقِ فَفَاتَهُمْ
فَيَا سَيْرَهُ بِالْحَقِّ مَالِكُ لَا حِقُّ

(١) في الأصل « بين » ولعل الصواب ما أثبتته .

- ١ كَتَاتِبُهُ كُتِبَ تُجِيبُ بِفَتْحِهَا
وَتُغْنِيهِ عَنِ بَعْثِ الْجُيُوشِ الْبَطَائِقُ
دَرَسْنَا قِرَاءَاتِ الْمَوَدَّةِ قُرْبَهُ
وَقَدْ دَرَسْتَ بَيْنَ النُّجُودِ الْعَمَالِقُ
٥ مَحَاسِنُ دُنْيَانَا عَلَيْكَ وَقَفْتَهَا
وَمَالِكُهَا وَالشَّرْطُ فِيهِ مُطَابِقُ
إِذَا طَلَعَتْ شَمْسٌ تُضِيءُ بِأَفْقِهَا
أَبَى غَيْمُهَا وَالْغَيْمُ لِلشَّمْسِ عَائِقُ
وَنَجْمٌ صُعُودِي فِي الْبُرُوجِ كَرَّاجِعُ
١٠ وَفِي دَرَجِي مِنْ كَيْدِ نَجْمِي دَقَائِقُ
فَقَابِلُ بَوَجْهِ الْحَقِّ إِشْرَاقُ طَالِعِي
تَدُورُ بِأَفْلَاكِ الْحُطُوطِ الْمَنَاطِقُ
تَهْنَأُ بِكَ الْعِيدُ الَّذِي أَنْتَ عِيدُهُ
لِتَسْتَرَّ بِالرُّؤْيَا إِلَيْكَ الْخَلَائِقُ
١٥ فَلَا زَالَ تَكْبِيرِ الْمَنَابِرِ ذِكْرُهُ
وَأَعْلَامُهُ فَوْقَ الرُّءُوسِ خَوَافِقُ
وَقَالَ يَمْدَحُهُ أَيْضاً :

- سَافَرْتَ عَنَّا فَكَانَ الْفَضْلُ لِلْسَّفَرِ
وَقَدْ رَجَعْتَ فَكَانَ الْفَضْلُ لِلْحَضَرِ
٢٠ وَحَرَّكَ الْبَيْتُ أَشْوَاقاً إِلَيْكَ بِهِ
لَوْلَا قُدُومُكَ هَمَّ الْبَيْتِ بِالسَّفَرِ

- ١ وَكَادَ يَنْكِيكَ الْمَسْعَى وَمَوْقِفُهُ
فَيَجْمَعَانِ لِفَضْلِ الْعَيْنِ وَالْأَثَرِ
وَأَوْحَشَ الْحَجَرَ دَوْرَاتُ الْوُقُوفِ بِهِ
وَفَاقَدُ الْإِنْسِ يَحْكِي فَاقَدَ الْعُمَرِ /
١٦٨ ظ وَأَنْطَقَ اللَّهُ رُكْنِيهِ : بَقِيَتْ لَنَا
كَلِّمَكَ الرُّكْنَ أَوْ تَقْبِيلَكَ الْحَجَرَ (١)
عَلَى الْمَقَامِ يَمِينًا لَا مَقَامَ لَهُ
حَتَّى تُرَى فِيهِ فِي الْأَصَالِ وَالْبُكْرِ
يَا قَاسِمَ الرِّزْقِ بَيْنَ الْخَلْقِ كَيْفَ رَأَى
١٠ كَقِسْمَةِ اللَّهِ بَيْنَ الْأَرْضِ لِلْمَطَرِ (٢)
وَأَفَقْتُ رَبِّكَ فِيمَا قَدْ رَضِيَهُ لَنَا
فَطَاوَعْتُكَ يَدُ الْمَكْنُونِ وَالْقَدْرِ (٣)
خَلِيفَةَ الْأَرْضِ هَلْ فِي ذَا السَّمَاءِ مَلَكٌ
يَأْتِيكَ بِالْعِلْمِ أَوْ يَأْتِيكَ بِالْحَبْرِ (٣)

(١) عدل الشاعر عن فتح الراء علامة النصب في الكلمة إلى كسرها مراعاة لحركة الروي في القصيدة ، وهو الراء المكسورة .

(٢) كذا أغرى الإغراق في المدح شاعرنا فأخرجه عما يلتزم به خالص الإيمان ، صادق العقيدة من عدم إسناد ما هو لله تعالى لأحد من عباده مهما كان قدره . فالله يغفر له ؛ فقد كان من العلماء والأفاضل بمكة المكرمة ؛ ناب في القضاء وتولى شؤون الحرم . وانظر ترجمته في العقد الثمين ١٠٩/٣ برقم ٦٠٥ ، والضوء اللامع ٣٥/٢ برقم ١٠٣ .

(٣) هذان البيتان قبيحان مستنكران دفع إليهما الغلو المذموم في المدح . وليس هناك بشر تطاوعه يد القدر ! .

- ١ فَإِنْ عِنْدَكَ مِنْ عِلْمِ السَّمَاءِ نَبَأٌ
وَأَنْتَ وَارِثُ مُوسَى صَاحِبِ الْخَضِرِ (١)
أَنْتَ الَّذِي قَسَمَ الْأَزْمَانُ أَرْبَعَةً
لِلرَّأْيِ وَالْحَرْبِ وَالْمِحْرَابِ وَالنَّظَرِ
لِلأُولَانِ جَدِيدَانِ الصَّبَاحِ بِهِ
وَلِلْآخِرَانِ جَنَحُ اللَّيْلِ وَالسَّحَرِ (٢)
مَا قَارَنَ الْمُلْكَ إِلَّا كَانَ فِي شَرَفٍ
مَا لِلدَّرَارِيِّ وَمَا لِلنَّجْمِ مِنْ أَثَرٍ
إِنْ كَانَ لِلنَّاسِ مَلِكٌ نَجْمُهُ زُحَلٌ
فَإِنْ مُلْكُكَ نَجْمُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ ١٠
ومنها :

- بَيْنَ النَّبِيِّ وَهَذَا ابْنِ النَّبِيِّ عُلُقٌ
عَلَاقَةُ الْفَرْعِ وَالْأَغْصَانِ وَالشَّجَرِ
إِنْ تَسْتَوِي الذَّاتُ فِي أَصْلٍ وَفِي نَسَبٍ
فِي الصِّفَاتِ يَزِيدُ الْفَضْلُ فِي الْبَشَرِ ١٥
إِنَّ الزَّمَانَ بِلَا عَيْنٍ بِهِ عَوْرٌ
لَمَّا رَأَى رَأْيَاهُ بِلَا عَوْرٍ
إِنْ يَعْجَبِ النَّاسُ مِنْ هَذَا فَلَا عَجَبٌ
فِي رَدِّكَ الْعَيْنِ أَوْ فِي رَدِّكَ الْبَصَرِ (٣) /

(١) وهذا أيضاً مدح كاذب لاحقيقة له فلا نبوة بعد محمد ﷺ .

(٢) كذا في الأصل ، ولعل الشاعر تابع من ألزموا المثني الألف .

(٣) وانظر تعليقنا رقم ١ ص ٣٦٠ .

- ١ وَكَمْ رَدَدَتْ عَنِ الْأَعْمَارِ مِنْ أَجَلٍ
فَرَادَكَ اللَّهُ فِي الْآجَالِ وَالْعُمُرِ
كَسَا الْخِلَافَةَ مَنْ هَيَّأَتْهُ خَلْفاً
لَمَّا كَسَا الْمُلْكَ أَثْوَاباً مِنَ الْخُضْرِ
نَفَى الظَّلَامَ عَنِ الدُّنْيَا وَسَاكِنَهَا
وَقَالَ لِلَّيْلِ إِنَّ تَأْتِي (١) فَبِالْقَدْرِ
فَفَرَّقَ اللَّيْلُ ظِلْمَاهُ وَجَزَّاهَا
بَيْنَ الْأَوَائِلِ وَالْأَوْسَاطِ وَالْعُرَرِ
فَزَرَّتْهَا وَبَيَاضُ الصُّبْحِ يُظْهِرُنِي
١٠ وَلَا حَشِيئْتُ وَلَا مِنْ نَحْشَةِ الْإِبْرِ
وَلَمْ أَزُرْ وَسَوَادُ اللَّيْلِ يَشْفَعُ لِي
وَمَا أَتَيْتُ وَظِلْمَاهُ (٢) كَمَا الْأُزْرِ
فَاكْتُبْ بِحُطَّتْ إِنَّ الدَّهْرَ يَقْسِمُ لِي
مِنَ الْحُطُوطِ كَحِطِّ الْعَاضِبِ الذِّكْرِ
١٥ فَإِنْ وُصِفْتُ فَإِنَّ الْعِلْمَ مِنْ صِفَتِي
وَإِنْ نُسِبْتُ فَلِإِلَابَاءٍ مِنْ مُضَرٍ
أَيَا جَرِيرٍ فَلَا تَجْرٍ وَقِفْ أَدْباً
وَأَمْشِ كَمَشِي أَبِي تَمَّامٍ فِي الْأَثَرِ

(١) كذا في الأصل .

(٢) في الأصل « ظلماها » ولعل الصواب ما أثبتته .

١ سَبَقْتُمَانِي وَلَكِنْ لَا إِلَى حَسَنِ
 الْعَيْنُ أَصْدَقُ إِبْنَاءَ مِنَ الْخَبَرِ
 رُبُّعُ الْبَلَاغَةِ لَمْ تَخْرَبْ أَوَائِلُهُ
 وَالْكَثْرُ وَسَطُ أَسَاسِ الدَّارِ وَالْجُدُّ
 ٥ اللَّهُ يَحْرُسُ أَيَّامَ الْكَمَالِ بِهِ
 ١٦٩ مِنْ الْعُيُونِ وَمِنْ أَيَّامِهَا الْأُخْرَى

وقال أيضاً من قصيدة في مدحه :

لَوْلَا اتِّبَاعُ رَسُولِ اللَّهِ فِي عَدَدٍ
 رُحْنَا إِلَى حَسَنِ فِي سَعِينَا شَوْطًا

ومنها :

١٠ فَارْحَلْ إِلَى مَلِكٍ يُكْنَى أَبَا هَمِّمٍ
 يُرِيكَ هَمَّكَ مِنْ رَاحَا[ته] (١) خَطًّا

ومنها في المطلع والاستهلال براعة :

مَا مَهَّدَ الْمُلُوكَ فِي الدُّنْيَا وَلَا وَطًا
 ١٥ إِلَّا الَّذِي كَالسَّمَاءِ لِلْأَرْضِ قَدْ غَطَّى

* *

ومنها الأديب العلامة بدر الدين حسين بن محمد بن العلي
 المكي . قال يمدحه بقصيدة وسماها « الدرة الثمينة » وذلك لما أعيد

(١) إضافة يستقيم بها الوزن والمعنى .

- ١ إلى سلطنة مكة ، في سنة تسع عشرة وثمانمائة ، بعد عزل ابن أخيه
رُمَيْثَةَ بن محمد بن عجلان ، وأنشدها للوالد في يوم الجمعة ثاني
عشر ربيع الأول سنة تسع وأربعين وثمانمائة ، بالمسجد الحرام :

هَاتَا أَحَادِيثَ الْعَقِيقِ وَحَاجِرِ

- ٥ مَا فِي الْحَدِيثِ عَلَيْكُمَا مِنْ حَاجِرِ
وَأَسْتَسْقِيَا دَمْعِي إِذَا كُفَّ الْحَيَا

عَنْهَا وَكُفَّ وَكُفَّ مَحَاجِرِي^(١)

وَسَلَا رُبَا يَبْرِينَ عَنْ آرَامِهِ

وَالْجَهْلَتَيْنِ عَنِ الْعَزَالِ النَّافِرِ

- ١٠ إِنْ تَحْتَبِرْنِي بِالزَّمَانِ وَأَهْلِهِ

إِنِّي لَعَمْرُ أَبِيكَ أَخْبَرُ خَابِرِ

جَمَدَتْ أَكُفُّ أَهْلِهِ فَكَأَنَّمَا

يُعْطُونَ سَائِلُهُمْ بِكَفِّي مَاذِرِ

حَسْبِي مُجَاوِرَةُ الْمَشَاعِرِ وَالصَّفَا

- ١٥ وَالْمَرُوتَيْنِ وَتِلْكَ خَيْرُ شَعَائِرِي

وَجَنَابِ مَلِكِ الْأَبْطَحِينَ بِمَكَّةِ

بَدْرِ الْهُدَى الْقَمَرِ الْمَنِيرِ الزَّاهِرِ

السَّيِّدِ الْمُتَفَضِّلِ الْمُتَلِّينِ الْمُتَحَشِّدِ

بِالْمُتَطَاوِلِ الْمُتَقَاصِرِ

(١) كذا بضبطه بالشكل في الأصل .

١ الفارسِ البطلِ الهَمَامِ الأَرْوَعِ أَلْ
مَلِكُ الحُسَامِ: المَشْرِفِي البَاتِرِ
الطَّاعِنِ النَّجْلَاءِ فِي يَوْمِ الوَغَى
والضَّارِبِ الفَوْعِي ضَرْبَ النَّائِرِ

ومنها :

٥ مُحِبِّي شَجَاعَةِ حَيْدَرِ يَوْمِ الوَغَى
وَسَخَاءِ سِبْطِيهِ وَعِلْمِ البَاقِرِ
وَالْعَادِلِ الْأَحْكَامِ إِلَّا أَنَّهُ
فِي بَذْلِهِ لِلْمَالِ أَجْوَرُ جَائِرِ
١٠ حَرُمَ السُّؤَالِ عَلَيَّ غَيْرَ سُؤَالِهِ
فِي مَكَّةَ تَحْرِمُهَا لِلْكَافِرِ
عَقَمَ الزَّمَانُ بِمِثْلِهِ وَبِمِثْلِهِ
رَاحَتْ بِهِ دُنْيَاهُ أَعْقَرَ عَاقِرِ
سُلْطَانِ مَكَّةَ وَالْمَشَاعِرِ كُلِّهَا
١٥ وَإِمَامُهَا النَّاهِي الْمُطَاعِ الْآمِرِ
وَمُجَدِّدِ الْفَتْحِ الْمُيِّنِ بِهَا وَمَنْ
أَخِيَا بِهَا فَتَحَ النَّبِيُّ الْحَاشِرِ
لَمَّا تَقَلَّلَ فِي الْأَبَاطِحِ سَائِرًا
خَلَّتِ الْجِبَالُ مِنَ الْحَمِيسِ السَّائِرِ /
ظ ١٦٩ وَغَدَتْ شِعَابُ الْأَبْطَحِينَ كَأَنَّمَا
سَالَتْ بِسَيْلِ أَسِنَّةٍ وَوَوَاتِرِ

- ١ وَمَقَانِبٍ وَكُتَائِبٍ وَمَوَاكِبٍ
 وَنَجَائِبٍ وَسَلَاهِبٍ وَعَسَاكِيرٍ
 لَا الْوَحْشُ فِي دَوِّ الْفَلَاةِ^(١) بِسَالِمٍ
 مِنْهَا وَلَا الطَّيْرُ الْمُثَارُ بِثَائِرٍ
 ٥ وَفَوَارِسٍ لَوْ أَنَّ عَتْرَةَ اللَّقَا
 لَاقَى لَلَّاقَاهَا بِمُهْجَةٍ صَافِرٍ
 وَلَكَانَ أَرْوَغَ فِي الْوَعَى مِنْ ثَغَلٍ
 عَنْهَا وَأَطْيَشَ فِي اللَّقَا مِنْ طَامِرٍ^(٢)
 وَقَسِيَّ نَصْرِكَ لَمْ يَزَلْنَ سَهَامُهَا
 ١٠ تُضْمِي الْقُلُوبَ وَكُلَّ ذَاتِ خَوَافِرٍ

ومنها :

- فَكَأَنَّمَا هِيَ فِي إِصَابَتِهَا الْعَدَى
 شُهْبٌ تَقْضَى عَلَى مَرِيدٍ فَاجِرٍ
 فَحَلُمْتُ عَنْهُمْ حِلْمَ رَعْوَى فِيهِمْ
 ١٥ وَعَفَوْتُ عَنْهُمْ عَفْوَ مَلِكٍ قَادِرٍ
 وَرَضِيَتْ مِنْ حَمْلِ الْمَصَاحِفِ مَا رَضِيَ آلُ
 كَرَّارٍ فِي حَرْبِ ابْنِ هَنْدَ الثَّائِرِ
 وَدَخَلْتُ فِي يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ مَكَّةَ
 يَوْمًا عَلَى الْأَعْدَاءِ مِنْكَ قُمَاطِرِي

(١) الدو : المفازة . والفلاة : بمعناها فهي من إضافة الشيء إلى مرادفه .
 (٢) طامر : يقال طامر بن طامر : أي المجهول هو وأبوه . (المعجم الوسيط) .

- ١ وَتَطَهَّرْتَ بِكَ مَكَّةَ مِنْ رَجْسِهَا
تَطْهِيرَ مُغْتَسِلِ بَمَاءِ طَاهِرٍ
وَاخْتَارَكَ اللَّهُ الْعَظِيمُ لِبَيْتِهِ
وَلِسَاكِنِ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ وَحَاضِرِ
٥ فَاشْكُرْ لِرَبِّكَ كُلَّ مَا أُعْطِيَتهُ
شُكْرًا يُفُوقُ [مقام] (١) شكر الشَّاكِرِ

ومنها :

- حَقُّ الثَّنَاءِ عَلَى الْكَرِيمِ فَرِيضَةً
لَوْ بَاعَ فِيهِ إِزَارُهُ لِلشَّاعِرِ
١٠ أَعْطَى النَّبِيُّ رِذَاهُ كَعْبًا (٢) فِي الثَّنَا
وَعَلِيٌّ جَادَ بِذِي الْفَقَارِ الْبَاتِرِ
وَأَنَا أَدِيبُكَ وَابْنُ شَاعِرِكَ الَّذِي
فَاقَ الْوَرَى مِنْ نَاطِلٍ أَوْ نَائِرِ
وَلِسَانُ عَدْنَانٍ وَقَسٌّ فِي الْوَرَى
وَنَزَارُهَا لِقِيَاصِرٍ وَأَكَّاسِرِ ١٥

* *

ومنهم أخوه الأديب نور الدين علي بن العُليِّف ، [فله

(١) إضافة يستقيم بها الوزن .

(٢) هو كعب بن زهير بن أبي سلمى ، مدح النبي ﷺ بقصيدته « بانت

سعاد » فكساه بردته (سيرة النبي لابن هشام ٩٣٧/٤ — ٩٤٣ ، والوفا بأحوال

المصطفى ٤٦٠/٢) .

- قصيدة في مدح الشريف حسن ^(١) وأنشدها للوالد أخوه الشيخ
بدر الدين حسين في التاريخ المتقدم ^(٢) ، وقال : أنشدني أخى
لنفسه قوله يمدح صاحب مكة السيد حسن بن عجلان :

إِنْ نَامَ بَعْدَ فِرَاقِ الْحَيِّ إِنْسَانِي
فَمَا أَقَلَّ مُرَاعَاتِي وَأُنْسَانِي
أَوْ غَيْرَ الْبُعْدِ بَعْدِي وَدَّهْمُ فَلَقَدْ
كَذَّبْتُ دَعْوَايَ فِي سِرِّي وَإِعْلَانِي

- تَاللَّهِ مَا رُمْتُ سُلُونًا وَلَا خَمَدْتُ
مِنْ بَعْدِهِمْ نَارُ أَشْوَاقِي وَأَحْزَانِي
وَلَا رَأْتُ بَعْدَهُمْ عَيْنِي وَلَا هَجَعْتُ
وَلَا تَلَاَقْتُ بِطَيْفِ النَّوْمِ أَجْفَانِي
وَكَيْفَ تَهَجُّعُ مِنْ بَعْدِ الْفِرَاقِ وَقَدْ
بَانَ الْكَرَى عِنْدَمَا بَانُوا عَنِ الْبَانِ
يَا سَعْدُ دَعِ ذِكْرَ مَنْ لَمْ يَشْفِ ذِكْرُهُمْ
وَهَاتِ عَنْ جِيرَةٍ فِي سَفْحِ نَعْمَانِ /

١٧٠ و لَمْ يَبُلْ وَدِّي عَلَى مَرِّ الْجَدِيدِ لَهُمْ
وَالْحُبُّ مَا لَيْسَ يُبْلِيهِ الْجَدِيدَانِ

(١) إضافة يقتضيها السياق .

(٢) أي في يوم الجمعة ثاني عشر ربيع الأول من سنة ٨٤٩ هـ . وانظر تقديم

القصيدة السابقة .

١
إِنِّي لَأَعْشَقُ فِي أَخْدَارِهِمْ قَمَرًا
تَمَّتْ مَحَاسِنُهُ مِنْ غَيْرِ إِحْسَانِ
عَبْلُ الرَّوَادِفِ مَسْحُورٌ نَوَاطِرُهُ
كَأَنَّمَا أَفْلَتَتْهُ كَفَّ رِضْوَانِ

٥
إِذَا مَشَى فِي نَفِيسِ الْحَلِيِّ مَالٍ بِهِ
فِي حِقْبِ رَمْلِيَّةٍ غُصْنٌ مِنَ الْبَانِ
يَا لَا يَمِي فِي هَوَاهُ لَوْ عَلِمْتَ بِمَنْ
تَلُومُ فِي حُبِّهِ مَا كُنْتَ تَنْهَانِي
لَكِنَّ أَحْسَنَ مِنْ حُبِّ الْمَلَاكِ وَمَنْ
١٠ طَرَدَ الْهَوَى بَيْنَ قَيْنَاتٍ وَعِيدَانِ

طَيِّ الْفَيَافِي وَتَأْدِيبُ السُّرَى وَقَرَى
أَمُونُهُ مِنْ بَنَاتِ الْعِيسِ مِقْرَانِ
حَتَّى إِذَا مَا أُنَاخْتُ فِي فِنَاءِ مَلِكٍ
حُلُوِ الشَّمَائِلِ مِطْعَامٍ وَمِطْعَانِ
١٥ سَبَّاقِ غَايَاتِ آبِنِ الْمُصْطَفَى حَسَنِ
وَحَيْرٍ مَنْ سَوَّدَتْ سَادَاتُ عَدْنَانِ

بِرَاسِهَا رَاسَهَا يَعْسُوبٌ مَفْخَرَهَا
صِمْمَاصِمَهَا تَاجُهَا مَهْدِيُّهَا الْمَانِ

١ تَتَوَجُّعُ الشَّمْسُ وَالْبَدْرُ الْمُنِيرُ بِهِ
وَتَسْتَوِي نَعْلُهُ تَاجاً لِكَيَّوَانِ
ابن النَّبِيِّ وَسِبْطِيهِ وَخَيْدَرَةَ
وَفَاطِمِ لَيْسَ مِنْ لَحْمٍ وَغَسَّانِ

وَسَادَةِ جَاءَ فِي التَّوَرَةِ فَضْلُهُمْ
وَفِي زُبُورٍ وَإِنْجِيلٍ وَفُرْقَانٍ
إِنْ عُدَّ فَخْراً وَفَضْلاً فَهَوَ أَكْرَمُ مَنْ
مَشَى عَلَى الْأَرْضِ مِنْ شَيْبٍ وَشَبَّانِ
تَرَاهُ إِذْ يُسْأَلُ الْمَعْرُوفَ مُبْتَسِماً
مُسْتَبْشِراً بِالْعَطَايَا غَيْرَ غَضْبَانِ

١٠ أُنْذَى وَأَكْرَمُ مِنْ أَوْسٍ بْنِ حَارِثَةَ (١)
وَمِنْ يَزِيدٍ (٢) الْعَطَايَا فِي خِرَاسَانَ
وَمِنْ سَمُوعِلَ (٣) غَسَّانٍ وَمِنْ هَرِيمَ (٤)
وَطَلْحَةَ (٥) الْمُتَوَفَّى فِي سِجِسْتَانَ

(١) هو أوس بن حارثة بن لأم ، أخو بني جديلة من طيء اليمن ، جاهلي ، وبه
وحاتم الطائي يضرب المثل في الجود (المحبر ١٤٥ ، ١٤٦) .

(٢) هو يزيد بن المهلب بن أبي صفرة ، أبو خالد . اشتهر بالجود وكثرة العطاء ،
وقيل في عطائه كثير من القصص والأشعار ، مات قتيلاً سنة ١٠٢ هـ (وفيات الأعيان
٢٧٨/٦ - ٣٠٩ ، والعقد الفريد ٣٥٠/١) .

(٣) هو السمؤال بن حيا بن عادياً الغساني ، يضرب بوفائه المثل ، شاعر جاهلي =
(المحبر ٣٤٩) .

وَلَا يُقَاسُ بِهِ الطَّائِي ^(١) إِذَا وَقَدَتْ
غَيْرُ السُّنَيْنِ وَلَا مَعْنُ بْنُ شَيْبَانَ ^(٢)

فِي الْحَرْبِ أَشْفَرُ مِنْ عَمْرٍو ^(٣) وَعَتَرَةٌ ^(٤)
لَكِنَّ فِي السَّلَامِ يَعْلُو حُكْمَ لُقْمَانَ ^(٥) .

= (٤) هو هرم بن سنان بن حارثة بن قيس ، جاهلي ، أكثر الشعراء في مدح جوده ، وضرب به المثل (المحبر ١٤٣) .

(٥) هو طلحة الطلحات بن عبد الله بن خلف الخزاعي ، كان والياً على سجستان من قبل مسلم بن زياد بن أبيه وإلى خراسان ، مات في فتنة عبد الله بن الزبير (وفيات الأعيان ٨٨/٣ ، والمحبر ١٥٦) .

(١) هو حاتم الطائي بن عبد الله بن سعد بن الحشرج ، جاهلي يضرب به المثل في الجود . أو ابنه عدي بن حاتم الطائي ، وكان من أجواد الإسلام (المحبر ١٤٥ ، ١٥٦ ، والعقد الفريد ١/٣٥٧) .

(٢) هو معن بن زائدة بن عبد الله بن زائدة الشيباني ، كان جواداً شجاعاً ممدحاً مقصوداً كثير المعروف ، تنقل في الولايات أيام بنى أمية . أمه المنصور العباسي وأكرمه وولاه سجستان ، قتله بعض الخوارج في سنة ١٥١ هـ — على الخلاف — (وفيات الأعيان ٢٤٤/٥ ، والعقد الفريد ١/٣٥٦) .

(٣) هو عمرو بن معديكرب ، وقد كتب الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى النعمان بن مقرن — وهو على الصائفة — : أن استعن في حرك بعمرو بن معديكرب ، وطليحة الأزدي ، ولا تولهما من الأمر شيئاً ؛ فإن كل صانع أعلم بصناعته . وانظر : العقد الفريد ١/١٤١ ، ٦٥/٢ ، ٦٦ .

(٤) هو عترة بن شداد العبسي وهو أشهر من أن أعرف به .

(٥) هو لقمان الحكيم بن عنقاء بن مريد بن صاوون ، كان نوبياً مولى للقيين بن جسر ، ولد في عهد داود عليه السلام ، وكان عبداً صالحاً . ورد ذكره في القرآن الكريم سورة لقمان الآيتين ١٢ ، ١٣ ، وانظر مروج الذهبى ١/٥٧ .

١ أَوْ قَالَ أَفْصَحُ مِنْ قُسٍّ^(١) وَقَيْسٍ^(٢) مَعًا
وَمُصْعَبٍ^(٣) وَأَبِي ذَرٍّ^(٤) وَسَحْبَانَ^(٥)
مَكَارِمٍ مِنْ عَلِيٍّ أَصْلُ دَوْحَتِهِ
وَفَرْعُهَا مِنْ أَبِي سَعْدٍ وَعَجْلَانٍ

(١) هو قس بن ساعدة الإيادي ، كان حكيم العرب في الجاهلية ، وضرب بحكمته المثل ، وكان يقر بالبعث ، وروى أن النبي ﷺ سأل عنه أهله . فقالوا : هلك ؛ فترحم عليه ، وذكر رؤيته له في سوق عكاظ وهو يخطب الناس (مروج الذهب ٦٩/١ ، ٧٠) .

(٢) قيس : لعله قيس بن عاصم المنقري ، الوافد على رسول الله ﷺ ، فبسط له رداءه وقال : هذا سيد الوبر (العقد الفريد ٣/٢ ، ٤ ، والمعارف لابن قتيبة ١٣٠) ، أو قيس بن مسعود البكري أحد وفد النعمان إلى كسرى (العقد الفريد ٩/٢ ، ١٦) . أو قيس بن سعد بن عبادة ، وكان قد وصف مع جماعة بأنهم بذوا الناس طولاً وجمالاً ، وكتب إلى معاوية كتاباً جمع فيه فصاحة العربي (الكامل للميرد ٣٠٩/١) . أو قيس ابن رفاعه ، وانظر بعض أخباره في (الأملالي لأبي علي القالي ٢٥٧/١) .

(٣) هو مصعب بن الزبير بن العوام ، واشتهر بأنه أشد العرب والعجم والإنس والجن (الخبر ٢٢٢) . وقالوا : كان أجل الناس ، وأسخى الناس ، وأشجع الناس ، وكان تحته عقيلتا قريش عائشة بنت طلحة ، وسكينة بنت الحسين (العقد الفريد ٤١٢/٤) . وقال فيه أخوه عبد الله بن الزبير : هو المحبوب في خاصته ، المحمود في عامته ؛ بما أطلق الله به لسانه من الخير ، وبسط به يده من البذل (الأملالي ١٨٣/١) . (٤) هو أبو ذر الغفاري صاحب رسول الله ﷺ ، واسمه جندب بن السكن ، وقيل جندب بن جنادة ، من غفار ، مات سنة ٣٠ هـ في عهد عثمان رضي الله عنهما (المعارف لابن قتيبة ١١٠ ، ١١١) .

(٥) هو سحبان وائل ، منسوب إلى وائل باهلة ، وهو وائل بن معن بن أعصر ، وكان خطيباً ، ضرب به المثل . (المعارف ٢٦٤) .

١ إِنَّ الْخِلَافَةَ مَا مَنْ رَامَ يَسْلُمَهَا
مَنْ بَعْدَ دَاوُدَ جَاءَتْ فِي سُلَيْمَانَ

إِنِّي مَدَحْتُكَ يَا بَنَ الشُّمِّ مِنْ مُضَرٍ
وَقَدْ رَضِيتُكَ عَنْ قَاصٍ وَعَنْ دَانَ ٥
أَرْجُوكَ لِي يَا بَنَ خَيْرِ الْعَالَمِينَ كَمَا
قَدْ كَانَ جَدُّكَ فِي الدُّنْيَا لِحَسَنِ
إِنِّي وَإِنْ عِشْتُ لَا أَثْنِي عَلَيْكَ كَمَا
أَثْنَى الْوَلِيدُ^(١) عَلَى الْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ^(٢)

١٠ إِنْ نَعَلَ الْمُتَنَبِّيَ خَيْلَهُ ذَهَبًا
إِنِّي لَأَرْجُوكَ تَحْبُوهَا بِتَيْجَانٍ
فَاسْلَمْ وَدُمَ فِي نَعِيمٍ لَا نَفَادَ لَهُ
وَكُلُّ حَيٍّ وَإِنْ طَالَ الْمَدَى فَإِنْ

* *

١٥ ومنهم شيخنا الإمام الأديب قطب الدين أبو الخير محمد بن

(١) هو الوليد بن عبيد بن يحيى بن عبيد بن شلال . أبو عبادة البحرري
الطائي ، الشاعر المشهور ، مات بمنهج بمرض السكتة سنة ٢٨٤ هـ ، له مدائح في
الفتح بن خاقان وزير المتوكل العباسي ، بلغت تسعاً وعشرين قصيدة (ديوان البحرري
— تحقيق حسن كامل الصيرفي ١/١٤٩ ، ١٥٦) .

(٢) هو الفتح بن خاقان بن أحمد بن غرطوج ، وزير المتوكل العباسي ، قتل معه
سنة ٢٤٧ هـ (فوات الوفيات ٣/١٧٧ برقم ٣٨٩) .

- ١ الشيخ قوي الدين عبد القوي بن محمد بن عبد القوي المكي (١)
 المالكي ، قال يمدحه لما ولى مكة بعد عزل ابن أخيه السيد رُمَيْثَةُ بن
 محمد بن عجلان الحسني في شوال سنة تسع عشرة وثمانمائة ، أولها :

وَأَفْتِ بِدَوْلَتِكَ السَّعَادَةَ لِلْمَلَا

- وَالْيَوْمَ نَالَ مُؤَمِّلٌ مَا أَمَّلَا

مَنْ كَانَ مِنَّا مُذْ نَأَيْتَ مُحَسِبًا

فَالْيَوْمَ يَتْرُكُهُ السُّرُورُ مُحْمَدًا

وَمَنْ اخْتَفَى مُتَوَارِبًا خَوْفَ الرَّدَى

نَادَى الْأَمَانَ بِهِ هَلُمَّ مُبْسِمًا

- ١٠ وَمَنْ أَتَبَعَى وَطَنًا بِأَقْصَى بَلَدَةٍ

فَالْعَدْلُ يُسْكِنُهُ بِمَكَّةَ مَنْزِلًا

رَدَّ إِلَاهَهُ عَلَيْكَ مُلْكَكَ بَعْدَمَا

ظَنَّ الْحَسُودُ بِأَنَّهُ لَنْ يَفْعَلَا

مَا كَانَ ثَقُلَكَ عَنْ مَكَانِكَ مُوجِبًا

- ١٥ نَقَصَ الْمَكَائِلَةَ لَا وَلَا كَلًّا وَلَا

(١) هو محمد بن عبد القوي بن أحمد بن محمد بن علي المكي ، كان بارعاً في
 نظم الشعر ، وأكثر مطالعة التاريخ وبخاصة تاريخ الحجاز ، توفي سنة ٨٥٢ هـ (الضوء
 اللامع ٧١/٨ برقم ١٣٠ ، والتبر المسبوك ٢٤٥ ، ومعجم الشيوخ ٢٣٣ ، وشذرات
 الذهب ٢٧٥/٧) .

١ لَكِنَّكَ الْبَذْرُ الْمُنِيرُ رَقِيتَ فِي
رُتَبِ الْكَمَالِ فَحُزَّتْهَا مُتَنَقِّلًا
رُدَّتْ إِلَى أُمِّ الْقُرَى أَيَّامُهَا
فِيهَا بَعْدُكَ يَصْحَبُ الذُّبُّ الطَّلَا

ومنها :

لِلَّهِ دَرْكٌ مِنْ مُبَارَكٍ طَلَعَةٍ
نَشَأَتْ بِمَيْمُونِ السَّعَادَةِ مَعْقِلًا
أَوْلَمْ تَكُنْ فِيهَا خَلِيقًا بِالْعُلَى
وَمُدَافِعًا عَنْهَا بِهَا عِظَمَ الْبَلَا
١٠ وَلَقَدْ دَرَأَتْ عَنِ الْأَنَامِ نَوَائِبًا
لَوْ رَامَ طَوْدٌ دَرَاهَا لَتَزَلَزَلَا

حُمِدَتْ بِحِلْمِكَ فِتْنَةٌ حَسَنِيَّةٌ
لَا تُنْطَفِئُ وَسَعِيرُهَا لَا يُصْطَلَى
١٥ أَطْفَاتُ سَوَرَتِهَا بِصَبْرِكَ عَنْهُمْ
وَالصَّبْرُ إِنْ تُطْعَمَ مَرَارَتُهُ حَلَا
لَكَ فِي رِقَابِ بَنِي الزَّمَانِ صَنَائِعُ
حَكَمَتْ عَلَى مَجْمُوعِهِمْ لَكَ بِالْوَلَا

ومنها :

٢٠ وَأَرَادَ سَبْقَكَ لِلْمَعَالِي مَعْشَرُ
فَتَأَخَّرُوا عَنْهَا وَكُنْتَ الْأَوَّلَا

١ وَرَأَىكَ أَرْبَابُ الْمَعَالِي غَايَةً
فِيهَا فَلَا يَتَطَلَّعُونَ إِلَى الْعُلَى

ومنها :

يَا بُنَى النَّبِيِّ وَسِبْطِهِ وَوَصِيِّهِ
نَسَبٌ نَمَاهُ الْمُصْطَفَى فَتَأَصَّلَا ٥
نَسَبٌ أَضَاءَ الْكَوْنُ مِنْ لَأَلَائِهِ
حَتَّى لَقَدْ فَضَحَ الشُّمُوسَ الْكُمَلَا
يَهْنِكُ فَتَحُ فِي ثَلَاثَا خَامِسِ آلِ
عِشْرِينَ مِنْ شَوَّالٍ جَاءَ مَبْشَرَا
أَيْضًا وَأَيَّدَكَ الْإِلَٰهَ بِنَصْرِهِ ١٠
وَاللَّهُ مَنْ يُنْصَرُّ بِهِ لَنْ يُخْذَلَا /

١٧١ و فَاسْعُدْ بِمُلْكِكَ مَا حَيَّيْتَ فَإِنَّهُ
قُطِبُ الْمَسْرَّةِ عَنْهُ لَنْ تَتَحَوَّلَا
وَأَصِخْ لِمَدْحٍ فِي غَلَاكَ نَظْمُهُ
فَبِهِ وَجَدْتُ إِلَى الْمَكَارِمِ مَدْخَلَا ١٥
يُثْنِي عَلَيْكَ بِهِ الْقَرِيبُ وَلَمْ يُطَلْ
وَالنَّظْمُ اسْمٌ مَا تَرَاهُ مُطَوَّلَا

فَلَقَدْ عَلِمْتَ لِعُظْمٍ قَدْرَكَ أَنَّهُ
أَعْيَتْ مَدَائِحُكَ الْبَلِيعُ الْمَقُولَا ٢٠

- ١ لَكِنِّي لَمَّا عَلِمْتُكَ رَاضِيًا
وَأَفَيْتُ بِالْمَيْسُورِ مِنْهُ لِيُقْبَلَ
تَبَقَى لِمَنْ يَرْجُو نَوَالَكَ مُنْعِمًا
وَلِمَنْ يُعَانِي قَرَعَ بَابُكَ مَوْئِلًا
- وقال يمدحه من قصيدة طويلة أزيد من مائة وستين بيتاً ،
أنشدها للوالد في سنة أربع وأربعين وثمانمائة ، أولها :

- مَا إِنْ سَرَى رِيَاكَ فِي الْأَرْجَاءِ
إِلَّا وَسَارَ هَوَاكَ فِي أَحْشَائِي
يَا مُغْرَمًا بِتَلَاَفٍ مُهْجَةٍ مُغْرَمٍ
حَسْبِي غَرَامِي فِيكَ مِنْ غَرَمَائِي ١٠
أَسَرْتُ لِحَاظِكَ مُهْجَةً لَمْ تَذِرْ مَا
كَانَ الْهَوَى مِنْ سَائِرِ الْأَشْيَاءِ
يَا أَيُّهَا الرِّشَاءُ الْمُصِيبُ مَقَاتِلِي
بِسَهَامِهِ اللَّهُ فِي إِبْقَائِي
ومنها :

- وَإِذَا الزَّمَانُ كَسَاكَ حُلَّةَ مُعْدِمٍ
فَالْبَسْ لَهَا حُلَّ الْعَرِيبِ النَّائِي
وَأَحْلِلْ بِسَاحَةِ خَيْرٍ مَنْ أَوْلَى الْقَرَى
وَأَجَلْ مَوْلَى مِنْ بَنِي الزَّهْرَاءِ
تُظْفَرُ بِكُلِّ كَرِيمَةٍ وَكَرَامَةٍ
وَتَفْزُ بِكُلِّ غَنِيمَةٍ وَغَنَاءِ

١
فَجَنَابُهُ الْحِصْنُ الْمَنِيعُ لِمُتَشَجِّجٍ
وَجِوَارُهُ أَمْنٌ مِنَ اللَّأْوَاءِ
وَأَجْدُ مَدِيحِكَ فِي غُلَاةٍ فَطَالَ مَا
مَدَحَتْهُ مِثْلَكَ سَائِرُ الشُّعْرَاءِ
ومنها :

٥
مِلْكٌ تَرَى الْعَافِينَ مُحَدِّقَةً بِهِ
زُمرّاً مِنَ الْفُقَرَاءِ وَالْأُمَرَاءِ
هَذَا يَرُومُ الْأَمْنَ مِنْ سَطَوَاتِهِ
وَلِذَاكَ فِي نَادِيهِ حُسْنُ عَطَاءِ
١٠
مُسْدَى النَّفَائِسِ لِلْمُؤْمِلِ بِرِّهِ
مُرْدَى الْعَنَابِسِ فِي وَغَى الْهَيْجَاءِ

مَا جُودُ مَعْنٍ أَوْ سَمَاحَةُ جَعْفَرٍ
مَا طَلْحَةُ الطَّلَحَاتِ أَوْ مَا الطَّائِي
مَا مَالِكٌ فِي بَأْسِهِ مَا عَتَتُرُ
١٥
مَا حَارِثٌ مَا عَمَرُو يَوْمَ لِقَاءِ
أَبِيهِ يُقَاسُ النَّاسُ وَهُوَ إِمَامُهُمْ
فِي حَالَةِ النَّعْمَاءِ وَالْبَأْسَاءِ
تَحْشَى مُلُوكُ الْأَرْضِ سُورَةَ بَأْسِهِ
وَتَهَابُهُ فِي الْعَابِ أَسْدٌ وَغَاءِ
ومنها :

١
مِلْكٌ تَخِرُّ لَهُ الْجِبَالُ مَهَابَةً
وَتَطُولُ فِيهِ السُّنُ الْفُصْحَاءُ /
بَذُرُ الْمَعَالِي وَابْنُ بَجْدَتِهَا الَّذِي
يُدْعَى لِذَفْعِ الْخَطْبِ : يَا بَنَ جَلَاءِ
مِنْ جَدِّهِ وَرِثَ الشَّجَاعَةَ وَالتُّقَى
مَا أَشْبَهَ النُّجَبَاءَ بِالنُّجَبَاءِ
ومنها :

كُلُّ افْتِخَارٍ دُونَ فَخْرِكَ آخِرُ
وَهُوَ الْمَقْدَمُ حَالَةَ الْإِبْدَاءِ
وَلَأَنْتَ فِيمَنْ لَأَذَ جَبْرِيلُ بِهِمْ
تَحْتَ الْكِسَاءِ إِذْ ذَاكَ خَيْرُ عَطَاءِ^(١)
شَيَّدَتْ أَرْكَانَ الْخِلَافَةِ بَعْدَمَا
خَرَّتْ لِمَوْتِ السَّادَةِ الْحُنَفَاءِ
حَصَّنَتْهَا بِالْعَدْلِ فِي أُمِّ الْقُرَى
حَتَّى تَحَامِيَ الذُّبُّ صِرْمَ الشَّاءِ ١٥
ومنها :

يَا بَنَ الْإِمَامَةِ وَالسِّيَادَةِ وَاللُّوَا
وَالْحَوْضِ وَالْمِعْرَاجِ وَالْإِسْرَاءِ
شَرَفَتْ دَسْتًا لِلْخِلَافَةِ سَامِيًا
وَحَبَوْتُهُ بِمَحَاسِنِ الْعَلِيَاءِ ٢٠

(١) لا يظهر لهذا البيت معنى صحيح فإن كان المقصود جبريل أمين الوحي
فلا يجوز نسبة ذلك إليه . « المراجع »

- ١ وَفَصَدَّتْ نَاصِرَهُ بِنَصْرِكَ نَلْتَقِي
وَهْدَى بِكَ الْهَادِيَ إِلَى الْأَهْدَاءِ (١)
وَأَفَيْتَ مُقْتَفِيًا بِرَبِّكَ مُقْتَدٍ (٢)
وَسَمَوْتَ مُقْتَدِرًا بِغَيْرِ مِرَاءٍ
وَأَتَيْتَ مُعْتَصِمًا بِرَبِّكَ وَاثِقًا
بِاللَّهِ مُنْتَصِرًا عَلَى الْأَعْدَاءِ

- يَا حَاتِمَ الْخُلَفَاءِ يَا مَهْدِيَّهُمْ
أَنْتَ الرَّشِيدُ وَرَاشِدُ الْآرَاءِ
١٠ شَأْنُ الْخِلَافَةِ لَا نَظِيرَ لَهُ وَلَا
لَكَ مُشَبِّهٌ مِنْ سَائِرِ النُّظَرَاءِ
حَسُنْتَ بِكَ الدُّنْيَا وَأَشْرَقَ كَوْنُهَا
يَا بَدْرَ دِينِ اللَّهِ ذِي الْآلَاءِ
وَسَمْتَ بِعَجَلَانٍ صَنَائِعُكَ الَّتِي
١٥ مَلَأْتَ مُحَاسِنَهُنَّ كُلَّ فُضَاءٍ
وَعْدًا رَمِيثَةً فَاخِرًا بِكَ فِي الدُّرَى
يَزْهُو عَلَى الْآتِينَ وَالْقُدُمَاءِ

(١) الأهداء : جمع هَدْيَةٍ ، بمعنى القصد والوجهة (المعجم الوسيط) .

(٢) كذا في الأصل .

وَنَمَتْ فُرُوعُ أَبِي نُمَيٍّ فِي الْعُلَى
 كَنُمُوها بِكَ فِي أَعَزِّ نَمَاءٍ
 ومنها :

وَكَسَرَتْ كِسْرَى عَنْ تَعَاطَى تَيْهٍ
 وَقَصُرَتْ قَيْصَرَ عَنْ مَدَى الْأَكْفَاءِ °
 وَسَلَبَتْ عَنْ نُعْمَانَ نِعْمَةً مُلْكِهِ
 لَمَّا بَعَى فِي الْحِيرَةِ الْفَيْحَاءِ
 إِذْ بِالْخَوَرْتِقِ وَالسِّدِيرِ مُقَامُهُ
 مُتَبَخِّثِرًا يُدْعَى ابْنُ مَاءٍ سَمَاءٍ (١)
 عَصَفَتْ ذَوَارِي الرِّيحِ فِي عَرَصَاتِهِ
 ١٠ فَطَمَسْنَ مُعَلِّمَهُ خَلَا أَشْلَاءِ
 خَفَقَتْ عَلَى خَاقَانَ مِنْكَ صَوَارِمُ
 أَوْدَعَتْهُ رَمْسًا مِنَ الْيَبْدَاءِ
 لَكَ تُبْعُ فِيمَا تَمَلَّكَ تَابِعُ
 وَكَذَلِكَ الْمَاضِي مِنَ الْعُظَمَاءِ ١٥

ومنها :

وَإِخْتَارَكَ اللَّهُ الْكَرِيمُ خَلِيفَةً
 فِي مَكَّةِ وَبَطْنِ الْعَرَاءِ

(١) يلاحظ أن الذي يدعى ابن ماء السماء هو المنذر بن الأسود بن النعمان ؛
 فقد كانت أمه ماء السماء بنت عوف بن الحر بن قاسط ، وإنما سميت بماء السماء
 لحسنها وجمالها (مروج الذهب ٩٨/٢) .

- ١ وَخُصِّصَتْ مِنْ بَيْنِ الْمُلُوكِ عِنَايَةً
بِأَعَزِّ بَيْتٍ طَاهِرٍ الْأَرْجَاءِ /
١٧٢ بَيْتٌ هُدًى لِلْعَالَمِينَ وَمَأْمَنٌ
لِللَّائِذِينَ ————— نَ بِهِ مِنَ الضَّرَاءِ
٥ بَيْتُ الْإِلَهِ وَمَهْبِطُ الْوَحْيِ الَّذِي
قَدْ كَانَ مِنْهُ مَبْدَأُ الْإِسْرَاءِ

ومنها :

- يَا بَنَ الْمَنَاسِكِ وَالْمَشَاعِرِ وَالصَّفَا
وَابْنَ الْحَطِيمِ وَسِرَّةِ الْبَطْحَاءِ
١٠ اِسْمَعْ لِمَدْحٍ فِي عُلَاكَ كَأَنَّهُ
دُرٌّ نُظْمَنَ بِلَبَّةِ الْحَسَنَاءِ
يَزْهُو بِهِ جِيدُ الزَّمَانِ كَمَا زَهَا
أَفُقُ السَّمَاءِ بِأَنْجُمِ الْجَوَازِ
إِدْرَاكَ وَصْفِكَ لَا يُرَامُ نِطَاقُهُ
١٥ وَتَكِلُ عَنْهُ بِلَاغَةُ الْبُلْعَاءِ
أَتَى يَفَى مَدْحٍ بِقَدْرِ مُمَدِّحٍ
بِصَوَادِقِ الْأَخْبَارِ وَالْأَتْبَاءِ
لَكِنِّي لَمَّا عَلِمْتُكَ رَاضِيًا
وَأَفَيْتُ بِالْمَيْسُورِ مِنْ إِنْشَاءِ

ومنها :

- ١ فَبُوجِهَكَ الْأَسْنَى أُعِيدُ مَطَامِعِي
أَنْ يَصْرِفَ الْحَرَمَانَ وَجْهَهُ رَجَاءً
وله فيه غير ذلك .

وقد رثاه غير واحد ، منهم : الإمام الأديب الْمُفَنِّنُ
شرف الدين إسماعيل بن أبي بكر المقرئ اليمني ، فأحسن ما شاء °
وأجاد ، وَعَزَّى وَمَدَحَ وَأَوْصَى وَأَفَادَ ، فقال : — وأنشدني الوالد
ذلك إجازة عنه — .

- أَبَى الدَّهْرُ إِلَّا أَنْ يُكَدِّرَ وَرَدَّهُ
وَيَبْلُغَ فِي تَنْغِيصِ مَرْعَاهُ جُهْدَهُ
١٠ بَقَاءً وَمِنْهُ الْهَلْكَ يَأْتِي بِصِحَّةٍ
عَلَى الْجِسْمِ مِنْهَا السَّقَمُ يَنْشُرُ بُرْدَهُ
وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا لِلْخُطُوبِ دَرِيَّةٌ
تَرَاهَا تُؤَلَّى وَهِيَ تَأْخُذُ قَصْدَهُ
ومنها :

- ١٥ وَقَدْ طَبَّقَ الدُّنْيَا وَرَوَّعَ أَهْلَهَا
وَزَعَزَعَ مِنْهَا كُلَّ طَوْدٍ وَهَدَّهَ
وَنَادَى الْمُنَادِي : مَاتَ مَنْ كُلُّ مَنْ تَرَى
وَإِنْ كَانَ فِيهِ الرُّوحُ قَدْ مَاتَ (١)
فَلَا تَعْجَبُوا مِنْ كَثَرَةِ الْحُزَنِ وَالْأَسَى
٢٠ عَلَى سَيِّدٍ مَا مَاتَ إِذْ مَاتَ وَحْدَهُ

(١) بياض في الأصل بمقدار كلمة كتب فوقه كلمة « كذا » .

- ١ سَلَامٌ عَلَى الدُّنْيَا فَإِنَّكَ رُوحُهَا
تَوَلَّتْ وَأَبْقَتْ عَظَمَ جِسْمٍ وَجِلْدَهُ
وَلَوْ قَبْلَ الْمَوْتِ الْفِدَا لَتَبَادَرُوا
وَكَانَ فِدَاهُ مَالُ كُلِّ وَوُلْدَهُ
٥ فَمَنْ شَاءَ مِنْ بَعْدِ ابْنِ عَجَلَانَ فَلْيُمِتْ
فَقَدْ مَاتَ مَنْ كُنَّا نُحَاذِرُ فَقْدَهُ

- فَيَا مَوْتَ مَا أَبْقَيْتَ لِلصُّلَحِ مَوْضِعًا
لَقَدْ جُرْتَ بِالْإِفْرَاطِ فِي الْخَطْبِ وَحَدَهُ
دَفَنْتَ الْمَعَالِي وَالشَّجَاعَةَ وَالنَّدَى
١٠ أَتَعْرِفُ مَا أَوْدَعْتَ يَا مَوْتُ لِحَدَهُ
عَمَدَتْ إِلَى بَيْتِ لَيْلٍ مُحَمَّدٍ
رَفِيعٌ فَأَهْوَى حِينَ قَوَّضْتَ عُمْدَهُ

ومنها :

- فَيَا أَيُّهَا الْبَاكُونَ بِالْأَعْيُنِ الدِّمَاءُ
١٥ لِيَقْضُوهُ حَقًّا أَوْ لِيُوفُوهُ عَهْدَهُ /
عَلَيْكُمْ وَرَأَاهُ لَا عَلَيْهِ تَأَسَّفُوا
لَقَدْ ظَلَّ فِي الْفِرْدَوْسِ يَسْحَبُ بُرْدَهُ
وَأَمْسَى لَدَى الْبَارِي بِدَارِ كَرَامَةٍ
يَفِيضُ إِلَيْهِ نَحْوَكُمْ لَنْ يَرُدَّهُ

ظ ١٧٢

١ وَمَا رَاغَ فِيهِ الْخَلْقُ إِلَّا لِعِلْمِهِ
بَأَنَّ وَرَاهُ مَنْ يَسُدُّ مَسَدَهُ

فَمَا حَسَنَ مَوْلَى مُضِيْعاً لِرَبِّهِ
وَلَا رَبُّهُ مَوْلَى يُضِيْعُ عَبْدَهُ
لَقَدْ كَانَ قَوَّاماً كَمَا قِيلَ فِي الدُّجَى
إِذَا قَامَ رَوَى بِالْمَدَامِجِ خَدَّهُ
وَكَانَ يُبَارَى الرِّيحَ (١) جُوداً بِمَالِهِ
إِذَا ضَنَّ بِالْمَاءِ الْعَمَامِ وَخَدَّهُ

فَوَا أَسْفَاً لِلْوَافِدِينَ بِمَكَّةِ
لَقَدْ كَانَ وَفْدُ اللَّهِ وَالْبَيْتِ وَفْدَهُ
كَمَا كَانَ إِلَى أَهْلَاءٍ وَعَوْنًا بِمَكَّةِ
وَإِنِّي لَأَرْجُو حِفْظَ ذَلِكَ بَعْدَهُ
وَأَشْبَاهُهُ أُسْدٌ تَهَادَى بِهِدِيهِ
وَتَحْفَظُ فِي أَهْلِ الْمَوَدَّةِ وَدَّهُ ١٥

ومنها :

وَمَنْ سَوَّدُوهُ سَادَ غَيْرَ مُنَارِعٍ
وَهُمْ سَيَفُهُ الْمَاضِي الَّذِي قَدْ أَعَدَّهُ

(١) في الأصل « الروح » ، ولعل الصواب ما أثبتته .

١ وَأَضْحَى لَهُمْ بَعْدَ ابْنِ عَجَلَانَ وَالِدًا
وَأَضْحُوا وَهُمْ كَالْجِسْمِ وَالرُّوحُ أُسْدُهُ
أَلَا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا
وَأَوْهَنَ هَذَا عِزَّ هَذَا وَهَدَّه
وَكُونُوا مَعًا فَالْقَدْحُ يَمْنَعُ نَفْسَهُ
إِذَا كَانَ مَضْمُومًا وَيُكْسِرُ وَحْدَهُ

ومنها :

فَمَا الْمُلْكُ إِلَّا لِلَّهِ وَإِنَّهُ
لَيُؤْتِيهِ مَنْ شَاءَ لِأَمْرٍ حَدٍّ حَدَّهُ
وَأَنْتُمْ بِحَمْدِ اللَّهِ لِلْسَّعْدِ مَوْئِلٌ
١٠ إِذَا مَاتَ شَيْلٌ أَوْرَثَ الشَّيْلَ بَعْدَهُ

ومنهـم شيخنا الفريد بدر الدين حسين بن العليف المكي ،
وأنشدها للوالد في يوم الأحد تاسع شوال سنة أربع وخمسين وثمانمائة
بمنزله بأسفل مكة ، أولها :

١٥ إِنْ لَمْ تَجِدْ بِدُمُوعِهَا أَجْفَانِي
لِفِرَاقٍ مَنْ أَهْوَى فَمَا أَجْفَانِي
وَلَيْنَ رَقَا دَمْعِي الْهَثُونُ فَإِنَّنِي
شَانٍ وَلَا تَرْقَا مَدَامِعُ شَانِي
اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ فَيْضَ مَدَامِعِي
٢٠ هُوَ كُلُّ يَوْمٍ بَعْدَهُمْ فِي شَانٍ

- ١ أَغْرَى الْبُكَاءُ بِنَاطِرِي حَتَّى لَقَدْ
 فِي مَدْمَعِي الْقَانِي لَقَدْ الْقَانِي
 لَمَّا أَتَانِي عِلْمٌ مِّنْ أَعْدَدْتُهُ
 ذُخْرًا لِّدَفْعِ نَوَائِبِ الْحَدَثَانِ
 حَسَنُ الَّذِي عَقَمَ النِّسَاءُ بِمِثْلِهِ
 وَلِذَاكَ لَمْ يَأْتِ الزَّمَانُ بِشَانِ
 أَبَدًا وَلَمْ يَحْمِلْ نَظِيرًا فِي الْوَرَى
 بَطْنُ الْحَصَانِ لَهُ وَظَهْرُ حِصَانِ
 وَلَقَدْ ظَنَنْتُ الْأَرْضَ بَعْدَ وَفَاتِهِ
 مَادَتْ بِمَنْ فِيهَا مِنَ السُّكَّانِ / ١٠
 وَتَزَلَزَلَتْ أَطْوَادُهَا وَسَمَاوُهَا أُنْ—
 ١٧٣ شَقَّتْ فَكَانَتْ وَرْدَةً كِدَهَانِ

ومنها :

- مَاتَ الْحِجْبِيُّ وَالْعَزْمُ وَالرَّأْيُ الَّذِي
 قَدْ قِيلَ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشُّجْعَانِ ١٥
 مَاتَ الذِّكَا وَالْفَهْمُ وَالْفِطْنُ الَّذِي
 أَرَبَى فَصَاحْتُهُ عَلَى سَحْبَانِ

ومنها :

- مَاتَ الَّذِي يُعْطَى الْوَجَابَ بِخُلْهَا
 وَيَجُودُ جُرْدَ الْخَيْلِ بِالْأَرْسَانِ ٢٠

ومنها :

١

مَاتَ الَّذِي كُنَّا نَعِيشُ بِظِلِّهِ

وَبِهِ تَرُدُّ حَوَادِثُ الْأَزْمَانِ

مَاتَ الَّذِي أُعْطِيَ وَأَمْضَانِي بِمَا

أَقْنَى وَأَغْنَانِي بِمَا أَقْنَانِي ٥

مَاتَ الَّذِي أَتَقَى وَأَوْفَى ذِمَّةً

هُوَ مِنْ سَمَوَالِ عَادِيَا الْعَسَانِي

مَاتَ الَّذِي لَوْ جِئْتُ أَطْلُبُ كُلَّ مَا

قَدْ حَلَّ فِي أُعْطَانِهِ أُعْطَانِي

١٠

مَاتَ الَّذِي أَعْلَى عَلَى هَامِ السُّهَى

قَدَرِي وَفَوْقَ النَّيْرَيْنِ مَكَانِي

ومنها :

تَبْكِي عَلَيْكَ أَبَا عَلِيٍّ مَكَّةُ أَلْ

غَرًّا وَيَبْكِي الْبَيْتُ ذُو الْأَرْكَانِ

١٥

يَبْكِي الْمُصَلَّى وَالْحَظِيمُ وَزَمَزَمٌ

وَالْحِجْرُ وَالْحَجَرُ الْعَظِيمُ الشَّانِ

يَبْكِي الصِّفَا وَالْمَرَوْتَانِ وَمَنْ سَعَى

فِيهِنَّ مِنْ مَاشٍ وَمِنْ رُكْبَانِ

ومنها :

٢٠

تَبْكِي الْمَشَاعِرُ وَالْمَنَابِرُ كُلُّهَا

وَالْخَاطِبُونَ بِهَا مَدَى الْأَزْمَانِ

- ١ يَكِيكَ وَادِي مَرٍّ مِنْ حَدَائِهِ
حُزْنًا وَزَيْمَتِهِ إِلَى الْبَرَدَانِ
يَكِيكَ مِنْ قَرْنِ الْمَنَازِلِ مُحَرِّمٌ
كَمْ ظَلَّ يُحَرِّمُ فِيهِ مِنْ إِنْسَانٍ
تَبْكِيكَ رُكْبَةً بَعْثُهَا وَكَيْلَاخُهَا (١)
وَالْحِنُوُّ مِنْ حَضَنِ إِلَى قُرَّانٍ (٢)

(١) في معجم ما استعجم للبكري : « قال أبو داود في كتاب الشهادات :
ركبة موضع بالطائف . قال غيره على طريق الناس من مكة إلى الطائف . وروى مالك
في الموطأ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : لبیت بركة أحب إلى من عشرة
أبيات بالشام .
وروى الحرابي أن رسول الله ﷺ بعث جيشاً إلى بني العنبر فوجدهم بركة من
ناحية الطائف .

معجم ما استعجم للبكري ١ / ٦٦٩ .
ومن هنا فإن البعث والكلأخ موضعان بركة إذ هما بدل منها .

« المراجع »

(٢) الحنو : كل شيء فيه اعوجاج ، ويجمع على أحناء ، تقول : حنو الحجاج ،
وحنو الأضلاع . وكذلك في الإكاف والقصب والسرّج ، والجبال والأودية ، وكل منعرج
فهو حنو . (معجم البلدان) وقد ذكر البلادي في معجم معالم الحجاز ثمانية أحناء ،
أكثرها وديان ، وبعضها أماكن ، تكون في الشمال ؛ قرب المدينة وتبوك وينبع ، ونواحي
الطائف قرب حضن . وقرب سراة بحيلة ، وفي وادي الضريبة الذي يدفع سيله في ذات
عرق .

حضن : بالتحريك ، وهو في اللغة العاج . وهو جبل بأعلى نجد ، وفي المثل :
أنجد من رأى حضناً . وقالوا فيه : يشرف على السي إلى جانب ديار سليم ، ووصفوه
بجبل ضخم بناحية نجد بينه وبين تهامة مرحلة ، تبيض فيه النسور ، ويسكنه بنو جشم . =

١
تَبْكِي سُبُعَ بَلِّ مُطِيرٍ بَعْدَهَا
وَالْعَامِدَى يَبْكِيكَ وَالْعُدْوَانَى
تَبْكِيكَ طَيِّئًا ثُمَّ زُغْبٌ بَعْدَهَا
تَبْكِي بَنُو لَامٍ بِدَمْعٍ قَانَ
ومنها :

تَبْكِيكَ صَعْدَةً ثُمَّ صَنَعًا بَعْدَهَا
وَذَمَارٌ ثُمَّ إِمَامُهَا الرَّبَّانَى
تَبْكِي التَّهَائِمُ وَالنُّجُودُ لِفَقْدِ مَنْ
كَالْعَيْثِ نَفْعًا إِنْ ثَوَى بِمَكَانٍ

١٠ ومنها :

تَبْكِي عَلَيْكَ قَبَائِلُ الِیْمَنِ الذی
أَعْنَيْتَ قَاصِيَهَا مَعَاً وَالذَّانِي

= وجبل ضخم شرقي الطائف ، يُرى من تربة ، ويراه من يسير في الطريق من الطائف إلى نجد ، تسيل منه في أكثر الاتجاهات أودية عظيمة فيها آبار ومياه ، وكانت تتحرز فيه قبيلة البقوم عند قيام حرب بينها وبين جيرانها (معجم البلدان لياقوت ، ومعجم معالم الحجاز للبلادي) .

قران : واد قرب الطائف ، وقرية بين مكة والمدينة بلسق. أبلى ، وقرينة بمر الظهران بينها وبين مكة يوم (معجم البلدان لياقوت) .

أما بقية البلدان والأماكن والقبائل في هذا الشعر ، فقد مرّ في كتابنا هذا أكثرها ، وهي معروفة ، ويمكن الرجوع إلى كتب البلدان والقبائل ببلاد الحجاز ، والمملكة العربية السعودية ، وجزيرة العرب بوجه عام ، وذلك لتصورها واستحضار التعريف بها وبمعالمها .

- ١
تَبْكِي بَنُو سَامٍ وَحَامٍ فِي الْوَرَى
يَبْكِي لَكَ الْإِنْسِي ثُمَّ الْجَانِي
تَبْكِي عَلَيْكَ أَبَا عَلِيٍّ سَبَقُ
قُبُ الْبَطُونِ طَوِيلَةُ الْأَرْسَانِ
تَبْكِي الْهَجَانُ الْخُورُ يَابْنَ مُحَمَّدٍ
حُزْنًا عَلَيْكَ غَرِيرَةَ الْأَلْبَانِ /
١٧٣ ظ
تَبْكِي خِيُولُكَ فِي الرَّبَى بِسُرُوجِهَا
تَبْكِي الرِّكَابُ عَلَيْكَ بِالْكِيرَانِ
تَبْكِي السُّيُوفُ عَلَيْكَ يَابْنَ مُحَمَّدٍ
١٠ تَبْكِي عَلَيْكَ عَوَائِلُ الْمَرَانِ
تَبْكِي الدَّرُوعُ عَلَيْكَ مَعَ رَايَاتِهَا
حُزْنًا وَكُلَّ حَيَّةٍ مُرْنَانِ
يَبْكِي عَلَيْكَ حَجِيجُ مَكَّةَ فِي الْوَرَى
يَبْكِي جَمِيعُ الْوَفْدِ وَالضَّيْفَانِ
١٥ تَبْكِي عَلَيْكَ أَبَا عَلِيٍّ طَيِّبَةً
وَبَقِيعُهَا وَنَخِيلُهَا الْمُتَدَانِي
يَبْكِي لَهَا حَرَمٌ عَلَيْكَ وَإِنَّمَا
لَا غَرَوَ أَنَّ يَبْكِي لَكَ الْحَرَمَانِ
تَبْكِيكَ مِصْرٌ فِي الْبِلَادِ وَإِنَّهَا
٢٠ بِكَ كَمْ مُنَى قَدْ أُعْطِيتَ وَأَمَانِي
لَمَّا دُفِنْتَ بِهَا وَآيَةُ بَلَدَةٍ
ضَمَّتْكَ قَدْ شَرَفَتْ عَلَى الْبُلْدَانِ

١٩٧ — بركات بن حسن بن عجلان بن رُمَيْثَة بن أبي ثُمَيٍّ محمد بن أبي سعد حسن بن علي بن قَتَادَة الحسني المكي . أمير مكة زين الدين أبو زهير بن أمير مكة ، ونائب السلطنة بالأقطار الحجازية ، بدر الدين أبي المعالي .

ولي إمرة مكة من غير شريك بعد والده ستاً وعشرين سنة ، وفي حياته بتخليتها له نحو أربع سنين أو خمس ، وفي بعضها [شاركه] ^(١) أخوه إبراهيم . وشريكاً لأخيه أحمد نحو ثمان سنين كما سيأتي بيانه .

وذلك أنه ولد في سنة إحدى وثمانمائة — وقيل في التي بعدها — بالخُشَافَة ^(٢) بالقرب من جدة ، ونشأ بمكة في كنف والده ، وقرأ القرآن ، وكتب الخط الحسن ، ونشأ شريف المهمة ، سني الأفعال ، جميل الأخلاق .

ذكره الوالد في مشايخه ^(٣) ، وأجاز له في سنة خمس وثمانمائة وما بعدها البرهان بن صديق ، والقاضي زين الدين أبو بكر بن الحسين العثماني المراغي ، وعائشة ابنة محمد بن عبد الهادي ، ١٥ والحفاظ الثمانية : زين الدين العراقي ، وولده أبو زرعة ، ونور الدين

(١) إضافة يقتضيها السياق .

(٢) الخشافة : كذا بالأصل والدر الكمين . ويقول السخاوي : بضم المهملة وتشديد المعجمة ، ثم فاء . (الضوء اللامع ١٣/٣) .

(٣) معجم الشيوخ ٣٥٢ ترجمة بركات بن حسن ، وفيها إحالة على ترجمة أحمد ابن عبد القوي ص ٦١ من المعجم .

الهيثمي ، وشهاب الدين بن حجي ، وشهاب الدين الحسباني ،
 وجمال الدين بن الشرائحي ، وجمال الدين بن ظهيرة ، وشهاب
 الدين بن حجر . والمسندون : محمد بن حسن الفريسي ، وأحمد
 ابن عمر بن أبي البدر الجوهري ، وأحمد بن محمد بن مُثَبَّت ، وأحمد
 ابن محمد بن عبد الغالب الماكسيني . وأحمد بن أبي بكر بن
 يوسف الخليلي ، وأحمد بن علي بن إسماعيل بن الظريف ، وأحمد بن
 محمد بن عماد بن الهائم ، وعبد الرحمن بن حيدر الدهقلى ،
 وعبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الحلبي ، وعبد الله بن أحمد بن
 علي العراقى^(١) ، وعلاء الدين علي بن إبراهيم الجزري ، وشمس الدين
 العراقى ، وأبو اليمن الطبري ، وأبو الطيب السحولى ، وشرف الدين
 ابن الكويك ، وفتح الدين الخزومي ، ومجد الدين الشيرازي^(٢) ،
 وخلق . وحدث بالقاهرة ، ثم بمكة بالإجازة عن بعض شيوخه
 المجيزين له . سمع منه / الطلبة ، ولم يقدر لى السماع منه لكنه أجاز ١٧٤ و
 [لي]^(٣) فى الاستدعاءات .

قلت^(٤) : خرج له الجَدُّ الحافظ تقى الدين بن فهد ١٥

(١) كذا فى الأصل ، وفى الدر الكمين « الغرياني » .

(٢) فى الضوء اللامع ١٣/٣ « المجد اللغوي » ، وهو مجد الدين محمد بن يعقوب
 الفيروزآبادي الشيرازي ، المتوفى سنة ٨١٧ هـ . (الضوء اللامع ٧٩/١٠ برقم ٢٧٤ ،
 وكشف الظنون ١٣٠٦/٢ ، ١٣٠٧) .

(٣) إضافة عن الدر الكمين .

(٤) أي مؤلفنا العز بن فهد .

- ١ الهاشمي^(٥) المكي رحمه الله تعالى كتاباً من مرويّاته في بعض شرف المصطفى وفضائل الحسن والحسين ووالديهما ، وفضائل قريش وبنّي هاشم ، مع حكايات وإنشادات ، سمّاه « الدرر الفائقة والأخبار الرائقة » فرغ من تسويده في سنة إحدى وأربعين وثمانمائة . انتهى .
- ٥ وقال الوالد أيضاً : سعى له والده السيد حسن في أن يكون شريكه في إمرة مكة ؛ فأجيب سؤاله ، ووصل إليه تقليد مؤرخ بشعبان سنة تسع وثمانمائة — ويقال إنه مؤرخ في النصف الثاني من شعبان سنة عشر وثمانمائة^(٢) — . ثم في المحرم سنة إحدى عشرة ندب والده القائد سعد الدين جبروه إلى مصر بهدية طائلة ليسعى له في أن يكون ولده السيد أحمد شريكاً لأخيه بركات في إمرة مكة ؛
- ١٠ فأجيب إلى ذلك . وولي السيد حسن نيابة السلطنة بالأقطار الحجازية ، ووصل إليه رسوله في النصف الثاني من ربيع الآخر ، ووصل معه ثلاث خلع : واحدة له ، واثنان لولديه ، وكتاب من السلطان يشهد بولايتهم لما ذكر^(٣) .
- ١٥ ثم في أثناء سنة اثنتي عشرة تغير صاحب مصر على السيد حسن ، فرسم بالقبض عليه وعلى ابنيه والاحتفاظ بهم ، وأسرّ ذلك

(١) هو محمد بن محمد بن عبد الله بن فهد الهاشمي المكي — تقي الدين . توفي

سنة ٨٧١ هـ . (الدر الكمين) .

(٢) إتخاف الوري ٤٥٣/٣ .

(٣) إتخاف الوري ٤٦٢/٣ ، ٤٦٣ .

- ١ إلى أمير الحاج المصري الأمير بَيْسَق^(١) ، فاستعد لحرب المذكور ،
 وَحَصَّلَ مدافع وسلاحاً كثيراً ، ثم سُعِيَ عند السلطان في تقرير
 المذكورين في ولايتهم ، على أن يخدمه السيد حسن بما يليق بمقامه ؛
 فأجاب إلى ذلك ، وبعث إليهم بالعهد والخلع مع خادمه الخاص
 فيروز الساقى ، وكتب إلى أمير الحاج المذكور بالكف عن محاربتهم .
 ٥ فوصل فيروز إلى مكة ، فألبس المذكورين الخلع السلطانية ، وقرىء
 عهدهم بالولاية^(٢) ، واستمروا على ولايتهم إلى سادس عشر ربيع الأول
 سنة ثمان عشرة ، فوصل العلم إلى مكة بولاية السيد رُمَيْثَة بن محمد
 ابن عجلان عوضاً عن الشريف حسن وابنيه ، واستمر الدعاء
 للسيد حسن وابنيه في الخطبة وعلى زمزم إلى هلال ذى الحجة من
 ١٠ السنة ؛ لاستيلاء السيد حسن على مكة إلى هذا التاريخ . ثم فارقتها
 السيد حسن في هذا التاريخ ، وقصد اليمن^(٣) .

ثم في شهر رجب سنة تسع عشرة أرسل السيد حسن ولده
 السيد بركات ، ومولاه القائد شكراً [إلى]^(٤) مصر لاستعطاف
 الملك المؤيد . فأنعم على السيد حسن بإمرة مكة ، وكُتِبَ له بذلك ١٥
 عنه توقيع ومثال مؤرخ بثمان عشر رمضان سنة تسع عشرة ، وجهز

(١) في الأصل « بيسر » ، والتصويب عما سبق ص ٢٨١ ، وإتحاف الورى

. ٤٧٠/٣ .

(٢) إتحاف الورى ٤٧١/٣ .

(٣) إتحاف الورى ٥٢٦/٣ .

(٤) إضافة على الأصل .

- له مع ذلك خلعة شريفة مع بعض الخاصكية والنجاجة السلطانية ،
 ووصلوا إلى السيد حسن في أوائل العشر الأوسط من شوال من
 السنة . وأقام السيد بركات بالقاهرة إلى شوال من سنة عشرين ،
 فقدم مكة في النصف الثاني من شوال ، وطاف بالكعبة الشريفة ،
 ودعي له على زمزم كعادة أمراء مكة ، وصار أبوه يُنَوِّه له بالإمرة ،
 ويقول لبني حسن وغيرهم : هو سلطانكم (١) .

- ١٧٤ ظ وفي شهر ربيع الأول سنة إحدى وعشرين / أظهر السيد
 حسن أنه تخلى عن إمرة مكة لابنه السيد بركات بحيث أجلسه على
 المفرشة بالمسجد الحرام ، وجلس هو على مفرشة عنده ، وأمر من
 في خدمته بالخلف له ، وأمرهم بالخروج في خدمته والنزول بالركاني
 بوادي مرّ ؛ ففعلوا لأن الذين بالعد من ذوي رُمِيَّة وذوي أبي ثُمَيّ
 والقواد رحلوا من العد حتى نزلوا حدًّا (٢) . ولما نزل السيد بركات ومن
 معه بالركاني لم يسهل ذلك على الذين نزلوا بجدا ، ورغبوا في أن
 الشريف [حسناً] (٣) يأمر ولده بالرحيل عنهم إلى الجديد من وادي
 مرّ ، ويدخلون بأجمعهم في طاعته ، ويمضى إلى الشرق فإنه يختار
 ذلك ، ولا يحدثون حدثاً إلى انقضاء سنة إحدى وعشرين وثمانمائة ،

(١) إتحاف الوري ٥٤٨/٣ .

(٢) أضاف إتحاف الوري ٥٥٥/٣ « ولم يسهل بالسيد حسن نزولهم بجدا ؛ لأن
 جماعة من وجوه القواد كانوا ذكروا للشريف أن الذين بالعد لا يرحلون عنه إلى غيره إلا
 بإخباره » .

(٣) إضافة للتوضيح .

وعشرة أيام من التي بعدها . فوافق الشريف على ذلك ، وأجابهم إلى ^١ ما سألوه من الإحسان إليهم بما عودهم به في كل سنة قبل هذه الفتنة ، على عادتهم في أخذ ذلك منجماً .

وفي النصف الثاني من صفر سنة أربع وعشرين لما بلغ السيد حسن موث الملك المؤيد رام أن يجعل ابنه السيد إبراهيم حاكماً بمكة .^٥ مع ابنه السيد بركات ، ويكون لكل منهما ثلث الحاصل لأمر مكة ، ويصرف كل منهما الثلث في جماعته على ما يراه ، ويُطِلّ الرسوم التي كان قررها للأشراف والقواد في كل سنة ، وجعل الأشراف إلى ابنه السيد إبراهيم والقواد لابنه السيد بركات ، وجعل لنفسه الثلث الباقي من الحاصل لأمر مكة ، يصرفه في مصالحه وخاصة نفسه . فلم ^{١٠} يستقم هذا الأمر ؛ لكون القواد لم يوافقوه على إبطال ما كان قرره لهم من الرسوم في كل سنة . ومضى هو وابنه السيد إبراهيم بعد ذلك إلى صوب اليمن ^(١) .

ثم لما كان يوم الاثنين ثاني عشر شهر ربيع الأول وصل إلى مكة تشريفان للسيد حسن وابنه السيد بركات ، وعهد يتضمن : ^{١٥} تفويض إمرة مكة إليهما ، وتاريخ العهد مستهل صفر سنة أربع وعشرين ^(٢) .

(١) إتحاف الوري ٥٧٨/٣ ، ٥٧٩ .

(٢) أضاف إتحاف الوري ٥٧٩/٣ « أن هذا العهد مكتوب عن المظفر أحمد بن

المؤيد ، والمنفذ له للشريفيين مدبر دولته المقر السيفي ططر » .

- وفي النصف الثاني من هذه السنة وصل السيد إبراهيم من ناحية اليمن ، ومعه الأشراف فألزموا المؤذن بالدعاء لإبراهيم على زمزم وقت طوافه بالكعبة الشريفة ؛ ففعل ذلك ، ولم يسهل ذلك بالسيد بركات وجماعته ، وتنافر الأخوان وجماعتهما ، وقصد إبراهيم دخول جدة فعُورِضَ ، وقصد بعد ذلك السيد بركات دخول مكة فعُورِضَ ، وصار يخطب بمكة لإبراهيم مع أبيه وأخيه . انتهى كلام الوالد (١) .

وفي سنة ست وعشرين قطع ذكر إبراهيم في الخطبة بمكة ، وفي الدعاء على زمزم بعد المغرب ؛ لكونه آوى إليه الأشراف ذوى راجح بن أبي ثُمَيٍّ ، وكان أبوه أمره بإبعادهم . فلم يفعل .

- وفي رمضان وصل الشريف حسن إلى مكة من الشرق ، وسكنت الفتنة بين الأخوين وجماعتهم ، فاطمأنوا (٢) .
ووصل للسيد حسن كتابان من السلطان ، في أحدهما : العتب عليه ، وفي الثاني ، تعظيم كثير ، وأنتك سألتنا في استنابة ابنك الشريف بركات في إمرة مكة ، وما نشق إلا بك ، وفي ذلك سبب للشحناء بين الأخوين ، فإن أردت ذلك فاستنبه (٣) .

ولما وصل الحجاج إلى مكة في أواخر ذى القعدة وصل معهم جماعة كثيرون من المقدمين والأمراء ، وكان السيد حسن / بَانَ ١٧٥

(١) إتحاف الوري ٥٨٠/٣ .

(٢) إتحاف الوري ٥٩٣/٣ .

(٣) وانظر إتحاف الوري ٥٩٣/٣ ، ٥٩٤ .

١ عن مكة ، فلايمهم السيد بركات أياماً ، ولاقى أمير الركب الأول ، ثم أمير المحمل ، وخلع عليه من عنده ، ولم يمكنه من خلعة أمير مكة المجهزة لوالده . ولما أيسوا من وصوله بعثوا للرُمَيْثَة في يوم عرفة فلم يصل^(١) .

وفي يوم النحر اجتمع السيد بركات ببعض الأمراء بمكة ، وخدمهم عن أبيه بخمسة آلاف أفلوري ذهباً — أو ستة فيما قيل — وسافروا من مكة ولم يحدثوا بها حدثاً^(٢) .

وفي يوم الخميس سادس جمادى الأولى من سنة سبع وعشرين دخل مكة السيد علي بن عَنان متولياً مكة من مصر ، ومعه عسكر ، وفي توقيعه : أنه ولي إمرة مكة عن السيد حسن بن عجلان^(٣) .

ثم في موسم سنة ثمان وعشرين جاء الخير بولاية السيد حسن ابن عجلان إن قابَل الحاج ووطىء البساط . فأرسل ولده السيد بركات لأمر الحاج إلى الوادي ، ودخل معه مكة ، وحلف له بين الحَجَر الأسود والملتزم أنه لا يصيب والده سوء إن قابَل [الحاج]^(٤) ، ١٥ ووطىء البساط ؛ فتوجه إلى أبيه وجاء به ، وحلف له أمير الحاج ثانية ، وخلع عليه بالبلاد ، وتوجه مع الحاج واستخلف ولده السيد

(١) إتحاف الوری ٥٩٥/٣ .

(٢) إتحاف الوری ٥٩٦/٣ .

(٣) إتحاف الوری ٦٠٥/٣ .

(٤) إضافة على الأصل .

بركات على مكة^(١) .

واتفق مَوْتُ السيد حسن بالقاهرة بعد ولايته — على ثلاثين ألفاً فوزن خمسة — فطُلِبَ السيد بركات ، وأخوه إبراهيم إلى القاهرة وأكد عليهما في ذلك ، وأنهما إن لم يحضرا كلاهما أو أحدهما يُخْرَج عنهما السلطان البلادَ إلى غيرهما . فتوجَّهَا إليها ، وتخلَّف بمكة . أخوهما السيد أبو القاسم ، وبجدة زين الدين شُكْر ، فأكرم السلطان السيد بركات وأخاه إبراهيم ، وخلع عليهما ، وولَّى مكة السيد بركات ، على أن يقوم بما تأخر على والده ؛ وهو مبلغ خمسة وعشرين ألف دينار ، وأُزِمَ أيضاً بحمل عشرة آلاف دينار في كل سنة ، وأن يكون ما جَرَتْ به العادة من مكس جُدَّة يكون له^(٢) ، وما يجدد^(٣) .
من مراكب الهند يكون للسلطان خاصة .

وحلَّف إبراهيم على طاعة أخيه ، وخلع عليهما وسافرا في حادى عشر شوال ، فوصلا مكة في أول العشر الأوسط من القعدة ، وقرىء عهد الولاية للسيد بركات وطاف بالكعبة ، ونودي له على زمزم ، وألبس التشريف بالمسجد الحرام^(٤) .

وحج في هذه السنة من الأعيان الطواشي ياقوت مقدم الماليك ، وتأخر بمكة بعد الحج حتى قبض من السيد بركات مبلغ

(١) إتحاف الورى ٦٢٢/٣ ، ٦٢٣ .

(٢) انظر تعليق رقم (١) ص ٣٥١ .

(٣) كذا في الأصل ، والدر الكمين ترجمة بركات بن حسن .

(٤) إتحاف الورى ٦٣٢/٣ .

ثلاثة عشر ألف دينار مما التزم به السيد بركات^(١) .

وفي سنة إحدى وثلاثين بعث السيد بركات الشريف مباركاً
أبا عفيف^(٢) إلى السلطان ، يطلب منه عسكرياً ، نصرته له على أخويه
إبراهيم وأبي القاسم ، فوصل العسكر قدر خمسين فارساً ، مقدمهم
الأمير أرنبغا^(٣) ، فلما وصلوا إلى مكة توجهت الجمال إلى القاهرة ،
ولما سمع الشريفان أبو القاسم وإبراهيم بوصولهم إلى مكة لم يدخلوا
مكة خوفاً منهم^(٤) .

وفيها — بعد سفر الحاج — دخل السيد أبو القاسم بن
حسن ساحل جدة ، وأخذ منه قدر عشرة أحمال دقيق للأمير مُقبل
القُدَيْدِي ، والتاجر علي السملوطي ، ثم لحق الـركب المصري^{١٠}
بالينبع . وكان أخوه إبراهيم بن حسن بن عجلان إذ ذاك بمكة عند
أخيه السيد بركات ، فبلغه أن أخاه / السيد أبا القاسم قصد التوجه^{١٧٥}
إلى القاهرة بحاشيته وخيله وقوده معه ، فلم يعجبه ذلك وذهب إليه

(١) السلوك للمقريزي ٢/٤ ، وإتحاف الوري ٦٣٢/٣ ، ٦٣٣ .

(٢) هو أبو عفيف مبارك بن عبد الكريم بن عبد الله بن حسن بن أبي عفيف
الحسنسي . مات بمكة سنة ٨٣٧ هـ . (الضوء اللامع ٢٣٨/٦ برقم ٨٢٧ ، والدر
الكمين ، وإتحاف الوري ورقة ٤١٦) .

(٣) هو الأمير أرنبغا اليونسي الناصري فرج بن برقوق ، توفي سنة ٨٥٧ هـ .
(النجوم الزاهرة ١٦/١٦٣ ، والدليل الشافي ١/١١١ برقم ٣٨٤ ، والضوء اللامع
٢٦٩/٢ برقم ٨٤٢) .

(٤) إتحاف الوري ورقة ٣٩٦ ، والسلوك للمقريزي ٢/٤ : ٧٨١ ، وإنباء الغمر
٤٠٤/٣ ، ونزهة النفوس ١٣٣/٣ .

- ١ لقصد تبطيله من السفر . ويقال : (١) إن السيد إبراهيم خرج من مكة مغاضباً أخاه السيد بركات^(١)، ولحق بأخيه السيد أبي القاسم واجتمعا بينع .

- وفي أول التي تليها توجه السيد أبو القاسم بن حسن ، وأخوه السيد إبراهيم من ينبع إلى المدينة الشريفة لزيارة النبي ﷺ ، ثم عادا إلى ينبع ، فبذل لهما ذوو مُقْبِل بن مَخْبَر ، وبنو إبراهيم مالاً جزيلاً على أن يوصلاهم بلادهم السوق^(٢) بالقرب من ينبع ، ويمكنهم من بلادهم ؛ ففعل الشريفان إبراهيم وأبو القاسم [ذلك ، وساروا معهم إلى أن أدخلوهم بلادهم ومكنوهم مدة يسيرة ، فخرج من عندهم الشريفان إبراهيم وأبو القاسم]^(٣) واصطلحا مع عَقِيل^(٤) صاحب ينبع ، وبعثا محمد بن سعيد المصري قاصداً إلى القاهرة يشكوان ضرورتهما ويشتكيان أخاهما السيد بركات . وألْتَفَّ عليهما الشرفاء ذوو أبي نُمَيِّ وحالفوهما ، وساروا معهما قاصدين مكة ، فبلغوا عُسْفَانَ ؛ فسمع بوصولهما السيد بركات — وكان بصوب اليمن — فتوجه إلى وادي مَرٍّ في جماعة من ذوى عمر وعبيد

(١) عبارة الأصل مضطربة بالتقديم والتأخير . والمثبت عن إتحاف الورى ورقة

(٢) السوق : كانت من بلاد ينبع النخل ، وأصبحت أعمر مكان فيه ، بها منشآت حكومية وسوق عامرة ، وتعتبر قاعدة ينبع النخل . (على طريق الهجرة ١٩٩) وهي منازل بنى إبراهيم أخى النفس الزكية (وفاء الوفا ٣٢٦/٢) .

(٣) إضافة عن إتحاف الورى ورقة ٤٠٢ .

(٤) هو عَقِيل بن وِبر بن مَخْبَر بن مَقْبِل الحسني ، أمير ينبع ، وقد صرف عنها

في سنة ٨٤٢ هـ ، ومات سنة ٨٤٤ هـ . (الضوء اللامع ١٤٩/٥ برقم ٥٢٠) .

- حسن ، وأمر الأمير أَرْبُوعًا ومن معه من الأتراك بأن يتوجهوا إليه^١ ليسير على أخويه . فدخل مكة من أصحاب الشريفين إبراهيم وأبي القاسم ، قاسم بن جَسَّار النموي^(١) ، وعبد الحميد بن محمد بن إبراهيم الموغاني^(٢) المدني يتجسَّسان الأخبار ، وكان بمكة نائبها علي بن كُبَيْش^(٣) فأخبر الأمير أَرْبُوعًا أنهما من جهة الشريفين ؛ فقبض عليهما وبَوَّشَهُمَا ، ووضع في أرجلهما القيد . ثم تجهز الأتراك ، والأمير أَرْبُوعًا فتوجهوا إلى السيد بركات بواسط^(٤) من وادي مَرٍّ ، فلما أن وصل الأتراك إلى السيد بركات سَارَ هو وإيَّاهم إلى عُسْفَانَ ، وكان الشريفان بگران^(٥) علو ثنية عسفان ، فعقبهم الشريف أبو القاسم إلى مكة المشرفة ؛ فدخلها في ضحوة يوم الأحد ثامن عشر ربيع الأول في اثني عشر فارساً^(٦) — ويقال ستة عشر — منهم : وَيُيَّر بن عاطف^(٧) ، وولد جَسَّار ، وعلي بن مفتاح

(١) له ترجمة في الدر الكمين ، والضوء اللامع ١٨٠/٦ برقم ٦١٢ ، وفيها توفي

سنة ٨٣٩ هـ .

(٢) له ترجمة في الضوء اللامع ٣٩/٤ برقم ١٢١ ، ولم يذكر وفاته .

(٣) هو علي بن كبيش بن عجلان بن رميثة الحسني المكي ، كان حاكماً على مكة ، وتوفي في سنة ٨٣٨ هـ . (الدر الكمين ، والضوء اللامع ٢٧٦/٥ برقم ٩٣٨) .

(٤) واسط : عين جارية كانت في وادي مر . (معجم معالم الحجاز) .

(٥) كذا في الأصل . وفي إتحاف الوري ورقة ٤٠٢ « غزال » .

(٦) في الأصل « فرساً » ، والمثبت عن المرجع السابق .

(٧) هو الشريف ويبر بن محمد بن عاطف بن أبي دعيج بن أبي نمي الحسني ، توفي سنة ٨٦٠ هـ (الضوء اللامع ٢١٠/١٠ برقم ٩٠٧ ، والدر الكمين ، وإتحاف الوري ورقة ٥٣٣) .

- القائد^(١). وكان دخولهم من الثنية السفلى : ثنية كُدَى ، المعروفة الآن بباب الشبيكة ، وشقّ من باب إبراهيم^(٢) ، ودخل علي بن مفتاح الحرم الشريف بفرسه من باب المجاهدية وخرج من باب أجياد^(٣). وجاء السيد أبو القاسم إلى أن وقف على مدرسة عَجَلَان ، بقصد إطلاق قاسم بن جَسَّار ، وعبد الحميد ، فرشقه ممالك الأمير أَرْثُبَعَا الذين كانوا تأخروا عن العسكر بالنشاب ، فلم يستطع السيد أبو القاسم الوصول إلى المدرسة ؛ فخرج هو ومن دخل معه مكة على الفور ، وشقّ إلى المسعى ، ثم إلى الردم^(٤) ، ثم إلى باب المعلاة ، ثم توجه إلى منى ، ثم إلى صوب اليمن . فأدرك إبلًا للقائد جُوَيْعِد بن بريم^(٥) وللشرفاء أولاد علي بن مبارك ، وللربايع

(١) هو علي بن أحمد بن مفتاح القفيلي ، توفي سنة ٨٣٧ هـ . (الضوء اللامع ١٩٠/٥ برقم ٦٤٤ ، والدر الكمين ، وإتحاف الوري ورقة ٥١٧) .

(٢) باب إبراهيم : مُحد أبواب المسجد الحرام ، ويقع بالجانب الشمال منه ، ينسب إلى خياط يدعى إبراهيم كان عنده ، وليس لإبراهيم الخليل عليه السلام كما ذهب إلى ذلك ابن عساكر ، وابن جبير وغيرهما . (شفاء الغرام ٢٣٨/١) .

(٣) هو باب أجياد الصغير ، وسماه الأزرق باب بنى مخزوم في أخبار مكة ٩٠/٢ . ويقع في الجانب الجنوبي من المسجد الحرام . (شفاء الغرام ٢٣٨/١ ، وتاريخ عمارة المسجد الحرام ١٢٢) .

(٤) هو ردم عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأعلى مكة ، عمله سنة ١٧ هـ لما بلغه خبر سيل أم نهشل ، (أخبار مكة للأزرق ١٦٦/٢ ، وإتحاف الوري ٨/٢) .

(٥) هو جويعد بن بريم بن صبيحة بن عمر العمري ، القائد . مات بمكة في ذي الحجة سنة ٨٤٣ هـ . (الضوء اللامع ٨٦/٣ برقم ٣٣٤ ، والدر الكمين ، وإتحاف الوري ورقة ٤٤٤) .

١ غلمانهم ؛ فأخذها كلها ، ثم علم بها وبملاكها ، فأعاد إبل أولاد علي بن مبارك ، وإبل بعض الربايع ، واستولى على إبل القائد جُوَيْعِد ، وسار بها معه إلى صوب الجحاحجة^(١) من بنى شعبة وأوراهما عندهم .

٥ هذا ما كان من خبر السيد أبي القاسم . وأما خبر السيد بركات / فإنه توجه من عُسْفَان إلى أن طلع إلى غران ، فسمع به ١٧٦ السيد إبراهيم ومن معه ؛ فلم يقفوا للعسكر وهربوا ؛ فطلعوا إلى ساية^(٢) وحورة^(٣) ، ومكث بها أياماً يسيرة ، ثم توجه إلى

(١) الجحاحجة : جمع جحاح ، وهو السيد السمح ، وقيل الكريم (تاج العروس) . وبنو شعبة : بطن من كنانة . (معجم قبائل العرب) .

(٢) ساية : واد من أعمال المدينة ، فيه نخل ومزارع وفواكه ، وأصله لولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وفيه من أفناء الناس ، ويشرف عليه جبل السراة دون عسفان . (وفاء الوفا ٢/ ٣٢٠ ، ٣٢١) .

(٣) حورة : وتذكر معها حويرة ، فيقال الحورتان ، وهما من أودية الأشعر ، وبحورة اليمانية منهما واد يقال له ذو الهدى ، ويُحْمَل العسل والحنطة منها إلى المدينة . وبحورة الشمالية اتخذ عبد الملك بن مروان بقاءً ومنزلاً يقال له ذو الحمأط . (وفاء الوفا ٢/ ٢٩٦) . وفي معجم معالم الحجاز : الحورة : واد لهذيل يصب في وادي الزبارة من شمال طريقه إلى مكة على وادي نبع الجعرانة .

المضيق^(١)؛ فأواه أهل المضيق: عاترة^(٢) ونباتة^(٣) وأضافوه ، وأظهروا^١ له المساعدة .

ورجع السيد بركات إلى مكة ، ثم تجهز إلى البرود^(٤) هو والأمير أَرْبُئَعًا والأجناد ، وسارت الرسل بين السيد بركات وأخيه السيد إبراهيم بالصلح . وتوجّه الشريف رُمَيْثَةً إلى إبراهيم لأجل الصلح إلى أن تقرّر الحال أن يجعل له الشريف بركات رُسُومًا بمكة جيّدة ، فخرج له الشريف بركات وجماعة ذوى عمر لأجل الاجتماع والصلح ، فزحف إليه السيد إبراهيم من المضيق مع من كان معه من الأشراف ذوى أبى نُمي إلى أن اجتمع السيد بركات وإبراهيم عند الشجرة بالبرود^(٥)؛ فحصل بينهما عتاب ، ثم سأل الشريف بركات^{١٠}

(١) المضيق : يطلق على وادى الليمون الذى هو جزء من وادى نخلة الشمالية قرب التقائه بوادى نخلة اليمانية ، ثم يجتمع الواديان فيسميان وادى الزبارة ، ثم وادى الريان ، ثم وادى القشاشية ، ثم وادى فاطمة فوق الجموم إلى حدا . (على طريق الهجرة ١٣) وكان يسمى البردان ، وهو علو وادى نخلة الشمالية من نواحي مكة (حسن القرى بأودية أم القرى) .

(٢) عاترة : بطن من هذيل كانوا يسكنون نخلة الشمالية . (حسن القرى بأودية أم القرى) .

(٣) نباتة : بطن من هذيل أيضاً وكانوا يسكنون نخلة الشمالية (معجم قبائل الحجاز) .

(٤) البرود : بئر مطوية بالحجارة ، حفرها خراش بن أمية الخزاعي الكعبي ، مكانها فخ — حي الشهداء حالياً بالزاهر من مكة المكرمة — (أخبار مكة للأزرقي ٢٢٦/٢ ، ومعجم معالم الحجاز) .

(٥) في الأصل « بالبردان » ، والمثبت عما سبق وعليه التعليق السابق ، وإتحاف الورى ورقة ٤٠٣ .

أخاه إبراهيم أن يتوجّه معه إلى مكة ، ويكون الصلح على يدي الأمير
 أُرْتُبِعًا مقدم العسكر . فامتنع إبراهيم من ذلك ؛ خوفاً من وقوع
 القبض^(١) عليه ، ولم يتم بينهما صلح ، وافترقا متباينين ، فركب
 الشريف إبراهيم ومن تبعه من الأشراف إلى وادي الطائف ، ثم إلى
 بجيلة ، ليدور إلى أخيه باليمن . ورجع عن إبراهيم جماعة من القواد^(٢)
 إلى مكة ، وجماعة من الأشراف إلى خيف بنى شديد . وسار السيد
 بركات بمن معه إلى نخلة ، وأخربها وسبى أهلها وأخذهم . وكانت
 طائفة يقال لها نباتة ساروا مع الشريف إبراهيم ، فلما أن فرغ من
 أمر نباتة صاحت عاترة على الشريف بركات ، ووقع بينهم قتال ،
 فظفر عليهم السيد بركات ، ولزم منهم عشرين نفساً ، ونهب
 محلتهم ، وجاء بهم إلى مكة مسلسلين في الحديد . ثم بعد ذلك
 وصلت عاترة إلى السيد بركات . وأعطوه رهائن : ثلاثة من أولاد
 كبرائهم ، على أن يسلموا له ألف دينار ذهباً ، ويعودوا إلى بلادهم ؛
 فعفا عنهم وقبل ذلك .

ثم بعد ذلك التأم الشريفان إبراهيم وأبو القاسم نحو اليمن
 بالواديين والليث ، فأقاما به بعض أشهر . وكان السيد رُمِيَّةً توجّه
 بإبل السيد بركات إلى صوب اليمن ، وصحبته بعض عسكر من
 القواد العمرة وذوى عجلان ، فهم الشريفان بأخذ إبل السيد

(١) في الأصل « الفتنة » ، والمثبت عن المرجع السابق .

(٢) في الأصل « القعوة » ، والمثبت عن المرجع السابق .

بركات ، فلم يقدروا على شيء^(١) .

فلما كان بعد وصول الشريف بركات من نخلة ، توجه بحلته إلى جدة وأقام بها ، ومعه قاسم بن جَسَّار ، وعبد الحميد محتفظاً بهما في بيت سعد الدوادار المشرف على الفرضة ، فأقاما به أياماً ، فدخل لهما بعضُ النساء بمبارد ، فبردوا عنهما القَيْدَ والبَاشَةَ ، وخرجتا مع النساء متنكرين . فدخل قاسم بن جَسَّار على عُويِّد بن منصور^(٢) في نصف الليل في بيته ؛ فشَدَّ له فرسه وأركبه عليها وتوجه إلى الخيف : خيف بنى شديد . وأما عبد الحميد فدخل على السيد مَيْلَب بن علي بن مبارك بن رميثة^(٣) فأجاره .

ثم إن الشريف بركات اصطَلَحَ مع أخيه إبراهيم ، وقرر له ١٧٦ ظ السيد بركات / رسماً على البلاد يقوم بأوده ، ودخل السيد إبراهيم مكة . وأقام السيد أبو القاسم باليمن بمفرده ، يأخذ ما قدر عليه من الجلاب والمراكب الواصلة إلى مكة .

فلما كان في شوال جاود السيد بركات السيد أبا القاسم بألفين ومائة ، على أن يَسَلِّمَ الواردون إلى مكة والصادر من منها إلى ١٥

(١) إتحاف الوري ورقة ٤٠٤ .

(٢) هو عويد بن منصور بن راجح ، أحد قواد مكة ، مات مقتولاً في صفر سنة

٨٤٦ هـ . (الضوء اللامع ١٥٠/٦ برقم ٤٧٥) .

(٣) ومات قتيلاً بخليص في حرب بين أتباع السيد بركات وآخرين عند ثنية

عسفان سنة ٨٣٩ هـ (الضوء اللامع ١٩٤/١٠ برقم ٨٢٣ ، والدر الكمين ، وإتحاف

الوري الورقة ٤٠٤ ، وورقة ٤٢٣) .

عاشر المحرم من السنة بعد هذه^(١) .

وفيهما — فى أواخر جمادى الآخرة ، وأول رجب — قدمت رجبية من القاهرة مقدمها مباشر جدة سعد الدين بن المرة^(٢) ، وورد صاحبهم أن السلطان الأشرف برّسبّاي أنعم على صاحب مكة السيد بركات بثلاث المتحصل من عشور تجار الهند الواصلين إلى جدة ، وأن يُلزم التجارَ فى أيام الحج بأن يحضروا من مكة ببضائعهم صحبة الركب . فأمرهم بذلك ، وتَّبَعُوا بحيث لم يقدر أحد منهم أن يتأخر بمكة ، ولا يتوجّه إلى الشام ، بل سافروا بأجمعهم إلى القاهرة ، وأقيمت عليهم الأعوان طول الطريق يتفقدونهم ويعدون أحماهم ، حتى قدموا القاهرة بصحبة الحاج ؛ فحلّ بهم من البلاء ما لا يوصف^(٣) .

(١) إتحاف الورى ورقة ٤٠٤ ، ٤٠٥ .

(٢) هو سعد الدين إبراهيم القبطي الأصل المصري ، المعروف بابن المرة — أو المرأة — ناظر جدة ، توفي فى سنة ٨٤٤ هـ . (السلوك للمقريزي ٣/٤ : ١٢٣٨ ، والدليل الشافي ٣٢/١ برقم ٩٥ ، والضوء اللامع ١٨٤/١) .

(٣) يقول المقريزي فى السلوك ٢/٤ : ٧٦٨ — فى أخبار سنة ٨٣١ هـ « وفى هذه الأيام تشكى التجار الشاميون من حملهم البضائع التي يشترونها من جدة إلى القاهرة ، فوقع الاتفاق على أن يؤخذ بمكة ، عن كل حمل — قل ثمنه أو أكثر — ثلاثة دنانير ونصف ، ويعفوا من حمل ما يتبضعونه من جدة إلى مصر ، فإذا حملوا ذلك إلى دمشق أخذ منهم مكسها هناك على ما جرت به العادة » . ثم يقول فى أخبار سنة ٨٣٢ هـ ص ٧٩١ من الجزء نفسه ، فى حديثه عن عودة الحاج « وحدث فى هذا الشهر ثلاث مظالم ، إحداها : أنه كان قد تقرر فى العام الماضى مع القاضي عبد الكريم ابن بركة ناظر الخاص أن تعفى تجار الشام ، ومشهد علي ، والكوفة والبصرة ، الذين يتبضعون من متاجر الهند ، من القدوم من مكة إلى القاهرة ببضائعهم ، وأن يفوموا عن =

- وفي سنة ثلاث وثلاثين تجاود الشريفان بركات وأخوه السيد
أبو القاسم على أن يعطي السيد بركات أخاه أبا القاسم ألفين
 وخمسمائة إلى آخر سنة ست وثلاثين ، فأقام أبو القاسم باليمن ^(١) .
- وفي سنة سبع وثلاثين وصل السيد أبو القاسم إلى
حادثه ^(٢) ، وتواجه مع أخيه السيد بركات واصطلحا صلحاً شافياً .
- وفي سنة تسع وثلاثين ، في ليلة الأربعاء ثالث عشر رجب ،
بعث السيد بركات بعثاً لمُحَارَبَةِ بشر من بطون حرب — إحدى
قبائل مذحج ، ومنازلهم حول عسفان ، نزلوها من سنة عشر
وثمانمائة ، وقد أخرجهم بنو لأم من أعمال المدينة النبوية ، فكثر
عبثهم وأخذهم السابلة من المارة إلى مكة بالميرة — وجعل على هذا
البعث أخاه السيد علي [بن حسن] ^(٣) بن عجلان ، ومعه من
[بني] ^(٣) حسن السيد مَيْلَب بن رميثة وغيره ، والوزير شُكْر ، في

= كل حمل بثلاثة دنانير ونصف . فانتقض ذلك في الموسم بمكة ، وألزم سائر التجار أن
يحضروا من مكة ببضائعهم صحبة الركب . وتبعوا بحيث لم يقدر أحد منهم أن يتأخر
بمكة ، ولا يتوجه إلى الشام ، بل حضروا بأجمعهم ، وأقيمت عليهم الأعوان في الطريق ،
يتفقدونهم ويعدون أحمالهم .. إلخ » . ومعنى ذلك أن ما تقرر في العام الماضي نقض في
هذا العام ، وانظر أيضاً إنباء الغمر ٣/ ٣٢٤ ، ونزهة النفوس ٣/ ١٤٥ .

(١) إتحاف الوري ورقة ٤٠٧ .

(٢) حادثة : جاء في حسن القرى « الحادثة وتعرفها العرب الآن بالجديدة ،
وقديماً بالمباركة ، تقع قبلي البرابر ، فيها مزارع للحب والفواكه ، وبها عين عذبة » .
وانظر في الخبر إتحاف الوري ورقة ٤١٤ .

(٣) سقط في الأصل ، والمنبث عن إتحاف الوري ورقة ٤٢٠ .

- ١ عدة من وجوه أهل مكة ، ومعهم الأمير أَرْثُبَعَا أمير الخمسين الراكزين ^(١) من المماليك السلطانية ، وصحبته منهم عشرون مملوكاً ، فنزلوا عُسْفَانَ يوم الخميس رابع عشر رجب ، وقطعوا الثنية التي تعرف اليوم بمدرج علي ^(٢) ، حتى أتوا القوم — وقد أنذروا بهم — فتنحوا عن الأرض ، وتركوا بها إبلاً مع خمسة رجال . فأول ما بدؤوا به أن قتلوا الخمسة الرجال ، وامرأة حاملاً كانت معهم ، وما في بطنها أيضاً ، واستاقوا الإبل حتى [إذا] ^(٣) كانوا في النصف من الثنية المذكورة ركب القوم عليهم الجبال يرمونهم بالحراش والحجارة ؛ فانهزم الأمير أَرْثُبَعَا في عدة من المماليك ، وقد قتل منهم ثمانية ، ومن أهل مكة وغيرهم زيادة على أربعين رجلاً ، وجرح كثير ممن بقي ، وغنم القوم منهم اثنين وثلاثين فرساً ، وعشرين درعاً ، ومن السيوف والرماح ، والتجافيف ونحو ذلك من الأسلحة ، ومن الأسلاب والأمتعة ما قيل إنه بلغ قيمته خمسة آلاف دينار وأكثر . فلما طلعت الشمس يوم الجمعة النصف من رجب دخل أَرْثُبَعَا بمن مضى معه / من المماليك مكة ، وأقبل المنهزمون إلى مكة شيئاً بعد شيء ، في ١٧٧ و عدة أيام ، وحُمِلَ السيد مَيْلَب في يوم السبت ميتاً ، ومات بعده بأيام الشريف قاسم بن جَسَّار من جراحة شوّهت وجهه بحيث

(١) في الأصل « المذكورين » ، والتصويب عن المرجع السابق .

(٢) مدرج علي : محطة في طريق الحاج المصري ، تلي عسفان ، وتكون قبل مر

الظهران . (صبح الأعشى ٣٨٧/١٤) .

(٣) إضافة على الأصل .

لَفْتَهُ^(١) كله من أعلى جبهته إلى أسفل ذقنه .

وفي سنة أربعين — في عشرى جمادى الآخرة — وصلت الرجبية إلى مكة ، وصحبتهم قاصد السيد بركات أحمد بن حُنَيْش ومعه كتاب من السلطان للسيد بركات ، يخبره بأنه شملته الصدقات الشريفة بنصف عشور مراكب الهنود^(٢) .

وفيها — في شوال أيضاً — وقع بين القواد العمرة والترك بجدة نثرة^(٣) بدكة يجلس عليها القواد ذوو عمر بالقرب من الفرضة . وكان ذوو عمر يجلسون بهذه الدكة ، فإذا استجار بهم أحد من الناس لا يمكنون منه أحداً ؛ فحصل بينهم وبين بعض الأتراك بهذه الحيشة نثرة ، وركب فيها الأمير ، ووقع بينهم هدة كبيرة ، إلا أن الله درأها عن المسلمين ، وأمسك الأتراك القائد أحمد بن علي بن سِنَان ، وسحبوه على وجهه ، وجاءوا به إلى الأمير بعد إهانة عظيمة ، وتفرق عنه جماعة ثم التأموا وهمُّوا بقتال الترك ، فخوف الأمير عاقبة ذلك فأطلق القائد أحمد بن علي بن سنان . وكان السيد بركات غائباً عن جدة ، فقدم إلى جدة فأخرب الدكة التي يجلس عليها القواد ، وساس الأمر حتى سكنت الفتنة^(٤) .

(١) في الأصل « ألفته » .

(٢) إتحاف الورى ورقة ٤٢٣ — ٤٢٥ .

(٣) النثرة : التجاذب ، أو القذف بالأيدي ، ومنه نثر الكلام أي غلظه

وشدته . (المعجم الوسيط) .

(٤) إتحاف الورى ورقة ٤٢٣ — ٤٢٥ .

- ١ وفي سنة إحدى وأربعين — في جمادى الأولى — قَتَلَ السيد علي بن [حسن بن] ^(١) عجلان خمسةً من كبار حرب ، وتوجّه خوفاً من أخيه السيد بركات إلى القواد العمرة بالعد ، فحَمَلُوا معه بعض خيل من أولادهم إلى أن توجّه إلى نحو بني شعبة ببلاد اليمن .
- ٥ فركب السيد بركات على إثره لما علم بالقضية ، ودخل السيد بركات في بني شعبة ، فقبل ^(٢) وصول الشريف بركات إلى بني شعبة أخرجوا عنهم السيد علي [بن حسن] ^(١) ؛ فخرج شارداً إلى جهة اليمن بعد تعب كثير ، وأقام بالواديين ^(٣) إلى بعد سفر الحاج ، ثم اصطالح هو وأخوه السيد بركات .
- ١٠ وفيها قدم مع الحاج الأمير أَرْبُوعاً وصحبته مماليك مستخدمين ^(٤) للسيد بركات ، وأرسل هو للسلطان الأشرف صحبة الحاج عَلَيَّ يَدَ قاصده ابن فلاح قوداً ، فوافق موت الأشرف ، فَقُدِّمَ لولده العزيز ^(٥) .

(١) إضافة عن إتخاف الوري ورقة ٤٢٨ .

(٢) في الأصل « فبعد » ، والمثبت عن المرجع السابق .

(٣) الواديان : هما حُلَيْة وعُلَيْب من أودية الحجاز التهامية ، يفرغ حلية في السرين ، وعليب يصب جنوبها . وانظر بين مكة واليمن ٥٦ ، ٥٩ ، ٦١ .

(٤) كذا بالأصل ، وإتخاف الوري ورقة ٤٣٠ .

(٥) إتخاف الوري ورقة ٤٣٠ . والعزير هو السلطان الملك العزيز يوسف بن

الأشرف برسباي الدقماقي ، تولى سلطنة مصر بعهد من أبيه إليه بعد موته في ١٣ ذي الحجة سنة ٨٤١ هـ ، وخلع من السلطنة في تاسع عشر ربيع الأول سنة ٨٤٢ هـ .

(النجوم الزاهرة ٢٢٢/١٥ — ٢٥٥) .

- وفي سنة اثنتين وأربعين — في أحد الربيعين — زار جَدَّة
المصطفى ﷺ على الركائب ، وجعل نائبه بوادي الآبار أخاه السيد
أبا القاسم ، وجعل معه القواد ذوى عمر . وبجدة أخاه علياً ، وجعل
معه الأشراف ، وبعض قواد . ووقع من أخيه السيد إبراهيم بعض
تعمّس على الرعية ، إلى أن قدم السيد بركات في جمادى الأولى ،
فتوجه نحو أخيه السيد إبراهيم وصحبته أخواه السيد أبو القاسم ،
وعلي . فلما علم السيد إبراهيم بذلك توجه إلى بلاد اليمن ، فبعه
السيد بركات . وكان مع السيد إبراهيم بعض جماعة من ذوى
حميضة ، فاصطلحوا مع الشريف ، وأقام السيد إبراهيم منفرداً ببلاد
اليمن . ثم وقع الصلح بينه وبين أخيه بعد سفر الحاج من / هذه
السنة (١) .

- وفي رمضان منها أرسل السيد بركات قوداً إلى صاحب مصر
الظاهر (٢) ، وهو خمسة أفراس وطواشيان ، وجاريتان ، ومائتا
شاش ، وقطعة ياقوت أحمر ، وزنها خمسة عشر قيراطاً ، وقطعة
ماس ، زنتها تسعة عشر قيراطاً ونصف ، وذلك صحبة القائد
نعمان (٣) .

(١) إتخاف الورى ورقة ٤٣٢ ، ٤٣٣ .

(٢) هو الملك الظاهر أبو سعيد جقمق العلائي الظاهري ، تولى سلطنة مصر
بعد خلع العزيز يوسف ابن الأشرف برسباي في ١٩ ربيع الأول سنة ٨٤٢ هـ ، وتوفي في
صفر سنة ٨٥٧ هـ ، وكان خلع نفسه لولده الأمير عثمان في ٢١ المحرم سنة ٨٥٧ هـ .

(النجوم الزاهرة ٢٥٦/١٥ — ٤٦٤) .

(٣) إتخاف الورى ورقة ٤٣٤ .

- ١ وفي سنة ثلاث وأربعين أرسل يسأل السلطان أن يَطَأَ البساط ؛ فأجابه السلطان بأن يصل ، وأمره أن يُخْرِجَ شُكْرًا وولديه بُدَيْدًا وعلياً ، وكاتبهم شَمِيلَةً من مكة إلى المدينة ؛ فأخرجهم إلى صوب اليمن . وأرسل قوداً إلى السلطان مع قاصده القائد نعمان صحبة الأمير يَشْبُك ، وكتباً ذكر فيها أنه أخرج شُكْرًا وذويه إلى ناحية اليمن ، وأنه يسأل السلطان أن يعفيه ؛ فإن عليه ضرائر^(١) .

- وفي رمضان منها وصلت الرجبية إلى مكة ، وكان السيد في صوب اليمن ، فأرسل إليه ابن أخيه شرعان ، فوصل في يوم الجمعة ثامن رمضان . ثم في يوم السبت تاسع رمضان قُرِئَت المراسيم ، وهي تتضمن : أن جميع الجلاب الواصلة من البحر إلى جدة من سائر البلاد ليس لصاحب مكة منها إلا الربع ، وأن الثلاثة الأرباع لصاحب مصر . وأن جميع مَنْ يَمُوت بمكة من غير أهلها ليس لصاحب مكة من ميراثه شيء ، وإنما ميراثه لصاحب مصر ، وأن صاحب مكة ليس له ميراث إلا من مات من أهل مكة^(٢) .

- ١٥ ووصل مع الحاج في هذه السنة مرسوم يتضمن : إعفاء السيد بركات من تقبيل خُفِّ جمل المحمل ، فشكر هذا من فعل السلطان . وألاً يؤخذ من التجار الواردين في البحر إلى جُدَّة سوى العشر فقط . ويؤخذ صنف المال من كل عشرة واحد ، وأن يبطل ما

(١) إتحاف الوري ورقة ٤٣٨ .

(٢) المرجع السابق .

- ١ كان يؤخذ سوى العشر من رسوم المباشرين ونحوهم ؛ فكان هذا من جميل ما فعل . وأن يمنع الباعة من المصريين الذين سكنوا مكة وجلسوا بالخوانيت [في المسعى] ^(١) وَحَكَّرُوا المعاش وتلقوا الجلب من ذلك ، وأن يخرجوا من مكة ؛ فشكر ذلك أيضاً ؛ لأن هؤلاء البياعين كثر ضرُّهم وَتَقَوَّوا بحماية المماليك المجريدين لهم ؛ لما يأخذونه منهم من المال .

- ووصل صحبة الحاج أيضاً فتاوي بسبب أخذ العشور من التجار بجدة ، وهو أن بعض الفقهاء نَمَّقَ سَوَلاً يتضمن : أن التجار الواردين إلى مكة من الهند والصين وهُرُمَز كانوا يَرِدُونَ إلى عدن من بلاد اليمن ، فيظلمون بأخذ أكثر أموالهم ، وأنهم رغبوا في ١٠ القُدوم إلى جدة ليحتموا بالسلطان ، وسألوا أن يدفعوا عَشْرَ أموالهم . فهل يجوز أخذ ذلك منهم ؟ فإن السلطان يحتاج إلى صرف مال كثير في عسكر يبعثه إلى مكة . فكتب القضاة الأربعة بالقاهرة بجواز أخذه ، وصرفه في المصالح ، وتمحلُّوا لذلك ما قَوَّوا به فتواهم .
- ١٥ فقرئت الفتاوي في الحرم الشريف بحضور القضاة والأعيان على رءوس الأشهاد ؛ فانطلقت الألسن بالوقية في القضاة ، وأنهم اعتادوا ١٧٨ و اتِّباع أهواء الملوك ، خوفاً على مناصبهم أن يُعزَّلُوا منها . / وأي فرق بين ما يؤخذ من أموال التجار الواردين إلى جدة ، وبين ما يؤخذ بالإسكندرية من التجار ، وما يؤخذ بالقاهرة ومصر ودمشق وسائر

(١) إضافة عن إتحاف الوري ورقة ٤٣٩ .

بلاد الشام من الناس ، عند بيعهم العبيد والإماء ، والخيول والبغال ،^١ والحمير والجمال ، وما يؤخذ بقطياً^(١) من التجار الواردين من بلاد الشام والعراق ، فكل أحد يعلم أن هذا كله مكس لا يحل تناوله ولا الأكل منه ، وأن الآكل منه فاسق لا تُقبل شهادته ؛ لسقوط عدالته . ولكن الهوى يُعمى ويُصم ، وما كفاهم ولا أغناهم هذه الفتاوي حتى بعثوا بها فقرئت بالحرم الشريف على رعوس الأشهاد ، ليقضي الله أمراً كان مفعولاً .

والعجب من الظاهر ، كيف أحدث هذا الحدث الشنيع ، وهو يريد أن تكون تصرفاته على مقتضى فتاوي أهل العلم ، وهو يعلم أن شاه رخ^(٢) ملك الشرق كان يبعث بالإنكار على الأشرف^{١٠} برُسبائي لأخذ العشور بساحل جدة^(٣) !!

وفي سنة أربع وأربعين ورد كتابُ السلطان إلى السيد بركات

(١) قطيا : قرية في الطريق بين مصر والشام ، في وسط الرمل قرب الفرما ، وكانت المكوس تؤخذ بها من القادمين إلى مصر ، وبها وإل برتبة أمير طلبخاناه ، مهمته أخذ العشور من التجار ، وبها قاض وناظر وشهود ومباشرون ، وبها مرافق عامة كالمسجد والبيمارستان . وقد اندثرت ولم يبق منها إلا أطلالها في الطريق بين القنطرة والعريش جنوب شرقي محطة الرمانه ، على عشرة كيلومترات منها . (النجوم الزاهرة ٦١/١٤ تعليق الأستاذ محمد رمزي) .

(٢) شاه رخ : هو معين الدين شاه رخ بن تيمور ، ملك الشرق وسلطان ما وراء النهر ، توفي سنة ٨٥١ هـ . (الدليل الشافي ١/٣٤٠ برقم ١١٧١ ، والضوء اللمع ٢٩٢/٣ برقم ١١١٩) .

(٣) إتحاف الوري ورقة ٤٣٩ ، ٤٤٠ .

بأن يحضر إلى الأبواب الشريفة . فأراد السفر ؛ فاجتمع به التجار والمجاورون وأهل مكة ، فسألوه ورغبوه في أن يقيم ولا يسافر ؛ فإنه متى سافر لا يأمنون على أنفسهم ، وأنه يعرض ذلك على الآراء الشريفة ، فإن اقتضت أن يحضر حضر ، أو أن يقيم أقام . وكتب بذلك محضر ، وكتب الأمير سودون كتاباً بذلك إلى السلطان ، ويشير بأن المصلحة في إقامة السيد بركات بمكة وعدم سفره . وكتب السيد بركات بأن يحمل إلى الخزانة الشريفة من صلب ماله عشرة آلاف دينار عن نفسه ، وخمسة آلاف عن ذوى شكر وشُميلة . فوصل ذلك إلى السلطان في يوم السبت خامس عشر جمادى الأولى ؛ فأذن السلطان للسيد بركات في الإقامة بمكة ، وأعفى من الحضور ، وجُهِزَ له تشريف ، وإذنٌ لذوى شكر بأن يدخلوا مكة وجُدة على جارى عادتهم . ووصل القاصد إلى مكة في رجب بهذا الخبر ؛ فجهَّز الشريف بركات للسلطان فلفلاً بخمسة عشر ألف دينار في البحر المالح إلى الطور^(١) .

ولما طلبه الظاهر جَقَمَقَ في هذه السنة وعَزَمَ على السفر وَلَمْ يسافر كتب له شيخنا الإمام الأديب أبو الخير بن عبد القوي المكي يخاطبه ، وأنشد الوالد ذلك في شهر ربيع الأول من السنة المذكورة :

يَا بَا زُهَيْرِ اسْتَعِنْ بِاللَّهِ فِي الطَّلَبِ
فَإِنَّ مَنْ يَسْتَعِينُ بِاللَّهِ لَمْ يَخِبْ

(١) إتحاف الورى ورقة ٤٤٤ ، وانظر السلوك للمقريزي ٣/٤ : ١٢١٠ ،

- ١ أَهْلُ الْكِسَا حِزْبُكَ الْمَنْصُورُ فَأَدْعُهُمْ
 إِنَّ نَابَ أَمْرٍ وَلَدٌ مِنْهُمْ بِخَيْرِ أَبِي
 مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى وَالْمُرْتَضَى شَيْمًا
 وَالْمُجْتَبَى حَسَبًا نَاهِيكَ مِنْ حَسَبٍ
 هُمُ حُمَاتُكَ وَالْحِصْنُ الْحَصِينُ هُمْ
 هُمُ نَجَاتُكَ هُمْ فَرَاجَةُ الْكُرْبِ
 فَأَعِزِّمْ عَلَى بَرَكَاتِ اللَّهِ مُدَّرِعًا
 سِتْرًا مِنَ اللَّهِ مَسْبُورًا مِنَ الْحُجُبِ /
 ١٧٨ ظ وَأَقْصِدْ زِيَارَةَ قَبْرِ الْمُصْطَفَى فِيهِ
 ١٠ تَنَالُ كُلَّ الْيَدِ تَرْجُو مِنَ الْأَرْبِ (١)
 وَأَبَشِّرْ بِعَوْدِكَ لِلْبَيْتِ الْعَتِيقِ عَلَى
 أَسْرٍ حَالِكٍ (٢) تَسْمُو أَرْفَعَ الرُّتَبِ
 لَا تَخْشَ مِنْ سَفَرٍ تُنْشِيهِ فِي ظَفَرٍ
 وَفِي سُرُورٍ وَفِي أَمْنٍ مِنَ النُّوبِ
 ١٥ فَفِي نَزْوَحِكَ حُسْبَانٌ لَهُ شَرْفٌ
 وَافِي بِنُصْرَةِ سَعْدِ الْحَظِّ فِي الْعَلْبِ
 هَذَا تَقَاوُلُ تَرْجَاحِ النُّفُوسِ لَهُ
 وَالْعِلْمُ لِلَّهِ لَا لِلْسَّبْعَةِ الشُّهُبِ

(١) هذا مخالف لآداب الشرع فإن الذي يقصد هو المسجد النبوي كما جاء في الحديث الشريف : « لاتشد الرحال إلا لثلاثة المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا » . « المراجع » .

(٢) في الأصل « حال » ، والمثبت يستقيم به الوزن .

فَشِقْ بِرَبِّكَ وَالْجَأُ فِي الْأُمُورِ لَهُ
يَكْفِيكَ مَا تَخْشَى مِنْ سُوءٍ وَمِنْ وَصَبٍ
هَذِي نَصِيحَةٌ مَنْ أَنْتُمْ وَسَيَلَّتْهُ
وَحُبُّكُمْ عِنْدَهُ مِنْ أَفْضَلِ الْقُرْبِ
وَإِنِّي بِهَا تُبَذَّ يَرْجُو مَحُوزَتَهَا
إِذَا وَصَلْتُمْ بَعَيْنِي اللَّهُ فِي رَحَبٍ
وَمَا مَحُوزَتُهَا إِلَّا سَلَامَتُكُمْ
فَأَنْتُمْ كَنْزُ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ

وفي هذه السنة كتب السلطان له ولأمرء الحجاز بإعفائهم مما كانوا يقومون به من المال لأمر الركب في كل سنة ، وأكد السلطان على الأمر ألا يأخذوا منهم شيئاً . فما أجمل هذا وأحسنه لو عمل به .

وبلغ السيد بركات أن السلطان أمر أمرء الحج بالقبض عليه ؛ فجمع وحشد ، ولاقى الحاج الأول والمحمل والشامي^(١) واحترز منهم بحرز الله ولم يجتمع بأحد من الأمرء في منزله بعد وصول المحمل ، غير أنه اجتمع في اليوم الأول بالأمرء الواصلين أمام الركب الأول ، وكان الأمرء الحاجون في هذه السنة أربعة عشر أميراً ، منهم : أمير السلاح تَمْرَاز^(٢) .

(١) كذا في الأصل ، وفي إتخاف الوري ورقة ٤٤٦ « ولاقى الحاج الأول والمحمل

الثاني » .

(٢) هو الأمير تماراز القرمشي الظاهري يرقوق ، أمير سلاح الظاهر جقمق ، توفي مطعوناً في صفر ٨٥٣ هـ . (النجوم الزاهرة ١٥/٥٣٦ ، والدليل الشافي ١/٢٢٥ برقم ٧٩٠ ، والضوء اللامع ٣/٣٨ برقم ١٥٣) .

- ١ وفي يوم عرفة حصل جفلة سلّم الله الحاج منها ، سببها أن
الأمراء والأتراك توجهوا للصلاة بمسجد نَمرة ، فظنّ بنو حسن أن
الأمراء والأتراك همّوا بالسيد بركات ، فلبس بنو حسن الزانة^(١) ،
وألَبَسُوا خيلهم [واجتمعوا]^(٢) فسَلَّمَ الله تعالى من ذلك الحاج
والناس ، ولم يقف السيد بركات في الموقف صحبة الأمراء على جارى .
عادة أمراء مكة ؛ فرقاً من الأمراء ، لكن وقف بأطراف الموقف في
طرف الناس ، ولم يخالف على الحاج بشيء ، والله الحمد والشكر .

- وفي سنة خمس وأربعين آخر ربيع الأول وصل قاصد من
القاهرة إلى السيد بركات أن يحضر إلى القاهرة ؛ فاستعفى عن
الحضور مع قاصد له يسمى السكيكي ، وأرسل معه عدّة أوراق ،
١٠ فخامر عليه القاصد ولم يوصلها ، وأرسل السيد بركات عيّناً لينبع
سعيداً^(٣) وعلياً ابني محمد بن مفلح البُليني يتجسّسان له أخبار
مصر ، وهما مقيمان عند صاحب ينبع السيد صخرة^(٤) يظهران
أنهما وافدان عليه ؛ لأنه كان بينه وبين أيهما صحبة . فلما تحقق
السيد صخرة أنهما عيانان للشريف بركات أخرجهما عن بلده ،
١٥ فأقاما عند ابن دُوَيْعَر بقرب بدر ، فبعد أيام وردَ عليهما مَزْرُوع

(١) كذا في الأصل ، ويراد بالزانة الرماح . وفي إتخاف الوري ورقة ٤٤٦

« الزرد » .

(٢) إضافة عن المرجع السابق .

(٣) كذا في الأصل ، وفي إتخاف الوري ورقة ٤٤٨ « محمداً وعلياً » .

(٤) هو صخرة بن مقبل بن مخبار ، توفي سنة ٨٤٦ هـ . (الضوء اللامع

٣/٣١٧ برقم ١٢٠٩) .

١٧٩ و — من مولدى ذوى عجلان — وأخبرهم بولاية السيد عَلِيّ / بن حسن لإمرة مكة ؛ فتوجهوا إلى السيد بركات ، فوصلا إليه في رابع رجب — وكان مقيماً بوادى الآبار من الموسم — وأخبراه بذلك ، فتوجه إلى صوب اليمن .

ووصل مزروع إلى مكة المشرفة في ضحى يوم الأربعاء في رابع عشر رجب ، وأخبر بولاية السيد علي بن حسن لإمرة مكة عوضاً عن أخيه بركات ، وقطع الدعاء للسيد بركات من يوم الخميس خامس عشر الشهر ، ودُعِيَ لصاحب مكة ولم يُعَيَّن اسمه ، ثم في ليلة الجمعة سلخ رجب دُعِيَ للسيد علي بن حسن .

ثم في يوم السبت مستهل شعبان دخل السيد علي بن حسن مكة المشرفة محرماً ، وطاف وسعى وعاد إلى الزاهر ، ودخل مكة ثانياً لابساً الخلعة ، وقرىء توقيعه بالمسجد الحرام ، وهو مؤرخ بسادس عشر^(١) جمادى الأولى .

وفي سنة ست وأربعين جمع السيد بركات جموعاً وعزم على التوجه لحرب أخيه علي ، ونزل العدّ ، وكان أخوه بجُدّة ، فعاد إلى حدّا ، وأخذ مباشروا جُدّة المتحصل للسلطان ، وتحصنوا به في المراكب المسماوية^(٢) في البحر . فلما كان صبح يوم الأحد ثامن

(١) في الأصل « عشرين » ، والمثبت عن إتحاف الورى ورقة ٤٤٩ ، والنجوم الزاهرة ٣٤٩/١٥ .

(٢) المراكب المسماوية : هي التي تستعمل فيها المسامير الحديدية لربط ألواحها ببعضها ببعض ، بخلاف السفن التي تربط ألواحها بالألياف . (البحرية في مصر الإسلامية ٣٦٨) .

- عشر صفر دخل السيد بركات جدة ومن معه ، ولاقاه عبيد أبيه^١ وعسكر المراكب ، وكانت الدخلة عظيمة ، قطع كُلُّ مَنْ رأى تلك الدخلة بأنه لا يخرج من جُدَّة . ونادى بالأمان والاطمئنان والبيع والشراء ، وأرسل إلى المباشرين بأن ينزلوا إليه فامتنعوا . فلما كان صبح يوم الاثنين طلب السيد بركات التجار والنواخيد الهنود وغيرهم ، وطلب منهم عن كل مركب أربعة آلاف دينار ، فأجابوه : أن المراكب مختلفة ، فيها كبير وفيها صغير ، ومن المراكب لا تساوى شحنته خمسمائة دينار . فاتفق رأي التجار على أن يعطوه نصف العشر نظير ما أخذ الشريف علي ، وكان نحواً من أربعين ألف دينار ، فلم يرض السيد بركات بذلك ، وقال : إن أقل ما يأخذ^{١٠} مائة ألف . فبينما هم كذلك وإذا بالبلد قد ارتجّت والناس على صوت واحد بأن الشريف علياً والأمراء والعساكر قد أقبلوا ، فعند ذلك أطلق السيد بركات التجار والنواخيد ، ولبست عساكره وخرجوا إلى ظاهر البلد ؛ ليحوزوا^(١) الماء عن العساكر ، فأقاموا خارج البلد ساعة إلى قرب الظهر ، فلم يكن الصياح عن حقيقة ،^{١٥} فرجعوا إلى مساكنهم .

فلما كان صبح اليوم الثالث حادى عشر الشهر وصل السيد علي والترك والعسكر ، والتقى الجمعان فخامر من أصحاب السيد بركات الأشراف ذوو أبي نمي ، والقواد ذوو حميضة ، ووقع بين الطرفين حرب عظيم كان النصر فيه لأصحاب علي ، وفرَّ عسكر

(١) كذا في الأصل ، وفي إتخاف الورى ورقة ٤٥٣ « ليحجزوا » .

السيد بركات إلى جهة اليمن ، وثبت السيد بركات وقاتل هو وعبيده^١
وأبدوا الجهد ، ولكن الكثرة تغلب الشجاعة ، وتوجه السيد بركات
ومن قر من جماعته إلى العُدّ ، وأقام به إلى صبح يوم السبت رابع
عشر صفر ، ثم ساروا إلى صوب اليمن . وجاود السيد إبراهيم بين
الشريفين بقيّة صفر وشهر ربيع الأول . وأقام أهل جُدّة على وَجَلٍ
١٧٩ ظ وخوف / بعد ذلك . وتوجهت المراكب الهندية من البندر وارتفعوا
إلى ما بين العلمين وأقاموا به قريب الشهر ، ثم سافروا في أوائل ربيع
الأول^(١) .

ولما تولّى^(٢) السيد أبو القاسم بن حسن بعد أخيه علي ،
وغار عليه ولده زاهر وتوجه إلى الصفراء إلى الأشراف ذوى أوى نَمَى
والقواد ذوى عجلان ، وعاد هو وهم ونزلوا بأَمِ الدمن طَرَفَ حُلَيْص ، وجاء
إلى مكة ليلاً وأخذ أحمد البوني ، وتوجّه به إلى أَمِ الدّمن ، وطلبوا منه
مالاً . فسمع السيد أبو القاسم فسار بجماعة من أصحابه نحو
أَمِ الدمن ، فنزل بأَمِ حَبْلَيْن^(٣) ، وكان السيد بركات نازلاً بمكان

(١) إتحاف الورى ورقة ٤٥١ — ٤٥٥ .

(٢) انظر قصة تولية أبي القاسم لإمرة مكة ، والقبض على أخويه علي وإبراهيم في

إتحاف الورى ورقة ٤٥٦ — ٤٥٨ .

(٣) أم حبلين : واد من أودية الخشاش جنوب عُسْفَان ، يسيل من جبل قمط ،

ويصب قرب الكُرَاع شمالي جدة . (معجم معالم الحجاز) .

- ١ يقال له أَمَج^(١) بالقرب من جدة . فعَيْن مِنْ خيله ثلاثين فرساً
ملبسة لتسير مع السيد أبي القاسم . فلما كان في بعض الليالي
ركب السيد أبو القاسم ووزيرُه علي بن محمد الشبيكي^(٢) ، ووردا
على السيد بركات في محلته وسألاه في المسير معهم بنفسه ؛ فأجاب
سؤالهم وسار معهم في ثمانين فارساً مُلَبَّسِينَ ، فتوجهوا أجمعين إلى
أن نزلوا حلّة بين عُسْفَانَ ، فتقدم جماعة من خيل السيد بركات
لكشف الطريق ، فوجدوا بعض ظعون وعشرة^(٣) رجال من غلمان
الأشراف ، فقتل عسكرُ السيد بركات منهم اثنين ، وأرسلوهما إلى
مكة ، فوصلا في يوم الخميس عِشْرِي شعبان من سنة سبع
وأربعين ، فَعُلِّقا في درب المعلاة .

ثم إن جماعة من زبيد ذوى مالك وردوا على السيدين بركات
وأخيه أبي القاسم ، يريدون تثبيطهم من التقدم إليهم ، وسألوهم في

(١) أَمَج : في الأصل « وَمَج » ، وأمج واد يأخذ من حرة بني سليم ويفرع في
البحر (معجم البلدان لياقوت) وأمج بعد خليص بجهة مكة بميلين وبعده بميل وادي
غران ، وأمج لخزاعة بين عسفان وقديد (وفاء الوفا ٢/٢٤٨ ، ٢٤٩) وانظر معجم معالم
الحجاز ١٣٨/١ - ١٤١ .

(٢) هو علي بن محمد بن بركوت الشبيكي ، وزر هو وولده للسيد أبي القاسم
صاحب الحجاز ، وتوفي سنة ٨٥٢ هـ . (الدر الكمين ، والضوء اللامع ٥/٢٩٣ برقم
٩٨٨) .

(٣) كذا في الأصل ، وفي إتحاف الوری ورقة ٤٧١ « عدة » .

الوقوف، وأنهم يدفعون الأشراف وذوى عجلان إلى الشام^(١). فقال
الشريفان : لا يقع اتفاق إلا بعد وصول البونسي إلى عندنا ،
فأحضِرَ البوني إلى الشريفين في يوم الجمعة سابع عشر شعبان ، ثم
وقع التجوّد بين الفريقين سبعة أشهر ، وألا يدخل مكة من الأشراف
وذوى عجلان غير خمسة أنفس لقضاء الحوائج ، لا يزداد على ذلك .
ثم توجه السيد بركات نحو جدة ، ثم إلى الفائق^(٢) من ناحية
اليمن وأقام به .

وفي صفر توجه من اليمن على طريق الحسا^(٣) إلى الشرق ونزل
بالقرب من وادى ليّة ، وأمر له أخوه السيد أبو القاسم بقطعة
الحجاز ، وهي ألف وتسعمائة أفلوري ، وضيّفه أهل الوادين بثمانمائة
أفلوري ، وأرسل له أخوه السيد أبو القاسم أيضاً بثلاثمائة أفلوري
من مكة ، وأقام بها إلى ثاني جمادى الآخرة ، ورحل منها ووصل إلى

(١) بعد هذا في إتخاف الورى ورقة ٤٧١ « فقال الشريفان لا يقع اتفاق إلا في
خليص . وشدوا ونزلوا بوذان بالقرب من أم الدمن . فتكلمت زبيد على مجود بين
الشريفين والأشراف وذوى عجلان ، وأن يطلقوا البوني بغير فداء » . وبعد ذلك يتصل
الكلام بما هنا .

(٢) الفائق : من ديار حرب ، في جنوب المملكة العربية السعودية ، ويتبع إمارة
القنفذة ، ويبعد عنها بحوالى ٦٠ كيلاً بجنوب شرق ، وبينه وبين القوز نحو ثلاثة وثلاثين
كيلاً شرقاً ، والفائق على طريق القوافل بين القنفذة والقوز . (عن تعليق الدكتور
عبد الكريم الباز على إتخاف الورى ورقة ٤٧١ .

(٣) الحسا : لبني عجلان ، يقع في جوب جبل يسمى دفاقا . (معجم البلدان
لياقوت) ودقاق واد لهذيل يسيل من السراة قرب شفا بنى سفيان ، ينحدر غرباً مع ميل
تدرجى إلى الشمال . وانظر معجم معالم الحجاز ٢٢٤/٣ — ٢٢٦ . ولم يذكر فيه أنه
جبل .

نخلة ، ثم إلى عرفة في عصر يوم الأربعاء ثامن جمادى الآخرة ، وأقام بها يوم الخميس ، ورحل في عصر الخميس متوجهاً إلى اليمن ، وأقام بالأطوى ، وبعث إلى مكة وأخذ منها بناءً وفعلة ، وعمّر البئر التي بالأطوى المعروفة قديماً بمياه مَجَنَّة^(١) . ثم توجه السيد بركات في أواخر ذى الحجة إلى العُدّ بالقرب من جُدّة ، وأقام به بأهله وجماعته^(٢) .

وفي يوم الجمعة سلخ القعدة أرسل أمير الحاج المصري شادي بك^(٣) مُوقَّعُهُ إلى السيد بركات بن حسن بن عجلان بمنديل الأمان ، وخاتم الأمان ، وكتاب ذكر له فيه أنه يريد الاجتماع / [به]^(٤) وصحبته أمير الأول^(٥) ، والأمير تَنَمَ ناظر الحرم^(٦) ونخبوه ١٨٠ و

(١) وانظر التعريف بمجنة ، وقول بلال رضي الله عنه :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بوادٍ وحولِي إذ خَرَّ وجليلُ
وهل أَرَدَنْ يوماً مِياهَ مجنة وهل يَبْدُون لِي شامةً وطَفِيلُ

في معجم البلدان لياقوت .

(٢) إتحاف الوري ورقة ٤٧٢ .

(٣) هو شادي بك بن عبد الله الحكمي ، ترقى حتى صار أمير مائة ومقدم ألف ، وتوفي سنة ٨٥٤ هـ . (الدليل الشافي ٣٣٩/١ برقم ١١٦٨ ، والضوء اللامع ٢٨٩/٣ برقم ١١٠٥) .

(٤) إضافة عن إتحاف الوري ورقة ٤٧٣ .

(٥) أمير الأول : أي أمير الركب الأول ، وهو الأمير سونج بغا اليونسي ، أحد أمراء العشرات ورأس نوبة ، قتل سنة ٨٥٧ هـ . (الدليل الشافي ٣٣٧/١ برقم ١١٦٢ ، والضوء اللامع ٢٨٧/٣ برقم ١٠٩٣) .

(٦) هو تنم بن عبد الله من عبد الرزاق المؤيدي شيخ ، توفي سنة ٨٦٨ هـ . (الدليل الشافي ٢٢٩/١ برقم ٧٩٩ ، والضوء اللامع ٤٤/٣ برقم ١٨٢) .

- بِسِرٍّ، فتوجّه القاصد؛ فأجابه إلى ذلك بشرط أن يتوجّه إليه الثلاثة
 الأمراء في عشر ركائب، ولا يكون صحبتهم من الترك غير ثلاثة
 أنفُس في خدمة كل أمير مملوك، ولا يكون معهم شيء من الخيل
 والسلاح، فإن أحبّ الأمراء ذلك فليُرسَلوا إليّ قاصداً بذلك حتى
 أقرب إلى مكة. فوصل القاصد إلى مكة في عصر يوم الاثنين،
 فأخبر الأمراء بذلك؛ فأجابوا إلى هذا الشرط، وأرسلوا له قاصداً
 بذلك في صباح الثلاثاء، فرجع القاصد إلى مكة في ليلة الخميس
 خامس الحجة، وأخبر بأن الشريف وصل إلى المكان المواعَد
 فيه. فلما كان يوم الخميس توجّه الأمراء الثلاثة المذكورون في عدة
 من الركائب، وتوجه معهم جماعة من عسكر السيد بركات
 وتواجهوا، وما يُعلَم ما اتَّفَقَ بينهم.

وفي سنة ثمان وأربعين — في ليلة السبت خامس عشر ربيع
 الآخر — قدم السيد بركات بن حسن بن عجلان ومعه من الخيل
 سبعون، منها ستون ملبسة، ومعه جماعة من ذوي حُمَيْضَة
 وغيرهم، نحو ثلاثين فارساً، من ثنية كداء من أعلى مكة، وانحدر
 بالأبطح، وسار نحو الشرق، فوجد بمكان يقال له البوباه^(١) عرباً
 من بني سعد يقال لهم يَمَن، فأخذ لهم خمسين بعيراً وعدة من

(١) البوباه: اسم لصحراء بأرض تهامة إذا خرجت من أعالي وادي نخلة اليمنية،
 وهي بلاد بني سعد بن بكر بن هوازن. (معجم معالم الحجاز).

- الغنم . فلما كان صبح يوم الثلاثاء أغار على عَرَب مطير^(١) ، وأخذ^١ منهم عدة من الإبل نحو سبعمائة ، وأربعة أفراس قلايع^(٢) ، وقتل ثلاثة أنفس من عرب مطير ، فولّت مطير الدبر عن أموالهم وبيوتهم . فأجار السيد بركات على الحلة ، وقسّم الغنيمة على رُقَقَتِهِ : جعل للراكب ناقتين ، ولكل اثنين من الرجال ناقه ، وأخذ لنفسه المتبقي من ذلك ، وهو خمسمائة ، فاشترى بها خيلاً وركاباً ودروعاً ، وأقام بالشرق ، وأمر بعض صبيانهِ إلى الواديين فأخذ له ضيفة ألف أفلورى^(٣) . فوصل العلم بذلك إلى أمير مكة السيد أبى القاسم ؛ فأرسل إلى أخيه بعض الأعراب بأوراق مضمونها : إن عرب مطير فى نزلتى^(٤) . فرد الجواب : إني تجهزت من العُدّ ، والعلمُ عندك ، فلم يأتني منك خبر عنهم ولا عن غيرهم ، والفرض بينى وبينك . فأرسل ثانياً الشريف أبو القاسم القائدين مُطَيَّرِ بن منصور بن

(١) عرب مطير : من كبريات قبائل جزيرة العرب ، كانت منازلهم بين المدينة وعقيق العشيّة ، فضايقها جيرانها من حرب وعتبة ، فاضطر معظمها إلى الجلاء شرقاً .
(معجم قبائل العرب ، ومعجم قبائل الحجاز) .

(٢) كذا فى الأصل ، ولعلها التى اقتلعت من تحت فرسانها فى الحرب . وقد جاء فى بلوغ القرى لوحة ٢٤٣ ط « واقتلع بعض خيلهم » وجاء فى بغية المستفيد لابن الديع ١٤٢ « واستقلع خمس رعوس من الخيل » وفى ص ١٩٢ « وأخذ ثلاثين فرساً قلائع » وفى ص ١٩٦ « وقتل الشريف محمد بن الحسن واستقلع فرسه » وفى ص ٢٠٢ « قتلوا جماعة واستقلعوا خيلهم » .

(٣) وفى إتخاف الورى ورقة ٤٧٦ ، ٤٧٧ « ألف أفلورى ومائتي أفلورى » .

(٤) كذا فى الأصل ، وفى المرجع السابق « ذمتي » .

- راجع^(١) ، وسنان بن علي بن سنان^(٢) العمريين [بأن]^(٣) يتوجَّهها
عنده برد الأموال على عرب مطير . فتوجهها إلى السيد بركات ، وأقاما
عنده مدة من الأيام ، وصمَّم السيد بركات ، وقال : ما أعطى
السيد أبا القاسم إلا الفرض ، وأعطى القائدين فرسين وعدة من
الركاب . ثم قدما على الشريف أبي القاسم وأخبراه بتصميم السيد
بركات على ما قاله . فأرسل السيد أبو القاسم إلى ولده السيد
زاهر ، والأشراف ذوى أبي غنى ، والقواد ذوى عجلان — وكانوا
نازلين بخيف بني شديد — يأمرهم بالنزول عنده بوادي الآبار .

- ثم إن السيد بركات توجه نحو مكة بعد أن حصل من الشرق
عدة من الخيل والغنم من رجال العرب ، وتقدَّم عنه صبيائه نحو نخلة
لأن يأخذوا له منهم ضيفةً وعليقةً ، فجمعوا له . ثم / وصل السيد
بركات إلى الزَّيْمَةِ ، ثم توجه إلى المُبَارَك ، ثم إلى الجموم من وادي
مَرٍّ ؛ فعلم به أن أخاه الشريف أبا القاسم جمع له عسكرياً ، فسارَ
إلى العُدَّة — وهو منزل أهله المقيمين به — فوشى الواشون بينه وبين
أخيه بأقاويل كثيرة ، فحمل السيد أبو القاسم جماعةً من القواد ١٥

(١) هو مطير بن منصور بن راجح العمري ، أحد أعيان القواد العمرة . توفي
سنة ٨٥٦ هـ . (الدر الكمين ، وإتحاف الوري ورقة ٥١٥ ، والضوء اللامع ١٠/١٦٠
برقم ٦٥٤) .

(٢) هو سنان بن علي بن سنان بن عبد الله العمري ، توفي سنة ٨٥٣ هـ .
(الدر الكمين ، والتبر المسبوك في الذيل على السلوك ٢٨٠ ، والضوء اللامع ٣/٢٧٢
برقم ١٠٣٣) .

(٣) إضافة عن إتحاف الوري ورقة ٤٧٧ .

- العمرة إلى السيد بركات بأن يرد عليه الإبل . فامتنع السيد بركات ،
 فرجع القواد إلى الشريف أبي القاسم وأخبروه ؛ فركب هو وهم إلى
 نحو السيد بركات ، ولم يعلم بهم السيد بركات إلى عند منزله ،
 فتواجه الشريفان وتعاتبا ، فقال له السيد بركات : لو جئتنى هذا
 الحجيء بغير عسكر فعلتُ كل ما تطلبه ، ولو طلبت مالي . وأما هذا
 المال المأخوذ فلا أردّه إلا بالفرض . فتنافرا ، فركب الشريف
 أبو القاسم^(١) وعجل في المداق^(١) وأصبح بوادي الآبار ، وأرسل رسولا
 يستعجل الأشراف والقواد ذوى عجلان — وكانوا بمكة وصلوا من
 الخيف — وتوجه من أصحاب السيد أبي القاسم إلى السيد بركات
 جماعة من الأشراف والقواد الحمضيات . ثم إن القواد العمرة ركب
 منهم جماعة نحو السيد بركات ، وأخذوا منه مُهَلَّةً لدرء الفتنة ستة
 أيام ، ورجع القواد إلى السيد أبي القاسم . وجاود الشريف
 أبو القاسم بين لأشراف ذوى أبي نمي ، والقواد ذوى عمر ، وذوى
 عجلان ، وذوى حسن سنة كاملة ، ورد الشريف أبو القاسم على
 ذوى عجلان رسومهم .

١٥

ثم إن الشريف أبا القاسم جهّز ولده وجماعة من الأشراف
 ذوى أبي نمي ، وجماعة من القواد ذوى عجلان نحو جُدَّة لحفظها .
 وأرسل السيد بركات لجماعة الأشراف والقواد ذوى حُمَيْضَة وبِشْر
 وزَيْد وغيرهم من الأعراب ؛ فالتأم عنده خلق كثير .

(١) في الأصل « وعجل عن المداق » ، والمثبت عن إتحاف الوري ورقة ٤٧٨ .

- ١ ثم إن السيد أبا القاسم أرسل إلى الشيخ عبد الكبير الحَضْرَمِيِّ^(١) — وكان مجاوراً بمكة في هذه السنة — أن يصل إليه . فوصل إليه نحو وادي الآبار ؛ فأرسله إلى السيد بركات ، فتواجه الشيخ عبد الكبير والسيد بركات ، ثم عاد إلى السيد أبي القاسم ، ثم سار الشريف أبو القاسم والشيخ عبد الكبير نحو السيد بركات ، وسار السيد بركات نحوهما ، فاجتمعوا بموضع يقال له عَمَق^(٢) ، ثم اختل الشريهان والشيخ عبد الكبير فقط ، واتفق الحال بينهم على أن يُعْطَى السيد بركات ألف أفلوري حاضرةً ، وألفاً أخرى على نقدتين : خمسمائة في شوال ، وخمسمائة في القعدة ، وثمانية آلاف مرهون عنده ، فيها^(٣) ثلث المتحصل من جباء جدة ، وأن يقيم بعض من يثق به يَجْبِي له ثُلُثَ المتحصل ، وأن القائد بديداً الحسني ، وعَبِيدَ السيد بركات على رسومهم ، وأن جَلْبَةَ القائد على بن شُكْر الحسني مُطْلَقَةً من العشور ، وأن ذلك يكون لسنة كاملة . وكتب كل منهم

(١) هو الشيخ عبد الكبير محمد بن أحمد الأنصاري من ذرية أبي حميد الأنصاري الصحابي — الحضرمي اليمني ، نزيل مكة ؛ قدم إليها حاجاً في سنة إحدى وعشرين وثمانمائة ، ثم في سنة تسع وأربعين ، ثم في سنة اثنتين وخمسين ، فاستوطن مكة ، وابتنى بها زاوية ، وصار له وجهة عند صاحبها وقاضيا فمن دونهما ، ومات في شعبان سنة ٨٦٩ هـ ودفن بباب الشبيكة . (الدر الكمين ، وإتحاف الوري ورقة ٥٧١ ، والضوء اللامع ٣٠٤/٤ برقم ٨٢١) .

(٢) عَمَق : كذا جاء مضبوطاً في الأصل . وضبط في معجم معالم الحجاز بضم العين وفتح الميم ، وقال : علم مرتجل على جادة الطريق إلى مكة بين معدن بني سليم وذات عرق .

(٣) كذا في الأصل ، وفي إتحاف الوري ورقة ٤٧٩ « في ثلث المتحصل » .

حَطَّهْ بذلك ، وأن المال الذي أخذه الشريف بركات من عَرَبِ مَطِير^١ يكون بينهم فيه الفرض ، فأرسل الشريفان نحو الينبوع إلى الغريض الجهني أبي جبتين ، فوصل الغريض إلى القفَّين^(١) ، فأرسل كلَّ من الشريفين نحوه قاصداً يواعدانه المُرَّةَ بقرب / جُدَّة . فاجتمعوا ١٨١ و به في أوائل رجب ، وكان حاضراً معهما الشيخ عبد الكبير ، وكان متوجهاً إلى زيارة النبي ﷺ ، فَدَبَّهُمَا الغريضُ إلى الصلح . فتكلَّم الشيخ عبد الكبير بأن يكون المال أثلاثاً : الثلث على الشريف بركات ، والثلث على السيد أبي القاسم ، والثلث تتركه العرب ، فسَلَّم كلُّ من الشريف ما اتَّفَقَ عليه .

١٠ وفي سنة خمسين — في يوم الأحد ثالث عشر المحرم — وصل قُصَّادٌ من مصر إلى جدة ، ثم توجهوا في يوم الاثنين إلى السيد

(١) القفَّين : كذا في الأصل ، وهو تننية قف بضم القاف وتشديد الفاء ، وهو ما ارتفع من الأرض وغلظ ، ولم يبلغ أن يكون جبلاً ، وقيل هو جبل غير أنه ليس بطويل في السماء ، فيه إشراف على ما حوله ، وما أشرف منه على الأرض حجارة تحتها حجارة بعضها كبير وبعضها صغير ، ويكون في القف رياض وقيعان . والقف علم لوادٍ من أودية المدينة ، عليه مال لأهلها ، وقد جاء مثني في شعر زهير حيث قال :

كم للمنازل من عام ومن زمن لآل سلماء بالقفَّين فالركن
(معجم البلدان لياقوت) .

وفي إتخاف الورى ورقة ٤٧٩ « الفقير » وهو واد ومحطة في واسط بين الحرار وينبع .

(معجم معالم الحجاز) وقيل عين في متسع وادى الفرع وهي اليوم قاعدته نقلت إليها الإمارة من المضيق ، وتتبع إمارة المدينة المنورة . (على طريق الهجرة ٩٥) .

وفي معجم البلدان لياقوت : فقير — على التكبير — : ركن بعينه ، وقيل بشر بعينها ، ومفازة بين الحجاز والشام .

- ١ أبي القاسم — وكان نازلاً بوادى الآبار — وأقاموا عنده إلى ليلة الأربعاء ، وتوجَّهوا صوب السيد بركات بن حسن — وكان نازلاً بالليث — فلما كان ضحى يوم الاثنين حادى عشرى المحرم وصل قاصدٌ من عند السيد بركات إلى مكة المشرفة يطلب بعضَ غلمانِه ، وكانوا بمكة . وأخبر القاصد أنه لَمَّا كان يوم الخميس سابع عشر المحرم وصل إلى السيد بركات مُبَشِّرٌ ، وأخبره بالولاية ، فلما كان يوم الجمعة وصل إلى السيد بركات القَصَادُ — وكانوا تلاقوا فى الطريق بالشيخ عبد الكبير الحضرمي ، وكان متوجهاً من مكة إلى صوب السيد بركات — فلما كان يوم السبت وصل قاصدٌ من جدة ، صحبته المراسيم ، لأنَّ القَصَادَ كانوا أودعوها بجدة خوفاً من السيد أبي القاسم .

فلما كان فى ليلة الأربعاء ثالث عشرى المحرم وصل القَصَادُ الذين كانوا توجهوا إلى السيد بركات إلى مكة المشرفة ، وأخبروا أنهم توجهوا إلى السيد بركات بكتاب السلطان له بالأمان^(١) بأن يسطأ البساط هوأو ولَّده . فاعتلَّ الشريف بركات بأنه صار كبيراً ، وأنه ضعيف ، وذكر لهم أنه يجهِّزُ ابنه إلى الأبواب السلطانية ، وأقاموا بمكة يوم الأربعاء ، ثم توجهوا فى يوم الخميس إلى صوب السيد أبي القاسم .

(١) فى الأصل « بالولاية » ، والمثبت عن إتخاف الورى ورقة ٤٨٩ .

فلما كان في يوم الأحد وصل دوادار الأمير جَانِبَك^(١) مشد^١
جدة يطلب الأمير والترك المقيمين بمكة ، فلما كان مغرب ليلة
الاثنين سابع عشرى المحرم وصل الشريف محمد بن السيد بركات إلى
مكة وطاف واجتمع بأمر الرتبة^(٢) المقيمين بمكة ، وأقام بمكة يوم
الاثنين ، وتوجه في ليلة الثلاثاء إلى جدة ، فدخل جُدَّة في صبح يوم
الأربعاء تاسع عشرى المحرم ، ودخل في خدمته أمير الرتبة المقيمين
بمكة ، ومشد جدة ، وأقام بجدة إلى يوم الأحد رابع صفر وتوجه إلى
القاهرة^(٣) .

فلما كان صبح يوم الخميس سابع عشرى ربيع الأول وصل
مخير من جدة وأخبر أن أحمد بن مُصَاوِن الحَسَّانِي قدم جدة في ليلة^{١٠}
الأربعاء سادس عشرى ربيع الأول ، وتوجه نحو السيد بركات ؛ فتوجه
السيد أبو القاسم نحو وادى الآبار . فلما كان في ظهر يوم السبت
تاسع عشرى ربيع الأول وصل قاصدٌ من وادى الآبار ، وأخبر أن
السيد بركات نزل بالعدّ في خيل مُجَرَّدَة ، وكان بالعد — نازلاً —
القوادِ ذوو عمر .

١٥

فلما كان بعد العصر من يوم السبت المذكور وصل القائد

(١) هو جانبك بن عبد الله الظاهري جقمق ، ناظر جدة ، قتل في سنة
٨٦٧ هـ . (الدليل الشافي ٢٣٩/١ برقم ٨٢٧ ، والضوء اللامع ٥٧/٣ برقم
٢٣٥) .

(٢) أمير الرتبة : أي أمير الأجناد المرتبين بمكة المكرمة من قبل سلطان مصر .
ويسمى أيضاً : الأمير باش الأتراك ، والأمير الباش ، وباش الترك بمكة .

(٣) إتحاف الوري ورقة ٤٨٨ ، ٤٨٩ .

- ١٨١ ظ محمد بن عبد الكريم العمري رسولاً من السيد بركات بمشال من السلطان إلى الأمير / الراكز بمكة ، يخبره أن الصدقات السلطانية شملت السيد بركات باستقراره في إمرة مكة عوضاً عن بها ، وأن الأمير يحتفظ بمكة حتى يصل التشريف للشريف بركات ويلبسه ، وأن يكون الأمير في خدمته . والمثال مؤرخ بثامن ربيع الأول . وأخبر القائد محمد بن عبد الكريم أن القاصد وصل إلى السيد بركات بمنزله في الليث ، في يوم الخميس سابع عشر ربيع الأول ، وأن الشريف [بركات] ^(١) توجه من فوره إلى العُدّ فنزله صباح يوم السبت ، وأخبر أيضاً أنه وصل مشال إلى الأمير المشد بجدة يخبره بذلك ، ويتوقع للسيد بركات .

- ١٠ فلما كان في ليلة الأحد سلخ ربيع الأول توجه من كان بمكة من ذوى عجلان وغيرهم من أتباع السيد أبى القاسم نحو وادى الآبار . وفي هذه الليلة [رَتَبَ] ^(١) الأمير كُزُل ^(٢) أجناداً يعسّون بمكة ، فلما كان صباح يوم الأحد أمر الأمير كُزُل منادياً ينادى بالأمان والاطمئنان ، وأن البلاد للسيد بركات . فلما كان عصر يوم الأحد نادى الأمير : ألا يخرج أحدٌ من بيته بعد صلاة العشاء ،

(١) إضافة عن إتخاف الورى ورقة ٤٩٠ .

(٢) هو كزل السوداني ، ويعرف بالمعلم ، ولأه الظاهر جقمق أميراً على الترك الراكزين بمكة ، فقدم إليها في شعبان سنة ٨٤٨ هـ ، واستمر على وظيفته هذه حتى سنة ٨٥١ هـ فعاد إلى القاهرة . ومات بها سنة ٨٦٥ هـ . (الدليل الشافي ٥٥٧/٢ برقم ١٩١٢ ، والضوء اللامع ٢٢٧/٦ برقم ٧٧٨) .

- وَدُعِيَ للسيد بركات بعد صلاة المغرب على زمزم في ليلة الاثنين ثاني ربيع الآخر . فلما كان صبح يوم الثلاثاء نزل السيد بركات بمن معه من القواد ذوى عمر جُدَّة ، ووصل العلمُ بذلك إلى مكة ضحى يوم الأربعاء ، وتوجَّهَ جَانِبَكَ مشد جُدَّة إلى القاهرة في ربيع الأول . ولما كان يوم السبت حادى عشر ربيع الآخر وصل قاصدٌ من جُدَّة إلى الأمير الراكز بمكة يأمره بالتوجه إلى جُدَّة هو ومن صحبته من الأتراك ؛ فتوجهوا إلى جدة في عصر يوم الأحد .

- فلما كان في صبح يوم الخميس سادس عشرى ربيع الآخر وصل كتاب من السيد بركات إلى قاضى القضاة جلال الدين بن ظهيرة^(١) يخبره بأنه وصل من اليَنُّع متقدم عن قُتَيْدِ بن مَثْقَال الحسيني ، وأن قُتَيْدًا متقدم على السيد محمد بن بركات من وادى نخل . فلما كان في عشاء ليلة الجمعة وصل قاصد من جدة وأخبر أن القائد قُتَيْدًا وصل إلى جدة في عصر يوم الأربعاء . فلما كان في صبح يوم الجمعة نودي بلبس الأشراف^(٢) ، وكنس الأزقة ، وضربت الطبلخانات بيت السيد بركات بأجياذ ، وبأبواب أعيان البلد . ١٥

فلما كان يوم السبت ثامن عشرى ربيع الآخر توجه السيد

(١) هو القاضي جلال الدين أبو السعادات محمد بن أبي البركات محمد بن أبي السعود محمد بن ظهيرة ، توفي في صفر سنة ٨٦١ هـ . (النجوم الزاهرة ١٨٦/١٦ ، والدر الكمين ، وإتحاف الورى ورقة ٥٣٥ ، والضوء اللامع ٢١٤/٩ برقم ٥٢٧) .

(٢) في الأصل « الأسواق » ، والمثبت عن إتحاف الورى ورقة ٤٩١ .

- بركات هو ومن معه من القواد ذوى عمر والأعراب والترك ، والأمير
الراكرز بمكة إلى العُدّ فنزلوا به يوم الأحد ، فلما كان عصر يوم
الاثنين سلخ ربيع الآخر وصل السيد محمد بن بركات إلى جدة ،
ووصل العلم بوصله إلى مكة في عصر يوم الثلاثاء مستهل جمادى
الأولى . ثم توجه السيد محمد نحو والده السيد بركات إلى العُدّ ،
فوصل إليه في يوم الأربعاء ، فلما كان ظهر يوم الخميس ثالث
جمادى الأولى وصل القائد قُتَيْد إلى مكة ، وأخبر أن الشريف بركات
وأخاه السيد أبا القاسم تجاوزا شهراً ، وأن الشريف أبا القاسم رَحَلَ
في صبح يوم الأربعاء هو ومن معه من الأشراف ذوى أبى غمّي ،
والقواد ذوى عمر صوب اليمن ، وأن السيد بركات ينزل وادى الآبار
يوم الجمعة ، ويصل إلى مكة يوم / السبت . ١٨٢ و

- فلما كان في عشاء ليلة السبت خامس جمادى الأولى وصل
السيد بركات إلى الزاهر ، فلما كان نصف الليل دخل مكة المشرفة
محرمًا بعمرة ، وطاف وسعى وعاد إلى الزاهر فبات به . فلما كان
صبح يوم السبت دخل مكة المشرفة لابسًا التشريف ، وصحبته ولده
السيد ناصر الدين محمد لابسًا خلعة ، ودخل المسجد الحرام ،
وقرئ توقيعه ، وهو مؤرخ [بحادى عشرى ربيع الأول ، ثم قرئ
مثال إلى الأعيان من الناس يُخْبِرُونَ فيه بولاية السيد بركات ،
مؤرخ]^(١) بثنائى عشرى ربيع الآخر . ثم طاف السيد بركات عقيب
ذلك ، ونودي له بالدعاء على زمزم . ٢٠

(١) سقط في الأصل ، والمثبت عن إتحاف الورى ورقة ٤٩٢ .

١ وفي اليوم الخامس عشر من شهر رمضان توجه الأتراك المقيمون مع الأمير الراكز بمكة نحو وادي الآبار إلى السيد بركات — وكان أرسل إليهم — وسار بهم نحو أخيه إلى القاسم إلى الليث (٢) .

٥ وفي سنة إحدى وخمسين — في يوم السبت عاشر ربيع الآخر — توجه السيد بركات بن حسن بن عجلان إلى بلاد الشرق ، ثم عاد إلى مكة في ليلة الجمعة رابع عشر جمادى الأولى ، ثم توجه من مكة إلى العُد في يوم الجمعة المذكور ، ثم عاد في يوم الأحد سلخ جمادى الأولى إلى مكة ، وأقام بها إلى عصر يوم الاثنين مستهل جمادى الآخرة فطاف للوداع ، وخرج مسافراً إلى القاهرة ، وأقام بالطنبداوي ١٠ إلى عصر يوم الثلاثاء ، وسافر نحو العد ، ثم توجه إلى جدة في يوم الاثنين ثامن جمادى الآخرة ، ثم سافر من جدة عصر يوم السبت ثالث عشر جمادى الآخرة ، وتوجه إلى المدينة الشريفة ، فزار النبي ﷺ وصاحبيه رضي الله عنهما . ثم توجه إلى القاهرة فدخلها في يوم الخميس مستهل شعبان ، ونزل له الملك الظاهر إلى المطعم (١) ببركة ١٥ الحاج ، ولقاه ملاقة حسنة ، وبالغ في إكرامه ، ومشى له

(٢) وانظر التبر المسبوك ١٤٣ ، ١٤٤ .

(١) المطعم : ويقال له مطعم الطير ، وكان مخصصاً لطيور الصيد ، ويقع في الريدانية التي كانت تطلق على البستان الذي أنشأه ريدان الصقلي — أحد خدام العزيز بالله الفاطمي — شمال شرق القاهرة والصحراء التي تمتد شرقه إلى ما بعد حي مصر الجديدة . وفي أطرافها تقع بركة الحاج ، وكانت تسمى جب عميرة وبسبب نزول الحاج عنده في أول مرحلة من مراحل السفر أطلق عليه اسم بركة الحاج . (الخطط للمقريزي ١٣٩/٢ ، ١٧٤) .

- خطوات ، واحتضنه وأجلسه إلى جانبه بحيث لم يجلس إلا معه ١
خارجاً عن مقعده ، وخلع عليه ، وقُيِّد له فرس بسرج ذهب
مزركش ، وركب معه (١) حتى رسم له بالتوجّه إلى المكان الذى
أنزل فيه ، بالقرب من سوقة الصاحب ، فرتب له الرواتب السنية ،
وأكرمه غاية الإكرام ، وارتجت القاهرة لدخوله ، وخرجت العذارى ٥
للتفرج عليه ، وكان يوماً مشهوداً .

- ولما وصل إلى منزله جاءه للسلام عليه القضاة والأمراء
والأعيان ، ووصل العلم إلى مكة بذلك في يوم الخميس ثانى عشر
شعبان . وحَدَّثَ بالقاهرة ، فسمع منه بعض الطلبة ، وأجاز لهم .
ثم توجّه السيد بركات إلى مكة في يوم الخميس خامس عشر ١٠
شعبان .

- فلما كان في صبح يوم الاثنين حادى عشر رمضان وصل
قاصداً من جدة ، وأخبر أن القائد أحمد بن فرج الحسني وصل إلى
جدة في ظهر يوم الأحد متقدماً عن السيد بركات من عَقَبَةِ أَيْلَةٍ .
فلما كان آخر يوم الأحد سابع عشر شهر رمضان وصل قاصداً ١٥
وأخبر أن السيد بركات بوادى مَرَّ . فلما كان بعد العشاء دخل
الشریف وطاف وسعى ، ثم عاد إلى الزاهر ، وبات به ولبس
خلعته ، ثم دخل إلى مكة في صبح يوم الاثنين ، وقرىء مرسومه
بالمسجد الحرام بحضرة القضاة ، والأمير الباش ، وطاف ، / ودعا له ١٨٢ ظ
الرئيس على ظُلَّة زمزم .

٢٠

(١) أي مع السلطان ، كما جاء في التبر المسبوك ١٨٤ .

١ وحصل في ضحى يوم عرفة جفلةً ، سببها أن الأتراك تعدوا على غنم عرب بنى سعد^(١) وأخذوها ، فحصل بينهم قتال ، فسمع الشريف فجاء ومعه عسكره وطردها العرب ، ونَهَبَ الغوغاء أيضاً كثيراً من إبلهم وغنمهم وأثاثهم ، وسكن الأمر ، ونودي بالأمان والبيع والشراء .

وفي سنة ثلاث وخمسين ، في عصر يوم الجمعة ثامن عشر جمادى الآخرة توجه السيد بركات نحو الشرق لغزو عربٍ نهبوا حاج عقيل في السنة التي قبل هذه ، ثم وصل العلم إلى مكة المشرفة في عصر يوم السبت سادس عشر الشهر بأنه ظفر بهم ، وغنم أموالهم . ثم عاد إلى مكة في رجب^(٢) .

١٠ وفي سنة أربع وخمسين — في شهر رجب — توجه السيد بركات إلى المدينة الشريفة لزيارة جده المصطفى ﷺ ، وصحبته قافلة كبيرة خرجت من مكة يوم الاثنين خامس عشر شهر رجب ، وفيها قاضي مكة جلال الدين أبو السعادات بن ظهيرة ، وجماعة من أعيان التجار ، وخلقٌ من أهل مكة والمجاورين ، وأقامت بوادي مَرَّ ١٥ إلى ضحى يوم الأربعاء تاسع عشر رجب ، وتوجهت إلى المدينة ، والتقت القافلة هي والسيد بركات وجماعته من الأشراف والقواد بطريق البرقاء^(٣) ، وتوجهوا إلى المدينة الشريفة . وكانت قافلة عظيمة

(١) كذا في الأصل ، وفي إتحاف الورى ورقة ٥٠٠ « بني سعيد » .

(٢) إتحاف الورى ورقة ٥٠٤ .

(٣) البرقاء : وتقع جنوب عسفان بستة عشر كيلاً ، وتعرف ببرقاء العميم ، وهي على جادة الطريق من مكة إلى المدينة على بعد ٦٤ كيلاً من مكة . (تعليق الدكتور عبد الكريم الباز على إتحاف الورى ورقة ٥٠٧) .

- ١ يُضْرَبُ بها المثل ، عدة الشقادات^(١) نحو أربعمئة وخمسة وثلاثين ،
 وعدة الشُّجَر^(٢) نحو مائتين ، والزوامل^(٣) نحو ثمانمئة ، والخيل نحو
 الخمسين ، والرواحل نحو المائتين ، والحمير نحو الثلاثمئة ، والبغال
 نحو الخمسة عشر . ودخلوا المدينة يوم الثلاثاء سلبخ رجب ، وأقاموا
 بالمدينة نحو خمسة أيام ، وخرجوا منها يوم السبت رابع شعبان ، وعادوا
 إلى مكة فوصلوها في يوم الجمعة سابع عشر شهر شعبان^(٤) .

وفي سنة ست وخمسين ، في ليلة السبت ثاني عشرى ربيع
 الآخر ، قدم السيد بركات إلى مكة المشرفة من وادى الآبار متوجهاً
 إلى الشرق ، وخرج بثقله إلى العُسيْلَة بأعلى مكة ، وأقام هو بمكة
 بنفسه ، ثم توجه إلى بلاد الشرق ، في عصر يوم الاثنين رابع عشرى

(١) الشقادات : جمع شقدف ، وهو كسريرين من الخشب قاعدتهما من
 الحبال ، وعلى حافة كل سرير من الجانب الخارجى والخلفى شبكة من العيدان ، يوضع
 على ظهر بغير وغيره ، ويسع راكبين ويمكنهما أن يناما فيه . (الرحلة الحجازية للبناتوني
 ٢٠٧) .

(٢) الشُّجَر : جمع شَجَار ، ويكون من أعواد ، ولا يغطى بأي نسيج ، فإذا
 غطي صار هودجاً . ويقال هو الهودج الصغير الذي يكفى واحداً . (تاج العروس) .
 وفى إتحاف الورى ورقة ٥٠٧ « وعدة الشباري نحو مائتين » ، والشباري : جمع شبرية ،
 وهي سرير من الخشب والحبال له جوانب تمنع من السقوط ، يستعمل لحمل العجزة في
 الطواف أو غيره ، ويحملة شخصان ، أو تحمله الدواب في المسافات الطويلة .
 (مصطلح مكى) .

(٣) الزوامل : جمع زاملة ، وهي البعير الذى يحمل عليه الطعام والمتاع ، (لسان
 العرب ، وتاج العروس) .

(٤) إتحاف الورى ورقة ٥٠٧ ، ٥٠٨ .

ربيع الآخر ، وعاد إلى مكة^(٥) .

وفي شعبان توجه السيد بركات إلى حلي ابن يعقوب ، يريد أن يولي حلي للسهمي موسى بن محمد بن موسى ، عوض أخيه دُرَيْب . فَفَرَّ دُرَيْبٌ وَأَخْلَى لَهُمُ الْبِلَادَ . فَوَلَّى السَّهْمِي ، وَأَقَامَ السَّيِّدُ بَرَكَاتَ هُنَاكَ مَدَّةً ، ثُمَّ تَوَجَّهَ إِلَى مَكَّةَ ، فَجَاءَ دُرَيْبٌ إِلَى الْمَنِيرَةِ^(٦) وَنَزَلَ بِهَا ، وَأَرَادَ دُخُولَ الْقُوزِ^(٧) ، فَدَخَلَ الصُّوفِيَّةَ بَنُو الطَّوَّاشِي وَغَيْرُهُمْ بَيْنَهُمْ عَلَى الصِّلَحِ — أَوْ مَهْلَةٍ مَدَّةً — فَمَا رَضِيَ دُرَيْبٌ ، وَحَرَضَتْهُ وَالِدَتُهُ عَلَى الْقِتَالِ ، فَسَارَ السَّهْمِي إِلَيْهِ بِعَسْكَرِهِ وَتَقَاتَلُوا قُبَيْلَ الْعَصْرِ ، فِي أَوَائِلِ الْعَشْرِ الْآخِرِ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ ، فَوَقَعَتِ الْكُسْرَى عَلَى دُرَيْبٍ وَجَمَاعَتِهِ ؛ فَقُتِلَ دُرَيْبٌ ، وَقُبِضَ عَلَى وَالِدَتِهِ حَبِيبًا بِنْتُ مُجَبِّدٍ ، وَأَخَوَاتِهِ الثَّلَاثَةِ . وَخُشِّبَ عَلَى يَدِ وَالِدَتِهِ وَرَجِّلَهَا إِلَى أَنْ سَلَّمَتِ لِلْسَّهْمِي مَا لَهَا كَانَ مُودِعًا لَهَا عِنْدَ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ السَّنِّيِّ بْنِ يَحْيَى الطَّوَّاشِي ، وَهُوَ عَشْرُونَ أَلْفَ أَفْلُورِي فِي

(٥) إتحاف الوري ورقة ٥١٣ .

(٦) المنيرة ، كذا في الأصل ، وإتحاف الوري ورقة ٥١٣ . ويقول الدكتور عبد الكريم الباز في تعليقه على إتحاف الوري ورقة ٥١٣ : « لعلها أم النور ، وهي قرية بساحل يبة ، وكانت مقر شيوخ بني يعلى الكنانين سابقاً ، وهي غرب القوز تبعد عنه بحوالي ١٢ كيلاً » .

(٧) القوز : هو قوز بلعير ، ويقع قرب شاطئ البحر الأحمر جنوب القنفذة ، على ٣٠ كيلاً منها ، وهو قاعدة يبة ، وبه إمارة تابعة للقنفذة ، وأقيمت به المرافق العامة . (بين مكة واليمن ١٦٢ ، ١٦٣) .

مَرْطَبَانِينَ^(١) .

وفي ثاني [يوم]^(٢) قَتَلَهُ وَصَلَ قُصَّادٌ من مصر بخلعة وكسوة
١٨٣ و لَدُرَيْبٍ من السلطان الظاهر جَقَمَقَ ؛ لَأَن / دُرَيْباً كان كاتب مشد
جُدَّة جَانِيكَ بَأَن يأخذ خلعة من السلطان ويرسلها له .

- وفي سنة سبع وخمسين — في يوم السبت رابع ربيع الآخر —
وردت الأخبار بَأَن الملك المنصور^(٣) خُلِعَ وولي عوضه الأمير الكبير
إِيْنَال الأجرود^(٤) ، وَلُقِّبَ بالملك الأشرف أبى النصر . فلما كان في
ليلة الأحد دُعِيَ له على زمزم بعد صلاة المغرب . فلما كان في ليلة
الثلاثاء حادى عشرى ربيع الآخر قدم السيد بركات مكة المشرفة
— وقدم معه قاصده إبراهيم الطوير^(٥) .

(١) إتحاف الورى ورقة ٥١٣ ، ٥١٤ . والمرطبان : هو إنشاء من الفخار أو ما
أشبهه توضع به الأشياء كالبحار ، أو العسل أو نحوهما . (مصطلح مكى) .
(٢) إضافة عن إتحاف الورى ورقة ٥١٤ .

(٣) هو الملك المنصور أبو السعادات فخر الدين عثمان بن الظاهر جقمق
العلائى ، تولى سلطنة مصر في ٢١ من المحرم سنة ٨٥٧ هـ . بعد أن خلع والده نفسه من
السلطنة لمرضه ، وولى ابنه هذا ، وخلع المنصور عثمان في ربيع الأول سنة ٨٥٧ هـ .
(النجوم الزاهرة ٢٣/١٦ — ٤٦) .

(٤) هو السلطان الملك الأشرف سيف الدين أبو النصر إينال بن عبد الله العلائى
الظاهري ثم الناصري . تولى السلطنة بعد خلع السلطان عثمان بن جقمق في ربيع الأول
سنة ٨٥٧ هـ ، ومات في جمادى الأولى سنة ٨٦٥ هـ بعد خلعه لنفسه وتولية ولده أبى
الفتح أحمد بن إينال بيوم واحد . (النجوم الزاهرة ٤٧/١٦ — ١٥١) .

(٥) إتحاف الورى ورقة ٥١٦ .

- فلما كان ضحى^(١) يوم الخميس ثالث عشرى ربيع الآخر^١ قُرئَ مثلاً من الملك الأشرف للسيد بركات بأن الخليفة^(٢) خَلَعَ الملك المنصور عثمان ، وأنه ولي السلطنة عوضه ، ولُقِّبَ بالأشرف ، وَكُنِيَ بأبى النصر فى يوم الاثنين ثامن شهر تاريخه ، وأنه قد وصلت خلعة لك ، وخلعة لولدك . وهو مؤرخ بحادى عشر ربيع الأول ، . فلبس السيد بركات وولده الخلعتين .

- وفى رمضان منها وصل السيد علي بن أبى سعد الحجر من صوب اليمن ، ونزل على السيد بركات بوادى الآبار ، وسأل من السيد بركات السكنى بمكة وأعمالها . فامتنع السيد بركات من ذلك ، وأمره بالرجوع من حيث جاء . فسأل السيد بركات أن يرسل معه أحداً إلى مكان يأمن فيه على نفسه . فبعث معه بعض غلمانة إلى أن أوصلوه إلى مكان أمرهم فيه بالرجوع ، وقال : قد أَمِنْتُ فيه على نفسى . فرجعوا ، فلما أن فارقه رجع الشريف علي ابن أبى سعد ، ونزل على جماعة القواد ذوى عمر بالعدّ ، ونزل على امرأة فارس بن محمد بن علي بن سنان — وكان ذلك بمواطأة من الشريف علي بن أبى سعد والقواد ذوى عمر — فأرسلت إلى جماعة

(١) كذا فى الأصل ، وفى المرجع السابق « صبح » .

(٢) هو القائم بأمر الله حمزة بن المتوكل العباسي ولي الخلافة بمصر سنة ٨٥٥ هـ ، وفى سنة ٨٥٩ هـ وقع بينه وبين الأشرف إينال خلاف ؛ فخلعه الأشرف من الخلافة ، وسيره إلى الإسكندرية واعتقله بها ، ثم أطلق واستمر إلى أن مات فى أواخر سنة ٨٦٢ هـ ، أو أوائل ٨٦٣ هـ (النجوم الزاهرة ١٥/٥٦٣ ، ١٦/٩٠ ، ٩٣ ، وتاريخ الخلفاء ٥١٣) .

- ١ من بني عَمَّ زوجها — وكان زوجها غائباً — فتوجَّهوا إلى السيد بركات بوادي الآبار ، وتكلَّمُوا معه في ذلك ، فامتنع أشدَّ الامتناع ، فلما أن رَدَّهم السيد بركات أخذتهم الحمية فراسلوا الأشراف ذوى أبي ثُمِّي على الحلف على السيد بركات ، وأن يكونوا يداً واحدة . فقال الأشراف : ما نفعل شيئاً من ذلك إلا أن يركب جماعةٌ من أعيانكم إلينا . فركب جماعةٌ من أعيان القواد إلى الأشراف بخيف بنى شديد ، واتفقوا هم وإيَّاهم ، وقالوا : (١) ما يكون مخالفة (١) ، إلا بحضرة السيد علي بن غُضْنَفَرِ العرمطي (٢) ، بضبيعة سَرَوَعَة . فركبوا جميعاً إلى السيد علي بن غُضْنَفَر ، وأرسلوا إلى ذوى حميضة ، واجتمعوا عند السيد علي بن غُضْنَفَر ، وتحالفوا وتعاهدوا على أن يكونوا يداً واحدة على السيد بركات . فلما كان في اليوم الثامن عشر من شهر رمضان ، سمع السيد بركات بذلك ، وكان بمكة فخرج من فوره هو ومن كان معه ، من جماعته . وساروا إلى وادي الآبار ، ثم سار من فوره إلى جدة ونزلها ، وأرسل إلى عبيده وعبيد والده ؛ فاجتمعوا عنده بجدة ، واجتمع عند السيد بركات جماعةٌ من القواد ذوى عمر ممن لم يدخل في الحلف ، منهم فارس بن محمد بن علي ابن سنان ، وابن عمه علي بن أحمد بن علي بن سنان ، وعبد الله بن محمد ، وولده ، وهم مباطنون لأصحابهم . وأرسل القواد ذوو عمر

(١) تكررت هذه العبارة في الأصل ، فأهملنا الثانية ؛ موافقة لما جاء بإتحاف

الورى ورقة ٥١٧ .

(٢) في الأصل « العُزْفُطِي » ، والمثبت عن المرجع السابق .

إلى السيد أحمد بن إبراهيم بن حسن بن عجلان — وكان بأَمِّ الدَّمَنِ من ناحية الشام مُعَاضِباً / لعمه — بأنه يصل إليهم ، فوصل ١٨٣ ظ
إليهم ، ونزل جميع عيال الأشراف ذوى أبنى نُمَيِّ والعرامطة^(١) والقواد ذوى حُمَيْضَةَ على القواد ذوى عمر بالعد ، ومن انضم إليهم من أتباعهم ، وصاروا جيشاً كثيفاً . فأرسل السيد بركات إلى القواد ذوى عمر ، ومن معهم بأن يفترقوا . فامتنعوا وصَمَّمُوا ، وقالوا : لا نفترق إلا أن تفرق علينا القانون^(٢) الذى كان والدك وأنت فى أول ولايتك تفرقانه علينا ، وأن يكون عنايانا^(٣) على جارى العادة ، وأن مَنْ نزل علينا — قاتل نفس أو مجرمًا — لا يكون لك عليه سلطان . فامتنع السيد من ذلك جميعه وأرسل إلى الأعراب ، وجمع ١٠
العساكر ، وعزم على المسير إليهم . وجَهَّزَ قاصداً إلى القاهرة يطلب زيادة ممالك يقيمون بمكة على من بها من الممالك . ثم حصل بين السيد بركات وبين القواد ومن معهم اتفاق . ثم نَكَثَ القواد ؛ فحصل عند السيد بركات شدة من الغضب ؛ فخرج هو وعساكره ونزلوا بالمُرَّةَ بالقرب من العُد . ثم إن السيد على بن غضنفر ، ١٥
والقائد فارس دخلا بينهم ، فوقع الاتفاق على أن السيد بركات يدفع

(١) فى الأصل « العرافطة » ، والمنسب عن إتخاف السورى ورقة ٥١٨ .
والعرامطة : بطن من الأشراف ، لهم شامة وطفيل ، ومعظم الخبث جنوب شرقى جدة .
(معجم معالم الحجاز) .

(٢) كذا فى الأصل ، وفى إتخاف الورى ورقة ٥١٨ « العائدة) .

(٣) كذا فى الأصل ، وهو جمع لعانٍ وعانية — وهو الخاضع كالأسير — على غير ما جاء فى كتب اللغة فجمع العاني فيها على عناة والعانية على عوان .

- ١ للقواد وَمَنْ معهم أَرْبَعَةَ آلَافٍ أَشْرَفِي ، وَأَنْ يَكُونَ بَيْنَهُمْ مَجُودٌ سَنَةً كَامِلَةً ، وَأَنْ يُعْطَى الشَّرِيفُ أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ثَلَاثُمِائَةَ أَشْرَفِي ، وَأَنْ يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ مَجُودٌ عَلَى ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ . فَتَوَجَّهَ السَّيِّدُ بَرَكَاتٌ إِلَى جُدَّةَ لِتَحْصِيلِ الْمَالِ ، فَخَرَجَتْ قَافِلَةٌ كَبِيرَةٌ مِنْ حَاجِ الْبَحْرِ إِلَى مَكَّةَ ، فَخَرَجَ عَلَيْهَا بَعْضُ جَمَاعَةٍ مِنَ الْقَوَادِ ذَوِي عَمَرٍ فَتَهَبَوْا بَعْضُهَا . فَلَمَّا عَلِمَ السَّيِّدُ بَرَكَاتٌ بِذَلِكَ عَزَمَ عَلَى الْمَسِيرِ إِلَيْهِمْ وَقَتْلَهُمْ . فَلَمَّا سَمِعَ بِذَلِكَ قَاضِيُ مَكَّةَ الْمَشْرِفَةُ جَلَالُ الدِّينِ أَبُو السَّعَادَاتِ بْنُ ظَهْرِيَّةَ تَوَجَّهَ هُوَ وَالشَّيْخُ عَبْدُ الْكَبِيرِ إِلَى السَّيِّدِ بَرَكَاتٍ بِجُدَّةَ ، وَتَكَلَّمُوا مَعَ الشَّرِيفِ أَنْ يَسْعُوا فِي الصَّلَاحِ بَيْنَهُمْ ، فَامْتَنَعَ السَّيِّدُ بَرَكَاتٌ مِنْ ذَلِكَ ، وَسَارَ بِعَسْكَرِهِ إِلَى الْمُرَّةِ ، وَسَارَ مَعَهُ الْقَاضِيُ جَلَالُ الدِّينِ ، وَالشَّيْخُ عَبْدُ الْكَبِيرِ ، وَنَزَلُوا عَلَى الْمَاءِ . فَلَمَّا عَلِمَ الْقَوَادُ بِذَلِكَ سَارُوا هُمْ وَمَنْ انْضَمَّ إِلَيْهِمْ مِنَ الْأَشْرَافِ وَغَيْرِهِمْ نَحْوَ السَّيِّدِ بَرَكَاتٍ . فَلَمَّا عَلِمَ السَّيِّدُ بَرَكَاتٌ أَمَرَ بِالْمَسِيرِ ، فَلَبِسَتْ الْعَسَاكِرُ وَتَوَجَّهَتْ نَحْوَ الْقَوَادِ وَمَنْ انْضَمَّ إِلَيْهِمْ ، فَتَوَجَّهَ الْقَاضِيُ جَلَالُ الدِّينِ ، وَالشَّيْخُ عَبْدُ الْكَبِيرِ ، وَالشَّيْخُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ الشَّيْخِ مُحَمَّدُ بْنُ الشَّيْخِ الْوَلِيِّ الْكَبِيرِ إِسْمَاعِيلُ الْجَبْرِتِيُّ — وَكَانَ قَدَمٌ مِنَ الْيَمَنِ حَاجِئًا فِي الْبَرِّ — فَسَعُوا بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ عَلَى أَنْ يَكُونَ الْمَجُودُ بَيْنَ الشَّرِيفِ بَرَكَاتٍ وَبَيْنَ الْقَوَادِ وَالْأَشْرَافِ سَنَةً ، وَبَيْنَ السَّيِّدِ أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ . وَضَمَّنَ ذَلِكَ عَلَى الْقَوَادِ فَارِسُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ سَنَانٍ ، وَعَلَى الْأَشْرَافِ ذَوِي أَبِي ثُمَيٍّ بَسَاطُ بْنُ مَبَارَكٍ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَاطِفٍ الْحُسَيْنِيِّ ، وَكَتَبَتْ بَيْنَهُمْ مَكَاتِبَةً وَشُهُودًا ، وَتَوَجَّهَ الْقَاضِيُ وَالْمَشَايِخُ إِلَى مَكَّةَ ، وَتَوَجَّهَ السَّيِّدُ بَرَكَاتٌ إِلَى جُدَّةَ ، وَحَصَّلَ الْمَالَ ، وَأَرْسَلَ بِهِ
- ٢٠

إلى القواد والأشراف^(١) .

فلما كان في العشر الأخير من ذي القعدة توجّه السيد بركات إلى مكة لملاقاة الحاج . فتوجّه بعضُ جُهّال القواد إلى جُدّة وكسروا في بعض الليالي بعضَ البيوت ، وأخذوا شيئاً منها ، وسرَق جماعةً من صَيِّان القواد القوافلَ الواصلة من جُدّة إلى مكة . فلما علم السيد بركات بذلك شقّ عليه ، وأرسل إلى ابن أخيه / الشريف أحمد بن ١٨٤ وإبراهيم وأرضاه ، وأرسل إلى جماعة من الأشراف وأحسن إليهم بمال ؛ فنفرك جمعهم^(١) .

فلما كان بعد سفر الحاج من مكة نزل جميع الأشراف بعيالهم على السيد بركات بوادي الآبار . ولم يتخلّف عند القواد إلا ١٠ الشريف أحمد بن جلبان وبعض جماعته ، والشريف علي بن أحمد الحجر . ثم إن القواد عذّروا الشريف أحمد بن جلبان ، وقالوا له : توجّه إلى أصحابك وأنت برىء من عتبنا . فتوجّه إلى أصحابه . ثم إن السيد بركات أرسل إلى جماعة القواد ذوى عمر بأن يخرجوا عن بلده إلى صوب اليمن . فقالوا : نخرج صوب الشام ، فقال : إن ١٥ عزمتم على الشام فأنتم مني في النقا^(٢) . فخرجوا إلى صوب اليمن .

(١) إتحاف الوري ورقة ٥١٩ ، ٥٢٠ .

(٢) النقا : كذا في الأصل ، وسيرد منه مضارع ، واسم فاعل ، واسم مفعول ،

وكلها تعني في اصطلاحهم : العداوة والخصومة .

- ١ فلما كان بعد أيام قلائل أرسل السيد بركات إلى مَنْ كان عنده من القواد ذوى عمر ، منهم فارس بن محمد ، وابن عمه علي ابن أحمد ، بأن يلحقوا بجماعتهم ، وأَجَلَ لهم أَجْلاً . فسأل علي بن أحمد بن سنان أن يتوجه إلى مكة . ويقيم بها يومين . فقال له الشريف بركات : أخاف عليك الترك . فجاء إلى مكة جماعة من صبيان القواد وتقاضوا حوائجهم ، وخرجوا من مكة ، وتوجهوا إلى العد ، ثم إن القواد ذوى عمر توجهوا إلى جماعتهم باليمن . وكان في أثناء هذه القضية — في أيام الموسم — قدم جماعة من ذوى عجلان بأهاليهم إلى السيد بركات ، وظنوا أنه يسكنهم مكة ، وأن يكونوا نصره له ، فامتنع من ذلك ، ورضي عنهم في الظاهر ، وأحسن إلى بعضهم ، وقال لهم : عودوا إلى مكانكم فإذا احتجّت إليكم أرسلت لكم ، فرجعوا^(١) .

وفي سنة ثمان وخمسين — في يوم الثلاثاء ثامن جمادى الأولى — توجه السيد بركات إلى الشرق ، ثم قدم إلى مكة [في شهر رجب]^(٢) .

١٥

وفي سنة تسع وخمسين — في اليوم الأول أو الثانى من شعبان — مَسَكَ القَائِدُ قُنَيْدَ الحُسْنِي سبعة عشر رجلاً من أعيان

(١) إتحاف الورى ورقة ٥٢٠ .

(٢) إضافة عن إتحاف الورى ورقة ٥٢٣ .

عرب الضَّهْوَان^(١) ، ولم يتعرض لباقيهم — وكان بمكة جماعة منهم ١ يبلغون الخمسين — وذلك بأمر السيد بركات ، وحبسهم في دار الزباج بمكة بعد أن زنجروهم وكبلهم بالحديد ؛ وذلك لأنهم كانوا يفسدون في الطرقات .

- ولما كبرت سنّ السيد بركات ووهن عظمه كلّم مشدّ جدة ٥ الأمير جَانِبَك أن يرسل إلى السلطان ويسأله في ولاية إمرة مكة لولده محمد ؛ فإنه ضعيف قليل الحركة . فأرسل جَانِبَك يسأل في ذلك ، وأقام بجُدّة إلى أن فرغ موسم الهندي^(٢) ، فأبطأ عليه القاصد ، فتوجّه الأمير جَانِبَك إلى وادي مرّ للسلام على السيد بركات — وكان نازلاً بأرض خالد منه ، ضعيفاً جداً — فوصل إليه في ضحى يوم ١٠ الأحد ثامن عشر شعبان ، وأقام عنده إلى ظهر يوم الاثنين تاسع عشر شهر شعبان ، وتوجّه إلى القاهرة . فتوفي عقيب سفر جَانِبَك في عصر يوم الاثنين المذكور ، وجاء العلم بذلك إلى مكة بعد صلاة العصر ، وحمل على أعناق الرجال في سرير ودخل به مكة من أسفلها من باب الشبيكة من ثنية كُدى — بضم الكاف ١٥ والقصر — وغسل بمنزله بأجباد ، وكُفّن وطيف به حول الكعبة الشريفة أسبوعاً قبل الضحى ، وصلى عليه بعدها عند باب

(١) الضهوان : بطن من السراونة من هذيل ، ديارهم جنوب الحجاز من ناحية

البحرين ، في نواشع وادي نعمان . (قلب جزيرة العرب لفؤاد حمزة ٢١٠ ، ومعجم قبائل العرب ، ومعجم قبائل الحجاز) .

(٢) موسم الهندي : يقصد به الموسم الذي ترد فيه تجارة الهند وتحصل رسومها

من المكس .

١٨٤ ظ قُبَّتِي جَدِّيهِ عَجَلَانٍ وَقَتَادَةً ، فِي فَسْقِيَّةٍ عَمَلَتْ لَهُ / ، وَبَنَى عَلَى قَبْرِه
قَبَةً ، وَبَنَى إِلَى قَرْبِهَا سَبِيلًا ، وَجَعَلَ فِي الْقَبَةِ قِرَاءَةً يَقْرَعُونَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ،
وَأَوْقَفَ عَلَى ذَلِكَ وَقَفًا وَلَدَهُ السَّيِّدَ مُحَمَّدَ الَّذِي خَلْفَهُ فِي إِمْرَةِ مَكَّةَ .
وَكَثُرَ الْأَسْفُ عَلَيْهِ لَوْفُورِ مُحَاسِنِهِ — رَحِمَهُ اللَّهُ وَإِيَانَا — وَلَمْ يَتَخَلَّفْ
عَنْ مَشْهَدِهِ أَحَدٌ ، وَكَانَ وَلَدَهُ السَّيِّدَ مُحَمَّدَ بِيْلَادٍ الْيَمَنِيَّ أَرْسَلَهُ وَالِدُهُ
صَحْبَةً مَالَهُ ، فَأَرْسَلَ الْوَزِيرَ بُدَيْدٍ فِي عَصْرِ يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ الْمَذْكُورِ
قَاصِدَيْنِ أَحَدَهُمَا إِلَى السَّيِّدِ مُحَمَّدٍ ، وَالثَّانِي لِلْأَمِيرِ جَانِبِكَ يُخْبِرُهُمَا
بَوَفَاةِ السَّيِّدِ بَرَكَاتٍ ، وَأَرْسَلَ أَيْضًا عِدَّةً مِنَ الْخَيْلِ إِلَى جُدَّةَ ؛ لِحِفْظِ
الْبِلَادِ ، وَأَنْ يَسِيرُوا مَعَ الْقَافِلَةِ مِنْ جُدَّةَ إِلَى مَكَّةَ (١) .

وَلَمَّا كَانَ عَصْرُ يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ الْمَذْكُورِ وَصَلَ قَاصِدٌ مِنَ الْأَمِيرِ
جَانِبِكَ مَشَدَّ جُدَّةَ وَمَعَهُ مَرْسُومٌ ، وَخَلَعَةً لِلْسَّيِّدِ مُحَمَّدِ بْنِ بَرَكَاتٍ ،
وَصَلَا مَعَ الْقَاصِدِ الَّذِي أَرْسَلَهُ الْأَمِيرُ ؛ فَإِنَّ الْأَمِيرَ لَاقَاهُ فِي
عُسْفَانَ ، وَدُعِيَ لِلْسَّيِّدِ مُحَمَّدِ بْنِ بَرَكَاتٍ عَلَى زَمَزَمٍ بَعْدَ صَلَاةِ الْمَغْرَبِ
فِي لَيْلَةِ الْأَرْبَعَاءِ . ثُمَّ إِنَّ الْقَائِدَ شَهَابَ الدِّينِ بَدِيدًا الْحُسَيْنِيَّ تَوَجَّهَ هُوَ ١٥
وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَى حَدَّاءَ مِنْ وَادِي مَرٍّ ، وَأَقَامَ بِهَا وَأَرْسَلَ إِلَى
الْأَعْرَابِ ، وَاسْتَمَرَّ بِهَا إِلَى آخِرِ يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ خَامِسَ رَمَضَانَ ، وَتَوَجَّهَ
إِلَى مَكَّةَ فَوَصَلَهَا فِي آخِرِ لَيْلَةِ الْخَمِيسِ ، وَأَخْبَرَ أَنَّ السَّيِّدَ مُحَمَّدَ بْنَ
بَرَكَاتٍ وَاصِلًا إِلَى مَكَّةَ .

(١) إتحاف الوري ورقة ٥٢٥ ، ٥٢٦ .

فلما كان في أثناء ليلة الجمعة سابع رمضان قدم السيد محمد ابن بركات ، فلما كان الصبح توجه إليه أمير الترك الراكز بمكة ، وبعض الأجناد إلى منزل والده ، فخرج معهم إلى المسجد الحرام ، واجتمع القضاة والتجار والأعيان ، وقرئ مرسوم إلى السيد بركات يتضمن : أنه وردت إلينا كتب الأمير جانبك مشد جدة بالثناء على المخدم ، وأنه بلغنا توهُن المخدم وضعفه وقلة حركته ، وقد أقمنا ولده جمال الدين محمداً في إمرة مكة وأعمالها ، مؤرخ بسادس عشرى رجب (١) .

وكان السيد بركات — رحمه الله — شهماً ، عارفاً بالأمور ، فيه خير كثير ، واحتمال زائد ، وحياء ومروءة طائفة ، مع حسن الشكالة والسياسة ، والشجاعة المفرطة ، والسكينة والوقار ، والثروة الزائدة . وله بمكة مآثر وقرب منها : أنه استأجر بمكة رباط بنت التاج (٢) [بأجباد (٣)] من مكة في سنة سبع وخمسين ، فعمره

(١) إتحاف الوري ورقة ٥٢٦ ، وقد أضاف « فلما كان يوم رابع شوال وصل قاصد من مصر ، ومعه كتاب من السلطان إلى السيد محمد بن بركات بالعزاء في وفاة والده ، وتوقيعان . فلما كان في صبح يوم الجمعة سادس شوال قرئ المرسومان ، أحدهما : بولاية السيد محمد بن بركات لإمارة مكة ، مؤرخ بسابع عشرى رمضان ، والثاني إلى القضاة والأمراء والتجار والأعيان بولاية السيد محمد بن بركات لإمارة مكة .

(٢) رباط بنت التاج : عده الفاسي في شفاء الغرام ٣٣٥/١ من الأربطة التي في أجباد ، وقال : لا أعرف واقفه في الابتداء ، وله أزيد من مائتي سنة ، وعلى بابيه حجر مكتوب فيه : أنه وقف على النساء الصوفيات الأخيار والمجاورات .

(٣) إضافة عن الدر الكمين .

- ١ . عمارة متقنة في سنة تسع وخمسين ، وأوقف منافعه على الفقراء .
 واشترى المَدْرَةَ^(١) المعروفة بالنعيرية خارج أسفل مكة وسبَّلَهَا .
 وجدَّد بئرين بوادي الآبار سنة اثنتين وأربعين ، وعمر البئر التي
 بالأطوى ، المعروفة قديماً بمياه مَجَنَّة . وزار المدينة الشريفة في سنة
 أربع وخمسين في قافلة عظيمة كما تقدم ، وله نظم ، فمنه من قصيدة
 طويلة ، هذا مختارها ، وعَزَّاهَا له جماعة من المحدثين :

يَا مَنْ يَذْكُرُهُمْ قَدْ زَادَ وَسْوَاسِي
 وَقَدْ شَغِلْتُ بِهِمْ عَنْ سَائِرِ النَّاسِ
 وَقَدْ تَقَرَّرَ فِي قَلْبِي مَحَبَّتُهُمْ
 وَجِئْتُهُمْ طَائِعاً أَسْعَى عَلَى رَأْسِي / ١٠
 ١٨٥ سَأَلْتُكُمْ رَشْفَةً لِي مِنْ مَشَارِكِكُمْ
 تُغْنِي عَنِ الرَّاحِ إِذْ مَا لَاحَ فِي الْكَاسِ
 لَا يَمْلِكُ السُّورَ مِنِّي غَيْرُ مُنْخَمِلٍ
 يُبْدِي الْوِدَادَ لِي وَسْوَاسِي وَخَنَاسٍ
 ومنها :

١٥
 إِنَّ لَاحَ يَوْماً لَهُ عَنْ صَاحِبِ طَمَعٍ
 أَضْحَى يَبِيعُ لَهُ بَخْساً بِأَوْكَاسٍ
 وَلَا تَرَانِي بَعِيرِ الْفَضْلِ مُتَّجِحاً
 وَلَا أَقْدُمُ أَذْنَاباً عَلَى الرَّاسِ

(١) المدرة : هي القرية المبنية من الطين واللبن . (المعجم الوسيط) .

١ فَتَأَقْ دِرْيَاقُ (١) مَا يَعْنِي الْكَهَامُ بِهِ
أَرْعَى وَأَخْفَظَ مَا لَا يَحْفَظُ النَّاسِي

إِنْ قَلَّ دَرُّ الْبِكَارِ الْمُرْزَمَاتِ تَرَى
سُوحَى كَمْ شَهْدِ أَعْيَادٍ وَأَعْرَاسِ

٥ ومنها يعاتب أخاه أبا القاسم :

قَدْ جِئْتُ مَا جَا كُلِّبَا فِي عَشِيرَتِهِ
لَوْ أَنَّ فِينَا غُلَامًا مِثْلَ جَسَّاسِ
ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى الْمُخْتَارِ مِنْ مُضَرٍّ
مَا لَاحَ فِي كُلِّ لَيْلٍ ضَوْءُ مِقْبَاسِ

١٠ وله أيضاً — ونقلته من خط الوالد — رحمهما الله تعالى :

مَنْ لِصَبِّ يَشْتَكِي فَرَطَ الْجَوَى
ذَاكَ مِنْ أَسْبَابِ لَوَعَاتِ الْهَوَى
لَيْسَ لِي مِنْهُمْ شِفَاءٌ أَوْ دَوَا
غَيْرَ صَبْرٍ وَأَسْتَعَانِ بِاللَّهِ

١٥ يَا مَلِيحَ الْوَجْهِ كَمْ هَذَا الصُّدُودُ
مَا لِهَذَا الْهَجْرِ عِنْدَكَ مِنْ حُدُودُ

(١) في متن الأصل « رفاق » ، ومصوبة فوقها بكلمة « درياق » ، والدرياق : لغة في الترياق بالتاء . (تاج العروس) . ولعلها « رفاق » وهي المناسبة لفتاق .

أَشْتَهِي يَا مَالِكاً رَقِي تَجُودُ
وَأَغْتَنِمُ أَجْرِي كَرَامَةً لِلَّهِ

زادت البلوى فهو منها سَقِيمُ
قد حُرِمَ في الدهر لَذَاتِ النِّعَمِ
لَيْسَ يَعْلَمُ مَا بِهِ إِلَّا الْعَلِيمُ
عَالِمُ الْأَسْرَارِ خَافِيهِ اللَّهُ

كَاتِمِ الْوَجْهِ وَكَارِهِ أَنْ يُبَيِّحَ
حُقُّ لِي مِنْ فَقْدِ خِلِّي أَنْ أُبَيِّحَ
يُعْطِي الْخِلَانَ مِنْ غَيْرِ الصَّحِيحِ
فِي هَوَاهُ مُرْتَقِبٌ أَمْرَ اللَّهِ

إِنَّ مِثْلِي إِنْ تَجَنَّنَ لَا يُلَامُ
مِنْ عَوَزٍ يَا سَادَتِي حَتَّى الْكَلَامُ
كَيْفَ لَا يَصْحُونَ (١) حَتَّى بِالسَّلَامِ
يَا لَهَا مِنْ قَتْلَةٍ يَا لِلَّهِ

بِالزُّمْرِ أَسْأَلُكَ ثُمَّ الْمُرْسَلَاتِ
وَبُنُونٍ وَالْقَلَمِ وَالذَّارِيَّاتِ

(١) في الأصل « يصحو » .

مَا تَرَى خَيْلَكَ عَلَيْنَا غَايِرَاتٍ
نَاهِبَاتِ الْقَلْبِ مَعَ أَمْرِ اللَّهِ
وله أيضاً فيما رأيته على ظهر كتاب ، وهو معزوّ له :

وَقَائِلَةٍ لِمَ نِمْتَ لَيْلَةً وَصَلْنَا
فَقُلْتُ لَهَا لَا عِلْمَ لِي بِسَوَاكِ
وَمَا نِمْتُ عَنْ كُرْهِ وَلَا عَنْ مَلَالَةٍ
وَلَكِنْ لَعَلِّي فِي الْمَنَامِ أَرَاكِ /
فَبِعِزِّ عِزِّكَ يَا سَعَادُ بَدَلْتَنِي
بُنُحُولِ جِسْمِي الَّذِي عَافَاكِ
١٨٥ ظ

لَا تَجْعَلْنِي غُرْضَةً لِذَوِي الْهَوَى
وَتَرَفَّقْنِي يَا هَذِهِ بِفَتَاكِ
وَتَرَفَّقْنِي فُرْصَ الزَّمَانِ وَحَاذِرِي
أَنَا يَا سَعَادُ وَمَا مَلَكَتُ فِدَاكِ

وقد مدحه الشعراء فأكثرُوا ، منهم القاضي البارع الرئيس ،
شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الله القليوبي الأصل المكي ، الشهير ١٥
بابن خَبِطَةَ (١) ، كتب إليه يستصرخ به في أمر نزل به :

(١) ترجم له السخاوي في الضوء اللامع ١٣٣/٢ برقم ٣٨٣ ، وقال : تولّع بفن
الأدب وتدرّب فيه يسيراً ، ورث بعض أمراء مكة ، فأنشأ الخطب ، وترسل عن سلاطين
مكة وغيرهم ، وتآثل من صناعة التوقيع وغيرها ، مات على إنابة وخير ، في ذي القعدة
سنة ٨٧١ هـ .

- أَدَامَ اللَّهُ عِزَّكَ وَالْمَعَالِي وَبَلَّغَكَ الْمَرَامَ مَدَى اللَّيَالِي ١
 أَيُهْضَمُ جَانِبِي يَوْمًا وَإِنِّي بِجَانِبِكَ الْكَرِيمِ نِظَامُ حَالِي
 فَيَا مَنْ قَدْرُهُ قَدْرُ رَفِيعٍ عَظِيمٍ شَامِخٍ عَالٍ وَغَالِي
 أَتَيْتُ نَظْرًا إِلَيَّ وَجُدْتُ بِنَصْرِي عَلَى الْأَعْدَاءِ يَا مَوْلَى الْمَوَالِي
 وَدُمُومُ وَأَسْلَمَ بِمَكَّةَ فِي سُورٍ مَدَى الْأَزْمَانِ مَحْمُودَ الْخِصَالِ ٥

ومنها شيخنا الإمام الأديب قطب الدين أبو الخير محمد بن
 عبد القوي المكي المالكي — رحمه الله تعالى — فقال من قصيدة
 أولها :

- عَاصِيَ الْعَزُولِ إِذَا نَهَاكَ وَقَالِهِ
 وَأَصْبِرْ عَلَى قِيلِ الْعَرَامِ وَقَالِهِ ١٠
 وَإِذَا الْهَوَى أَصْلَى حَشَاكَ بِوَقْدِهِ
 فَارْزَحْ بِجَيْشِ الْإِصْطِبَارِ وَصَالِهِ
 لَا تَجْرَعَنَّ إِذَا يُلَيْتَ بِجَفْوَةٍ
 مِمَّنْ تُحِبُّ وَرَجَّ يَوْمَ وَصَالِهِ
 ومنها :

- وَأَسْأَلُ بِرُوقَا بِالْحِمَى هَلْ خَيَّمُوا
 بِالْمُنْحَى وَبِشِيحِهِ وَظِلَالِهِ ١٥
 ومنها :

- قَسَمًا بِشُعْبَيْهِ وَبِالصُّحُرَاتِ مِنْ
 هَضْبَاتِهِ وَبِأَيْكِهِ وَبِضَالِهِ ٢٠

(١) الضال : السدر البري ، أو ما يسقيه المطر (المعجم الوسيط) .

- ١ وَبِسَادَةٍ شَرُفَتْ بِهِمْ أَرْجَاؤُهُ
فَنَشَأَ غِرَاسُ الْعِزِّ بَيْنَ حِلَالِهِ
وَالْبَيْتِ وَالْحَرَمِ الشَّرِيفِ وَمَوْقِفِ
لِلْحَجِّ بَيْنَ حَرَامِهِ وَحِلَالِهِ
٥ إِنْ رُمْتُ عَنْكَ أَبَا زُهَيْرٍ سَلْوَةٌ
كُنْتُ الَّذِي بَاعَ الْهُدَى بِضَلَالِهِ
أَمْ كَيْفَ أَسْأَلُو عَنْ وَدَادِ خَلِيفَةٍ
مَا عِشْتُ إِلَّا [فِي] ^(١) وَرَيْقِ ظِلَالِهِ
مَلِكٌ إِذَا قُلْنَا : جَوَادٌ بَاسِلٌ
١٠ فَكَأَنَّمَا جِئْنَا بِبَعْضِ خِصَالِهِ

ومنها :

- بَرَكَاتُ يَابْنَ الْمُصْطَفَى وَوَصِيِّهِ
هَذِي يَمِينِي بِالنَّبِيِّ وَآلِهِ ^(٢)
مَا حُلْتُ عَنْ حُبِّي مُحْيَاكَ الَّذِي
أَضْحَى الْوُجُودُ مُبْرَقَعًا بِجَمَالِهِ ١٥

ومنها :

- لَا تُرْعَ سَمْعَكَ لِلْمُؤْتَبِ وَأَطْرَحِ
مَا عَدَّ عَنَّا فِي جَمِيعِ مَقَالِهِ /

(١) إضافة على الأصل يقتضيها الوزن .

(٢) من خلف بغير الله فقد أشرك وهذا الشعر وأمثاله دليل على ماخالط

العقيدة في ذلك العصر من شوائب . « المراجع »

- ١٨٦ و لَوْلَا نُهَاكَ وَفَيْضُ حِلْمِكَ مَا نَجَا
 إِلَّا قَلِيلٌ مِنْ وَيْلٍ وَبَالٍ
 يَابْنَ الذِي نَادَى الْأَذَانَ بِفَضْلِهِ
 فِي الْخَافِقَيْنِ بِأَوْسِهِ وَبِلَالِهِ
 فِي رَاحَتِكَ مِنَ الْعَمَامِ زِمَامُهَا
 يَابَا زُهَيْرٍ قَبْلَنَا بِبِلَالِهِ
 مَلَقَاكَ عِيدٌ قَبْلَ عِيدِ صِيَامِنَا
 وَجَبِينُ وَجْهِكَ هَلْ قَبْلَ هِلَالِهِ
 وَعَلَى الْهَنَاءِ بِالْعِيدِ يَا عِيدَ الْوَرَى
 فِي نَعْمَةٍ تَحِيَّا إِلَى أَمْثَالِهِ
 وَأَسْلَمَ وَسُدَّ مَا أَشْرَفَتْ بُوْحُ (١) وَمَا
 وَافَى قَمِير (٢) فِي بُرُوجِ كَمَالِهِ
 وَقَالَ يَمْدَحُهُ أَيْضاً ، وَأَنْشَدَهُ لِلْوَالِدِ فِي رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ أَرْبَعٍ
 وَأَرْبَعِينَ وَثَمَانِمِائَةٍ :

- ١٥ أَيَا جِيرَتَيْنَا بِالْحَدِيثِ الذِي جَرَى
 بِخَيْفٍ مِنْى وَالْمَشْعَرَيْنِ أَعِيدَاهُ
 وَبِالْبَيْتِ وَالْبَطْحَاءِ وَالرُّكْنِ وَالصَّفَا
 مُعْنَاكُمَا مِمَّا أَلَمَّ أَعِيدَاهُ

(١) بوح — بالضم — اسم للشمس ، معرفة مؤنث (تاج العروس) .

(٢) في الأصل « غمير » ، والصواب ما أثبتناه .

- ١ وَبِالْأَثْلَاثِ الْخُضْرِ حَيْثُ مَبِيتُنَا
نُذِيقُ الْهَوَى مِمَّا الْبَدَى مِنْهُ ذُقْنَاهُ
إِلَى أَنْ بَدَا وَجْهُ الصَّبَاحِ كَأَنَّهُ
سَنَا وَجْهَ مَوْلَانَا وَنُورِ مُحْيَاهُ
٥ خَلِيفَةُ رَبِّ الْعَالَمِينَ بِمَكَّةِ
بِذَاكَ عَلَى رَغَمِ الْعَدُوِّ قَضَى اللَّهُ
إِمَامَ الْقَتِيلِ الطَّالِبِيِّ وَقَبْلَهُ
وَعَتَرْتَهُ خَيْرَ الْأَنَامِ وَمَعْنَاهُ
حُرُوفُ اسْمِهِ يُمْنٌ لِأَهْلِ زَمَانِهِ
١٠ فَذَا بَرَكَاتٍ وَالْمُهَيْمِنُ سَمَاهُ
عَلَى ظَمَأٍ مِمَّا أَتَيْنَاهُ، نَرْتَوِي
فَرَاخَتُهُ تَسْقِي الْوَهَادَ وَتَغْشَاهُ
بِجُودٍ يَقُولُ النَّيْلُ : إِنِّي دُونَهُ
وَلَكِنِّي أُجْرِيْتُ عَذْبًا يُمْنَاهُ
١٥ وَيُرْوَى أَحَادِيثَ النَّدَى عَنْ سَمَاحَةِ
عَنِ الْغَيْثِ عَنْ كَفِّهِ عَنْ فَيْضِ جَدْوَاهُ
وَنُشْنَى عَلَيْهِ بِالذِّى هُوَ أَهْلُهُ
فَحَقُّ لَهُ حُسْنُ الْمَدِيحِ وَأَسْنَاهُ
وَحُسْنُ الثَّنَا مَا أَوْجَزَ الْقَوْلَ رُبُّهُ
٢٠ وَضُمَّنَ قَامُوسُ الْمَحَاسِنِ مَعْنَاهُ
فَيَا بَا زُهَيْرٍ دُمْتَ حِصْنًا وَمَلَجًا
يُبْثِّكَ بَعْدَ اللَّهِ ذُو الْحُزْنِ شَكْوَاهُ

- ١
بَكَيتُ وَمَا لِلْمَرْءِ بُدٌّ مِنَ الْبُكَاءِ
إِذَا كُفَّتَا فِي آخِرِ الْعُمْرِ عَيْنَاهُ
وَمَا بِي مِنْ حُزْنٍ وَلَسْتُ بِآسِيفٍ
وَمَا بِالْفَتَى إِلَّا شَمَائِلُ أَعْدَائِهِ
فَيَا بَنَ عَلِيٍّ وَالْبَتُولِ الْتِفَافَةَ
يَفِرُّ بِهَا رَبُّ الزَّمَانِ فَتَكْفَاهُ
تَفَضَّلْ بِنُورِي عَزْمَةَ حَسَنِيَّةٍ
أَرَى بِهِمَا نَشْرَ الْقَبُولِ وَأَهْنَاهُ
وَصَلَّى إِلَهَ الْعَرْشِ مَا ذُكِرَ اسْمُهُ
١٠ عَلَى جَدِّكَ الْهَادِي النَّبِيِّ وَأَرْضَاهُ /

١٨٦ ظ وقال يمدحه أيضاً ، وأنشده للوالد في شعبان سنة أربع وأربعين :

- مِنْ بُكَاءِ الْمُزْنِ مُرْسَلًا كَالْجُمَانِ
ضَحِكَ الزَّهْرُ فِي رِيَاضِ الْجِنَانِ
مَا تَرَى الرُّوضَ بِاسِمًا عَنْ إِقَاجٍ
كَلَالٍ زِيٍّ ————— فِي نَيْسَانَ ١٥
وَبَهَارٍ حَكَى اصْفَرَّارَ نُضَارٍ
وَشَقِيقَ يَحْمَرٍّ كَالْبَرْهَانِ (١)

(١) البهار : جنس زهر من المركبات الأنثوية الزهر ، طيب الريح ، ينبت أيام

الربيع ، ويقال له : العرار (المعجم الوسيط) .

١
وَرَيْعَ وَشَى الثَّرَى سُنْدُسِيَّا
نَسَجَتْهُ سَحَائِبُ الهَتَّانِ
وَتَعَنَّتْ فَوَاحِشُ الدَّوْجِ فِيهِ
فَسَرَتْ بِالْحَيَاةِ فِي الْأَغْصَانِ
٥ تُسْقِطُ الطَّيْرَ نَعْمَةً الصَّوْتِ حَسًّا
طَرِبًا مِنْهُ كَيْفَ بِالْإِنْسَانِ

ومنها :

قَالَ لِي صَاحِبِي وَأَعْجَبَ مِنْهُ
مَا دَرَى أَنَّنِي مِنَ الْعُمَيَّانِ ١٠
لَكَ عَزْمٌ عَلَى التَّفَرُّجِ مَعْنَا
فِي عِلَى أَوْ سَمَارٍ مِنْ رَهْجَانٍ (١)

= الشقيق : واحد الشقائق . وهي شقائق النعمان وتسمى الشُّقَارَى ، وهي نبات أحمر الزهر ، مبقع بنقط سوداء ، وله أنواع وضروب ، بعضها يزرع ، وبعضها ينبت برياً في أواخر الشتاء ، وفي الربيع ، وهو عشب حولي من الفصيلة الشقيقية (المعجم الوسيط ش ق ر) .

البرهمن : كذا في الأصل ، وصوابها « الْبَهْرَمَان » حصل إبدال بين حرفي الراء والهاء . وهو الحناء والعصفر — أو نوع منه — وانظر تاج العروس « بهرم » ويطلق على نوع من الياقوت الأحمر ، ويسمى بالرماني لمشابهته حب الرمان الرائق ، وهو أعلى أصناف الياقوت وأفضلها (النجوم الزاهرة ٢١/٩) .

(١) عِلَى : كذا في الأصل ، وهي عَلِي بفتح أوله وسكون ثانيه . وينطقونها عَلِي

بكسر العين واللام ، وهي من وادي رهجان (معالم مكة التاريخية ١١) .

سَمَار : جبال تُرى من عرفة جنوباً ، دونها وادي نعمان ، وشرقها طريق الأجانب =

قُلْتُ : لِلْبَرْدِ عِنْدَ مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ
 لِي سُقُوطٌ يَضُرُّ بِالْأَبْدَانِ
 فَمُدَّفَى بِثَوْبٍ صُوفٍ مُفَرَّى
 وَيُغَيِّرُ الشِّتَا عَلَى الْعُرْيَانِ

قِسْمَةٌ فِي الْأَنَامِ قُدْرَةُ رَبِّ
 حَاكِمٍ بِالْمَزِيدِ وَالنَّقْصَانِ
 جَلَّ مَنْ أَفْقَرَ الْفَقِيرَ وَأَعْطَى
 مَنْ يَشَاءُ مَا يَشَاءُ مِنَ الْإِمْكَانِ
 وَحَذَاهُ عَلَى التَّصَدُّقِ (١) فَضْلاً
 لِيَرَى مَا يَكُونُ فِي الْإِمْتِحَانِ ١٠

= يطيف بها من الشرق والجنوب ، كانت تحتها عين تسمى عين سمار ، فاندثرت ، وصارت أرضها تسقى حالياً بآلات الضخ ، وهي للأشراف ذوى زيد ، وتعد من وادى نعمان (معجم معالم الحجاز ٢٣٣/٤) .

رهجان : واد فحل من روافد نعمان ، يسيل من جبال سمار ، وجبال الخشاع ، يفترق رأسه إلى شعبتين كبيرتين : رهجان الأبيض من الشرق ، وrehجان الأسود من الغرب من جبل قُرْظَة ، ويسكن رهجان وفروعه الجوابرة ، ودعد ، وبنو ندا ، وكلهم من هذيل ، وفيه بئر سقي ، وقرى ومدرسة ، ويصب رهجان في نعمان على ٢٩ كيلاً من مكة يمين طريق الطائف ، وهو الطريق الذى يأخذ على جبل كرى (معجم معالم الحجاز ١٠٩/٤ ، ١١٠) .

(١) في الأصل « التصديق » ولعل الصواب ما أثبتته .

١ فَجَوَادٌ مُمَدَّحٌ مُسْتَجَادٌ
يَيْذُلُ الْمَكْرُمَاتِ سَمَحُ الْمَبَانِي
كَابِنِ طَهَ أَيْ زُهَيْرِ الْمُصَفَّى
زَيْنِ آلِ النَّبِيِّ الْعَدْنَانِ
٥ سَيْطُ أَهْلِ الْكِسَا مَلَاذِ الْبَرَايَا
شَرَفُ الْعَالَمِينَ وَالْأَكْوَانِ

نَطَقَ الْوَحْيُ بِالشَّيْءِ عَلَيْهِمْ
هَأُؤْمُ أَقْرَعُوهُ فِي الْقُرْآنِ
بَرَكَاتِ الْمُصْطَفَى ابْنِ الْمُسَمَّى
١٠ حَسَنَ الْمَحْضِ مِنْ ذَوَى عَجَلَانِ

ومنها :

يَطْرُقُ الْخَطْبُ إِنْ أَشَارَ وَيَنْبُو
شُؤْمُهُ عَنْ هِشَامِ الْمُرَوَّانِيِّ

كَقَمِيرٍ ثِقْلُهُ الْخَيْلُ وَالنُّجُبُ
١٥ فِي بُرُوجِ السُّرُوحِ وَالْكِيرَانِ
يَابْنَ بِنْتِ النَّبِيِّ وَأَبْنَ عَلِيٍّ
شَرَفٌ دُونَ جَدِّهِ النَّيِّرَانِ
هَآكَ مَا قَطَرْتِي عَلَيْكَ ثَنَاءً
أَنْتَ فَخْرٌ لَهُ مَدَى الْأَزْمَانِ

- ١ عَقْدٌ [مدح] ^(١) طَوَّقْتَهُ جَيْدَ مَلِكٍ
فِيهِ فَضْلُ الْحَطِيمِ وَالْأَرْكَانِ
أَنْتَ فَوْقَ النَّاسِ وَحَسْبُكَ مَدْحٌ
جَاءَ فِي «هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ»
١٨٧ وَيَدَّ أَتَى اقْتَدَيْتُ كَعْبًا وَكَعْبًا ^(٢)
فِيكَ وَأَسْتَزِدُّكَ مِنْ حَسَنِ
مَوْجِزِ الْمَدْحِ يَا شَرِيفُ شَهِيٍّ
وَالْتَّطَاوِيلُ آفَةُ الْهَذْيَانِ
فَاكْشِفِ الرَّمْزَ فِي الْهُجُوسِ فَفِيهَا
١٠ فِطْنَةٌ تَهْتَدِي لِفَهْمِ الْمَعَانِي
كُلُّ يَوْمٍ عَلَيْكَ عِيدٌ مُعَادٌ
فِي سُعُودِ سَنِيَّةٍ وَتَمَانِي
وَأَبَقَ فِي دَوْلَةٍ وَعُمَرٍ طَوِيلِ
وَسُرُورٍ وَنِعْمَةٍ وَأَمَانِي
١٥ مَا تَنَاعَتْ حَمَائِمُ الْأَيْكِ تَشْدُو
فَشَدَّاهَا تَرْتُمُ الْأَلْحَانَ
وقال يرثيه شيخنا الأديب شهاب الدين أحمد بن محمد بن
علي السلمى المنصوري القاهري الشهير بالهائم ^(٣) ، أحد الشهب

(١) إضافة يستقيم بها الوزن .

(٢) هما كعب بن مالك الأنصاري السلمى ، أحد شعراء النبي ﷺ ، مات في خلافة علي رضي الله عنه (شرح الزرقاني على المواهب اللدنية ٣٧٢/٣) وكعب بن زهير ابن أبي سلمى مَدَحَ رسول الله ﷺ بقصيدته « بانت سعاد » .

- السبعة ، وأنشدنيه بقراءتي في رحلتى الثانية في يوم الثلاثاء رابع عشر ١
شوال سنة أربع وثمانين وثمانمائة بسكنه برّبع شيخون من الصليبة
خارج القاهرة المعزية :

قَالُوا قَضَى بَرَكَاتُ قُلْتُ فَحَقَّ لِي
أَنْ أُتْبَعَ الْعَبَرَاتِ بِالزَّفَرَاتِ ٥
يَا تَرْحَةَ الْأَحْيَاءِ عِنْدَ فِرَاقِهِ
وَبِقُرْبِهِ يَا فَرْحَةَ الْأَمْوَاتِ
وَالْكَعْبَةَ الْعَرَاءُ قَالَتْ قَدْ غَدَا
لِبُسِ الْجِدَادِ عَلَيْهِ مِنْ عَادَاتِي
فَانْظُرْ إِلَى آثَارِهِ فِي مَكَّةِ ١٥
فَرِحَابُهَا لَمْ تَحُلْ مِنْ بَرَكَاتِ

* * *

١٩٨ — أحمد بن حسن بن عجلان بن رُمَيْثَةَ بن أَبِي نُمَيٍّ
محمد بن أبي سعد حسن بن علي بن قَتَادَةَ بن إدريس بن مُطَاعِن
الحسني المكي .

١٥ . إِمِير مَكَّة الْمُشْرِفَةُ . شَهَابُ الدِّينِ .

ولد بمكة ونشأ بها في كنف أبيه . وأجاز له في سنة خمس

= (٣) ترجم له السخاوي في الضوء اللامع ١٥٠/٢ برقم ٤٢٧ ، وقال : يعرف
بالهائم وبالنصوري أكثر ، توفي سنة ٨٨٧ هـ .

١ وثمانمائة من أجاز للسيد بركات^(١) .

قال الوالد^(٢) : وفي المحرم سنة إحدى عشرة وثمانمائة ندب
والدّه القائد سعد الدين جبروه إلى مصر بهدية طائلة ؛ ليسعى له في
أن يكون ولده السيد أحمد شريكا لأخيه بركات في إمرة مكة ؛
فأجيب إلى ذلك ، وولى السيد حسن نيابة السلطنة بالأقطار
الحجازية ، وذلك في العشر الأوسط من ربيع الأول سنة إحدى عشرة
ووصل إليه رسوله بغتة في النصف الثاني من ربيع الثاني من السنة
المذكورة ، ووصل معه خلعة للمذكور ، وخلعتان لولديه ، وكتاب
من السلطان يشهد بولايتهم لما ذكر . ثم في أثناء سنة اثنتى عشرة
تغيّر صاحب مصر على السيد حسن ؛ فرسم بالقبض عليه وعلى
ابنيه والاحتفاظ بهم .

ثم سعي عند السلطان في تقرير المذكورين في ولاياتهم ،
فأجاب إلى ذلك ، وبعث إليهم بالعهد والخلع ، واستمروا على
ولاياتهم إلى سادس عشر ربيع الأول سنة ثمانى عشرة ، فوصل العلم
١٨٧ ظ إلى مكة بولاية السيد رُمَيْثَة بن محمد بن عجلان / عوضا عن
الشريف حسن وابنيه ، واستمر الدعاء للسيد حسن وابنيه في الخطبة
وعلى زمزم إلى هلال ذى الحجة من السنة ؛ لاستيلاء حسن على
مكة إلى هذا التاريخ . ثم فارقها في هذا التاريخ وقصد صوب

(١) الدر الكمين .

(٢) أي في إتخاف الورى ٤٦٢/٣ ، ٤٦٣ .

اليمن^(١) .

ثم لما عاد والده [السيد حسن]^(٢) إلى مكة في شوال سنة تسع عشرة عاد^(٣) لمكة وأقام معه بمكة . ثم في ربيع الأول سنة إحدى وعشرين جمع السيد أحمد عن طاعة أبيه السيد حسن ؛ لكونه قدّم أخاه بركات عليه في الإمرة ، وأرسل إليه أبوه من يستعطفه ، ويَعِدُه عنه بذهب ومركوب . فلم يَلِ أحمد لذلك ، واجتمع عليه جماعة من الطماعة ومضوا لجدة وخطفوا منها أشياء ، ولم يسهل ذلك بأبيه . ثم إن كثيرا من الذين كانوا مع أحمد تخلّوا عنه ، لَمَّا لامهم أقاربهم على ملائمتهم له ؛ لكون ذلك لا يرضى أباه. ولما عرف هو ذلك مضى إلى حدا ونزل بها ، ثم دخل في ١٠ الطاعة ، وأقام على ذلك وقتا ، ثم خالف ومضى إلى ينبع ، وأتى منها مع الحجاج في سنة إحدى وعشرين إلى أبيه بمكة ، فلم يَرَمَا يعجبه ، فعاد مع الحجاج إلى صوب ينبع بعد الحج من هذه السنة — انتهى كلام الوالد^(٤) . ١٥

قلت : ^(٥) : ثم عاد لمكة وسافر في آخر سنة اثنتين وعشرين

(١) إتحاف الوري ٥٣١/٣ — ٥٣٤

(٢) إضافة للتوضيح .

(٣) أي السيد أحمد بن حسن .

(٤) إتحاف الوري ٥٥٦/٣ .

(٥) أي مؤلفنا العز بن فهد .

- مع قافلة عقيل ، فبلغ هُرْمُوز^(١) ، وعاد بغير طائل مع قافلة عقيل^١ قبيل التروية من سنة ثلاث وعشرين ، ثم سافر قبل موت أبيه إلى العراق هو وأخوه على ، وجلسا بها مدة ، وجاءوا بعد موته بمال جزيل مع قافلة عُقِيل في سنة ثلاثين ، فذهب ما معهما ، ووصلا مكة وأدركا الحج ، ثم توجه إلى اليمن ، فاتفق أنه مات في أوائل سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة بزبيد من بلاد اليمن ، ودُفِنَ هناك ، ووصل الخبر بذلك إلى مكة في ليلة الأحد تاسع عشر جمادى الأولى من السنة^(٢) .

* * *

- ١٠ — ١٩٩ — إبراهيم بن حسن بن عجلان بن رُمَيْثَة بن أبي نُمَيّ الحسني المكي . سيف الدين .
أمير مكة — كما ذكر الفاسي^(٣) في بعض كتبه بتجريد ولاية مكة ، وكما سيأتي .

(١) هرموز — ويقال هرمز — : مدينة ساحلية على البر الفارسي من الخليج العربي تصدر منها بضائع الهند إلى البلاد الأخرى . (معجم البلدان لياقوت) والمضيق عندها يسمى مضيق هرمز .

(٢) ومقولة العز هذه بنصها وردت في الدر الكمين ، وبعضها في إتحاف الوري ٦٤٢/٣ ، والورقة ٤٣٧ من مخطوطة تيمور .

(٣) والذي في شفاء الغرام ٢١١/٢ ، والعقد الثمين ١٨٢/١ « أن إمرة مكة فوضت للسيد بركات بن حسن في ٢٠ رمضان سنة ٨٢٩ هـ ، واستقر أخوه السيد إبراهيم نائباً عنه في الولاية » .

- ١ ولد بمكة ونشأ بها في كنف والده ، واستجاز له الوالد في سنة ست وثلاثين جماعة من مشايخ الرواية ، منهم : الزبير بن عبد الرحمن الزركشي ، والقاضيان بدر الدين بن الأمانة ، وعز الدين ابن أبي التائب . وتقي الدين المقريري ، وشهاب الدين الرشدي ، وأخوه جمال الدين ، وشهاب الدين بن الرسام ، وعز الدين بن بردس ، والقاضي شمس الدين محمد بن علي الصفدي ، وعائشة ابنة الشرائحي ، وجميع مَنْ أجازَ أخاه عليا الآتي (١) .

ولما كبر وترعرع ، ورأى والدُه فيه النجابة بعثه في سنة إحدى وعشرين إلى صاحب اليمن يستعطفه على والده ، فعطف عليه كثيرا بعد أشهر كثيرة ، وجَهَّزَه إلى مكة بعد أن أمر له بصلة متوسطة (٢) .

ورام أبوه السيد حسن أن يُشْرِكَه مع أخيه بركات في إمرة مكة ، وسأل السلطان في ذلك فلم يجبه ، ومضى مع والده إلى اليمن ، ثم جاء وحده لمكة ومعه الأشراف ، وألزموا المؤذن بالدعاء / له ١٨٨ و على زمزم ، وإذا طاف ، ففعل ، وخطب له الخطيب مع أبيه وأخيه ١٥ بركات في سنة ثلاث وعشرين ، واستمر ذلك إلى أثناء سنة ست وعشرين ، فقطع ذلك لِتَغْيُرِ خاطر أبيه عليه ؛ لكونه آوى الأشراف ذوى راجح بن أبي نمي ، فإنه كان أمره بإبعادهم فلم يفعل ، ثم

(١) وانظر ترجمة عَلِيٍّ برقم ٢٠٢ .

(٢) إتخاف الوری ٥٥٨/٣ .

جاء بهم معه في رجب إلى وادي مَرّ ، وكان أبوه بالشرق ، فقصده
فلم ير منه وجهاً^(١) .

ولما مات أبوه بالقاهرة في سنة تسع وعشرين طلبه هو وأخاه
السيد بركات السلطان ، فتوجّها إليه ؛ فخلع عليهما ، وولى السيد
بركات ، وحلّف هذا على طاعة أخيه ، وخلع عليهما ثانياً للسفر ،
وعادا إلى مكة ، ثم تنافرا ؛ فطلب السيد بركات عسكرا من
السلطان للنصرة عليه ، وعلى أخيه أبي القاسم ، في سنة إحدى
وثلاثين ، فأرسل له عسكرا ، فلما وصل العسكر لم يدخل مكة
هو ولا أخوه أبو القاسم . ثم التأم مع أخيه بركات ودخل مكة . ثم
توجه بعد سفر الحاج إلى ينبع ؛ لردّ أخيه أبي القاسم عن الذهاب
إلى مصر ، فردّه . وزارا في أول سنة اثنتين وثلاثين النبي ﷺ ، ثم
عادا إلى ينبع ، فدخل عليهما ذوو مقبل بن مخبار ، وبنو إبراهيم
وبذلوا لهما مالا على أن يوصلوهم لبلادهم السّويق ، ويمكنوهم منها ؛
ففعلوا . وأرسلا قاصدا إلى صاحب مصر يشكيان أخاهما السيد
بركات ، ويعرفانه ضرورتهما ، وعادا إلى مكة ، وألّف عليهما الشرفاء
ذوو أبي نمي ، وحالفوهما ، وساروا معهما قاصدين مكة ، حتى
بلغوا عُسْفان ، فسمع بوصولهما السيد بركات — وكان صوب
اليمن — فتوجّه إلى وادي مَرّ في جماعة من ذوى عمر وذوى حسن ،
وأرسل للأمير أربُعًا أن يسير معه ، فخرج . وبعد خروجهما دخل
السيد أبو القاسم مكة . وخرج منها في الحال إلى منى ثم إلى اليمن .

(١) إتحاف الوري ٥٧٨/٣ — ٥٨٠ ، ٥٩٣ .

١ وتوجّه السيد بركات والأمير إلى السيد إبراهيم ، فلما سمع بهما توجه
إلى ساية ، ثم إلى المضيق . فعاد الشريف بركات لمكة ، ثم إلى
البرود . ودخل بينهما بالصلح على أن يُعمَل للسيد إبراهيم ما
يكفيه ، واجتمعا وأراد السيد بركات أن يكون الصلح بمكة على يد
الأمير ، فخاف السيد إبراهيم أن يقع في القبضة فما أجاب ،
فانفصلا على غير شيء . ثم توجه السيد إبراهيم إلى اليمن ، فالتأم هو
وأخوه السيد أبو القاسم . ثم عاد السيد بركات لمكة ثم لجدة ،
واصطلح مع أخيه إبراهيم ، وقرّر له رسوما تقوم بأوده . ثم تجاوز هو
وأبو القاسم أيضا^(١) .

١٠ ولما توجه السيد بركات للزيارة سنة اثنتين وأربعين وقع منه^(٢)
بعض تعسف ، فلما وصل السيد بركات قصده ومعه أخواه^(٣) على
وأبو القاسم ؛ ففرّ إلى اليمن ، ثم وقع الصلح بينهما بعد سفر
الحاج^(٤) .

ثم توجه إلى القاهرة في ذى القعدة سنة ثلاث وأربعين ، وعاد
إلى مكة في رمضان سنة أربع وأربعين صحبة الرجّية ، وكان مع أخيه
عليّ لما ولي مكة ، وتلبّس الخلعة الثانية ، ومُسِكٌ معه في شوال سنة
ست وأربعين بمكة ، بعد أن ألبس خلعين ، ثم حَمِلًا إلى جدة في

(١) إتخاف الورى الورقات ٣٩٦ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ — ٤٠٤ ، والدر الكمين .

(٢) أي من السيد إبراهيم .

(٣) في الأصل « أخوه » .

(٤) إتخاف الورى ورقة ٤٣١ ، ٤٣٢ ، والدر الكمين .

- ١٨٨ ظ الحديد ، ثم إلى القاهرة بحرا كذلك ، فلما وصلها حُبِسَا في البُرْج
من القلعة ، ثم نُقِلَا منه إلى الإسكندرية في سنة تسع / وأربعين ،
ثم نقل هو إلى دمياط ، فمات بها في رابع ذى الحجة سنة خمس
وخمسين وثمانمائة . ورأيت منسوباً له قوله :

بى سِقَامٍ مِنْ جُفُونٍ قَدْ جَفَوْنِي لَسْتُ أَبْرَا
بِلِحَاطٍ فَاتَكَاتٍ مِنْ سَيُوفِ الْهِنْدِ أَبْرَى
تَرَكْتَنِي مُضْمَجَلًّا سَايِلَ الْعَبْرَاتِ عَبْرَا
وَلِسَانُ الْحَالِ يَغْدُو (١) بَعْدَ سِرِّ الْقَوْلِ جَهْرَا
يَاقَتِيلَ الْحُبِّ صَبْرًا إِنَّ بَعْدَ الْعُسْرِ يُسْرَا (٢)

* * *

- ٢٠٠ — رُمَيْثَةُ بن محمد بن عَجَلان بن رُمَيْثَةَ بن أبى ثُمَيٍّ
الحسنى المكي .

أمير مكة المشرفة .

- ولد بمكة ونشأ بها ، وكان في طوع عَمَّهُ السَّيِّد حسن ، ثم
نَفَرَ عنه في سنة خمس عشرة ؛ لأن أخاه أحمد بن محمد ضرب
مَسْعُودًا الصُّبْحِيَّ نَائِبَ عمه بَجْدَةٍ ، لكثرة مَطْلِهِ له في بقيَّة حوالة
١٥

(١) كذا في الأصل والدر الكمين ، ولعلها « يشدو » .

(٢) الدر الكمين .

- ١ عليه ، فغضب لذلك عمه وأمر بإخراجه من البلد ، فغضب لأحمد أخوه رُمَيْثَةُ ، وأظهر التَّجَهُّزَ للخروج ، فما تَرَضَّاهُ عُمُهُ ، فمضى على جهازه حتى كَمَلَ ، وخرج هو وأخوته صوبَ القُودِ العمرة ، فمكثوا عندهم أَيَّامًا ، وتكلموا مع عمهم في تطيب خواطرهم .
- ٥ فَأَعْرَضَ ؛ فمضوا إلى ينبع ، ثم إلى مصر ، فما وجدوا بها كَيِّسَ وَجْهِه ، وَحَسَنَ لَهُمُ الْقَاضِي نور الدين بن الجلال الرجوعَ إلى عمهم فإنه يُرْضِيهِمْ . فمالوا إلى ذلك ، وتوجهوا مع الحاج حتى بلغوا ينبع . ولما سمع عُمُهُمُ بوصولهم منع من دخولهم مكة ، فأقاموا بينبع إلى أثناء السنة الآتية^(١) .

- ١٠ قال الوالد^(١) : وفي ليلة سادس جمادى الأولى سنة ست عشرة وثمانمائة وصل إلى حَدًّا من وادى مَرَّ على غفلةٍ من أهلها ؛ لأنَّ عمه رَغَبَ في إخراجه من ينبع ، وما وجد مذهبا غير هذا . ولما بلغ عمه خبره أمر بالمبادرة بإبعاده ، وصمَّم على ذلك ، وركب إلى جهته ؛ فما وسع الذين نزل عليهم إلا إبعاده . فمضى إلى ينبع ، وَالتَّحَقَّ به فيها بعضُ القوادِ العمرة ، فعادوا به إلى منزلهم بالعُدَّ .
- ١٥ وَأُخْبِرَ السَّيِّدُ حسن بوصله فتوجَّه للعد بعسكره . وكان السَّيِّدُ رُمَيْثَةُ قد توجَّه منه مع بعض القواد ، والشريفين مَيْلَبَ ، وشفيع ابني علي بن مبارك ، وما شعر الناسُ به إلا وقد هَجَمَ مكة من دَرَبِ الْيَمَنِ . في ضُحَى يوم الخميس رابع عِشْرَى جمادى الآخرة سنة

(١) إتحاف الوري ٤٩٣/٣ ، ٤٩٤ .

(٢) إتحاف الوري ٥٠٤/٣ ، ٥٠٦ .

- ست عشرة [والذي جرّاه على هَجْم مكة القائد محمد بن عبدالله ^١ ابن عمر بن عبدالله بن مسعود العمري] ^(١) وما قدر الذين بمكة من جماعة السيد حسن على دفعهم ، وانضم إليه ^(٢) منهم جماعة ، وما أحدث في مكة سوءا ولا من معه ، ثم خرجوا منها لتخوفهم من قصد السيد حسن لهم ^(٣) . وكان من خبر السيد حسن أنه أُخْبِرَ بقصدهم لمكة فَشَقَّ ذلك عليه ؛ لتخيُّله أنهم ينهبونها ويتقوَّون بذلك ، ويتحصنون فيها ، فلما انتهى إلى الزاهر أتاه بعض أصحابه من مكة ، فأخبره بخروجهم منها ، وعدم إفسادهم [فيها] ^(٤) ، وقصدهم إلى الأبطح . فنزل على / الأبطح من ثنية المقبرة ، ورأى ١٨٩ سوابق عسكره رُمِيَّةً وَمَنْ معه [خارجين من مكة] ^(٤) .
- فَاتَّبَعُوهُمْ ، وتلاهم الباقون . ثم إن السيد حسن سئل في الرجوع عنهم رحمة لهم ، فرحمهم وعاد إلى مكة . ثم بلغه أنهم مقيمون بنخلة ، فتوجّه إليهم حتى انتهى إلى نخلة ، ففارقوها ، وقصدوا الطائف ؛ فبعث السيد حسن بعضَ خَوَاصِهِ إلى أهل الطائف

(١) سقط في الأصل ، والمثبت عن إتحاف الوري ٥٠٤/٣ . وانظر ترجمة القائد محمد بن عبدالله بن عمر العمري في العقد الثمين ٧٣/٢ برقم ٢٢٥ ، والضوء اللامع ١٠٠/٨ برقم ٢٠٩ .

(٢) وفي إتحاف الوري ٥٠٤/٣ « وانضم إلى السيد رميثة من غلمان السيد حسن الذين بمكة جماعة » .

(٣) أضاف إتحاف الوري ٥٠٤/٣ ، ٥٠٥ « فيستأصلهم لكثرة من معه وقتلهم . وكان مدة مكثهم بمكة ساعة فلكية أو أزيد ، ولما توجه رميثة لمكة لم يكن معهم به علم » .

(٤) إضافة عن المرجع السابق .

- بالإعراض عن المذكورين ؛ فأعرض عنهم ناسٌ ، وأكرمهم ناسٌ بما
ليس فيه كبير جدوى ، فقصدوا نعمان فتوصلوا منه إلى اليمن .
فسلكوا طريق النَّقْبِ حتى بلغوه ، وانهوا إلى عَرَبٍ باليمن ،
فحاربوهم وكسبوا منهم ما تجمل به حالهم ، وبَدَا مِنْ رُمَيْثَةَ فِي هَذَا
اليوم ما يدل على كثرة شجاعته ، وأقاموا باليمن مدة ، ثم عادوا
فقصدوا جُدَّةَ ، وخفى مَسِيرُهُمْ إِلَيْهَا عَلَى السَّيِّدِ حَسَن . ولما وصلوا
جُدَّةَ نهبوها وأخربوا^(١) بَيْتَ الصُّبْحِيِّ ؛ وذلك فِي الْعَشْرِ الْأَوْسَطِ مِنْ
رمضان سنة ست عشرة . وبلغ خبرهم السيد حسنا فبادر إليهم ،
ولقوه بقرب جدة متأهبين للقاءه ، فمنعه مِنْ مُحَارَبَتِهِمُ الْقَوَادُ . ولم
يمكنه المخالفة ، وطَيَّبُوا نَفْسَهُ بِإِخْرَاجِ رُمَيْثَةَ وَمِنْ مَعَهُ مِنْ جَدَّةَ .
وَمَكَّنُوهُ مِنْهَا ، ثُمَّ قَطَعُوا بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ حَسَبًا ، وسعوا فِي الصُّلْحِ بَيْنَ
الْفَرِيقَيْنِ ، فلم يتفق ذلك ؛ لِأَنَّ السَّيِّدَ حَسَنًا لَمْ يُوَافِقْ عَلَى دُخُولِ
مَنْ أَلْتَفَّ عَلَى رُمَيْثَةَ مِنَ الْعَبِيدِ وَالْمَوْلَدِينَ فِي الصُّلْحِ ، وَأَبَى رُمَيْثَةُ إِلَّا
دُخُولَهُمْ . وَعَرَفَ كُلٌّ مِنَ السَّيِّدِينَ حَسَنَ وَرُمَيْثَةَ أَنَّ الْقَوَادَ
لَا تُمْكِنُ أَحَدًا مِنْهُمَا مِنَ الْآخَرِ ؛ فَتَسَالَمُوا مِنَ الْقِتَالِ حَتَّى انْقَضَى
الحج من هذه السنة .

وبعد الحج توجه السيد حسن إلى العد بعسكره ومعه مُقْبِلُ
بن مِخْبَارٍ وجماعة من أصحابه ، وكانوا قدموا فِي هَذِهِ السَّنَةِ لِلْحَجِّ
ولنصرة حسن ، وعرف رُمَيْثَةُ وَأَصْحَابُهُ أَنَّهُ لَا قُدْرَةَ لَهُمْ عَلَى

(١) كذا فِي الْأَصْلِ ، وَالْعَقْدُ الثَّمِين ١١٦/٤ . وَفِي إِتْحَافِ الْبُورِي ٥٠٦/٣

« وَأَحْرَقُو » .

المذكورين ، وأن من يتخيَّلُونَ مِنْهُ النصرَ من ذوى عمر الملائمين ١
لحسن لا يمكنهم النصر في هذا الوقت ؛ فقصِد رُمِيَّةُ والأقوياءُ من
أصحابه إلى جهة اليمن بالبَرِّ ، وركب الضعفاء منهم البحر ،
واجتمعوا بِحَلِي .

ولما قدم القاضي أمين الدين مُفْلِحٌ مِنْ مَكَّةَ في سنة سبع
عشرة إلى اليمن — وهو غير راض على السيد حسن — اجتمع هو
وَرُمِيَّةُ بِحَلِي فأكرم مُفْلِحُ السيد رُمِيَّةُ ، وأزال كثيرا من ضرُّورَاتِهِ ،
وأمره بالتوجُّهِ إلى مولاه ، وكتب هو إلى مولاه الناصر^(١) بخبره ،
وسأله في كرامته ، فسَرَّ الناصرُ بِقَدُومِ رُمِيَّةُ ، وأمر بِتَلَقِّيهِ وإكرامه
حتى انتهى إليه ؛ فرأى من السلطان ما سَرَّه . وكان قد تجدَّدَ في ١٠
نفس السلطان حَقَّقَ على السيد حسن وشُكِّرَ ؛ لكونه لم يصله
العشرة الآلاف المثقال المقررة [له]^(٢) في كل سنة عن مال ابن
جميع ، ولا قِيَمَةَ ما بعث به من الطعام إلى مكة مع شُكْر . وكان ما
قَرَّرَهُ لِرُمِيَّةُ مُدَّ طعام في كل يوم — وهو أربع غرائر مَكِّيَّة —
وخمسين دينارا جَدِداً غير المقرر له^(٣) من التمر في أيام النخل — وهو ١٥
قل أن ينفصل عن السلطان وقت الأكل — وطلع مع السلطان إلى
تَعِز ، ونزل معه إلى رَيِّيد ، وتوجَّه منها إلى مكة بعد أن أحسن له /

(١) هو الملك الناصر أحمد بن الملك الأشرف إسماعيل بن الأفضل عباس
الرسولي ، تولى ملك اليمن بعد وفاة أبيه في سنة ٨٠٣ هـ . (غاية الأمانى ٥٥٨/٢) .

(٢) إضافة عن إتحاف الورى ٥١٤/٣ .

(٣) في الأصل « لهم » ، والمثبت عن المرجع السابق .

- ١٨٩ ظ السلطان بذهَبٍ جيِّدٍ ، وإبلٍ وطعام وكسوة ؛ فوصل في رمضان سنة سبع عشرة إلى وادى الآبار ، ونزل به على ذوى حُمِيضَةٍ . وما سَهَلَ ذلك بعمه ، وهَمَّ بمحاربتهم . ثم سَعَى الناسُ في الصلح بينهم على مائتي ألف درهم يسلمها حسن لرُمِيثَةٍ ، ويكون لحسن جباء الجلاب الواصلة في هذه السنة ، وأن يكون الفريقان سِلْمًا إلى انقضاء العشر الأول من المحرم سنة ثمان عشرة وثمانمائة ؛ فرضيا بذلك ، وضمينَ عَلَى ذلك منهما جماعةٌ من أصحابهما ، فما حصل في ذلك خلل منهما .

- وفي أواخر المحرم — أو أوائل صفر — من سنة ثمان عشرة وَرَدَ إلى جدة القاضي مُفْلِحٌ بما في صحبته من المراكب والطَّرَارِيدِ . وَأَلْوَقَاتِ وَالْجِلَابِ ، فاستَقَوْا مِنْ جُدَّةَ بمعاونة السيد رُمِيثَةٍ ، وأخذَ منهم الزَّالَةَ ، ومضوا إلى ينبع ، وما قَدَّرَ عُمُّهُ على منعه ، ثم عاد رُمِيثَةُ — بعد سفر الجلاب من جُدَّةَ — إلى الجَدِيدِ ، وأقامَ به إلى شعبان من هذه السنة (١) .

- ١٥ ثم وَلَّى نِيَابَةَ السُّلْطَنَةِ بالحجازِ عن عُمِّهِ ، وإمْرَةٍ مكة عَوْضَ ابني عمه ، في أوائل صفر من هذه السنة ، ووصل إليه الخبرُ بذلك في سادس عشر ربيع الأول ، فَرَحَلَ السيد رُمِيثَةُ وأصحابه من الوادى ، ونزلوا بِجُدَّةَ . ثم لما عادَ السيد حسن من الشرق — المرة الثانية — في هذه السنة تَوَجَّهَ إلى جُدَّةَ فأزال منها رُمِيثَةَ وأصحابه .

واندفع رُمَيْثَةُ إلى جِهَةِ الشَّامِ^(١) .

ووصل الحَاجُّ بِإِثْرِ ذَلِكَ ؛ فَلَايَمَ رُمَيْثَةُ الْحِجَاجَ ، وَوَصَلَ
مَعَهُمْ لِمَكَّةَ ؛ لِتَقْرِيرِ السُّلْطَانِ الْمُؤَيَّدِ لَهُ عَلَى وِلَايَتِهِ — وَهُوَ بِحَلَبَ —
فَدَخَلُوا مَكَّةَ فِي هَلَالِ الْحِجَّةِ ، وَخُطِبَ لَهُ ، وَدُعِيَ لَهُ عَلَى زَمَرٍ ،
وَضُرِبَتْ السَّكَّةُ بِاسْمِهِ^(٢) .

وَاسْتَمَرَّ مُتَوَلِيًا إِلَى أَنْ عَزَلَ عَنْهَا ، فَفَارَقَهَا فِي لَيْلَةِ السَّادِسِ
وَالْعَشْرِينَ مِنْ شَوَّالٍ سَنَةِ تِسْعِ عَشْرَةِ ، بَعْدَ أَنْ حَصَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَمِّهِ
السَّيِّدِ حَسَنِ قِتَالٍ فِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ خَامِسِ عَشْرِ شَوَّالٍ — كَمَا هُوَ
مَذْكُورٌ فِي تَرْجُمَةِ عَمِّهِ — وَمَضَى السَّيِّدُ رُمَيْثَةُ إِلَى الْيَمَنِ .^(٣)

ثُمَّ إِنْ عَمَّهُ بَعَثَ إِلَى بَعْضِ خَوَاصِّ ابْنِ أَخِيهِ يَسْتَمِيلُهُ
بِالدَّخُولِ فِي طَاعَتِهِ ، فَمَالَ إِلَى ذَلِكَ ابْنُ أَخِيهِ ، وَقَدِمَ رُمَيْثَةُ إِلَى
مَكَّةَ بِإِخْوَتِهِ وَزَوْجَتِهِ — وَهِيَ أَكْثَمُ مَنْ حَمَلَهُ عَلَى مُلَايَمَةِ عَمِّهِ —
فَلَمَّا بَلَغَ السَّيِّدُ حَسَنًا — وَكَانَ قَدْ تَوَجَّهَ مِنْ مَكَّةَ لِقَصْدِ الشَّرْقِ —
إِقْبَالَ ابْنِ أَخِيهِ إِلَيْهِ أَمَرَ خَوَاصَّ غِلْمَانِهِ بِتَلْقِيهِ وَكَرَامَتِهِ ، فَخَرَجُوا
لِلْقَائِهِ مُوَكَّبِينَ لَهُ ، وَدَخَلَ مَعَهُمْ مَكَّةَ فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ تَاسِعِ عَشْرِ
صَفَرِ سَنَةِ عَشْرِينَ وَثَمَانِيَةِ ؛ فَأَنْزَلُوهُ بِمَا كَانُوا^(٤) أَعَدُّوهُ لَهُ ، وَكَسَّوْهُ
وَضَيَّفُوهُ وَخَدَّمُوهُ ، وَاسْتَحْلَفُوهُ عَلَى إِخْلَاصِ الْوُدِّ لِعَمِّهِ ، وَحَلْفُوا لَهُ .

(١) إتحاف الوري ٥٢٥/٣ ، ٥٢٦ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) إتحاف الوري ٥٣٠/٣ — ٥٣٤ .

(٤) كذا في الأصل ، وفي إتحاف الوري ٥٤٢/٣ « بمكان أعدوه له » .

وكان هذا الحَلِفُ في يوم الجمعة العشرين من صفر المذكور ، في جَوْف الكعبة .

ومضى السيد رُمَيْثَةُ بعد ذلك بأيام قلائل هو وإخوته لعمهم ؛ فأكرم ملاقاتهم وأحسن إليهم ، وبالغ في الإحسان إلى رُمَيْثَةَ ، وأظهر للناسِ الاغترابَ به كثيرا ، وما سهل ذلك بأكثر بنى حسن لِتَحْيُلِهِمْ أَنْ حَالَهُمْ لَا يَرُوجُ كثيرا إلا في زمن الفتنة^(١) ، وَأَقَامَ مُطِيعًا مع عَمِّهِ مُدَّةً إلى أثناء سنة أربع وعشرين ، فَبَانَ عن طاعة عمه مع نفرٍ كثيرٍ من القَوَادِ والأشراف ، واستولوا / على ١٩٠ جُدَّةً ، وانتشروا في الطرقات فَتَجَلَّ أكثر الواصلين من اليمن في غير جدة ، وَوَصَلُوا لمكة متحفزين^(٢) .

وما زال السيد حسن يسعى حتى بَانَ عن السيد رُمَيْثَةَ أَكْثَرَ من معه ، فدخل في طاعة عمه ، وتوسل إليه بابنه السيد بركات فأكرمه . وذلك في أوائل سنة خمس وعشرين [وثمانمائة]^(١) .

ثم نَفَرَ عن طاعة عمه مع أَخَوَيْهِ ، وَبَنَى عَمَّهُ أولادِ عَلِيِّ بْنِ مُبَارَكٍ ، وذوى ثَقَبَةٍ ولايمُوا القوادِ العمرة ، واستولوا على جُدَّةً في آخر جُمَادَى الأولى . وما زال السيد حسن يسعى حتى بَانَ عن السيد رُمَيْثَةَ أَكْثَرَ مَنْ كَانَ معه ، وقصد السيد حسن رُمَيْثَةَ وَمَنْ

(١) المرجع السابق .

(٢) كذا في الأصل ، والعقد الثمين ١٤٣/٤ ، وفي إتحاف الورى ٥٧٨/٣

« متخوفين » .

(٣) إضافة عن العقد الثمين ١٤٣/٤ ، وإتحاف الورى ٥٨٦/٣ .

١ معه لِصَوَّبِ جُدَّة ؛ فهربوا إلى مَرِّ الظهران ، ودخل في طاعته ممن مع رُمَيْثَةُ مَيْلَبُ بن علي بن مُبَارَك ، وغيره ، واستولى الشريفُ حسن على جُدَّة ، ومضى رُمَيْثَةُ وَمَنْ معه من الأشراف آل أبي ثُمَيٍّ ، والمولدين من أولاد عبيد جَدِّهِ عَجَلان إلى يَنْبُع ، وأعانوا صاحبها مُقْبِلًا في حُرُوب بني أخيه وَيَّير بن مَحْبَار (١) .

وأرسل السيد حسن لأولاد وَيَّير بِحَيْلٍ وَسِلَاحٍ وَرِجَالٍ ، وَعَزَمَ على الْمَسِيرِ إلى يَنْبُعَ لِنَصْرَتِهِمْ ، فَأَتَاهُ لِلْفُورِ مُقْبِلٌ خَاضِعًا ، فَأَكْرَمَهُ وَأَعْرَضَ عن توجَّهه لِيَنْبُع . وسأله مُقْبِلٌ في الْمَسِيرِ معه لِيَنْبُع ، فاعتذر له بوصول كتاب صاحب مصر إليه بأن يسعى في تحصيل مُقْبِل . وشرط على مُقْبِل أن يبين عنه رُمَيْثَةُ وَمَنْ معه . ١٠

ولما عرف رُمَيْثَةُ بذلك قصد أمير المدينة عجلان بن نُعَيْر ابن منصور بن شَيْخَةِ الْحُسَيْنِي في أن يشفع له إلى عمه في الرضاء عنه ، ويلزم طاعة عمه ، فَأَتَى عَجَلانَ لِلشَّرِيفِ حَسَنَ مُتَشَفِّعًا فَأَجَابَهُ لِقَصْدِهِ ، وحضر إليه ابن أخيه رميثة في ربيع الأول سنة ست وعشرين ، فأكرمه وأمره بمباينة من كان معه من جماعة عجلان ، فرجعوا لِيَنْبُع (٢) . انتهى كلام الوالد . ١٥

قلت (٣) : وفي سنة ست وعشرين ، لما لم يقابل السيد حسن أمراء الحاج ، بعثوا إلى صاحب الترجمة يدعونه سِرًّا وَأَطْمَعُوهُ بِوَلَايَةِ

(١) وانظر المرجعين السابقين .

(٢) إتحاف الوري ٥٩٢/٣ ، وانظر العقد الثمين ١٤٤/٤ ، ١٤٥ .

(٣) أي مؤلفنا العز بن فهد .

١ مكة ، فلم يستطع الوصول إليهم ؛ لأنه كان مُقيماً عند عمه (١) .
وفي سنة سبع وعشرين قدم السيد رُمَيْثَةُ من اليمن فَقَبَضَ
عليه الأمير قَرْقَمَاس ، واحتفظ به إلى وصول الحاج ؛ فجَهَّزَهُ مع
أمير الحاج قَرَا سُنُقَر كاشف الجيزة مُقيِّداً في الحديد . فوصل إلى
القاهرة ؛ فَأُرْسِلَ إلى الإسكندرية هو والشريف مُقْبِل بن مِخْبَار في
رابع رجب من السنة بعد هذه (٢) .

ثم أفرج عن السيد رُمَيْثَةُ من السجن بالإسكندرية ، وحضر
إلى القاهرة في تاسع عشر المحرم سنة تسع وعشرين (٣) ، ثم وصل
إلى مكة واستمر ملايماً لابن عمه السيد بركات ، إلى أن أرسله في
ثامن عَشْرِي جمادى الآخرة سنة سبع وثلاثين مُقَدِّمَ جيشٍ إلى بلاد
الشرق ، فغاروا على شهران (٤) وعرب كثيرة ، فانكسر جماعتهُ وقُتِلَ
هو وجماعةٌ من القواد والعييد في يوم الأربعاء سادس رجب سنة سبع
وثلاثين وثمانمائة ببلاد الشرق ، ودفن فيه (٥) .

٢٠١ — على بن عَنَان بن مُعَامِس بن رُمَيْثَةُ بن أَبِي ثُمَيٍّ ١٥

(١) وانظر ذلك في العقد الثمين ١٤٦/٤ ، ١٤٧ ، وإتحاف الوري ٥٩٤/٣ ،

٥٩٥ .

(٢) إتحاف الوري ٦٠٦/٣ ، وانظر السلوك للمقريزي ٢/٤ : ٦٧٨ ، ٦٨٧ .

(٣) إتحاف الوري ٦٢٧/٣ .

(٤) شهران : قبيلة كبيرة من قبائل الحجاز . (معجم قبائل العرب) .

(٥) إتحاف الوري ورقة ٤١٦ ، والضوء اللامع ٢٣٠/٣ برقم ٨٦٨ .

- محمد بن أبى سعد حسن بن على بن قتادة الحسني المكي ، علاء الدين أبو الحسن .
أمير مكة المشرفة .

١٩٠ ظ ولد بها ونشأ بها ، وقدم القاهرة / ودخل منها بلاد الغرب فأكرمه ملكها أبو فارس^(١) وأنعم عليه بألف دينار وعاد لمكة ، وسمع بها على ابن الجزرى فى سنة ثمان وعشرين مَجْلِسَ الحُتَمِ من السنن لأبى داود . أوله باب ماجاء فى البناء .

وفى سنة ست وعشرين لما لم يقابل السيد حسن بن عجلان أمراء الحج تَخَوُّفاً على نفسه ، ولأقاهم ولَّده السيد بركات ، تحدَّث الناسُ أن الأمير قَرَقَمَاس أحدَ الأمراء الواصلين لمكة يُقِيمُ بها مع صاحب الترجمة ، وبلغ ذلك حسنا فكثرت تَضَرُّرُهُ . ثم إن قَرَقَمَاس سافر ، وأقام بالينبع ، وتوجَّه السيد على إلى القاهرة ؛ فولَّاه السلطانُ إمرةً مكة فى الحرم من سنة سبع وعشرين — وجَهَّزَ معه عسكرياً من الترك عِدَّتُهُمْ مائة وأربعة عشر فارساً . وخيَّلهم كذلك ، وأميرهم طُوخ ، وساروا فى ثامن عشر ربيع الأول ، وجاء الخبر إلى ١٥

(١) هو أبو فارس عبد العزيز بن أحمد بن محمد بن أبى بكر بن يحيى بن إبراهيم بن وندوين ، السلطان أبو فارس الهنتانى المصمودى الحفصى ، سلطان تونس وعامة إفريقيا ، ملكها بعد موت والده فى شعبان سنة ٧٩٧ هـ باتفاق إخوته . وتوفى بنواحي تلمسان فى ذى الحجة ٨٣٧ هـ (الدليل الشافى ٨٣٢/٢ برقم ٢٧٩٩ ، والنجوم الزاهرة ١٩٢/١٥ ، والضوء اللامع ٢١٤/٤ برقم ٥٤٧) .

١. الينبع إلى الأمير قَرْقَمَاس في ثامن عَشْرَى ربيع الأول بأنه رُسِمَ بتجهيز العسكر لمكة ، وبأمر أهل ينبع والصَّفراء والمدينة بالمسير مع العسكر إلى مكة ، ووصل الخبر بذلك كله إلى مكة في يوم الجمعة نصف ربيع الآخر ^(١) .
٥. وفي يوم الخميس ساس جمادى الأولى دخل إلى مكة كثير من العسكر المصريين ، وفي ضحوة يوم الخميس دخل السيد على بن عَنان بمن انضم إليه من الأشراف ، والقواد العمرة ، والحميضات ، والمولدين المنسوبين لعجلان وابنه ، وهُم في تَجْمِيلٍ عظيم ، ومعه الأميران قَرْقَمَاس وطُوخ ، وانتهوا إلى المسجد الحرام ، وعليه خلعة الإمرة ؛ فطاف بالبيت أسبوعا ، والمؤذن يدعو له على زمزم . وبعد فراغه قرىء مَرْسُومُهُ يَظَلُّ زمزم بولايته لإمرة مكة ، عوض السيد حسن بن عجلان ، وهو مؤرخ بنصف ربيع الأول ، ودُعِيَ له في الخطبة [يوم الجمعة سابع جمادى الأولى] ^(٢) وعلى زمزم ، وأعاد الدعاء لصاحب اليمن الملك الناصر .
١٥. وفي اليوم الرابع عشر من ذى الحجة سنة سبع وعشرين توجَّه السيد على بن عَنان وصحبته الأمير قرقمَاس ، وأحمد الدوادار ، والمماليك السلطانية صوب الشريف حسن بن عجلان ؛ لأنه بلغهم أنه نازل بقُرب مكة ينتظر تَوَجُّهَ الركب ويدخل مكة ؛ لأنه رُوسِلَ في الباطن — ليحصل في القبضَة — أن الولاية له ، وبعد سفر الحاج

(١) إتحاف الوري ٥٩٥/٣ . ٦٠٤ .

(٢) إضافة عن إتحاف الوري ٦٠٥/٣ .

يُؤَلَّى . فَأُذِرَ فَانْهَزَمَ عَلَى الْفُورِ ، فَأَذْرَكَ الْعَسْكَرُ بَعْضَ جَمَاعَتِهِ مِنْ
القَوَادِ الْعِمْرَةِ فَقَتَلُوهُ^(١) وَرَجَعُوا .

وَفِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ غُزِيَ الشَّرِيفُ عَلَى بَنِ عِنَّانٍ عَنْ إِمْرَةٍ
مَكَّةَ ، وَرَسَمَ السُّلْطَانُ مَعَ أَمْرَاءِ الْحَاجِّ بِطَلَبِ حَسَنِ بْنِ عَجْلَانَ إِلَى
الْأَبْوَابِ الشَّرِيفَةِ ، فَاجْتَمَعَ بِهِمْ فِي الْمَوْسَمِ بَعْدَ حَلْفِهِمْ ، وَالْأَبْسِ
التَّشْرِيفَةِ ، وَقُرِّرَ فِي إِمْرَةٍ مَكَّةَ عَلَى عَادَتِهِ . وَتَوَجَّهَ السَّيِّدُ عَلَى بَنِ
عِنَّانٍ صَحْبَةَ الْحَاجِّ إِلَى الْقَاهِرَةِ ، ثُمَّ اعْتَقَلَ بِالْقَاهِرَةِ إِلَى أَنْ مَاتَ .
وَكَانَ حَسَنُ الْحَاضِرَةِ ، يَذَاكِرُ بِالشَّعْرِ وَنَحْوِهِ ، لَيِّنَ الْجَانِبِ . مَاتَ فِي
يَوْمِ الْأَحَدِ ثَلَاثِ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَثَمَانِمِائَةٍ
مَسْجُونًا^(٢) بِقَلْعَةِ الْجَبَلِ فِي طَاعُونَ كَانَ بِالْقَاهِرَةِ .

وَذَكَرَهُ شَيْخُ شَيْوَحْنَا الْعَلَامَةُ الْمُؤَرِّخُ تَقِي الدِّينِ الْمُقْرِيزِي فِي
تَارِيخِهِ « دُرَرُ الْعُقُودِ الْفَرِيدَةِ فِي تَرَاجُمِ الْأَعْيَانِ الْمَفِيدَةِ » وَقَالَ : الْأَمِيرُ
الشَّرِيفُ عَلَاءُ الدِّينِ الْحُسَيْنِي / ، وَلَدَ بِمَكَّةَ وَنَشَأَ بِهَا ، ثُمَّ قَدِمَ الْقَاهِرَةَ
فَوَلَّى إِمْرَةَ مَكَّةَ فِي سَادِسِ عِشْرِي الْحَرَمِ سَنَةِ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَثَمَانِمِائَةٍ ،
عَوِضًا عَنْ الشَّرِيفِ حَسَنِ بْنِ عَجْلَانَ ، وَجَرَّدَ مَعَهُ عِدَّةٌ مِنْ
الْمَمَالِيكِ ، وَسَارَ فِي ثَامِنِ عَشْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْأَمِيرُ
قَرْقَمَاسَ وَأَقَامَ بَيْنَبَعٍ ، فَمَضَوْا جَمِيعًا إِلَى مَكَّةَ ، وَدَخَلُوهَا فِي سَادِسِ

(١) وَفِي إِتْحَافِ الْوَرَى ٦٠٨/٣ « أَنْ الْمَقْتُولَ هُوَ وَلَدُ الْقَائِدِ وَدَى الْعَمْرِي » .

(٢) كَذَا فِي الْأَصْلِ ، وَالضُّوْءُ اللَّامِعُ ٢٧٣/٥ . وَسَيَرِدُ فِي رَوَايَةِ الْمُقْرِيزِيِّ التَّالِيَةِ ،
وَفِي السُّلُوكِ ٢/٤ : ٨٤٢ ، ٨٤٣ « أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَسْجُونًا عِنْدَ مَوْتِهِ بِالطَّاعُونِ » . وَكَذَا
قَالَ ابْنُ تَغْرِي يَرْدِي فِي الدَّلِيلِ الشَّافِي ٤٦٧/١ بِرَقْمِ ١٦١٨ .

١ جمادى الأولى بغير حرب ، وقد نَزَح الشريفُ حسن إلى حَلِي ابن يعقوب من اليمن .

وقد وقع بمكة وباءٌ شديد من نَصَفِ ذِي الحِجَّة ؛ فمات زيادة عن ثلاثة آلاف إنسان^(١) .

- ٥ وأقام بمكة ، وأمورها كلها للأُمير قَرْقَمَاس ، إلى أن قدم الشريف حسن مكة في ثالث ذِي الحِجَّة سنة ثمان وعشرين ، وَخُلِعَ عليه بإمارة مكة ؛ فاعتزلَ على . وكان قد سار إلى تونس من بلاد المغرب ، فأكرمه أبو فارس متملكها ، وأنعم عليه بألف دينار ، وقدم القاهرة وصار يلزم الخِدْمَة السلطانية بالقلعة ويقف ، ولم نعهد قبله شريفاً يَقِفُ بمجلس السلطان ، وما زال على ذلك حتى مات بالطاعون في يوم الأحد ثالث جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة ، غريباً شهيداً وحيداً ، وكان مشهوراً بجميل المحاضرة ، ومعرفة الأدب ولين الجانب^(٢) — رحمه الله . انتهى .

* * *

٢٠٢ — [علي بن حسن بن عجلان]^(٣) بن رُمَيْثَة بن

أبى نُمَيّ الحسني المكي . أخو بركات وأحمد الماضيين ، وأبى القاسم ١٥

(١) إتحاف الوري ٦٠٧/٣ .

(٢) وانظر النجوم الزاهرة ١٥٩/١٥ ، وشذرات الذهب ٢٠٣/٧ .

(٣) بياض في الأصل ، والمثبت هو صدر اسم المترجم له .

الآتي .

أمير مكة المشرفة : نور الدين .

- ولد في سنة سبع وثمانمائة — تقريبا — بمكة ، وسمع بها — وهو متول في سنة ست وأربعين — على الشريف أبي الفتح المراغي بعض مجلس من صحيح مسلم . وأجاز له باستدعاء الوالد في سنة ٥ ست وثلاثين جماعة من المشايخ ، منهم : قضاة القضاة ابن حجر ، والعيني ، والديري ، والبساطي ، وأبو جعفر بن الضياء الحلبي ، ومحب الدين بن نصر الله البغدادي ، وعلاء الدين ابن خطيب الناصرية ، وشهاب الدين بن العديم ، وشهاب الدين ابن ناظر الصاحبة ، وزين الدين عبدالرحمن الطحان ، وشهاب الدين ١٠ الواسطي ، وشمس الدين التدمري ، وزين الدين القباني ، والحافظان برهان الدين الحلبي ، وشمس الدين بن ناصر الدين ، وعز الدين بن الفرات ، وسارة بنت ابن جماعة ، وناصر الدين الفاقوسي ، وتاج الدين الشرايشي ، والشهاب بن رسلان ، وجمال الدين الكازروني ، ومحب الدين المطري ، وشهاب الدين المحلي . ١٥

خَرَجَ له الجَدُّ الشَّيْخُ تَقِيَّ الدين بن فهد الهاشمي المكي — رحمة الله عليهما أمين — عن كثير منهم أربعين حديثا يتلوها أربعون حكاية ، وأربعون شعرا ، من مروياته . سَمَّاها « الدرر العوالي والجواهر الغوالي » واشتغل بالصرف والنحو ونظم الشعر ، وقرئ عنده البخاري مرارا .

توجّه هو وأخوه أحمد إلى العراق في حياة والدهما ، وجلسا به

مدة ، وجاءوا بعد موته في سنة ثلاثين وثمانمائة مع قفل عظيم ، فنهبا ١ مع القفل ، وكان معهما مال له صورة (١) ، فوصلا مكة وأدركا الحج .

وفي سنة تسع وثلاثين أرسله أخوه السيد بركات مقدما على جيش أرسله لحرب حرب (٢) ، ومعه الأمير الباش أرْبُغَا ، وتسمى / . هذه الوقعة وقعة الثَّيَّة : ثَيَّة عُسْفَان . فَأُنْذِرَ بِهِم الْعَرَبُ ؛ فَتَنَحَوْا ١٩١ ظ عنهم ، وتركوا إبلهم مع خمسة رجال وامرأة ، فقتلوا الرجال والمرأة — وكانت حاملا — وقتلوا ما في بطنها أيضا ، واستاقوا الإبل . فلما كانوا في نصف الثَّيَّة اكتنفهم العرب من الجبلين ورموهم بالحراب والحجارة ، وهرب الأمير ومن معه ، وقُتِلَ منهم جماعة كثيرة يزدون ١٠ على أربعين ، وجرح كثير أيضا . وغنم العرب منهم خيلا ودروعا كثيرة وغيرها من السلاح وغيره (٣)

وفي سنة إحدى وأربعين قَتَلَ (٤) بجدة خمسة من كبار

(١) مال له صورة : عبارة تعنى في مصطلح ذلك العصر المال الكثير الذي يمكن تقدير مبلغه . (المحقق) .

(٢) حرب : يقول الأستاذ عمر رضا كحالة : أكثرها من العدنانية ، وهي غير منحدره من سلالة واحدة ؛ يدخل فيها كثير من العناصر المختلفة في النسب ، تقع أماكنها في نجد والحجاز . (معجم قبائل العرب) .

ويقول الأستاذ عاتق البلادي : هي حرب بن سعيد بن سعد بن خولان ، وخولان ينتهى نسبه إلى كهلان ثم إلى قحطان ، كانت تقيم باليمن ، ثم جلت عنه إلى الحجاز ونزلت وسطه وفرضت وجودها . (نسب حرب) .

(٣) إتحاف الوري ورقة ٤١٩ ، ٤٢٠ .

(٤) أي الأمير علي بن حسن بن عجلان .

حرب ، وتوجّه — خوفاً من أخيه السيد بركات — إلى القواد العمرة ١
بالعدّ فحملوا معه بعض خيل من أولادهم إلى أن توجّه إلى نحو بني
شعبة ببلاد اليمن . فركب السيد بركات على إثره لما علم بالقضية ،
ودخل السيد بركات في بني شعبة . فقبل^(١) وصوله أخرجوا عنهم
السيد على بن حسن . فتوجه شارداً إلى جهة اليمن بعد تعب كثير ، ٥
وأقام بالواديين إلى بعد سفر الحجاج ثم اصططح هو وأخوه السيد
بركات .

ولما زار أخوه السيد بركات — في أحد الربيعين سنة اثنتين
وأربعين — [جدّه النبي صلى الله عليه وسلم]^(٢) جعله نائباً عنه
بجدة ، وجعل معه الأشراف وبعض قواد ، إلى أن عاد . ١٠

ثم حصل بينهما منافرة ، فسافر السيد على إلى القاهرة ، ومعه
الشریف ثقبّة بن أحمد . فتوجه ثقبّة إلى الروم ، وأقام هو بالقاهرة .
حتى ولى إمرة مكة في يوم الاثنين سادس عشر جمادى الأولى سنة
خمس وأربعين عوضاً عن أخيه السيد بركات بحكم عزله ؛ لكونه لم
يحضر إلى السلطان حين استدعاه لذلك ، بل امتنع وقال : لست ١٥
بعاصي ولكني أنا أذهب إلى حال سيلى ، والبلد بلدك^(٣) .

وعين [السلطان]^(٤) مائة وخمسين نفسا من المماليك

(١) في الأصل « فبعد » والمثبت عن إتحاف الورى ورقة ٤٢٨ .

(٢) سقط في الأصل ، والمثبت عن إتحاف الورى ورقة ٤٣٢ ، ٤٣٣ .

(٣) إتحاف الورى ورقة ٤٣٤ ، ٤٣٥ .

(٤) إضافة للتوضيح .

- السلطانية ، ومقدمهم يَشْبُك الصوفي أحد أمراء العشرات ، عوضا
عن سودون الحمدي ؛ ليقم هو وإياهم بمكة على العادة ، وليكونوا
مساعدين له على أخيه المذكور ، وأنعم السلطان على السيد على
بمبلغ يقيم به بركه^(١) ، قيل إنه خمسة آلاف دينار ، واقترض هو من
الناس — زيادة على ما أنعم به عليه — شيئا كثيرا ، وجاء الخبر إلى
مكة في رجب . ثم في مستهل شعبان وصل إلى مكة ، وفي ثانيه
دخل مكة وهو لابس الخلعة ، وقرىء توقيعه بحضرة القضاة والأمراء ،
وتاريخه ثالث عشر جمادى الآخرة .

- وقال — في ولايته ودخوله مكة المشرفة محرما — شيخنا الإمام
الأديب قطب الدين أبو الخير محمد بن عبد القوى المكي ، وأنشد
الوالد ذلك في سنة ست وأربعين :

تُعَوِّرُ الْهَنَاءَ لَمَّا قَدِمْتَ بَوَاسِمُ
سُرُورًا وَكُلَّ الْكَائِنَاتِ مَبَاسِمُ
وَلَمَّا تَرَاءَيْتُكَ الْمَشَاعِرُ مُحَرَّمَا
أَشَارَتْ بِتَسْلِيمٍ عَلَيْكَ أَلْمَحَارِمُ ١٥
وَلَمَّا رَأَاكَ الْبَيْتُ أَقْبَلَتْ هَزَّةً
إِلَيْكَ أَشْتِيَاقٌ إِنَّهُ بِكَ عَالِمُ

(١) البرك : المتاع الخاص بالسلطان أو الأمير من ثياب وقماش أو ما أشبهه .

(النجوم الزاهرة ١٤ / ٣٢٣ هامش) .

- ١ كَذَاكَ الْمُصَلَّى وَالْحَطِيمُ وَزَمَزَمُ
وَقَدْ سَجَعْتُ مِنْ حَوْلِهِنَّ الْحَمَائِمُ
وَرَحَبَتِ الْأَرْكَانُ لَمَّا أُتِيَتْهَا
كَأَنَّ الْمُتَنَّى قَدْ أَتَاهَا وَكَاطَمُ ١٩٢ و
وَسُرَّتْ جِبَالُ الْأَبْطَحِينَ كَأَنَّهَا
عَلَيْهَا أَبُو النَّفْسِ الرَّكِيَّةِ قَادِمُ
وَكَادَ الصَّفَا يَخْتَالُ لَمَّا صَعَدَتْهُ
وَمَاسَتْ سُورًا مُذْ رَأَيْتُكَ الْمَعَالِمُ
مَهَابِطُ وَحْيِ اللَّهِ وَالْحَرَمُ الَّذِي
نَمَاكَ يَبْطَحَاهُ الْوَصِيُّ وَهَاشِمُ ١٠
كَأَنَّكَ زَيْنُ الْعَابِدِينَ وَقَدْ أَتَى
إِلَى الرُّكْنِ فِي بُرْدِيهِ حِينَ يُسَالِمُ
وَأَذْكُرْتَنَا الْكَرَّارَ حِينَ قُدُومِهِ
تَسِيرُ بِهِ الْعَضْبَاءُ لِلشَّرِكِ هَادِمُ
لَعَنَ كَانَ فِي دَسْتِ الْخِلَافَةِ أَوَّلًا ١٥
فَأَنْتَ لَهَا مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ خَاتَمُ
فَدُمُ فِي مَسَاعِيكَ الْكَرَامِ خَلِيفَةُ
لَكَ اللَّهُ جَارُ وَالزَّمَانُ مُسَالِمُ
قَضَاءُ بِهِ أَمْضَى الْمُهَيِّمِينَ حُكْمُهُ
وَمَآثِمُ إِلَّا اللَّهُ قَاضِي وَحَاكِمُ ٢٠
فَضَلَّتْ الْوَرَى مَجْدًا وَفَخْرًا وَسُودَدَا
فَلَا رَيْبَ حَطَّتْ عَنْ عُلاكَ النَّعَائِمُ

- ١ فَهَأَنْتَ مَهْدِيٌّ وَهَادٍ وَوَائِقُ
أَمِينٌ وَمَأْمُونٌ مُطِيعٌ وَقَائِمٌ
سَهْمَنَا الْوَرَى لَمَّا رَأَتْكَ عُيُونُنَا
وَكَمْ فَازَ بِالْأَمْرِ السَّنِيِّ مُسَاهِمٌ
وَعَرَدَ فِينَا بِالْمَسْرَةِ طَائِرٌ
خَوَافِيهِ مِنْ فَرَطِ السُّرُورِ قَوَادِمٌ
وَنَادَى لِسَانَ السَّعْدِ فِي الْكَوْنِ مُنْشِدًا
«عَلَى قَدَرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ»
وَأَقْسِمُ بِالْحَيْلِ الشَّوَارِبِ صُفْنًا
وَكَمْ بَرٍّ فِي صِدْقِ الْأَلْيَةِ قَاسِمٌ
لَأَنْتَ الْإِمَامُ الْفَاطِمِيُّ حَقِيقَةً
زَيَّارِجُنَا أَنْبَتَ بِدَا وَالْمَلَا حِمٌ
أَبَا حَسَنِ يَابْنَ النَّبِيِّ وَمَنْ غَدَتْ
مَنَاقِبُهُ لِلْمَكْرُمَاتِ دَعَائِمٌ
١٥ إِذَا مَا عَلَيَّ بَيْنَ جَنْبَيْكَ فِي الْوَعَى
فَأَهْوَنُ مَا يَلْقَاكَ فِيهِ الضَّرَاغِمُ
وَيَطْفُو عَلَى الْوُطْفَاءِ وَهِيَ غَمَامَةٌ
أَيَامِلُكَ الْعَشْرِ الْبُحُورِ الْخُضَارِمُ^(١)
وَلَسْتُ مَقِيسًا يَابْنَ طَهَ بَعْتَرٍ
وَمَنْ كَانَ مِنْ خُزَّانِكُمْ فَهُوَ حَاتِمٌ
٢٠

(١) الخضارم : الماء الكثير . (المعجم الوسيط خ ض ر م) .

- ١ فَعَزَمْتُ مَنْصُورٌ وَجَدْتُكَ رَابِحٌ
وَبَابُكَ مَقْصُودٌ وَعِزُّكَ دَائِمٌ
وإن شَامَ عَدَادُ لِبَرْقِ مَخِيلَةٍ
بِجَوْدٍ فَإِنِّي جُودَ كَفِّيكِ شَائِمٌ
وَسُدَّ وَأَبَقَ مَا سَارَتْ رُكُوبٌ لِمَكَّةَ
لَهُمْ فِي مَبَانِي أَخْشَبِيهَا مَوَاسِمٌ

وفي يوم عرفة لما وصل الحاج إلى عرفات أرجف مرجف بأن
١٩٢ ظ السيد بركات هجم جدة ونهبها ، / ولم يظهر لذلك صحة .

- ووصل السيد أبو القاسم فأمنه أخوه السيد علي ، ولم يحدث
منه سوء مع أنه أشجعهم وأفرسهم ، وندب السيد علي بعض
١٠ إخوانه ، أو غيرهم ليأخذ جماعة ويتوجه إلى حراسة جدة ، ثم اتفق
معه على أن يحفظ الحاج بمنى وعرفة ، وتأخر هو عن الخروج مع
الحاج ليلة التاسع ، فلما كان بعد عصر يوم عرفة ثارت غيرة
عظيمة ، ثم ظهر خلق كثير : فرسان وغيرهم ، فظن الناس أنه
بركات جاء في جمعه لنهبهم ، فأنكشف الغبار فإذا هو على ومن
١٥ معه ، فأدركوا الوقوف بعرفة وصحبته أخوه إبراهيم ، وكان قد تغيب
عنه بمكة ، فلما وجده اعتذر بأنه قيل له : إنه عزم على إمساكك .
فتنصل من ذلك واستصحبه معه ؛ فحصلت الطمأنينة للناس .

- وفي المحرم سنة ست وأربعين مشى عليه أخوه السيد بركات
وبلغ جدة ، وكان بها قبله أخوه السيد علي ، فأشار بعض أصحابه
٢٠ أن يتوجه إلى مكة ويرسل إلى الأميرين اللذين بها والترك والشرفاء ،

فتوجّه إلى حَدّا ، وأرسل إليهم فجاءوه ، وتوجّه إلى جُدّة ووقع بينهم القتال في الحديد^(١) ، وخامر بعض أصحاب السيد بركات عليه ، وهم الأشراف ذوو أبي ثُمَيّ ، والقواد ذوو حميضة ، وكان النصر فيه للسيد علي وأصحابه . وقتل من أصحاب السيد بركات جمع كثير ، وثبت هو وعبيده فغلبتهم الكثرة ، فتوجه هو وعسكره إلى العُدّ ، ثم إلى صوب اليمن . وجاود السيد إبراهيم بين الشريفين بقية صفر وربيع الأول^(٢) .

وتوجّه السيد على إلى الركاني ، ثم إلى مكة ، ثم إلى نحو وادي الآبار ، ومعه ثلاثون مملوكا ، ونقل أعداؤه عنه أشياء أوغروا بها قلب السلطان .

ثم لما وصل مباشروا جدة ومقدمهم الأمير تِمْرَاز البَكْتُمُرِيّ^(٣) المؤيدي ، أحد الدوادارية ، ويعرف بالمصارع ، في يوم الأربعاء من شوال سنة ست وأربعين تَخَوَّفَ السيد على من الأمراء فلم يحضر ، فأرسلوا إليه وامتنعوا من الدخول حتى يحضر . فحضر في ليلة الاثنين ، وخلع عليه ، وقرئ مرسومه . وفيه : بلغنا أنك متشوش الخاطر ، فلتَطِبْ نفسا . ولم يحضر أخوه إبراهيم ؛ فأمره بإحضاره ليلبس خلعتة ، فأرسل إليه وطيبَ خاطره ، وحضر في يوم الثلاثاء

(١) الحديد : ناحية في بنى مالك شرقي جدة . (معجم معالم الحجاز) .

(٢) إتخاف الورى ورقة ٤٥٤ ، ٤٥٥ .

(٣) له ترجمة في الدليل الشافي ٢٢٦/١ برقم ٧٩٢ ، والنجوم الزاهرة ٨/١٦ ،

والبتر المسبوك ٣٥٧ ، والضوء اللامع ٣٥/٣ برقم ١٤٩ . وفيها : قتل في اليمن سنة

١. وليس خلعته وقرىء المرسوم المتقدم فى المسجد بالصفاء . ولم يحضر
الأمير أقبَردي الظاهري^(١) ، أمير الرجبية ، ومقدم الأجناد المقيمين
بمكة ، وقال : إنه شرب دواء ، فتوجّه إليه الشريفان والأمراء للسلام
عليه ، فلما دخلوا عليه أظهر مرسومًا فقرىء باللسان التركي ، وهو
يتضمن : القبض على الشريفين فقبض عليهما وبُوشًا فى أعناقهما
ببأشَتَيْن . فتنفرك أصحابهما ولم يحصل فى مسكهما ضرر ولا خلل ،
ونادى الأميران بالأمان والاطمئنان ، وأن البلاد للسيد أبى القاسم —
وكان بمصر — وأُرْسِلَ لولده زاهر بعد الحلف له فحضر ؛ فقرىء
مرسوم والده ، وأُلْبِسَ الخلعة التى لبسها عمه على ، وطاف ودُعِيَ له
على زمزم ، وشقّ مكة على العادة .

١٠.

١٩٣ و فى ثامن / الشهر توجّه الأميران والسيد زاهر بالشريفين إلى
جُدَّة وأركبا فى الحال فى سنبوق^(٢) أو خلية^(٣) ، كانت معدة لذلك
مع عشرة ممالك ، وتوجهوا بهما إلى القاهرة^(٤) .

(١) أقبَردي بن عبد الله المظفرى الظاهري برقوق ، أحد أمراء العشرات ، ورأس
نوبة ، مات بمكة سنة ٨٤٧ هـ . (الدليل الشافى ١٤٠/١ برقم ٤٩٢ ، والتبر المسبوك
٧٧ ، والضوء اللامع ٣١٥/٢ برقم ١٠٠٦) .

(٢) السنبوق : سفينة صغيرة ، أو قارب صغير . (البحرية فى مصر الإسلامية
٣٤٩ ، وأساس البلاغة للزحشرى) .

(٣) الخلية : سفينة شراعية كبيرة . يتبعها زورق صغير ، يقال له الشبكة ،
شبهت بالخلية من الإبل : وهى الناقة التى ترأى على ولد واحد . وعبرة إتحاف الورى ورقة
٤٦٢ « فأركبوهما من الشقدف إلى سنبوك ثم إلى خلية » .

(٤) وانظر إتحاف الورى ورقة ٤٥٦ — ٤٥٩ .

وأنشد الشعراء في ذلك ، ومنهم شيخنا الإمام الأديب قطب الدين أبو الخير بن عبد القوي المكي ، وأنشد الوالد ذلك مرارا . فقال :

ما جاء قطُّ ولمْ يأتِنَا مِثْلُكَ ياتِمْرَازُ فِي الفَتِكِ
تسيرُ بالأخشبِ مِنْ مَكَّةِ والأخشبِ الثاني على الفُلِكِ
ومثلُ هذا لَمْ يَكُنْ قطَّ فِي مُلْكِ بني العباسِ والتُّركِ
أَنَّ شَرِيفِي مَكَّةَ يُمَسِّكَا مِنْ غَيْرِ مَا طَعَنِي وَلَا سَفَكِ
هَذَا بتقديرِ الذی قَهَرُهُ يَنْزِعُ مَنْ شَاءَ مِنَ المُلْكِ (١)

وكان دخولهما القاهرة في خامس عشر ذى الحجة ، وهما مقيدان ، فسجنا ببرج القلعة ، ثم نقلنا منه في سنة تسع وأربعين إلى الإسكندرية ، ثم نقلنا إلى دمياط ، واستمرنا بها إلى أن ماتا . وتعلَّم هذا بدمياط النحو ، وعمل هناك قصيدةً على وَزْنِ بَنتِ سعاد ورويتها وقافيتها ، أجاد فيها . وكان حسن المحاضرة كريما شجاعا ، ذا ذوق وفهم ونظم ، حتى قيل إنه أحذق بني حسن وأفضلهم . ومن نظمه قصيدة طويلة جزلة الألفاظ ، أنشدها لبعض مشايخنا العلماء ، في القاهرة سنة سبع وأربعين ، وهي عند الوالد في تذكرته ١٥ بتمامها ، لكنها فاشية اللَّحْنِ ، ومنها :

- وإن نال العلاء قَرْمَ يَقُومِ رقيتُ علوها فردا وحيدا^(١) ١
 وقد جا في كتاب الله صدقا بقول عزّ قائله الحميدا
 ترى الحسنات يُجزّئها بخير وبالسّيات سيات سُودا
 وواعد أن بعد العسر يُسرّا فلا عزّ يدوم ولا سُعُودا

- ٥ مات صاحب الترجمة في تاسع صفر سنة ثلاث وخمسين
 وثمانمائة بدمياط ، مطعوناً مسجوناً غريباً وحيداً ، عن خمس وأربعين
 سنة . رحمه الله وإيانا^(٢) .

* * *

- ٢٠٣ — أبو القاسم بن حسن بن عجلان بن رُمَيْثَة بن
 أبي ثُمَيٍّ محمد بن أبي سعد حسن بن علي بن قتادة الحسني ١٠
 المكي .
 أمير مكة ، مؤيد الدين .

- ولد بمكة ونشأ بها ، ولي إمرة مكة من سنة ست وأربعين إلى
 أثناء سنة خمسين . وأجاز له من أجاز أخاه علياً . وخرّج له جدّي
 عن بعضهم جزءاً من مروياته ، سماه « البدور الزواهر مما للمختار ١٥
 وعترته من المفاخر » نشأ في كنف والده نجيباً حاذقاً شهماً

(١) في الأصل « حميدا » ، والمثبت عن الضوء اللامع ٥/٢١١ ، وسمط النجوم
 العوالى ٤/٢٦٨ .

(٢) وانظر الدر الكمين ، والنجوم الزاهرة ١٥/٥٣٦ .

- مقداما ، وتزوج سنة اثنتين وعشرين بالوادي على بنت عمه أم
الكامل بنت محمد بن عجلان . ولما جاء خبر موت والده بالقاهرة ،
وطلب السلطان / أخويه بركات وإبراهيم خَلَفَاهُ بمكة يحفظها ؛ ١٩٣ظ
فحفظها حفظا حسنا ، ولما سمع بنهب بعض الأشراف وغيرهم
لبعض الصيافة بوادي مَرَّ خرج إليهم في العسكر ، والتحق بهم في
شِعْبٍ يقال له المِشَاء قُرْبَ هَذِهِ بَنَى جابر ، وقتل منهم مقتلةً
عظيمة . ولما عاد أخوه بركات من القاهرة متولياً كان معه إلى أن
حصل بينهما تنافر ، فطلب السيد بركات من السلطان عسكرا
نُصْرَةً له عليه ، وعلى أخيه إبراهيم ، فأرسل له عسكراً مقدمهم
الأمير أَرْنُبْعًا . فلما سمع هو وأخوه [بوصوهم] (١) لم يدخلها مكة
خوفاً منهم . وبعد سفر الحاج دخل هذا جُدَّة . وأخذ منها عشرة
أحمال دقيق للأمير مُقْبِلُ الْقُدَيْدِي ، والتاجر على السملوطي ، ثم
لحق الركب المصري بالينبع ، وبلغ أخاه إبراهيم — وهو عند أخيه
بركات — أن قصده التوجه إلى القاهرة بحاشيته وخيله وقود معه ،
فلم يُعْجِبْهُ ذلك ، وذهب لقصد تبطيله من السفر ، فلحقه واجتمعا ١٥
بينبع .

- وزارا في سنة اثنتين وثلاثين المصطفى — صلى الله عليه
وسلم — وعادا إلى ينبع واستعان بهما ذوو مُقْبِلِ بْنِ مِخْبَار ، وبنو
إبراهيم ببذل مالٍ على أن يوصلوهم لبلادهم السوق ، ففعلا .
وأرسلا يشكيان إلى السلطان أخاهما ويعرفانه ضرورتهما . ٢٠
والتف عليهما بعضُ الأشراف ذوى أُنَى تُمَيٍّ وحالفوهما ، فقصدوا

(١) إضافة عن إتحاف الوري ورقة ٣٩٥ .

- ١ مكة ، فلما وصلوا عُسْفَانَ بلغ أخاهما السيد بركات فخرج إليهما
في عسكر ، ومعه الأمير الباش^(١) ففترقا ودخل هذا مكة ، وخرج
منها في الحال إلى منى ، ثم إلى اليمن . ثم تجاود هو والسيد بركات في
سنة ثلاث وثلاثين ، على أن يعطيه السيد بركات في كل سنة ألفين
 وخمسمائة ، إلى آخر سنة ست وثلاثين ، وأقام باليمن . ثم واجه أخاه
بحادثة في سنة سبع وثلاثين . واصطلحا صلحاً شافياً .

ولما زار السيد بركات [جَدَّهُ المصطفى صلى الله عليه
وسلم]^(٢) سنة اثنتين وأربعين جعله نائباً عنه بوادي الآبار ، وجعل
معه القواد ذوي عمر .

- ١٠ ولما حجّ سنة خمس وأربعين وتوجّه إلى القاهرة بعد سفر الحاج
بيومين صادف غيظ السلطان على أخيه السيد على فعزله ، وولى
هذا مكانه وهو بمصر . ولما مسك الأمراء بمكة أخاه علياً أعلنوا بولاية
هذا ، واستدعوا ولده زاهراً وخلعوا عليه ، وقرىء مرسوم والده ، وهو
مؤرخ بتاسع عشر شعبان . ثم وصل السيد أبو القاسم إلى مكة في
سابع عشر ذي القعدة ، ودخل المسجد الحرام وهو لابس خلعتة ، ١٥
وقرىء توقيعه ، وهو مؤرخ بسابع شوال ، فباشر الولاية بالجد

(١) أي الأمير أرنباغا أمير الترك الراكزين بمكة .

(٢) إضافة عن إتخاف الورى ورقة ٤٣٣ .

والاحترام والعزم والاهتمام ، وجاود أخاه السيد بركات على أن يعطيه ١ كل سنة عشرة آلاف دينار . ثم منعه أن يمتار من جُدّة سنة تسع وأربعين^(١) .

وفعل من المعروف عمارة عين خُلَيْص ، فعمرت وجرت على ٥ عاداتها ، وذلك في سنة سبع وأربعين^(٢) .

ووصله في سنة خمسين مرسوم فيه : إنك أحدثت مكوساً فبطلها^(٣) .

ثم فيها عزل بأخيه السيد بركات ، وتاريخ مرسومه حادي عشر ربيع الأول ، وقرىء خامس جمادي الأولى ، وتجاوزا شهرا ، / ثم طلب من أخيه السيد بركات أن يجعل له ما جعل له^(٤) ، ١٩٤ او فامتنع . ففي يوم عرفة من سنة اثنتين وخمسين وصلت الأخبار أنه سافر إلى القاهرة ، ومَرَّ في طريقه على وادي الآبار ، فوصل إلى بدر ، وأقام بها إلى أن وصل الحاج وسافر صحبته إلى المدينة الشريفة ، ثم إلى القاهرة ، وكان بها الفصل^(٥) فحذّره العرب من ١٥

(١) إتحاف الوري ورقة ٤٥١ — ٤٦٢ .

(٢) إتحاف الوري ورقة ٤٧٢ .

(٣) إتحاف الوري ورقة ٤٧٩ .

(٤) وقد سبق أن السيد أبا القاسم جعل لأخيه السيد بركات عشرة آلاف .

(٥) الفصل : لفظ يعنى في ذلك العصر الطاعون أو الوباء ، وكان أكثر ما ينزل

بالناس في فصل الربيع . (المحقق) .

ذلك ، فجعل عندهم وَلَدَهُ إدريس ؛ فإنه كان معه [فَسَلِمَ]^(١) ١
وأما هو فدخلها ، وحصل له من السلطان إقبال ، وتَخَلَّعَ عليه
بالإمرة أو وَعَدَهُ بها ، فسابقته المنية ؛ فمات في عِشْرِي صفر سنة
ثلاث وخمسين وثمانمائة بالقاهرة مطعوناً ، وصَلَّى عليه السلطان
[بِمُصَلَّى]^(١) سَيِّل المؤمني^(٢) ، ودفن على والده بجوش
الأشرف — رحمهم الله وإيانا آمين .

ورثاه هو وأخاه السيد نور الدين علياً المذكور قبله الإمام
الأديب القاضي شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الله المكي
الشهير بابن خَبْطَة بقصيدة ضَمَّنَهَا مَدَحَ السيد بركات ويُعَزِّيهِ
فيهما . فقال :

(١) إضافة عن الدر الكمين .

(٢) أقام الأمير سيف الدين بكتمر بن عبد الله المؤمني المتوفى سنة ٧٧١ هـ
مجموعة من المباني هي مصلى وسبيل ومغسلة للموتى في سنة ٧٦٥ هـ بالرميلة تحت قلعة
الجبيل . ولم يبق من ذلك إلا المصلى ، وهي عبارة عن مسجد بمحراب مبني بالحجر
النحيت ، ويشتمل على رواقين بثلاث بوائك في أول شارع السيدة عائشة عند خروجه
من ميدان صلاح الدين على يسار الذهاب إلى مسجد السيدة عائشة . وانظر النجوم
الزاهرة ٥٠/١١ تعليق المرحوم محمد رمزي بك .

- ١ لسان الهوى بالوجد عني يُعبرُ
ويُعربُ عن الحان دهرٍ تُعيرُ
وعين الصبا تبكي على معهد الصبا
وتندب رنعا كان بالأمس يزهرُ
٥ فأجريت سَيْلاً من عقيق مدامج
لها في بحار الحَدِّ نظمٌ مُثَرُّ
وصلت ونار الحزن مني والآسى
مجمَّره في مُهَجَةٍ تَتَفَطَّرُ
لموت عليٍّ مع أبي القاسم الذي
١٠ به كلُّ حيٍّ بالجوى يتَحَسَّرُ
لقد أسفرت شمسُ المنايا فغرَّتْ
سنا كلَّ وجهٍ منهما وهو مُقْمَرُ
وعني بموصول الفراق مُشَبَّبُ
ونأي الهوى المقرون بالبين يزمرُ
١٥ نعم . وسعى جيشُ المنون إليهما
بسُلْطانه في عسكرٍ ليس يُكسرُ
فأمضاهما في الحال ماضى أمره
لوصلٍ بفصلٍ كنتُ أرجو وأخذرُ
وقد أصبحا في جنَّة الخلد والورى
٢٠ لفقدهما في سوقٍ نارٍ تُسعَرُ
لعمري ماجارى دُموعي بِواقِفٍ
ولكنه وقفٌ عليهم مُقرَّرُ

- وَكُنْتُ أَظُنُّ الصَّبْرَ لِلصَّبِّ نَافِعٌ
 وَهَيْهَاتَ يُجْدَى فِي قَتِيلٍ تَصْبُرُ
 بِكَيْتُهُمَا حَتَّى وَفَى نَيْلٌ أَذْمَعَى
 أَلَمْ تَرَهُ عِنْدَ الزِّيَادَةِ أَحْمَرُ
 وَفَاضَتْ عُيُونُ الْأَرْضِ وَجَدًّا عَلَيْهِمَا
 وَحُزْنَا فَتَهَرُّ الدَّمْعُ مِنْهُنَّ أَبْحُرُ
 وَأُمُّ الْقُرَى لَوْلَا بَقَاءُ أَبِي الْقُرَى
 لِابْنَائِهَا كَادَتْ لَعْمَرِي تُبْشِرُ
 مَلِيكَ لِرَفْعِ الْبَاسِ مُنْتَصِبٌ كَمَا
 لِكَسْرِ جَمِيعِ النَّاسِ بِالْجَزْمِ يَجْبُرُ /
 ١٩٤ ظ عَلَى نَشْرِ طَيْبِ الْعَدْلِ فِي الْأَرْضِ مُنْطَوٍ
 فَيَا حُسْنَ عَرَفِ الطَّيِّبِ سَاعَةً يُنْشَرُ
 لَهُ سِيرَةٌ قَدْ أَوْقَفَ الْخَلْقَ عِنْدَهَا
 فَلَا مُقَدِّمَ عَنْهَا وَلَا مُتَأَخِّرُ
 سَقَى الْأَرْضَ لَمَّا أَنْ هَمَى غَيْثُ جُودِهِ
 ١٥ فَطَابَتْ بِوَرْدٍ مَالَهَا عَنْهُ مَصْدَرُ
 تَقِيُّ نَقِيٍّ طَاهِرٌ طَاهِرٌ حَمَى
 حَمَى الدِّينِ وَالْدُّنْيَا فَلَا زَالَ يُنْصَرُ
 حَوَى مِنْ تَفَاصِيلِ الْفَضَائِلِ جُمْلَةً
 ٢٠ فَاضْحَتْ بِدِيَوَانِ الْمَعَانِي تُحَرَّرُ
 وَفِي رَأْسِ طَرْسِ الْمَجْدِ وَقَعَ بِحَدِّهِ
 وَأَثْبَتُ . فَأَنْظُرْ فِي الْعَلَامَةِ يَظْهَرُ

- ١ وَبَعْدَ قَاضِي الْفَصْلِ حَقًّا ثُبُوتُهَا
فَحُكْمُ دَعَاوَى الْغَيْرِ حُكْمٌ مُزَوَّرُ
بِجِدِّ وَجِدِّ قَدْ عَلَا وَغَلَا مَعَا
وَلَا غَرَوُ أَنَّ يَغْلُو شَرِيفٌ وَيَفْخَرُ
فَيَأْتِيهَا الظُّمَانُ رِدْ عَذَبٍ مِنْهَلٍ
لَدَيْهِ وَزَاحِمٌ فَهَوَ فِي الْخَلْقِ كَوْنُ
وَيَاخَائِفَ الذَّنْبِ آسْتَجِرْ بِجَنَابِهِ
تَجِدْ حَرَمًا لِلْأَمْنِ يَغْفُو وَيَغْفِرُ
وَيَاطَلِبُ الرِّزْقِ أَنْحِ مَطْلَبَ رِفْدِهِ
١٠ فَكَنْزُ يَدَيْهِ لِلْمُقْلِينَ يَكْثُرُ
لَقَدْ أَمِنُوا أَهْلَ الْقُرَى وَاتَّقُوا أَمَّا
تَرَى بَرَكَاتٍ فِي الْخَلِيقَةِ أَظْهَرُ
فَيَا مَعِدِنَ الْأَمَالِ يَا عَيْنَ قَصْدِهَا
وَمَنْ هُوَ بَعْدَ اللَّهِ يُغْنِي وَيُفْقِرُ^(١)
١٥ وَيَا حَسَنًا فِي ذَاتِهِ وَذَوَاتِهِ
وَأَحْمَدَ مَنْ يُشْنَى عَلَيْهِ وَيُشْكَرُ
وَيَا بْنَ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى سُدَّ وَشِدَّ مَعَا
بِنَاءَ مَعَالِيكَ الْتِسَى لَا تُكَدِّرُ
لَيْنٌ جَلَّ خَطْبُ حَلِّ فِينَا وَقَدْ بَدَا
٢٠ وَجُودٌ وَجُودٌ مِنْكَ فَالْخَطْبُ أَيْسَرُ

(١) الله وحده هو الذي ييسط الرزق لمن يشاء ويقدر وهذا البيت من المديح

- ١ وَإِنْ مَاتَ إِخْوَانُ كِرَامٍ وَمَعَشَرٌ
فَقَدْ مَاتَ خَيْرُ الْخَلْقِ جَدُّكَ أَطْهَرُ
عَزَاءً وَصَبْرًا لَا بَرِحْتَ مُسَدَّدًا
شُكُورًا وَفِي كُلِّ الْمِلَمَاتِ تَصْبِيرُ
٥ بَقَاؤُكَ لِلدُّنْيَا دِفَاعٌ وَرَحْمَةٌ
وَلِلدِّينِ تَأْيِيدٌ وَنَصْرٌ مُؤَزَّرُ
كَفَى شَاهِدًا أَنْ لَسْتُ أَشْعُرُ فِي الْوَرَى
بِقَوْلٍ وَإِنِّي بِأَمْتِدَاحِكَ أَشْعُرُ
فَدُمُ أَبَدًا وَأَطْعَنُ بِسُمْرِكَ فِي الْعَدَى
١٠ فَعَزَمْتُكَ مُبَيِّضٌ وَعِزُّكَ أَخْضَرُ
مَقَامُكَ مَأْمُونٌ أَمِينٌ مَقَامُهُ
وَمَسْعَاكَ مَنْصُورٌ وَأَنْتَ مُظَفَّرُ

* * *

- ٢٠٤ — محمد بن بركات بن حسن بن عجلان بن رُمَيْثَةَ
بن أَبِي نُمَيٍّ محمد بن أَبِي سَعْدٍ حسن بن عَلِيٍّ بن قَتَادَةَ الْحُسَيْنِي
١٥ المكي .

أمير الحرمين الشريفين والحجاز قاطبة ، وحلي ابن يعقوب ،
بل وجازان ؛ فإنه أخذها / .

- ١٩٥ جمال الدين أبو الفرج ابن أمير مكة زين الدين أبي زُهَيْرٍ ، أُمُّهُ
الشريفة شَقْرَاءُ ابنة زهير بن سلميان بن رِيَّان بن منصور بن جَمَّاز
ابن شَيْخَةِ الْحُسَيْنِي . ولد في شهر رمضان سنة أربعين وثمانمائة .
٢٠

بمكة ، ونشأ بها في كنف والده .

وذكره الوالد في تاريخه « الدرّ الكمين بذيل العقد الثمين »
ببعض ما سيأتى . وأسْتَجاز له جماعةً من المشايخ ، بل ودخل في
أجائز جَمَاعَةٍ أجازوا لأهل مكة .

- فمن الأولين — وهم خلق —: عبد الرحمن بن خليل
القَابُونِيّ ، إمام الجامع الأموي ، وأسماء ابنة المَهْرَانِيّ ، وأم هانئ ابنة
الهَوْرِينِيّ ، وَشَوَّان الحَنْبَلِيَّة ، وهَاَجَر القُدْسِيَّة ، والعلم البُلْقِينِيّ ،
وسعد الدين بن الدِّيَرِيّ ، والعَزَّ الكِنَانِيّ ، والشهاب الشَّائِيّ ،
والجلال بن المُلقِّن ، وأخته صالحة ، والجلال القمصي ، والبهاء بن
المصري ، والفخر السُّيُوطِيّ ، وناصر الدين الزُّفْتَاوِيّ ، ومحمد بن
أحمد بن عِمَاد الأَقْفَهْسِيّ ، ومحمد بن أحمد بن عمر القَرَّافِي —
سَيِّط ابن حمزة — وأبو الفضل المَرْجَانِيّ ، وأخته كَمَالِيَّة ، وكَالِيَّة
ابنة علي التُّوَيْرِيّ .

- ولما طلب السلطان الظاهر جَقَمَق — في سنة خمسين — أن
يَطَّأ والدهُ البساط هو ، أو وَلَدُه [أرسل وَلَدُه]^(١) هذا إلى القاهرة
في صفر ، فوصلها وعاد بالولاية لوالده ، فوصل مكة في جمادى
الأولى^(٢) .

ولما كبر والده وتَوَهَّجَنَ بَدَنُه سأل مشدَّ جَدَه جَانِبَك

(١) سقط في الأصل ، والمثبت عن الدرّ الكمين .

(٢) في الأصل « الأول » ، والمثبت عن المرجع السابق .

- الظاهري — في النصف الأول من سنة تسع وخمسين — بأن
يكتب السلطان ويسأله في ولاية إمرة مكة لولده عوضا عنه .
فأرسل مشدّد جده إلى السلطان الأشرف إينال يسأله في ذلك ؛
فأجيب إلى سؤاله ، ووصل العلم إلى مكة بذلك في يوم الثلاثاء
عشرى شعبان من السنة ، ثانی يوم مَوْتِ السَّيِّد بركات ، ودُعِيَ له
على زمزم بعد صلاة المغرب ليلة الأربعاء حادی عشرى شعبان .
وكان السيد محمد بن بركات غائبا ببلاد اليمن ، فأُرْسِلَ إليه فَوَصَلَ
إلى مَكَّة في أثناء ليلة الجمعة سابع رمضان .

- فلما كان صبح يوم الجمعة حضر بالحطيم هو والقضاة ،
والأمير ، والمجاورون ، والأعيان ، وقرىءَ مرسومٌ إلى السيد بركات
يتضمن : أنه وردت إليه مكاتبات الأمير جَانِبَك ، مشدّد جده بالثناء
على الخدم ، وأنه بلغنا تَوْهَّنُ الخدم وضعفه وقلّة حركته ، وقد
أقمنا ولده جمال الدين محمدا في إمرة مكة وأعمالها . مؤرخ بسادس
عشرى رجب .

- فلما كان يوم الأربعاء رابع شوال وصلَ قاصدٌ من مصر ومعه
كتابٌ من السلطان إلى السيد محمد بن بركات بالعزاء في والده ،
وتَوَقَّعَان . فلما كان في صبح يوم الجمعة سادس شوال حضر
السيد محمد بالحطيم هو والقضاة والأمير والناس ، وقرىءَ المرسومان :
أحدهما بولاية السيد محمد بن بركات ، مؤرخ بسابع عشرى
رمضان . والثاني إلى القضاة والأمراء والمجاورين والأعيان بولاية السيد
محمد بن بركات لإمارة مكة .

١ وتوجّه في شوال^(١) سنة ثلاث وستين إلى الشرق .
وفي سنة أربع وستين^(٢) توجّه إلى الشرق ثم عاد إلى جدّة .
وفي شوال تنافّر هو ووزيرُه بُدَيْد ، فخرج بُدَيْدُ إلى جهة الشام في عسكر كثير ؛ فاحتاط الشريفُ على بعض حواصله ، وجميع إبله ، وجمع عسكرا لغزوه ؛ فأذعن بالصلح ، وحُلف على الطاعة ، وسلّم جميع ما عنده من الخيل والسلاح والزّانة^(٣) ، وأمر أن يكون في جهة اليمن . ثم اصطلحا في جمادى الآخرة سنة سبع وستين ، ودخل مكة .

وأنشد في هذا الصُّلْحُ الأديبُ الأوحْدُ البليغُ إبراهيم بن مُبارك ابن سالم بن علي المُرِّي الدُّهْلِيّ الشَّيْبَانِي القُطَيْفِيّ^(٤) قصيدة ، سَمِعَهَا الوالدُ منه ، في سنة ثمان وستين وثمانمائة بالمسجد الحرام ، ولم يثبت غير مطلعها وهو :

أَقْبَلَ السَّعْدُ والنُّحُوسُ بُزْلًا
وَأَمَّنَا الثُّورُ والظُّلَامُ أَنْجَلَى

(١) وفي إتخاف الوري ورقة ٥٤٤ « في عصر يوم الاثنين سادس شوال توجه السيد محمد بن بركات غازياً عرب البقوم ، فصبحهم في يوم الخميس تاسعه ، وأغار عليهم وغنم منهم أموالاً كثيرة ، وقتل منهم جماعة » .

(٢) زاد إتخاف الوري ورقة ٥٤٦ « في يوم الاثنين عشرين رجب » .

(٣) الزانة : كناية عن الرماح لأن نصل الرمح يركب بطرف الزانة .

(٤) له ترجمة في الضوء اللامع ١١٨/١ ولم يذكر فيها تاريخ وفاته ، وفيها « القبطي » خطأ طباعي .

وفي سلخ ذى الحجة من سنة خمس وستين توجه السيد
محمد بن بركات زائراً النبي صلى الله عليه وسلم ، فزار وعاد .
وفي رجب (١) منها أو من التى بعدها — توجه إلى الشرق
أيضاً وعاد .

وفي جمادى الآخرة سنة تسع وستين توجه السيد محمد إلى
حلي صوب اليمن لتولية محمد بن دريب حلي بعد موت عمه
[موسى] (٢) السهيمي ، فولاه وعاد .

وفي ربيع الأول من سنة سبعين توجه السيد محمد ومعه أهله
وعسكره إلى المدينة الشريفة في قافلة عظيمة ، فيها قاضي القضاة
برهان الدين بن ظهيرة ، وكثير من جماعته وأهله ، والقاضي
الحنبلي ، وجماعة من التجار . فكانت عدة الشقادف خمسمائة
وأربعة وعشرين ، والشجر اثنين وتسعين ، والمحابر ستين ، والزوامل
ثمانمائة واثنين وستين ، والركاب مائة وسبعة وعشرين ، والخيول ثمانية

(١) وفي إتحاف الوري ورقة ٥٥٤ في أخبار سنة ٨٦٥ هـ « أنه توجه في يوم
الأحد ثالث عشر شعبان إلى الشرق غازياً ، ثم عاد إلى مكة في يوم الخميس ثاني
رمضان » . وفي ورقة ٥٥٩ في أخبار سنة ٨٦٦ هـ « وفيها في ظهر يوم الخميس سابع
رجب توجه السيد محمد بن بركات نحو الشرق ، وفي مسيره في ظهر يوم الأحد عاشر رجب
ظفر بجماعة من الأعراب ، وقتل منهم ستة عشر رجلاً .. إلخ » وفي ورقة ٥٦٢ في أخبار
سنة ٨٦٧ هـ « توجه السيد محمد بن بركات نحو الشرق في ليلة الاثنين رابع عشر
رجب .. إلخ » .

(٢) إضافة عن إتحاف الوري ورقة ٥٧٠ .

وثلاثين ، والبغال ثلاثمائة وثمانين ، والحمير خمسمائة وخمسة ، والنِّياق ^١ المَحَاضُ للشریف عشرين . ودخل المدينة في ربيع الثاني . فأقاموا بها جمعة وعادوا في ربيع الثاني .

وفي شعبان من سنة سبعين توجّه السيد محمد نحو الشرق ، وعاد في ذى القعدة ^(١) .

وفي رجب سنة إحدى وسبعين توجّه السيد محمد إلى يَنْبُع لقتال الأشراف ذَوِي هَجَّان ^(٢) ، وذَوِي إِبْرَاهِيم في عسكر كثير ، وحاصروا المذكورين في بلادهم السُّوَيْق ، وقطعوا بعض نخيلهم . فلما رأوا من أنفسهم الغلب نزلت خاثون ابنة هَجَّان بن محمد بن مسعود — أخت سَبْع ^(٣) ، وزوجة خُنافر بن عُقَيْل بن وَيْيَر ^(٤) ^{١٠} مُتَوَلِّي البلاد ، في النهار وهي مُظَلَّلٌ عليها — إلى السيد محمد ، وَاسْتَشْفَعَتْ عنده فَشَفَّعَهَا ، ثم عاد إلى مكة في شوال .

وفي هذه السنة أَخْرَجَ أَهْلُ حَلِي مُحَمَّد بن دُرَيْب

(١) وفي إتحاف الوري ورقة ٥٧٢ في أخبار سنة ٨٧٠ هـ « في يوم ثامن عشرى شعبان توجه السيد محمد بن بركات نحو الشرق ، وعاد إلى مكة في صبح يوم الجمعة سادس القعدة » .

(٢) كذا في الأصل ، والدر الكمين ، وإتحاف الوري ورقة ٥٧٤ . وفي الضوء اللامع ٢٠٨/١٠ برقم ٨٩٢ ، وعلى طريق الهجرة ١٩٦ « هجار بن وبيز بن نخبار » .

(٣) هو سبع بن هجان بن مسعود الحسني ، مات سنة ٨٨٧ هـ . (الضوء اللامع ٢٤٣/٣ برقم ٩١٧) .

(٤) له ترجمة في الضوء اللامع ٢٠٧/٣ برقم ٧٧٧ وفيها « توفي في سنة

[عنهم] ^(١) ، فأرسل السيد محمد من استولى على البلاد .

وفي ليلة الجمعة ثاني عشرى شعبان سنة اثنتين وسبعين توجه السيد علي بن بركات من جدة إلى مصر براً ، ولم يُفطن لذلك إلا يوم السبت وصل مُخْبِرٌ إلى جدة ، وأخبر أنه رآه بالقُفَيْنِ مُتَوَجِّهاً إلى صَوْبِ يَنْبُع . فأرسل قاصداً إلى مكة بذلك ، فصادف وصول خاله الشريف شامان بن زهير مكة ، فتوجه خلفه إلى يَنْبُع فقاته وترك بها بعض جماعته ، فَرَدَّهُمْ شَامَانُ . ووصل بهم معه مكة . ثم إن السيد محمداً لما وصل إلى مكة في رمضان لآم خاله على ما فعل ، وأرسل قاصداً إلى مصر ، وأتَّهَمَ الشريفَ المحتسب / ١٩٦ بمكة ، ونائب البلد القائد عبد الله بن بيخا بمواطئتهما لأخيه علي ؛ فنفاهما إلى اليمن ^(٢) .

وفي ثامن ذى القعدة وصل مكة الشريف بساط قاصدُ السيد محمد ومعه الخبر بأن السيد علياً واصل مكة ، و [قد] ^(٣) أمر السلطان [أنه] ^(٣) يصطلح هو وأخوه .

وفي حادى عشر الشهر وصل الشريف مكة ، وقرى ١٥ مرسوم له ثاني تاريخه بالحطيم ، يتضمن : أن السيد علياً وصل إلينا إلى مصر وأكرمناه ، وأثنى عليكم خيراً ، وقال : إنكم له بمنزلة

(١) سقط في الأصل ، والمثبت عن الدر الكمين ، وإتحاف الورى ورقة ٥٧٦ .

(٢) إتحاف الورى ورقة ٥٧٨ .

(٣) إضافة عن إتحاف الورى ورقة ٥٨٠ .

الوالد . ثم جاءنا نَجَّابُكُمْ زهيرٌ بكتبكم ، ثم السيد زين الدين ١
بساط ، وفي كتبكم : أنه خرج بغير علمكم ، ولاتعلمون لذلك
سببا ، وأن ذلك تعليم ممن يرمى الفتن ، والمقصود إرساله . وقد
أمرناه بالتجهز إليكم فلا تشوشون^(١) عليه بوجه من الوجوه ؛ فإنه
استجار بنا ، ولاتسمعون^(١) فيه كلام المناجيس ، وتذكرون كلام الله
تعالى ﴿ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ﴾^(٢) وغير ذلك^(٣) .

وفي تاسع عشرى القعدة وصل السيد على بن بركات^(٤) .

واتهم السيد محمد أيضا محمد بن بُدَيْد ، وخاله أحمد بن
قُفَيْف بمواطئته السيد عليًّا ؛ فأمر بقتلهما بالوادي في سابع المحرم
سنة ثلاث وسبعين ، فُقْتَلَا بين واديي أبي عروة والجموم ، وحملا إلى ١٠
المعلاة ، فجهزا ودفنا ، ولم يُنَحَّ عليهما ، ورسم السيد محمد على
المختصين بابن بُدَيْد ، واستولى على كثير من أمواله ، ونفى جماعته ،
وذوى عمر ، فباع ذوو عمر جميع أموالهم ، وخرجوا كلهم إلى ناحية
اليمن^(٥) .

وفي شعبان سنة ثلاث وسبعين كانت قتلة بين السيد محمد ، ١٥
وزُيَيْد ذوى مالك بالقرب من رابغ ، فكان الظفر في ذلك له — مع
أنه كان في قِلَّة من أصحابه — وقتل من زُيَيْد نحو سبعين رجلا منهم

(١) كذا في الأصل .

(٢) سورة القصص آية ٣٥ .

(٣) إتحاف الورى ورقة ٥٨٠ .

(٤) إتحاف الورى ورقة ٥٨١ .

(٥) إتحاف الورى ورقة ٥٨٣ .

١ شيخهم رومي ، وفرّ باقيهم هارباً ، فغنم منهم أموالاً كثيرة ، يقال إنها ثلاثة آلاف بعير وغير ذلك . ولم يقتل من أصحاب الشريف إلا أربعة : شريفان من ذوى أبى ثُمَيّ ، وعدوى ، وعبد . ثم إن الشريف صالحهم بعد ذلك في سنته ، وأعطاهم مالا ، وعاقدهم على مدة ، ثم نكث بعضهم قريبا (١) .

وفي ذى القعدة عادت الحسبة للشريف ، فإنها كانت خرجت في العام الماضي للباش مُغْلَبَاي (٢) .

وفي المحرم سنة أربع وسبعين غزا السيد محمد جماعة من العرب (٣) ، وقتل منهم قُربَ الثلاثين وغنم منهم إبلا وغنما كثيرا .

١٠ وفي آخر صفر منها توجّه بعسكره من وادى مرّ إلى جهة الشرق لغزو بعض عرب عُتَيْبَة (٤) ؛ فإنهم قطعوا الجود الذى بينهم وبينه . وأرسل إلى مكة أن يرسلوا له آلة الحرب من دروع ، وتجفاف ، وغير ذلك ؛ فارسلوا له ذلك . فلما قرب من العرب أنذروا قبل وصوله بيوم ، فحملوا كلهم ، ورحل بعضهم ، ولحق

(١) إتحاف الورى ورقة ٥٨٤ ، ٥٨٥ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) وهم عرب البقوم من بني لام ، كما في إتحاف الورى ورقة ٥٨٥ . وانظر في

نسبهم معجم قبائل الحجاز .

(٤) عتبية : إحدى القبائل الكبيرة في شرق الحجاز ونجد . وكانت ديارهم حرة

الحجاز ، شمال مكة ، وتمتد شرقاً وجنوباً إلى الطائف . (معجم قبائل العرب ، ومعجم قبائل الحجاز .

الباقين قبل سيرهم صُبَحَ يوم الثلاثاء سابع عشرى صفر ؛ فقتل ١
منهم نحو الخمسين رجلاً ، وفَرَّ الباقيون ، فغنم منهم نعماً وشاء
كثيراً وغير ذلك . وعاد نصره الله — سالماً (١) .

ووصله مرسوم وخلعة فى جمادى الأولى ، وكذا فى جمادى
الثانية ، وكذا فى رجب مع نائب جدة ، ولبس الخلع وقرئت
المراسيم (٢) .

وبعد الحج من هذه السنة توجه مع حاج بَجِيلَة وحاج عَرَب
شَهْرَان إلى / أن أوصلَهُم إلى مَأْمَنهم ، ورجع إلى الوادى (٣) . ١٩٦ ظ

وفى صفر من سنة خمس وسبعين جاءه مرسوم وخلعة ،
فلبس الخلعة وقرئت المراسيم بالخطيم . وفى يومه سافر هو وعسكره ١٠
إلى الشرق بنية أن يصلح بنى سعد (٤) ، وغاب ببلاد الشرق نحو
ثلاثة أشهر ، وعاد بالسلامة (٥) .

وفى يوم الثلاثاء رابع عشر شعبان أوقع بجماعة من عَرَب

(٤) إتخاف الورى ورقة ٥٨٨ ، ٥٨٩ .

(٢) وانظر تفصيل هذه المراسيم فى إتخاف الورى ورقة ٥٨٩ — ٥٩١ .

(٣) إتخاف الورى ورقة ٥٩٤ .

(٤) بنو سعد : قبيلة شريفة الأرومة ، منها حليلة بنت أبي ذؤيب السعدية ، ظفر
رسول الله ﷺ ، وديارهم من الطائف إلى جهة الجنوب الشرقى ، وتعد هذه القبيلة أصل
قسم كبير من عتبية . (قلب جزيرة العرب ، ومعجم قبائل العرب ، ومعجم قبائل
الحجاز) .

(٥) إتخاف الورى ورقة ٥٩٦ .

زُبَيْدٌ تحت جبل صبح^(١) ، وقتل منهم جماعة^(٢) .

وفيهما — فى شوال ، أو ذى القعدة — حصل بينه وبين زُبَيْدِ ذوى مالك كلام فحصل منهم عَصِيَّان ؛ فأرسل الشريف خاله شامان بن زهير ، وأخوين له أحدهما [يقال]^(٣) له على والآخر أصغر منه ، مع جماعة ، وقال لهم : شَيِّعُوا أَنْكُمْ طَالِبُونَ الشَّرْقِ^(٤) ، وفى الليلة الفلانية يكون مَبِيتُكُمْ بالموضع الفلاني ، وهو بالقرب منهم ، وفى صبيحتها صَبَّحُوهُمْ . ففعلوا ذلك ؛ فقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، يقال إن المقتولين نحو الخمسين ، وساقوا لهم جملة من المال ، وبقوا فى تلك الناحية مُدَّةً وعادوا .

ووصل مُغْلَبَايَ باش المماليك السلطانية فى الموسم ، ومعه الحسبة أيضا^(٥) .

وفى ليلة الأحد ثانى عشرى ربيع الأول سنة ست وسبعين وصل نَجَّابُهُ بِخَلْعَةٍ ومرسوم ، وفى صبيحتها لبس الخلعة ، وقرىء

(١) جبل صبح : جبل شاخ يضرب إلى الحمرة ، وهو جبل ثافل الأكبر ، ولكنه يسمى حالياً جبل صبح ، يستمد منه وادي غيقة مياهه ، وغيقة باحة بين الجبال كالروضة العظيمة ، يشرف عليها من الجنوب ثافل الأكبر ومن الشمال الشرقى مغرى ، ومن الغرب جبل كراس . وكلها يضمها وادي الصفراء العظيم (على طريق الهجرة ١٦٧ ، ١٦٨ ، ٢١٨) .

(٢) إتحاف الورى ورقة ٥٩٦ .

(٣) سقط فى الأصل ، والمثبت عن إتحاف الورى ورقة ٦٠٠ .

(٤) « كذا فى الأصل ، وفى المرجع السابق » الشرفاء .

(٥) المرجع السابق .

- ١ المرسوم ، وفيه : أن نجابكم زين الدين الخراشي ، وأمير الحاج المصري يشبك الجمالي ، أنها إلىنا محبتكم وقيامكم بالحاج ، وما الناس عليه من الأمن ، وعدم طمعكم في مال أحد ، وأن الشريف له في [الموارث الحشرية]^(١) ما دون الألف على العادة ، والسلطان له ما فوق الألف .

- وفيها — في النصف الأول من شعبان — أمر الشريف بتخريج ذوى عجلان ؛ فخرجوا ليلة السبت رابع عشر [الشهر]^(٢) إلى جُدَّة ، ليتجهزوا مع من هناك ويركبوا جميعا في جَلْبَةِ إلى اليمن ، ولم يتحقق السبب لذلك ، لكن يقال إن سببه توجُّه الشريف رُمَيْثَةَ بن أبي القاسم بن حسن بن عجلان من جهة اليمن إلى جهة الشرق ، ثم إلى المدينة ، وأن ذلك بمواطئة منهم ، أو مخالفته ، وأن بعضهم أحرَقَ دكانا بجُدَّة لبعض المتسببين في تلك الأيام .

- وفيها — في يوم الخميس سابع عشر رمضان — وصله خلعة ومرسوم مع نائب جدة الأمير شاهين ، فلبس الخلعة ، وقُرِئَ ١٥ المرسوم بالخطيم ، وفيه : الثناء عليه ، وإخباره بوصول المباشرين ، والوصية عليهم^(٣) .

(١) في الأصل « الترك » ، والصواب ما أثبتناه ، والخبر في إتحاف الوري ورقة

. ٦٠٣

(٢) إضافة عن إتحاف الوري ورقة ٦٠٤ .

(٣) إتحاف الوري ورقة ٦٠٥ .

١ وفيها — في يوم الجمعة ثامن عشر رمضان — توجه السيد محمد إلى الشرق ، وأغار على عرب البُقُوم في يوم الأربعاء ثالث عَشْرِي رمضان ؛ فكسرههم وأخذ جانباً من إبلهم ، وعاد إلى مكة في ضُحَى يوم الأحد سابع عشر القعدة ^(١) .

٥ ووصل مع أمير الحاج مرسوم للسيد محمد ، ولقاضي القضاة الشافعي برهان الدين بن ظهيرة أن يتوجَّها إلى الأبواب السلطانية . فأرسل الشريف ولده السيد بركات عَوْضاً عنه ، وتوجَّه مع الحاج ومعه القاضي برهان الدين ، وأخواه وولده وجماعة من جماعته ^(٢) ، و١٩٧ وحصل لهم كلهم من القبول والعظمة والاحترام ما لم / يسمع بمثله ، وسيأتى الكثير من ذلك في ترجمة ولده السيد بركات ، واستمروا كذلك إلى آخر السنة ؛ إلى أن توجَّهوا مع الحجاج إلى مكة المشرفة ^(٣) .

١٥ وفي ربيع الأول سنة ثمان وسبعين وِصَلَه مَرْسُوم يَأْتِي ذكره . وتوجَّه إلى الشرق للغزو ، وأعطى الشُّرفاء ذَوِي أَيْ نُمَيِّ أَلْف دِينَار ، وأمرهم بالتوجه معه — وكان قبل ذلك أرسل خاله شَامَان وشقيقه عليا إلى الشرق للغزو ، فغزوا وغنموا وعادوا — ثم عاد الشريف في جمادى الثانية ، ودخل مكة ليلاً ، وخرج صبيحتها إلى عرفات ، ثم إلى اليمن ^(٣) .

(١) المرجع السابق .

(٢) إتحاف الوري ورقة ٦١٤ — ٦١٧ .

(٣) إتحاف الوري ورقة ٦١٧ .

- وفيها — في ليلة الأحد ثالث شهر رمضان — وصل^١ [الشريف]^(١) إلى مكة ، وكان نازلاً بين جُدَّة وحَدَّاء ، ووصل قاصدٌ من مصر في البحر ، وفي صبيحتها حَضَرَ إلى الحطيم هو والقضاة والباشا ، وبعض الفقهاء ، وقُرِئ مَرُسُومَانِ له ، وَلَبِسَ الخلعة ، والأول هو الذي وصل إليه في ربيع الأول ، وهو يتضمن :
 وصول ابنه ، والقاضي برهان الدين وجماعته ، وملاقاتهم وإكرامهم ، وإنزالهم بترية السلطان بالصحراء ، والرضى [عليهم]^(١) ، وشكر القاضي . وأمير الحاج له^(٢) ، وحُسن سيرته ، وأمن البلاد ، وقلة طمعه ، وإخباره بوصول محمّل العراق وأميره وقاضيه ، وشكره على فعله معهم ، من أجل قلة احترامهم للمدينة النبوية ، وغير ذلك .
 والمرسوم الثاني يتضمن : أن ابنه والقاضي وجماعته بخير ؛ وأنا أمرنا ناظر الخاص أن يجهز لهم خَلَع السَّفَر ، فاختراروا الإقامة إلى خروج الحاج والإتيان معهم . و[أن]^(٣) الشريف رُمِيَّة تكلم معنا في أمر الحجازِ المرة بعد المرة فامتنعنا ، وجمعنا بينه وبينهم عندنا ، ومَدَدْنَا^(٤) لهم سماطاً عظيماً ، وأمرناه بالتجهُّز إلى الحجاز . فأصْرَّ^{١٥} على الامتناع ، فأقمناه من^(٥) المجلس ، وأمرنا بتوجُّهه إلى الإسكندرية ، ثم توجَّه معه دَوَادُّرُ نَائِبِ الإسكندرية إلى

(١) إضافة عن إحفاف الوري ورقة ٦١٨ .

(٢) أي للشريف كما في المرجع السابق .

(٣) سقط في الأصل ، والمثبت عن الدر الكمين ، والمرجع السابق .

(٤) في الأصل « مدينا » ، والمثبت عن المرجعين السابقين .

(٥) في الأصل « في » ، والمثبت عن المرجعين السابقين .

الإسكندرية . فَلْتَقَرَّ عَيْنَا ؛ فَإِنَّا لَا نُعَيِّرُ عَلَيْكَ مَا دُمْنَا عَلَى تَحْتِ
الملك . وفي ثانی سنة جاء نَعْيُ رُمَيْثَةَ .

وفي ليلة الثلاثاء رابع عَشْرَى ذی القعدة دخل مكة السيّد
بركات والقاضي بُرْهَان الدين وجماعته ، ونائب جده الأمير شاهين ،
ولاقاهم في الصباح السيد محمد ؛ فلبس خِلْعَةً وكذا ولّده ، والقاضي
وولّده وأخواه ، ودخلوا إلى الحطيم ، وقرئ به مراسيم للشريف
والقضاة ، وهي تتضمن : وصول السيد بركات والقاضي وجماعته ،
وأنا أكرمناهم ، وأنزلناهم عندنا ، وخلعنا عليهم خلعا . والسيد
بركات يكون نائب أبيه ، وأعدنا القاضي وأخويه إلى وظائفهم —
وذكرت (١) .

١٠

وفي ربيع الأول من سنة تسع وسبعين وصل قاصدُهُ ، ومعه
مرسوم وخلعتان له ولولده بركات ، فقرئ المرسوم بالحطيم بحضرة
القضاة والباش ، ولبسا الخلعتين . وفي المرسوم : أن الحاجاج وصلوا
شاكرين ، وأن قاضي بلاد حسن [بك] (٢) وصل إلينا قاصدا ،
ويطلب الرضى ، واعتذر عما صدرَ منهم ، فإذا وصل الحاجاج من

١٥

(١) أي الوظائف ، وقد بينها النجم بن فهد في إتخاف الورى ورقة ٦٢٠ كما يلي :
وأعدنا القاضي برهان الدين إلى قضاء مكة والنظر بها ، ونظر الأوقاف . وأخاه القاضي
كمال الدين إلى قضاء جدة ، وخطابتها ، وأن يحكم بمصر ، وحيث دخل ركابه . وأخاه
الخطيب فخر الدين إلى نظر رياضي السدرة ، وكلالة وأوقافهما .

(٢) إضافة عن الدر الكمين ، وإتخاف الورى ورقة ٦٢٢ . وهو حسن بك بن
علي بك بن قرايلىك ملك ديار بكر . (النجوم الزاهرة ١٦ / ٣٨٤ ، والضوء اللامع
١١٢ / ٣ برقم ٤٤٢) .

بلاده ، ومشوا على طريقة الحجاج فقابلوهم بالإكرام ، وإلا فقابلوهم^١ بما يفعلونه .

وفي ذى القعدة وصل للشریف مرسوم وخلعة مع نائب /
جُدَّة وناظرها البدري أبى الفتح المنوفي^(١) ، ولبس الخلعة لمَّا لآفَاه ، ١٩٧ ظ
وَقُرِئَ المرسومُ بالحطيم . وفيه : التوصية عليه .

وفيه وصل لمكة الأمير الكبير^(٢) ، وَالْبَسَهُ وولَّده بركات خِلْعَةً^٥
خِلْعَةً ، وكذا وَصَلَتْ حَوْنَدُ الْحَصْبَكِيَّةِ^(٣) وَالْبَسَتْهُمَا خِلْعَتَيْنِ
أَيْضاً .

وفي المحرم من سنة ثمانين تَوَجَّهَ إلى الشرق ، ثم عاد إلى مكة
في ربيع الأول ، وَوَجَدَ قاصدَه جاء من مصر ، فاجتمع هو
والقضاة بالحطيم ، وقُرِئَ مرسومه ، ولبس هو وولَّده بركات^{١٠}
خِلْعَتَيْنِ . ومضمون المرسوم : إخبارُه بوصولِ الحاج سالمين
شاكرين ، إلى غير ذلك ، وفيه إِنَّ فِي ضَمَانِكَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى رَابِعِ ،
وإن « عميقاً » شَوْشَ عَلَى الْحَاجِ ، والمقصودُ رَدُّهُ وَرَدُّهُ هو
وجماعته عن الحاج ، والإشهاد عليه^(٤) .

(١) هو محمد بن محمد بن العز المنوفي . (الضوء اللامع ١٠/٣٥ برقم ٩٨ ،
وبدائع الزهور ١٠٠/٣) .

(٢) الأمير الكبير : هو أُنْزِكَ اليوسفي الخازندار ، كان أمير مائة ومقدم ألف .
(إتخاف الورى ورقة ٦٢٤ ، والضوء اللامع ٢/٢٧٢ برقم ٨٤٧) .

(٣) سماها النجم بن فهد في إتخاف الورى ورقة ٦٢٤ : زينب بنت علي ، وكذا
سماها درر الفرائد ص ٣٣٧ ، وسماها بدائع الزهور ٣/١٠٤ فاطمة ابنة العلاء علي بن
خاص بك .

(٤) إتخاف الورى ورقة ٦٢٧ ، ٦٢٨ .

١ وفى ذى القعدة وصل نائبُ جدة البَدْرِيّ أبو الفتح المنوفي ؛ فلاقاه الشريف ، فألبسه وولّده السيد بركات خلعتين ، وقرىء مرسوم الشريف بالحطيم . وفيه : التوصية بالنائب ، وأمر الخطيب بالزيادة فى الدعاء للشريف . فامتثل (١) .

٥ وفى أوائل سنة إحدى وثمانين توجّه هو وأهله إلى الشرق ، فلما سمع بقُرب قدوم نائب جُدة البدرى أبى الفتح المنوفي جاء إلى مكة فى أوائل جمادى الأولى ، وخلف أهله بالشرق ، واجتمعا ، والقضاة ، والباش بالحطيم ، ولبس هو وولده خلعتين ، وقرىء مرسومه ، وفيه : وصول الحاج وهم شاكرون .

١٠ وفيها — فى ذى القعدة — وصل نائب جدة قرآجا عتيقُ الدودار الكبير جانبك الجدّاويّ ، بعد زيارة المصطفى ﷺ ، وخرج الشريف للقاءه وألبسه خلعتيه ، وقرئت المراسيم بالحطيم بحضرة القضاة ، والباش ، والتجار ، ومضمونهم (٢) أن الواصل إلى مكة من المَرَجَان وغيره ، مما هو من بضائع [الهند] (٣) لا يترك منه شيء يُذهبُ به إلى اليمن ، حتى لا تبقى المراكب الهندية تدخل اليمن ، والواصل من اليمن من بضائع الهند يكون بين السلطان وبين الشريف نصفين ، ولم تجرِ بذلك عادةً قبل ذلك ، بل كان ذلك مما يختص بالشريف ، ومن مات بمكة وجُدة ولم يكن له وارث ،

(١) إتحاف الورى ورقة ٦٢٨ ، ٦٢٩ .

(٢) كذا فى الأصل ، والدر الكمين ، وإتحاف الورى ورقة ٦٣٥ .

(٣) سقط فى الأصل ، والمثبت عن المرجعين السابقين .

[يكون]^(١) من أشرفي إلى ألف للشريف ، وما فوق ذلك ١
للسلطان . ومن مات وله وارث غائب فلا يَحْتُمُ على مال الميت
القاضي عَلَى العادة ، بل ذلك إلى نائب جُدَّة قَرَاَجَا ، والفُلْفُل
الواصل إلى جُدَّة من الهند يُؤَخَذُ منه للسلطان بسعر العام الماضي
والذى قبله . ولا يُعَارِضُ نائب جُدَّة فى شيء مما يريد . والتوصية ٥
عليه ، وأنه من المقرين .

وفىها اجتمع هو والأمراء عند أمير الحاج ، واتفقوا على ألا
يدخل العِرَاقِيُّ بمحملة على العادة ، بل يترك ذلك بالزاهر ،
فأمره . ففعل ، ثم إنه أعطى لأمير الحاج شيئاً . وكذا الباش فأذن ؛
فَحَجُّوا به . ولما انقضى الحج رسم الشريف على أمير العراقيين ، ١٠
وبعض جماعته لأجل خلعتيه فى العام الماضى وهذه السنة ، وعادته
فيما يأخذه منه من الذهب فى العام الماضى ، ولأجل أنه جاء
بصدقة ، ولم يعط الشريف الثلث عَلَى عادته فى الصدقات ؛
فاعتذر عن الخلعتين بأنه لَمْ يُلَاقِه^(٢) وإنما هي بشرط الملاقاة . وعن
عادته فى الذهب بأنه رَدَّه ، وعن الصدقة التي جاء بها إنما هي ١٥
لحمل / الضعفاء ، وأنه اشترى ببعضها زَرَابِيل^(٣) للفقراء ، ثم ١٠٩٨
أرضوا الشريف وتخلَّصُوا .

(١) سقط فى الأصل ، والمثبت عن المرجعين السابقين .

(٢) فى الأصل « لم يوافق » ، والمثبت عن الدر الكمين ، وإتحاف الورى ورقة

(٣) زرابيل = سراويل : جمع زربال وسربال ، وهو القميص أو كل ما يلبس .

وفي أوائل سنة اثنتين وثمانين جمع عسكرا كثيرا جدا ،^١
واحتفل له احتفالا زائدا ، وتوجّه إلى جازان^(١) من بلاد اليمن ؛
لغيظه على صاحبها ، لَعَلَّهُ لَأُمُورٍ ، منها : إكرامه لأخيه عَلِيٍّ لَمَّا
وَفَدَّ عليه مُعَاذِيَةً لأخيه ، ثم تَعَدَّيه من البحر إلى سَوَاكِنِ حَتَّى
توصَّلَ إلى صاحب مصر . ومنها : إيواؤه لِمَنْ يَنْفِيهِ من عسكره ،
ومنهم ذوو عمر المقيمون عنده الآن .

فلما وصل إلى جَزَانَ حاصرها أَيَّامًا يَسِيرَةً . وجاءه المشايخُ
ودخلوا عليه بالصلح ، فقال لهم السيد محمد : بعد أن جِئْتُ إلى
هنا فَلَا بُدَّ أَنْ أَدْخُلَ مِنْ بَابٍ وَأَخْرُجَ مِنْ الثَّانِي ، وَلَا أُحْدِثُ
شيئا . فامتنع صاحبُ جَزَانَ الشريفُ أبو الغواير^(٢) ، وقال :
لا يمكن ذلك أبدا ، وَبَرَزَ للقتال ، وَصَفَّ عَسْكَرَهُ للحرب . فَعَزَمَ
السيد محمد عَلَى ملاقاتهم ، فبينما هو يريد الركوب وإذا بأوائل
عسكره تَلَاقَى مَعَ عسكر صاحبِ جَزَانَ ، ورمى بعضُ العسكر نارا
في بيوتهم — وغالبها عَشَشَ للدخول من البلاد والخارج — فأرسل
الله رِيحًا قَوِيَّةً حملت الشَّرَرَ إلى داخل البلاد فأحرقها . فلما رأى^{١٥}
ذلك عَسْكَرُ صاحبِ جازان هربوا مِنَ الباب الثاني ، ثم هَرَبَ هو

(١) جازان : مدينة بجنوب المملكة العربية السعودية ، على ساحل البحر الأحمر ،
أصبحت في العهد السعودي إمارة كبيرة ، فيها كافة المرافق الحيوية للمدينة ، وتتبعها
إمارات صغيرة . (بين مكة واليمن ٢٦٦ ، ٢٦٧) .

(٢) هو الشريف أحمد بن دريب بن خالد ، شهاب الدين أبو الغواير بن
قطب الدين الحسيني صاحب جازان ، وابن صاحبها . (الضوء اللامع ٢٩٩/١ ، وغاية
الأمان ٦٠٩/٢) .

- وباقى عسكره ، وخلت البلد منهم ؛ وحينئذ دخلها العسكر^١ ،
 ونهبوها جميعا ، وأخربوا الحصن^(١) ونهبوا جميع ما فيه ، وكان فيه جملة
 من المتاع والثياب والكتب ، وأحرق باقى البلد وخرب سورها . وجميع
 ما فيها من الدور خلا المساجد ، وقتلوا كثيرا من الرجال والنساء
 والولدان صبرا^(٢) ، واستأثر العسكر كثيرا من النساء الشرفاء^٥
 وغيرهم وحملوهم معهم إلى بلدانهم . وكان هذا الفعل شنيعا ، عاد
 وباله على أهل مكة ؛ فإنها قَحَطَتْ سنين عَدِيدَة ، ولا حَوْل ولا قُوَّة
 إلا بالله العلي العظيم ، وكانت الكسرة فى يوم الخميس سابع ربيع
 الأول ، ووصل الخبر إلى مكة بذلك فى ليلة الأحد سابع عشر ربيع
 الأول ، ونودى فى صبيحتها بزينة مكة سبعة أيام ، فزيّنت . وعاد^{١٠}
 الشريف وعسكره إلى مكة فى هذا الشهر أو الذى يليه . ثم رجع
 الشريف أبو الغواير إلى بلده بقطعة يؤدّيها فى كل سنة لصاحب
 مكة . ولم أتحقق ذلك .

وقال القاضى العلامة الأديب خير الدين أبو الخير محمد بن

- أبى السعود بن أبى البركات بن أبى السعود بن ظهيرة القرشي^(٣) المكي ،
 يهنئ السيد الشريف محمدا بالنصر والسلامة فى هذه الوقعة بقصيدة
 مطلعها :

(١) الحصن : هو حصن الدوسرية : قلعة على رأس جبل مستطيل بمحاذاة
 البحر ، تقوم عليه مدينة جازان . (بين مكة واليمن ٢٦٦) .

(٢) وانظر بغية المستفيد لابن الديبع ١٥٥ — بتحقيق عبد الله الحبشي .

(٣) له ترجمة فى الضوء اللامع ٢٧٩/٩ برقم ٣٢٢ ، ولم يرد فيها ذكر وفاته .

١ في صَادِقِ الْخُبَرِ مَا يُعْنَى عَنِ الْخَبَرِ
 وَفِي اقْتِنَاصِ الصِّيَاصِي غَايَةِ الْوَطَرِ
 وَفِي اَمْتِلَاكِ الصِّيَاصِي أَيُّ مَنْقَبَةٍ
 وَفِي بُلُوغِ الْاَلَامَانِي لَذَّةِ الْعُمُرِ
 ومنها :

٥ مَلِكٌ لَهُ فِي رَحِيْبِ الْفَضْلِ بَادِرَةٌ
 وَفِي حُرُوبِ الْاَعَادِي أَيُّ مُصْطَبِرٍ
 قَرَمٌ هَزْبَرٌ إِذَا مَا شِمَتْ طَلَعَتْهُ
 رَأَيْتَ عَجَّاجَ بَحْرِ غَيْرِ مُحْتَكِرٍ
 ١٠ إِنْ جَالَ فِي صَهَوَاتِ الْخَيْلِ يَوْمٌ وَغَى
 تَرَاهُمْ يُلْصِقُونَ الْأَرْضَ بِالطَّرَزِ /
 ١٩٨ ظ أَوْ قَابَلَتْهُ صَنَادِيدُ الْحُرُوبِ ضَحَى

تَرَى جِبَاهَهُمْ ثَلَاثُ بِالْعَفْرِ
 هُوَ الشُّجَاعُ الْمُطَاعُ الْهَوْلُ سَيِّدُنَا
 ١٥ أَبُوقِنَاعٍ مَنِيعُ الْجَارِ وَالْجَوْرِ
 السَّيِّدُ الْخَفَرُ ابْنُ السَّيِّدِ الْخَفَرِ ابْنُ

بْنِ السَّيِّدِ الْخَفَرِ ابْنِ السَّيِّدِ الْخَفَرِ
 مُحَمَّدٌ ذُو الْأَيْدِي الْبَيْضِ مَالِكُنَا
 مَلِكُ الْبَسِيْطَةِ مِنْ بَدُوٍ وَمِنْ حَضَرٍ
 ٢٠ فَاقَ الْمُلُوكَ فَلَوْ فِي كَفِّهِ وَزُنُوا
 بِظُفْرِهِ لَمْ يُسَاوُوا مَنْفَذَ الظُّفْرِ
 يَهْدِي بِهَدْيِ رَسُولِ اللَّهِ مُتَّبِعًا
 مَا جَاءَ عَنْ جَدِّهِ فِي الْكُتُبِ وَالسِّيَرِ

- ١ وَسَارَ بِالْعَدْلِ حَتَّى قَالَ كُلُّ فِتْنٍ
هَذَا الْخَلِيفَةُ بَعْدَ السِّتَةِ الْغُرَرِ
يَا ثَانِي أَلْعَيْثِ عَمَّ [الأرض] ^(١) نَائِلُهُ
يَا ثَالِثَ الْمُشْرِقَيْنِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ
يَا مُصَدِّرَ الْبَيْضِ حُمْرًا بَعْدَ مَا وَرَدَتْ
نُحُورَ ثَعْرِ الْأَعَادِي السُّودِ وَالصُّفْرِ
إِنْ الْخِلَافَةَ قَدْ نَادَيْتُكَ مُعَلَّنَةً
أَسْرِعْ إِلَيَّ رَعَاكَ اللَّهُ مِنْ مُضَرٍ
أَسْرِعْ إِلَيَّ فَمَا فِي الدَّارِ مِنْ أَحَدٍ
١٠ وَقَدْ وَجَدْتَ مَطَارًا صَالِحًا فَطِرِ

ومنها :

- يَا رَا حِلِينَ بِلَادَ الشَّامِ مَنْ عَجَبِ
وَالْعُرْبِ وَالرُّومِ مَعَ بَعْدَادَ ذِي الْخَبَرِ
إِذَا وَصَلْتَ لِأَهْلِيهَا فَقُلْ لَهُمْ
١٥ نَصَحْتُكُمْ فَأَطِيعُوا ذَا الثَّنَا الْعَطِرِ
أَبَا قِنَاعٍ مُبِيدَ الظُّلَمِ مُبْعِدَهُ
مُرْدَى الْمُتَاوَى بِيضِ الْهِنْدِ وَالسُّمْرِ
وَقُلْ لِقَوْمٍ ثَوُوا جَا زَانَ وَآمَنُوا
مِنْ بَذْلِ طَاعَةِ قُطْبِ الْحَرْبِ بِالْحَجَرِ
وَأَمَلُوا أَنْ يَنَالُوا مِنْهُ فُرْصَتَهُمْ
جَهْلًا وَمَا حَسِبُوا التَّحْرِيقَ بِالشَّرِّ

(١) زيادة يقتضيها الوزن . « المراجع » .

- وَكَانَ ظَنُّهُمْ أَنَّ الْوَعْيَ لَعِبٌ
 وَأَنَّ مُلْكَ الصِّيَاصِي لَيْسَ بِالْبُتْرِ
 دَعُوا السُّيُوفَ لِأَهْلِهَا وَذُؤُنُكُمْ
 حَرَثَ النَّهْبِ (١) وَجَعَلَ الْحَبَّ فِي الْحُفْرِ
 وَسَلَّمُوا الْحَيْلَ وَاعْتَاضُوا بِهَا حُمْرًا
 فَكَمْ تَرَى حُمْرًا مِنْكُمْ عَلَى حُمْرٍ
 أَمَا عَلِمْتُمْ وَلَا أَخْلَاقَ عِنْدَكُمْ
 أَنَّ الزُّجَاجَةَ لَا تَقْوَى عَلَى الْحَجَرِ
 وَاللَّهُ مَا عَجَبِي مِنْكُمْ وَمَا عَجَبِي
 ١٠ إِلَّا لِرُوزَنٍ مَعَ بَاقِي ذَوِي عُمَرٍ
 كَيْفَ اسْتَطَاعُوا لَكُمْ فِي حَرْبٍ سَيِّدَهُمْ
 وَكَانَ فِعْلُهُمْ مِنْ أَعْظَمِ الْخَطَرِ
 خَلَوْا طَرِيقَ الْهُدَى وَاسْتَبَدُّوا بِرَدَى
 وَفَارَقُوا رَشْدًا فِي سَائِرِ الْعُمَرِ
 ١٥ لَوْ رَامَ قَتْلَهُمْ إِذْ ذَاكَ سَيِّدَهُمْ
 لَكَانَ أَقْرَبَ مِنْ وَرْدٍ إِلَى صَدْرِ
 لَكِنْ أَغَاثَهُمْ مِنْ صَوْبٍ رَحِمَتِهِ
 غَيْثٌ تَقَرُّ بِهِ الْعَيْنَانِ كَالْمَطَرِ /

(١) النهب : يقال نهبت الدواب الأرض أي أخذت بقوائمها منها أخذاً كثيراً ،

والنهب يجمع على نهاب ونهوب . (المعجم الوسيط) .

١٩٩و

فَكَمْ بِرَحْمَتِهِ مِنْ مُهَجَّةٍ حُمِيتْ

وَكَمْ بِبَهْمَتِهِ كُفَّتْ يَدُ الضَّرَرِ

وفي ربيع الثاني وصل قاصده الشريف عنقاء بن وُبَيْر^(١) من مصر بحراً ، واجتمع هو والقضاة والباش ، وقرئ مرسومه . وفيه : أن الحاج وصلوا شاكرين^(٢) داعين على العادة ، ولبس خلعتة .

وفي أوائل جمادى الآخرة وصل ابن شرف قاصد نائب جدة ، ومعه مرسوم لم يقرأ ، ويقال إن فيه : أن يؤخذ للسلطان نصف العدني ، وأن يُحمل الجمال البوني إلى القاهرة ؛ بسبب أنه فكَّ خَتَمًا كان عمله نائب جُدَّة على مال شخص مات ، وماله للدولة . وكان الخبر جاء بذلك قبل هذا ، فراجع الشريف السلطان في نصف العدني ، فلم يُفد ، بل أمر بضبطه ، ثم راجع نائب جُدَّة السلطان في ذلك مع هذا القاصد ، فجاء الخبر معه بالأخذ ، فأخذه . وأما الجمال البوني فإنه صالح عن نفسه بألف دينار للسلطان ، ولنائب جُدَّة بمائة دينار ، ولابن شرف ببعض شيء^(٣) .

وفي أوائل^(٤) شوال وصل إلى مكة ، وتوجه هو وعسكره من

(١) هو الشريف عنقاء بن وُبَيْر التموي ، قريب صاحب مكة ، وصهره على ابنتيه — واحدة بعد الأخرى — وعلى أخته قبلهما . إلا أنه سخط عليه في آخر أيامه ، وأمره بطلاق ابنته . (الضوء اللامع ١٤٩/٦ برقم ٤٦٨) .

(٢) في الأصل ، والدر الكمين « ناشرين » . والمثبت عن إتخاف الوري ورقة

. ٦٤١

(٣) إتخاف الوري ورقة ٦٤١ ، ٦٤٢ .

(٤) كذا في الأصل ، وفي إتخاف الوري ورقة ٦٤٤ « وفيها في آخر شوال » .

يومه إلى الشرق ؛ لغزو الحنيشي ، فصَبَّحَ بعض جماعته فأخذ
حلتهم ، وقتل رجلين ، وأسر رجلاً أو أكثر ، وغنم شيها وإبلا
كثيرة ، وعاد عن قرب .

وفي ذى القعدة وصل قاصد نائب جدة بأوراق منه ومن أمير
الحاج إلى السيد محمد ، وإلى القاضى الشافعي ، وفيها : أن
السلطان أمرهم أن يغسلوا الكعبة من داخلها قدر قامة ؛ لمنام
رآه ، فدخل هو والقاضى الشافعي والباش وبعض الشيبين ، وغسلوا
أرضها وقدر قامة من جدرانها . ولما جاء الحاج اجتمع أيضاً مع
القاضى والأمراء وغسلوا الكعبة الشريفة من خارجها قدر قامة ، وكذا
أرض المطاف^(١) .

١٠

وفيه وصل نائب جدة قراجاً وألبسه خلعتة ، وقرىء مرسومه
بالخطيم . وفيه : أنك أرسلت تشكر نائب جدة وتثنى عليه ، وتخبر
بموت القاضى كمال الدين بن ظهيرة ، وتسأل في وظيفة قضاء جُدَّة
وما معها لأخيه الخطيب فخر الدين أبى بكر بن ظهيرة ، فأجبتنا
سؤلك ، وأنعمنا عليه بولاية ذلك . ولم يحضر الخطيب المجلس بل
كان ممتنعاً من الدخول في ذلك ، ثم دخل بعد ذلك^(٢) .

وفي العشر الأخير من رمضان سنة ثلاث وثمانين زار جدُّه
المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وجلس بالمدينة أحد عشر يوماً ،

(١) وعلل ذلك النجم بن فهد في إتحاف الورى ورقة ٦٤٤ بقوله « وذلك لمنام
رآه السلطان » .

(٢) إتحاف الورى ورقة ٦٤٥ .

- وكان بها ولدٌ صاحبها الشريف ضغيم بن خشرم^(١) وبعض جماعته ،^١
 فلما سمعوا بقدمه خرجوا فارين ، فأرسل إلى ضغيم رسولا بأن معه
 خلعة له ، وأنه يصل ويلبس خلعته ويحتفظ بالمدينة . فامتنع من
 الوصول ؛ فترك بالمدينة الشريفة الشريف قُسيطِل^(٢) ابن أمير
 المدينة زهير بن سليمان الحسيني مع ثلاثين فارسا وبعض رجالة^٥
 مقدمهم — في الظاهر — الشريف مجول الينبعي^(٣) . ثم سافر
 الشريف وأمر الخطيب بالدعاء له مع السلطان يوم الجمعة ، ففعل ،
 ودعا أيضا للشريف قُسيطِل على المنبر جمعة واحدة ثم تركه .

وفي أواخر شوال وصل صاحب ينبع الشريف سُبَّع بن
 عَجَّان إلى مكة ، ثم سافر إلى السيد محمد بناحية اليمن ، وسمعنا^{١٠}
 أنهما اصطلحا ، وأن صاحب ينبع التزم / لصاحب مكة بثمانية ١٩٩ ظ
 آلاف دينار دية مَنْ قُتِل من أصحاب صاحب مكة سنة

(١) له ترجمة في الضوء اللامع ٢/٤ برقم ١ ، وفي التحفة اللطيفة ٢/٢٥٢ برقم

. ١٨٤٤

(٢) له ترجمة في الضوء اللامع ٦/٢٢١ برقم ٧٣٤ ، وفي التحفة اللطيفة

٤١٦/٣ برقم ٣٤٨٤ .

(٣) هو مجول بن صخر بن مقبل الحسني الينبعي . (التحفة اللطيفة ٣/٤٤٦

برقم ٣٥٧٠) .

شتات^(١) . ثم يقال إن صاحب مكة ترك عنه أربعة آلاف والله
أعلم بصحة ذلك .

وفي سادس عشرى ذى القعدة وصل نائب جدة البدرى
أبو الفتح المنوفى ، ولاقاه الشريف محمد وولده هيزع فخلع عليهما ،
وقرىء مرسومه بالخطيم . وفيه التوصية على النائب^(٢) .

وفي غرة ذى الحجة حضر عند أمير الحاج على العادة ،
وألبسه خلعة ، وقرىء مرسومه . وفيه التوصية على أمير الحاج . وفي
هذا اليوم حضر مع الأمراء كسوة الكعبة من داخلها ، أرسلها
السلطان مع الحاج ، فكُسيَتْ^(٣) .

وفي سنة أربع وثمانين أمر [السيد الشريف]^(٤) — بلغه الله
مناه وأهلك أعداءه — بعمارة سبيل وصهريج عند بئر شمس ، يكون
للصادر والوارد ، ففعل ذلك — أثابه الله تعالى .

(١) سنة شتات : كذا فى الأصل ، والدر الكمين ، وإتحاف الورى ورقة ٦٥٢ .
ويقول الدكتور عبد الكريم الباز فى تعليقه على إتحاف الورى « لم يسبق أن ورد تسمية سنة
من السنوات بسنة شتات ، وربما كان المؤلف يعنى بذلك سنة الوباء لأنه يشترى الأمر ،
وقد وقع فى عهد الشريف محمد بن بركات وباء فى سنة ٨٧٣ هـ ، وآخر فى سنة
٨٨٢ هـ ، ولكن لم يحدث فىهما قتال بين الشريف وصاحب ينبع » وإن كانت وقعت
حرب بينه وبين زبيد ذوى مالك فى سنتي ٨٧٣ ، ٨٧٥ هـ وانتصر فىهما وأجلاهم عن
ديارهم وقتل شيخهم رومي .

(٢) إتحاف الورى ورقة ٦٥٢ .

(٣) إتحاف الورى ورقة ٦٥٣ .

(٤) إضافة عن الدر الكمين .

- ولما سمع بوصول السلطان^(١) — نصره الله — للحج توجهه
هو وولده الشريف هيزع ، وقاضى القضاة برهان الدين وولده
الجمالي أبو السعود ، وأخوه الفخري أبو بكر لملاقاته ، فسمعوا
بتوجهه للزيارة من ينبع ، فاستمروا إلى بدر ، فلما أقبل السلطان
لاقوه إلى الصفراء أو قربها^(٢) وسلموا عليه وعادوا معه إلى بدر ،
فمدّ لهم سباط حلوى وسباط طعام ، ثم فارقه من بدر ، وانتظروه
بوادي مرّ إلى أن وصل ، فمدّ له الشريف سباطا هائلا ، ولاقاه
صبيحة دخوله إلى الزاهر هو وأولاده ، فخلع عليهم كلهم ، ودخلوا
معه ركبانا إلى مدرسته ، ومدّ له الشريف سباطين صباحا ومساء ،
وقدم له الشريف شيئا كثيرا من النقد والخيل والإبل ، وخرج
لرؤيتهما إلى درب اليمن . فلما سافر توجه هو وأولاده معه إلى الزاهر ،
فردّهم منه .

- وفى سنة خمس وثمانين توجه هو وأهله إلى الشرق ، وتوجه من
هناك إلى المدينة ، وزار جدّه المصطفى ﷺ ، وتوجه من هناك إلى
وادي الصفراء وقطع نخيلا لصبح^(٣) ولم يلق منهم أحدا ، وسبب
فعله ذلك أن السلطان أغراه بهم ؛ لكونهم قتلوا له ممالك في عوده

(١) أي السلطان الأشرف قايتباي ، وانظر في حجه دُرَر الفرائد ص ٣٣٩ ،

٦٨٢ — ٦٨٧ .

(٢) في الأصل « وقربها » ، والمثبت عن إتخاف الوري ورقة ٦٥٦ .

(٣) صبح : هو بنو صبح ، والنسبة إليهم صبحي ، بطن من ميمون من بني
سالم من حرب . ديارهم وادي العرج وغيفة وبدر إلى الساحل . ومن فروعهم بنو عليان
والقحوم والعبادلة وليد . (معجم قبائل الحجاز) .

- ١ من الحج إلى مصر . وعاد إلى الشرق ، ثم إلى مكة ^(١)
- ووجد قاصده الشريف عَنَقَاء قد وصل لمكة فاجتمع هو والقضاة والباش بالخطيم ، ولبس خلعتة وقرىء مرسومه . وفيه : الإنعام عليه بجميع عشور اليماني من استقبال سنة ست وثمانين ؛ فإنه كان أخذ منه النصف من سنتين . ثم عاد إلى أهله بالشرق في ربيع الآخر ^(٢) .
- وفي جمادى الأولى استخدم له قَوَّاسَة ^(٣) وأرسل بهم إليه إلى الشرق ، وجاء الخبر في جمادى الآخرة ^(٤) أنه غزا عرب بيشة ^(٥) ، وقتل منهم جماعة ، وغنم دروعا وإبلا كثيرة وغير ذلك .
- وفيه جاء لمكة بأهله ، وهو مودع لنائب جُدَّة . فوداعه وسافر بأهله إلى اليمن في ليلة رابع رجب ^(٦) .
- ١٠

وفي أواخر شهر رمضان جاء لمكة محرما بالعمرة ، فطاف وسعى بعض المسعى ماشيا ، ثم ركب حتى أكمل سعيه ^(٧) ،

(١) إتحاف الورى ورقة ٦٦٠ ، ٦٦١ ، والدر الكمين .

(٢) الدر الكمين ، وإتحاف الورى ورقة ٦٦١ .

(٣) القواسة : هم الرماة بالقسي ولهم دور هام في الحروب .

(٤) في الأصل « في ربيع الآخر » ، والمثبت عن الدر الكمين ، وإتحاف الورى

ورقة ٦٦١ .

(٥) بيشة : واد كبير من أودية تهامة ، منابعه جبال السراة ، وهو كثير القرى والزروع ، ويتقاسم الماء مع سراة أبها . (بين مكة واليمن ٢٤٧ — ٢٥٠) .

(٦) وإلى هنا انقطع الكلام في ترجمة محمد بن بركات بنسخة الدر الكمين الموجودة بالمركز ، وكتب في الهامش « بلغ مقابلة على أصله » . وانظر إتحاف الورى ورقة ٦٦١ .

(٧) كذا في الأصل ، وفي بلوغ القرى ، لوحة ٢ ظ « سبعة » .

١ وجلس بمكة إلى ليلة التاسع والعشرين ، وتوجه إلى أهله باليمن ، وكان مجيئه من نواحي جُدَّة ، وكان هناك له مدة .

وفي يوم الجمعة حادى عشر القعدة / جاء السيد محمد إلى ٢٠٠ مكة من عند أهله من ناحية اليمن ، ويقال إن سبب مجيئه أنه نَذَرَ لله تعالى أن اليمن إذا أمطر يأتى المسجد الحرام ، ويصلى فيه ركعتين لله تعالى . ثم عاد إلى أهله بعد يومين أو ثلاثة ، ثم عاد بعد أيام إلى مكة (١) .

وفي أول سنة ست وثمانين توجه إلى مَحْشُوش ، وهو بين بدر والينبوع ؛ لكون المحل ربيعا ، وأظنه وصل إلى ينبع ، وحصل بينه وبين بنى إبراهيم صلح ، وعاد لمكة هو وأولاده وعياله وعسكره ، في ١٠ يوم الاثنين رابع جمادى الأولى (٢) .

وفيه — ضحى — اجتمع الشريف وولده السيد بركات وقضاة القضاة الأربعة خلا الحنبلي ، والقاضى فخر الدين الشافعي ، والأميران بَرَسْبَاي باش المماليك ، وسُنُقُر الجمالي محتسب مكة . وغيرهم بالخطيم تحت زمزم ، وقرى ثلاثة مراسيم ، واحد للشريف ، ١٥ تاريخه ثامن عشرى صفر ، وثان للقاضى الشافعي ، وثالث للمحتسب . ومرسوم الشريف يتضمن : زيادة الشكر له ، وأنه

(١) بلوغ القرى لوحة ٣ و .

(٢) درج المؤلف ابتداء من هنا إلى آخر الكتاب ، وكذا في بلوغ القرى ابتداء من لوحة ٥ ظ على استعمال التسمية العامة لهذا الشهر بجماد الأول . وسيصير تصحيحها إلى جمادى الأولى في كل المواطن دون الإشارة إلى ذلك .

١ أُرسِلَ له ولوده خلعتان . فلبسهما وسافرا^(١) .

وفي يوم الثلاثاء ثالث جمادى الثانية ، وصل مكة لعزاء
القاضى برهان الدين فى أخته سُنَّيت ، وحَلَفَ أنه لم يبلغه الخبر إلا
فى اليوم الذى قبله . وكانت ماتت فى سلخ الشهر الذى قبله . ثم
توجَّه إلى الوادى — ظنا — فى يوم الجمعة سادس الشهر^(٢) .
وفي صبح يوم الثلاثاء سابع عشرى رمضان وصل السيد
محمد من جُدَّة إلى مكة محرما ، وطاف وسعى ، وجلس بمكة بقية
يومه وبعض الليلة المستقبلية ، ثم سافر وعاد إلى أهله ، وهم بناحية
الشام بخُلَيْص — فيما يقال^(٣) .

١٠ وفى يوم الجمعة خامس ذى الحجة وصل الخبر إلى مكة بأن
حاج العراق وصل إلى المدينة الشريفة ، ومعه محمل ؛ فاجتمع
السيد الشريف والقضاة والأعيان عند أمير حاج المحمل المصرى
يَشْبُك من حَيْدَر الوالى^(٤) ، واتفقوا على أن يمنع المحمل من الدخول
به ملبسا ثوبه ، ويكون أمير حاجهم مع أمير الحاج حتى يذهب به
معه إلى مصر : فلما وصلوا إلى الوادى أرسلوا لهم ألا يدخلوا
بمحملهم ففعلوا . وفى ثانى يوم وصل بعض العراقيين إلى السيد

(١) بلوغ القرى ، لوحة ٥ ظ . وفيه « وفى ليلة الأربعاء توجهوا إلى وادى مر » .

(٢) المرجع السابق .

(٣) بلوغ القرى ، لوحة ٧ و .

(٤) أي والى القاهرة ، وقرر فى إمرة الحاج بركب المحمل فى هذه السنة . (بدائع

الزهور ١٨١/٣ ، ١٩٠) .

- ١ الشريف ، وأمرهم ألا يدخلوا بالمحمل ، فتركوه بسبيل الجوخى^(١) ، ثم حمل بعد ذلك بلا ثياب ووضع بالمسجد عند بيت أمير الحاج المصري إلى أن نزل الناس من الحج ، وأخذ أصحابه^(٢) .

- وفي يوم الثلاثاء خامس عشرى ربيع الأول سنة سبع وثمانين وصل السيد الشريف من الفريق^(٣) وهم بناحية اليمن ، وأخبر بمراكب عدة واصله من الهند وأنها دخلت من باب المنذب^(٤) ، ثم توجه في هذا اليوم لناحية الشرق لغزو عرب مطير فأنذروا ففروا . فعاد ووصل مكة يوم السبت تاسع عشرى الشهر ، وعاد لأهله . ثم وصل مكة يوم الخميس خامس عشرى ربيع الثانى بعد وصول قاصده إليه من مصر الشريف عَنَقَاء بن وَبَيْر ومعه المتولى للمدينة الشريفة زُبَيْر بن قيس بن ثابت بن نَعِير بن منصور الحسينى المدني^(٥) ، والشريف يحيى ابن صاحب ينبع سَبْع بن هَجَّان بن محارب بن مسعود الينبعي ، أرسلهما الخوارجا شمس الدين

(١) سبيل الجوخى : ذكره الفاسي في شفاء الغرام ١/٣٣٨ ، ٣٣٩ ضمن السبل التي بأسفل مكة مما يلي التنعيم فقال : ومنها السبيل المعروف بسبيل الجوخى ، وهو الآن معطل لخراجه ، ورأيت فيه حجراً ملقى مكتوباً فيه : إن المقتدر العباسي ووالدته أمرا بعمارة هذه السقاية ، والآبار التي وراءها ، وتصدقاً بها . وفيه : إن ذلك سنة اثنتين وثمانمائة . وإلى جانب ذلك حوض للبهائم .

(٢) بلوغ القرى لوحة ٨ و .

(٣) الفريق : تصغير فرق قيل موضع بتهامة . (معجم البلدان لياقوت) .

(٤) في الأصل « بلاد » ، والمثبت عن بلوغ القرى لوحة ١٠ و . وباب المنذب

هو مدخل البحر الأحمر من جهة الجنوب .

(٥) له ترجمة في التحفة اللطيفة ٨٠/٢ برقم ١٣١٦ .

- ٢٠٠ ظ محمد بن الزَّمن^(١) من الينبع إلى السيد الشريف ، وكانوا وصلوا جميعا . وتوجَّه هو إلى / المدينة لعمارة المسجد النبوي^(٢) . وأراد بإرسالهما أن^(٣) يكونا مشمولين بنظر السيد الشريف ؛ خوفا من أن يساعد أعداءهما عليهما ؛ فإن في مرسومه أن ولايات الحجاز كلها تتعلق بالسيد محمد بن بركات .

وفي يوم الجمعة ثانيه حضر الشريف إلى الحطيم ، ومعه القضاة والباش ، وإبراهيم ابن أخي الشمس بن الزمن ، وقرئت المراسيم . مرسوم الشريف يتضمن : أن الحاج وصل سالما ، وهم شاكرون منكم ، وأننا شكرنا امتثالكم لمرسومنا بمنع العراقيين ، وما تركتموهم يدخلون إلا بشرط أن يتوجه أميرهم إلينا ، وأن جميع ولايات الحجاز تتعلَّق بك ؛ فتولى فيها مَنْ تشاء . وأنه بلغنا أنه يؤخذ المكس على الحجاج الواصلين إلى جُدَّة من الشام ، وزاد المكس في هذه الأيام ، وإنا أرسلنا إليكم في ذلك ، فذكرت أنه ليس على

(١) له ترجمة في الضوء اللامع ٢٦٠/٨ برقم ٧٠٣ .

(٢) وكان المسجد النبوي سقطت عليه صاعقة في رمضان سنة ٨٨٦ هـ ، فاحترق منها المنارة التي تجاه القبر الشريف ، وسقوف المسجد جميعها ، والمنبر والحيطان ، والأعمدة والأبواب ، وما سلم من ذلك سوى القبة الشريفة ، وبعض حيطان المقصورة ، وقتل المؤذن الذي كان على المئذنة ، وقت نزول الصاعقة ، وقتل أيضاً جماعة ممن كان بالحرم الشريف . فعين السلطان الخواجا شمس الدين محمد بن الزمن للقيام بعمار المسجد ، ومعه عدة من البنائين والنجارين والمرحمين ، وشرع في البناء واتهوا منه في أواخر سنة ٨٨٧ هـ . (بدائع الزهور ١٨٧/٣ ، ١٨٨ ، وغاية الأمانى ٦١٢/٢ ، ٦١٣) .

(٣) في الأصل « أن لا يكونا » ، والمثبت عن بلوغ القرى لوحة ١٠ و .

- ذَهَبَكُمْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ ، وَحَلَفْتُمْ بِاللَّهِ أَنْكُمْ مَا تَأْخُذُونَ مِنْهُ شَيْئًا ،^١
وَأَنْ الْآخِذَ لَهُ هُمُ الْعَسْكَرُ ، وَإِنْ طَلَبْتُمْ تَرْكَهُ تَرْكُنَاهُ . وَقَدْ طَلَبْنَا
ذَلِكَ . وَأَنَّهُ بَلَّغْنَا مِنْ بَعْضِ طَلِبَةِ الْعِلْمِ أَنْ بِمَكَّةَ يَصْرِفُ الْمَحْلُوقُ^(١)
بِالْمَسَاعِيدِ^(٢) ، وَيُنَادِي عَلَى ذَلِكَ جَهَارًا وَيُقَالُ : مُحَلِّقَةٌ بِمَسَاعِيدِ .
وهذا حرام ، وذكروا أحاديث في ذلك . والمقصود ترك ذلك . وأنتك
مقرب عندنا ، وما عندنا أعز منك . وليس هو وولده السيد بركات
خلعتين^(٣) .

وفي جمادى الأولى سافر السيد الشريف لزيارة جدّه المصطفى
ﷺ ، وكانت قافلة سافرت قبله ، فلحقها وجاوزها ، وترك معها
خيلاً حتى دخلت المدينة ، وكان شيخ القافلة قاضي القضاة محيي
الدين عبد القادر الفاسي الحنبلي^(٤) . وفيها شيخنا خاتمة الحفاظ
شمس الدين السخاوي^(٥) ، وكتب لي من المدينة : أن السيد الشريف

(١) المحلق : ويجمع على محلقات ، وهي تسمية العامة للدراهم والدنانير . (محيط
المحيط ، وتكملة المعاجم العربية لدوزي) .

(٢) المساعيد : هي الدراهم المسعودية ، وتنسب إلى الملك المسعود يوسف بن
محمد بن أبي بكر بن أيوب صاحب اليمن ومكة . (العقد الثمين ٧/٤٩٢ برقم
٢٧٨٢ ، وغاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام ١/٥٨٩ برقم ١٥٥) .

(٣) بلوغ القرى لوحة ١٠ ظ .

(٤) هو عبد القادر بن عبد اللطيف بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن
عبد الرحمن ، محيي الدين أبو صالح بن السراج الحسني الفاسي . مات سنة ٨٩٨ هـ .
(الضوء اللامع ٤/٢٧٢ برقم ٧٢٧) .

(٦) هو صاحب الضوء اللامع ، والتحفة اللطيفة ، والتبر المسبوك وغيرها من
الكتب .

- ١ تصدّق بالمدينة بصدقة كبيرة أكثر من ألف دينار ، وأن السيد الشريف أَسْتَنَاب زُبَيْرِيّ في إمرة المدينة ، بعد عقود مجالس ، ومشاورة أهل المدينة في ولايته أو ولاية قُسَيْطِل ، ثم وقع الاختيار على زُبَيْرِيّ ، فلبس الخلعة . وصرح له الشريف بالنيابة وأنه يقبل فقَبِلَ .
- ٥ فلما [لبس]^(٤) قَبِلَ بساطَ السيد محمد . واشترط عليه المعزولون أموراً مشقة — لكونهم من جهة السيد محمد — فما وسعه إلا الموافقة ، منها : أن ثمار المعزولين تكون لهم في هذا العام ، وأنهم في وجهه إلى الموسم ، وأن وزير المعزول له مال عند المعزول أو أناس ، فيرهنون عنده حدائق تكون عنده إلى أن يعطونه^(٢) أصحابُ الأموال ماله ، أو يبيع ويأخذ ماله ، وأن لُبَيْدًا قاصدَ المعزول أخذ له وجهها
- ١٠ فما وفوا بذلك ؛ فإنه خرج مع القافلة قاصدا السيد محمدا فقتل قبل المدرج ، ويقال : إن زبيري تَدَرَّكَ^(٣) بإحضار الذين قتلوه . والله يصلح الأحوال .

- وفي ليلة الاثنين خامس عشر رمضان وصل السيد محمد من جُدَّة ومعه بعض بنيه وإخوانه وعسكره . وفارقه ابنه السيد بركات
- ١٥ وذهب في بقية العسكر إلى سَايَة ، واتفق أن [بعض]^(١) أهل الفرع أرضاه بمال ، وأبى بعضهم ؛ فقطع لهم نخيلا كثيرا ، يقال إنه أكثر من أربعة آلاف نخلة .

(١) إضافة عن بلوغ القرى لوحة ١١ و .

(٢) كذا في الأصل .

(٣) كذا في الأصل ، وفي بلوغ القرى لوحة ١١ و « مر » .

وكان وصل قبل الشريف قاصد من مصر ومعه مراسيم ،^١
 فاجتمع بالسيد محمد القاصد وهو مملوك اسمه تُحشَقْدَم ، وما تحققنا
 مقصده ويقال /: إنه جاء بسبب أولاد حسن بك صاحب العراق ؛ ٢٠١ و
 فإنه شاع ببلادهم أنه أرسل إلى السلطان أنه واصل ، أو مُرْسِلٌ
 عسكرا إلى مكة مع محمله ، ومعهم كسوة للكعبة يكسوها .^٥
 فيتَحَفَّظُ الشريف ويجمع العساكر ، ويرسل إلى ابن جَبْر : ألا يحج
 في هذه السنة ، ولا يُعَيِّنُ أولاد ابن حسن بك^(١) .

وسافر الشريف في ليلة الثلاثاء سادس عشر الشهر [إلى
 اليمن]^(٢) وأرسل في سنة ثمان وثمانين إلى مكة - وهو باليمن - ولذيه
 بركات وهَيَزَعًا وجمعا كثيرا من عسكرهما ومن جماعتهما ، والأعراب ؛^{١٠}
 لأجل غزو الحُنَيْش ؛ فإنه جاءهم الخبر أنه بالوطاة ، فوصلوا مكة
 يوم السبت خامس صفر الخير ، وتوجهوا منها إليه .
 وفي يوم الخميس عاشر الشهر وصل الخبرُ إلى مكة بأن
 الشريف بركات ظفر بعرب الحُنَيْش وأخذ منهم فريقين ، وقتل
 جماعة ، ومسك جماعة ، ونجا فريقٌ ثالث فيهم الحُنَيْش ، ونهبوا حلة^{١٥}
 الفريقين ، وغنموا إبلا وشاء كثيرا ، وتقاسموا ذلك ، ووصلوا لمكة
 يوم الأحد ثالث عشر الشهر ، وسافروا في يومهم إلى الفريقِ بناحية

(١) المرجع السابق .

(٢) إضافة عن بلوغ القرى لوحة ١٢ ظ

اليمن^(١) .

ووصل الشريف محمد لمكة في يوم السبت تاسع ربيع الأول ،
 وقرىء ثانياً يوم مرسومه بالحطيم بحضور القضاة والباش . وفيه :
 الثناء عليه من السلطان ، وأنتك مقرب عندنا ، وأمير جميع الحجاز ،
 ووصل الحجاج وهم سالمون شاكرون منك ، وأمير الحاج وصله .
 عادته بمكة والينبوع . ولبس الشريف خلعتة ، وكان لولده خلعة
 ولكنه لم يصل لتوعكه^(٢) .

وفي يوم الأحد سابع ربيع الثاني سافرت قافلة بجيلة من على
 منى وعرفات وكراً ، فلما وصلوا قرب كراً خرج عليهم عربٌ من
 هُدَيْل ، وهم فرقة من عرب الفصوص^(٣) أهل البادية ، ونهبوا القافلة .
 جميعها حتى الجمال ، وقتلوا جملة من الرجال ، وجرحوا بعضهم ،
 ويقال إن الذي أخذوه غير الجمال [يجيء]^(٤) بأربعة آلاف
 دينار . ثم إن العرب أرسلوا يسألون في الصلح وهم يُردُّون جميع
 ذلك لأربابه ، فإن أبا الشريف فمّن أراد أن يشتري متاعه فليأتهم .
 وكان مع القافلة رفيق مُقَدَّم ، ويقال إنه قال : ما أرفقُ إلا على هذه ١٥

(١) بلوغ القرى لوحة ١٤ ظ . وسيد في ترجمة الشريف بركات بن محمد أن
 عرب حنيش فخذ من ناصرة عرب بجيلة ، واسم شيخهم بريمان (أو ربحان) وانظر لوحة
 ٢٢٣ و .

(٢) بلوغ القرى لوحة ١٥ ظ .

(٣) كذا في الأصل ، وفي بلوغ القرى لوحة ١٦ ظ « القصقوص » .

(٤) إضافة عن بلوغ القرى لوحة ١٦ و .

- الفرقة^(١) . ووصل الخبرُ إلى مكة ، ثم إلى الشريف ، فأرسل رتبة خيل تجلس تحت جبل هؤلاء حتى يَسْتَصْرِخَ عليهم العُربان . والله يأخذهم أخذ عزيز مقتدر .

ثم وصل لمكة الشريف محمد ونائب جُدة الشمسى محمد بن

- عبدالرحمن^(٢) فى ليلة الثلاثاء سادس عشرى الشهر ، واجتمعوا بالخطيم مع القضاة والباش والترك ، وقرئ مرسومان للشريف يتضمنان : التوصية على نائب جُدة ومساعدته ، وإقامة حرمة حتى يرجع ، ويساعد على المتحصل لذخيرتنا الشريفة ، ويشترى به فلفل الذخيرة ، وفى أحد المرسومين : إنا نحن قد أبطلنا المكوس التى بالمدينة ، وعوضنا عنها صاحب المدينة مكاناً بقرية ذُكرت ، وإنا نحن قد أرسلنا نعلمه بذلك ، وإنكم ترسلون له وتؤكدون عليه فى ذلك ؛ ليبقى ذلك فى صحائفنا ، وصحائف من يساعد على ذلك إلى يوم القيامة . وتاريخ المرسوم ثالث ربيع الأول . وليس خلعته .

وسار فى يوم الثلاثاء المذكور إلى أهله ، بطريق جُدة ،

- واستصرخ العُربان على هُدَيل بأن يأخذوا عليهم الطرقات حتى يأمرهم / بالزحف عليهم ، والطلوع عليهم بجبالهم ، وواعدهم على ٢٠١ ظ اليوم الخامس من الشهر الداخلى

(١) وعبارة بلوغ القرى لوحة ١٦ و' ما أرفق إلا على غير هؤلاء منهم أو من

غيرهم » .

(٢) بدائع الزهور ٢٠٣/٣ ، وفيه توفي سنة ٨٨٨ هـ .

١ وأرسل ولده السيد بركات ومعه عسكره بقصد الغزو بالشرق ، فوصل مكة في يوم الثلاثاء ثالث عشر شعبان ، وسافر من يومه ، ثم جاء الخبر لمكة في يوم الأحد ثاني شهر رمضان بأنه غزا الذين توجه إليهم ، وغنم منهم خمسة وعشرين قطيعا . وهربوا ، وادعى بعض أهل الشرق المؤاخين : أن لهم مالا عند هؤلاء وديعة ، فجاءوا بالبيّنة فأعطوهم المُدَّعى به ، وبقي الباقي ، فجاء آخرون وادَّعوا بذلك أيضا ، واتفق معهم على أن يأتوا بالتشابث (١) على هذا ، ثم وصل السيد بركات لمكة في ليلة الجمعة سابع الشهر ، وسافر في يومها إلى الفرّيق بناحية اليمن .

١٠ ووصل السيد محمد في ليلة الأحد ثامن عشر شعبان ، وكان وصل قبله بيوم الثَّوَابُ بجدة . وشيخ الدالين ، وفتيا الشمسى [محمد] (٢) بن عبدالرحمن نائب جدة المتوفى ، واجتمعوا في هذا اليوم عند السيد محمد . وكذا قاضى القضاة الشافعي وجماعته ، والخواجا جمال الدين الطاهر ، وقرىء عليهم بعض المراسيم ، وأظنه مرسوم الشريف وفيه : الأمرُ بضبط مُخَلَّف نائب جدة المذكور ، وكذا مال التجار الذين ماتوا ؛ فإنّ الخزانة محتاجة ، ويُشترى الفلفل الواصل في المركبين المتخلفين الواصلين ، ويقبض مِمَّن عليه عادة للذخيرة الشريفة بالكامل (٣) ، مع ظن أصحابها أن يُترك لهم شيء

(١) كذا في الأصل ، وفي بلوغ القرى لوحة ١٨ و « بالبينات » .

(٢) إضافة عما ورد في صدر الخبر .

(٣) بلوغ القرى لوحة ١٨ و ، وأضاف بعد ذلك « وغير ذلك مما لم يبلغني

تفصيله كما ينبغي ؛ فإنني لم أحضره » .

١ في مقابل كَوْنِ الموسم ليس مثل العادة ، فخاب أملهم . وأكَّـدَ أيضا في ضَبْطِ مال التجار الذين ماتوا في هذه السنة بـجُـدَّة ومكة ، ومطالعة السلطان بذلك .

وفي شوال طلب السيد محمد من بعض القواد العمرة ما معهم من الخيول والدروع . فامتنعوا ، ثم أجابوا إلى ذلك بشرط أن يكونوا في وجهه ، أو يمنعه من الأشراف ذوى أبى نُـمَيِّ . فأبى من ذلك ، وأمرهم بالرحيل من بلاده ؛ فاستمهلوه مدة — لعلها ثلاثة أيام — فأرسل إلى الأشراف ذوى أبى نُـمَيِّ يأمرهم بالمسير عليهم^(١) ، فلم يفعلوا .

١٠ وفي يوم الأحد رابع عِشْرِى المحرم سنة تسع وثمانين وصل لمكة السيد محمد ، وغالب أولاده الذكور الكبار ، وبعض جماعته ؛ لزيارة قاضى القضاة برهان الدين بن ظهيرة ، فإنه حصل له في قدمه اليسرى وجعٌ منعه من البروز إلى المسجد ، وكان يعتريه [قديما]^(٢) ثم تحرَّك عليه في هذا الشهر — عافاه الله وشفاه — ثم عاد إلى أهله في يوم الثلاثاء سادس عِشْرِى الشهر .

١٥ وفي يوم الخميس عاشر الشهر^(٣) وصل إلى مكة هو وأولاده وجماعته ، واجتمع بالحطيم ثانى عشر الشهر هو وولَّـدُ السيد

(١) بلوغ القرى لوحة ٢٤ ظ .

(٢) بلوغ القرى لوحة ٢٥ و .

(٣) بلوغ القرى لوحة ٢٧ ظ .

- بركات ، والقضاة^(١) ، والباش^(٢) ، والمحاسب^(٣) ، وقُرِئَت المراسيم^١ ،
منها له مَرُسُومَان : الأول يتضمن : الشكر منه ، وسلامة الحجاج
وأمرائه ، وهم شاكرون منه ، وأنعمنا عليك وعلى ولدك بخلفتين .
والثاني يتضمن : أن نائب جدة كان له عادة على بعض التجار ،
يحملها إلى خزانتنا الشريفة ، ولما مات المرحوم الشمسي [محمد]^(٤) .
ابن عبدالرحمن لم يؤخذ منهم ذلك ؛ فليؤخذ منهم ذلك على العادة
ويرسل إلينا .

- وفي يومه توجه إلى الوادي وعاد ، وسافر هو وجماعته إلى
٢٠٢ و الشرق^(٥) ، ثم عاد^(٦) لأجل ملاقة نائب / جُدَّة ، فعرض له .
وخلع عليه مثل العادة ، واجتمعوا بالخطيم ؛ فقرأ مرسوم
الشريف ، وفيه : التوصية بنائب جدة ، وأنه مقرب إلى المقام
الشريف ، وأنتك تفعل بالتذكرة التي مع نائب جُدَّة — ولم يعلم
مضمونها — وتوجه إلى الوادي ، ثم عاد لمكة ، وسافر إلى الشرق ،

(١) وهم : قاضي القضاة برهان الدين بن ظهيرة الشافعي ، وابنه القاضي
جمال الدين أبو السعود ، وأخوه قاضي جدة فخر الدين أبو بكر ، وقاضي الحنفية
شرف الدين أبو القاسم بن الضياء ، وقاضي المالكية نجم الدين بن يعقوب . (بلوغ
القرى لوحة ٢٢ ظ) .

(٢) هو شاد بك . (المرجع السابق) .

(٣) هو الأمير سنقر الجمالي . (المرجع السابق) .

(٤) إضافة عما سبق .

(٥) بلوغ القرى لوحة ٢٣ و .

(٦) وكان وصوله إلى مكة في يوم الأحد ١٩ جمادى الأولى . (بلوغ القرى لوحة

٢٣ ظ) .

- وتوجّه إلى المدينة وزار جدّه المصطفى ﷺ ، وعاد لمكة في شعبان^(١) . وسافر فيه إلى اليمن ، ثم إلى مكان بقرب بئر شُمَيْس ، فلما مات أخو القاضي برهان الدين ، قاضى جدّة الفخري أبو بكر في ليلة الأربعاء ثانی عَشْرَى رمضان أُرْسِلَ للشَّريف فحضر جنازته ، ثم صار يحضر الرّبعة صباحا ومساء بالمسجد والمعلّاة إلى يوم الختم ، ثم اعتمر وسافر^(٢) .

- وفي سنة تسعين — في يوم الأحد ثاني عشرى ربيع الآخر — وصل إلى مكة من مصر قاصدُ الشَّريف الشَّريف عَنقَاء بن وُبَيْر بن عَطَّاف التَّمَوِيّ ، ومعه الشَّريف يحيى بن الشَّريف سَبْع صاحب يَنْبُع ، وفي ثاني يوم وصل الشَّريف دَرَّاج صاحب يَنْبُع ، وكان حصل بينه وبين يحيى قتال ونَهَبٌ في هذا العام ، تعدّى فيه دَرَّاج أولا على المذكور ، وعلى جماعة نفسه . ثم حشدوا له وحصلوه ببلده ، ثم جاودهم إلى مدة وأعطاهم مبلغا له صورة على ذلك ، ورأى العجز من نفسه^(٣) .

- وفي يوم الجمعة سابع عشرى الشهر وصل الشَّريف وولده إلى مكة من الشرق — وكان في أثناء هذا الشهر جاء لمكة ، وسافر إلى الشرق — واجتمعا بالخطيم مع القضاة والباشا والمحتسب ، والقاضى

(١) بلوغ القرى لوحة ٢٤ ظ .

(٢) بلوغ القرى لوحة ٢٥ و .

(٣) بلوغ القرى لوحة ٢٧ ظ .

- ١ ناظر الجيوش المنصورة بالملكة الأشرفية ، كمال الدين ابن ناظر الخاص جمال الدين ابن كاتب جكم^(١) ، وكان حجّ ثم جاور . وقرئت المراسيم ، ولبست الخلع . وفي مرسومه الأول : أن الحاج والأجناد الواصلين من مكة كثيروا الثناء عليكم ، وكذلك القاضي بدر الدين أبو البقاء بن الجيعان^(٢) . وفي الثاني أن البيّارم لا تُعمل فيها نصائع الذهب ، وأن جميع السّمْن والعسل والقمح وغير ذلك من المأكولات لاتباع إلا في وكالة السلطان ، وأن السوق لايجلس فيه أحد للبيع والشراء ، وتشال القمامات من الطرقات^(٣) .

- وفي أول الشهر بعده وصل نائب جُدّة أبو الفتح المنصوري ، ولقاه الشريف ، وقرئت المراسيم بالخطيم . ومضمونها : التوصية عليه . والمساعدة على ما يتحصل للخزانة الشريفة^(٤) .

- وفي سنة إحدى وتسعين كان الشريف متشوشا من الخطيب محب الدين النويري ؛ فإنه يُرخى صوته عند الدعاء له ، ويختصر جدا ، ويقول : هذا هو العادة . وضم إلى ذلك التعريض بالقاضي الشافعي برهان الدين بن ظهيرة ، وولده القاضي جمال الدين أبى

(١) هو محمد بن يوسف بن عبد الكريم ، الكمال بن الجمال القاهري ، توفي في شعبان سنة ٨٩٠ هـ . (الضوء اللامع ٩٤/١٠ برقم ٣٠٦ ، وبدائع الزهور ٢٢٠/٣) .

(٢) هو محمد بن يحيى بن شاكر بن عبد الغني بن الجيعان . (الضوء اللامع ٨/١١ برقم ٢١) .

(٣) بلوغ القرى لوحة ٢٨ و .

(٤) المرجع السابق .

- السعود . فأتفق موت مستولدة للسيد بركات [وهي ^(١) كوكب الحبشية والدة ولده أبى سعد فى يوم الجمعة ، فأراد الخطيب الصلاة عليها ، فمنعه القائد مسعود بن قنيد من ذلك ، وترك بعض المصريين ^(٢) صلى عليها ، فتشوش الخطيب لذلك وتكلم ؛ فحصل بينه وبين القائد مسعود كلام ، فسمع بذلك الشريف محمد وهو فى أهله بناحية اليمن ؛ فأرسل إلى مسعود وقال له : أرسل إلى الخطيب وقل له يدعو لى جهرا ، وإلا منعه . فأرسل إليه ، وكان ذلك فى آخر جمعة من / ربيع الأول .
- ٢٠٢ ظ

- فلما كان ليلة الجمعة ثانى ربيع الآخر وصل السيد بركات مكة لينظر ما يدعو به الخطيب لوالده ؛ فأرجف الناس بأنه يريد منعه أو البطش به ، فامتأ المسجد وسطحه بالرجال والنساء ، فدعا له جهرا وزاد فى دعائه ، إلا أنه لم يسكت على ذلك بل عرض بالقاضى وابنه ، وذكر أنهما يريدان الرمي بينى وبين الشريف ، وإن كان يكره الشريف وأولاده فالله يهلكه ويهلك أولاده . وصلى ، وبعد الصلاة انتبز له أوباش وباكتوه بأن هذا الذى يفعله فى الخطبة يبطلها . وحصل بينه وبينهم مساببة ، وأعاد بعضهم الصلاة ، فلما وصل الزيادة — وهو قاصد بيته بالسويقة — كثر الناس عليه وعلى

(١) إضافة على الأصل . وفى بلوغ القرى لوحة ٣١ و ، ماتت فى عشاء ليلة الجمعة رابع عشرى ربيع الأول بناحية اليمن ، وحملت إلى مكة ، فوصلتها ضحى الجمعة .

(٢) وهو زين الدين عبد الرحمن بن الأدمى المصرى . (بلوغ القرى لوحة

من معه بالصياح والرجم والضرب ؛ فعاد إلى وسط المسجد ،^١
فصادف مجيء رُسُل السيد بركات القائدين بدر هجين ، ومسعود
بن قنيد ، فقالا له : ارجع ما عليك - ومشيا معه إلى أن خرج من
باب المسجد ، وقالا له : السيّد الشريف قال لك أَلَزَمَ بَيْتَكَ ،
ولا تخطب حتى يراجع السلطان ، وتجيء مراسيمه . قال : وأنا الآخر
كذلك . وأرسل الشريف إلى الإمام محب الدين الطبري يأمره بأن
يخطب ، فصار يخطب هو وولده بقيّة السنة والتي بعدها - واتفق
موت القاضي برهان الدين^(١) - وتوجّه الخطيب في الموسم إلى
المدينة ، ثم إلى مصر ، وعاد إلى مكة . وقد تكلم المباشرون في
الصلح بينه وبين الشريف والقاضي الجمالي أبي السعود ، فسلم عليه
القاضي لما وصل ، ووالاه خيرا كثيرا ، وكذلك السيد الشريف ،
وحصل له مدرسة ابن الحدّاد : بيتا خربا بالقرب من الشبيكة .
كان لبعض الشرفاء ، فعمره بيتا ، ورثب له هو وولده بركات كلّ
سنة شيئا . ووقع الصلح . ولله الحمد والشكر والمنة .

وفي سابع الشهر اجتمعوا بالخطيم ، وقرئت المراسيم .^{١٥}
ومضمون مرسوم السيد : بأنه وصلنا مكاتبتكم ، وفهمنا
مضمونها ، ووصل الحاج وهم شاكرون ، وتزايّد شكرنا ، وأنت
مقرّب منا ، وجميع ولايات الحجاز منوطة بك ، ولتقمع أهل البغي

(١) هو برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد بن ظهيرة القرشي المكي الشافعي ،

قاضي القضاة ، توفي ليلة الجمعة سادس ذى القعدة سنة ٨٩١ هـ . (الضوء اللامع

١/٨٨ ، وبلوغ القرى لوحة ٣٣ ظ) .

١ والفساد ، وَجَهَّزْنَا لَكَ وَلابْنِكَ خَلْعَتَيْنِ فَلَتَلْبَسَاهُمَا . فَلْبَسَاهُمَا .

وفى يوم الجمعة تاسع الشهر سافر السيد محمد إلى أهله بناحية اليمن بعد صلاة الجمعة والطواف بعدها ، ودعا له الرئيس على ظُلَّةٍ زَمَزَمَ الدعاء المعروف .

٥ ثم توجَّه إلى ينبع لأجل محاربة بني إبراهيم ، ثم تلاه ولده السيد بركات فى خامس جمادى الأولى^(١) ، ومعه العسكر . ثم وصل منه قاصد — وهو بالسويق — وأخبر أنه تلاقى هو وبنو إبراهيم ، وكان النصر فيه له ، وولَّى بنو إبراهيم هَرَبًا بعد أن ثبتوا ، وقتل منهم نحو الأربعين ، وقطعت يد ابن بَدَّالِ اليُمْنَى ، وقُتِلَ من جماعة الشريف نَزْرُ يسير .

١٠ ثم فى تاسع عَشْرِ الشهر وصل قاصدٌ من السيد من ينبع ، ومعه منه كتاب لقاضى القضاة برهان الدين بخط الشريف ، وقرأه فى يومه على الحاضرين عنده بمجلس حكمه ، وفيه : أن المقتولين بالقتل والجراح من بني إبراهيم ومن معهم أكثر من مائة نفس ، وبالعطش أكثر من مائتين ؛ وجملة ذلك نحو أربعمائة نفس ، وأنهم هربوا وتَوَزَّعُوا فى جبلين ، وبعضهم قصد خَيْبَرَ ، وقد أُرْسِلَتْ / ورقةٌ لأهل خير ألا يؤوؤهم ، وأن يَنْهَبُوهم ويقتلوهم^(٢) — والله ينصره ٢٠٣ ويزيده تأييدا ، ويهلك على يديه أهل البغي والعناد .

(١) أي من سنة ٨٩١ هـ . (بلوغ القرى لوحة ٣٢ و) .

(٢) المرجع السابق .

وفي جمادى الثانية^(١) وصل قاصد من الشريف ، وأخبر
بوصول القاصد من مصر الذي كان أُرسِلَ بسبب الخطيب ،
ومعه مرسوم يتضمن : إمضاء ما فعله الشريف بالخطيب ، وهو أنه
يستمرُّ بطَّالاً إلى الموسم ، ويصل إلى الأبواب الشريفة ، ويكون
الإمام محب الدين مستمرا على الخطبة يوم الجمعة ، إلى أن يصل أبو
بكر النويري الخطيب من الهند . ثم وصل الشريف وأولاده وعسكره
إلى مكة في رابع عشر شعبان .

وفي سادس عشره توجَّه إلى صوب أهله بقُدَيْد ، بقصد
التوجَّه إلى ينبع ؛ فإنه جاء قاصدٌ منها ، وأخبره بأن بنى إبراهيم
مُصَبِّحُوهم^(٢) ، وكذا جاء كتاب من الشريف عنقاء . فإن
الشريف سمع وهو بقُدَيْد الخلاف في ينبع ، فأرسله ليكشف له
الخبر ويطلعه بذلك . ثم وصل إلى مكة في سابع عشر الشهر ،
وأقام بها إلى تاسع عشر الشهر ، وعاد إلى أهله وكان تركهم
بشوطان^(٣) بطريق الوادي ، لأجل المرعى والصيد . ثم جاء مكة ليلا
في أواخر شوال ، واجتمع بالقاضى برهان الدين ، وعاد من ليلته .
ثم جاء ليلة موته — ليلة الجمعة سادس ذى القعدة — هو وأولاده

(١) أي في يوم الخميس الخامس منه من سنة ٨٩١ هـ . كما في بلوغ القرى

لوحة ٣٢ و .

(٢) في الأصل ، والمرجع السابق « مصبحيهم » .

(٣) شوطان : مكان غربي الجموم بالقرب من جبل سدر ، ولا تزال هناك ساقية

شوطان . (إملاء الدكتور عبد الله الحسيني) .

- الذكور ، وفي الصبح بناته ونسوانه . وخرج مع الجنازة من البيت ،
 وطلع ماشيا ، وكان يحمل الجنازة في الطريق ويبكى ، وجلس مع
 الناس على القبر . ورجع هو وأولاده وجماعته مشاة ، مع ولد القاضي
 إلى البيت ، واستمروا يحضرون الربرة صباحا ومساء بالمسجد
 والمعلقة . ثم سافر يوم الختم بعد أن جاء إلى بيت القاضي أيضا ،
 وسلم على ولده وأخته وبناته ، وجبرهم بكلمات نافعة ، وأمر بكتابة
 محضر يُرسل للسلطان ، فيه : الإخبار بالوفاة ، وسؤاله أن تكون
 وظائفه لابنه ، وأنه أهل لذلك . وتوجه هو بخطه ، وكتب فيه
 الباش^(١) ، وأرسل مع القاصد زهير البلوي إلى مصر ، في ليلة
 الثلاثاء عاشر القعدة . ثم جاء السيد لمكة ليلة سادس عشر
 الشهر ، وطلع في صبحتها إلى المعلقة وزار القاضي ، وزاره ثاني يوم
 أيضا .

- وفي يوم الجمعة ثالث عشر من ربيع الأول من سنة اثنتين
 وتسعين وصل قاصد السيد محمد الشريف عنقاء بن ويبر إلى
 مكة ، ومعه صاحب ينبع الشريف دراج ، والشريف يحيى بن
 سبع بن هجان ، وطافوا وسعوا ؛ فإنهم كانوا محرمين ، وتوجهوا إلى
 الشريف بعد صلاة الجمعة ، وهو بناحية اليمن . وسبب مجيء دراج وابن
 سبع أن ابن سبع ، وابن بزال الإبراهيمي وقفوا للسلطان وأعطوا في
 ولاية ينبع ثلاثين ألف دينار للسلطان ، وأن يسكن المعزول ينبعا ،
 وإلا يُعطي المتولى دراج ذلك ويسكنون البلاد . فقال السلطان :
 ٢٠

(١) زاد بلوغ القرى لوحة ١٤ و « وكتب أيضا القضاة والأمراء وكبار العلماء

والفقهاء » .

- ١ مليح ، يروحوا للشريف محمد ، أنا ما أعرف إلا هو ، إما أن يعطي وإلا يعطون . ووصى السلطان الشريف عنقاء على ولد سَبْع وعلى ابن بَذال ، فتأخر ابن بَذال يَنْبَع (١) .

وفي خامس عِشْرِي الشهر وصل الشريف وأولاده وعسكره ٢٠٣ ظ مكة ؛ لأجل اختلاص خلعة الاستمرار ، فاجتمعوا والقضاة / والباش بالحطيم ، وقرىء مرسوم الشريف ، وفيه : الثناء ، وأن الحاج وصلوا سالمين شاكرين ، وأنتك عندنا من المقربين . ولبس هو وولده خلعتيهما (٢) .

- وفي أول ربيع الآخر سافر السيد محمد إلى بلاد الحجاز ؛ لرؤية البلاد التي صارت له فيها ، ورؤية العمارة التي تعمرت فيها ، ١٠ وسافر ولده السيد بركات ومعه العسكر إلى ناحية الشرق للغزو ، ومعه صاحب يَنْبَع دَرَّاج ويحيى بن سَبْع بن هَجَّان . وفي سابع الشهر وصل بعض العسكر وأخبر أنه انتصر وغنم وصولح ، وكان مما غنم نحو سبعين من الإبل ، وأنه أعطاها لِيَحْيَى بن سَبْع ، وأنه توجه لوالده بالحجاز . ثم وصلوا جميعا لمكة في حادي عشر ١٥ الشهر ، وفي ثالث عشر الشهر سافروا إلى أهلهم باليمن (٣) .

وفي ليلة سابع عشر رمضان وصل السيد محمد ، وولده

(١) بلوغ القرى لوحة ٣٦ ظ .

(٢) بلوغ القرى لوحة ٣٧ و .

(٣) بلوغ القرى لوحة ٣٧ ظ .

- السيد الزيني بركات وبعض جماعته ، ونائب جُدَّة القاضي أبو الفتح ١
المنصوري ، وكان محرماً بعمرة ، وطاف وسعى ، وخرج إلى
الزاهر ، وبات به ، إلى الصباح ، فخرج للقائه بُكْرَةَ النهار السيد
محمد وولده وعسكره ، فخلع على الشريف وولده ، ودخلوا المسجد
الحرام ، فلاقاهم القضاة وجلسوا بالخطيم ، وقرئ مرسوم الشريف ٥
ومضمونه : التوصية على نائب جُدَّة . وسافر الشريف وجماعته إلى
أهله بناحية اليمن ليلة التاسع والعشرين (١) .

- وفي يوم الخميس رابع جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين وصل
السيد وأولاده وبعض عسكره إلى قُوز المَكَّاسَةِ ، وعرج هو ومضى
من تحت جبل ثُور إلى أن وصل إلى مزدلفة ، ثم إلى قرب مُحَسَّر ، ١٠
وجلس هناك بشعب . ودخل أولاده وبعض العسكر إلى مكة ،
وتوجَّه القضاة — إلا الشافعي — وجماعة من جماعته لتعزية الشريف
بابنه مُهَيِّزِع ، وعادوا في يومهم .

- وفي ظهر الجمعة وصل إلى مكة — والخطيب على المنبر — فصلى ،
ثم دخل الطواف هو وأولاده فطافوا ، ودعا له الرئيس فوق ظلة زمزم . ١٥
فقالوا : لم ينشرح بالدعاء ، وكأنه لكونه حزينا . ثم سافر هو وأولاده
وعسكره إلى جهة الشرق للغزو ؛ فإنه يقال : إن بعض بنى لام
خرب بعض حصون خاله شَامَان ، ثم عادوا إلى مكة في خامس

(١) بلوغ القرى لوحة ٣٨ ظ .

(٢) المرجع السابق .

رجب ، وتوجهوا إلى الصيف^(١) .

وفي ليلة الاثنين تاسع رجب وصل الشريف ، ونائب جُدة شاهين الجمالي لمكة . وفي ثاني تاريخه اجتمعا والقاضيان الشافعي والمالكي ، والمحتسب بالحطيم ، وقرئت المراسيم ، ولبس الشريف وولده خلعتيهما ، وسافر إلى صوب اليمن ، ثم عاد الشريف وحده إلى مكة عن قرب ، واستمر بها إلى أواخر الشهر ، ثم سافر وعيّد عند أهله ، ثم عاد في أوائل شوال ، وتوجّه هو والقاضي الشافعي^(٢) إلى الزّيمة وغيرها من بلاد نخلة ، ثم عادا عن يوم أو يومين إلى وادي مرّ .

وفي ثاني المحرم — أو ثالثه — من سنة أربع وتسعين توجّه القائد مفتاح البوقيري — من كبار عبيد السيد محمد — في عسكر سيّده ، وأخذ جماعة من مكة ممن مرجعهم إلى العرب وسكنوا بمكة ، وجعلوا عليهم أسلحتهم وزوّادتهم ، فمن كان معه ذلك قام به ، ومن عجز عن ذلك قام به جماعة الذين ينتمى إليهم من أهل فوق ، أو المسفلة ، أو الجرامة^(٣) ، أو أهل سوق الليل — سلاحا ٢٠٤ و مأكلا — وخرج يريد عرب آل جميل ، وهم / بجبلهم المقيمين به

(١) بلوغ القرى لوحة ٤١ ظ ، ٤٢ و .

(٢) وفي بلوغ القرى لوحة ٤٣ ظ « هو والقاضي الشافعي جمال الدين أبو السعود بن ظهيرة ، والزيني عبد الباسط بن ظهيرة » .

(٣) كذا في الأصل ، وبلوغ القرى لوحة ٤٤ و . ولعلها القرارة المعروفة ، وهي مصاقبة لفلق ابن الزبير ، وكانت تسمى قرارة المدحي . (أخبار مكة للأزرقي ٢٦٨/٢ وهامشه) .

- ١ بالقرب من عرفة ومن الحجاز ، وأرسل إلى العُربان بأن يسيروا معهم ، ومن لايسير فهو من الشريف في النقا ، فأبى كثير من العربان المسير ، وانتمى إلى آل جميل عرب هُذَيْل وغيرهم . فلما وصل البوقيري إلى تحت جبلهم ترك الذين أخذهم من مكة وبعض العربان ومعهم خيالان هما : عَنان بن قُنَيْد أخو مسعود ، وعلى بن رشيد ، وتوجّه هو والخيالة وكثير من العسكر إلى الحجاز ليأخذ أهل الحجاز ليسيروا معه عليهم من أعلى الجبل ، وليقطع كَرَمًا لهم بالحجاز ، وكذا دوراً لهم . فلما سمع آل جميل بأنه فاعل ذلك نزلوا على الذين تحت الجبل ، وقتلوا منهم مقتلة كبيرة ، ونهبوهم وتبعوهم للسَّبْيِ إلى أن أوصلوهم — لعله — إلى قرب عرفة ، ومسكوا جماعة ١٠ ومنهم الخيالان ، وأطلقوهما كرامة للشريف . وتُسَمَّى هذه الغزوة — أو التي بعدها — مراوة^(١) . وجاء الخبر إلى مكة ليلة الجمعة ثامن المحرم ، فحصل الضجيج والبكاء من نواحي مكة على المقتولين ، وكانوا ثلاثة وأربعين ، فبلغ الشريف ذلك ، فأمر بخمسين فارساً ملبسين هم وخيلهم ، وثلاثمائة راجل ، وجميع عرب الدار كَقُرَيْش ، ١٥ وُخَزَاعَةَ ، وبني أسلم — ويقال وهذيل — وأمرهم أن يرحلوا بأهلهم وهُوْشَهُمْ^(٢) إلى تحت جبلهم ، ويقيموا هناك إلى أن ينزلوا على

(١) مراوة : جبال حمر عالية على ظهر السراة جنوب الحيلة ، تلي جبال غفار من الجنوب في ديار هذيل ، مأوها الغربي في وادي الضيقة في نعمان ، والشرقي في وادي الضحياء في وج ، والسرب في الغديرين ، ثم المحرم فنخلة . (معجم معالم الحجاز) .

(٢) قال في القاموس : « الهوش العديد الكثير . وجاء بالهوش الهائش : بالكثرة . والهواشات بالضم : الجماعات من الناس والإبل » . « المراجع » .

- ١ حكمهم أو يقاتلوا ، أو تفنى أزودتهم وينزلوا للقتال أو غيره ، ويكون مفتاح البوقيري ومن معه في طريقهم من جهة الحجاز . وفي أوائل النصف الثاني من المحرم توجه العسكر من مكة إلى عرب آل جميل ، فأقاموا بعرفات ، وأرسلوا لجمع من العرب يصلون إليهم^(١) .
- ٥ وفي العشرين من هذا الشهر شرع في هدم المدرسة البَنَجَالِيَّة ؛ لأن السيد الشريف استأجرها من القاضي الشافعي — أو صرفت له بمرسوم شريف^(٢) — وكان بها قديما مدرسون وطلبة من المذاهب الأربعة ، ثم إن القاضي الشافعي فرق ذهباً من الشريف على القضاة والأعيان ، فكان ما خص القضاة كل واحد خمسين دينارا ، على ما أخبرني به القاضي الشافعي ، بعد أن كان أشيع أن كل واحد أعطى عشرون دينارا ، وخص جماعة من الطلبة بالمدرسة المذكورة من المذاهب الأربعة بشيء ، وخصني بعشرة — (وكان لجماعتنا أطلاب كثيرة^(٣) — وجعلت قاعة بايوان ، وتحتها حاصل بياض يدخل له من المسجد ، وعلوها طبقة بخرجة على باب المسجد المعروف بأم هانئ ، وجعل للقاعة بابان : باب من الحرم بدرجة ، وباب لطيف من عند باب المسجد .

وفي ليلة الخميس ثالث عشر ربيع الثاني وصل إلى مكة

(١) بلوغ القرى لوحة ٤٤ ، و ظ .

(٢) كذا في الأصل ، وفي المرجع السابق « شرعي » .

(٣) كذا في الأصل ، ولم ترد هذه العبارة في بلوغ القرى لوحة ٤٤ ظ ، ضمن

- ١ السيد محمد ، وولده السيد بركات ، وحضروا والقضاة ، والأمير المحتسب سُتُّر الجمالي في النهار بالحطيم ، وقرئت المراسيم ، ومضمون مرسوم السيد : أنه وصلنا قاصدكم الشريف زين الدين عَظِيْفَة ، وَبَلَّغْنَا غِيَةَ الشَّريف عَنَقَاء ، وأنه وبعض العسكر باليمن ، وأنه إذا عاد يصل إلى أبوابنا الشريفة ، ووصل الحاج وهم شاكرون ، وقد جهزنا لك ولابنك تشريفين فلتلبسهما على العادة . فلبسهما (١) .

وفي الليلة المذكورة احترق بُكَارَان (٢) أو ثلاثة بجبل سوق الليل ، يقال إن الذي أحرقهم من العرب الذين يقال لهم آل جميل ؛ لكونهم مُتَاقِينَ ، ولكون / أهل الحجاز انتقدوا (٣) منهم غنا ٢٠٤ ظ كانوا أخذوها لهم إلا بعضها ، وقتلوا منهم رجلا ، ولتوجه جماعة الشريف الذين بعرفة إلى عرب الضهران المُتَاقِينَ معهم لما سمعوا بنزولهم إلى الأرض للمرعى ، فقتلوا منهم جماعة ، ومسكوا منهم جماعة ، وأخذوا لهم بقرا كثيرا — أظن — وبعض نياق ، وهرب الباقون بجميع أموالهم .

- ١٥ وفي الليلة الثانية ؛ ليلة الجمعة ، يقال : إن الوالي سمع أن جماعة من آل جميل بِشِيع عامر ، فأخذ مشاعِلَ وجماعةً وراحوا إليهم فلم يجدوا أحدا ، فأخذ يعس مكة ، وتوجّه إلى الشريف في

(١) بلوغ القرى لوحة ٤٦ و .

(٢) البُكَار : يعني — في لغة أهل ذلك العصر — : نوعاً من العشش المبنية بنجدوع النخل وجريده ، على هيئة مخصوصة من الاستطالة والتسقيف . (إملاء الدكتور عبد الله الحسيني) .

(٤) كذا في الأصل ، وبلوغ القرى لوحة ٤٦ ظ .

الليل ، وذكر له أن البلد دُخِلَتْ ؛ فتغيَّظ الشريف من ذلك ١
 كثيرا ، وتَشَوَّش من الوالي ، فأمر له (١) في النهار وتهدده ، ويقال :
 إنه قال له : إن لم تأتني بيينة لأشققنك (٢) ، وكأن مراده بذلك
 عدم الاكتراث بهم ، وأنهم أقل من ذلك ، وأن هذا الفعل إشلاءً
 عليه ، وأمر به إلى الحبس ؛ فحبس عند ابن قُنَيْد ، ثم أخرج ، ٥
 وسافر الشريف .

وفي ليلة الجمعة الأولى من جمادى الأولى وصل الشريف
 وأولاده ، وجماعته إلى مكة ، وسافر آخر يومه إلى الشرق (٣) .

وفي يوم السبت تاسع الشهر اجتمع جماعة من العرب
 العلويين عند الجمال البوني للصلح مع الشريف ؛ فإنهم كانوا ناقوا ١٠
 مع عرب آل جميل ، فوقع الاتفاق معهم على ألا يعينوهم ولا يشيروا
 عليهم ، وحلفوا على (٤) ذلك عند الحجر الأسود .

وفي أواخر الشهر وصلت أوراق إلى مكة من الشريف ،
 وفيها : أن يُمسك الوالي ويُوضَعَ عند ابن قُنَيْد في الحديد والخشب .
 فَمُسِكَ وَذُهِبَ به إلى بيت ابن قُنَيْد وفعل به ذلك ، وضيَّق ١٥
 [عليه] (٥) وسبب ذلك أن شخصا من الدالين نَمَّ على الوالي عند

(١) كذا في الأصل ، والمرجع السابق ، ولعلها « فأمر به » .

(٢) في الأصل « وإلا شققنك » ، والمثبت عن بلوغ القرى لوحة ٤٦ ظ .

(٣) المرجع السابق .

(٤) في الأصل « عند ذلك » ، والمثبت عن بلوغ القرى لوحة ٤٦ ظ .

(٥) سقط في الأصل ، والمثبت عن بلوغ القرى لوحة ٤٧ و .

- ١ السيد الشريف — لما ذكر الوالى للشريف أن مكة دُخِلَتْ — أنه كان يسكر فى تلك الليلة ، وأنه لما سمع خرج من غير شعور ، وأشاع ذلك . ثم إنه خاف على نفسه واستنزل^(١) بالسيد بركات فأجاره . فلما سافروا إلى الشرق جاء الدلال إلى الوالى فى خصومة ، فضربه وحبسَه ، فبلغ الخبر القاضى الشافعى فأمر بإخراجه ، فلما خرج أرسله ابن قُتَيْد بأوراق إلى السيد الشريف بالشرق ، فجاء الخبر بِمَسْكَ الوالى . ثم لما وصل الشريف فى أول الشهر الذى يليه أطلق ثانى يوم ، بعد أن ضرب عصيات تحت رجليه ، عند بيته بالمعلاة ، بعد أن شُقَّ به المَسْعَى وَيَدَاهُ مُخَشَّتَان .
- ١٠ وفى أوائل جمادى الثانية أرسل الشريف محمد بن أحمد بن سعدالهندي ، وشيخ الفراشين عمر بن يَيْسَق إلى شيخ الكعبة جمال الدين محمد بن عمر الشيبى ، وأخيه الطيب بكلام عنيف ، فبَلَّغَهُمَا ذلك ابنُ سعد الهندي ، وتخلَّف عمر بن يَيْسَق عن الوصول إليهما ، لكن كان بالقرب منهما . ثم فى الليلة المستقبلية — أو التى تليها — أخذ الشيخُ حاتم المغربي محمداً الشيبى وذهب به إلى الشريف ، وهو جالس فى المسجد بالليل ، هو وولده السيد بركات ، وقاضى القضاة الشافعى الجمالى أبو السعود ، فتكلَّم عليه أيضاً ، فاعتذر عما يقال عنه . وفى هذه القضية شهد على الشيبى جماعةٌ عند الشريف بأنه يتكلم فيه ، وكان منهم : الخطيب محب

(١) كذا فى الأصل ، والمرجع السابق . والمراد أنه استجار به .

- الدين النويري ، والقاضى المالكي ، وبالع في ذلك الخطيب^(١) . ١
 ٢٠٥ و وفى سادس الشهر توجه الشريف وجماعته / إلى وادى مَرّ .
 وفى النصف الأول من رجب سمعنا بأن التجريدة التى
 بالحجاز هجمت على عرب آل جميل ، ووقع بينهما قتال كبير ،
 قتل فيه جماعة من التجريدة ، ثم هربوا ، وقتل بعض الخيالة هو
 وفرسه^(٢) .

وفى ليلة الجمعة سادس عشرى الشهر وصل الشريف إلى
 مكة من وادى مَرّ مُحْرِمًا بِعُمْرَةٍ ، فطاف وسعى ، وعاد ثانى ليلة
 إلى مكانه^(٣) .

- وفى رابع شعبان نودي بأن يخرج جميع العربان إلى عرفة لغزو ١٠
 آل جميل ، وَسَمِعْتُ بأن الشريف أَتَّهَمَ جماعةً من العربان بممالأة
 آل جميل ، منهم الندويون فنَقَى عليهم ، وفى توجههم لبلادهم أخذوا
 إبلا — أظنها لخزاعة^(٤) .

- وفى ليلة الجمعة عاشر الشهر وصل الشريف بركات ابن
 صاحب مكة إليها ، بنية التوجه لقتال آل جميل ، ثم فى عصر يومه ١٥
 طاف وسافر إليهم ، واحتاطوا بالجبل فى^(٥) ثلاث فرق : إحداها

(١) بلوغ القرى لوحة ٤٧ و ، ظ .

(٢) بلوغ القرى لوحة ٤٧ ظ .

(٣) المرجع السابق .

(٤) بلوغ القرى لوحة ٤٨ و .

(٥) فى الأصل « من » ، والمثبت عن المرجع السابق .

- مع الشريف بركات من جهة اليمن ، والثانية مع مفتاح البوقيري من
 جهة الحجاز ، والثالثة مع بدر هجين من جهة مَرَاة . وفي يوم
 الثلاثاء الحادى والعشرين سمعنا بمكة أن على بن سالم أخا زيد بن
 سالم شيخ آل جميل وصل إلى السيد بركات ، فأمر به فطُوق في
 رقبته بالحديد ، ويقال إنه أخو الشريف من الرضاة ، وسمعنا قبل
 ذلك أنه حصل عند الماء الذي بمراوة محل الفتنة^(١) الأولى قتال أيضا
 بين جماعة الشريف وبعض آل جميل ، وأن جماعة كثيرين من
 جماعة الشريف توجّهوا للماء ، فنزل عليهم نفرٌ يسير من آل جميل
 فأزالوهم عن الماء ، ثم صاح الصائح فكثروا عليهم ، وكثر الرمي
 بالنشاب ، فهربوا بعد أن أمسكوا واحدا من القوّاسَةِ وقتلوه . وسمعنا
 قبل ذلك أن جماعة من العربان صالحوا ، ومنهم الندويون المتقدم
 ذكرهم بالنقا قريبا ، والطلحات ، وبنو طلحة ، ونودى للندويين في
 شوارع مكة بذلك . وصالح جماعة من بنى جميل — وهم
 الطلحات — على مال ، فبعضهم سلم مائة دينار ، وبعضهم أكثر
 من ذلك ، وبعضهم أقل . ولما نزل على بن سالم للسيد بركات
 للصالح لم يقبله ، فنزل جماعة أيضا ، منهم ابن على بن سالم ، وابن
 أخيه زيد بن سالم ، واعتذر زيد عن النزول بأن رجله انكسرت ؛
 فوضع الجميع في الحديد ، ووقع الاتفاق على أن يذهب بهم السيد
 بركات إلى والده السيد محمد ، ومهما أراد : قَتْلًا ، أو مالا ، أو
 نقدا ، وحشر الباقيين إلى أن ارتفعوا إلى رأس الجبل وأحرقوا لهم ثلاث

(١) كذا في الأصل ، وفي بلوغ القرى لوحة ٤٨ و « القتلة » .

- مقارى^(١) وهو محل النحل ، ويقال إن النحل الذي أحرق وهرب ١
يكون بنحو ألف دينار ، ومنع السيد بركات العسكر من القتال —
وأظنه أبقى على الجميع — وكان مع السيد بركات من العسكر نحو
ألفين ، وهم من عرب اليمن وغيره ، ومع بدر هجين نحو ألفين
أيضا ، وهم من عرب مكة وهذيل الشام ، ومع مفتاح البوقيرى نحو ٥
ألف ومائتين ، وهم من عرب الحجاز وَبَجِيلَة ، وكانا يكيلون
لكل رجل من العرب ربيعة ربيعة . إلا أهل الحجاز فإنهم بالقرب من
أهلهم ، وعرب مكة وما حوالها لم يعلم^(٢) لهم طعام .

وفي يوم الثلاثاء ثامن عشرى الشهر دخل السيد بركات

- ٢٠٥ ظ وعسكره إلى مكة ومعه نحو عشرة من العُربان ، ومنهم : / على بن
سالم وابن أخيه زيد بن سالم ، واثنان من الطلحات ، واثنان من
الندويين ؛ بسبب الإبل التى أخذوها — أظن لخزاعة — وأمر السيد
بركات جميع العربان بالرحيل ، ونادى لآل جميل فى العربان : أنهم فى
وجه السيد بركات . وفى ثانى يوم توجه هو وعسكره إلى والده
بالوادي ، وَحَبَسَ الممسكون عند ابن قُنَيْد حتى (صالحوا عن^(٣)) ثلاثة ١٥
آلاف وثلاثمائة دينار ، وَأُطْلِقَ ولدُ على بن سالم لتحصيل المال ،

(١) المقاري : شرحها المؤلف بمحل النحل ، ولعل المراد خلايا النحل ؛ لأن هذه
المنطقة مشهورة بإنتاج عسل النحل ، وهذيل تشتهر من قديم بأشتيار عسل النحل .
(إملاء الدكتور عبد الله الحسيني) .

(٢) كذا فى الأصل ، وفى بلوغ القرى لوحة ٤٨ و « لم يصل » .

(٣) كذا فى الأصل ، وفى بلوغ القرى لوحة ٤٨ و « صالحوهم على » .

- ١ ونودي لهم في شوارع مكة : أنهم وعربهم في وجه الشريف بركات من جميع العربان . فأوردوا ألفاً ومائة ، وماطلوا في الباقي . ثم دخلوا على الشريف بأن يأخذ منهم غنما ، فتأثر منهم وقال لهم : ما عندي إلا الشنق . فخافوا — وفي نيتهم ألا يعطوا شيئاً — فسألوا بعض مَنْ يدخل إليهم من أصحابهم أن يأتوا لهم بمبارد ، فأتوهم بها ؛ فبردوا القيود ، وعزلوا الباب ، وهربوا من الحبس ليلاً في ليلة ثالث عشر ربيع الأول من سنة خمس وتسعين — وهم ثمانية إلا على بن سالم — فأحس بهم السجانون ، ولم يكن هناك إلا اثنان ، فأقام الصائح وتفازع وراءهم ، فمسك منهم ثلاثة وهرب أربعة ، وفي المسوكين ولد زيد بن سالم ، ولما أُمسِكَ كاد يفلت ؛ فحصل له حينئذ كوائن ١٠ أثخنه ، يقال إنه على تلف منها . وفي ثاني تاريخه يوم الاثنين وجدوا واحداً من الأربعة وسط النهار بالمعلاة ، وحُبِسَ مع أصحابه حتى أرضوا الشريف ، وأطلقوا ، ومات بعضهم بالحبس .
- وفي ليلة الجمعة ثالث عشر رمضان من سنة أربع وتسعين وصل لمكة السيد محمد وولده السيد بركات من وادي مَرٍّ ، وناظر جُدَّة القاضي شمس الدين بن البزادة من جُدَّة ، وكان وصل قبله من ١٥ جُدَّة لمكة نائب جُدَّة الأمير شاهين الجمالي ، واجتمعوا في صبحتها بالحطيم ، ومعهم قاضي القضاة الشافعي وغيره ، وقرئت المراسيم ، ومضمون مرسومه : أن مكاتبتك وصلت إلينا ، وبلغنا الشريف زين الدين عَنقَاء الرسالة التي معه ، وفهمنا ذلك ، وأنتك عندنا معظم ، وإنْ بَعُدَت المسافة ، وصاحب الأقطار الحجازية ؛ فلتقر عينا ٢٠ ولتبسط يدك . وأرسلنا لك خلعتين أطلسين ، وكذلك للسيد زين

الدين بركات . فلبسا خلعهما ، ثم سافرا في ليلة ثامن عشرى ١
الشهر إلى وادى مَرَّ وَعَيْدًا به (١) .

وفي ليلة سابع ذى القعدة وصل السيد بركات مكة ، وسَرَى
من ليله بعسكره إلى جهة الشرق ؛ لغزو عرب بنى لام — ويقال لهم
الروقة — فإنهم مناقون ، فلم يصادفوههم ، وإنما وجدوا عربا من
ناصره ، أو عرب سُبَيْع ، فغنموا منهم إبلا كثيرة — ويقال إنها
ألف — وشياها كثيرة جدا ، وعادوا في وسط الشهر (٢) .

ووصل السيد محمد في سادس عَشْرِ الشهر ، ولاقى
الحجاج المصريين والشاميين على العادة ، والعراقيين أيضا (٣) .

وفي جمادى الأولى من سنة خمس وتسعين وصل السيد ١٠
محمد وولده بركات وحَلَّتْهُمَا وعسكرهما إلى مكة ، وتوجَّهوا إلى
الشرق ، ثم عاد هو وولده وبعض عسكره في جمادى الثانية (٤) ؛
لأجل ملاقة نائب جدة تَنَمُ الْفَقِيهُ الصوفي (٥) ، ولقراءة المراسيم ،

(١) بلوغ القرى لوحة ٤٨ ظ ، ٤٩ و .

(٢) بلوغ القرى لوحة ٤٩ ظ .

(٣) المرجع السابق .

(٤) « أي في يوم الجمعة الثالث والعشرين منه » كما في بلوغ القرى لوحة

٥٣ و .

(٥) كذا في الأصل . وفي المرجع السابق « تنم الفقيه الصوفي الخازندار الأشرفي

قايتباي » . وفي الضوء اللامع ٤٥/٣ برقم ١٨٥ « تنم الأشرفي قايتباي » ، ولم يذكر
وفاته . وفي بدائع الزهور ٢٧٠/٣ « تنم الرجبي الخاصكي » .

وجاء النائب من جُدة ثانی یوم ، ولقاءه الشریف إلى بین الحجونین ،^١
ودخلا جمیعاً ومعهما الأمیران / الشجاعی شاهین ، وسُنْقُر ٢٠٦ و
الجمالیان ، والناظر شمس الدین بن البزادة ، وکریم الدین الصیرفی ،
وجلسوا بالخطیم ، ومعهم القاضیان الشافعی والمالکی والجمال
الطاهر ، ومصطفی ولد تاجر السلطان ، وعلى الشبرواری ، وخلع
على الشریف وابنه ، والقاضی الشافعی ، والخواجکيَّة الثلاثة ، وقرئت
المراسیم ، منها مرسومان للشریف . ومضمونهما : أن الواصل إليکم
نائب جدة تَمَّ السَّيْفِي (١) ، وأنکم تساعدونه على مقاصده ، وأنه
لا یظلم أحداً ، ویسير کسيرة الأمير شاهین الجمالی ، وسمعنا أن
الدَّبَش (٢) یدسون فيه شیئا کثیرا من القماش ، ولم یُعَشَّرْ ، والمقصود
یختصوا على ذلك ، وأن الفلفل الذی یصلنا فيه کثیر من التراب ،
فتکشفوا لنا عن ذلك . هل هو من التجار أم من غیرهم ؟ وأن
بعض الأشياء لِأَناسٍ لَا تُعَشَّرُ . فتضبطوا لنا هذا وتعرفونا به ، وأن
بعض الهندی لا یمكنه الوصولُ فی الموسم ، فیدخل بعض بلاد الیمن
ثم یصل بعد الموسم ، فما وصل بعد ذلك تَكونَ عشوره لنا^{١٥}
وللشریف ، وأن مدرستنا لا یسکنها أحدٌ من التُرك ، وأن رباطنا
لا یسکنه إلا الفقراء الأغراب ، وأن عمائرنا لا یؤذی ساکنوها ،
ولا یطُرُحُ علیهم ولا یؤخذ منهم شیء . ثم توجه السید إلى الشرق .

(١) وانظر التعليق السابق .

(٢) « الدبش » ، کذا فی الأصل ، وبلوغ القرى لوحة ٥٣ و . والدبش : هو

أثاث البيت وسقط المتاع . (المعجم الوسيط) .

- ١ وفي أواخر رجب وصل قاضي القضاة الشافعي الجمالي أبو السعود بن ظهيرة مكة مِنْ جُدَّة ، ومعه أولاده وعياله بنية السفر لزيارة المصطفى ﷺ ، صحبة السيد الشريف من جهة الشرق ، ثم توجه هو وأولاده وعياله وعيال والده وعمته إلى البركات وأى بكر ، سلخ الشهر إلى الشريف بالشرق . وأُخبرَتْ أن الشقادف أكثر من مائة ، والزوامل أكثر من مائتين^(١) ، وزاروا مع الشريف ، وعادوا ، وفي أول رمضان وصلت القافلة إلى الوادى ، والسيد الشريف وأولاده وعياله وجماعته ، وكذلك القاضي الشافعي توجهوا من حَبْت كَلِيَّة^(٢) إلى جُدَّة من أجل طهار وَلَدَ رَاشِدَ فَتَى الشَّريف ، وشُرِعَ في عمل فَازَةٍ^(٣) لذلك ، وعُمِلَ له سِمَاطٌ عَظِيمٌ ، وَمِنْدِيلٌ لم يَتَخَلَّفَ عن اللصَّوْقِيَّةِ^(٤) فيه إلا نائب جدة ، يقال إن المتحصل قريب الألفين ديناراً .

ثم سافر الشريف وعسكره إلى جهة اليمن ، والقاضي وجماعته

(١) وفي بلوغ القرى لوحة ٥٤ و « ولم يبلغني إلى الآن عدة شقادفها وشجرها وزواملها ورواحلها وخيلها وحمرها ، إلا أنها كثيرة » .

(٢) حبت كلية : الحبث هو ما انخفض من الأرض ، وانظر التعريف بكلية في ص ٢٢٧ من هذا الجزء .

(٣) الفازة : تعني في مصطلح أهل مكة في ذلك العصر : الحفل الذي يقام في الأفراح من مقاعد وثريات وفرش ولوازم الأفراح .

(٤) اللصوقية : كذا في الأصل ، وفي بلوغ القرى لوحة ٥٤ و « الإلصاق » . وهما مصطلحان لذلك العصر . يعبران عما يقدم من النقوط للمغنين والعوالم وما أشبه ، ويستعملان كذلك في وقتنا هذا .

إلى جهة مكة .

وفي الخامس والعشرين منه وصل إلى مكة السيد الشريف
 وولده ، وجلسا بالحطيم ومعهما القاضي الشافعي ، والأمير المحتسب
 سُتْقَرُ الجمالي ، وقرئت المراسيم ، ولبس الشريف وولده خلعتين ،
 وسافرا ثاني يوم إلى أهلهما صوب اليمن . ثم عادا في ذى القعدة .

فاتفق في ليلة الأربعاء سابع عشر الشهر خصاماً بين فرقتي
 الحُبُوشِ ، وهما سَحَرَتْ وَجَزَلْ ؛ وسببها أن عادة جَزَلْ يلعبون على
 جَبَاجِيهِمْ^(١) ويرقصون بالشُّبِيكَة ، فمنعم نائب جدة تَنَم الخازندار ؛
 لقربهم من بيته ، ثم صاروا يلعبون بجِلْ جَزَلْ الذي مُتَعَبِدُ الجُنَيْدِ
 بلحفه ، فشوشوا عليه أيضاً ؛ لقربهم منه . فمنعهم منه . فلما جاء
 الشريف بركات شَكَّوْا عليه ذلك ، فأمرهم أن يلعبوا في ليلة تاريخه
 عند بيته بأجِياد — وأجِياد محل لعب سَحَرَتْ — فلما / أخذوا في ٢٠٦ ظ

(١) الجباجب : في معاجم اللغة جمع جبجة وهي وعاء يتخذ من آدم ، والزبيل
 من الجلود ينقل فيه التراب ، أو الزبيل اللطيف يوضع فيه نوى من ذهب ، وفي حديث
 عروة رضي الله عنه : إن مات شيء من الإبل فخذ جلده فاجعله جباجب ينقل فيها ،
 والجباجب : الكثير الشر والجلبة . ولعل المراد الأشياء التي تحدث الجلبة ، ومنها ما هو
 على صورة زبيل من الأدم المجفف يملأ بقطع العظم والودع يحدث أصواتاً عند تحريكه ، أو
 المنطقة من الأدم تعلق بها بعض الأظلاف والعظام والودع تحدث أصواتاً مزعجة عند اهتزاز
 الرافض بها ، ولعل تسميتها بجباجب أخذت من الصوت الذي يحدث عنها . وربما كان
 المراد المكان الذي يلعبون فيه ، وهو جباجب مكة ، وهي الجبال الحجرية الهشة وهي
 جبال صغيرة بمكة ، أو يراد أسواق مكة . وانظر معالم مكة التاريخية والأثرية .

الدخول إلى أجياد خرجوا عليهم بالسلاح ، وجرحوا بعضهم ،
 فسمع السيد بركات بذلك ، فأرسل أخاه هَيْزَعًا لِيَكُفَّ بعضهم
 عن بعض ، فما قدر على ذلك ؛ لالتحامهم في بعضهم بعضا
 وكثرتهم ، فصاح إلى أخيه : إني عَجَزْتُ عنهم ، وإن كانت البلاد
 لهم فاتركهم يقتتلون في بعضهم بعضا ، وإن كانت البلادُ لَكَ فَأَنْزِلْ
 إليهم وَأَشْنُقْهُمْ . فنزل وركب فرسه وخرج إليهم ، وصاح عليهم
 فتنفروا ، فأمر بِمَسْلِكِ نَقِيبِينَ لَسَحَرَتْ مِنْ كِبَارِهِمْ واستدعى
 بِجُبَلَيْنِ ، وتوجّه هو وأخوه وهما معه إلى دَرْبِ المعلاة فشنتقهما
 وعاد^(١) .

ثم لَاقِيَ الحَاجَّ المِصْرِيَّ ، والشَّامِيَّ ، والعِراقِيَّ على العادة^(٢) .
 وفي يوم السبت حادى عِشْرَى ربيع الأول سنة ست وتسعين
 وصل مكة السيد محمد وولده السيد بركات ، وحضرا — ليلة
 المولد بالمسجد — عقد المَحْيَوِي عبد القادر ابن الشيخ نجم الدين
 بن نجم الدين بن ظهيرة ، على السيدة سعادة ابنة قاضى القضاة
 الشافعي جمال الدين أبى السعود بن ظهيرة ، وبعد العقد سافروا
 آخر ليلتهم إلى أهلهم^(٣) .

وفي خامس شهر ربيع الثانى وصل إلى مكة السيد الشريف
 وأولاده ؛ لأجل زَوَاجِ بنت القاضى الثانية . وفى ليلة الأربعاء سادس

(١) بلوغ القرى لوحة ٥٥ و .

(٢) المرجع السابق .

(٣) بلوغ القرى لوحة ٥٦ ظ .

الشهر كان عقد الزيني عبدالمعطي ابن القاضي فخر الدين أبي بكر
ابن ظهيرة على السيدة كالية ابنة القاضي الجمالي أبي السعود بن
ظهيرة ، وحضره السيد الشريف وأولاده ، ثم سافروا ، وعادوا في
جمادى الأولى ؛ لأجل المراسيم والخلع الواسلة مع قاصدهم وحضروا
بالحطيم ، وقُرئت المراسيم ، ولُبست الخلع . وفي مرسومه : أنك
عندنا من المقرين ، وَوَصَلْنَا كُتُبُكَ ، وأعلمنا الشريف عَنقَاءَ بالجواب
مشافهة ، وأكرمناه وألبسناه خلعة . ثم سافرا إلى وادي مَرَّ . وعادا
لمكة ، ثم لأهلها بناحية اليمن^(١) .

وفي ليلة الجمعة حادى عَشْرَى^(٢) رجب وصل السيد وأولاده
وعسكره لمكة ؛ لأجل ملاقة نائب جُدَّة الأمير تَنَم الأشرَفِي ،
ونازرها القاضي شمس الدين بن أبي الفتح ، وصَيَّرَفِيَّهَا
عبد الكريم^(٣) . وفي ثانی يوم خرج للقائه إلى الزاهر ؛ فخلع عليه
وعلى ولده الشريف بركات ، ودخلوا مكة ، وجلسوا بالحطيم ، وقُرئت
المراسيم . وفي مرسومه : الإعلام بوصول نائب جدة والناظر
والتوصية على النائب ، وتشديد أمره بما يؤول إلى الخزائن الشريفة ،
وغير ذلك .

(١) بلوغ القرى لوحة ٥٨ ظ ، ٥٩ و .

(٢) كذا في الأصل ، وفي بلوغ القرى لوحة ٦٠ ظ « عشر » .

(٣) كذا في الأصل ، وفي الضوء اللامع ١١/١٦٥ « كريم الدين عبد الكريم بن

إبراهيم صيرفي جدة » . وفي بلوغ القرى لوحة ٦٠ ظ « كريم الدين عبد القادر
الصيرفي » .

وفي رابع عشر^(١) الشهر سافروا إلى الوادى ، وفي ليلة سابع عشر^(٢) الشهر عاد السيد لمكة مُحْرِمًا بِالْعُمْرَةِ ، وطاف وسعى ، وعاد إلى أهله آخر النهار بأرض حَسَّان .

ثم عاد لمكة ليلة الجمعة ثالث عِشْرِ شعبان ، وحضر في الصبح بالمعلاة ختم^(٣) ابن أخيه الشريف أحمد بن على بن بركات .
ثم في آخر يومه توجّه إلى الوادى بقصد التوجّه إلى الشرق . وفي أواخر الشهر توجّه هو وأولاده وعياله وغالب عسكره إلى الشرق .
وفي أواخر ذى القعدة وصل السيد الشريف / إلى مكة ، ولاقى الحاج على عادته^(٤) .

وفي يوم السبت تاسع المحرم من سنة سبع وتسعين وصل السيد الشريف وأولاده وكثير من جماعته لأجل عقد القاضى صلاح الدين ابن قاضى القضاة الجمالى أبى السعود على بنت خاله صَفِيَّة ابنة الزينى عبدالباسط بن نجم الدين بن ظهيرة . وفي ليلة العشر كان العقد بالمسجد الحرام ، وحضره السيد وجماعته ، وسافروا ببقية ليلتهم^(٤) .

١٥

(١) كذا فى الأصل ، وفى بلوغ القرى لوحة ٦٠ ظ « عشر » .

(٢) الختم : يراد به ختم قراءة القرآن ، حيث توفى ابن أخيه هذا فى أرض حسان فى صبح يوم الأربعاء حادي عشر شعبان ، ونقل إلى مكة ، ودفن بمقابر أهله بالمعلاة . (بلوغ القرى لوحة ٦٠ ظ) .

(٣) بلوغ القرى لوحة ٦١ ظ .

(٤) بلوغ القرى لوحة ٦٢ ظ .

وفي ليلة الأحد سابع عشر ربيع الثاني وصل الشريف وأولاده
مكة من عند أهله بجهة اليمن بعد أن أشرف على الوادى ، وفي
صُبْحَتِهَا اجتمعوا والقضاة والباش والمحتسب وغيرهم بالحطيم ، وقرءوا
المراسيم . وفي مرسومه : وصلنا كتبكم ، وأعدنا لكم الجواب مع
الزبن عَظِيْفَةً شِفَاهَا ، وأنكم من المقربين عندنا ؛ فَتَبَسُّطُوا
كلمتكم ، وإن الحجاج والأمراء وصلوا سالمين شاكرين من
الحراسة ، ووصلكم خلعتان . فلبسهما هو وولده الشريف بركات ،
وفي آخر اليوم سافر الشريف إلى الوادى ، وولده إلى أهله باليمن^(١) .

وفي جمادى الثانية وصل مكة السيد بركات ، ثم السيد محمد
وعسكرهما ، وتوجهوا إلى الشرق^(٢) .

وفي رجب وصل الشريف وولده بركات من الشرق [إلى]^(٣)
مكة ، ونائب جُذَّة بُرْدُ بَك الخازندار ، ولاقاه الشريف وولده
صباحا إلى الزاهر ، وخلع عليهما ، ودخلوا مكة ، وجلسوا بالحطيم ،
وقرء مرسوم الشريف . وفيه : التوصية على الأمير ، وأن معه
قائمة^(٤) . وسافر الشريف إلى وادى مَرَّ .

١٥

ثم في رمضان توجهوا إلى الشرق ، وتوجَّهوا من هناك لزيارة

(١) بلوغ القرى لوحة ٦٤ ظ .

(٢) بلوغ القرى لوحة ٦٥ ظ .

(٣) إضافة على الأصل .

(٤) كذا في الأصل ، وبلوغ القرى لوحة ٦٦ ظ ، والمراد بيان مكتوب بما

- المصطفى ﷺ ، وعادوا مع القافلة ، وفارقها السيد محمد من أثناء الطريق^(١) .
- ثم السيد بركات جاء لمكة في القعدة ، ولأقيا^(٢) الحجاج على العادة .

- وفي هذا الشهر والذى قبله سافر الشريف رُمَيْثَةُ بن بركات ابن حسن بن عجلان من اليمن إلى القصير^(٣) في جَلْبَةِ اشتراها ، بعد أن كان تغيب عن أخيه في أواخر السنة قبلها ، وَتَهَجَّجَ في اليمن ، ثم واجه صاحب صنعاء ، وأحسن إليه ، ولم يرض أخواله بنو عُمَر [أن]^(٤) يؤروه ، بل خشوا عليه وعلى أنفسهم من صاحب الحجاز^(٥) .

- وفي ذى القعدة أيضا سمعنا أن عرب آل جميل نَقُّوا أيضا على الشريف ؛ بسبب أن عبدَ الشريف الموكل بالحجاز — وهو مفتاح البوقرى — سألَه العربُ في أن يَخْلَى بينهم وبين آل جميل ، فقال : بَيْنَكُمْ بَيْنٌ . فطلَعوا إليهم ونهبوا منهم ؛ فحينئذ نَقُّوا ، ونزلوا إلى جهة عرفة ، فنهَبوا لخرَاعة إبلا جمَلتها خمسة وثلاثون ، ونحو ثلاثمائة شاة ،

(١) لم ترد أخبار هذه الزيارة في بلوغ القرى .

(٢) أي محمد بن بركات صاحب مكة وولده بركات ، فقد لأقيا الحجاج على العادة في ثامن عشرى ذى القعدة . (بلوغ القرى لوحة ٦٨ ظ) .

(٣) القصير : مدينة بشرق صعيد مصر بين ميناء عيذاب التى على ساحل البحر الأحمر الغربى ، ومدينة قوص قصبة الصعيد . (معجم البلدان لياقوت) .

(٤) إضافة على الأصل .

(٥) بلوغ القرى لوحة ٦٨ ظ .

وقتلوا رجلا ، ونهبوا حِلَّتَهُم . ثم إن شخصا من خُرَاعة له خمس وعشرون ناقة آسْتَفْدَاهَا منهم بمائة وخمسين دينارا . وحصل للعرب خَوْفٌ ورُعْبٌ منهم ^(١) .

وفي الحرم سنة ثمان وتسعين جاء قمامة — أحد بني جميل — إلى قاضي القضاة الشافعي الجمالي أبي السعود بن ظهيرة ، ودخل عليه في أن يدخل له على الشريف ، ويدخل هو وجماعته في الطاعة على حسب ما يطلبه الشريف . فكتبَ إلى / الشريف ؛ فجاء الخبرُ ٢٠٧ ظ بأن يُنَادَى له وجماعته بالأمان ، وأن يسكنوا الوطاه ^(٢) .

وفي ليلة الاثنين حادى عشر ربيع الأول وصل مكة الشريف وأولاده وعبائهم وعسكرهم ، وزاروا ليلة ثانی ليلة المولد المولد النبوي ^(٣) ، وعادوا في ليلتهم إلى وادى مرّ .

ثم زار جدّه صلى الله عليه وسلم في خلق كثير جدا ، يقال إن معهم نحو الألف ^(٤) جمل ، وعاد صحبة القافلة في رَجَب ، لكن تقدمهم من بَدَر ، ووصل قبلهم الوادى بيوم .

(١) بلوغ القرى لوحة ٦٨ و ، وقد ورد هذا الخبر قبل ورود سابقه .

(٢) بلوغ القرى لوحة ٦٩ ظ .

(٣) كذا في الأصل ، وفي المرجع السابق « وفي ثامن عشر الشهر كانت الزفة الشريفة إلى المولد الشريف ، والقضاة والفقهاء والأمراء والترك وغيرهم في خدمة ناظر المسجد قاضي القضاة الجمال أبي السعود بن ظهيرة — عظم الله شأنه — مشاة . وزاره في هذه الليلة صاحب مكة وابنه » .

(٤) في الأصل « نحو آلف » ، والمثبت عن بلوغ القرى لوحة ٧١ و .

- ١ وفي أواخر رجب وصل مكة الشريف وولده السيد بركات ،
 وفي أول ليلة من شعبان وصل قاصده الشريف عنقاء ، ونائب جدة
 بُرْدُ بَك الخازندار ، وكريم الدين الصيرفي . وفي الصباح خرج
 للقائهما الشريفان إلى الزاهر ، فخلع عليهما . وفي ثاني تاريخه
 اجتمعوا بالحطيم ، وقرئ مرسومان للشريف . وخلع عليهما أيضا .
 ٥ وفي يومهم سافرا إلى وادي مَرّ ، ثم عادا في أواخر القعدة ، ولاقيا
 الحُجَّاج على العادة . ثم سافرا وعيالههما وعسكرهما في تاسع عشر
 الحجة إلى وادي الآبار ^(١) .

- وفي يوم السبت عُرة جمادى الأولى سنة تسع وتسعين —
 واليوم الذى قبله — نادى منادى الشريف : بأن جميع العرب
 المقيمين بمكة ^(٢) يتوجهون لبلدانهم ، ومن أقام بمكة يُشَنَّق ؛ وسبب
 ذلك أنه لما حصل الشدة في الغلاء سأل العرب الشريف في الفسح
 في بعضهم بعضا ، ففسح لهم . ثم توسّعوا إلى أن صار غالبهم
 بمكة ، وصاروا إذا رأوا أحدا اشترى شيئا أو حصّله ، وخرج به إلى
 بلاده ، أو لأصحابه تبعه الآخرون ونهبوه ، سواء كان بقرب مكة
 ١٥ أو بعيدا منها ، وأعطوا ابن قُتَيْد الثُلث . فحصل التشويش على
 الناس ؛ فسمع الشريف بذلك ؛ فأرسل يأمرهم أن يخرجوهم ^(٣)
 لبلدانهم ، فأخرجوا ، واستراح الناس من فقرائهم ؛ إلحاقهم في

(١) بلوغ القرى لوحة ٧١ و ، ٧٢ ظ ، ٧٣ و .

(٢) وفي بلوغ القرى لوحة ٧٥ و « بأن جميع العرب المقيمين بمكة — كأنه غير

عرب الدار — يتوجهون » .

(٣) في الأصل « يخرجهم » ، والمثبت عن المرجع السابق .

السؤال ، وعدم قناعتهم ، وصياحهم الجوع ، وظهر كذب كثير ١ منهم بأن يُرى معهم الخبز بالأرغفة . بل يُعطى ذلك في الحال من جماعة متعاقبين ، فيأكل ويصيح على حاله . والله يلطف بنا وبهم وجميع المسلمين .

وفي رابع جمادى الآخرة وصل مكة الشريف ، وتخلّف عنه ٥ ولده الشريف بركات ؛ لغزوه بعض العرب بناحية اليمن (١) .

وفي سابعه حضر هو وأولاده ، والقضاة ، والباش ، والمحتسب بالخطيم ، وقرىء مرسوم الشريف ، وليس فيه ما يُستفاد إلا أنه وصل القاصد وأكرمناه ، وأرسلنا لكما تشريفين ، وكذا للزيني بركات ، فلبس هو ، ثم سُئل الشريف في منع الحجاج الذين يشترون الحب ١٠ من جُدّة ، ويبيعونه بمكة ، بل وقالوا : إنه ذكّر له عن مسعود الصُّبْحِيِّ الجَدِّي أنه يُحَكِّرُ الحبَّ بجُدّة ، ويشتريه جميعه لنفسه ، ثم يبيعه بزيادة . فأنكر الشريف ذلك ، وأمر بمنعه . ومنعهم . فلما كان ثامن الشهر — أو الذى يليه — منع الأمير المحتسب سنقر الجماليّ المصريين من البيع في الحب والشراء ؛ وذلك بأمر السيد الشريف . وسمع بجلاّب كثيرة وصلت لجُدّة ، وفيها جملة من الحب ، ومع ذلك لم ينزل الحب إلا يسيراً ، بل احتجّوا على أن العاقبة من قلة الجمال ، وإلا فقد نزل سعر الطنم (٢) إلى خمسة

(١) بلوغ القرى لوحة ٧٥ ظ .

(٢) كذا في الأصل ، وفي بلوغ القرى لوحة ٧٥ ظ « الطنم » . ولم نقف على تعريف بأي منهما . لكن يفهم من السياق أنه مصطلح لوحدة كيل أو وزن .

وعشرين ، بعد أن كان بخمسة وثلاثين فأكثر .

واستمر السيد بمكة إلى يوم الثلاثاء عاشر الشهر ، وسافر إلى وادى مَرٍّ ؛ لإصلاح بعض / أمواله ؛ فإن السَّيْلَ دخل بعضها ودفن فيه كثيرا . ثم عاد في ثانيه — أو ثالثه — إلى مكة . ثم سافر منها ليلة السبت رابع عشر الشهر^(١) .

وفي ليلة الأحد سابع عِشْرِي رجب وصل الشريف وأولاده وعسكره ، وقَصْدُهُ تَرْوِيجُ بعض أولاده بمكة ، والتوجّه إلى الشرق ؛ فإنه شرب شربا عظيما^(٢) .

وفي ليلة تاسع عِشْرِي الشهر وصل مكة نائبُ جُدَّة الأمير بُرْدُ بَك الخازنداريّ الفقيه ، ومعه الشمسى ابن البزادة . وأخوه ، وأبو النجا^(٣) ، وناصر الدين . وفي صبيحتها خرج الشريف وولده السيد بركات في عسكرهما إلى الزاهر للقائهم ، فخلع عليهما ، ودخلوا جميعا إلى الحطيم ، وقرئت المراسيم ، ومنها مرسوم ومنشور للشريف ، ومضمونهما : الإعلام بوصول نائب جُدَّة ، والتوصية به ، وأن النظر والصيرفية لأبى النجا وناصر الدين البصري^(٤) ، وأن القاضى شمس

(١) المرجع السابق .

(٢) بلوغ القرى لوحة ٧٦ ظ .

(٣) في الأصل « المنجا » ، والمثبت عما يلى فى بقية الخبر ، وعن بلوغ القرى لوحة ٧٦ ظ .

(٤) اللفظ فى الأصل غير منقوط ، وخال من علامات الإهمال . والمثبت عن

المرجع السابق .

- الدين بن البزادة مستوفى^(١) ، وأن المراكب القاصدة لجُدَّة إذا دخلت غيرها ، ووصل حملها يكون للسلطان خاصة ، والإخبار بوصول الخلع . وَلَيْسَ الشريفان خلعتيهما .
- وفي ثالث شعبان عُمِلَ سماءٌ عظيم كبير بحوش دار الشريف ؛ وليمة لُعُرس ولده الشريف أحمد الجازاني ولد زينة بنت رومي على بنت خاله كسلاء بنت مالك بن رومي الزبيدي ، وحصل في الليل لعبٌ كثير في الحوش المذكور ، وبعد المغرب من الليلة التي تليه سافر الشريف لجُدَّة بسبب مروس^(٢) له ، شحن من مركب هندي بكمَران^(٣) كان قصده سواكن ، فقتل ناخوذته فقصد كمَران ونجل بها ، فلما وصل المروس إلى جُدَّة قال جماعة النائب : هذا يتعلّق بالسلطان ، فنجلوه بالفرضة ، وقال جماعة الشريف : هذا يتعلّق بنا ما ننجله إلا بفرضتنا ، وقووا على أولئك ودفعوهم — فيما يقال — فتغيّظ نائب جدة بسبب ذلك ، ثم نجل بفرضة السلطان بعد كلام من الشريف وولده^(٤) .
- وفي رابع عشر شوال أمر الشريف بِشَنْقِ أربعة من

(١) كذا في الأصل ، وبلوغ القرى لوحة ٧٦ ظ .

(٢) المروس : اسم لنوع من السفن ، لكنني لم أفق عليه في المراجع المختصة .

(٣) كمران : جزيرة بالبحر الأحمر قبالة زبيد من بلاد اليمن . (معجم البلدان

لياقوت) .

(٤) بلوغ القرى لوحة ٧٦ ظ .

- ١ الكَبَاكِبَةُ^(٣) بدرّب المعلاة ، واحدٌ منهم رَجُلٌ ، والباقي شَبَابٌ ، وكان قد وصل بسد العيد من الشرق في جماعة ، وسبب ذلك أنه كان أرسل حَبًّا — وهو بالشرق — فنهبوه بالطريق ، وسلَّطَ عليهم هذيلًا ، ووصل السيد إلى مكة ثاني يوم : يوم الجمعة ، وصلى بها الجمعة ، وعادَ إلى الشرق ، وفي صبيحة يوم السبت ثانيه وصل جماعة من هُذَيْلٍ إلى مكة وهم يَتَقَادُونَ وَيُيَشِّنُونَ^(٢) ومعهم أولاد صغار من الكَبَاكِبَةِ على جَمَلٍ ، فإنهم غَزَوْهُمْ وقتلوا منهم سبعة ، وهرب باقيهم ، وظفروا بهؤلاء ؛ فَأَتَوْا بهم إلى مكة على هذه الحال — والله يلطف بالمسلمين — فإن العرب جاعوا وصاروا يعيشون في الطرقات .

وفي ثاني عَشْرَى القعدة وصل إلى مكة — السيد الشريف ، وولَّده السيد بركات من الشرق ، ولأقيا الحاج كالعادة وَخُلِعَ عليهما^(٣) .

(١) الكباكية : ينسبون إلى جبل كبكب ، وهو الجبل الأحمر خلف عرفات ، تجعله متى ظهر ك إذا وقفت بعرفة ، وهو لهذيل ، وهو مشرف على موقف عرفة . (معجم البلدان لياقوت) . وفي معالم مكة : من أشهر جبال هذيل قديماً وحديثاً ، وهو جبل أسمر ضخيم ، يقع شرق مكة ، على قرابة ٢٧ كيلاً ، يرتفع عن سطح البحر ١٧٥٠ متراً ، يقع بين وادي نعمان جنوباً وجنوباً شرقياً ، ووادي عرنة غرباً ، وحنين شمالاً ، ويشرف على المغمس من مطلع الشمس ، وامتداده في الأرض قرابة ٣٠ كيلاً ، وفي رأسه بعض الزراعة ، وتنحدر منه أودية كثيرة ، فيها ذو الحجاز في عرنة ، والوصيق وبرم في نعمان .

(٢) هكذا الأصل : يتقادون : وهو عامية معناها يقود بعضهم بعضاً . أما كلمة ييشنون فليست موجودة في المعاجم ولعل معناها يضجون ويصيحون . « المراجع » .

(٣) بلوغ القرى لوحة ٧٧ ظ .

١ وفى يوم الثلاثاء ثانى عشرى ذى الحجة سافر السيد الشريف محمد إلى وادى مَرّ ؛ بقصد الزيارة النبوية ، فإنه يقال : إنه نذر ذلك لما وَجَعَ فى هذه السنة ، ومعه بعض أولاده . وتسامع الناس بزيارته ، فلحقه — بالوادى وبعده — ناسٌ كثير من جُدّة والوادى ومكة^(١)./

وتوجّه السيد بركات إلى اليمن بالعيال والعساكر ، وفى نيته — ٢٠٨ ظ يقال — غزو [هذيل]^(٢) الذين نهبوا الطرقات قبل الموسم .

وفى يوم الجمعة خامس عشرى ربيع الثانى سنة تسعمائة وصل لسيد الشريف مكة هو وأولاده وغيرهم ؛ لأجل عقد الجمالي أبى السرور [عبدالوهاب]^(٣) أخى قاضى القضاة الجمالي أبى السعود ابن ظهيرة . وفى ليلة ثانية كان العقد بالمسجد [الحرام]^(٣) والعائد أخوه ، والزوجة فاطمة ابنة الخطيب القاضى فخر الدين بن ظهيرة ، وحضره الشرفاء والقضاة وغيرهم ، وبعد الفراغ منه توجّه الشريف وأولاده وجماعته إلى بيت القاضى ، وحضر عندهم المطربون^(٤) ولعبوا ساعة ، وحصل لصق نحو المائة دينار . وفى منتصف الليل تفرقوا ، ١٥

(١) بلوغ القرى لوحة ٧٨ و .

(٢) إضافة عن بلوغ القرى لوحة ٧٨ ظ . وكان المؤلف قد ذكر ضمن حوادث شهر ذى القعدة سنة ٨٩٩ هـ فى الورقة ٧٧ ظ صوراً لما قام به العرب من النهب والقتل والتخريب فى الطرقات ، وبخاصة طريق جدة ووادى مر .

(٣) إضافة عن بلوغ القرى لوحة ٨٠ ظ .

(٤) كذا بالأصل . وفى بلوغ القرى لوحة ٨٠ ظ « المطربون من المغاني والمغنين وغير ذلك ، ولعبوا ساعة ... » .

١ وعاد الشريف من ليلته هو وجماعته إلى أهله بناحية اليمن .
 وفي جمادى الأولى جاء لمكة هو وأولاده ، وجلسوا بالخطيم ،
 ومعهم القاضى ، والباش والمحتسب ، وقرئت المراسيم . وفي مرسوم
 الشريف : إعلامه بوصول قاصده والحجاج ، وهم شاكرون ، والثناء
 عليه ، ولبس هو وولده السيد بركات خلعتين ^(١) .

وعدا جماعة من الكَبَاكِبَةِ على جماعة من هُذَيْل أهل نخلة ،
 وقتلوا منهم ونهبوا ، فلما كان جمادى الأولى المذكورة أمر الشريف
 القائد مسعود بن قُنَيْد أن يحصرهم ، ويرمى تحت جبلهم ، وأن يأخذ
 معه عرب الدار والقواسة . فنزل هو والمذكورون تحت الجبل ، ثم أمر
 بقية الكَبَاكِبَةِ أن يطلعوا للجبل ، وينزلوا بالجماعة المذكورين ؛ وإلا
 يكونون معهم فى النقا . فقالوا . هذا شئ لا يمكن ، ولكن نكون مع
 المحاربين وندهم على الطرق . فلم يقنع منهم بذلك . وترافقوا مع
 أصحابهم كرها . ثم جاء القاتل إلى مكة ، وهو شيخ نَقَر ^(٢) منهم ،
 ودخل على قاضى القضاة الشافعى ، فأمضى له الشريف دخالته —
 فى نفسه لاغير — واستمر بمكة ، ثم حصل بينهم كَوْنٌ عند الماء ،
 ١٥ فَقُتِلَ من الكَبَاكِبَةِ رجلان وامرأة ، وحمل رأس أحدهما إلى مكة ،
 وعُلِّقَ بالدرب أياما ، وحمل الآخر أصحابه ، وحصلت جراحات فى
 القتالين ، وقُتِلَ واحدٌ منهم . وكان ذلك — ظنا — يوم الأحد تاسع

(١) بلوغ القرى لوحة ٨١ و .

(٢) شيخ نقر : أي داهية ، أو غضبان ، والنقير من الناس كريم الأصل .

(لسان العرب) .

عشر الشهر . ثم ظفروا ببعضهم ، وأرسلوا رأسين عُلقًا بالدرب ، ثم ١
هَرَبَ الباكون ، بعد أن نزل لهم شيخ — نقر منهم أيضا — يقال له
فزع ، ودخل على ابن قُنَيْد ، فلم يمض ذلك ، وأرسل به إلى مكة
مع القَوَاسَة وبعض الفزع ، ودخلوا مكة في [صبح يوم الثلاثاء
ثامن عشر الشهر]^(١) في بَيْشَنَة^(٢) ، وهو مُرْدَف مع بعض
القَوَاسَة ، فلما وصلوا إلى الدرب شنقوه . وقالوا : إن معه ولدا
لطيفا أخذه بعض القواسة ليريه .

وفي ثاني جمادى الآخرة جىء باثنين من الكباكية ، شنق
أحدهما بدرب المعلاة ، والثاني هرب سعيًا على قدميه وهو مكتف لما
حاذى قبة السيد بركات فدخلها ؛ فحُبِسَ ولم يُشَنَّق^(٣) . ١٠

وفي يوم الأربعاء سادس الشهر جىء بزوجة الشريف هَزَّاع بن
السيد محمد ، ابنة شهوان بن رومي الزبيدي إلى مكة ميتة ، ودفنت
بعد الظهر ، وجاء السيد بركات عصر يومه ، واستمر بمكة إلى يوم
الجمعة لأجل الربعة صباحا ومساء حتى كان الختم^(٤) .

وفي إقامته بمكة جاء جماعة من الكباكية ، ودخلوا على ١٥
القاضي الشافعي ، فكَلَّم لهم السيد بركات / فرضيَ عليهم ، وشرطوا ٢٠٩
عليهم أشياء ، وحَلَفُوهم على ذلك عند الحجر الأسود ، ونودى لهم

(١) إضافة عن بلوغ القرى لوحة ٨١ ظ .

(٢) بيشنة : تعني — في لغة العامة — : الضجيج والعيول والصياح .

(٣) بلوغ القرى لوحة ٨١ ظ .

(٤) المرجع السابق .

- ١ في مكة بالصلح . ثم بعد يومين عاد إلى مكة القائد مسعود بن قُتَيْد ، وسمعنا أن عرب آل جميل وقعوا فيهم ؛ فإنهم طلعوا لهم إلى جبلهم وقصَّوهم^(١) منه .

- وفي ليلة الثلاثاء حادى عشر رجب وصل الشريف لمكة ، ومعه أولاده وعسكره ؛ بقصد التوجه إلى الشرق لأجل غزو عرب من بني لام ، بلادهم مُمَحِلَّة ، وقصدوا أن يربعوا ببلاد الشريف ، اسم شيخهم عجلان ، وبينه وبين جماعة له آخرين فتنة ، فألجموه أيضا إلى هنا ، وهو في نحو أربعمئة فارس وأكثر ، وأرسل ولده وأخاه إلى الشريف ليستأذناه في ذلك ، فبلغ الشريف أنهما واصلان إليه ، فأرسل ملحم بن مفتاح المغربي في جماعة إليهما ليقتلوهما قبل أن يوصلا إليه ، فلقوهما قبل أن يدخلوا مكة ، فقتلوهما في يوم الاثنين عاشر الشهر ، وخرَجَ الشريف وجماعته من مكة في ليلته ، فتوافى هو ومن واعدته من بني حسين — غير عدوان الذين دخلوا في وجوههم — فصَبَّحُوهم صبيحة الأربعاء بالقرب من السيل ، فوجدوهم قد أنذروا في تلك الليلة ، أو في ذلك الوقت ، فانهزم ١٥ الرجال على خيلهم ، وتركوا عيالهم وغالب ما لهم ؛ فاشتغل العسكرُ بالغنيمة ، ففاتهم الرجال ، وتأسف الشريف لفواته شيخهم ، وكان حريضا عليه ؛ فإنه كان من مُدَّةٍ أحد الذين حصروا الشريف وعسكره بالشرق ، وأرادوا أخذهم . فأرضى الشريف مشايخهم —

(١) كذا في الأصل ، وبلوغ القرى لوحة ٨٢ و ، والمعنى أبعدوهم ، ولاحظ أن

المؤلف عدى الفعل « قصى » بالتضعيف ، والذي في كتب اللغة تعديته بالهمز فيقال أقصاه وأقصوهم .

وكانوا ثلاثة هذا أحدهم — بمال جزيل جدا . وأراد الشريف قتله ١
 ففاته ؛ ولكنه غنم شيئا كثيرا من الإبل والغنم ، والبغال والحمير ،
 والسمن ، وبعض خيل ، ولم يقتلوا النساء ولا الصبيان . ويقال : إن
 الشريف كتب إلى قاضى القضاة الشافعية بأنه غنم منهم شيئا
 كثيرا ، لم يغنمه قط لا هو ولا أباه ، ويقال : إن السمن عندهم لو
 أهرى لسال . [ويقال :] ^(١) قُتل منهم مائة وخمسون ، ويقال
 ثلاثمائة ، والإبل المغنومة نحو العشرين ألفا ، ويقال إن المستصفى
 للشريف — بعدما أخذ كل أحد على قدر حاله — اثنا عشر ألفا ،
 والخيل نحو ثلاثمائة ، وترك نساءهم وعيالهم وأعطاهم إبلا وزوادة ،
 واحتفل بهم ؛ لصنيع فعل ^(١) معه مثل هذا ^(٢) . وجاء الخبر بذلك ١٠
 لمكة عصر يوم الخميس ثالث عشر الشهر .

وفى الأحد سلخ الشهر وصل الشريف وأولاده وعسكره
 مكة ، ومعهم بعض الغنيمة . وفى الليلة التى تليها توجهوا إلى
 الوادى ، وعادوا لمكة فى ليلة الجمعة خامس شعبان ، لأجل ملاقة
 نائب جدة الأمير بُرد بك الأشرفى ، فإنه هو الآخر وصل إلى ١٥
 مكة ، ومعه زين الدين المحتسب ، وناصر الدين الكرانى ، وهما

(١) إضافة يقتضيهما السياق ، لأن ما بعدها قول آخر يقابل القول الذى قبلها .

(١) فى الأصل « فعله » .

(٢) من أول اللفظ الذى سبقت إضافته إلى هنا لم يرد فى بلوغ القرى لوحة

ناظران صيفيان ، وأولهما محتسب أيضا وكاتب السناييق^(١) ،
 وثانيهما كراي^(٢) ولأقاهما الشريف وولده السيد بركات صباحا ،
 فخلع عليهما ، ودخلوا مكة ، وجلسوا بالخطيم مع القاضيين
 الشافعي والمالكي ، والأميرين الباش ، والمحتسب ، وقرئت المراسيم .
 وفيها : الإخبار بإرسال نائب جدة ، ومعاضدته ومناصرته ، وبسط
 ٢٠٩ ظ حرمتهم / ، وإقامة ناموسهم . وأرسل الشريف لنائب جدة فرسين
 وعشرين ناقة ومائة شاة ، فأمر بتخيلة النوق عندهم . . وجلسوا بمكة
 إلى ليلة الأحد سابع الشهر ، وسافر هو والناظران إلى جدة ، والسيد
 وأولاده وجماعته إلى وادي مّر .

وفي أواخر الشهر توجهوا إلى الشرق تخوفاً — فيما يقال —
 على ماله الذي هناك ، من بني لام الذين أخذهم .

وفي سادس عشر القعدة — أو اليوم الذي يليه — وصل
 الشريف وأولاده من الشرق الى وادي مّر ، وتوجهوا إلى جدة ، وأقاموا
 بها جمعةً ، وعادوا إلى الوادي^(٣) .

(١) كاتب السناييق : لأول مرة يرد هذا المصطلح الوظيفي ، وكأنه يعني الكاتب
 الذي يقوم بإحصاء السناييق وحركتها في نقل البضائع من الجلاب والسفن الكبيرة إلى
 البر ومن البر إليها .

(٢) الكراي : كذا بالأصل ، وبلوغ القرى لوحة ٨٣ و . ويقول الدكتور سعيد عاشور
 في هامش غاية الأمانى بأخبار القطر اليمني : الكراي : الكاتب بالسفينة أو المسجل أو
 الأمين بها وعليه أن يكتب كل ما في السفينة من متاع وقماش وبضائع وغير ذلك (غاية
 الأمانى ٦٤٨/٢) .

(٣) بلوغ القرى لوحة ٨٤ ظ .

- ١ وفي ليلة الأربعاء سابع عشر الشهر دخل الشريف وأولاده مكة من الوادى ، ولاقى الحجاج على العادة ، وسافر إلى الوادى بعد الحج^(١) .

- وفي يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الأولى سنة إحدى وتسعمائة وصل الشريف إلى مكة ومعه أولاده ، وقاصد وصله من مصر أيضاً ، ومعه جواب خبر المدينة : بأن تحرص على تحصيل حسن ابن زُبَيْرٍ صاحب المدينة : الذى أخذ ما فى القبة التى بالمسجد النبوى^(٢) . واجتمع هو وأولاده والقاضى الشافعى والباش والمحتسب والشريف إسحاق صهر قاوان ، وقرئت المراسيم : منها مرسومان للشريف وولده بركات ، ولبسا خلعتين ، وليس فى المراسيم غير الثناء وذِكْر الخَلَع .

- وفي العشر الثانى من جمادى الثانية أشيع بمكة أن الشريف يتوجّه إلى المدينة الشريفة لتولية ابن خاله فارس بن شامان ، فتحرك الناس معه للزيارة ، ثم ترك وسافر الناس^(٣) . وسمعنا أن فى يوم الاثنين سادس عشر رجب وصل فارس بن شامان الحسينى إلى

(١) المرجع السابق .

(٢) جاء فى بلوغ القرى لوحة ٨٧ و « أنه فى شهر ربيع الأول سنة ٩٠١ هـ قام بنهب القبة التى فى المسجد النبوى ، ويقال إنه كان فيها قناديل كثيرة من الذهب والفضة ، وخمسة عشر ألف دينار ، أو عشرون ألف دينار » . وفى التحفة اللطيفة ٤٧٩/١ « أنه جمع جمعاً ودخل المسجد ، وجاء إلى حاصل القبة فهشم بابه ، ونهب ما فيه من قناديل الذهب والفضة ، وجمع الصواغ فسبكوها » . وسماه : حسن بن زبير بن قيس بن فارس بن نعيم ابن منصور الحسينى ، وقال : تولى إمرة المدينة بعد موت أبيه عن صاحب الحجاز .

(٣) بلوغ القرى لوحة ٨٩ و .

- ١ المدينة متوليا لها من قبل صاحب مكة ، ولبس خلعتة من المصلى ودخل وهو كذلك ^(١) .

وفي يوم الاثنين سادس عشرى رجب تحقق خبرٌ كان أُشيع من أيام ، وهو أن عجل بن عذقاء اللامى تَعَدَّى — أو زحف — إلى حَدِّ صاحب مكة بالشرق ، فارتفع عربُ شامان في الحرّة ، وانخذل جماعةٌ من عرب عَجَل . فظفر بهم الشامانيون — فيما يقال — وقتلوا ابنا له وغيره ، وأخذوا له ثمانية وعشرين فرسا ، وهو جالس هناك في كثرة ^(٢) .

- وفي يوم الثلاثاء سابع عشرى الشهر وصل إلى مكة الشريف بركات بن محمد ومعه العسكر ، وفي ثانى يوم وصل أبوه السيد محمد ، وفرق على العسكر مالا لأجل غزو اللامى المذكور ^(٣) .

وفي ليلة الخميس تاسع عشرى الشهر سافروا إلى الشرق — مصحوبين بالسلامة — ثم في خامس عشرى شعبان وصل قاصدٌ من الشريف ومعه أوراق ، وفيها : أن بعض بنى لام أراد صَلَحَهُمْ عَلَى خَيْلٍ وَدُرُوع ، ثم غَدَرَ بهم وَهَرَبَ ليلا هو وجماعته . فلما ^{١٥} أصبحوا أرسل الشريف عسكره في طلبه فلحقوهم وأخذوا منهم خيلاً

(١) بلوغ القرى لوحة ٨٩ ظ . وانظر ترجمة فارس بن شامان في التحفة اللطيفة

٣٩٢/٣ برقم ٣٤٢٩ .

(٢) بلوغ القرى لوحة ٨٩ ظ .

(٣) المرجع السابق .

وغيرها — زاده الله نصرا — ثم إنه عاد إلى الخليصة^(١) ، وأقام بها^(٢) .

وفي هذا الشهر وصل قاصدان من صاحب المدينة فارس بن شامان ، ومع الأول : أنه قبض على جماعة من الشرفاء والسودان ، ولقى عندهم جملةً من الذهب والسبائك لصاحب المدينة حسن بن زُبَيْرٍ وغيره ، يأتي نحو أربعة آلاف دينار . ومع الثاني : أنه وجد تنزيل^(٣) مانع أخى حسن بالودائع التى لهم من المال بالمدينة ، فقبض عليهم وأخذ غالبا ، ووجد / أيضا ودائع لمُشارى بن ٢١٠ و ذريان^(٤) من الذهب والقناديل الفضة ، وتحصل من ذلك جملة مستكثرة ، وتزايد الدعاء له وللشريف .

وفي ليلة رابع شوال وصل السيد الشريف ، وولده السيد بركات ، ونائب جُدَّة القاضي كريم الدين عبدالكريم بن السعدى إبراهيم ، وطاف وسعى وعاد إلى الزاهر . وفي صبحتها خرج الشريف وولده وعسكرهما للقائه ، وخلع عليهما ، ودخلوا مكة

(١) الخليصة = الخليصة : حرة تنسب لخليص ، مستطيلة من الشرق إلى الغرب ، وتشرف على خليص من الشمال ، حدها الغربى ثنية الفيت ، والشرق جبل حمت . (معجم معالم الحجاز) .

(٢) بلوغ القرى لوحة ٩٠ و .

(٣) كذا فى بلوغ القرى لوحة ٩٠ و ، وفى الأصل دون نقط . والسياق يقتضى أن يكون المراد الكشف أو البيان المكتوب .

(٤) هو مشارى بن ذريان الحسينى الطفيل ، وكان عاون حسن بن زبيرى فى نهب القبة النبوية ، مع أن زبيرى أبا حسن هو الذى قتل ذريان أبا مشارى ، (التحفة اللطيفة ١/ ٧٦ ، ٤٥/٢) .

جميعاً ، وجلسوا بالحطيم ، وقرئ مرسوم الشريف ، وفيه : التوصية
على نائب جُدَّة ، وأن أمر الوظائف بجدة من نيابة ونظر وحسبة
وصيرفية معذوقة^(١) به ، وأن من خالف عليه يراجعنا في ذلك ،
وعاد الشريفان للوادي .

وفي ليلة الثلاثاء تاسع عِشْرِي ذى القعدة وصل الشريفان
لمكة ، ولأقيا الحاج كالعادة ، وسافرا بعد الحج إلى الوادي^(٢) .
وفي يوم الثلاثاء خامس المحرم سنة اثنتين وتسعمائة وصلت
من الشريف إلى القاضي الشافعي ورقة ، و [فيها]^(٣) أن القصاد
وصلوا إليه ، ومعهم مرسوم له وفيه : الإخبار بوفاة السلطان
قَائِتَبَاي ، وذلك في يوم الأحد ثامن عِشْرِي ذى القعدة ، سنة
إحدى وتسعمائة ، وبولاية ابنه محمد ، ولُقِّب بالناصر ، وكُنِّيَ بأبي
السعادات ، وأنه لا يُمَكِّن أمير كبير كان أُرْتُك من المجيء لمصر من
مكة إلا بمرسوم .

وفي صفر توجه الشريف وأولاده وعياله وعسكره في قافلة
كبيرة لزيارة جدّه المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ومعه القاضي

(١) كذا في الأصل ، وفي بلوغ القرى لوحة ٩٠ و « معقودة » ومعناها واحد :
أي موكولة إليه .

(٢) بلوغ القرى لوحة ٩١ و .

(٣) إضافة عن بلوغ القرى لوحة ٩١ ظ .

(٤) كذا في الأصل ، وبلوغ القرى لوحة ٩١ ظ . والمراد من العبارة أنه لا يُمَكِّن
الأمير أُرْتُك الذي كان أميراً كبيراً من الحضور إلى مصر من مكة إلا بمرسوم .

الشافعي الجمالي أبو السعود بن ظهيرة ، وَعَزَمَ على خَلْقٍ منهم :
القاضي المالكي ، والخطيبُ محب الدين النويري ، والقاضي شرف
الدين الرافعي وابنه وابن ابنه ، والجمال بن أبي اليمن النويري ،
والشرف أبو القاسم بن عز الدين وغيرهم ، وعادت القافلة إلى مكة
في أوائل ربيع الأول ، والقاضي الشافعي في ثالث يوم ، وتخلف
الشريف عنهم بيدر . وكانت القافلة يضرب بها المثل ، ولم تَسْمَعْ
بضبط مافيه من الشقادات وغيرها . ووصل للشريف وهو بيدر
قصاداً من القاهرة^(١) .

وفي يوم الثلاثاء تاسع ربيع الأول تُودي بمكة لذوى حسن ،
وذوى عَجَلان وجميع العساكر بالبرُوز إلى جُدَّة ، والتوجّه منها إلى
ينبع ؛ لأجل بني إبراهيم ؛ فإنهم استولوا على بلدهم السويق بمرسوم
سلطاني ، وسألوا الشريف في الإقامة على تعجيل خمسة آلاف
دينار ، وإعطاء ألفين في كل سنة . فامتنع إلا إن كانوا^(٢) يعطون
الفرس والدُّرُوع^(٣) ، فامتنعوا وقالوا : بيننا وبين العرب عداوة .

وفي ثاني عِشْرِ الشهر توجّه الشريف بركات من جُدَّة إلى
يَنبُوع ومعه العساكر ، ولم يَصْرِفْ عليهم إلا ما ينفقونه إلى ينبع . ثم
وقع الاتفاق على أن يعطوه ستة آلاف دينار في هذه السنة ، وأخذ

(١) وانظر صفة هذه القافلة ، ومن كان فيها من القضاة والعلماء والأعيان ، في

بلوغ القرى لوحة ٩٢ و .

(٢) في الأصل « كان » ، والمثبت عن بلوغ القرى لوحة ٩٤ و .

(٤) في الأصل « والدرع » ، والمثبت عن المرجع السابق .

- كثيرا من خيلهم [ودروعهم] ^(١) بألفين ، وترك لهم ألفا ، وعلى أن يعطوه في كل سنة ثلاثة آلاف دينار . وحمد الناس له ذلك — جزاه الله خيرا ، وأدام نصره على أعدائه — وعاد غالبُ العسكر قبْلَه ، وزار هو وولدهُ جدَّةُ المصطفى صلى الله عليه وسلم بعد الصلح ، وكان كلما زار تصدَّق على أهل المدينة بصدقة لها صورة ، °
تعم أهل السنة — تقبل الله منه آمين — وعاد لمكة فوصلها في ليلة الخميس ثاني عشرى جمادى الأولى .

- وفي صبح ثانيه حضر هو ، وولدهُ ، والقاضي الشافعي ،
٢١٠ ظ وابنه والباش / ، والمحتسب ، والخوaja عبدالرحمن بن الطاهر ،
والقاصدُ الشهابي أحمد بن عبدالرحيم أخو جلال [الدين] ^(١) .
١٠ بالحطيم ، وقرئت المراسيم ، وبدىء في مرسوم الشريف بخطبة فيها :
ذكرُ الموت ، وفيه : أن الحُجاج وصلوا بخير ، ووصلنا قاصدُكم ومعه كتبكم ، وأن صدقاتنا شملتكم بخلعتين ، والسيد بركات بخلعتين ، على يد القاصد القاضي الشهابي أحمد ، وفيه : الثناء على العادة . ولبس الشريفان خلعهما . وفي بقية اليوم سافر الشريف ١٥
وأولاده وجماعته إلى الخبت ^(٢) باليمن .

وفي أول ليلة الخميس رابع رجب وصل الشريف وأولاده وبعض جماعته مكة ، وحضر فيها بالمسجد عقَدَ القاضي بهاء الدين

(١) إضافة عن بلوغ القرى لوحة ٩٤ و .

(٢) الخبت : هو خبت ريعان باليمن بين لومة وقنونا ، وكان يسكنه بعض الأشراف

العبادلة ، وأشرف العجاليين (بني عجلان) . (بين مكة واليمن ص ١١٣) .

١ ابن قاضى القضاة أبى السعود بن ظهيرة ، على سِتِّ الكُلِّ ابنة الشيخ عمر الشيبى ، وكان عقدا عظيما ، حضره الأمير الكبير . وفى بقية الليلة سافر السيد وأولاده^(١) .

وفى خامس عشرى الشهر وصل الشريف وأولاده وعياله وعسكره إلى مكة قاصداً الشرق ، وفى ثانى تاريخه سافروا .

وفى صبح يوم الأربعاء سادس شوال وصل الشريف وولده السيد بركات مكة ، وبقية أولاده وعسكره من الشرق ، وفى ليلة الخميس بعده وصل نائبُ جُدَّة وناظرها ومحتسبها الشمسى محمد ابن كاتب البزادة ، وصيرفها محمد ابن نائب الحسبة بالقاهرة وفاء ، وأبو النجا المباشر . وطاف النائب وسعى ماشيا ، وخرج إلى الزاهر . وفى صبيحتها خرج إلى لقائه السيد الشريف وأولاده وعسكره ، فخلع عليه وعلى ولده السيد بركات ، ودخلوا جميعا مكة ، ثم المسجد الحرام ، وجلسوا بالحطيم ، وقرئت [المراسيم]^(٢) ومضمون مرسوم الشريف : التعريف بأن القاضى شمس الدين محمد ابن كاتب البزادة تقرر فى نيابة^(٣) جُدَّة ، ونظرها ، وجميع وظائفها^{١٥} ما عدا الصيرفية ، وألبسناه خلعة ، وقد تجهَّز إلى محل ولايته ، والمقصود مساعدته فى جميع مآربه ، وفى مشترى الفلفل للخزانة

(١) بلوغ القرى لوحة ٩٥ ظ .

(٢) إضافة على الأصل يقتضيها السياق .

(٣) فى الأصل « بناحية » ، والمثبت عن بلوغ القرى لوحة ٩٨ و ، وما سبق

هنا فى صدر الخبر .

- الشريفة على العادة في الماضي ، وأن جميع المراكب المتوجّهة إذا جاء ما فيها من الجلاب يكون هندي^(١) ، وكذا ما وصل من بضائع الهند في الجلاب يكون هندي^(١) وإن لم تكن مراكبه قاصدة جدّة .
 وألا يُسافر ببضائع الشام من جدّة ؛ ومن فعل ذلك ما يحصل له خير . وقد جهزنا لك ولولدك خلعتين فلتلبسهما . فلبسهما ، وعادا إلى الوادى .

- ثم عادا إلى مكة في ليلة الاثنين ثامن عشر الشهر ، ووصل في هذه الليلة الخادم مُختَصّ الساقى ، وباش المماليك السلطانية أبوزيد^(٢) ، وطافا وسعيا وعادا إلى الزاهر . وفي صبيحتها خرج للقاءهما السيد الشريف وولّده وعسكرهما ، وألبسهما خلعتين ، ودخلوا مكة ، ثم الخطيم . وقرئت المراسيم ، وفي مراسيم الشريف — وهى ثلاثة —: الشاء عليه ، وأن الواصل إليكم الأمير الخادم مُختَصّ ، وأنه من المقربين ، وأنه بلغنا وفاة جماعة من التجار ليس لهم وارث ، والمقصود ضَبْطُ ذلك وإيصاله إلى المذكور ، وكذا رسائل الضبط ، ومن له وارث يضبط موجوده ويرسل لنا بالقوائم ، والمعوّل ١٥ في ذلك على الشريف ، وليس للأمير مُختَصّ إلا إيصال المراسيم

(١) كذا في الأصل ، وبلوغ القرى لوحة ٩٨ و ، والمراد أنه يعامل من حيث المكس معاملة تجارة الهند .

(٢) هو أبو يزيد الصغير ، وكان السلطان ولّاه باشيئة الترك بمكة ، باختياره ؛ خوفاً على نفسه من الفتن . (بدائع الزهور ٣/٣٥٥) وقد قتل في ربيع الآخر سنة ٩٠٣ (بدائع الزهور ٣/٤٨٤) .

والمبلغ . ومن ذكر من التجار الشيزواري ، ووزير^(١) هرموز / ، أبو ٢١١ و
بكر بن الحوراني ، وابن الخبازة ، و بنت الخواجا قَاوَان زوج الشريف
إسحاق ، ومحمد العجمي البرلسي ، والسيرجاني ، وأحمد بن شعبان
الغزاوي ، وابن الترجمان الشامي ؛ وتتمّة عشرة أنفس . وفي أحد
المراسيم : الإخبار بوصول الأمير أبي يزيد وتوليته باش الترك عمن .
كان متوليا بها وهو تَنَبَّك الأخرص ، والتوصية به . وفي أحدها
أيضا : أن بعض النواخيد — وسمى جماعة — تجوّر بما يصل من
الهند إلى عدن ، ولا يدخل جُدّة ؛ فيؤدّي ذلك إلى خراب بندر
جُدّة . والمقصود رَدُّهُمْ ورَدُّعُهُمْ عن ذلك ، ومن يفعله ما يحصل له
خير .

وفي أواخر النهار أرسل الشريفُ مرسوما جاء إلى القاضيين
الحنفي والمالكي ، وفيه : توبيخُ لهما ، بأن الشكوى منهما كثيرة ،
وأنهما يتعصّبان ويحكمان بكذا . وقد عزَلْنَاهُمَا ، وسألتُ مراجِمَنَا
الشريفة في عودهما فأعدناهما ، وإن عادا لذلك ما تُقْبَلُ فيهما
شفاعة ؛ فتأخذون عليهما في ذلك . وقد جهزنا لهما خلعتين . ثم ١٥
سافر الشريفان — ظَنَّا — لجُدّة^(٢) .

ثم عادا لمكة في آخر ذي القعدة ، ولأقيا الحاج علي
عادتهما ، وبعد الحج توجَّها إلى الوادي .

(١) كذا في الأصل ، وفي بلوغ القرى لوحة ٩٨ ظ « الشيزواري وزير

هرموز » .

(٢) بلوغ القرى لوحة ٩٨ ظ .

ثم حصل للسيد محمد توعُّك من حَبَّة طلعت في رقبته تحت
أذنه ، وكانت قد وقعت لكثير من أسلافه ؛ فإن القاضي تقى الدين
الفاسي ذكر في ترجمة السيد أحمد بن عجلان المتقدم ذكره من كتابه
العقد الثمين^(١) : أنه تعلَّل قبل موته أياماً كثيرة من حَبَّة طلعت
عند أذنه ، بلغنى أن جَدَّه رُمِيَّة ، وجدَّ أبيه أبا نُمَيَّ ماتا بها .
انتهى .

وصار السيد محمد صاحب الترجمة يتألم بها إلى أن زاد به
الألم ، فانتقل من وادى مرَّ إلى وادى الآبار ، وتوجَّه القاضي الشافعي
لزيارته بالوادي ، ثم بوادى الآبار . واستمرَّ الشريف يتألم لذلك ،
وزاد به الحال إلى أن قضى نحبه — رحمة الله عليه — في يوم الثلاثاء
حادى عشرٍ المحرم الحرام ، سنة ثلاث وتسعمائة بوادى الآبار .
ووصل الخبر إلى مكة بعد العصر ؛ فضجَّت البلادُ لذلك ، وحُمِلَ
في سرير على أعناق الرجال إلى مكة ، ووُصِّلَ به إليها في أثناء ليلة
الأربعاء ، ومعه أولاده وعسكره ، ولحقهم النساء في الفجر ، إلَّا
اليسير جدا فوصلوا في ليلة الخميس ، وجُهِزَ في بيته ، وحُمِلَ إلى
الكعبة الشريفة ، وطيف به أسبوعاً كعادة أسلافه ، ومعه بعض
أولاده وعسكره . ثم بعد الفراغ وُضِعَ عند باب البيت إلى أن صلى
الصبح يوم الأربعاء ، فصلَّى عليه الناس ، وإمامهم قاضى القضاة
الشافعي الجمالى أبو السعود بن ظهيرة ، بعد أن نادى الرِّيس فوق
ظُلَّة زمزم بالصلاة عليه ، ووصفه باللقاب حسنة مُسَجَّعة ، فزاد الناس

(١) العقد الثمين ٩٦/٣ .

- في البكاء والنحيب ، وشيَّعه جميعُ الناس حتى المخدرات من البيوت ، والأمير الكبير أزيك ، بل خرج معه من البيت . ودفن أمام قبة أبيه — قالوا — بوصية منه . ثم بُنِيَ عليه بعد ذلك قبة عظيمة شاهقة ليس في المعلاة مثلها ، وحضر جميع النساء الذين سيكون^(١) إلى المعلاة ، وَجَزَّ كثيرٌ منهن شعورهن . ولما فُرِغَ من دفنه — رحمه الله رحمة واسعة — نزل أولاده / يمشون ومعهم القاضي الشافعي ٢١١ ظ وجماعته ، والقاضي المالكي ، وكثير من الفقهاء ، وجميع العسكر ، ونزل النساء وهم سيكون^(٢) ويدقون^(٣) ، وجلسوا بالمسعى إلى آخر النهار ، وطلعوا في العصر وفي صباح كل يوم ، ويعودون ويجلسون في المسعى والطرقات ، وتعطَّل البيع والشراء في تلك الأيام إلى يوم الاثنين ١٠ شابع عِشْرِي الشهر ، وقرئت الربعات على العادة في المسجد والمعلاة صباحا ومساء ، ويحضرها السادة أولاده ، والقضاة والفقهاء وغيرهم ، وطلعوا في عصر أول يوم مشاة ، ثم بعد ذلك اليوم طلع الأعيان ركبانا ، واستمروا إلى يوم الختم : يوم الأحد سادس عِشْرِي الشهر . وأنشد الشعراء كثيرا من المراثي . وسيأتي ذكر شيء منها . وجاء ١٥ الناس من جُدَّة وغيرها يوم دَفِنِه وبعده للعزاء ، وتأسَّف عليه جميع الناس وبَكَوْه ، فرحمه الله رحمة الأبرار ، وأسكنه فسيح الجنان . بجاه جده محمد سيد ولد عدنان .

ورام الأمير الكبير أزيك — بعد الدفن وهو بالمعلاة — كتابة

(١) كذا في الأصل .

(٢) كذا في الأصل ، وبلوغ القرى لوحة ١٠٠ و . ولعل المراد بيدقون هو ما

جرت به العادة من دق الدفوف على صوت الندابة ، أو لعل المراد هو لطم الوجوه .

- ١ محضر حينئذ للسيد بركات ولده ، واستدعى إليه القاضيين الحنفى والمالكى ، وكان الشافعى عنده ، ثم ترك ؛ فكأنه أشير عليه بعدمه (١) .

- ثم أُرسِلَ قاصد بسبب ذلك فجاء لمكة القاضى كاتب السر بدر الدين بن مُزهر ؛ لتولية ولده السيد بركات فى ربيع الآخر ، فقرأ مرسومه بالخطيم رابع الشهر وليس خلعتة (٢) .

- وحصل لصاحب الترجمة ما لم يحصل لأحد من أمراء مكة : من الرياسة والحشمة ، والهيبة والعظمة . والعز والوقار ، وكثرة العبيد والعقار ؛ بحيث عَمَّرَ بمكة والأودية عمائر لم يُسبق إليها . ولا قَدَرَ عاقلٌ ولا قَوَى عليها ، وصار كل مكان تباع ثمرته بقيمة قرية فأكثر فى الحال ، حتى ضُربَ بذلك الأمثال ، وكانت أيامه كثيرة الأمن والرخاء ، وبلده مقصودة من كل الآفاق ؛ لحسن الرجاء ، ولأزال أمره فى نموٍّ ووجاهة ، وسعده فى تَرَقٍّ ونباهة ، وعسكره مشهورين بالشجاعة ، منصورين على الأعداء فى كل ساعة ، مع أنهم لا يخرجون عن أمره ؛ ومن وَهَمَ منه فسادا زاد فى إبعاده وحَصْرِهِ ؛ فاستقام بذلك الحال ، وخيف منه الذل والوبال ، وفَاق كثيرا من أسلافه بالصِّلات ، وبما يجمع له من الجهات ، وأذعن له الموافق والمخالف ، من كل قاصد لبلده وعاكف .

ورُزِقَ عدة من الأولاد ، والخيول المسومة الجياد .

(١) بلوغ القرى لوحة ١٠٠ و .

(٢) بلوغ القرى لوحة ١٠٢ ظ .

- ١ وما عمله من الآثار والسُّبُل والآبار : رباط كبير بمكة ، أنشأه بأول أجياد قُبالة رباط والده ، سَكَن فيه الفقراء . ومدرسة على المسجد كان مكانها المدرسة البنجالية ، استأجرها وعَمَّرَهَا . وسبيل بالمعلاة . وسبيل ثانٍ وصهريج بيئر شمس . وسبيل ثالث بطريق الوادى عند التَّوَارِيَةِ . وسبيل رابع بِحَدًّا — بالحاء — وسبيل خامس بالرَّغَامَةِ^(١) بالقرب من جُدَّة ؛ وجعل لكل سبيل معلوما . وعدة آبار بوادى الآبار ، والعد ، والسعدية ومستورة^(٢) بالقرب من رابع ، وبغير ذلك من الطرقات التى يتعدى نفعها لجميع الجهات .
- وخلف من الأولاد جملةً / من الذكور والإناث ، يزيدون على ٢١٢ و
- ١٠ الثلاثين ، غير من مات فى حياته . والذكور ستة عشر ، وهم :
- السيد بركات ، أمه شريفة اسمها عَمْرَة بنت محمد بن على [بن أحمد]^(٣) بن ثقبه بن رميثة بن أبى نَمَى . وهَزَّاع أمه مناية الحبشية . وراجح ، وشُمَيْلَة — مات — وَقَايْتَبَاى — مات — ورُمَيْثَة ، أمهم حَصَل المراءُ الحبشية . وَجَازَان ، أمه زينة بنت رُومى الزبيدى . وحميضة . أمه سعاد الحبشية . وأبوالغيث ، وقاسم ، وناهض — ١٥ مات — أمهم دَام السَّرُورُ الحبشية ، وراجح ، وشُمَيْلَة — مات —

(١) الرغامة : هي الأرض الرملية التى على يمينك وأنت تخرج من جدة إلى مكة ، يسيل فيها من الشرق وادى غليل ، (معجم معالم الحجاز) .

(٢) مستورة : بلدة ساحلية على أربعين كيلاً شمالي رابع ، على الطريق المعبدة بين مكة والمدينة ، بها مرافق عامة ومركز إمارة يتبع رابع . (على طريق الهجرة ٧١) .

(٣) بياض فى الأصل بمقدار كلمة كتب فوقه لفظ « كذا » والمثبت عن سمط النجوم العوالى ٢٧٩/٤ .

- ١ وشَوْلَق ، أمهم شقراء بنت كاسب الزبيدي اليمنى . وأبو دعيج — مات — ، أمه قُمَارِي الحبشية . وسيَسَد ، أمه هاجر الحبشية . وزيد — مات — أمه دَامَ العِزُّ الحبشية . وإناث^(١)

وأوقف ماله من الدور والأصائل في حياته على أولاده ، وأشرك

- ٥ بعضهم مع بعض ، وإن لم [يكن]^(٢) شقيقه . وجعل من مات منهم وليس له ولد تكون حصته لشريكه دون شقيقه وإخوانه الباقين . وكَمَّلَ اللهُ له زينة الحياة الدنيا بالسبعة المذكورة في قوله تعالى ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾^(٣) ويُذَكِّرُ عنه : أنه كان يسجد شكرا ١٠ عند قراءة هذه الآية ، وزاده اللهُ تعالى عليها شرف النفس والنسب ، وعَرَاقَة الأَصْل من الملك والحسب ، والصفات الذاتية الحسنة ، والنعوت الجميلة التي تواترت بها الألسنة ، والطلعة البهية ، والشيبة السنية ، وثُوَّة باسمه في الخطب على المنبرين الشريفين ، وثُفُوَّة مجليل ذكره في المحلين المنيفين ، وأَمَّنَ اللهُ تعالى بوجوده الطرقات ، وحَسَمَ ١٥ بحسن سيرته وسريته جميع المكروهات .

(١) لم يذكر مؤلفنا العز ابن فهد أسماء الإناث ، وترك الناسخ بياضاً مقداره

نصف سطر .

(٢) إضافة يقتضيها السياق .

(٣) سورة آل عمران آية ١٣ .

مَوْلَى بِلَادُ اللَّهِ قَدْ غَنِيَتْ بِهِ

عَنْ وَضْعِ أَسْوَارٍ وَرَفْعِ حُصُونٍ

- وقد أثنى عليه جماعة من العلماء الفقهاء ، والأدباء الشعراء
 النبهاء ، ومن ذكره شيخنا الحافظ شمس الدين السخاوى ، في تاريخه
 « الضوء اللامع لأهل القرن التاسع »^(١) ، فقال : السيد جمال
 الدين ملك الحجاز وابن ملوكه ، وسيلك النظام المرتبط بسلوكه ،
 الطاهر الأصل والأحساب ، والظاهر العدل والانتساب ، ربيب مهد
 السعد والسعادة ، ونسيب الأصل والحشمة والسيادة . السلالة
 النبوية رداؤه ، والأصالة العلوية انتهاؤه وابتدأؤه . اجتمع فيه من
 المحاسن الكثير ، وارتفع ذكره بين الصغير والكبير ، واندفع به المكروه
 عن أهل الحرمين ومن إليهما يسير . أمّن الله بفضلته وعدله في أيامه
 الطرقات ، ومنّ على المسلمين بحفظهم وما حوّه [فكان]^(٢) من
 أعظم الصدقات . حُبّه للتنزيل غير منكور ، وجبّه — فضلا
 عنه — بالصفاء ماثور مذكور . شيمه طاهرة ، وعلمه غير مطوّر
 عن الفئة الفاجرة . لا يصرفه عن إتلاف المفسد صارف ، ولا يحرفه عن
 إتلاف المرشد تليد ولا طارف . يحول على الأعداء ويصول ، ويقول لهم
 فى / مخاطباته ما تدهش به العقول . ويتطوّل ويتفصّل حتى انطاعت ٢١٢ظ
 له عصيّاُ الرعوس ، وأبيّات النفوس . وارتفعت من فروسيته
 [وشدة]^(٢) بأسه الحماة الكماة ؛ فتخلّلت منهم الضروس .

(١) وانظر الضوء اللامع ١٥٠/٧ برقم ٣٧٧ .

(٢) سقط فى الأصل ، والمثبت عن المرجع السابق .

- ١ أسعدته درج الصعود ، فأصعدته لمراق السعود ، فكان له الظهور بالبرهان أبي السعود . بحيث دانت له ممالك الحجاز وما حولها ، وزانت مجرمته تلك الجهات صعبها وسهلها ، فلا يجارى ولا يبارى ، ولا يجسر أحد لمقاومته في المدن والصحارى . اقتنص المخالفين بخيله ورجله ، وخصَّصَ مَنْ يألفه لرجولته منهم بتوالى إحسانه عليه . وفضله . فالرعايا ما بين راغب فيه ومنه راهب ، والمزايا الحسنة مقترنة معه وله تصاحب . فهو شديد بغير عنف ، شديد في اللين^(١) بغير ضعف . إليه يسعى الأمراء والكبراء ، وعليه مَعُولُ الأغنياء والفقراء . كثير المداراة والاحتمال ، غير خبير بالمماراة المجانبية لكرام الرجال . بل هو صابر غير مكابر . متدبر للعواقب ، المصاحبة لمن يخاف الله وله يراقب . ولهذه الأوصاف والمآثر تشرفت بذكره المنابر . وخطب بالتنويه باسمه على المنبرين ، ونصب رسمه بدينك العلمين ؛ ليفوز في الدارين إن شاء الله بالخيرين . وكيف لا وقد اجتمع فيه — بدون لبس ، وتخمين وحُدس — شرف النسب ، وعراقة الأصل في المملكة وَعَلِيَّ الرتب . وصَبَاحَةُ الوجه ونوره . وفصاحة اللسان وتأمله ١٥ وتصويره . وفضيلة البلد ، التي هي الوسيلة لمن أمَّ وقصد . فهو شريف نسبا وأوصافا ، ولطيف الأدوات المشتمل عليها تَوَدُّدًا وإنصافا . فالوصف الرضى لا يستغرب من البيت الطيب ، والعرف الذكي غير مستبعد من البلد الصيِّب . كم أنشأ من دور وقصور وقرب ، ترتفع بها الرتب ؛ كرباط بمكة معدن الرحمة والبركة ، وسبل ٢٠

(١) في الأصل « الدين » ، والتصويب عن الضوء اللامع ١٥٠/٧ .

- عديدة ، كجملة بطريق جُدَّة المفيدة ، وبالمعلاه ، الذى شرفه الله ١ وأعلاه . وفى جهة اليمن ، وآخر بطريق الوادى الحسن . وآبار بأماكن شتى ، يردها من صَيْفٍ أو شَتَّى ، أعمها المستورة بين رابغ وبدر^(١) المذكورة . لنفع الحجيج والقوافل ، من الأعلى والأسافل . إلى غيرها مما لا ينحصر لمَطْوَل ولا مُخْتَصِر . واقتنى من حقائق وستور ، وإبل وخيول وفروع وأصول . وأجرى من مياهٍ لأراضٍ منقطعة ، وأسرى فكان المشار إليه بالاتساع والسعة . وكثرت كُلفه لعساكره وجنده ، وانتشرت أتباعه فزاد على المرحومين والده وجَدَّه . له فى زيارة جَدَّه المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وشرف وكرم — كل قليل — حركات ، وإلى عمارة جيرانه أَلْتَفَاتٍ بالإنعام والبركات ، ويزداد حينئذ من التواضع وخفض الرأس ما يحق لكل الاقتداء به فيه ، ويكاد الانفراد به بدون تمويه . وكذا له فى الطواف والوصف الشريف الواف ، ويحق لنا أن ننشد ، مما نرويه ولقائله نسند .

يَا أَهْلَ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ حُبُّكُمْ

فَرَضَ مِنَ اللَّهِ فِي التَّنْزِيلِ أَنْزَلَهُ

١٥

كَفَاكُمْ مِنْ عَظِيمِ الْقَدْرِ أَنْكُمْ

مَنْ لَمْ يُصَلِّ عَلَيْكُمْ لِاصْلَاةٍ لَهُ /

وَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنَا وَسَامِعُ كَرِيمٍ نَعْتُهُ : طَوَّلَ بَقَائِهِ وَمَدَّتَهُ ، فى ٢١٣ و
نعمة سابعة عليه ، وإحسان من ربنا إليه ، وَأَنْ يَمُنَّ عَلَيْهِ بِكُلِّ

(١) فى الأصل « وبين » ، والتصويب عن الضوء اللامع ١٥١/٧ .

- محبوب ، في نفسه وجماعته وبنيه ، خصوصاً قسيمه المنطوية على
 محبته القلوب ، ويصرف عنهم كل مكروه . ويلطف بهم في سائر ما
 يحذروه ويرجوه . ويرحم سلفهم رحمة واسعة ، وينفعنا بمحبتهم التي
 للخيرات جامعة .
- وذكر مولده وبعض من أجاز له كما قدمنا ذكره ، ثم ذكر
 مضمون ما قدمناه باختصار . فقال : ونشأ في كنف أبيه ، وكان
 قاصده إلى الظاهر جَقْمَق في سنة خمسين ؛ فأكرمه ثم أعاد الإمرة
 لأبيه ، وصرف أبا القاسم . فلما كبر أبوه وهشَّ [التمس] ^(١) من
 شَادْ جُدَّة جَانِبَك الجُدَّاءِي الظاهري ، في منتصف سنة تسع
 وخمسين أن يكتب السلطان في إشراكه معه في الإمرة . فأجيب ،
 وأن يكون مستقلاً بها بعده ، ووصل العلمُ لمكة بذلك في يوم
 الثلاثاء عِشْرِي شعبان منها ، وهو اليوم الثاني من وفاة أبيه . فدُعِيَ
 له على زمزم بعد صلاة المغرب ، في ليلة الأربعاء ، مع كونه كان
 غائباً ببلاد اليمن .
- ولما وصل إليه العلمُ بذلك مع القاصد المجهَّز إليه وغيره ،
 وصل إلى مكة في أثناء ليلة الجمعة سابع رمضان ، فاجتمع القضاة
 والأمراء ، وأعيان المجاورين وغيرهم ، في صبحَة يومها ، وقرئ
 مرسومه بذلك ، وحُمِدَت سيرته جدا ، وتوجَّه لبلاد الشرق غير
 مرَّة ، وكذا أكثر من زيارة النبي صلى الله عليه وسلم ، مصاحباً
 ذلك بالإحسان إلى أهل المدينة والقاطنين بها ، والوافدين عليها على

(١) سقط في الأصل ، والمثبت عن الضوء اللامع ١٥٢/٧ .

- ١ قدر مراتبهم . وربما تَفَقَّدَ أَهْلَ مكة سيما الغرباء ، وكنت^(١) ممن وصله برُّهُ في الموضعين . ودخل المدينة في أواخر جمادى الثانية ، سنة ثمان وتسعين للزيارة — وأنا بها — ومعه أولاده وعياله . فالذكور من أولاده : السيد بركات ، وهَزَّاع ، وشرف الدين ، وجازان ، وحميضة ، وناهض ، وقَابِئَبَاي . وهم في الترتيب هكذا . وأولاد أولهم — وهو قسيمه وشريكه في السلطنة — وهم : عَجَلان ، ثم أبوالقاسم ، ثم على . في آخرين من الإناث ، وابن ثانيهم وهو صغير ، وثالثهم جَارَ البلوغ . وهو مملك على ابنة عمِّه . وَأَطْمَأَن الناس في أيامه كثيرا ، وتموَّلَ جدا ، وكثرت أتباعه وأراضيه وأمواله ، وفاق خلقا من أسلافه ، واستمر أمره في تَمَوُّ ووجاهته في ازدياد ، وسعده في تَرَقُّ وإسعاد ؛ بحيث أضيفت إليه سائر بلاد الحجاز ، يستنيب فيها من يختار ، ودُعِيَ له على المنبرين كما سمعته في المسجدين ، بل كنت — أوَّل وقوعه على منبر المدينة — بجانبه في الروضة ، وفرحتُ له بذلك لما أعجبنى من شِدَّة تواضعه ، ومزيد أدبه بتلك الحضرة — وكذا وقع لجدّه السيد حسن أنه فُوضَ إليه سلطنة الحجاز ، ودُعِيَ له على المنبرين — وأذعن له الموافق والمشاقق ، وأمعن في تمهيد جهاته التي هو بها سابق ، بحيث إنه سار بنفسه في عساكر لأهل يَثْبُوع ، لما باينوه وخرجوا عن طاعته بالمقاطعة وعدم الخضوع . وأجلى بنى إبراهيم عن بلادهم ، وأعلى مقامه بإفساد مقاصدهم ؛ فمأوسعهم إلا الانقياد لسلطانته ، واعتماد
- ٢٠

(١) أي مؤلف الضوء اللامع الحافظ شمس الدين السخاوي .

- أوامره ، والترجى لفضله وإحسانه . وكذا لجازان حين أمدوا أخاه / ١
 ٢١٣ ظ وعاونوه على العصيان ، ومكَّنُوهُ من التوجه إلى الديار المصرية ، وأمنوه
 في تلك المشاققة حَمِيَّةً وَعَصِيَّةً ، فسبى واجتبى ، وصار صاحبُها
 من أتباعه ، حين علم ما صدر منه في تَعَتُّيه وابتداعه . وأتى على
 يزيد فأجلاهم أيضا ، وصاروا طوعا لسلطانه وله أرضا ، ثم تزوّج
 منهم مقتديا بخيار الملوك في تأمينهم والرضا عنهم ؛ كل هذا حتى
 لا يُطْمَع في جهاته ، ولا يُتَرَفَّع عليه في جميع توجهاته ؛ مما إليه تتوجّه
 الهممُ العليا ، والأعمال بالنيات .

- وبالجملة فهو حسنة من حسنات الرحمن أدبا وتواضعا وعقلا
 وفهما ، مع وضاءة وحسن شِكَاَلَة ، ومداومة على الجماعات
 ١٠ والطواف حين كونه بمكة ، ومزيد سكون ، وكفًا لأتباعه وجماعته عن
 الرعية ، وعدم تَلَفُّتٍ لما بأيدي التجار سيما حين تكليفه بما لم
 يُسْمَع بمثله في دولة ، وهو صابر مبادر ، بل إذا أخذ منهم شيئا
 يكون قَرْضًا ، كل هذا بتهديب عالم الحجاز البرهاني . ولذا راعى
 ولده بعد موته . واستمر على سلطنته وحمد صنيعه ، زادهما الله
 ١٥ فضلا ، وأيدهما بدفع ما لا طاقة لهما به ، تحننا [منه] ^(١) وعدلا .
 انتهى كلام شيخنا السخاوي .

ولم أرَ لصاحب الترجمة نظما أثبتته .

ومن امتدحه القاضى الرئيس ، الإمام الأديب ، شهاب الدين

(١) سقط في الأصل ، والمثبت عن الضوء اللامع ١٥٣/٧ .

أحمد ابن محمد بن عبدالله القليوبي الأصل ، المكّي ، الشهير بابن
حَبْطَة ، لما أن قدم الشريف إلى جدة في العشر الأخير من شهر
رمضان سنة ثلاث وستين وثمانمائة ، وكان هو ضعيفا ؛ فاعتذر إليه
وهناه بالصوم والعيد . وسمعا منه الوالد في شعبان سنة أربع وستين
بجدة ، فقال :

- صُبِّحْتَ بِالْخَيْرِ وَالْإِقْبَالِ وَالظَّفَرِ
عَلَى عِدَاكَ وَتَيْلِ الْقَصْدِ وَالْوَطَرِ
يَا سَيِّدًا مُذْ وَفَى وَافَى الْهِنَاءُ إِلَى
جَمْعِ الْخَلَائِقِ مِنْ بَدْوٍ وَمِنْ حَضَرِ
وَمَنْ رَقَى فِي ذُرَى الْعِلْيَاءِ مَنْزِلَةً
مَا نَالَهَا أَحَدٌ مِنْ سَائِرِ الْبَشَرِ
قَدِمْتَ كَالْعَيْثِ رَوَى الْأَرْضَ فَابْتَهَجْتَ
وَجِئْتَ كَاللَيْثِ فِي خُبْرٍ وَفَى خَبَرِ
وَأَصْبَحَ الْكَوْنُ مَسْرُورًا وَمُعْتَبِرًا
يَمِيسُ بِالنَّيِّهِ فِي أَثْوَابِهِ الْخُضَرِ
يَا بَنَ الْكِرَامِ وَيَا دُخَرَ الْأَنَامِ وَيَا
مُعْطَى الْأَنَامِ وَمَوْلَى الْجُودِ بِالْبَدْرِ
يَا مَنْ إِذَا أَنْشَأَتْ جُودًا أَنْأَمِلُهُ
عَلَى الْبَرِّيَّةِ أَزْرَتْ وَابِلَ الْمَطَرِ
لَا غَرَوْ مِنْ بَرَكَاتِ اللَّهِ أَنْ رُفِعَتْ
لَكَ الْمَرَاتِبُ فَوْقَ الْأَنْجُمِ الزُّهَرِ

- ١ قَدْ حُزَّتْ خَلْقًا وَخُلِقًا كُلَّهُ حَسَنٌ
 حَارَتْ لَعْمَرِي فِي أَمْدَاحِهِ فِكْرِي
 وَخَصَّكَ اللَّهُ دُونَ الْخَلْقِ قَاطِبَةً
 بِكُلِّ وَصْفٍ جَمِيلٍ غَيْرِ مُنْخَصِرٍ
 لَيْنٌ وَبَاسٌ وَأَفْضَالٌ وَفِرْطٌ نُهَى
 فَضَائِلُ زَانِهَا الرَّحْمَنُ بِالْخَفَرِ
 حَبْرٌ لِمُعْتَرِفٍ بَحْرٌ لِمُعْتَرِفٍ
 جَبْرٌ لِمُنْكَسِرٍ كَثْرٌ لِمُفْتَقِرٍ /
 ٢١٤ وَ قُلْ لِلَّذِي رَامَ تَشْبِيهًا بِهِ سَفَهًا
 ١٠ أَقْصِرْ عَنَّاكَ فَمَا الْحَصْبَاءُ كَالدَّرَرِ
 فِي النَّاسِ جُودٌ وَلَكِنْ جُودُ رَاحَتِهِ
 أَرْنَى عَلَيْهِمْ وَلَيْسَ الْبَحْرُ كَالنَّهْرِ
 يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْغَرَاءُ دَوْلَتُهُ
 بِسِيرَةٍ سَارَهَا مِنْ أَعْظَمِ السَّيْرِ
 لَا تَحْشَ مِنْ حَادِثٍ فَاللَّهُ خَالِقُنَا
 ١٥ أَعْطَاكَ أَمْنًا مِنَ الْآفَاتِ وَالْغَيْرِ
 وَعِشْ مُعَافَى مُوقَى كُلِّ نَائِبَةٍ
 بِرَغْمِ كُلِّ الْأَعَادَى دَائِمِ الْعُمُرِ
 وَعُمَّ بِالْعَدْلِ فِي كُلِّ الْمَهْمِ (١) وَفِي
 ٢٠ أَكْنَافِ مَكَّةَ حَوْلَ الْبَيْتِ وَالْحَجَرِ

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ ، وَلَعَلَّهُ تَصْغِيرُ « مَهْم » .

- وَأَهْنَأُ بِصَوْمِكَ فِي أَمْنٍ فِي دَعَاةٍ
والعيدُ تتلوه أعيادُ على الأثرِ
وَأَسْلَمَ وَدُمَ وَتَحَكَّمَ وَاسْتَطَلَّ أَبَدًا
فَأَنْتَ فِي الْخَلْقِ رَبُّ النَّفْعِ وَالضَّرَرِ (٢)
وَأَقْبَلْ مَعَاذِيرَ عَبْدٍ عَاقَهُ سَقَمٌ
عَنِ التَّمَلُّيْ بِرُؤْيَا وَجْهِكَ الْقَمَرِ
لو يَسْتَطِيعُ إِلَيْكَ السَّعْيُ كَانَ سَعْيُ
سَعْيًا عَلَى الرَّأْسِ بَلْ سَعْيًا عَلَى الْبَصَرِ
وَأَسْتَجِلْ بِكَرًّا عَرُوسًا بِنْتَ لَيْلَتِهَا
خَارَتْ بِمَدْحِكَ فَضْلًا غَيْرَ مُسْتَتِرٍ ١٠
رَقِيقَةً حُرَّةً لَأَنْتَ مَعَاطِفُهَا
تَخْتَالُ بِالْعُجْبِ بَيْنَ الطَّوْلِ وَالْقَصْرِ
عَرَاءَ فِي حُسْنِهَا عَذْرَاءَ قَدْ سَكَنْتُ
بَيْتًا مِنَ الشَّعْرِ لَا بَيْتًا مِنَ الشَّعْرِ
جَاءَتْكَ تَسْعَى إِلَى الْأَبْوَابِ رَاجِيَةً ١٥
مِنْكَ الْجَدَى وَالنَّدَى فِي زِيٍّ مُقْتَدِرٍ
وَأَصْفَحْ بِفَضْلِكَ فِي تَقْصِيرِ مُنْشِئِهَا
وَأَسْمَحْ وَلَا تُخْلِهِ مِنْ وَافِرِ النَّظَرِ

(٢) لقد بلغ الإغراق في المدح بهذا الشاعر المدايح بحيث وصف شريف مكة بأنه رب النفع والضرر في الخلق ، ولا شك أن هذا المدح يقدر في إخلاص العقيدة ونقاها ، وقد قال عنه السخاوي في الضوء اللامع ١٣٣/٢ « نسبت له هنات ، لكنه أظهر بآخرة التوبة وانعزل ، وأكثر الطواف والعبادة والتلاوة ، ورأيت على خير وطريقة جميلة » .

١. فَإِنَّ وَالِدَكَ الْمَرْحُومَ لَا بَرَحَتْ
 سَحَائِبُ الْعَفْوِ تَغْشَاهُ بِمُنْهَمِرٍ
 وَيُحْسِنُ اللَّهُ مَثْوَاهُ وَيَجْعَلُهُ
 مِنْ الْمُشَارِ إِلَيْهِمْ آخِرَ الزُّمَرِ
 ٥. قَدْ كَانَ عَوْنِي عَلَى ذَهْرِي وَمُعْتَمِدِي
 بَعْدَ الْإِلَهِ عَلَى إِحْسَانِهِ عُمَرِي
 لَا زَالَ بِأَبْكَ مَحْرُوسَ الْجَنَابِ وَلَا
 بَرَحَتْ تَسْمُو بَعْدِلٍ مِنْكَ مُنْتَشِرِ
 ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى الْهَادِي وَشِيعَتِهِ
 ١٠. الْمُصْطَفَى الْمُجْتَبَى الْمُخْتَارِ مِنْ مُضَرٍ

وقال الشيخ العلامة القاضي الأديب الفهامة ، خير الدين
 أبو الخير محمد بن أبي السعود بن ظهيرة القرشي المكي الشافعي
 — رحمه الله تعالى — يمدح مكان السيد محمد العظيم الشأن ،
 الْمُسَمَّى بِأَمِّ شُمَيْلَةٍ فِي أَرْضِ حَسَّانَ، مِنْ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ وَثَمَانِ مِائَةٍ :

١٥. بِأَمِّ شُمَيْلَةٍ حَسَنَ الْمَقِيلِ وَطَابَ لَنَا بِهَا الظِّلُّ الظَّلِيلُ
 وَهَبْ نَسِيمُهَا الْأَسْنَى صَحِيحاً وَعَهْدِي بِالنَّسِيمِ هُوَ الْعَلِيلُ /
 لَقَدْ كَمَلْتُ مَحَاسِنُهَا فَائِنِي لِسَانُ الْحَالِ فِي الْمَعْنَى يَقُولُ
 أَهْلٌ لِرِبَاقَتِي وَصَفَاءِ مَائِي وَنُضْرَةِ خُضْرَتِي يُبْعَى بِدِيلُ
 وَهَلْ لِمُعَمَّرِي بَيْنَ الْبَرَايَا شَيْءٌ أَوْ بِدِيلٌ أَوْ مَثِيلُ
 ٢٠. مَلِيكَ قَدْ سَمَّا قُنَّ الْمَعَالِي وَذَلَّ لِعِزِّهِ الصَّعْبُ الْمَهُولُ
 هُوَ الْبَطْلُ الْهَزْبُرُ أَبُو قِنَاعٍ مُحَمَّدُ الْأَبْيُ الْمُسْتَطِيلُ

فلا زالت سَعَادَتُهُ تَرْقَى وَدَوَّلَتُهُ لَهَا الْعِزُّ الْأَيْلُ ١

وقال الشريف الأديب الأجل ، رفيع القدر والمحل ، مجد الدين جَرَّاحُ بن شَاجِرِ بن حسن بن أحمد بن أبي القاسم المقنى السليماني الحسيني نَسَباً ، الزَّيْدِيّ مذهباً ، العَسَّائِيّ بلداً ، ثم الجازاني (١) ، يمدحه بقصيدة مطلعها :

قَلْبٌ بِسُكَّانِ ذِرْوَدٍ (٢) عَمِيدٌ وَلَوْعَةٌ مَا بَرَحَتْ فِي مَزِيدٍ
وَمَذْمَعٌ لَوْلَاهُ يَجْرِي دَمًا لَأَثَبَتْ النَخْلَ وَحَبَّ الْحَصِيدِ
وَحَرٌّ وَجَدَ كَامِنٍ فِي الْحَشَا يَبْرُدُ عَنْهُ حَرُّ نَارِ الْوَعِيدِ
عَلَى لُيَالٍ تَقْضَتْ لَنَا كُنَّا بِهَا فِي خَفْضِ عَيْشٍ رَغِيدِ
نَسَحَبُ فِي النُّعْمَةِ أَذْيَالَنَا وَالْدَّهْرُ مِطْوَاغٌ عَلَى مَا تُرِيدُ ١٠
وَحَوْلَنَا غَيْدٌ كَمَثَلِ الدُّمَى يَسُومُنَ عَنْ دُرٍّ وَطَلَعَ نَضِيدُ
مِنْ كُلِّ خَوْدٍ غَضِيَّةٌ بَضِيَّةٌ بَهَجَتْهَا تَفْضُحُ حُورًا وَغَيْدُ
أَعَارَتْ الشَّمْسُ سَنَاهَا كَمَا أَعَارَتْ الظُّبْيَةُ عَيْنًا وَجِيدُ
كَمْ مِنْ شَقِيٍّ فِي هَوَاهَا سَعِيدُ كَمَا بِهَا كُلُّ قَتِيلٍ شَهِيدُ
ومنها :

سَرَّهَا عَلَى اسْمِ اللَّهِ وَأَقْصِدْ بِهَا مَنَازِلَ الْمُبْدَى الْعَطَايَا الْمُعِيدِ
مُحَمَّدٍ مَوْلَى الْبَرَايَا مَعَا وَمَنْ لَهُ الْخَلْقُ جَمِيعًا عَيْدُ ١٥

(١) معجم المؤلفين ١١٦/٣ وفيه « الجراح بن شاجر الذروي الصبياني ، من مواليد القرن التاسع الهجري ، ومن آثاره ديوان شعر » .

(٢) ذرود : كذا في الأصل — يقول ياقوت في معجم البلدان : اسم جبل ولم يحدده . وأقول لعلها ذُرْوَةٌ — بفتح أوله وبكسر — : مكان حجازي في ديار غطفان ، وماء لمرة بن عوف ، وأرض بالبادية ، واسم لجبل ، وبلدة باليمن من أرض الصيد (معجم البلدان لياقوت) .

- وَسَيِّدٍ سَادَ بَنَى هَاشِمٍ
إِخْتَارَهُ اللَّهُ عَلَى خَلْقِهِ
فَسَارَ فِيهِمْ سِيرَةَ الْمُصْطَفَى
مَا آلَ مَرْوَانَ سُلَيْمَانَ أَوْ
وَمَا بَنُو الْعَبَّاسِ سَفَّاحُهُمْ
أَقْسَمْتُ بِالْخِتَارِ مِنْ هَاشِمٍ^(١) ٢١٥
حَمَى حِمَى الدِّينِ بِسُمْرِ الْقَنَا
وَسَابِقَاتٍ قُرْجٍ شَذِبَ
تُرُوعُ الْآفَاقُ مِنْ بَأْسِهِ
يَقُودُهُ خَيْرَ مَلُوكِ الْوَرَى
حَتَفَ الْمَعَادِي بِرَكَاتِ الذِي
يَقُولُ مِنْهُ قِرْنُهُ فِي الْوَعَى
وَسَيْفُهُ بَعْدُ يُبِيدُ الْعِدَى
لَوْ رَامَ صَنْعَاءَ لَحَفَّتْ بِهَا
وَلَوْ بَغَى وَادِي زَبِيدٍ لَمَّا
خُذَهَا كَعَقْدِ الدُّرِّ مِنْ مَاهِرٍ
لَا زِلْمًا فِي نِعْمَةٍ جَمَّةٍ
وَقَالَ يَمْدَحُهُ أَيْضًا :
١. إِمَامَهَا الْبِرَّ الْحَمِيدِ الْمَجِيدِ
خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ أَضْحَى وَحِيدَ
ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ
هَشَامُ بَلْ مَا عَمَّرَهُ الْوَلِيدُ
إِلَيْهِ أَوْ مَهْدِيَّهُمْ وَالرَّشِيدُ /
مَا لِأَبِي هَزَّاعٍ مِنْهُمْ نَدِيدُ
مِنْ كُلِّ جَبَّارٍ غَشُومٍ عَنِيدُ
وَمَاضِيَاتٍ لِلْأَعَادِي تُبِيدُ
خَوْفًا إِذَا جَهَّزَ جَيْشًا حَفِيدُ
أَبُو زُهَيْرٍ ذُو الْفَخَارِ الْمَجِيدِ
لَهُ غَدَاةُ الرَّوْعِ بِأَسٍّ شَدِيدُ
هَذَا الَّذِي قَدْ كُنْتُ مِنْهُ أَحِيدُ
يَقُولُ يَا مَوْلَايَ هَلْ مِنْ مَزِيدِ
جِيوشُهُ أَوْ صَعْدَةِ وَالصَّعِيدِ
عَزَّ عَلَيْهِ مَلِكُ وَادِي زَبِيدِ
فِي الشَّعْرِ مِنْهُ الْفُصْحَى تَسْتَفِيدُ
مَا دُمْتُمَا فَالْكُلُّ مِنَّا سَعِيدُ

بَدَا مِنْ خِلَالِ السِّتْرِ كَفٌّ وَمِعْصَمٌ

٢. فَحَنَّ إِلَيْهِ الْعَاشِقُونَ وَأَرْزَمُوا

(١) لابد من التنبيه هنا إلى ما في القسم بغير الله من مخالفة لعقيدة التوحيد .

- ١ ولو نظروا ما تَحْتَ بُرُجِ زَيْنَبٍ
لَمَاتُوا وَسَلَّتْ أَنْفُسُ الْقَوْمِ مِنْهُمْ
ولو شَاهَدَ الْكَفَّارُ بَعْضَ جَمَالِهَا
وَبَهَجَتِهَا خَرُّوا سُجُوداً وَأَسْلَمُوا
٥ فِتَاةٌ بِفِيهَا لَوْلُوٌّ وَمُدَامَةٌ
وَفِي الْخَدِّ مِنْهَا جَنَّةٌ وَجَهَنَّمُ
مِنَ الْبَيْضِ أَمَّا رِدْفُهَا فَمُثْقَلٌ
عَلَيْهَا وَأَمَّا خَصْرُهَا فَمُهْضَمٌ
شَكَوْتُ إِلَيْهَا أَنْتَى بِكِ مُعْرَمٌ
١٠ وَلِيَّ أَرْبٍ فِيمَا بِهِ أَنْتِ أَعْلَمُ
وَأَنَّ عَيْونِي بِالْدمُوعِ هَوَاطِلُ
وَأَنَّ فُؤَادِي مُسْتَهَامٌ مُتِيَمٌ
فَهَلْ فِيكَ يَا رَيَّا الْمُخْلَجِلَ مَطْمَعٌ
لِمَنْ طَرَفُهُ بَاكِ وَمَدْمَعُهُ دَمٌ
١٥ فَقَالَتْ وَأَيُّمُ اللَّهِ إِنَّكَ أَشْعَبُ
أَتَرْجُو وَصَالِي سَاءَ مَا تَتَوَهَّمُ
أَنَا الشَّمْسُ يَدْنُو لِلْعِيونِ شُعَاعُهَا
وَتَبْعُدُ عَنْ لَمْسِ الْأَكْفِ وَتَعْظُمُ
لَعْنُ كُنْتَ تَحْكِي فِي جَمَالِي يُوسُفًا
٢٠ لَعَمْرُكَ إِنِّي فِي عَفَافِي مَرِيَمُ
وَلَمْ تَرِثْ لِي مِمَّا لَقِيْتُ وَإِنَّمَا
تَوَلَّيْتُ وَعَقْلِي ذَاهِلٌ وَهِيَ تَبْسُمُ /

٢١٥ ظ إلى الله أشكوها وملك مهذب

به يبدأ الذكر الجميل ويختتم
إلى خادم البيت العتيق ومن به

زها الحجر والبيت العتيق وزمزم
إلى من سما مجداً وفخراً وسودداً

ولي عنده (١) وغفر ومرزم
إلى سيد لم يخل من جود كفه

مكان ولما يخل من مدحه فم
إلى الفرد في أهل الزمان وإنه

١٠ تراه وحيداً وهو جيش عرمرم
يجلّي الأمور المشكلات يمينه

كما يستفاد العلم منه ويعلم
ولولاه للدين والورى

لعمهم نيل من الشرك مظلم
١٥ فيوم له غزو (٢) ويوم له ندى

ويوم بشرع الله يقضى ويحكم
وإن جنّ جنح الليل أحيّا ظلامه

قياماً وأعيان (٣) البرية نوم

(١) بياض في الأصل بمقدار كلمة . ولعلها « حظ » أو « رفد » أو لفظ في معناهما ووزنهما .

(٢) في المتن « عز » ، والمثبت عن تصويب ورد في هامش اللوحة .

(٣) في المتن « أغياب » ، والمثبت عن تصويب ورد في هامش اللوحة .

- ١ وراحتُهُ سُحْبٌ وَغَيْثٌ مَكَارِمٌ
وَسَاحَتُهُ لِلخَلْقِ حَجٌّ وَمَوْسِمٌ
وطلعتُهُ بَذْرٌ تَجَلَّى لِأَرْبَعِ
[وعشر] وَأَمَّا آلُ عَجَلَانَ أَنْجَمٌ ^(١)
- ٥ وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ تَفْرِيقِ مَالِهِمْ
وَقَتْلِ أَعَادِيهِمْ وَأَنَّ هُمْ هُمْ
معارفهم بيضٌ بها يَقْتَدِي الْوَرَى
إِذَا عَدَلُوا عَنْ مَنْهَجِ الْحَقِّ أَوْ عَمُوا
وَأَجْسَائُهُمْ مِمَّا يَصُومُونَ نُحَلٌّ
١٠ وَأَقْدَامُهُمْ مِمَّا يَقُومُونَ وَرَمٌ
وهم لِلْحَلَالِ الْحَضِ لِلنَّاسِ حَلَّلُوا
كَمَا لِلْحَرَامِ الْمَحْضِ لِلنَّاسِ حَرَّمُوا
وهم لِيُوتِ الْمَالِ أَخْلَوْا وَأَتْلَفُوا
نَدَى وَلَوْلَادِ الْمُعَادِينَ أَيُّتَمُوا
١٥ مُحَمَّدُ بَلْ يَا بَا قِنَاعٍ دُعَاءُ مَنْ
لَهُ فِيكَ ظَنٌّ صَادِقٌ وَتَوْسَمٌ
فَتَى يَسْبِكُ الْأَفَاطَ مَنْ كَنَزَ فِكْرِهِ
فِيرْجِعُ حُسْنًا وَهُوَ دُرٌّ مُنْظَمٌ
وَلَمْ يَكْ يُهْدِيهَا وَيُجْلِيهَا إِلَى
٢٠ سِوَى بَرَكَاتِ ابْنِ النَّبِيِّ وَأَنْتُمْ

(١) الإضافة يستقيم بها الوزن والمعنى .

- ١ فَذَاكَ الَّذِي أَعْطَاهُ تَبَرًّا وَفِضَّةً
وَمُقَرَّبَةً مِنْهُمْ وَرَدَّ وَأَذْهَبَهُمْ
وَلَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ يَنْتَجِعُونَكَ
قَصَدْتُكُمْ مِنْ جُمْلَةِ النَّاسِ فَأَعْلَمُوا
وَلَمْ أَعْنِ إِلَّا أَنْتَ فَأَصْدَعْتَ بِمَا تَرَى
٥ وَدَعَّ سُحْبَكَ الْهَطْلَى عَلَيَّ تَسْجُمُ
بَقِيَّتَ بَقَاءِ الشَّامِخَاتِ الَّتِي رَسَتْ
عَلَى الْأَرْضِ تُعْطَى مَنْ تَشَاءُ وَتَحْرُمُ

- وامتدحه كبير الأدباء البارع ، المجيد الفارع ، برهان الدين
١٠ إبراهيم بن مبارك بن سالم بن علي بن إبراهيم المري الذهلي الشيباني
القَطِيفِيَّ بقصائد ، منها خمسٌ سمعها منه الوالد نجم الدين عمر بن
٢١٦ و فهد الهاشمي / المكي — رحمه الله تعالى — وأثبت أوائل القصائد في
كتابه المسمى « الإشعار بما أنشدت من الأشعار » والأوائل المذكورة
هي :

١٥

الأولى :

نسمة الحب أفضل مراسلات كأن لها الذباب السرحات

والثانية :

أَبْرَزَ بِمُنَّةٍ قَبْلَ (١) الرَّبْعِ يَا حَادِي

- ٢٠ مِنْ أَيْسَرَ السَّفْحِ بِلْ مِنْ أَيْمَنِ الْوَادِي

(١) في الأصل « مثل » ، ولعل الصواب ما ذكرناه .

والثالثة :

ألوت إلى عنانها بدعائى لأقيم معها كي تتم ثوائى

والرابعة :

بُعْدُ الْأَحْبَةِ عَنِّي بَاحِ كَتَمَانِي

وهجرهم والنوى أفنى لسلاوانى .

والخامسة :

هاتبا حديثها عن الحيين

وعن اللوى والبان والظلتين

وقال فيه يمدحه الشاعرُ الأديب ، الأوحد الأريب ،

أبو عبد الله محمد بن عمر بن عبد العزيز المصري الأصل ، المكي .
المولد والدار ، الشهير بالفيومي (١) :

رُبُوعٌ عَلَى سَفَجِ النَّقَا وَخِيَامُ

عليهم مِنَ الْمُضْئَى الْكَثِيبِ سَلَامٌ (٢)

أَعْدَلِيَّ أَعْدَلِيَّ شَادِي الْقَوْمِ ذَكَرُهُم

فَلِي شَجَنٌ فِي حُبِّهِمْ وَغَرَامٌ ١٥

بِرُوحِي ظَلَا بَيْنَ الثَّنِيَّةِ وَالصَّفَا

يُصَدَّنَ وَلَكِنْ صَيْدَهُنَّ حَرَامٌ

(١) له ترجمة في الضوء اللامع ٢٤٦/٨ برقم ٦٦٤ . وفيها أنه غير مُتَّصِفٌ ، ممن

تولَّع بالنظم وكثر محفوظه فيه .

(٢) يلاحظ أن الشاعر ضرب بالإعراب عرض الحائط في كثير من أبيات

القصيدة ، ويمكن إدراك ذلك بسهولة .

- ١ تَوَلَّتْ لَيْلٍ قَدْ تَوَلَّتْ بِأَنْسِهِمْ
كَأَنَّهُمْ طَيْفٌ وَهْنٌ مَنَامٌ
وَكُنْتُ زَمَانَ الْوَصْلِ أَشْكُو مُرَاقِبِي
فَلَيْتَ رَقِيبِي وَالتَّوَاصُلَ دَامُوا
أَلَا يَا لِقَوْمِي غَارَةً لَا أَرَى بِهَا
سِوَى الْقَدِّ رُمَحًا وَاللِّحَاطِ حُسَامٌ
خُذُوا بِدُمِي هَذِي الْحِجَازِيَّةَ الَّتِي
رَمَتْ مِنْ قِسِي الْحَاجِبِينَ سِهَامٌ
أَلَا لَا عَدَا الْحَاطَةَ السُّقْمُ وَالضَّنَى
١٠ غَزَالٌ عَدْتُنِي مُقْلَتِيهِ سِقَامٌ
لَهَا وَأُوْ أَصْدَاغٌ وَتُونٌ حَوَاجِبٌ
عَصِيَتْ لَهَا مَنْ فِي الْحَبَةِ لَامُوا
تَلُوحُ لِعَيْنِي مِنْ خِلَالِ خِبَائِهَا
كَمَا لَاحَ بَيْنَ الْعَيْمِ بَذْرُ تَمَامٌ
١٥ تَمَنَيْتُ مِنْهَا طَيْفَهَا فَتَحَجَّجْتُ
عَلَيَّ وَقَالَتْ : لِي هَوَى . وَتَنَامٌ
وَلَمَّا أَبَتْ أَلْحَاطُهَا سِلْمٌ مُهَجَّتِي
وَعَزَّ عَلَى نَارِ الْخُدُودِ سَلَامٌ
جَعَلْتُ رَفِيقِي اللَّيْلِ وَالنَّضْوِ صَاحِبِي
٢٠ وَصَابَرْتُ فِيهِ وَحْدَةً وَظَلَامٌ
عَسَى ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ يَنْظُرُ حَالَتِي
فَيُعَقِّدُ لِي مِنْ حَرْبِهِنَّ ذِمَامٌ

- ١ محمدٌ أَوْلَى الناسِ بِالْحَمْدِ وَالشَّائِ
وَأَشْجَعُ لَيْثٍ فِي الْوَعْيِ وَهُمَا
ثَنَاءٌ جَمِيلٌ فِي الْبَرِّيَّةِ شَائِعٌ
وَفَضْلٌ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ مُقَامٌ
لَهُ رَاحَةٌ فِيهَا مِنَ الْفَقْرِ رَاحَةٌ
إِذَا مَسَّ جَذَبَ الْفَقْرُ فَهِيَ غَمَامٌ /
وَمَهَّدَ أَرْضَ اللَّهِ بِالْعَدْلِ وَالشَّائِ
فَصَيَّرَهُ لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ٢١٦ ط
- لئن طَابَ لِلْعَافِي ثَمَارُ خِصَالِهِ
١٠ فَلَا عَجَبٌ إِنَّ الْأَصُولَ كِرَامُ
لَقَدْ خَتَمَ اللَّهُ الْكِرَامَ بِذَاتِهِ
وَلَا عَجَبٌ فَالْمِسْكُ خَيْرُ خِتَامُ
وقال أيضاً يمدحه ، وهو في الحديقة التي له المتقدم ذكرها ،
المُسَمَاة بِأَمِّ شُمَيْلَةَ بِأَرْضِ حَسَانٍ مِنْ وَادِي مَرٍّ :
١٥ حَمَامٌ شَدَا فِي الزَّهْرِ أَمْ صَاتَ مِزْهُرُ
وَرِيحٌ صَبَا تَسْرِي أَمِ الرَّاحُ تُسَكِّرُ
وَرَوْضٌ شَجِيٌّ أَمْ جِنَانٌ تَزْخَرَفُ
وَمَاءٌ زَكِيٌّ فِيهِ أَمْ هُوَ كَوَثَرُ
نَعَمْ قَدْ تَذَكَّرْنَا بِأَمِّ شُمَيْلَةَ
٢٠ جِنَانِ الْبَقَا وَالشَّيْءُ بِالشَّيْءِ يُذَكَّرُ

- ١ وَقَدْ نَسَجَتْ أَيْدِي الرِّبْعِ بِرَسْمِهَا
قَمِيصاً مِنَ الزَّهْرِ الشَّدِيِّ مُدَثَّرُ
وَوَجْهُ تَرَاهَا تَحْتَ خُضْرَةِ رَوْضَةٍ
مَلِيكَ عَدَا فِي ثَوْبٍ خَزٌّ مُدَثَّرُ
وَالْبَسَ أَجْيَادَ النِّخِيلِ قَلَائِدًا
عَقِيقٌ وَيَاقُوتٌ وَتَبَرٌّ وَجَوْهَرُ
وَلَيْلَ غَيُومِ الْجَوِّ أَرْحَى سُدُولُهُ
وَلَكِنَّهُ مِنْ أَوْجِهِ الصَّحْبِ مُقْمِرُ
وَقَدْ جَمَعَ الْأَحْبَابَ جَمَعَ سَلَامَةٍ
وَلَكِنْ بَمَاءِ الْعَيْنِ جَمَعَ مُكَسَّرُ
وَقَدْ ضَحِكَ النَّوَّارُ فِي طَيِّ كُمِّهِ
وَرِيحُ الصَّبَا فِي ذَيْلِهِ تَتَعَثَّرُ
وَقَدْ جَرَدَ الْبَرْقُ الْيَمَانِي سَيْفَهُ
وَوَظَلَّ خَطِيبُ الرَّعْدِ يَنْهَى وَيَأْمُرُ
وَقَدْ نَظَمَتْ أَيْدِ النَّدَى الدَّرَّ فِي الرَّبِيِّ
وَقَدْ سَلَّ سَيْفُ الْمَاءِ وَهُوَ مُجَوَّهَرُ
وَأَضَحَّتْ تُغُورُ الْأَرْضُ تَفْتَرُّ مَذَّ عَدَا
لَهَا ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ حِصْنٌ مُعَمَّرُ
فَلَا زَالَتِ الْأَنْوَا تَقْرُ لِحُجُودِهِ
٢٠ وَلَا بَرَحَتْ هَيْجَاهُ بِالرُّغْبِ تُنْصَرُّ

ورثاه — رحمه الله تعالى — جماعة من الشعراء الأدباء بعبدة
قصائد . وما اطلعت عليه منها مرثية الشيخ العلامة الهمام ، أوحده

- المذكّرين بالمسجد الحرام ، نور الدين علي بن ناصر الحجازي المكي الشافعي^(١) ، ومطلعها :

رُزُّ أُنَالِ الْمُسْلِمِينَ خَبَالًا
وَوَهَى بِهِ الْإِسْلَامُ حَتَّى مَالًا
وَمُصِيبَةً رُمِيتَ بِهَا أُمُّ الْقُرَى
أَهْدَتْ إِلَى أَرْضِ الْحِجَازِ نَكَالًا
وَعَزًّا تَذَكَّدَتْ الْقُلُوبُ لَوَقْعِهِ
وَالْعَقْلُ زُلْزِلَ بِالْجَوَى زَلَالًا
ومنها :

- بوفاة سُلْطَانِ الْحِجَازِ مُحَمَّدٍ
نَجَلَ الْأَكَارِمَ عِزَّةً وَجَلَالًا
كَانُوا الْأَسْوَدَ مَهَابَةً وَحِمِيَّةً
وَالسُّحْبَ جُودًا وَالْبُدُورَ كَمَالًا /
دَهْرًا تُودِّعُ كُلَّ وَقْتٍ مِنْهُمْ
قَمَرًا فَأَوْدِعْ فِي الصَّيْعِدِ هِلَالًا
ومنها :

لَمْ تَقْنَعِ الْأَيَّامُ لَا عَادَتْ بِأَنْ
نَسَفَتْ بُحُورًا مِنْهُمْ وَجِبَالًا

(١) هو علي بن ناصر بن محمد بن أحمد البليسي ، ثم المكي الشافعي ، ويعرف بالحجازي . ترجم له في الضوء اللامع ٤٥/٦ برقم ١٢٧ ، وشذرات الذهب ٧١/٨ ، والكواكب السائرة ٢٧٨/١ ، ومعجم المؤلفين ٢٥٢/٧ ، وكانت وفاته في سنة ٩١٥ هـ .

- ١ حتى رَمَتْنا في الجمالِ بِحَادِثٍ
عَزَّ العِزَّاءُ عَلَيَّ فِيهِ مَنالًا
حَامِي حِمَى البيتِ الشَّريفِ بَعْدِلِهِ
بِالْخَيْرِ أُمَّارًا بِهِ فَعَالًا
٥ وَأَغْرُ صَيِّنَ عَنِ النَّوَظِرِ عِزَّةً
أُمْسَى بِرَغْمِي فِي التُّرابِ مُدَالًا
تُمْسِي المَدَامِغُ حَوْلَهُ مُنْهَلَّةً
وَعَلَى مَحاسِنِهِ الثَّرَى مُنْهَالًا

ومنها :

- ١٠ مَنْ كَانَ لِلإِسْلَامِ مَجْدًا بِإِذْخًا
وَلِمَنْصِبِ الدِّينِ الحَنِيفِ جَمالًا
قَرَّمَ شَرِيفٌ مِنْ سُلَالَةِ أَحْمَدٍ
وَذُؤَابَةُ الحَسَنِ الزَّكِيِّ أَعْمالًا
مَوْلَى إِذَا اغْتَصَّتْ بِجَالِسِهِ شَفَى
١٥ بَعْطائِهِ وَيَبَيِّنُهُ السُّؤَالَ

ومنها :

- إِنْ غَالَهُ رَبُّ المَنُونِ فَقَبْلَهُ
هَجَمَ الجِمامُ عَلَى الكِرَامِ وَصالًا
لِلَّهِ أَيُّ مَحاسِنٍ وَمَناقِبٍ
٢٠ غَابَتْ وَأَيُّ عِمَادٍ فَخْرٍ مَالًا

- ١ لله كَمَ عَدْلٍ وَكَمَ أَمْنٍ مَلَا
أَرْضَ الْحِجَازِ وَكَمَ حِفَاطٍ وَالَى
كَثَرَ الرَّحَا وَالْخَيْرُ مِنْ بَرَكَاتِهِ
وَهَبَاتِهِ مُتَكَرِّمًا مِفْضَالًا
- ٥ لله دُرٌّ جَنَابِهِ مِنْ سَيِّدٍ
أَخِيَا اللَّيَالِي بِالْقِيَامِ فَوَالَى
قَطَعَ الْبَوَادِي فِي الْهَوَاجِرِ صَائِمًا
يَرْجُو رِضًا مِنْ رَبِّهِ وَتَوَالَا
وَأَدَامَ ذِكْرَ اللَّهِ تَسْبِيحًا وَكَمَ
١٠ وَرَدَّ مِنَ الْقُرْآنِ مِنْهُ تَوَالَى
حَتَّى ثَوَى فِي قَبْرِهِ مُتَوَسِّدًا
رَحِمَاتِ مَوْلَاهُ وَتَالَ مَنَالَا
يَا سَيِّدَ الْأَشْرَافِ نَجَلَ مُبَارَكٍ
(١) بَرَكَاتِ زَيْنِ الدِّينِ جَلَّ جَلَالَا
١٥ مَنْ يَكْشِفُ الْعَمَاءَ إِنْ نَزَلَتْ وَمَنْ
يُمْسِي لِكُلِّ هَضِيمَةٍ حَمَالَا
مَنْ يَلْبَسُ السَّرْدَ الْمُضَاعَفَ فِي الْوَعَى
وَالْحَمْدُ فِي يَوْمِ النَّدَى سِرْبَالَا
مَنْ لِلْقُرُومِ الْبُزْلُ يَصْدُقُهَا إِذَا
صَالَتْ قِرَاعًا بِالْقَنَاءِ وَنَزَالَا
٢٠

(١) هكذا يصنع الرثاء الكاذب المبالغ فيه بصاحبه ، وكان عليه أن يتورع من وصف إنسان بأنه «جل جلاله» فهذا مما اصطلاح المسلمون على استعماله في تعظيم الخالق سبحانه ! «المراجع»

١ مَنْ يُحْمِدُ الْحَرْبَ الْعَوَانَ مَثَارُهُ
يُرْدِي الْكُفَاةَ وَيَحْطِمُ الْأَبْطَالَ
منَ لِلْمُغِيرَاتِ الْجِيَادِ يُرْدُّهَا
طَرْدًا عَلَى أَعْقَابِهَا جُفَا لَا
مَنْ يَنْتَضِي الْأَقْلَامَ صَامِتَةً فَيُغْ
٥ لِيَدِيهَا لِسَانًا نَاطِقًا وَمَقَالًا
مَنْ لِلْمَمَالِكِ وَالرَّعَايَا سَائِسًا
هِيَ هَاتِ ضَاعُوا بَعْدَهُ إِهْمَالًا /
٢١٧ ظ مَنْ لِلْيَتَامَى وَالْأَرَامِلِ بَعْدَهُ

١٠ مَنْ لِلْفَقِيرِ وَلِلْعَدِيمِ مَالًا
إِنْ لَمْ يَكُنْ بَرَكَاتُ نَجْلِ مَقَامِكُمْ
سُلْطَانِ مَكَّةَ قَاطِعًا وَصَّالًا
مَاضِي الْعَزِيمَةِ بِالنُّهَى مُتَحَكِّمًا
بِالْعَدْلِ فَعَالًا بِهِ قَوْلًا
١٥ جَمَعَ الصِّيَانَةَ وَالْمَعَارِفَ وَالْعُلَا
وَالدِّينَ وَالتَّقْوَى وَعَزَّزَ مَنَالًا
كُلَّ الْقُلُوبِ عَلَى مَحَبَّتِهِ انْطَوَتْ
وإِلَى سِيَاسَتِهِ النُّفُوسُ تَدَاوَى

ورثية الخواجاء الأديب ، شهاب الدين أحمد بن العلاء علي
٢٠ ابن إبراهيم الحلبي ، المعروف بالصوف (١) . أولها :

(١) في الأصل « بالصوا » ، والمثبت عن ترجمته في شذرات الذهب ١٢٨/٨ ،
والكواكب السائرة ١٣٩/١ ، وفيهما توفي سنة ٩٢٤ هـ .

١ وتراب سِيدِ رَمَزِمٍ وَمَقَامٍ
مَا هَذِهِ الدُّنْيَا بِدَارِ مُقَامٍ
كَيْفَ الْمَقَامُ وَكُلُّ مَوْجُودٍ سِوَى
وَجْهِ الْإِلَهِ يَفِي إِلَى الْإِعْدَامِ
٥ وَاللَّهِ لَوْ عَاشَ الْفَتَى مَا عَاشَهُ
لَا بُدَّ أَنْ يُفَجَّا بِكَأْسِ حِمَامٍ

ومنها :

أَيْنَ الَّذِي قَدْ كَانَ أُمْسَى وَحُكْمُهُ
عَدْلُ الْقَضَاءِ الْمُحْكَمِ الْإِبْرَامِ
١٠ اِغْتَالَهُ مَنْ لَوْ يُرَدُّ بَعْسُكَرٍ
لَحَمَاهُ كُلُّ مُتَّقِفٍ وَحُسَامِ
فَجِئْتُ بِهِ الدُّنْيَا فَلَوْ يُفْدَى بِهَا
لَفَدْتُهُ وَالْأَرْوَاحُ بِالْأَجْسَامِ
وَسَهَتْ لِمَصْرَعِهِ الْأَنَامُ تَحِيْرًا
١٥ فَكَأَنَّمَا سَكْرَى بِغَيْرِ مُدَامِ
وَعَدَا الصَّفَا مُتَكَدِّرًا وَجُفُونُهُ
مُذْ غَابَ لَمْ تُكْحَلْ بِمِيلِ مَنَامِ
وَعَيُونَ رَمَزِمٍ أَثْرَحَتْ وَدُمُوعُهَا
أَسْفًا عَلَيْكَ عَلَى الدَّوَامِ دَوَامِي
٢٠ وَمَقَامُ إِبْرَاهِيمَ أُمْسَى لَا بَسًا
ثَوْبَ الْحَدَادِ أَسَى وَثَوْبَ سِقَامِ

- ١ وَلِرُكْنِ بَيْتِ اللَّهِ وَحُشَّةُ ذَاكِرٍ
أَدْبَاءً لِقُبْلَةٍ تُغْرِكَ الْبَسَامَ
وَلِطَوْفِكَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ مُكَفَّنًا
ذِكْرِي بِطَوْفِكَ حَالَةَ الْإِحْرَامِ
لو خِلْتُهُ فِي نَعْشِهِ لَعَجِبْتُ مِنْ
أَسَدٍ عَلَى فَرَسٍ بَعِيرٍ لِحَامِ
قَدْ سَارَ مِنْ بَابِ السَّلَامِ ضُحَى إِلَى
دَارِ السَّلَامِ إِلَى الْعُلَا بِسَلَامِ
فَتَرَحَّرَفْتُ غُرْفَ الْجَنَانِ وَحُورُهَا
لِلِقَاءِ قَدْ وَقَفْتُ عَلَى الْأَقْدَامِ
لِتَرْحُبِ الْمَوْلَى الشَّرِيفِ مُحَمَّدٍ السَّ
لَطَانِ حَامِي بَيْضَةِ الْإِسْلَامِ
أَنْعَمَ بِمَنْ تَرَكَ الذُّنَابَ بِنَصْلِهِ
وَبَعْدَلِهِ تَرَعَى مَعَ الْأَنْعَامِ
مَلِكٌ غَدَتْ أَحْكَامُهُ وَنِظَامُهُ
وَكَلَامُهُ فِي غَايَةِ الْإِحْكَامِ /
مَلِكُ الْبِلَادِ بِقَلْبِهِ وَبِعَظْمِهِ
وَبِرُغْبِهِ الْآسَادَ فِي الْآجَامِ
وَحَوَى الْبِلَادَ بِعَقْلِهِ وَبَعْدَلِهِ
وَبِفَضْلِهِ وَالْبَذِلَ وَالْإِنْعَامِ
وَسَمَا النُّجُومَ بِفَهْمِهِ وَبِعِلْمِهِ
وَبِخَزْمِهِ وَبِعَزْمِهِ الْهَمَامِ
- ٢١٨ و

- ١ وَوَحَقُّ مَنْ مَلَأَ الزَّمَانَ صَحَائِفًا
تتلوا الثناء بالسن الأعلام^(١)
مَا مَاتَ مَنْ وَلَّى وَحُسْنُ صَنِيعِهِ
يُشْنَى عَلَيْهِ عَلَى مَدَى الْأَيَّامِ
وَمَضَى وَخَلَّفَ حِينَ سَلَّمَ مَكَّةً
بَرَكَاتٍ أَنْجَبَ نَسْلٍ حَامٍ وَسَامٍ
الحامى ابن الحامى ابن الحامى
ابن الحامى ابن الحامى ابن الحامى
والناظم الفُرسَان طَعْنُ قَنَاتِهِ
١٠ وَالتَّائِرُ الشَّجَعَانِ قَدْ حُسَامِ
مَنْ دِرْعُهُ يَوْمَ الزَّحَامِ فُوَادُهُ
وَفُوَادُهُ دِرْعٌ لِيَوْمِ زَحَامِ
يَهْبُ الْأُلُوفُ بِكَفِّهِ وَيُرَدُّهَا
يَوْمَ الصَّفُوفِ بِسَيْفِهِ الصَّمْصَامِ
ومرثيه الشريف الجليل الأديب النبيل ، مجد الدين جراح بن
شاجر بن حسن الغساني ، مطلعها :
مُصِيبَةٌ نَزَلَتْ بِالْخَلْقِ عَنْ كَتَبِ
طُرًّا وَلَا سِيَّمَا بِالْعُجْمِ وَالْعَرَبِ
وَحَادِثٌ جَلَّ أَنْ تَبْكِيَ الْعَيُونَ لَهُ

(١) في الأصل « تتلوه ثناء بالسن الأعلام » ، وما أثبتناه يستقيم وزناً .

١ بِمَذْمَعٍ وَدَمٍ فِي الْحَدِّ مُنْسَكِبٍ
وَأَنْ تَذُوبُ لَهُ الْأَكْبَادُ مِنْ كَمَدٍ
وَأَيُّ قَلْبٍ لِهَذَا الْخَطْبِ لَمْ يَذُبْ
عَلَى أَبِي بَرَكَاتِ الْمُسْتَعَاثِ بِهِ
مُحَمَّدِ الْمَلِكِ الْكَشَافِ لِلْكَرْبِ
مَوْلَى الْمُلُوكِ الَّذِي كَانَتْ عَزَائِمُهُ
أَمْضَى مِنَ الْهَوْلِ مِنْ مَصْقُولَةِ الشُّطْبِ
وَكَانَ أَشْهَرَ مِنْ نَارٍ عَلَى عِلْمٍ
وَسَمَكَ عَلَيْهِ فِي أَرْفَعِ الرُّتَبِ

ومنها :

١٠ مَا بَعْدَهُ الْيَوْمَ مِنْ جُودٍ وَلَا كَرَمٍ
فَأَجْمِلُوا أَيُّهَا الطَّلَابُ فِي الطَّلَبِ
أَسْرَفْتُ يَا مَوْتُ كَمْ أَفْنَيْتَ مِنْ عَدَدٍ
بِمَنْ أَصَبْتُ وَكَمْ أَسَكَّتَ مِنْ لَجِبِ
وَأَنْتَ يَا دَهْرُ مَا هَذَا الَّذِي صَنَعْتَ
يَدَاكَ بِالذِّينِ وَالذُّنْيَا مِنَ الْعَطَبِ
قَطَعْتَ يُمْنَاكَ بِالْيُسْرِ فَعَضَّ يَدًا
عَلَيْهِ وَاتَّذَنَ بِسُخْطِ اللَّهِ وَالْعَضَبِ
مَا كُنْتُ أَحْسِبُ يَوْمًا قَبْلَ مِيتَتِهِ
أَنْ يُدْفَنَ الْقَمَرُ النَّوَّارُ فِي التُّرْبِ

ومنها :

١ ما كان أَطْيَبَ أَيَّامٍ لَهُ سَلَفَتْ
كَأَنَّهَا لَمْ تَرُقْ حُسْنًا وَلَمْ تَطْبِ
وَلَمْ تُلِمَّ بِهِ الْوَفَادُ طَالِبَةً
مِنْهُ الْعَطَايَا وَلَمْ يَخْلَعْ وَلَمْ يَهَبِ
ومنها :

٥ لَمْ يُلْهِهِ الصَّيْدُ يَوْمًا عَنْ قِرَائَتِهِ
كَأَنَّهَا لَمْ يَشْتَغِلْ بِاللَّهِوِ وَاللَّعِبِ /
مِنْ بَعْدِ أَنْ مَلَكَ الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا
٢١٨ ظ بالسَّهْمَرِيَّةِ وَالْهِنْدِيَّةِ الْعُضْبِ
وَدَبَّرَ الْمَلِكُ فِي شَأْمٍ وَفِي يَمَنِ
١٠ تَدْبِيرَ أَبْلَجٍ مَعْصُومٍ مِنَ الرَّيْبِ
وَسَارَتْ الْعَيْسُ بِالْأَمْوَالِ آمِنَةً
فِي الطُّرُقِ مِنْ عَدَنِ الْعَرَا إِلَى حَلَبِ
تَبْكِيهِ مَكْتَبُهُ الْعَرَا وَسَاكِنُهَا
وَكُلُّ مُسْتَوْطِنٍ فِيهَا وَمُعْتَرِبِ
١٥ وَزَمَزَمَ وَالْمُصَلَّى وَالْحَطِيمُ مَعًا
وَالْحِجْرُ وَالْبَيْتُ يَنْكِي غَيْرَ مُتَّحِبِ
وَلَمْ يَزَلْ عَرَفَاتُ بَعْدَهُ وَمَنْى
تَنْوُحُ حُزْنًا وَلَا نَوْحُ بِلَا سَبَبِ
وَأِنْ بَكَتْ يَثْرِبُ الْعَرَا فَلَا عَجَبِ
٢٠ الْأَمْرُ أَعْظَمُ أَنْ يُعْزَى إِلَى الْعَجَبِ

ومنها :

١

اللَّهُ أَكْبَرُ مَا أَقْسَى مُصِيبَتَهُ
حَشَتْ قُلُوبَ الْوَرَى بِالْجَمْرِ وَاللَّهَبِ
لَوْ كَانَ يُفْدَى فَدْيَتَاهُ بِأَنْفُسِنَا

وَمَا مَلَكَتْهُ مِنْ مَالٍ وَمِنْ نَشَبٍ ٥
اليَوْمَ أَصْبَحَ رُكْنُ الْمَجْدِ مُنْهَدِمًا
وَجُرِّدَ الْعِزُّ مِنْ أَثْوَابِهِ الْقُشْبِ
يَا أَبَا قِنَاعٍ لَئِنْ أَصْبَحْتَ مُنْفَرِدًا
عَنْ مُلْكِكَ الضَّخْمِ أَوْ عَنْ جَيْشِكَ اللَّجِبِ

١٠

وَقِيلَ فِيكَ الْمَرَاثِي بَعْدَ مَا رُويَتْ
فِيكَ الْمَدَائِحُ مِنْ شِعْرِ وَمِنْ حُطْبٍ
فَكَمْ بَلَغَتْ مِنَ الدُّنْيَا مُنَاكَ وَكَمْ
رَدَدَتْ رَأْسَ الْمُعَادِي مَوْضِعَ الذَّنْبِ
يَا أَيُّهَا الْمُلْكُ لَا تَجْزَعْ لِمَصْرَعِهِ

١٥

إِنْ غَابَ فَالْمَلِكُ الْمَنْصُورُ لَمْ يَغِبْ ١٥
وَقَبْلَهُ جَذُّهُ الْمُخْتَارُ مِنْ مُضَرٍّ
وَكَمْ مَضَى مِنْ وَصِيٍّ قَبْلَهُ وَنَبِيٍّ
وَالْأَسَدُ تَخْلُفُهَا الْأَشْبَالُ إِنْ ذَهَبَتْ

وَهَكَذَا النَّاسُ فِي الْمَاضِي وَفِي الْعَقَبِ

٢٠

وَيَا بَنِي حَسَنِ الْعُلْبِ الْكِرَامَ مَعًا
وَكُلَّ مُصْطَفَوِيٍّ الْأَصْلِ مُطَّلِبِ

- وَأَنْتُمْ أَيُّهَا الْقَوَادُّ قَاطِبَةٌ
 وَسَائِرِ النَّمَوِيِّ الْمَحْضِ وَالثَّقَبِ
 أَبَا زُهَيْرٍ أَطِيعُوهُ فَطَاعَتُهُ
 فَرَضٌ عَلَى كُلِّ كَهْلٍ مِنْكُمْ وَصَبِي
 فَمَنْ يُؤَالِيهِ فَلْيُبَشِّرْ بِنِعْمَتِهِ
 فَإِنَّهُ رَحْمَةٌ مَمْدُودَةُ الطُّنُبِ
 إِنْ كَانَ دَاوُدُ وَلَّى عَنْ خِلَافَتِهِ
 فَذَا سُلَيْمَانُ أُعْطِيَهَا بَلَا تَعَبٍ
 وَقَامَ بِالْأَمْرِ مُذْ نِيَطَتْ عُرَاهُ بِهِ
 ١٠ فَنَامَ مُنْتَصِرًا بِاللَّهِ مُحْتَسِبًا (١)
 هَذَا هُوَ الشَّمْسُ وَالْأَقْمَارُ إِخْوَتُهُ
 أَكْرَمَ بِهِمْ خَيْرَ أَوْلَادٍ لَخَيْرِ آبٍ
 لَا أَسْأَلُ اللَّهَ إِلَّا جَمَعَ شَمْلَهُمْ
 فَإِنَّهُمْ غَايَةُ الْمَقْصُودِ وَالْأَرْبِ
 ١٥ ومروثية له أيضاً قالها على لسان الأمير الكبير الشهير صاحب
 جازان شهاب الدين أبو الغواير / أحمد بن قطب الدين دُرَيْب بن ٢١٩ و
 خالد الحسني (٢) ، قال في أبياتها :

(١) كذا في الأصل ، وكأنه عدل عن الإعراب الصحيح إلى ضرورة مجازاة كسر

الروي .

(٢) وانظر ترجمته وأخباره مع الشريف محمد بن بركات في حوادث سنة ٨٨٢ هـ

ص ٥٢٠ وما بعدها .

- وَلَمَّا أَنْ نَعَى النَّاعَى إِلَيْنَا
أَصَمَّ مَسَامِعاً مِنَّا وَأَبْكَى
وَلَوْ لَمْ تَجْرِ أَدْمُعُنَا دِمَاءً
وَزُلْزِلَتْ الْبِلَادُ غَدَاةً وَافَى
وَأَمَّا الْأَرْضُ مِنْ جَزَعٍ فَكَادَتْ
وَتَنَفَّطِرُ السَّمَاءُ وَتَعُودُ مِمَّا
لِفَقْدِ مُحَمَّدٍ عَلِمَ الْهُدَى مِنْ
وَلَمَّا يَخْلُ مِنْ حُزْنٍ عَلَيْهِ
فَتَى هَدَمَ الزَّمَانُ بِهِ الْمَعَالِي
وَهَدَّ دُعَامَةَ الْإِسْلَامِ خَطْبُ
لَقَدْ أَضْحَتْ قِتَاةُ بَنِي مَعَدٍّ
وَأَغْمَدَ سَيْفُهَا الصِّمَصَامُ عَنْهَا
فَهَلْ نَلْقَى الْعَدُوَّ بِلَا سِلَاحٍ
وَمَنْ كَمُحَمَّدٍ قَمِرَ الْمَعَالِي
وَكَمْ أَخْلَتْ خَزَائِنُهُ الْعَطَايَا
- ١
مُحَمَّدٌ ثُمَّ قَالَ ثَوَى فُلَانُ
عُيُوناً دَمْعُهُنَّ الْأَرْجُوانُ
نَمَّا مِنْ رِيَّهَا أَثْلٌ وَبَانُ
وَحَرَّتْ مِنْ شَوَاهِقِهَا الرَّعَانُ^(١)
تُمُورُ بِنَا وَلَمْ يَثْبُتْ مَكَانُ
أَلَمْ كَانَهَا كَمَدًا دُخَانُ
أُصِيبَ بِرُزْئِهِ إِنْسٌ وَجَانُ
أَبَى بَرَكَاتِ نَفْسٍ أَوْ جَنَانُ
أَلَا يَا بَشَسَ مَا صَنَعَ الزَّمَانُ
هَبَطْنَ لِغُظْمِ مَوْقِعِهِ الْقِنَانُ
١٠
بِهَا أَوْدٌ وَلَيْسَ بِهَا سِنَانُ
وَأُبْدِلَ خَيْفَةً ذَاكَ الْأَمَانُ
إِذَا حَانَ الضَّرَابُ أَوْ الطَّعَانُ
إِذَا مَا أَشْتَدَّتِ الْحَرْبُ الْعَوَانُ
١٥
لَا مِلَّهِ وَأَثَرِعَتِ الْجَفَانُ

ومنها :

لئن يَتِمَّتْ وفودُ أَبِي قِنَاعٍ
وفارقَ مكرهاً مُلْكاً جَسِيماً
وعُطِّلَ بَعْدَ مَصْرَعِهِ الْخَوَانُ
بِهِ مَلَكُ الْأَنْامِ مَعَا فِدَائُوا

(١) الرعان : يقال جبل أرعن أي ذو رعان طوال ، بمعنى أنوف عظام شاخصة .

(المعجم الوسيط) .

- فَإِنَّ مَصِيرَهُ جَنَّاتٌ عَدْنٍ
 أَلَا يَا آلَ حَيْدَرَةٍ وَطَهَ
 تَأَسُّوا بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ مَنْ
 وَشَدُّوا أَرْكَكُمْ بِأَبِي زُهَيْرٍ
 فَلَا وَاللَّهِ مَا حَمَلْتُ شَبِيهَا
 وَلَا وَخَدْتُ عَلَى الْبَيْدَا قُلُوصُ
 وَيَا مَوْلَى الْمُلُوكِ الشُّمُّ طُرًّا
 تَجَلَّدُ وَاعْتَصِمَ بِالصَّبْرِ وَأَعْلَمُ
 وَقَوْمَكَ قَمِ بِهِمْ وَأَخْفِضْ جَنَاحًا
 فَهُمْ عَيْنٌ وَأَنْتَ لَهَا سَوَادُ
 فَأَنْتَ رَئِيسُهُمْ عَدْلٌ وَجَارُ
- ١ تُعَازِلُهُ بِهَا الْحُورُ الْحِسَانُ
 وَأَنْتُمْ أَيُّهَا السَّبْعُ الْبِدَانُ
 عَلَيْهِ كَرَامَةٌ نَزَلَ الْقُرْآنُ
 فَنِعَمَ الْمُسْتَعَاثُ الْمُسْتَعَانُ
 ٥ لَهُ أَبَدًا وَلَا وَضَعْتَ حَصَانُ
 وَجَالَ بِمَنْ يُحَاكِيه حَصَانُ
 وَمَنْ إِذْ قَامَ طَابَ بِهِ الزَّمَانُ /
 ٢١٩ بِأَنَّ مَصِيرَ وَالِدِكَ الْجَنَانُ ظ
 لَهُمْ وَأَعِنِ جُنُودَكَ مَا اسْتَعَانُوا
 ١٠ وَهُمْ كَفُّ وَأَنْتَ لَهَا بَنَانُ
 وَمَوْلَاهُمْ وَإِنْ خَشِنُوا وَلَا نُوَا

* * *

« تم الجزء الثاني ويليه الجزء الثالث »

الفهرست

الصفحة

الموضوع

- ٩ — ١٧٤ — محمد بن حسن بن علي بن قتادة بن إدريس بن مطاعن الحسني .
- ٤٤ — ١٧٥ — علي بن الحسين بن برطاس ، مبارز الدين .
- ٤٦ — ١٧٦ — مروان الظاهري ، شمس الدين .
- ٤٧ — ١٧٧ — غاتم بن إدريس بن حسن بن قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم الحسني .
- ٤٨ — ١٧٨ — جهماز بن شيخة بن هاشم بن قاسم بن مهنا بن حسين بن مهنا بن داود بن قاسم الحسني ، عز الدين أبو سند .
- ٥٣ — ١٧٩ — حميضة بن أبي نمي محمد بن أبي سعد حسن بن علي بن قتادة بن إدريس بن مطاعن الحسني ، واسمه نجاد .
- ٧٨ — ١٨٠ — رميثة بن أبي نمي محمد بن أبي سعد حسن بن علي بن قتادة بن إدريس بن مطاعن الحسني ، أسد الدين أبو عرادة .
- ١١١ — ١٨١ — أبو الغيث بن أبي نمي محمد بن أبي سعد حسن بن علي بن قتادة الحسني ، عماد الدين .
- ١١٣ — ١٨٢ — عطيفة بن أبي نمي محمد بن أبي سعد حسن بن علي بن قتادة الحسني ، سيف الدين .
- ١٢٩ — ١٨٣ — محمد بن إدريس بن قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم الحسني .
- ١٣٠ — ١٨٤ — ثقبه بن رميثة بن أبي نمي محمد بن أبي سعد حسن بن علي بن قتادة ابن إدريس بن مطاعن الحسني ، أسد الدين أبو شهاب .
- ١٣٧ — ١٨٥ — عجلائ بن رميثة بن أبي نمي محمد بن أبي سعد حسن بن علي بن قتادة بن إدريس بن مطاعن الحسني ، عز الدين أبو سريع .
- ١٦٨ — ١٨٦ — سند بن رميثة بن أبي نمي محمد بن أبي سعد حسن بن علي بن قتادة الحسني .
- ١٧٥ — ١٨٧ — محمد بن عطيفة بن أبي نمي محمد بن أبي سعد حسن بن علي بن قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم الحسني .

الصفحة

الموضوع

- ١٨٨ — أحمد بن عجلان بن رميثة بن أبي نغمي محمد بن أبي سعد حسن بن علي
١٨١ ابن قتادة بن إدريس بن مطاعن الحسني ، شهاب الدين أبو سليمان .
١٨٩ — محمد بن أحمد بن عجلان بن رميثة بن أبي نغمي محمد بن أبي سعد حسن
١٩٥ ابن علي بن قتادة بن إدريس بن مطاعن الحسني ، جمال الدين .
١٩٠ — عنان بن مغامس بن رميثة بن أبي نغمي محمد بن أبي سعد حسن بن
٢٠٠ علي بن قتادة الحسني ، زين الدين أبو لجام .
١٩١ — أحمد بن ثقبه بن رميثة بن أبي نغمي محمد بن أبي سعد حسن بن علي
٢٢٣ ابن قتادة الحسني .
١٩٢ — عقيل بن مبارك بن رميثة بن أبي نغمي الحسني .
٢٢٤ — علي بن مبارك بن رميثة بن أبي نغمي الحسني .
٢٢٥ — علي بن عجلان بن رميثة بن أبي نغمي محمد بن أبي سعد حسن بن
٢٢٧ علي بن قتادة الحسني ، علاء الدين أبو الحسن .
١٩٥ — محمد بن عجلان بن رميثة بن أبي نغمي الحسني .
٢٤٢ — حسن بن عجلان بن رميثة بن أبي نغمي محمد بن أبي سعد حسن بن
٢٤٦ علي بن قتادة الحسني ، بدر الدين .
١٩٧ — بركات بن حسن بن عجلان بن رميثة بن أبي نغمي محمد بن أبي سعد
٣٩٢ حسن بن علي بن قتادة الحسني ، زين الدين أبو زهير .
١٩٨ — أحمد بن حسن بن عجلان بن رميثة بن أبي نغمي محمد بن أبي سعد حسن
٤٦٧ ابن علي بن قتادة بن إدريس بن مطاعن الحسني ، شهاب الدين .
١٩٩ — إبراهيم بن حسن بن عجلان بن رميثة بن أبي نغمي الحسني ، سيف الدين .
٤٧٠ — رميثة بن محمد بن عجلان بن رميثة بن أبي نغمي الحسني .
٤٧٤ — علي بن عنان بن مغامس بن رميثة بن أبي نغمي محمد بن أبي سعد
٤٨٣ حسن بن علي بن قتادة الحسني ، علاء الدين أبو الحسن .
٢٠٢ — علي بن حسن بن عجلان بن رميثة بن أبي نغمي الحسني ، نور الدين .
٤٨٧ — أبو القاسم بن حسن بن عجلان بن رميثة بن أبي نغمي محمد بن
٤٩٨ أبي سعد حسن بن علي بن قتادة الحسني ، مؤيد الدين .
٢٠٤ — محمد بن بركات بن حسن بن عجلان بن رميثة بن أبي نغمي محمد بن
٥٠٦ أبي سعد حسن بن علي بن قتادة الحسني ، جمال الدين أبو الفرج .